

مرتفعات الجزيرة العربية

الجزء الثاني

تأليف

هاربي سانت جون فيلبي

تعريب

د. حسن مصطفى حسن

تقديم ومراجعة وتعليق

أ. د. غيثان بن علي بن جريس

أستاذ التاريخ بجامعة الملك خالد

السعودية. أبها

ح مكتبة العبيكان، ١٤٢٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

فيلبي، هاري سانت جون

مرتفعات الجزيرة العربية، ترجمة حسن مصطفى حسن، تقديم

ومراجعة: غيثان بن علي بن جريس - الرياض

ج ٢، ٢٤ سم

ردمك: ٣-١٦٩-٤٠-٩٩٦٠ (مجموعة)

٥-١٧١-٤٠-٩٩٦٠ (ج ٢)

١- الجزيرة العربية - رحلات

أ- حسن، حسن مصطفى (مترجم) ب- العنوان

٢٣/١١٢٧

ديوي: ٩١٥,٣٠٠١٠٤

ردمك: ٣-١٦٩-٤٠-٩٩٦٠ (مجموعة) رقم الإيداع: ٢٣/١١٢٧

٥-١٧١-٤٠-٩٩٦٠ (ج ٢)

الطبعة الأولى

٢٠٠٥م / ١٤٢٦هـ

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الناشر

شركة مكتبة
العبيكان
Obekon
Publishers & Booksellers

الرياض. العليا. تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة

ص.ب: ٦٢٨٠٧ الرياض ١١٥٩٥

هاتف: ٤١٦٠٠١٨ - ٤٦٥٤٤٢٤، فاكس: ٤٦٥٠١٢٩



الباب الرابع

النجد المرتفع

الرابع من نوفمبر إلى الرابع من ديسمبر ١٩٣٦م

الفصل السابع عشر

الطريق إلى حبونا

ينطلق وادي الإثائية عند الزاوية الشمالية الشرقية لسهل سعيد، إلى خارج التلال المحيطة، ليدخل إلى مجرى حصوي واسع يجري بدوره أسفل السلسلة التي تسد السهل من ناحية الشرق إلى أن ينقسم إلى مسارين متوازيين، ليعبر بعد ذلك طريق السيارات الرئيس الذي يقع قليلاً ناحية الشرق من آل منجم ويتصل آخر الأمر مع وادي نجران قليلاً فوق فجوة الدريب، والتي عن طريقها يعبر وادي نجران إلى الصحراء.

تقف هضبة صغيرة من البازلت بالقرب من منفذ الوادي من عند التلال، ويبلغ ارتفاعها حوالي (٥٠) قدماً، ويوجد عند قاعدتها مقبرة، ربما كانت مقبرة تضم رفات الحجاج الذين سقطوا أثناء الطريق، ذلك لأن هذا هو الطريق السلوك العادي -درب الجمال- المؤدي إلى مكة ذلك قبل افتتاح طريق السيارات الجديد الذي يقع قليلاً ناحية الشرق.

يتملكني العجب إن لم يكن هذا هو درب الفيل القديم مرة أخرى، غير أن هذا التفكير لم يكن صحيحاً، إذ أن درب الفيل يقع بعيداً ناحية الغرب، برغم أن مرشدي الجديد، واسمه مسفر، لم يسمع به قط. كان مسفر على كل حال، مرشداً محلياً جيداً وكان يعترف فقط بأنه ملم بالطريق إلى حبونا، كان كل ما استطعت رؤيته عن نجران من عند قمة عان بريم هو نخيل المخلاف الذي يمتد من عند آل منجم إلى طعزه، وبعض القمم على الجانب الآخر من الوادي حتى عرير.

توجهنا إلى أعلى مجرى الإثائية، الذي بدأ يضيق تدريجياً بين رعني سلسلة السوادة التي تقع على يسارنا وسلسلة شريم قليلاً إلى الورا على جانب الوادي الأيسر. كانت هنالك أشجار طلع على جانبي بطن السيل، غير أننا كنا نسير مدة تقل عن نصف الساعة -أي أكثر قليلاً من الميل الواحد، ويعزى ذلك لأن سرعتنا لم تزد عن ميلين ونصف الميل في الساعة- إلى أن وصلنا إلى الفم العريض لرافد يسمى شعيب سيلة الذي التففتنا من حوله تجاه الشمال الغربي. يمكننا من هذا الموقع رؤية رأس وادي الإثائية على مسافة ميلين داخل التلال المنخفضة التي ينبع منها وهو شعيب غير مهم. كان سلية رافداً أكثر منه مجرى، وكان بطنه متعرجاً وتنمو في بعض أجزائه أشجار الطلح وبينما تكون أجزاء أخرى منه عارية من النبات. تلتقي معه هنا وهناك روافد صغيرة أخرى، ويضيق سيلة سريعاً بين صخور غريبة شديدة الانحدار حتى يصبح على بعد ميلين ونصف الميل من فمه وقد صار عرضه (٥٠) ياردة فقط، وكان عبوره صعباً جداً.

اتفق آل جابر على إمدادنا بالرجال الذين يشرفون على أمر جمالنا، وهم من آل فاطمة، وكانوا كلهم يسيرون على الأقدام، يغنون طيلة الوقت ويرقصون أثناء سيرهم. كانوا يبدون وهم سعداء جداً أثناء سيرهم. وصل رافد سيلة إلى رأسه، بعد مسافة ميل آخر وقد كان يتلوى ويدور وهو يصعد، عند جلاميد متشرة على خلفية لصخور سوداء شديدة الانحدار. نزلنا عن ظهور دوابنا لنسير على أقدامنا ونقود الجمال عبر الممر الشديد الانحدار الشديد الخطر والذي تم قطعه بين الصخور والصاعد إلى العقبة على ارتفاع (٢٥٠) قدماً فوق رأس الرافد حيث اكتشفت أننا قد بلغنا ارتفاعاً يقارب (٦٠٠) قدم فوق مستوى سهل سعيد. كنا نصعد، بالطبع، طيلة الوقت دون أن نحس بذلك.

توقفنا قليلاً عند قمة الممر لنسمح لكل حيواناتنا أن تصل ولتحديد القافلة وقد انتهزت هذه الفرصة لأتسلق إلى بقعة على السلسلة عند ارتفاع (١٥٠) قدماً من هذا الموقع، وحوالي (١٠٠٠) قدم فوق نجران، التي كنت أمل أن أراها. يبدو أن هذه السلسلة متوضعة إلى الخلف وأنها أقل ارتفاعاً من التلال التي تشاهد حول سهل سعيد، وكان عليّ أن أكتفي بإلقاء النظرة الأخيرة على تنصاب التي تقع إلى البعيد ناحية الشرق وعلى بعض من مجموعة بني كلب^(١) في رمال الصحراء. يقع رأس شعيب الرغام على مسافة ميل واحد ناحية الشمال الغربي من موقعنا الذي سيهبط إليه طريقنا من الممر، الذي نسير فيه بعض المسافة إلى الخلف وحتى مجرى الرغام لا توجد أي علامة لطبقة الغطاء من الحجر الرملي فوق الجرانيت غير أنه فيما يلي أرغم فإن كل قمم السلاسل تحمل هذا الغطاء العادي بدرجة من الكثافة تقل أو تكثر.

أمضى رفاقي وقتهم في إعداد القهوة التي رحبنا بها كثيراً قبل مواصلة المسيرة. كما حلق صقر عالياً فوق العقبة أثناء تناولنا للقهوة لعله يتجسس لمعرفة ما نقوم به. وذكر أناس من آل فاطمة أن هذه الصقور^(٢) كثيراً ما تلتقط حملانهم، وتفترس عادة الأرانب البرية والغزلان الصغيرة. تقع مقبرة صغيرة على جانب شعيب الرغام، مكونة من قبور بدائية (لحجاج أو بدو)، وشعيب الرغام مجرى رملي تنمو عليه بعض أشجار العلب (السدر) الصغيرة وبعض الطلح ويجري من جهة الشمال الشرقي بين منحدرات سهلة. تتبعناه مسافة ربع ساعة وتحولنا عنه

(١) يذكر البلادي أن (أكلب) هي جبل بني أكلب، انظر: بين مكة وحضرموت، ص ١٩٥. (ابن جريس).

(٢) لعلها من جنس (Lammergeirs) ويسمونه عيذة عند عرب منطقة الطائف. (المؤلف).

ناحية الشمال فوق الدلتا العريضة لشعيب جرثم، الذي تركناه سريعاً باتخاذنا لرافد آخر لنصل إلى ممر على ارتفاع (٥٠٠٠) قدم فوق سطح البحر، وعلى مستوى الارتفاع نفسه لممر سيلة. هبطنا من هذا الموقع ناحية الشمال الغربي على منحدر صعب إلى حوض تلي تجاه مجرى جار الطويلة، كنا خلال ذلك نميل إلى الالتقاء مع طريقنا من عند التلال التي على يسارنا (على مسافة ميلين). كان هذا الشعيب جافاً وعارياً من الغطاء النباتي عدا قليل من شجيرات العوسج وشجيرات الطلح، وهو يمتد حتى شعب عرقان الذي يرفد وادي حبونا.

قمنا بمقابلة مجموعة من القحطانيين برئاسة محمد الجرب من مجموعة ظهرة سنحان، وقد جاؤوا بأغنمامهم لبيعها في سوق نجران، لقد قدموا من عند الأمواه^(١) عبر البلاد، وقد وصلوا إلى هنا خلال ثلاثة أيام. اتجه المجري سريعاً ناحية الشمال الغربي والغربي ليدور حول سلسلة معترضة، صعدنا عليها سالكين الدرب حتى وصلنا إلى مضيق من قمتين يسمى المتقطع، يرتفع حوالي (١٠٠) قدم فوق آخر مضيق ويطل من فوقه منزل قديم من بلكات مشذبة ذات لون أصفر من حجارة رملية، كانت مساحة البناء كله عشرة أقدام مربعة، غير أنه يبدو قديماً بسبب تأكله بعوامل الطقس وبسبب وجود نقوش حميرية من حروف قليلة عليه. كان ارتفاعه أربعة أقدام فقط، غير أن الجزء الأعلى ربما يكون قد سقط عنه. نستطيع من هنا رؤية ثلاثة من العلامات الأرضية لنجران وهي: أم خرق، العباء، وعرير. تقع إلى البعيد ناحية الغرب القمم البعيدة لغثمة ولعلها تطل على

(١) منطقة الأمواه، تقع إلى الشمال مباشرة من حوض وادي حبونا، أي من شمال منطقة نجران، ويحتل المجري الأعلى لوادي تثليث بعد انتهائه من سرة قحطان. للمزيد انظر: عبدالرحمن الشريف. جغرافية المملكة العربية السعودية، ج٢، ص ٤١٨ - ٤١٩. (ابن جريس).

قرية بالاسم نفسه على طريق نجران - ظهران^(١)، وتقع سلسلة الضحي الحجرية الرملية العالية في وادي حبونا ناحية اليمين.

انطلقت الجمال أماننا هابطة الطريق المنحدر لتنتظر أسفل وقد وصلنا إليها في حوض جار الطويلة الذي برز الآن من حول السلسلة إلى الطريق. تبعنا المجرى عبر التلال البازلتية الصعبة والتي شمخت إلى الأعلى من فوقنا وعلى الجانبين كأنها واد ضيق منحدر الجنبات ينساب في أدناه جدول. اتسع هذا الجدول فيما يلي مدخل رافد آخر يسمى نعو وبدأنا نشاهد نقوشاً ثمودية على الصخور تمثل العرض العادي لصور البشر مرتجلين أو ممتطين ولصور الأحصنة والجمال والكلاب ولتمثيل غير عادي، لكنه جذاب لرجل وذراعه ممتدان وأصابعه مفرودة (دون تناسق في النسب) ولعله قصد به أن يكون راقصاً. كان هنالك رسم للدلو العادي (وعاء الماء) مما يدل على وجود الماء، بالإضافة إلى نقوش حجرية أخرى باهتة، تبلغ في مجموعها (٣٧) نقوشاً موزعة على تسعة توقيعات من الصخور. كما وجدت صورة واضحة جداً لجمال باللون الأصفر الضارب للحمرة على مسافة قصيرة على إحدى الحجارة، أيضاً وجدت كتابات هامة أخرى مكونة من عشرة مجموعات (أو حروف كتابية) لشكل غير مألوف وملفت للانتباه، بينما حملت صخور أخرى نقوشاً كان عدد حروفها (١٧) حرفاً، يبدو أننا قد وصلنا إلى ما يمكن وصفه بأنه مصيف مرغوب للقدماء وسرعان ما وصلنا إلى ملتقى جار الطويلة مع شعيب عرقان^(٢).

(١) ظهران: يقصد بها ظهران الجنوب إحدى محافظات منطقة عسير الجنوبية. (ابن جريس).

(٢) عرقان: - ربما أطلق عليه أيضاً اسم (عرجان). (ابن جريس).

رأينا أن نعسكر هنا، تلك الليلة، ذلك لأنه يوجد وعلى بعد قليل من شعيب عرجان موقع الشرب يدعى دحنة عبارة عن ثقبين مائيين في الرمال من النوع الذي يسمى مشاش. إذ يوجد الماء عند عمق أربعة أقدام أسفل سطح الرمال ولذلك يسهل الحصول عليه. ينحدر هذا المجرى، فيما يبدو، من عند تلال ضحى التي كنا قد رأيناها من عند ممر المنقطع. وقد انحصر هذا المجرى في مضيق صخري فوق المتلقى.

يبدو أن الصخور هنا كانت مثالية بما حوته من النقوش القديمة، ولكن، باستثناء رسومات بدائية جداً لبعض الحيوانات وبعض الفرسان، فلم يكن هنالك ما يشير الاهتمام بينها عدا علامة واحدة دائرية وفي مركزها نقطة (ربما تعني بئراً أو موقع شرب) وبجوارها عمود بدائي كانت إحدى صفحاته تحمل (٢٨) نقطة متتابعة من أعلاه إلى أسفله. تشير هذه النقاط إلى المسافة بالخطوات إلى حيث موقع الماء (عادة تكون خطوات مزدوجة)، وقد وجدت أن موقع الشرب الأسفل كان على بعد (٢٩) خطوة من خطواتي من عند العمود. تفصل مسافة تقدر بـ (٢٠٠) ياردة بين البئرين وقد كانت البئر السفلى منهما -بالمناسبة- جافة في هذا الوقت علماً بأنه وبمجهود بسيط يمكن الوصول إلى مائها.

استمعت في هذا المكان عن طريق جهاز اللاسلكي إلى خبر انتخاب الرئيس الأمريكي روزفلت لدورة حكم ثانية واستمعت كذلك إلى إنذار الحكومة البريطانية إلى الحكومة العراقية الجديدة لاحترام بنود اتفاقية التعاون بينهما. لم يتوقع لنظام بكر صدقي أن يعيش طويلاً، وذلك لأن اغتيال جعفر قد هز الرأي العام ولم يتضح بعد إن كان الجيش يقف صفاً واحداً خلف الدكتاتور الجديد^(١). كما

(١) لمزيد من التفاصيل عن أوضاع العراق السياسية في منتصف القرن الهجري الماضي، وبخاصة في الفترة التي قام فيلبي بها في رحلته إلى جنوبي البلاد السعودية، انظر: صلاح العقاد. المشرق العربي المعاصر (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٩م) ص ١٩٠ - ١٩٧. (ابن جريس).

استمعت في التاسع والعشرين من أكتوبر للرجاء الذي أذاعه المندوب السامي لفلسطين بعدم مقاطعة اللجنة الملكية. وهكذا، حتى في العراء البري، يقدم الشكر لجهاز اللاسلكي، الذي يمكن المرء من أن يظل على اتصال مع الأخبار السائدة لهذا العالم العظيم.

كانت إذاعة القدس أسهل الإذاعات التي يمكن التقاطها، كما كانت إذاعة القاهرة جيدة، وقد كنت أستطيع الحصول على إذاعة لندن أيضاً. كانت أدنى درجة للحرارة أثناء الليل في سهل سعيد متدنية إلى حدود (٤, ٣٧) درجة وكانت (٤٣) فقط عند الساعة السابعة صباحاً، بينما هنا، في شعيب عرقان، كانت درجة الحرارة هي (٣٨) و (٣٩, ٥) درجة بالتتالي. يرتدي الكثير من أتباع قبيلة آل فاطمة مقاطف من صوف الأغنام، وقد رأيتهم يلتفون في الصباح حول النار، وهم واقفين وقد رفعوا أزرهم ليسمحوا للدفء أن يصل إلى أرجلهم وتفرعاتهم. لقد تمكنت من النوم بارتياح تحت بطانيتين وعباءة من فوق المعطف الكاكي ومنشفة الحمام فوقها كلها لأجل امتصاص الندى، وقد لففت كوفيتي حول رأسي للوقاية من الندى أيضاً.

أصابت ساعات الصباح الباردة رفاقي بالكسل إذ لم نبدأ بعمل شيء إلا عند الساعة التاسعة صباحاً. أعتقد أننا الآن على ارتفاع (٤٥٠٠) قدم فوق سطح البحر، أي أعلى قليلاً من نجران. تتكون مجموعتنا مني ومن محمد بن خليف أحد أتباع النشمي وهو الرئيس الإسمي للمجموعة، ومحمد بن هذيل، الذي يصفه الأمير على أنه طباخ عام، وفرج بن قرقرح مرشدي الرئيس والصيد الرئيس، وسعد بن عثمان، فني تصبير الطيور، ومعد أسرة النوم، وهو رجل يستخدم لأداء ضروب مختلفة من العمل. ومسفر وهو من أبناء آل فاطمة، وهو

مرشد ذو أهمية قليلة، وغريب من نفس الطبقة أيضاً ويعمل كمرشد، وأخيراً عدد ثمانية رجال -يعتبر خمسة منهم أكثر من الحاجة- وذلك للعناية بالجمال كان قد فرضهم عليّ جابر أبو ساق ليتمكنهم من اكتساب بعض المال لأنفسهم. وأخيراً وليس آخراً، فقد كان معنا (١١) جملاً، وكان الجمل الذي خصص لي وحشاً ذا خطوات ناعمة بدرجة مدهشة. بدأنا، على أية حال، رحلتنا. غطينا في اليوم الأول مسافة سبع ساعات ونصف الساعة بما في ذلك التوقف المتكرر وكان السير الفعلي أكثر من (٤,٥) أربع ساعات ونصف الساعة، أو ما يعادل (١٢) ميلاً. لم أكن في عجلة من أمري ويبدو أن كل شيء كان يسير على ما يرام.

تحركنا أسفل شعيب عرقان تجاه الشمال، مارين بمجموعة قبور كبيرة بدائية البناء وليست ببعيد من موقع معسكرنا. سرعان ما مررنا بمدخل شعيب مرع على يسارنا ووصلنا إلى الدلتا العريضة لشعيب شبرك الذي يقع أيضاً إلى اليسار، ينبع كلاهما من سلسلة تقع إلى الجنوب الغربي من موقعنا وهي ليست ببعيدة. يتباين عرض شعيب عرقان نفسه ما بين (٣٠٠) إلى (٥٠٠) ياردة، وتوجد على جانبه الأيمن جلاميد مرتفعة إلى (٨٠٠) أو (٩٠٠) قدم، غير أنها تنحدر إلى الخلف في لطف تجاه السلسلة على الجانب الآخر. لقد سرت راجلاً على قدمي حتى هذا الموقع، غير أنني الآن قد امتطيت جملي لمواصلة المسيرة، وقد غطيت فقط ميلين ونصف الميل حتى الآن. قابلتنا في الطريق امرأة ومعها ثلاثة أطفال صغار وجمل يحمل أغراضها المنزلية وهي في طريقها إلى أعلى، سرعان ما وصلنا إلى ما يفيد بوجود المياه ووجدنا بعض النقوش القصيرة (مكوّنة من ١٣ حرفاً) على الصخور إلى يسارنا. ضاق الوادي فجأة وأصبح عرضه (٥٠) ياردة بين جلاميد عمودية سوداء، ثم انبعج فجأة إلى مجرى عريض كثيف الأشجار. يوجد هنا بعض الرعاة

من قبيلة آل سليم (آل فاطمة) ومعهم ماعزهم الأسود اللون ذي اللحية البنية اللون على الخدين. كانوا يقودون قطعانهم في هذه الأنحاء للشرب من عند دحة وتوقفت تتابع العلامات الدالة على وجود ماء عن قرب إذ لا فائدة منها، إلا إذا قصد بها أن تكون علامات تقود إلى دحة.

مررنا بالعديد من علامات الماء هذه، كان أحدها مصحوباً بتسع نقاط وكان على آخر صفين كل منهما من ثماني نقاط (إجمالي ١٦ نقطة). لا بد أن تكون هذه قد أعدت أصلاً للإشارة إلى مياه قريبة، غير أن الوادي، الذي يجري الآن بين جلاميد عالية، بدا وكأنه قد جف. كانت توجد نقوش على هذه الصخور، ثلاثة منها ذات (٣٩) حرفاً في جملتها، كما مررنا بعلامة للمياه ذات ست أو سبع نقاط. كما كان هنالك رسم بدائي لجمل ومعه نقش من ثلاثة حروف.

دَخَلتُ إلى الوادي عدة شعبيات صغيرة، على مراحل، حتى وصلنا آخر الأمر إلى ملتقى ثلاثتها مع ثلاثة شعبيات أكبر منها هي، كلبة ونطاطة من اليسار واليمين بالتتالي، وأجضة من الأمام. كون اتحاد هذه المجاري سهلاً كبيراً حيث أشار مرشدي إلى بقايا معسكر نزل به الجيش السعودي عام ١٩٣٤م مكث فيه أياماً قليلة في طريقه إلى نجران سالكين طريقنا الذي جئنا به. كانت هنالك تلك العلامات العادية لنيران المعسكر وحجارة مرتبة في ثلاثيات لتجلس عليها قدور الطبخ، غير أن النموذج الأكثر وضوحاً كان المصلى. الذي حددت أضلاعه بالحجارة، مع موقع محراب القبلة كاملاً. كان بجوار هذا صخرة عليها نقوش صغيرة ومجموعة من الجمال. توقفنا هنا لتناول القهوة في ظلال الأجمات الوافرة لنبات المرخ والذي كانت أفرعه الشبيهة بالرم مملوءة بالأفات الزراعية، ونبات العبل (الأرطى) منقطة الفرجات العشبية بنبت الضاع.

يتجه شعيب عرقان الآن ناحية الشمال الشرقي وقد كان عرض الوادي نفسه حوالي نصف الميل. قابلتنا الكثير من الرسومات والنقوش خاصة ذلك الرسم الذي اشتمل على فارس رافعاً رمحاً فوق رأسه. اتصل شعيب سهي، بعد مسافة إلى أسفل، وهو شعيب ذو مجرى عريض وضحل، مع عرجان من عند سلسلة منخفضة تقع إلى يسارنا، وقد قمنا بمتابعة سهي، تاركين المجرى الآخر ليعبر بقية مساره تجاه الجنوب الشرقي إلى وادي حبونا، والذي يتصل بسلوى إلى الأسفل، ومررنا بمقبرة ثانية ويبدو لنا، بالمناسبة، أننا لم نعد سائرين على طريق الحج الذي يتجه من عند عقبة سيلة في اتجاه غربي إلى ظهران ليتصل هناك مع درب الفيل. تكون هذه المقابر الأخيرة، على هذا الأساس، مقابر البدو.

استطعنا من هنا رؤية مجرى حبونا، وهو ليس بالبعيد ويقع عند نهاية شعيب عرجان، غير أن طريقنا مضى بنا عبر رافد إلى ممر صعب منخفض يسمى نجد سهي، إلى السلسلة، والتي إلى ما ورائها، تتبعنا مسيلاً صغيراً يسمى شعيب مرزا لندخل وادي حبونا نفسه ويقع قليلاً قبل سلوى. كانت هنالك نقوش كثيرة ورسومات في مجرى وممر سيح، كما كانت توجد في مجرى سهي أيضاً مجموعة حلقات من حجارة، وأساس قاعدي لجدار، وهذا يوحي بموقع لمستوطنة قديمة غير أنها بلا شك صغيرة. مررنا بالقرب من هذه بكتلة دائرية ملساء جرانيتية، كأن كل منها قنبلة وكانت أبعادها (٩ X ١٢ X ١٨) بوصات. كانت عليها علامات يصعب فك كنهها، أو نقش، والغريب في الأمر، أن هذا الجسم كان معروفاً للبدو باسمه إذ كان اسمه مشك على (Mishak 'Alye)، ويعود أمره في الروايات المحلية إلى أبي زيد (من قبيلة بني هلال)، والذي يقال إنه كان دوماً يحمله معه أينما ذهب. ربما كان هذا الجسم صنماً قديماً، برغم أن شكله في

وضعه الحالي لا يبدو مثيراً للانتباه، كما كان ثقيلًا جداً وكبير الحجم مما جعل إضافته لمجموعتي أمراً صعباً، فتركته. لقد رأيت عدداً من هذه الكرات الجرانيتية في ممر نجد سهبي غير أن سرها ظل مجهولاً.

كان شعيب مرزا مجرد مسيل ينحدر من عند سلسلة سياح ويصب في وادي حبونا، الذي برزت لنا منه أشجار الطرفاء الكثيفة وأشجار الطلح وشجيرات نموذجية أخرى إلى جانب قصر ونخيل سلوى. دخلنا الوادي من خلال مجموعة من أشجار الأثل ووصلنا إلى المعسكر بالقرب من البئر الرئيس بعد ربع الساعة. كان سطح الوادي رملياً ومكسواً بغابات كثيفة من أشجار وشجيرات خفيضة. وقد عبرنا بطن سيل الوادي قبل أن نصل إلى البئر. وكان سيل الوادي حوالي (٢٠٠) ياردة. يقع القصر بالقرب من البئر وقد أنشئ على السطح الحصوي للجانب الأيسر لمجرى السيل على ارتفاع (٤١٠٠) قدم فوق سطح البحر. كان قطر فم البئر عشرة أقدام وكان صهريجها جيد التبطين بصخور جرانيتية حمراء إلى مستوى سطح الماء عند عمق (١٣) قامة. كانت طبقات القصر السفلى من بلوكات من جرانيت أحمر مع طبقات طينية لصفها مع بعضها البعض ويقف فوقها كلها جدار من الطين ارتفاعه (٢١) قدماً. كان القصر دائري الشكل إلا أنه مدمر جزئياً، وقد دمرته قوات الإخوان التابعة لابن قرملة^(١) (قحطانيين)، أثناء تقدمهم نحو نجران.

يبرز مخرج وادي حبونا من بين التلال، من هذا الموقع، على مسافة ثلاثة أميال ناحية الغرب. يعتبر وادي ثار سيلاً جبلياً مهماً وقد كان مخرجه من عند التلال واضحاً لنا على مسافة عدة أميال ناحية الشمال الغربي على خلفية من قمم

(١) ابن قرملة: - أحد مشائخ قحطان نجد المشاهير، وأسرته آل قرملة مشهورة ولها تاريخ مجيد. (ابن جريس).

مدهشة، ثم يشق طريقه عبر السهل الحصوي شمال حبونا، ليتصل معه على بعد ميل واحد مع اتجاه النهر من سلوى في طريقه شرقاً تجاه الحصينية على الجانب القريب من الفجوة التي عن طريقها ينساب الوادي إلى الخارج عبر مضيق للحاجز التلي على الجانبين الذي يرى على مسافة ثلاثة أو أربعة أميال إلى أسفل.

تفصل كتلة تلال مع سلسلة نبعة إلى البعيد تجاه السهل، بين هذين الوادين، ويجري شعبيها إلى قاعدة حبونا في جبل ديمة. يقع القصر، وهو البناء الثابت الوحيد في سلوى، قريباً من البئر ويطل عليها، بينما تقع على جانب منها مقبرة صغيرة، لم يكن هنالك بدو حول هذه البئر في هذا الوقت غير أننا لمحنا كلباً ضالاً. كانت أنثى سلوقية جميلة تحمل وسم قبيلة آل العرجاء^(١)، من قبيلة آل رزق^(٢). قررنا أن نضيفها إلى فريقنا وأطلقت عليها اسم سلوى. كانت شديدة العطش حين وصولها إلينا فقد كانت تعلق بقناعة رطوبة الطين المتعفن الأسود المتجمع حول فم البئر. قدمنا إليها لحم ماعز نبيء، وقد كنا اشترينا هذا الماعز أثناء النهار في شعيب عرقان لأجل وجبة العشاء، ولكنها برغم جوعها، فقد فضلت الانتظار برفضها اللحم النبيء هذا، إلى حين تقديمنا لها لحمًا مطبوخاً والذي التهمته في الوقت المناسب بشراهة. تدرب هذه الكلاب بعنف على ألاّ تمس لحم الأرانب والطرائد الأخرى التي تقوم باصطيادها لأسيادها.

(١) كل قبيلة من قبائل الجزيرة العربية، وبخاصة التي تملك الإبل وتربيتها، كان لها وسم خاص بها يوضع على الإبل التي تخصها، للمزيد انظر: هندي بن حمود الحيسوني. وسوم الإبل عند قبيلة حرب (الرياض: دار البدراني للنشر والتوزيع، ١٤٢٣هـ) ص ٢٣ وما بعدها. (ابن جريس).

(٢) آل العرجاء يعودون إلى بطن آل فاطمة الذي كبيرهم جابر أبو ساق، وآل رزق يعودون للمواجد الذي كبيرهم ابن نصيب، انظر: فؤاد حمزة، المرجع السابق، ص ١٧٧ - ١٧٨. (ابن جريس).

ظهر سرب من طيور القطا فوق البئر وبعد نصف ساعة من بعد غروب الشمس غير أننا كنا قد سبقناه إلى هناك، إلا أن طيور القطا كانت ملحاحة، إذ ظلت محلقة في دوائر أو هابطة قريباً منا أو تحاول القرب منا ماشية على أرجلها، حتى أصبت واحدة منها بالرصاص فطارت كلها بلا عودة، وقد كنا خذلناها في شربتها المسائية. عادت طيور القطا صباح اليوم التالي قبل شروق الشمس بنصف ساعة، بينما أقبل نوع منقط منها وبأعداد كبيرة، وقد ارتفعت الشمس فوق الأفق وأصبح الجو دافئاً. سجل مقياس الحرارة نصف درجة مئوية تحت الصفر أثناء الليل وكان ذلك أول تجربتنا مع الصقيع، وكانت درجة الحرارة في الظل عند الساعة السابعة صباحاً حوالي (٣٨) درجة فقط. كان الصباح بارداً وقد تجمع زملائي حول النار. وقمت برصد درجة الحرارة عند الساعة الثامنة صباحاً تحت وهج الشمس مباشرة وبلغت (٧٧) درجة فقط. تناولنا عشاءً ممتازاً في المساء من لحم الماعز مع عصيدة الجرش - المصنوعة من القمح - لهضمه وسرني أن أرى رفاقي اليايين وهم يأكلون بنهم كأنهم لم يروا لحماً من قبل لعدة أسابيع.

أصاب الضلع أحد جمالنا، للأسف، أثناء النهار وكان علينا إرجاعه وانخفض بذلك عدد الجمال إلى عشرة.

أخبرني محمد النشمي وآخرون أن وادي ثار يستحق الزيارة لكثرة ما به من نقوش ورسوم على الصخور، وعليه فقد تقرر القيام بزيارة لهذه المنطقة قبل التوجه إلى واحات حبونا. لقد قمت باختيار وتحديد مضيق بارز يقع ناحية النهاية الغربية لسلسلة فحقة فيما يلي وادي ثار لعلي أطل من عنده على منظر جيد، ولما كان الطقس بارداً ولطيفاً عند الساعة التاسعة صباحاً، فقد رأيت أن أسير على قدمي إلى هناك عبر السهل الحصوي العاري العريض الذي يحيط به واديان. وصلت بعد

مسافة أربعة أميال إلى الجانب الأيمن لوادي ثار، وقد كنت أسير في خط مستقيم ما استطعت وأقيس المسافة بالخطوات، وقد هبطت بشمانية أقدام داخل المجرى الرملي. كان هنالك ثلاثة مجارٍ من هذه الشاكلة، ويبعد التل الذي أقصده مسافة الميل الواحد فيما وراء آخر هذه المجاري الثلاثة، وتبلغ المسافة الإجمالية من المعسكر في سلوى حوالي خمسة أميال.

كان السهل الحصوي مكسوياً بأشجار الطلح، وكانت مجاري الأودية مغطاة بغطاء بزخم من الغطاء النباتي، منها: أشجار الطلح المتناثرة وشجيرات الخروع والكثير من الحرمل والمرخ وحشائش الضعة الخشنة. كانت هنالك أربع مجموعات من النقوش والرسوم على الصخور عند قاعدة المضيق، وليست ذات أهمية تذكر، إلا من صورة لرجل يحمل في إحدى يديه قرصاً ربما قصد به آلة الرق (دف صغير) أو سنج كانت هنالك صورة لأرنب بري وأخرى لكلب، وخربشة ما.

يقود نتوء جبلي صغير حاد إلى قمة المضيق الذي من عنده تمتد سلسلة فحقة مسافة ميلين في اتجاه الجنوب الشرقي بينما تضم من جهة الغرب سهلاً صغيراً كثيف الشجيرات تحده من جهة الشمال سلسلة الحبشية. ويكون مجرى ثار متعارضاً عند قاعدة هذا المثلث. كانت هنالك تلال جبلية تقع بعيداً إلى الخلف وهي من جرانيت يعلوه حجر رملي قد تأكل وتمزق إلى أشكال غريبة مكوناً قمماً منها قمة الحرشف وقمة قثمة، والسلسلة الصخرية الرملية العالية المسماة قهرة العبل، خلف قثمة، وحييجان وغيرها. توجد قمة عالية من جرانيت محطم على النتوء الحاد لفحقة عند منتصف المسافة إلى أعلى، والتي تبدو وكأنها على وشك السقوط في أية لحظة، كما كانت هنالك هضبات منخفضة عند قاعدة المضيق من حجارة خشنة، والتي ربما كانت قبوراً أو أطلالاً لمساكن صغيرة، وبعض الحلقات

المحددة بالحجارة، ولعل هذه تكون موقع معسكر لبدو. حلقت فوقنا بتكاسل ثلاثة من الصقور المصرية وغراب عندما كنا نتأمل المنظر العام بإعجاب.

امتطينا الجمال وقد حان وقت مواصلة المسيرة صاعدين وادي ثار، الذي كان عرضه في موقع خروجه من عند التلال نصف الميل بين سلاسل صخرية، وكان وادياً كثيف الأشجار. ساعد كل من شعيب رح من جهة اليسار، وشعيب صناخة من جهة اليمن على تكوين وادٍ دائري واسع يقع بين التلال. يضيق وادي ثار فيما يلي هذا السهل إلى عرض ٥٠٠ ياردة بين سلسلة قثمة إلى اليسار وسلسلة حبيجان على الجانب الآخر، توجهنا سريعاً بعد ذلك ناحية الشمال الغربي نحو مضيق مهيب محاط من الجانبين بجلاميد عالية من جرانيت وبازلت. توقفنا هنا عند منظر غريب لقط بري، ربما ظن القط أننا لم نره، فاختبأ بدلاً من أن يهرب. وسرعان ما قفز فرج من فوق ظهر جملة ليطارده وقد تمكن من إصابة الحيوان المتوحش الذي حاول يائساً التسلق المتكرر فوق الجلمود الشديد الانحدار غير أنه سقط وقد انكسر نخاعه الشوكي. يوجد الكثير من القطط البرية تسمى «اتفع»^(١) في المرتفعات الصحراوية هذه غير أنه يصعب جداً العثور عليها ولقد سعدت تماماً بحصولي على هذه الجائزة الثمينة. كان القط البري في حجم القط المستأنس الكبير وكان شرساً جداً أثناء ما كنا نحاول وضع حد لآلامه.

وصلنا إلى وادي عريض - لا يزال هو وادي ثار - عند النهاية البعيدة لهذا المضيق والتي يبلغ طوله أقل من نصف الميل، ويوجد بئر يقع قريباً من الجانب الأقرب ويسمى عرق^(٢). كانت هنالك مجموعة من البدو معسكرين في جواره

(١) يوجد الكثير من القطط البرية في منطقة نجران وما حولها تسمى «اتفع». (ابن جريس).

(٢) يوجد مواقع عديدة في منطقة نجران باسم - (عرق كذا...) أو (عروق كذا...). (ابن جريس).

وكان بعض أطفالهم ونسائهم عند البئر يسحبون الماء من البئر التي لم تكن مبطنة والتي يصل عمق صهريجها إلى أربع قامات وهو مدفون في أرض الوادي الحصوية. كان هؤلاء البدو من فخذ آل مخلص من قبيلة آل فاطمة^(١). تركز اهتمامي بهذا الموقع في مجموعة نقوشه الرائعة المسجلة على الصخور السوداء عند النهاية الشمالية للمضيق، وكان رفاقي في هذه الأثناء سعيدين جداً بتناول القهوة والمنعشات الأخرى بينما صرفت ساعتين أنقل نقوش القدماء إلى دفتر مذكراتي. كانت هنالك رسومات قليلة من النوع المألوف، وكانت أيضاً علامات الآبار التي لا مفر منها، غير أن معظم المادة التي تحصلت عليها كانت تتكون من نقوش ثمودية. لقد كان لبئر عرق، بلا شك، موقعاً مهماً في اقتصاد العرب القدماء. كوَّنت الجلاميد العالية لوادي حرشف وفروعه، على الجانب البعيد والتي يبلغ سمكها حوالي (٥٠٠) قدم وهي مكوَّنة من حجارة رملية تعلو طبقة الجرانيت - جداراً رائعاً من الصخور معترضاً الجهة الشمالية بينما أمكننا رؤية شعيب صناخة وهو يبرز خارجاً ماراً بحافة الوادي الشرقي.

يجري وادي ثار من عند هذا الموقع غرباً، كان الوقت الثالثة مساءً حينما واصلنا المسيرة إلى أعلى واديه كثيف الأشجار بين حواجز من سلاسل جرانيتية كانت قد سقطت إلى الأمام من عند التلال العالية وعلى الجانبين. يتباين عرض الوادي، بصفة عامة، من (٣٠٠) إلى (٥٠٠) ياردة، ومررنا فيه على فترات برسومات أكثر، وفي إحدى المرات كانت هنالك صور للأبقار، والضأن عريض

(١) بدو آل مخلص فرع من الوعلة وجميعهم من آل فاطمة الذين شيخهم أبو ساق. (ابن جريس).

الذليل، والجمال. كان كل هذا قد شوهد بجوار موقع لمعسكر قديم، تدل عليه حلقات الحجارة إلى جانب وجود بعض المقابر وبعض أكوام من الحجارة. وصلنا إلى بئر أخرى تبعد مسافة ميلين ونصف الميل من عرق، يسمى جعلة، ويوجد الماء فيها عند عمق ثلاث قامات في صهريج غير مبطن ولكنه مدعم حول الفم بجذوع الأشجار والأغصان المقطوعة وقطع قليلة من الصخور. كانت غابة الطلح كثيفة أثناء هبوطنا عبرها، ونظراً لأنه لم يكن هنالك درب مطروق، فقد كان علينا أن نشق طريقنا بحذر من خلالها بكل ما أمكننا من يقظة لنصل إلى بئر أخرى في الوادي المتسع الذي تكوّن بالتقاء ثلاثة مساليل نابعة كلها من عند التلال الجرانيتية ذات الجلاميد التي كان ظلها ساقطاً على البئر الآن. كان موقع بئر خرمة بالفعل في قلب المجرى الحصوي لأحد هذه المساليل الثلاث، واسمه شعيب حقب على ارتفاع (٤٤٠٠) قدم فوق سطح البحر. مررنا ونحن نشق طريقنا عبر الوادي الكثيف الشجر، بطفلتين صغيرتين جداً، ويبدو أنهما تشرفان على قطع من الماعز. ظننت أن هؤلاء الناس لا يرعون الضأن - وقد قامتا بإبعاده عن الطريق إفساحاً لنا مع صرخات: «الريية» حضرت امرأتان إلى البئر في الصباح ومعهما حماران لسحب المياه لذويهما المعسكرين في الوادي.

تسد البئر الأخيرة أعلى خرمة بسلسلة جرانيتية تسمى شعبة والتي تقوم قاعدتها بدفع وادي ثار ليجري ناحية شمال الشمال الغربي مسافة ميلين ثم إلى ناحية الشمال الشرقي مسافة قصيرة، وبعدها يواصل انسيابه غرباً على الجانب البعيد (الشمالى) من شعبة.

لقد وصلنا إلى البرك الصخرية لمريفك، عند منحني الوادي من ناحية الشرق، وكانت البرك ممتلئة بمياه السيول وقد غطاها طحلب أخضر. كانت حواف

المجرى مكسوة بنبات الخلفاء، بينما احتلت مستعمرة كبيرة من حيوان الوبر بعض الصخور الجرانيتية الكئيبة التي تشاهد على يميننا. كنت راجلاً معظم الطريق أعلى الوادي، ذلك لأن السفر عليها من على ظهور الجمال كان صعباً جداً، كما أن كل محاولاتي لمطاردة الوبر باءت بالفشل، ذلك لأنه وفي اللحظة الحرجة التي كنت أهيئ نفسي للتصويب، انطلق الرصاص عن طريق الخطأ من فوهة بندقيتي مقاس (٤١٠، ٠)، فهربت الوحوش الصغيرة إلى جحورها ولم تظهر ثانية طالما كنا لا نزال موجودين هناك. وصلنا إلى جدول من مياه جارية، على مسافة (١٠٠) ياردة أعلى هذه البرك الصخرية، كان عرضه (٢٠) قدماً وكان طوله (٣٠٠) ياردة، إلى حيث ينبع من بطن السيل الجاف، الذي أصبح الآن أكثر عظمة وهو يضيق بين الصخور شديدة الإنحدار في المرتفعات الجبلية. يتسع الوادي بعد ذلك مرة أخرى في أرض طموية ذات صخور متساقطة، توجد فيها مقبرة أخرى كبيرة مكونة من قبور بدائية البناء والتي من عندها يسلك الطريق جانباً مختصراً لتحاشي انحناءة المجرى الذي كنا نسير فيه حتى الآن.

وجدنا لوحاً من صخور الشست موضوعاً فوق أحد القبور، عند النهاية أعلى الوادي للمقبرة، يحمل اللوح نقشاً من (١٥) حرفاً ثمودياً، كما وجدنا لوحاً آخر مشابهاً، ولعله شاهد لقبر، ويحمل صورة رجل يسك بعصاة متشعبة، ورسماً ثالثاً يوضح المارية تقفز من فوق رجل تبدو عليه الدهشة وقد رفع يديه إلى أعلى تجاه جسم مجهول الهوية يبدو أنه يقع أمامه.

وجدت إلى جانب هذه الصخرة سبعة ألواح أخرى من الصخرة نفسها وعليها رسوم دقيقة لبعض بني البشر وهم في أوضاع حركية تدل على النشاط، معظمهم

يحمل خناجر في وضعها الأفقي المثالي عند الخصر، كما كان هنالك أيضاً، نقش أو نقشان. كان شكل معظم القبور على هيئة بيضاوية، ويصل طول القبر إلى عشرة أقدام وعرضه إلى ثلاثة أقدام وارتفاعه حوالي (٣٠) بوصة وقد وضعت ألواح كبيرة مسطحة على محيطه وملئ الجزء الداخلي بحجارة صغيرة بالدبش. لا يوجد غطاء بالحجارة الصغيرة والدبش داخل الشكل البيضاوي في بعض القبور، ويمكن القول بأنه في كل الحالات فإن الجثمان قد تم دفنه تحت مستوى السطح. كانت الألواح المصورة ملساء مخضرة اللون، وتشبه الوردواز، أما البناء الخشن الملحق فقد كان من جرانيت أو بازلت. أعتقد أنه يوجد في المقبرة حوالي (١٠٠-١٥٠) قبراً. وأنها ربما كانت موقعاً لمعركة قبلية قديمة، ولا يزال العرب يطلقون عليها اسم مجنة كما يصعب الابتعاد من الاستنتاج بأن تاريخ هذه المقبرة يعود إلى الوراء كثيراً، بعيداً عن أزماننا الحالية، وإثبات هذا يتأتى عن طريق النقوش والرسوم التي حسمت هذا الأمر بما فيه الكفاية.

كان هنالك الكثير من الكوارتز الأبيض المبعثر بين هذه القبور والذي قام البدو المعاصرون بنقله لعمل الأعمدة، التي يصل ارتفاعها إلى قدم واحد ولا يزيد تركيبها عن ثلاث بلكات منفصلة ربما كان هذا، كما هي العادة في هذه الأنحاء من البلاد، ضرباً من الاحتفال بمقتل بعض الأعداء. لا يمكن أن تكون هذه العلامات البيضاء هي أعمدة الإشارة إلى الطريق، وذلك لأنه توجد فرصة ضيقة جداً أن يتشكك المرء في وجود الطريق.

وصلنا فوق هذه النقطة إلى شعيب آخر جارٍ، ويكسوه الطحلب، ويقع بين جلمودين عاليين من الشست. كان موقعاً جذاباً ولما كانت جمالنا المحملة بالعفش لم تصل إلى هنا بعد، فقد قررت ومعني فرج أن نتباطأ هنا بحثاً عن الطيور.

بادرتني بالحديث، أثناء تجوالي، شابتان جميلتان جداً، كانت إحداهما مميزة تماماً في هذا المضمار وتحمل رضيعاً على كتفها، وبدتا كأنهما تعرفاني تماماً، فقد سألتني إحداهما بمكر إذا كنت قد قدمت لأصير أميراً لنجران مكان الشمسي! أخبرتاني أنهما بحكم العادة يقومان بإحضار قطع ماعزهما يومياً للشرب من هذا الموقع، إلا أنهما قد أقبلتا من معسكرين مختلفين، يقع أحد المعسكرين باتجاه أعلى الوادي، وكان الآخر بعيداً إلى أسفل.

شمخت صخور الشست على جانبي طبقتها العمودية، غير أن صخور الجانب الأيمن كانت ناعمة وصلدة، بينما بدت تلك التي على الجانب الآخر طرية وهشة -ربما يعزى هذا لتأثير الرياح السائدة- تتبعنا انحناءات المجرى عندما واصلنا المسيرة في اتجاه غربي بصفة عامة إلى حيث انبعاج عريض حيث أقبل مسيلان صغيران من كلا الجانبين ليكونا جزيرة ثرية بالغطاء النباتي الذي يسوده نبات واحد فقط يسمى ضند. يشق الوادي طريقه بين جلاميد جرانيتية ترتفع إلى (٤٠٠) أو (٥٠٠) قدم إلى أن يصل إلى رأسه في مساحة واسعة مكشوفة مكونة من التقاء العديد من المساليل لتكون وادي ثار. كانت هذه المساليل، من اليسار إلى اليمين منتظمة في شبه دائرة هي: السليمة، وعيان، والحزمة، وملحق، وريح، وكتنة، وكلها تنبع من شقوق في الهضبة العالية من فوقنا والتي تمتد إلى الخلف ناحية الغرب إلى السلسلة العالية التي تقع على جانب تهامة. لم نعد بالطبع نر شيئاً عن الهضبة من عند هذا الموقع عدا الأطراف المكسرة المكونة لرؤوس هذه المساليل على مسافة ميل واحد تقريباً إلى الخلف. كان ارتفاع وادي ثار في هذه الأرض المنكشفة حوالي (٤٨٥٠) قدماً فوق سطح البحر، وترتفع حافة الهضبة بما يزيد على ذلك بـ (٤٠٠) أو (٥٠٠) قدم.

عبرنا هذا الملتقى للمسائل وكذلك مسيل الحزمة، حيث سنعسكر لقضاء الليلة عند حافة الوادي، في بقعة جميلة ذات صخور شديدة الانحدار وكثافة من نبات الخلفاء وغطاء نباتي آخر ومياه جارية، نظيفة في وادٍ لا يزيد عرضه عن (١٠٠) ياردة. يضيق هذا المسيل على مسافة نصف الميل أعلى معسكرنا عند الأخدود به العديد من البرك العميقة التي يغذيها الوادي الجاري، وتنمو حولها بكثافة نباتات الخلفاء والرین والطرف. يضيق المسيل إلى أعلى ويتلوى ويلتف حول حافة الهضبة المرتفعة وحتى مجمع الماء الذي يقع من خلفها، وليس بالبعيد منها، ومن عنده يجري شعيب قيرى، بناءً على قول مسفر، الذي يجري بدوره إلى ناحية شعيب الخانق ومنه إلى الحرجة ومن ثم إلى المرتفعات العليا لوادي تثلث. كانت البرك مملوءة بالصفادع وكائنات أخرى، وكانت دافئة بدرجة مدهشة في هذا الوادي المطوق بالصخور. حيث كانت درجة الحرارة الدنيا خلال الليل (٤٥) درجة فهرنهايت. يتحاشى البدو قضاء الليالي بجوار هذه البرك خوفاً من الحمى - يقولون عنها إنها تحم- أي أنها تسبب الحمى.

استغرق ارتفاع قرص الشمس صباح اليوم التالي (الثامن من نوفمبر) زمناً لتظهر من فوق رؤوس الجلاميد، التي اكتسبت لوناً وردياً، لتظل على بطن الوادي. تحركنا قبل الساعة التاسعة صباحاً، مرتجلين ومتجهين ناحية فم مسيل سليمة وقد توجهنا إليه عبر طريقنا الداني الذي سلكناه بالأمس. يوجد في العديد من هذه المسائل ترسب للملح في التربة الصخرية التحت سطحية وحيث يقوم البدو بكشطه لاستعمالهم الخاص. يوجد هنا إثباتات واسعة، تدل على عملية تنجم بسيطة.

عبرنا مضيقاً منخفضاً من عند رأس هذا المسيل إلى شعيب مروة، وهو رافد آخر لثار، ويتحرك تدريجياً بعيداً عنه ليدخل أرضاً ذات تلال، والتي هبطنا منها

قليلاً لنعبر شعيب يسن - وهو رافد آخر لثار- لندخل في بهو مكون من مسيل مشد وسط مجموعة من تلال غير منتظمة من الشست. وصلنا عند قمة هذا الطريق إلى ممر عقبة مشد، التي ترتفع حوالي (٥٠٠٠) قدم فوق سطح البحر وكانت صخوره تلمع بالنقوش الثمودية القصيرة والتي نسخت منها ما لا يقل عن (٤٢) نقشاً كان من بينها رسماً جيداً لثور وقرناه ممتدان إلى الأمام ورمز الرسم الثاني إلى ثعبان وفيما عدا جانب مخططات يصعب تفسيرها، فإن بقية الأشياء كانت نقوشاً واضحة وكلها قصيرة.

انطلقنا إلى الأمام من عند هذا الموقع، فوق أرض مرتفعة تقع منفرجة في وادي حبونا على الجانب القريب، كان أبرز سماتها الكتلة الرملية الذي يطلق عليه اسم ملحه وهو يصعد على فترات ليكون دسة من النقاط إلى ما يلي وادي شعيب سليم الذي ينساب عبر سلسلة جرانيتية مكسرة تقع أسفل ممر مشد. يمكن رؤية واحدة أو اثنتين من هذه النقاط العالية لهذه التلال الواقعة إلى ما وراء حبونا، غير أن المنظر العام لم يكن مثيراً للانتباه.

دخلنا مضيق شعيب ملحة، بعد أن عبرنا شعيب سليم ومضيق آخر إلى مسيل يسمى أئم، ويبلغ عرض شعيب ملحة ٥٠ ياردة ويتكون مجراه من الحصى وتوجد على جانبه الأيمن جلاميد شديدة الانحدار، وترتبط التلال المنخفضة على الجانب الآخر مع سد وشست والذي يفيض الماء من فوقه أبان موسم السيول. يتحد أئم وسليم بعد فترة، وقد كنا قد عبرناهما، مع ملحة عبر مضيق صخري كانت جدرانه ملونة بالكوارتز القرمزي الناعم والكوارتز الوردى. شاهدت رسماً لرجل يبدو وكأنه يقف فوق ثعبان متلو، وخطر بذهني أن هذه الرموز التي تتكرر فيها الثعابين قد تفيد وجود مياه جارية. ارتفعت جدران الجلاميد إلى علو

(١٥٠٠) قدم على الأقل وبها العديد من الأخاديد التي تهبط من عندها إلى مجرى ملحّة، والذي كان، على أي حال، جافاً حتى وصلنا إلى الموقع الذي اتحد فيه شعيب حلقوم، الذي ينساب من التلال التي تقع أمامنا، مع شعيب ملحّة، ثم يدور المجرى المتحد فجأة ناحية الشرق، شاقاً طريقه عبر الجدار الجبلي الأسود إلى حيث يقع عمر ضيق. يبدو أنه يجري نحو مسيل حقف ويتصل مع وادي ثار فيما يلي بئر خرمة.

كان هنالك الكثير من حشائش الحلفاء في هذا الموقع عند رأس المضيق ويمكن الحصول على المياه السطحية بسهولة من عند ثميلة^(١) التي يرتادها الرعاة المحليون لأنه يقال أن مياهها ممتازة. تعرف الثميلة بأنها ثقب مائي يجب أن يكشف الرمل عنه للوصول إلى الماء، الذي ينساب على مدار العام على شكل نهر تحت الأرض، والذي لا تبدو منه علامة سطحية تدل عليه غير الغطاء النباتي، حتى يصل إلى حلقوم، حيث كانت بعض قطعان الماعز تشرب من عند جدول ضحل عليه نبات القصب. تشرف على قطعان الماعز فتاة جميلة ذات عيون حلوة لامعة، ومعها طفل عار. اتسع الوادي في اتجاه أعلى الوادي بين أجمات كثيفة لنبات الطرفاء، الذي يقولون عنه إن جمالهم ترعاه إن لم تجد غيره في المرعى. يتسع الوادي الآن إلى حوض حصوي منخفض كثيراً وعلى جانبيه جلاميد أقل انحداراً وذلك أثناء ما كنا نشق طريقنا تجاه القمة، مارين بثميلة ثانية، تقع عند منبع مسيل ضحل. يتصل في هذا الموقع شعيب حلقوم الذي ينحدر من عند سلسلة تسمى الخربان على الجنوب الغربي، مع مجرى ضحل يسمى أخلة ينحدر من جهة الجنوب

(١) ثميلة: - هناك من ينطقها (ثميلة) وقد تنطق أيضاً (ثميلة)، وكلا النطقين مقبول. (ابن جريس).

الشرقي. وهو مسيل بلا سمات مميزة له، إلا أنه حجري، وذو غطاء نباتي شحيح وقد تتبعناه إلى قمة الممر المرتفع.

واجهتنا عند القمة سلسلة ملحّة وشققنا طريقنا عبر متاهة من مجاري الصرف الضحلة على كلا جانبي ملحّة حتى وصلنا إلى موقع عند طرفها الشرقي يرتفع حوالي (٥٥٠٠) قدم فوق سطح البحر. كانت الصخور هنا، معظمها من حجر رملي، علماً بأن الجرانيت لا يزال يتكرر ظهوره فوق السطح، وكلها ممتلئة بالنقش والرسم من بينها رسم مؤكد لشعبان، ورسم مجموعة من الأشياء كأنها خنافس. هبطنا الآن إلى الوادي اللطيف المعشب وهو شعيب عرفطة الذي ينحدر من النهاية الغربية لسلسلة ملحّة ويميل تدريجياً عبرها، ليرتقي مرة أخرى ناحية القمة، لسلسلة تسمى عقبة قفلة، والذي كانت صخوره الرملية مغطاة بكثافة بالنقوش الشمودية.

أسرعت بقدر استطاعتي في نسخ ما أمكن من نقوش حيث أن الوقت قد تجاوز فترة العصر ويتجه نحو الغروب، وقد تمكنت من نسخ (٢٠) نقشاً واضحاً، كان العديد من الرسوم والنقوش متآكلاً بفعل عوامل الطقس، وقد تم نحتها بروعة على صخر رملي بلون الطوب الأحمر أو باللون الوردي. أطلنا النظر من عند الممر إلى سلسلة رهيبة وجبال منتشرة أمامنا صفوفاً متتابعة الواحد تلو الآخر، كل منها كان أعلى من الذي يقع أمامه.

أسرعنا هابطين أسفل الطريق الضيق الشديد الانحدار - وقد أكملت ما كنت أقوم به من عمل - الذي يقود من عند الممر إلى شعيب قفلة الذي يشاهد من أسفلنا على ارتفاع (٤٠٠) قدم. ثم تتبعنا قفلة متجهين ناحية الجنوب الغربي،

زاحفين بين جلاميد بطنة المنتشرة، وكنا نجد السير للوصول إلى المعسكر قبل حلول الظلام. وصلنا إلى المعسكر مباشرة بعد غروب الشمس. يهبط الجزء الأسفل من مسيل قفلة، قبل وصوله إلى البطن العريض لوادي تريمة، إلى ممر ضيق كثير الرفوف. ويتوقع أن يكون منظر المياه الساقطة فوق هذه الأرفف خلال موسم السيول، بلا شك، مدهشاً ورائعاً، أدركنا جمالنا التي تحمل العفش في هذا الموقع الأسفل والصعب من قفلة، وكانت جمالنا هذه قد سارت طيلة النهار تسع ساعات دون توقف، تعادل ما لا يزيد عن (٢٠) ميلاً في بلاد صعبة قد عبرناها.

سعدنا جداً أن نعود إلى الراحة مرة أخرى على أمل مسيرة قصيرة إلى جبونا في الغد. كان عرض وادي تريمة الذي يدخل إلى هذا الموقع من ناحية الغرب ثم يدور هنا إلى ناحية الجنوب الشرقي، حوالي (٣٠٠) ياردة وبه الكثير من نبات الطرفاء وغطاء نباتي آخر على بطن حصوية يتلوى خلاله مجرى سيل ضيق رملي، من جانب إلى آخر. يشتهر المكان بكثرة الثعابين، غير أننا لم نر أيّاً منها خلال إقامتنا. يقع في أعلى معسكرنا ثقب (فضية) المائي في وسط مجموعة من شجيرات الطرفاء، ولم نشاهد كائنات حية كثيرة هنا غير البراغيث التي خلفها قطع الماعز الزائر والبدو. يقال إن هذا الثقب المائي لا يمكن الاعتماد عليه وذلك لأنه يستمد ماءه من السيول في أي سنة حدثت، ولكن يوجد هناك أعلى الوادي، نهر تحت أرضي، يقع رأس تريمة على الهضبة الرئيسة شمال أو شمال شرق بدر، وينساب في النهاية السفلى إلى وادي جبونا نفسه، قريباً من الواحة الرئيسة. كان هنالك القليل من العلامات الدالة على وجود الماء والتي يشار إليها بالنقاط المألوفة، على الصخور بالقرب من الثقب المائي، كما كانت توجد نقوش ولكن لا يوجد بينها ما هو مهم فيعطلنا هنا بعض الوقت، وقد شارفت الساعة على الثامنة صباحاً، وأشرقت الشمس بشعاعها لتدفئ الوادي الذي قد أبردته الليل.

هبطت درجة الحرارة إلى (٣٦) درجة أثناء الليل، وحتى في الشمس عند الساعة (٨,٥) صباحاً كانت (٧٠) درجة. تحركت جمال الحمولة سريعاً بعد الساعة التاسعة صباحاً بينما تراخيت أنا لنسخ بعض النقوش وللبحث عن الطيور ولكن بلا جدوى. لم نر كائناً حياً، غير أنه كانت هنالك كمية من الحشرات حول مصباحي أثناء الليل. قارب الوقت الساعة العاشرة صباحاً عندما بدأنا بالفعل التحرك، ممتطين دوابنا إلى أسفل الوادي مارين بفضية أخرى جافة، وبفم لرافد قادم. انبعج المجرى على مسافة ميلين إلى فرجة واسعة بين التلال، وكان ملتصقاً بعدها إلى قاعدة السلسلة الشرقية، بينما ابتعدنا نحن عنه جنوباً فوق السهل العريض. وصلنا عند طرفه البعيد إلى سلسلة مقاطعة له منخفضة، عبرها الطريق من فوق ممر ضيق، حيث جلست لأفحص عتبة جبونا قبل دخوله وقد كنت أول رجل أوروبي يفعل ذلك.

يمتد أمامي وإلى أسفل شعيب الحبابة الذي يندفع من عند الهضبة المرتفعة، على مسافة ميلين ناحية الجنوب الغربي ويتصل مع وادي جبونا على البعد نفسه ناحية الجنوب الشرقي. يتصل شعيب حبابة مع شعيب الفيض على يميننا، في منتصف المسافة، أثناء خروجه من بين التلال. يلتقي جهة الجنوب أكثر شعيب نبع، الذي ورد ذكره، مع وادي جبونا، الذي اتصل به على الجانب القريب وادي تريمة الذي يشق طريقه عبر التلال وقد غطاه صخر حجري بني اللون ويسمى أم خرق، والذي أعطى هذا الاسم إلى الممر الذي جلسنا فيه عقبه أم خرق.

شمخت من حول كل هذه الأودية التلال العظيمة: بني جنفور، وعنب، وعان النعامة، ومن خلفها كتلة الضحى العالية وسلسلة ملحہ خلفنا ناحية الشمال

الغربي . لم نر واحة حبونا لوجود سلسلة معارضة غير أننا وصلنا إلى طريق وادي ثار، وقد رأينا بلاداً جميلة ولقد تمكنت من أن أملاً صفحات مفكرتي بالنقوش والرسوم التي تركها العرب القدماء الذين عاشوا في هذه الأودية، التي ربما كانت أكثر ازدهاراً في زمانها القديم مما هي عليه الآن وإلى تاريخ ضارب في القدم.



الفصل الثامن عشر

وادي حبونا^(١)

هبطنا سائرين على الأقدام من عند الممر إلى حيث تنتظرنا الجمال عند رأس شعيب شكمان، الذي تتبعناه إلى مسافة قبل أن نضرب عبر دلتا الحبابة متجهين إلى صخرة منعزلة على جانبه الأيسر تكسوها نقوش لا حصر لها ورسوم، والتي توقفت فترة لنسخها، بينما واصل فرج ومعظم الباقيين المسيرة لكي يكونوا في استقبالنا عند الوصول. رأينا أثناء ذلك ثعلباً كبيراً وهو يدقق النظر إلينا من فوهة كهف في التل.

انكشفت أمامنا الآن واحة حبونا على هيئة كتلة كثيفة من أشجار النخيل بامتداد متوسط إلى جانب ما يقدر بستٍ من القرى الصغيرة المنتشرة بين المزارع.

اتخذت من النقوش سبباً لتأخر أكثر إذ لا يزال اليوم في منتصفه، ولأستغل الفرصة لألقي نظرة فاحصة على المكان ومحيطه قبل أن أعبر بطن الوادي لألحق بزملائي في المعسكر الذي يقع تحت برج للماء يقوم على السلسلة الشستية لجانب الوادي الأيمن عند الطرف الشمالي الغربي للقرية الرئيسة والتي تعرف شمولياً باسم شط الخضرة والتي تتكون من ثلاث قرى صغيرة هي: طليل، والأعلى، وسند. كانت القصور متجمعة مع بعضها البعض، في شكل قرى صغيرة على عكس ما

(١) للمزيد عن وادي حبونا وفروعه وقراه وسكانه انظر: عاتق البلادي. بين مكة وحضرموت. ص ٢٠٤ -

٢٠٩، عبدالرحمن الشريف. جغرافية المملكة العربية السعودية، ج٢، ص ٤٠٧ - ٤١٠. (ابن

جريس).

هو مألوف في نجران، مما يدل على أن المجتمع هنا أكثر تجانساً. تغطي قرية شط الخضرة مساحة أبعادها (٨٠٠) ياردة طولاً على واحة الوادي، و(٣٠٠) ياردة عرضاً عبر الخليج ويحيط بها تل مرتفع بارز تحتوي إلى جانب سكانها، على حقول دخن مزدهرة وعلى العديد من أشجار النخيل المنتشرة أو المتجمعة. تقع هذه المنطقة إلى الشمال الشرقي وإلى الشرق من عند موقع على جانب التل بالقرب من برج المراقبة الذي كنت قد اخترته لإجراء مسح عام للقرية ويقع على جانب الوادي الأيمن. تقع قرنتان صغيرتان على مسافة ميل واحد عبر الوادي في اتجاه جنوب الجنوب الشرقي ويتبعان قبيلة بني هميم، وهما أعلا وأسفل تفصل بينهما صخرة، وتحتضنهما التلال.

تقع مزارع قابل منيف ذات النخيل الكثيفة، أيضاً على الجانب الأيسر للوادي وعلى الكتف الأيسر لقرية شط الخضرة، وكانت قرنتها الرئيسة الصغيرة عند مركز الدائرة خلف أشجار النخيل ووسط حقول كبيرة للذرة. يكتمل النظر بقلعة تسمى قشيعه تقع على رأس صخرة صغيرة في وسط الوادي مع بعض أشجار النخيل القائمة على لسان أرضي يتجه إلى الورا. يوجد غطاء جيد للطرفاء والأثل في بطن الوادي، والذي يبلغ عرضه حوالي (٤٠٠) قدم ويخترقه مجرى سيول ضيق متلو. وتفتح قناة ذات جوانب عالية من عند جانب الوادي لتحمل مياه السيول إلى داخل المكان المرتفع الذي يقف عليه برج المراقبة، ومنه إلى الحوض الذي يحتوي على حقول الدخن، وحكماً بالأصوات المنبعثة من عند الآبار العديدة فإنه يتضح لنا أن الناس كانوا مشغولين هذه اللحظة بري محاصيلهم.

وقفت قمة أم خرق بارزة من فوق سلسلتها ناحية الشمال من موقعنا، كما أمكننا رؤية مجرى الوادي، وذلك على مسافة خمسة أميال أعلى أسفل الواحة.

كانت واحة جذابة بصفة عامة، برغم أنها على مستوى قياس أصغر مقارنة مع واحة نجران، وقد أكسبتها الجبال التي تشمخ، من فوقها وعلى الجانبين، وتحيط بها، لمسة رومانتيكية.

أقيم معسكرنا على سفح بالقرب من القرية الصغيرة الرئيسة التي تسمى الأعلى أو الحصن الأعلى، حيث يقيم أمير القرية، والذي حضر لتحياتنا عند وصولنا ودعانا إلى قصره لتناول القهوة والمرطبات.

يتم تعيين هؤلاء الأمراء المحليين بواسطة أمير المنطقة، تماشياً مع العادة المتبعة في إدارات الجزيرة العربية. اتضح أن أمير قرية حبونا الصغيرة نسبياً هو في النسب خال لصديقي النشمي بنجران، واسمه محمد بن ناصر، ولم يكن مقصراً في صداقته وفي كرمه. جاء محمد أصلاً إلى نجران مع السلف السابق للنشمي واسمه محمد العساف ومكث لكي يساعد خاله، الذي منحه هذه الوظيفة. وقد كنت قد قابلته منذ فترة مبكرة، عام ١٩٢٧م، لما كان حينها موظفاً تحت رئاسة عبدالله الجفالي في مراقبة إنشاء الطريق المسفلت الذي يربط بين جدة ومكة - كان عربياً من الطراز الممتاز، ينتمي للمدرسة القديمة، وكان شديد الجاذبية، وشديد التواضع. وقد سكن بحكم الظروف في أحد القصور المحلية، الأقل هبة من تلك التي في نجران. وقد قام بإعادة بناء جزء منه ليحصل على غرفة استقبال جذابة ذات نوافذ أكثر إضاءة مما كان قد أعدده المهندس المعماري الذي قام بتصميم القصر والذي قد ارتكز همه على جانب الأمن بدلاً من الراحة. يطلق على القرية شط الخضرة، أو الشطين أو الخضرة - قسم يتبع الأسلوم^(١)، أو حتى قابل الطليل في مقابلة قابل

(١) الأسلوم يتكونون من خمسة أفخاذ هي: آل صليح، وآل عامر، والخضرة، وآل قريع، وبني هميم، وشيخهم الآن عبدالرحمن بن قعوان. مقابلة مع عبدالله بن هويج السلوم الياامي. (ابن جريس).

منيف المواجه. ينتمي السكان إلى فخذ الخضرة فرع الأسلوم التابع لقبيلة يام. ويطلق على السلسلة الجرانيتية العالية التي تحيط بخليج الخضرة وتطل عليه اسم شرقان.

تسلقت صباح اليوم التالي، وبعد أن تناولت إفطاراً ممتازاً من لحم ضأن وأرز قدمه لنا الأمير، السفوح شديدة الانحدار لشرقان التي تحتوي على ألواح عمودية تشبه الأردواز، متجهاً إلى القمة يصحبني مهدي بن قعوان، الرجل الرئيس في القرية. كانت القمة على ارتفاع (٨٠٠) قدم فوق خضراء والتي ترتفع إلى (٤٣٠٠) قدم فوق سطح البحر.

كانت أعلى نقطة تقع عند نهاية الطرف الغربي لسلسلة حادة الأطراف تتوضع في اتجاه محور شمال - جنوب وتهبط في عدد من التعرجات الحادة تجاه الغرب لقرية قابل منيف - التي نراها لأول مرة - وتسمى أيضاً آل قطران - قسم آخر من الأسلوم - . تسمى القرية المركزية التي أشرت إليها، باسم آل حمري^(١) - أيضاً من الأسلوم - بينما توجد على النهاية الشرقية قرية صغيرة تسمى آل عواد - الأسلوم - . تنتمي أشجار نخيل وقلعة جزيرة قشيعه إلى آل قريع - الأسلوم - كما يوجد برج مراقبة آخر يسمى قلعة العان - آل عواد - على سلسلة منخفضة تجري أسفل الجانب الأيسر للوادي، من خلف قابل^(٢)، وبها بئر يسمى بئر زبيدة.

يمكن رؤية امتداد الوادي باتجاه الشمال الشرقي إلى ما يلي قمة قلعة العان. تقع سلوى^(٣)، حسب ما رواه مهدي، والتي لا نراها هذه اللحظة، في ذلك

(١) آل حمري: يعودون لفخذ آل قريع من الأسلوم. (ابن جريس).

(٢) قابل: - أي قابل منيف (ابن جريس).

(٣) سلوى: ربما تكتب وتنطق أيضاً (سلوة). (ابن جريس).

الاتجاه، بينما أمكننا رؤية المعلم الأرضي وهو عمود ثار. هيئت مجموعة من المسائل على سفح شرقان ناحية الوادي، والذي كان اتصاله مع تريمة مشاهدًا على بعد أربعة أو خمسة أميال. يوجد بثران، فوق القرية في بطن الوادي من ناحية الشمال الغربي، يسميان مسرباً، بينما كان أمامنا منظر جزئي لئجرا (بئر وأطلال) ووسيعة (ثلاث آبار قديمة مدفونة) وكلاهما على الجانب الأيسر باتجاه أعلى الوادي لمسرب. اكتملت صورة حبونا بمجموعة من أطلال «بني هلال» تسمى خراب شريم مباشرة بعد الطرف الغربي لقابل منيف، ولبعض مزارع النخيل باتجاه أعلى الوادي التي تنتمي إلى الواحة الرئيسة غير أنها ستذكر عندما نقوم بزيارتها في مسيرتنا أعلى الوادي. كان كل ما تبقى هو سلسلة لا نهاية لها من الجبال.

هبطنا سفح شرقان عن طريق آخر غير مسيل جحير الذي كنا قد سلكناه صعوداً، وعدنا آخر الأمر إلى المعسكر عن طريق مسيل خال ومن حول برج المراقبة الذي في واجهته كنت قد رأيت نقوشاً على صخرة، وقد قمت بنسخها. لقد سرَّ مهدي بهديته التي قدمتها له عندما افترقنا وكانت جنيهاً استرلينياً ذهبياً كاملاً (وكان مندهشاً قليلاً). لقد فعل مهدي الكثير بل أكثر مما أتوقع حينما أراني الصخرة الثانية التي تحمل النقوش، وبما قدمه لي من معلومات جغرافية محلية. أحضر لنا مهدي خروفاً غير أنني علمت بهذا الأمر في وقت لاحق.

لقد انتهيناً من واحة حبونا، أو من الجزء الرئيس فيها، ولم يعد هنالك مبرر لبقائنا أكثر. كان الأمير قد قدم لنا زاداً للطريق، وجبة غداء بسيطة من عصيدة قمح جيدة الطبخ مملوءة بالسمن الذي تجمع في فوهة عند وسط العصيدة. كنا نضرب الطريق عند الساعة الثانية مساءً مرة أخرى لكي نرى المزيد من وادي حبونا في مجراه المحاط بالصخور وهو يجري في الجبال.

دخلنا مرة أخرى لمجرى الوادي، بعد أن عبر مضيق العرجاء (وبرج المراقبة من فوقه) من خلال عمر ضيق إلى فم خال وعبر مسافة تقل عن الميل الواحد، إلى مزرعة نخيل مسعودة الصغيرة، على جانب الوادي الأيسر، ومنها مباشرة إلى المروة التي تقع إلى الخلف على بعد مسافة من المجرى بأشجار نخيلها ومزارع دخنها وحصونها (قصور) القليلة القائمة في صدع السلسلة.

كان رأس التل الصغير الذي يقع بجوار جانب الوادي ويفصل بين هاتين القرية الصغيرتين متوجاً ببناء مربع شبيه بالقلعة، كان جزؤه الأعلى مبنياً من الطين وكان الأسفل من حجارة جرانيتية. وتقع بالقرب من هنا مجموعة أخرى من حقول ومزارع نخيل وكلها معاً تكون قرية بني هميم الذي ورد ذكرها. توجد هنا قناة جانبها من الرمل تقود من عند الوادي إلى المزارع في قرية حويد.

واصلنا مسيرتنا ونحن في الحوض الجانب الأيمن للوادي، الذي كان عرضه نصف ميل وعليه كثافة من أشجار الطرفاء حتى وصلنا إلى الدلتا العريضة، لشعيب كتنة الذي ينحدر من عند فتحه في التلال تقع إلى الشمال من موقعنا، وعبرناه لنستريح قليلاً بجوار برج طويل نحيل يقع في وسط أشجار نخيل النقعاء على الجانب الأيسر. كانت هذه هي القرية الثالثة باتجاه أعلى الوادي التي تمكنت من رؤيتها من عند قمة شرقان وكانت هي آخر ضواحي الواحة الرئيسة. ألفت شجرة علب (سدر) ضخمة ظلها على بئر القرية التي تقع على حافة المجرى وكان قطرها حوالي (٢٠) قدماً وصهريجها مبطن بمواد البناء إلى مستوى الماء على عمق عشر قامات إلى أسفل -مقارنة بعمق ثماني قامات فقط في شط الخضرة-. كان البناء الفوقي للبئر يحمل ست بكرات، ثلاث منها تجاه الشمال والأخرى تجاه الجنوب والتي كانت تجري من فوقها جبال الدلاء التي تجرها مجموعة من الثيران،

تتتمي هذه القرية الصغيرة، على عكس غيرها من القرى في هذه الواحة، إلى آل بحري، من الأحسن من قبيلة لمواجد^(١).

واصلنا مسيرتنا أعلى الوادي بعد أن أدينا صلاة الظهر وقد تقلص عرض الوادي إلى (٢٥٠) ياردة بين جدران صخرية ارتفاعها (٢٠٠) قدم. اتسع هذا المر بعد فترة إلى انبعاث دائري وقد نمت غابة من الطرفاء عند موقع تدفق شعيب ذات حمد الذي يهبط من عند سلسلة عويج قليلاً إلى الورا من ناحية الجانب الأيسر. اخترقنا هذا وتبعنا المجرى المتسع، وسرعان ما دَخَلت في مجال الرؤية الواحة الثانية في حبونا واسمها الحصن وكذلك مزارع نخيل المجمع على بعد ثلاثة أميال من النعاء. استقر بنا المقام هنا لنعسكر الليلة بجوار مزارع نخيل قريتي الحصن الصغيرتين التابعتين لغنيمة، بينما قمت أنا بتسلق الصخرة التي تطل على كل الواحة من عند الجانب الأيمن للوادي. تحتل مجمع مساحة بيضاوية طولها ميل وصف الميل من جهة الشرق إلى الغرب، وكان عرضها نصف هذه المسافة بين مجري شعيب حلال (جنوب) وشعيب صيحان (شمال) اللذين يلتقيان في موقع دخولنا ليكوناً رأس وادي حبونا، الذي يرتفع إلى (٤٤٠٠) قدم فوق سطح البحر. تتكون الواحة من قرية بائسة على جانبي سلسلة منخفضة تفصل بين المجريين من عند موقع ظهورهما في التلال إلى القرب من موقع التقائهما لتكوين حبونا، وكان أهلها مثلهم مثل آل النعاء من قبيلة آل بحري ومن لمواجد.

ستوصلنا مسيرة الغد إلى شعيب صيحان، وبناءً على هذا، فقد ركزت على جمع المعلومات عن المجرى الآخر وعلى المجموعة التي تكوّن الواحة نفسها.

(١) للمزيد انظر: فؤاد حمزة، المرجع السابق، ص ١٧٨. (ابن جريس).

لنأخذ شعيب حلال أولاً، الذي نستطيع رؤية ما يصل إلى طول الميل الواحد من مجراه إلى الموقع الذي ينبع فيه من عند التلال، وقد برزت إلى الخلف قمة انثاري الواضحة، التي تشاهد أمام قرية نخيل الحرشف، كما قيل لي، داخل المجرى، قيل لي كذلك إنها تبعد مسافة رحلة نصف يوم من غنيمة، لنقل (١٢) ميلاً باتجاه أعلى الوادي. توجد قرية أخرى أعلى، باتجاه أعلى الوادي، وعلى بعد ميل أو ميلين، تسمى هداة، والتي يكون الوادي فيما يليها عارياً من الغطاء النباتي غير المأهول حتى حافة الهضبة في اتجاه ظهران أو ما يعادل رحلة يوم ونصف اليوم (حوالي ٣٠ ميلاً) فوق هداة. تنتمي هذه القرية ومعها الحرشف إلى قسم آل الحرشف تحت رئاسة صالح بن ربوع من قبيلة آل فاطمة. كما توجد خمس قرى أخرى على بعد مسافة ميل بين كل قرية وأخرى، تنتمي كلها إلى قبيلة آل أبا الطحين قسم لمواجد، تقع بين الحرشف والموقع الذي يدخل فيه شعيب حلحلة إلى حلال عن طريق جانبه الأيمن، تسمى هذه الخمس قرى كما يلي: حزقة، ودوح، والسليمة، والعزم، والنقعاء في هذا الترتيب مع اتجاه أسفل الوادي وتكون الأخيرة منها فوق مدخل شعيب حلحلة. يهبط الطريق القادم من نجران عبر شعيب بران إلى أسفل هذا المجرى ليخترق حلال في طريقه إلى الجفة التي تقع في شعيب صيحان ومنه إلى بدر^(١).

كان القسم من شعيب حلال الملامس للمجمع على جانبها الجنوبي ممتلئاً بأشجار الطرفاء والأراك وبغطاء نباتي آخر. ويقال إن هنالك العديد من الأطلال عند عدة نقاط على امتداد هذا الوادي، ويرجع تاريخها ليس إلى بني هلال

(١) بدر: يطلق عليها بدر الجنوب تمييزاً لها عن أرض بدر التي تقع بين مكة والمدينة، وهي إحدى محافظات منطقة نجران اليوم. (ابن جريس).

بواسطة الروايات، كما كان المرء يتوقع من اسمها، ولكن من اسم بطل يسمى داكنيوس عاش حوالي (٣٠٠) سنة قبل ظهور النبي محمد (صلى الله عليه وسلم).

تتكون واحة المجمع مما يلي:

- ١- غنيمة ويوجد بها حصنان وعدد من أشجار النخيل وبعض حقول الدخن كلها داخل المساحة البيضاوية، وقليلاً ناحية النهاية الشرقية.
- ٢- ربيعة وتقع على الجانب الأيسر لخلال على مسافة نصف الميل إلى أعلى.
- ٣- القرن وتقع بين غنيمة وربيعة.
- ٤- بئر البرصاء وتقع على الجانب الأيمن لصيحان على مسافة (٣٠٠) ياردة إلى أعلى.
- ٥- وتن وهي أكبر القرى وتقع في منفرج صيحان، على مسافة نصف الميل إلى أعلى وبها مجموعتان منفصلتان من أراض زراعية ذات بئر هما أم الغرين ووشيجة.
- ٦- وحل وهي أرض ممتدة متعرجة ذات عدد من أشجار النخيل مع بعض الحصون القائمة على الجانب الأيمن لصيحان عند مدخله إلى المساحة البيضاوية. كما توجد، أخيراً قلعة صغيرة منعزلة على الجانب الأيسر لصيحان على مسافة (٣٠٠) أو (٤٠٠) ياردة أعلى موقع لقائه مع حلال. يهبط مسيل رح إلى صيحان في مقابل وحل وقليلاً إلى أعلى منه من عند جلمود مرتفع من حجر رملي، كان يقف شامخاً بين التلال ناحية الشمال الغربي، بينما تسيطر سلسلة فت على الجزء الأعلى لصيحان من ناحية الغرب في اتجاه بدر.

زارني أحد المكارمة عندما رجعت إلى المعسكر واسمه حسن وكان قد اشترى مزرعة نخيل في غنيمة منذ حوالي (١٦) سنة وهو يعيش الآن هناك - وهو ذو شخصية ورجل لطيف المعاشرة. تجمع كذلك حشد من الأهالي حول نيران معسكرنا لتذوق شراب القهوة وقد أحضروا لنا معهم حزماً من أعواد الدخن علفاً للجمال التي بدا عليها الارتياح لهذا العلف الجديد، غير المثير للشهية وقد أكلته بقناعة.

دعوت كل من حسن وشيخ القرية لتناول العشاء معنا، وجلسا يتحادثان معنا على فناجين القهوة حتى وقت متأخر - بالنسبة لهم. ادعى حسن أن هنالك علاقة بعيدة تعود إلى الجيل السابع والتي تربطه، إلى فرع رئيس قطاع المكارمة واسمه حسين بن أحمد الداعي، والذي تم نقله منذ المشاكل اليمنية عام ١٩٣٤م، إلى مكة. حيث ظل يعيش هناك حيناً وفي الطائف حيناً آخر حسب الموسم، وينزل ضيفاً على الملك، وله وكيل يسمى أحسان بن هاشم يقوم بأمر أسرته وممتلكاته في بدر. أخبرني حسن بأنه قد مضت فترة زمنية تقدر بـ (٣٠٠) سنة منذ أن استقر المكارمة الأصيليون في بدر وفي نجران جاؤوا مهاجرين إليهما من بلاد همدان - يبدو أنها تعني اليمن-. غير أنني أبدت اعتراضي لما قاله حسن، ذلك بأنني لم أر أحداً من جماعته هذه في نجران. أجباني حسن بدهاء بأنهم قوم مبعثرون في الشتات وأنهم منعزلون لأنفسهم ولا يزورون أحداً. استمتع معنا جمهور غفير بجلسة مع الراديو ذلك المساء غير أنها لم تكن سهرة ناجحة بسبب الظواهر الجوية الكهربائية.

كان اليوم التالي هو الحادي عشر من نوفمبر. سرت مرتجلاً عبر المساحة البيضاء، عند مواصلة مسيرتنا، وذلك لأفحص وتن، التي وجدت فيها أطلال

بئر قديمة كما لاحظت قلعة أخرى صغيرة قائمة على هضبة منخفضة بالقرب من بئر البرصاء. لاحظت كذلك أن الصخور الشستية على هذا الجانب مخططة بكمية كبيرة من الكوارتز.

لم يكن هنالك شيء ذو أهمية قصوى هنا، ثم سرت إلى الجانب الأيسر لصيحان إلى ناحية منفذه من عند حاجز التلال. كانت هنالك ألواح كبيرة من الشست مرتبة طرفاً بطرف في صفين لتكون بذلك قناة توجه مياه السيول إلى مزارع وتن. كانت توجد كذلك قناة أخرى في تلك المنطقة، قريباً من المنفذ، عند النهاية الغربية القصوى لوحل وعلى جانبه الأيمن، وكانت جدرانها الطينية عالية. وقد وقفت عند مدخله صخرة كبيرة وعليها عدد من النقوش الشمودية وبعض الرسومات الجيدة للجمال وإلى جانب خربشة ثعبانية مزدوجة بتفرعات، ربما قصد بها مخطط بدائي كروكي لمساحة الواحة ذات الواديين والعديد من القنوات. أينما وجدت مياه صالحة للاستخدام في هذه الأودية الجافة العارية، فإن القدماء وإلى حد ما الحاليين، قد استغلوها لكسب العيش فوق تراب أرضهم. كان عليهم، في الأزمان السابقة، الاعتماد على جهودهم الذاتي في الكفاح لأجل البقاء.

يحكى لنا حبشوش، في الكتاب الذي ورد ذكره، بأنه في المناطق الأكثر خصوبة في جنوب اليمن، فإن المجاعات التي كانت تقع على فترات، كانت تنتج عن انجباس الأمطار الموسمية وشح السيول لذلك كانت تؤدي إلى هلاك الجزء الأعظم من السكان، حتى جاء الأتراك المقدامون عام ١٨٧٢م. استطاع الأتراك أن يطفئوا آثار المجاعة في إحدى المناطق بإدخال وسائل كفاء لنقل الحبوب من منطقة إلى أخرى كما حدث في هذا العام (١٩٣٤م) فقد تمت مواجهة شبح المجاعة في حضرموت بقرار الحكومة البريطانية بإرسال كميات من الدخن من اليمن ومن

تهامة ومن السودان إلى تلك المنطقة. يقدم لنا حبشوش المعلومات المثيرة للاهتمام بأن الرز كان قد استورد لأول مرة إلى اليمن من مصادر من وراء البحار وذلك لتلطيف آثار المجاعة التي حدثت عام ١٨٨٥م. كان الأتراك، بالطبع، هم الذين نظموا الاستيراد والتوزيع، وقد احتل الرز موقعه وإلى الأبد، كمادة عادية في الغذاء بين أوساط الطبقات المنعمة. ويقول الملك ابن سعود: إنه كان أول من أدخل الرز إلى وسط الجزيرة العربية وذلك إضافة إلى جانب الأطعمة الأخرى وليحل مكان البرغل والجريش والتي وجدها في نظره مهيجة إلى درجة بعيدة.

أدرنا ظهورنا ناحية واحة المجمع البائسة وواصلنا المسيرة فوق الوادي، وقد مررنا بقلعة مدمرة تطل على غابة من أراك وطرفاء ووصلنا بعدها في أقل من نصف الساعة إلى شعيب جاري اسمه الضيقة، ينساب لمسافة (٤٠٠) ياردة في مضيق صخري ضيق قد وجدت على جداره نقشاً بجوار رسم لفارس. كان الشعيب الجذاب هذا مبطناً بالقصب والطرفاء وقد اتسعت نهايته العليا إلى انبعاج عظيم مع تدفق شعيبين هما أم العصب على يميننا ونفر على يسارنا. تقع الواحة الثالثة لمجموعة حبونا في الانبعاج قليلاً إلى أعلى من مجرى صيخان وتسمى الجفة ويمتلكها جماعة آل فاطمة. تقع الجفة في ثلاث مجموعات من النخيل وحقول الدخن وعدد من المساكن معظمها كأبراج.

وصلنا إلى أولى هذه وتسمى المذنب وهي قرية بائسة بمعنى الكلمة ذات عدد من أشجار النخيل المبعثرة وحوالي ستة من الأبراج المدمرة ومساحة متوسطة لزراعة الذرة وبعض حقول البرسيم. تقع هذه القرية على بعد قليل عن الجانب الأيسر لصيخان الذي يجري أسفل منتصف الانبعاج وقد تتبعناه مسافة (٥٠٠) ياردة لأول الأبراج وأول الحقول للقرية الصغيرة التالية وتسمى المثناة. كانت المثناة عبارة عن

مجموعة صغيرة من الحصون مبعثرة في المزارع وتتجمع مواقع السكن فيها، وهي عبارة عن ستة من الأبراج عند منتصفها.

كانت معظم حقول الدخن قد تم حصادها وتم نقل المحصول إلى موقع مركزي لأجل غربلته، حيث كانت هنالك مجموعة عاملة فقيرة، ولكنها مرحة، تتكون من الرجال وبعض النسوة تقوم بغربلة الدخن من قشوره بالأسلوب الذي عفا عليه الزمن وهو صيها خلال مجرى الهواء. وكانت الحبوب قد فصلت من قبل عن السنابل بوطنها بواسطة الدواب^(١). تقع بئر البصرة على الجانب البعيد لصيحان غير أنها تعد داخل حدود المثناة. تنتهي القرية بمجموعة ختامية من الأبراج عند موقع دخول المجرى وهو قادم إليها من عند التلال، وعموماً فإنها تبدو أكثر ازدهاراً من المذنب حيث أن بها بعض المساحات الصغيرة المزروعة التي تحيط بالأبار بمحصول القمح والذي كان مزهراً بالفعل. يحلق سرب كبير من طيور السوادية ويلتقط كل ما يسقط من حبوب أثناء عملية نقل الدخن من الحقل إلى موقع غربلته.

يقع القسم الثالث من الواحة ويسمى أم الحوض أعلى الانبعاث داخل المجرى الصخري، قليلاً فيما يلي المسيل الصغير الذي يدخله على الجانب الأيمن، مقابل قلعة من الطين، مدمرة، تحيط بها مقبرة تم بناء بعض قبورها بالواح من الصخر إلى ارتفاع أربعة أقدام. تمتد أم الحوض، بنخيلها الشحيح المبعثر، وحقول الدخن الشبه مدككة، إلى حوالي (١٠٠) ياردة أعلى الوادي، وتضم البرج المنعزل وبئر

(١) لمزيد من المعلومات عن حصد الزروع ودرسها ثم فصل الحبوب عن التبن والأعلاف، انظر: غيثان بن

جريس. عسير ١١٠٠ - ١٤٠٠هـ، ص ١٢٩ - ١٤٧. (ابن جريس).

نزقة في الرقعة من الأرض التي تحتوي على حوالي (٢٠) شجرة من أشجار النخيل ومن حقول صغيرة على بعد (٤٠٠) ياردة عند تدفق مسيل مهرة من مرتفعاته الصخرية الرملية على يميننا.

هكذا انتهت الجفة وواصلت أشجار الطرفاء الخفيضة وجودها في الوادي غير المثير وقد أطبقت سلسلة الدهو مما حجب عنا المنظر الذي يقع على لسانها على بعد الميلين. دخلت مسایل عديدة إلى الوادي، وتدفق شعيب فت عند قاعدة سلسلته المنبعجة التي شمخت فوقنا إلى ارتفاع (١٥٠٠ - ٢٠٠٠) قدم. تسمى هذه السلسلة مبنى البيت وهو شعيب يدخل صيحان من على الجانب البعيد، وقد أصبح الوادي دافئاً وعديم الهواء بسبب انطباق كتلتي دحو ومبنى العاليتين عليه. اجتهدنا لتتوقف هنيهة عند النهاية السفلى لنهر جارٍ آخر يسمى غيل صيحان عند مدخل شعيب راك كان عرض الوادي هنا حوالي (٣٠٠) ياردة مع غزارة لنبات الحلفاء والطرفاء التي لا مفر من وجودها على النهر.

ارتفعت الصخور الجرانيتية الداكنة إلى حوالي (٥٠٠) قدم، وأكسبت المكان إحساساً غامضاً، وأجواء مية. كان هنالك عدد قليل جداً، حقيقة، من الطيور في هذا المكان، كان الطائر المخوض يلتهم أسماك المنوة الوافرة وقد أطلقت عليه الرصاص، وكانت الذعرة تقوم بصيد الأسماك على حلقة الماء، وكان طير البلاكستارتس يرفرف بجناحيه حول الصخور، وكان هنالك صقر صغير يحلق فوقنا حينما كنا نتناول الشاي تحت ظل إحدى الأشجار، ونحن نراقب الجمال وهي تمضغ أعواد الدخن. كان مرشدنا، زائد، مجنداً في الخضرة وكان يعرف الوادي جيداً ولكن ليس لأبعد من حدود هذا الوادي الضيق. تعزز فقره الزائد للذكاء إعاقه واضحة في حديثه.

لقد كان النهر منقطعاً، يظهر في أجزاء من البرك، وقد نما القصب في بعضها إلى ارتفاع (١٥) قدماً. وكانت غابة الطرفاء كثيفة حينما كنا نشق طريقنا فيها عبر العديد من المساليل الهابطة من جوانب شثي وهي سلسلة عالية ذات قلنسوة من الحجر الرملي، تقع على مسافة ميل واحد ناحية الخلف تجاه الجنوب. كانت هذه السلسلة فعلياً استمراراً لسلسلة الدحو وهي نفسها تتواصل غرباً بسلسلة دخفة التي تطل على آخر واحات حبونا التي تقع أمامنا.

وصلنا عند قمم أحد هذه المساليل إلى أطلال قلعة قديمة من الطين تقع بالقرب من بئر عجمان المحطمة التي امتدت من عندها قناة جر للمياه تنقلها إلى داخل البناء، كان هنالك اتساع في الوادي قليلاً إلى أعلى، وقد سببه دخول وادي قاب من جهة الشمال، عبر مضيق مدهش، حقيقة، في الطرف الأدنى لوادي بدر بالنسبة للهضبة، غير أنه هنا يسمى محلياً باسم لأطلال قديمة ليست بذات أهمية ولعلها كانت موقع قلعة لحراسة الوادي ضد أية تدخل من ناحية الهضبة. يقال إن هذا الممر لا يصلح لسير أي نوع من الحيوانات المستأنسة عدا الإنسان. يبدو أن اتجاهه العام، مع اتساعه، هو ناحية الشمال الغربي. وصلنا إلى حاجز معتبر من أكوام للظمي في موقع اتساع آخر للوادي وعلى مسافة أعلى عند مدخل فرع آخر لشعيب راك الذي يقع على يسارنا. كان يوجد عند النهاية العليا له بئر تسمى الخثيمي، كانت مياهها تسحب بواسطة ثلاثة جمال وذلك لري الحقول أسفلها. يسكن مالكو البئر في منزلين صغيرين من اللبن، كما توجد أكوام محطمة، تدل على أنه كانت هنالك محاولة لزراعة كل الحوض الطموي، الذي ظل جزء كبير منه دون زراعة، بينما أقيمت على جانبي الممر جدران من حجارة.

كانت هنالك رقعة لأرض طينية تقع إلى أعلى، ذات أطلال لمباني بدائية، وقد وصلنا إلى ما يليها لنفاجأ بمنظر زاهر يدل على نشاط الإنسان وهو عبارة عن حقول الذرة الواسعة نسبياً في قرية آل فايد ذات المنازل الأربعة اللبنية التي تأوى سكانها قليلي العدد، والذين ينتمون إلى قبيلة آل فاطمة.

تبعنا شريطاً لقناة بدائية عبر هذه المزرعة - موقع جذاب جداً وقد تباعدت الجدران الداكنة لمضيقه كاشفة وادياً عريضاً يمتد أمامنا ومن ثم عبرنا من حول قاعدة هضبة صغيرة تقف فوقها قلعة محطمة مبنية من اللبن قائمة على أساس حجري. كان اسمها أم عرقين وهي منظر تذكاري لتلك الأيام التي كانت هذه القلعة تقف فيها لحراسة المحاصيل التي تنمو أسفلها ضد رجال القبائل الغزاة من القبائل المعادية. كانت هذه الأرض الطينية امتداداً لهجمة أعلاه، بنخيله الطويل التزني وأبراجه المبنية من اللبن متوضعة على جانب نهر صغير جارٍ في بطن الوادي. ينتمي الناس هنا إلى فرع آخر من قبيلة آل فاطمة ويدعون آل جثيمة^(١). وصلنا إلى الجزء الواسع من الوادي، فيما يلي ذلك، عند موقع البئر وحقل الدخن الوحيد والمحاط بجدار والذي يتبع آل مرقب وإلى برج تربة عوفه الصغيرة، وإلى مزرعة نخيل صغيرة وحقول أكثر.

وصلنا الآن إلى القرية الرابعة في جبونا وتعرف باسم الخضيرة وتضم كل المزارع أسفل الوادي حتى بئر خثيمة. ينتمي هذا الجزء المكشوف الأعلى إلى قبيلة وعلة التابعة لآل فاطمة، مع عناصر من آل قنة وآل دواخ وتشتمل على عدد من

(١) آل جثيمة: ربما يطلق عليهم أيضاً اسم (آل قثيمة). (ابن جريس).

القرى الصغيرة والآبار وعلى مزارع نخيل وحقول مجاورة لها. كانت هنالك من ناحية الغرب وإلى أعلى، مجموعة من الآبار وأشجار النخيل وحقول، كلها تكون سليحة عند القمة، وأم الركب في الوسط، وتقع بئر زيتة إلى يمينها، وتقع كل من زهرة وسلوى على الجانب القريب منها. كما تقع بئر عبلة بالقرب منا بينما وقفت القرية الرئيسة ذات الأبراج، وتسمى حويرة، على الجانب الجنوبي للمجرى، ثم اكتمل المنظر بقلعة تسمى الرهوة تقف على صخرة منعزلة عند مركز القرية، وبعض مزارع نخيل مصفية على الجانب الأيمن والذي بجواره، وفي مساحة مكشوفة، قررنا أن نعسكر لقضاء تلك الليلة. كَوْنُ بئران أخريان هما بروك ووسيطه جزءاً من مصفية وعوفة بالتتالي. شمخت من فوقنا سلسلة دخفة ذات الجبال الصخرية الرملية المسننة والمنقرة بالعديد من الكهوف. كنا هنا على ارتفاع (٥٢٠٠) قدم فوق سطح البحر، وعندما قمت بتسلقها في اليوم التالي إلى قمة دخفة، كان الارتفاع حوالي (٦٩٠٠) قدم.

مررنا بمجموعة من البدو أعلى الوادي ينظر لمنظرهم القلب وهم من آل فايد. كانوا رجالاً ونساءً يندبون بصوت مرتفع جماً ميثاً ويصرخون بقوة متهمين القرويين المحليين بارتكاب الجريمة. كانت مثل هذه الحوادث في الأزمان السابقة تنتهي بسفك للدماء، غير أن كلا الفريقين كان عاقلاً وتابعاً لأساليب النظام السعودي ولم يحدث شيء بعد المناظرة الضرورية الشاملة. كان القرويون -حسب رأيي- بريئين تماماً من الحادثة التي دفعت بالجمال من فوق الصخرة حينما كان يتجول هناك بلا هدف عبر مزارع الدخن فسقط وكسرت رجله. أقل ما يمكن أن يفعله هذا الجمل الآن هو أن يكون وليمة لكل من يهمهم الأمر، غير أنني لا أدري بالفعل ماذا حدث فقد واصلنا مسيرتنا لنكتشف عند وصولنا الخضيرة أن

ليس بها لحوم وتعشينا بالعصيدة فقط . كنا جائعين وكان الوقت متأخراً جداً لا يمكننا إرسال أحد لذوي القطعان للحصول على جدي .

كانت بعض المساكن البرجية شديدة الجاذبية في هذه الواحة وساحرة المنظر ومن حقها علينا أن نصف نموذجاً مثالياً لها بشيء من التفاصيل . يبدو أن الأساس الفعلي فقط للمنزل هو الذي استخدمت فيه الصخور، وفوق هذه الصخور يتكون البناء من اللبن ويرتفع إلى حوالي (٣٠) قدماً . كان جزؤه الأسفل مكوناً من طبقات من طين إلى ارتفاع ستة أقدام وتمثل هذه الطبقات حجرة في الدور الأرضي، وهو بلا منفذ إلا من عند الباب . برزت بعد هذه كثافة من الطين إلى ارتفاع (١٢) قدماً ولم تكن من طبقات ولكنها كانت كتلة مصمته، وكان جزء من هذه، ارتفاعه حوالي تسعة أقدام وتمثل غرفة المنزل الرئيسة التي يسكنها رب المنزل وتقع في الطابق الأول .

يوجد في هذه الغرفة صفان مزدوجان من شقوق النوافذ الشبيهة بفتحات الرمي وقد حصرت ثمانية منها على جانب واحد - وعلى مستوى أعلى منها يوجد صفاً من خمس فتحات مربعة (للضوء وللتهوية) . كما يبدو أن الأقدام الثلاثة المتبقية لهذا القسم هي التي تكون الجزء الأسفل لغرفة الطابق الثاني، والتي تحيط بها طبقات من الطين ولا ارتفاع يصل إلى ستة أقدام وهي مخرمة بانتظام بنوافذ صغيرة مربعة . يحتمل أن تكون هذه الغرفة مقسمة بدورها إلى غرف لأفراد الأسرة (نساء وأطفال) في طابقين . كانت الأقدام الستة الأخيرة من جدار مصمته من الطين وبلا طبقات، ومزخرفة بسداجة بصفين من النقط وصف من حرف T بينهما . يمثل هذا القسم جزئياً غرفة عليا بدون منفذ - ربما لتخزين المقتنيات القيمة مثل الأسلحة والذخيرة - ويمثل جزئياً قسماً ذا جدار يكون حاجز سقفه محاطاً من

كل الجهات بصف من الأبراج تبدو كراس النخلة. يبدو أن الصعود من غرفة إلى أخرى في هذا البناء يتم بواسطة درج خشبي، يقود إلى فتحة مربعة في أرضية كل غرفة. يبدو المنزل بسيطاً جداً، ولكنه من غير المحتمل أن يكون مريحاً لأن يعيش المرء فيه^(١).

شاركنا بعض القرويين وجبة المساء البسيطة إلا أن أحدهم ويدعى أحمد بن عايض كان مرشداً ملماً بالكثير من المعلومات حين صعودي معه إلى دخفة في الصباح. كان من عاداته المضطربة أن يهرش رأسه وجسمه، واللذين يبدوان وقد ملأهما القمل، غير أنني غفرت له هذا الإحساس بسبب معلوماته الموسوعية عن المنطقة حول موطنه البائس. لقد ابتدأنا من عند المعسكر وتوجهنا ناحية الجنوب الشرقي عبر المسيل الشديد الانحدار والمستقيم تماماً، ويسمى البوال والذي يميل أسفل جانب دخفة من عند قمته الصخرية الرملية وعبر سفحه الجرانيتي الصعب. وصلنا على مسافة (٤٠٠) قدم إلى أعلى، إلى نبع ضئيل جداً يسمى وشل وهو يقطر من شق في الجرانيت المصمت. ثم وصلنا إلى تماس الصخر الرملي عند ارتفاع (٦٥٠٠) قدم فوق سطح البحر، وهذا يشير إلى أن قلنسوة الجبل ذات سُمك يصل إلى (٤٠٠) قدماً. وصلنا إلى قمة السلسلة عند موقع لعرن بالقرب من نهايتها الغربية وهو أقل ارتفاعاً من القمة الفعلية وعن طريقه سرنا إلى قمة السلسلة. كانت تقع إلى ما يليه وعلى بعد مسافة قليلة قمة أخرى على نفس مستوى تلك التي نقف عليها، ويبدو أن السلسلة كلها من الشرق إلى الغرب لا يزيد امتدادها على ميلين. تنحدر السلسلة من الجانب الخلفي تدريجياً إلى مستوى

(١) هذا النوع من المنازل كانت متواجدة للسكن والاستخدام في المنطقة الممتدة من نجران حتى الطائف، ولا زال بعضها على هيئة أطلال في هذه البلاد حتى اليوم. (ابن جريس).

الهضبة المرتفعة والتي نكاد أن نكون قد وصلنا إلى حافاتها الممزقة. كان المنظر من قمة دخفة عظيماً بحق، وكانت الرؤية ممتازة وواضحة التفاصيل. شمخت القمتان والنموات الأخرى من أرض مسطحة خشنة أعلى كثيراً من المستوى العام للمحيط المجاور، ويوجد على القمة التي نقف عليها صندوق للصيد بدائي البناء وبلا سقف، أنشئ لمن يرغب في صيد الوعول التي يقال إنها تتراد هذه التلال.

امتدت الأرض الخلفية الغربية في وتر طويل ضحل من فوهات بركانية -سأراها فيما بعد عن قرب- مكونه من سلسلة تسمى قهر القعم التي تطل على أودية تهامة تجاه البحر الأحمر من الجانب البعيد. يجري عند قاعدة هذه السلسلة الطويلة وفعالياً داخل حدود مشتركة معها، من الشمال إلى الجنوب، شريط مدهش وبارز لصخر أصفر تسمى القعم الأبيض الذي يكون عرقاً يفصل القمة البركانية من الصخر الرملي للهضبة المرتفعة. ترتفع قمة صخرية رملية منعزلة ومدهشة، ناحية الغرب من موقعنا هذا، وقريبة جداً من الخلفية الصخرية الملونة بالأسود والأصفر التي ورد وصفها، شكلها يشبه شكل خبزنا القديم، وتكون معلماً أرضياً ممتازاً لعدة أميال ومن كل الجهات.

تسمى هذه القمة شثاً، وهي تسيطر على المركز الإداري المهم لظهران، عاصمة الهضبة المرتفعة، والتي تقع خارج مدى الرؤيا وداخل واديها على مسافة ميلين ناحية الجنوب. يأتي هذا الوادي واسمه شعيب كهلان، كما يقول مرشدي، منحدرًا ماراً بالمدينة من عند الطرف الغربي عبر أرض مضطربة مكسرة إلى مسافة ثلاثة أو أربعة أميال من دخفة وتقريباً ناحية الغرب منها، حيث يتصل بوادي مشابه هو وادي أمتره^(١)، الذي يصرف الهضبة العالية إلى الشمال من شث من عند

(١) وادي أمتره، ربما ينطق أيضاً باسم (وادي الترة). (ابن جريس).

رأس الخانق وهي الاستمرار الغربي لشعيب صيحان وأيضاً جبونة نفسه. يشير الاسم الخانق (المضيق) بالتحديد أيضاً إلى مجرى يجري إلى واحة الخضرة ويضيق فيما يليها إلى موقع ملتقى شعيب قاب الذي ورد ذكره، حيث يكون اتحادهما عند رأس غيل صيحان ليكون القسم التالي للوادي في اتجاه الشرق إلى المجمع وهو اسم شعيب صيحان. تقوم السلسلة الرائعة لمبنى البيت والدهو على الجانبين ويملاً أن كل الربعية للبوصلية من الشمال إلى الشرق، بدور المعلم لموقع ابتعاد قسم صيحان من الوادي والذي يمكن رؤية منبعية الرئيسين في السلسلة العليا للجبال الغربية، كاملين، كما قد رأينا نهايته مع اتجاه أسفل الوادي من عند الحصينية وهي تتلاشى في الصحراء العظيمة ماراً بمعلم عن حبونا الأرضي. سأرى هذه الأجزاء العليا لهذا الوعاء العظيم عن قرب، غير أنني رأيت الآن لفائدتني الخاصة أهم سماته.

لا أحتاج للحديث هنا عن قرى وادي أمتره أو مجرى ظهران والتي تتبع الهضبة المرتفعة أكثر مما تتبع الوادي. يكفي هنا أن أذكر القرى الصغيرة للواحة الخامسة والأخيرة لحبونا في ذلك الجزء من خنق الذي يقع في الوادي الضيق أعلى قرى الخضرة. كانت كلها مرئية لنا من عند الطرف الغربي لدخفة، برغم أن هذا لم يكن من عند القمة. كانت أقربهم لنا هي أم الركب وكانت أعلى القرى الصغيرة لخضرة هي حفول على بعد نصف الميل باتجاه أعلى الوادي مع وجود شريط من متاجر مهجورة تسمى سوق بني حرب متوضعة على السفح من عندها وحتى الوادي، وقلعة أم الجبل على الهضبة أعلى منها، كل هذه كانت تقع أعلى تدفق مسيل خيرة على الجانب المقابل أو اليسار. يتبع بني حرب قسماً من آل فاطمة. تأتي بعد هذا وفي ترتيب من أسفل إلى أعلى: آل دوكر، واللقطة، ورضية، والحقي، كلها تشتمل على قرى صغيرة بروجية متوضعة في مزارع نخيل

صغيرة الحجم وبعض حقول الدخن . يصعب عليّ جداً تكوين فكرة عن عدد السكان في مثل هذه القرى المبعثرة كما هي الحال في حبونا، غير أن تقديري لعدد السكان في كل المناطق المأهولة لوادي حبونا لا يزيد عن (٢٠٠٠) نسمة مع استبعاد الناس الرحّل الذين يعيشون في الصحراء . يكون عدد هؤلاء الرحّل كبيراً أيضاً وقد يصل إلى (٢٠٠٠) نسمة أيضاً، وعليه يكون العدد الكلي للسكان لمقاطعة حبونا حوالي (٤٠٠٠) نسمة، لا يمكن الاعتماد على مثل هذه التقديرات . يمكنني رؤية تل أم خرق، بعيداً إلى أسفل، ومطالاً على واحة شط الخضرة، بينما يبدو فيما يليه وقليلاً ناحية الشرق، شريط أبيض طويل لعله مجرى حبونا فيما يلي تدفق وادي ثار .

كان المنظر كئيباً من عند الكتف الأيمن لمبنى البيت ناحية الشمال الشرقي وحول جنوب قمة شثاث ناحية الغرب، ويتكون من أرض متقلبة مرتفعة يصل ارتفاعها إلى (٦٠٠٠) قدم فوق سطح البحر وبها القليل من المواقع البارزة فوقها . أستطيع أن أرى انثري الذي يقع بين الدهو وضحا القرييين مني، وهو يقع تجاه الجنوب الشرقي ويحجب قرية الحرشف الصغيرة في شعيب حلال، بينما يدل على موقع هداة - قليلاً - إلى أعلى المجرى نفسه، شريط على سلسلة مضرع ناحية الجنوب الغربي . ارتفعت بين هذه ونقطة الجنوب، سلاسل ماثلة حادة لنصرانية وحرث وكل هذه السلاسل الثلاثة تقع في الأراضي جنوب ظهران . توجد كتلتا كفر وكتان إلى البعيد ناحية الشرق، ويكونان شريطاً متصلاً مع انخفاض قليل بينهما والذي من عنده يمكن رؤية قمة بعيدة تجاه الجنوب الشرقي والتي عرفها مرشدي بأنها إحدى النقاط التي تطل على مضائق المفجعة . اعتقد مرشدي أن سلسلة أخرى بعيدة واسمها مناظر تطل على المخلاف من عند الجانب الأيمن

لوادي نجران غير أنني تشككت في هذا التعريف. يقع ناحية الجنوب الغربي السلسلة العالية والطويلة التي تسمى قهر آل حمد حاجبة حدود اليمن والتي كان يرى فيها تل هضاض الواقع أمام النعاء، كما ذكر أحمد -مرشدي- أن منخفضاً يقع في ذلك الاتجاه، بأن اسمه وادي فرع الجبل -وذلك لتمييزه عن فرع جنوب نجران-، مضيفاً بأنه رافد من روافد شعيب حلال، وعليه يكون هذا أقصى رافد جهة الجنوب لوادي حبونا. أشار مرشدي إلى وادي يسمى وادي الحصن، والذي سنتحدث عنه في وقت لاحق.

تصب تلال صروم وسحمان في الشمال الغربي، فيما تبقى من ربع المنظر الذي تسيطر عليه قمة دخفة من شثا إلى النقطة الشمالية، مياها في المرتفعات العليا لتثليث حول الحرجة، بينما يطل رابية قرن سبط البركانية البارزة الواقعة على شفه هضبة بدر العالية، في الاتجاه نفسه فوق المجمع الواقعة في أحد الأودية التي ليست بالبعيدة منها. يمكن رؤية بدر نفسها قليلاً ناحية اليمين من هذا الشريط، أو تجاه شمال الشمال الشرقي، وإلى مسافة بالقرب من قرن سبط، وهي محتضنة في واديهما الضحل. وتحت قلعتها البارزة على التل. يصل الطريق من هنا إلى حبونا إلى قمة الجانب الأيسر على رأس مسيل يسمى خيرة، والذي أسفله يتلوى الممر وبخطورة تجاه قرى الخائق الصغيرة. يعلم تل أبيض بارز يسمى قرة الطريق إلى بدر إلي البعيد في الهضبة العالي والتي تلتف حافته القريبة بوادي حبونا في الخضيرة في شكل مرتفعات منخفضة تسمى يتم التي تقع بين مسيل خيرة ومسيل آخر يسمى بط يتصل بصيحيان بالقرب من مزارع آل فائد. واصلنا مسيرتنا عن طريق خيرة وكان الوقت قد تجاوز الواحدة مساءً حينما عدنا إلى المعسكر وأنعشنا أنفسنا وكنا على استعداد لبداية جديدة.

الفصل التاسع عشر

وطن السفاحين^(١)

وصلنا إلى سفح مسيل خيرة بعد حوالي (١٥) دقيقة بعد مغادرتنا للمعسكر وشرعنا فوراً في تسلق له مرهق وفي أكثر ساعات اليوم حرارة. يوجد عند السفح مسيل آخر يسمى شرج، الذي يتصل به، كان عرض بطن المجرى الحجري هناك حوالي (٤٠٠) ياردة وقد كان ينحدر أول الأمر بلطف وفي مجرى متعرج حتى وصلنا إلى موقع دخول شعيب العين، الذي يوجد فيه نبع ماء مستديم في موقع متقدم في بطنه. تقف شجرة سدر عند موقع الالتقاء لمسيلين مسمى أحدهما علبة السيد -يعتقد أنه قد استراح أسفلها أحد أعيان المكارمة-، أو فقط علبة العين -إشارة إلى النبع-. هذا وقد انتشرت العديد من الأشجار في هذا المجرى الكئيب حتى وصلنا إلى مفترق له، والذي من عنده اتجه طريقنا ناحية الغرب على مسيل رافد يسمى الخليف، بينما قاد طريق أقصر، لا يناسب الحيوانات، مباشرة إلى أعلى.

كنا نسير راجلين جميعاً، لنعطي الجمال بعضاً من الراحة، وذهبت أنا عبر الطريق الآخر الذي يسمى الصدر. كان عرض المسيل هنا حوالي (٢٠٠) ياردة وأخذ يضيق إلى نصف هذا العرض مباشرة عند جلمود يرتفع إلى (١٥٠٠) قدم على اليسار وعند سلسلة سهله على اليمين، والتي تعرج الطريق عليها، وذلك

(١) لا ندرى لماذا فيليي أطلق كلمة (السفاحين) على وطن المكارمة في نجران، وكان من الأجدر أن يقول: (وطن الإسماعيلية). (ابن جريس).

لأن المجرى الفعلي كان بالطبع جافاً ومختنقاً بالجلاميد المتساقطة. اتحد طريق الجمال مع طريقنا عند مضيق سهل يقع قليلاً إلى أعلى، غير أن الطريقتين انفصلا مرة أخرى عند رأس مسيل الشقيقة والذي ينحدر إلى (١٠٠٠) قدم نحو مجرى خيرة، إلا أنه مهد لنا طريق مختصر يقود إلى صدع آخر في الجدار يسمى شربة البغدادي، على ذكرى زائر من العراق، كان قد سقط في اللجج وقتل نفسه. استمر الطريق منحدرًا ولكنه لم يكن صعباً مع وجود مساليل جانبيه متكررة تدخله، بينما، وبالقرب من قمة صدر، علماً بأننا لم نصل بعد إلى قمة الممر، كانت الصخور تحمل عدداً من النقوش الثمودية وبعض الرسوم، متضمنة ثعباناً ووعلاً.

يجري مصرف ضحل على ارتفاع (٦٠٠٠) قدم فوق سطح البحر يسمى أليب إلى رأس المسيل، كاشفاً عن مساحة معتبرة لعدد من القبور البدائية. يجري الطريق الرئيس الآن، وبسهولة، أعلى الجزء الصعب الأعلى لصدر إلى موقع المضيق، والذي من جانبه الآخر يجري مسيل يسمى أسجعات الأتاب إلى أسفل حيث الجزء الأسفل من مجرى بدر (قاب). بينما تجري تعرجات أخرى قصيرة أعلى السفح المنحدر إلى حيث القمة الفعلية لكل من الجلمود والمسيل. يسمى هذا الموقع برأس نقب الخيرة، وترتفع إلى (٦٤٠٠) قدم فوق سطح البحر، وإلى حوالي (١٢٠٠) قدم فوق الخناق وتشتمل المساحة على ممر ضيق، محفور عبر حاجز صخري يقود إلى رأس منحدر قصير وسهل يسمى شعيب المجزعة الذي يقع إلى أسفل على الهضبة العالية الفعلية. كانت قمة الحاجز حوالي (١٥٠) قدماً أعلى من الممر وتسيطر على منظر مدهش للجبال المتدرجة ناحية الجنوب.

استغرق تسلقنا الممر أقل قليلاً من الساعتين. امتطينا الآن الجبال وتحركنا إلى أسفل سالكين منحدر مسيل الشرفاء السهل لنقابل مجرى يسمى صلف بن نجم الذي يقبل من جهة الشمال الغربي متجهاً إلى رأس شعيب مجزعة، الذي يجري شرقاً بدوره ليقابل مضيق قاب. يقع طريقنا أعلى سلف بن نجم إلى عند رأسه الذي لا يبعد كثيراً وذلك حينما تتبعنا سلسلته في اتجاهٍ غربي موازٍ لشعيب أعرب وهو رافد آخر من روافد قاب. أوصلنا هذا إلى هضبة متدحرجة صعبة صخرية عليها غطاء نباتي جديد خاصة أشجار القرظ، وشجيرة تفرز سيقانها لبناً تسمى الشرفاء، وهي ليست شبيهة لنبات الدني العطري في حضرموت. يرتفع أعلى هضبة قره هذه والتي يمكن رؤية كل من بدر وقرن سبط فيما يليها، إلى حوالي (٦٧٠٠) قدم فوق سطح البحر، وعليها قشرة رقيقة سمكها حوالي (٢٠) قدماً من صخر رملي يعلو فوق الصخور النارية التي قد تحفرت في كل اتجاه بخطوط الصرّف العديدة. تعرج الطريق بين رؤوس هذه الخطوط العديدة نحاشياً لها، وذلك بالسير على المناطق المرتفعة، وقد كانت مسيرة مرهقة.

وصلنا إلى مقبرة مهجورة يقال إنها تذكّر لمعركة قديمة وقعت بين يام وجيرانها سنحان (قحطان) في وادي تثليث^(١). ثم وصلنا بعد قليل إلى عدد أكبر من القبور ووجدنا لوحاً من الصخر عليه نقوش باللغة العربية العادية. وجدنا أيضاً بجوار الطريق، صخرة وعليها اسم إحسان بن هاشم، الوكيل الفعلي للرئيس للمكرمي الغائب داعي. صعدنا تدريجياً إلى مستوى أعلى للهضبة، ونحن الآن

(١) كانت الصراعات بين القبائل قديماً مستمرة، وفي أغلب الأحيان تكون حول الحدود وموارد المياه وأماكن رعي البهائم وما شابهها، وقد يتولد عن تلك الصراعات حروب وثورات تستمر لعدة عقود. (ابن جريس).

على ارتفاع (٦٨٠٠٠) قدم، فوق سطح البحر عند كومة حجارة بالقرب من الرف الصخري الرملي تعلم رأس شعيب ملطي الذي ينساب أيضاً شرقاً إلى قاب. كانت هنالك أكوام عديدة من الحجارة بالقرب من هذا الموقع إلى جانب مواقد للنار كبيرة تسمى محنداً^(١) والجمع محانذ، ولعله كان موقعاً تعسكر فيه القبائل، كلها كانت مبنية وبناية من ألواح لصخور رملية وكانت كبيرة الحجم للحد الذي يسمح بوضع شاة كاملة في قدر فوقها. مررنا حول رأس شعيب ملطي ووصلنا إلى مجموعة أخرى من أكوام الحجارة، كان أحدها يحمل نقشاً من ثلاثة أحرف، في موقع يسمى منسه على رأس واديين عريضين هما غضيف وتنمة واللذان يتحدا فيما بعد ناحية الشرق لينسابا في قاب. تتبع طريقنا اتجاه صخرة تنما، والتي تقع على مسافة (١٠٠) قدم أسفلنا في الصخر الجرانيتي، وذلك لبعض الوقت، ثم هبطنا آخر الأمر إليها في درب مائل محفور على الصخر. لقد غربت الشمس منذ نصف الساعة وأظلم المكان، غير أن بدر نفسها كانت علي بعد مرمى حجر منا، وكنا مكتفين بدخول عاصمة المكارمة تحت ستار الليل، تاركين استكشافها إلى الصباح.

لقد أعد لنا معسكرنا فوق الرمال الباردة البيضاء في بطن وادي بدر الذي كان لا يزيد عرضه عن (٢٥) ياردة في هذا الموقع وكان مسوراً على الطريقتين بسور كثيف من أشجار التين البري التي تقدم ظلاً كافياً كل الوقت إلا عند منتصف النهار، حينها كنا نجلس تحت الأشجار نفسها. كان موقعاً ممتعاً. قابلنا هنا محمد

(١) المحند: عبارة عن حفرة تحفر في الأرض، وتبنى أطرافها بالحجارة كي تمنع سقوط الأتربة في بطن الحفرة، ثم يوقد الحطب فيها حتى يصير جمرأ، بعدها يطهى اللحم عليه بطريقة فنية يجيدها العاملون في هذه المهنة. وهذا النوع من الطعام يكاد يكون منتشرأ في أنحاء المملكة اليوم. (ابن جريس).

النشمي وذلك عند وصولنا بعد أن قدم لجمالنا المرهقة كمية وافرة من البرسيم وأعواد الدخن التي كانت هنا نحيلة أكثر وكانت أكثر عصيراً مقارنة بتلك في نجران وفي وادي حبوना. لم تضع الجمال وقتها في تقرير صلاحية البرسيم لها وبعدها ومما يدعو للتسلية هو أن نرى الرجال وهم يقدمون أعواد الدخن بأنفسهم للجمال وقد غلفوها بأعواد البرسيم! وظلوا يمسون بالعلف إلى أن يتأكدوا من إدخاله تماماً إلى أعماق فم الحيوان وحتى يتأكدوا من أن الخليط قد تم ابتلاعه تماماً. لم يكن هذا موضوع ضرورة اقتصادية لأنني على كل حال سأقوم بتسديد الفاتورة لمن يهتمهم الأمر، ولكن لعلمهم بأن البرسيم مادة دسمة ويخشون أن يسبب البرسيم الإسهال للحيوانات في مثل هذا الطقس البارد. كانت أدنى درجة للحرارة في تلك الليلة، تم تسجيلها، هي (٢٣) درجة فهرنهايت أو تسع درجات تحت الصفر. سجل مقياس الحرارة عند الساعة الثامنة صباحاً درجة الصفر، إلا أن الشمس قد أدفأت الجو أثناء النهار لتعطينا أقصى درجة حرارة في الظل وقد كانت (٩٧) درجة، وكانت الليلة التالية هي أول ليلة ملبدة بالغيوم منذ أن غادرنا نجران، وقد كانت أدفاً كثيراً إذ كانت درجة الحرارة الدنيا هي (٣٥) درجة.

بعد أن أشرف الأمير على راحة حيواناتنا، صحبنا كلنا إلى منزله في البلدة حيث وجدنا هناك وليمة رائعة في انتظارنا وقد تناولناها بما يجب من الاهتمام بعد طعام المجاعة الذي كنا عليه في اليومين السابقين. كان كل أتباعه حاضرين وكذلك حضر الموظفون ولكن لم يكن هنالك أحد من الأعيان المحليين ولذا كان الجانب الاجتماعي للعشاء فاتراً. عدنا لهذا السبب بأسرع ما نستطيع إلى المعسكر، فقط لنفاجأ بإزعاج آخر هو حضور الأمير وعدد من موظفيه يرغبون في الاستماع إلى الأخبار التي كانت خليطاً تلك الليلة افتتاح جلسات اللجنة الملكية الفلسطينية،

القصف الجوي على مدريد، واعتراف النمسا وهنغاريا بضم الحبشة إلى إيطاليا. علق محمد النشمي بعد أن استمع إلى هذه الأنباء بقوله: إن فلسطين لا بد وأن تكون في موقف صعب بعد كل هذا القصف الجوي! خطر بذهني أنهم كلهم لم يفهموا ما قد سمعوه. أعترف بأنني بعد ليلتين (١٤ نوفمبر) أخفيت خبراً مهماً، كان عليّ أن أطلع رفاقي عليه. لقد بحثنا عند الغروب ذلك المساء بلا فائدة عن هلال رمضان الجديد، وهياناً أنفسنا، في شيء من الارتياح، لقضاء يوم آخر عادي قبل أن يبدأ الصباح. لقد علمت من إذاعة القدس في وقت متأخر من المساء أن الهلال قد شوهد هناك وقد أعلن الصيام ابتداء من الغد، غير أنني رأيت من الأفضل ألاّ أخبر أحداً عن هذا الأمر، إذ لا يزال الأمر موضع نقاش عند السعوديين في الجزيرة العربية إن كان الهلال قد شوهد في بلاد أجنبية أياكون إثباتاً شرعياً يعتمد ليثبت عدم ضرورة مشاهدته في الجزيرة العربية؟

ترتفع بدر إلى (٦٦٠٠) قدم فوق سطح البحر، وتقع في وادي ضحل هو وادي بدر الذي تكون بالتقاء مسيلين، هما الخضرة والخانق، وهما يقبلان من عند طرف الهضبة العالية في الربع الشمالي الغربي. يتصل شعيب المهجر الذي يقع أسفل القرى مع وادي بدر، ويصرف وادي المهجر الجزء الغربي من الهضبة، ثم يتصلان بعد مسافة قصيرة، مع مجرى تنما - غضيف لينسابا جنوباً باسم وادي قاب ليتصلا مع وادي حبونا بالقرب من آل فايد. تتصل بهذا النظام فروع تصريف عبيدة عند نقاط مختلفة، غير أن وادي الخضرة، وعلى جانبه رأسان هما: قرن سبط ناحية غرب الشمال الغربي وشعيب الخانق، والذي يقع رأسه في مضيق ممتاز، وقد قمت بزيارته في وقت لاحق، هذه هي الخصائص الرئيسة التي يعود إليها هذا الازدهار الذي تستمتع به بدر كقرية.

لا بد وأن تكون بدر في أيام أوجها في عصر المكارمة مركزاً ذا أهمية عالية وعظيمة حكماً بما يشهد عليه ما تبقى من قصورها ومبانيها والفلل ذات الحدائق وما شابه ذلك. بقي اليوم هيكلها، مشققاً ومدمراً، وقد ذهبت عنها الحياة وقد حافظت التربة على طهارتها، إن لم تهمل مستقبلاً. قد قيل: إن الكثير من الضرر المتعمد قد وقع على المباني والممتلكات الخاصة بقيادة المكارمة أثناء الاحتلال اليمني لهذه المقاطعة عام ١٩٣٣-١٩٣٤م، بينما لم يتضايق الأتراك، أثناء احتلالهم الطويل المدى لليمن، من عام ١٨٧٢م إلى ١٩١٨م من بدر ونجران وتركوا المكارمة فيها لقيادتهم المؤقتة التي صاحبت مكانتهم الدينية بين قبائل يام. تمزقت الآن آخر بقايا كل من بدر ونجران. ولا يحكم الحشاشون بعد اليوم في أراضي سلفهم. لقد سقطت حتى الكرامة الدينية المرتبطة باللقب المكرمي «داعي» وذلك بوفاة آخر حامل له قبل العهد السعودي، وهو علي محسن في نجران في الشهر الذي سبق زيارتي الثانية، ولم يسمح لسلفه الطبيعي، حسين أحمد، الذي يعيش في هذا الوقت في المنفى في مكة، باستخدام اللقب.

اختفى هكذا أثر لسلطة قديمة عاشت تلك السلطة -بالطبع- على ما كان يسهم به المتعصبون لها بالمال والعتاد في مقابل خدماتها الدينية، غير أن كل هذا قد انتهى الآن. قرر ابن سعود فور انضمام نجران أن يدفع جملة واحدة كل توقعات الأسرة المكارمية لمنحة المعاش على حساب الحكومة المركزية. لقد تقرر، بعد التقسيم الكامل لكل الأحوال، أن يتلقى كل شخص على قيد الحياة من أفراد المكارمة يقيم في منطقة يام، سواء أكان رجلاً أم امرأة أم طفلاً - مبلغاً من إدارة المالية السعودية يُعدّ معاشاً سنوياً مدى الحياة ويتألف من (١٥) ريالاً نقداً و(١٦) صاعاً لكل فرد (٦,٥ كيلوجرامات ونصف الجرام أو ١٣٥,٥ رطلاً ونصف الرطل) من القمح

والدخن والتمر. لا يبدو هذا مخصصاً أميرياً، غير أنه -وليس لدي أدنى شك- كان كريماً بما فيه الكفاية بالنسبة للأحوال في بلاد يام، بينما بالطبع، احتفظ المكارمة بكل مساكنهم وأملاكهم الزراعية ويمكنهم إضافة الكثير إلى معاشهم هذا.

فقد أجري إحصاء للمكارمة الذين يعيشون في نجران وبدر وأجزاء أخرى من أرض يام مثل وادي حبونا وذلك لأجل تطبيق هذا القرار، ووجد أن العدد الإجمالي الذي يخصه الأمر هو (١٤٥) شخصاً فقط. كان العبد الأولي الإجمالي الواقع على الخزينة السعودية، والذي سينقص تدريجياً بوفاة صاحب المعاش الأساسي، في حدود (١٧٥) شخصاً بمعدل ريالين (قُل) ١١٠ جنيه استرليني ذهبي) وبعضاً من (٢٦) طناً من المواد الغذائية.

تتألف المجموعة المكارمية في بدر في هذا الوقت من عشرة أفراد ذكور بالغين وتابعيهم، بينما كانت هنالك أسرة في المجمع، كما رأينا، في وادي حبونا، والبقية كانت في نجران. وإذا اعتبرنا أن الأسرة الواحدة تتألف من سبعة أشخاص، فإننا نحصل على مجموعة (٧٠) من المكارمة في بدر، بما في ذلك إحسان بن هاشم وكيل عميد الأسرة (حسين أحمد) وإبراهيم وهو خال بعيد وصل حديثاً من الرياض. وقد بدوا لي كأناس متواضعين بلا هالة حول نبلهم القديم، برغم أنهم يبدوون سعداء عند الحديث عن تقاليدهم القديمة والتي يقولون أن الأتراك قد احترموها بتركهم لها وللحالهم. توجد البعوث الرئيسة للمكارمة في ضاحية حشا في المدينة غير أن هذا الجزء قد تضرر كثيراً على أيدي اليمنيين، ويبدو معظم الناس الآن وهم يعيشون في فللهم.

لا يبدو أن تأثيرات حركة المكارمة قد انتشرت كثيراً بين العناصر البدوية في يام التي -ونقول الحقيقة- كانت ذات احترام قليل للدين. لذلك، يوجد أتباعهم

بين الأقسام المستقرة للقبيلة وفي ثلاث مناطق رئيسة. ينتمي معظم السكان في بدر - وهم أساساً زراعيون- إلى قبيلة وعلة من آل فاطمة، وهذا القسم هو الذي تحت الظروف الحالية لا يزال يكن بالولاء وفي شراسة للنبالة القديمة ويتعلق بالقيادة الدينية حتى في الشدة. يمكن القول - بصفة عامة - إن مذهب المكارمة أو الإسماعيلين قد تمتع بقبول واسع نسبياً في كل الأجزاء المستقرة المأهولة في محافظة نجران، بما في ذلك حبونا وبدر، خلال القرون الثلاثة الماضية، ويبدو أنهم سيختلفون الآن لعدم وجود الاهتمام الشعبي الصادق وعدم التشجيع الرسمي للإدارة الجديدة التي تمتعت بالميزة العظيمة في كونها قد استطاعت بالفعل أن توضح ليس فقط اتباعها العنيد لمبادئ الإسلام، بل مقدرتها على فرض السلام والأمن فوق أرض نادراً - إن لم يكن مطلقاً- ما تكون قد تمتعت بهاتين العظمتين. إذا ماتت الإدارة الإسماعيلية كما افترض. على أنه لن يكون خارج الموضوع هنا أن أسجل للذكرى، بعض الحقائق البسيطة حول تاريخ هذه الحركة في منطقة نجران. ارتكز معظم ما سيرد من معلومات على دراسة خاصة عن المكارمة، تمت قبل سنوات أعدها الشيخ فؤاد حمزة، الذي كان وكيلاً لوزير الخارجية في فرنسا (حتى عام ١٩٤٢م) وتركيا، وحيث ظل هناك حتى عام ١٩٤٣م.

امتاز الشيخ فؤاد بأنه جمع كل مادة دراسته من حسين أحمد نفسه، عميد الأسرة الحالي، وكما أظن، في مقابلة له مع علي محسن، الذي كان على قيد الحياة حينها، في نجران، فقد ساعده حسين أحمد بنقل فقرات من الكتب المقدسة للإسماعيلين والتي -بالطبع- احتوت على مادة سرية كثيرة حول المذاهب المعدة أصلاً لفئة قليلة من الناس التابعين لهذه الطائفة، ولم يكشفها له. لا أدري ماذا حدث لهذه الكتب من ذلك الوقت، وربما لا تزال في ملكية حسين أحمد في مكة.

الإسماعيليون فرع صغير وسمري من فروع الشيعة وأيضاً يسمون بالسبعية من الحقيقة الرئيسة في أنهم يعترفون فقط بالأئمة السبعة الأول من أسرة النبي (صلى الله عليه وسلم) وأنهم ملهمون تماماً، ويعدون الأخير منهم -وهو محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق- الإمام المنتظر أو المسيح. يوجد طائفة أخرى معدة لفئة قليلة، تابعة للشيعة، وتسمى الاثنا عشرية وتختلف عن الإسماعيلية باعترافها بكل الأئمة البالغ عددهم (١٢)، يتتهون إلى جعفر العسكري (المهدي المنتظر)، ويرفضون أن يكون محمد بن إسماعيل هو الإمام السابع لهؤلاء الأئمة، وذلك لأن الإمام السابع في قائمتهم هو الإمام موسى الكاظم. يكفي هذا لعرض الحقائق الرئيسة للموضوع. تفرع الإسماعيليون، بمرور الوقت، إلى فروع مختلفة، كما هو متوقع، تحت قيادة رؤساء محليين موقرين، وليس من الضروري ذكر أسمائها كلها حتى لو استطاع المرء ذلك! كانت الفروع الثلاثة الرئيسة هي:

- ١- الخواجية، ومقرها الهند تحت القيادة التقليدية للأغاخان، الذي -فيما أعتقد- يزعم بتسلسل خطي لنسبه من الحشاش الأصلي.
- ٢- الداودية ويتمركزون في بومبي تحت قيادة طاهر سيف الدين.
- ٣- السليمانية وأصل مقرهم اليمن وهم يعترفون الآن بقيادة مكرمي داعي الحالي والذي له قائم مقام في بدر باغ في الهند لجمع وإرسال مساهمات ذلك القطر إلى الجزيرة العربية.

يبدو أن فرع السليمانية التابع للإسماعيلية قد نشأت مؤسسته التبشيرية من بلدة تسمى طيبة وهي ليست بالبعيدة إلى جنوب صنعاء، غير أن المبشرين الأصليين في اليمن كانوا هنوداً من الهند. يبدو أن عدداً من المبشرين الهنود قد نشروا دعوتهم في السنوات بين (١٥٦٧م و ١٦٧٧م) في جنوب غرب الجزيرة

العربية، بافتراض أنهم يمثلون للأصل الأبوي له وممولون بواسطته والذي ربما كان هو الفرع الذي يسمى الخواجية أو الشمسية. كان بين هؤلاء المبشرين، مهما كان الأمر، من الهنود، شخص يسمى داؤد بن عجب، وآخر يسمى سليمان بن حسن الهندي، وقد حدث الانفصال أو التباعد بعد وفاة داؤد وأدى هذا إلى بروز فرعي الداودية والسليمانية للحركة. يبدو نتيجة لهذه الحادثة، أن الداودية حصرت نفسها في النطاق الهندي، تاركة العمل العربي بكامله للسليمانية، والتي يعتقد أن اسمها قد اشتق من اسم سليمان حسن الهندي، والذي واصل عمله من بعده ابنه جعفر ابن سليمان. لقد ورث الأخير بوصية عند وفاته مهام والده، حوالي عام ١٦٣٣م، ورسالته إلى واحد من الدعاة العرب واسمه إبراهيم بن محمد بن فهد ابن صلاح بن مكرمي. كانت هذه بلا شك بداية قصة المكارمة كهيئة دينية، رافقها النجاح بإقامة سلطة مؤقتة^(١).

يزعم الرئيس الحالي للأسرة، وهو حسين أحمد، أنه من سلالة قحطان وقد قدّم إلى الشيخ فؤاد حمزة إقراراً شاملاً حول شجرة نسبه والتي تضمنت ليس اسم إبراهيم الحالي، بل اسم والده محمد بن فهد بن صالح المكرمي، والذي ينظر إليه في الرواية المحلية بأنه أول المكارمة الذين استقروا في بدر.

لقد أخبرنا بأن ابنه إبراهيم الذي وصلت إليه بالتوالي عباءة النبي الهندي والذي كان اسمه جعفر بن سليمان، الذي كان يدعو لمدة (٤٤) سنة قد توفي عام ١٦٧٧م، مورثاً سلطته إلى حفيده، محمد بن إسماعيل والذي ربما كان من سلف

(١) لمزيد من التوضيحات عن نشأة المكارمة وظهورهم في بلاد نجران، انظر: فؤاد حمزة. في بلاد عسير،

الخط المباشر للداعي الأخير واسمه علي محسن (أو علي بن محسن) والذي لا أعرف شيئاً عن شجرة نسبه، والتي لم يسجل الشيخ فؤاد حمزة عنها شيئاً. يأتي حسين أحمد، الرئيس الحالي للأسرة، في الخط المباشر للتسلسل من والد إبراهيم محمد، وهو غير ابن آخر يسمى أحمد.

من المحتمل جداً، تبعاً لذلك، كما هو الأمر في حالة البايات في تونس مثلاً أن تَوَكَّى منصب الداعية يتم تناقله إلى أكبر الذكور من بين أفراد الأسرة.

أخذت أسرة المكرمي اسمها من اسم مكرم بن صبا بن حمير الأصغر والذي تمثله شجرة الأسرة التقليدية بأنه منفصل من حفيد نوح بما لا يزيد عن (١٨) جيلاً، لنقل (٥٠٠) أو (٦٠٠) عام مضت.

أنجب مكرم حسناً، وأنجب هذا صابحاً الذي أنجب علياً، الذي أنجب بدوره عمر الذي أنجب عبدالله الذي أنجب بدوره محمداً الذي أنجب داؤد التامر الذي أنجب بدوره صالحاً الذي أنجب فهداً الذي أنجب بدوره محمداً الذي أنجب كلاً من أحمد وإبراهيم. أنجب إبراهيم إسماعيل الذي أنجب بدوره محمداً الذي تولى رتبة الداعي المكرمي الثاني خلفاً لجدّه. أحمد الابن الثاني لمحمد، وقد أنجب حسين علياً الذي أنجب حسيناً الذي أنجب علياً الذي أنجب حسيناً الذي أنجب حسناً، الذي أنجب أحمد الذي أنجب حسيناً وهو الرئيس الحالي للأسرة، والذي يحمل فرعه الاسم الخاص «ذي جدين» الذي يشير إلى الأصل المكرمي من الجانبين الأب والأم.

كان آخر الدعاة الحاكمين واسمه علي محسن قد تولى اللقب عام ١٩١٢م وتوفي، كما ذكر سابقاً، في سبتمبر ١٩٣٦م وحمل اللقب المميز «الشبام» -بلدة

في اليمن غير تلك المعروفة في حضرموت- والذي يدل على أنه مكرماً أصيلاً، على الأقل من جانب والده. حمل اللقب نفسه أحد أسلافه في منصب الداعية واسمه حسن بن إسماعيل الذي خلفه، عام ١٨٤٦م، توفي عام ١٨٧٢م، وربما كان قد تزوج من داخل الأسرة واعتبر ذا خصائص كافية لأن يكون داعياً.

ليس من المستحيل ألا يكون حسن هذا هو والد حسين الذي بدوره هو والد محسن والذي هو والد آخر داع، واسمه علي وفي هذه الحالة بالطبع، فإن المذكور أخيراً لم يتسلسل عبر الخط المباشر من عند محمد بن إسماعيل، الداعي المكرمي الثاني. لقد كان الداعي السادس عشر في الترتيب، والذين فيما بينهم غطوا فترة (٣٠٣) سنة من الحكم من عام (١٦٣٣م إلى ١٩٣٦م).

يبدو أن أول الدعاة المكرميين هو إبراهيم بن محمد قد عاش وعمل طيلة أيام حكمه داعياً (١٦٣٣ - ١٦٧٧م) في طيبة في اليمن، غير أن والده، لسبب ما- ربما فقط ليتخلص منه- قد هاجر شمالاً واستقر في بدر وكان من أول المكرمين الذين يفعلون ذلك بصفته مواطناً فقط، إذ لا يوجد أي سجل يدل على أنه قد مارس أية ضرب من السلطة، على الرغم من أنه قد نجح في خلق علاقات طيبة مع قبيلة يام، والتي سيجني ثمارها في وقت لاحق.

خلف إبراهيم على طيبة حفيده محمد بن إسماعيل والذي كان قد تعرض إلى متاعب، خلال فترة الأربعين عاماً التي حكم فيها، من جهة الحكام الزيديين في اليمن. كانت نتيجة العداوات السيئة بالنسبة له، فهرب إلى القنفذة التي تقع على ساحل الحجاز^(١). وجّهت إليه الدعوة وهو هناك بواسطة قبيلة يام في نجران،

(١) القنفذة: - إحدى الموانئ الرئيسة لبلاد تهامة والسراة على ساحل البحر الأحمر، وهي تقع بين مكة المكرمة وجازان، وهي إلى مكة أقرب حيث تبعد عنها (٣٠٠ كم) تقريباً. للمزيد انظر: شرف البركاتي. الرحلة اليمنية ص ٤٦ - ٦٧، ١٣٣، عاتق البلادي. بين مكة واليمن، ١٠٩ - ١٦٩، سهيل صابان. مصادر تاريخ الجزيرة العربية في تركيا (الرياض). مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م) ص ٦٧ وما بعدها. (ابن جريس).

والذين استجابوا بالعقل إلى جانب عقيدته، ويعزي الشكر إلى جهد جده الأكبر، ليستقر في نجران. رحب بطلبهم وجاء إلى نجران كأول داعٍ فيها. كانت هذه وبوضوح هي الحادثة التي أشار إليها حسن المكرمي في المجمع بأنها وقعت قبل (٢٣٠) عاماً. يمكننا الآن أن نضع تاريخاً مبدئياً لهروب محمد من اليمن إلى القنفذة ووصوله إلى نجران، ولنقل أنه كان عام ١٧٠٦م. توفي محمد بعدها بأحد عشر عاماً وخلفه خاله هبة الله بن إبراهيم كداعٍ ثالث. وعند وفاة هبة الله، خلفه ابنه إسماعيل داعية رابعاً، وهو بدوره قد خلفه عند موته عام ١٧٦٠م واحد من أشهر الدعاة المكارمة في نجران، شقيقه حسن، الذي ظل يحكم حتى وفاته عام ١٧٧٤م، وخلال تلك الفترة نشر دعوة المكارمة إلى حضرموت ونجح في إدخالها إلى وسط جزيرة العرب استعداداً للهجوم على القوة النامية للدولة السعودية في كل من الدرعية والرياض. عاد منصب الداعية بعد وفاته إلى نسل محمد بن إسماعيل ومن المحتمل أنه منذ ذلك الوقت انحصر التأثير الإقليمي للمكارمة في منطقة نجران، التي كانت من أكثر المقاطعات اضطراباً وخروجاً على القانون في كل الجزيرة العربية. كان الذي تولى أمرها بعد حسن بن هبة الله هو عبدالعلي، الذي حكم مدة قصيرة، لا تزيد عن ست سنوات، كداعية سادس، وانتهت فترته عام ١٧٨٠م.

منذ ذلك الوقت ظلت الخلافة، عدا الحالتين اللتين كان الدعاة فيهما أجنب من فرع الشبام، الذي ورد ذكره، داخل الخط المباشر المنطلق من عند هبة الله. كان ابنه علي وأبناء الأخير، وهما عبدالله ويوسف قد توليا الدعوة، فأولهما هو الداعي السابع وثانيهما هو الداعي الثامن، وحفيدهما حسين بن حسن الذي كان الداعي التاسع. كان الداعيان العاشر والحادي عشر هما بالتتالي حفيدا حسن بن هبة الله وهما إسماعيل، وحسن. بينما كان ابن إسماعيل واسمه أحمد، الداعية

الثالث عشر بعد حكم أول المتطفلين الأجانب واسمه حسن بن إسماعيل . كان الداعيان الرابع عشر والخامس عشر هما أحفاد أحفاد الجد الأكبر لهبة الله، علماً بأن خطهما الوراثي الصحيح غير معروف. وهم كما يلي، عبدالله بن علي الذي توفي عام ١٩٠٥م وعلي بن هبة الله الذي توفي عام ١٩١٢م، ليفسح المجال لآخر الدعاة وهو علي محسن. هكذا كانت السلالة الحاكمة لسته عشر شخصاً حكموا نجران لما يزيد قليلاً على ثلاثة قرون- بمتوسط (١٩) سنة لكل منهم، غير أن الاثني الأولين، وكذلك الأخير-وفيما بينهم- حكم ثلاثتهم مدة (١٠٨) سنوات، علماً بأن الحكم كان لفترة بسيطة من الوقت في نجران، حيث حكم (١٥) داعية مدة (٢٥٠) سنة، بمتوسط (١٥) سنة فقط لكل منهم، وتجاوزت ثلاث فترات فقط منها مدة العشرين عاماً. تبقى الإشارة بعد هذا إلى أن الدعاة السليمانيين يعترفون دوماً بالسلطة التي تركزت في رئاسة ظل في الهند -في بدر باغ والتي يعتقد أنها اشتق منها اسم بدر، أو العكس-. لا يوجد سجل قديم حسب علمي لاسم بدر في منطقة نجران.

كانت هذه هي الأجيال لحشاشي الجزيرة العربية. فماذا عن وضعهم في هذه الهضبة الصحراوية الغريبة؟ ترتفع التلال والسلاسل في الجوار المباشر لبدر بلطف بارتفاع (١٠٠) إلى (١٥٠) قدماً فوق مستوى الوادي، وفوق واحد منها، ويطل على الجانب الأيسر للوادي، تقف قلعة بدر التي تم بناؤها فوق حجر صخري طبيعي مربع ضلعه (١٥) قدماً، أسود اللون. كانت هذه الصخرة في أزمان قديمة، فيما يعتقد، تقع ضمن سيطرة المكارمية لأغراض عسكرية، مثل صهر المعادن ولعل الأفران الكبيرة التي كنت قد أشرت إليها ذات ارتباط بهذا النشاط، الذي توقف منذ زمن بعيد.

تسمى مجموعة من التلال الصخرية الرملية التي تقع على الجانب الأيمن للوادي باسم «جبل تنور» وذلك لوجود واحد منهما يشبه -إلى حد بعيد- فرناً كبيراً مستديراً قطره (٣٠) بوصة وعمقه (١٨) بوصة، وعلى الرغم من أنني لم أكن مقتنعاً تماماً إن كان هذا الحجر الفرن من عمل الإنسان أو كان طبيعياً. يحمل أعلى هذه الهضاب آثاراً لمتاريس ذات خصائص حرية. تسمى قلعة بدر محلياً باسم قشلة أو «ثكنات»^(١) لا يميزها تركيب هندسي معماري، فهي عبارة عن بناء عادي من طابقين مبني من اللبن ويعتقد أن الدعاة قد أقاموه ليؤدي وظيفة مركز للرئاسة الإدارية والعسكرية. تعيش فيه الآن قوة الشرطة السعودية، والقلعة صغيرة إلا أنها بالتأكيد تسيطر على منظر ممتاز للمحيط المجاور.

تقع بلدة بدر نفسها، وقد انتشرت على سفوح الجانب الأيسر للوادي الذي تناثرت فيه مزارع غير منتظمة وحقول ذرة صفراء، في ثلاثة أقسام تتجه من الشمال إلى الجنوب، فوق مساحة تقدر بأربعمائه أكرات وتتألف، تقريباً من (٧٥) منزلاً. تنتشر البلدة، كما قد رأيتها من عند القلعة، على شكل وتر تغطي الربع الجنوبي الغربي مع وجود ضاحية حشا على اليسار، التي تندمج في انسياب مع الضاحية الوسطى سند التي كانت قد انفصلت بشريط من حقول الذرة الصفراء والحدائق، عرضه (٢٥٠) ياردة من عند ضاحية المضمر الشمالية إلى اليمين وعلى الجانب الفعلي للوادي، والتي تنفصل عن البقية بأرض بساتين.

(١) الثكنة أو القشلة: - هي في الغالب بناية مكونة من عدة أدوار وأجنحة وممرات وغرف تستخدم لأمر عسكري وإدارية من قبل الإمارات والحكومات التي قامت في شبه الجزيرة العربية خلال العهد الماضي. ولا زلنا نشاهد أطلال بعضها في أجزاء عديدة من البلاد. (ابن جريس).

لم يكن هنالك شيء جذاب في البلدة، التي -بصفة عامة- كانت تمثل مظهراً للتدمير والتآكل، غير أن بعض المنازل الكبيرة ذات الثلاث طوابق أو الأربع الخاصة بالمكانمة، خاصة في ضاحية حشا، فإنها ما زالت تحكي قصة الأيام الأحسن. يقع أكثر الأقسام المريحة في الوقت الحاضر، في البلدة، في الفلل المبعثرة التي تكون منفردة أو في مجموعات وتقع داخل الحدائق والبساتين. تقع الفلة صاغر المنعزلة الوحيدة ناحية اتجاه أسفل الوادي وعلى بعد الميلين من القلعة، وبجوارها ثلاثة بيوت تابعة الحمضة تكون على يمينها، وكلها داخل حدائق جذابة بالقرب من مكان التقاء وادي بدر ومحجر. تقع قريباً منها وعلى الجانب القريب مجموعة أكبر من المساكن داخل حديقة أكبر وتسمى خضران وبها سبعة منازل. تقع الصبيخة عند منتصف المسافة بين القلعة وصاغر وهي فلة منفردة وملحقة بها حديقة بينما تقع القرية الصغيرة التي تسمى قضان (سبعة منازل) في داخل الحقول المكشوفة على يمين المجرى. توجد عشرة منازل بين قضان وحشا، كلها على الجانب الأيمن، وملحقة بها حدائقها وتسمى جعران، بينما تقع الفلتان المسميتان الرحبة عند منتصف الطريق بين القلعة وقضان على الجانب الأيسر. يكتمل المنظر بوجود برج مراقبة نحيل على الجانب الأيمن للوادي ويقع قريباً من معسكرنا إلى جوار عشة حقيرة من اللبن تقع قليلاً إلى أسفل وكما يوجد مزرعتان في كل منهما بئر وكلاهما يقع أعلى موقع التقاء الخائق مع الخضرة، كما يوجد بئر صالح على الجانب الأيمن للخضرة، وبئر قيس على الجانب الأيسر للخائق^(١). يبلغ عمق بئر عزيزة في المضمّر حوالي تسع قامات وبرجها مبطن بألواح من صخر رملي ويبلغ

(١) لقد شاهدت آباراً عديدة في منطة نجران، وبعضها يظهر عليها العمق الشديد في باطن الأرض وكذلك قدم تاريخ حفرها، ومنها ما لحقه الخراب والدمار، وبعضها لا زال يستخدم بالرعاة وأهل البوادي والأرياف. (ابن جريس).

قطرها (٢٠) قدماً ويتم سحب الماء منها بواسطة ستة حبال، وكان يعمل منها اثنان فقط حينما قمت بزيارته .

انتشرت أشجار نخيل طويلة هنا وهناك في القرية، وقد شمخت برؤوسها الرشيقة، غير أنها هنا في بدر، وفوق الهضبة المرتفعة بصفة عامة، فإنها كانت فقط للزينة. تحمل هذه الأشجار الثمار كطيعة الأشياء، غير أن الثمار كانت صغيرة لا تؤكل، ويرفضها حتى البدو. يبدو أن الهضبة تقع على ارتفاع يفوق ذلك الذي يناسب الإنتاج التجاري لأشجار النخيل، والذي أتخيله أن يكون في حدود حوالي (٥٥٠٠) قدم على أقصى تقدير في هذه الأجزاء. أذكر كتاباً تم نشره أثناء الحرب العظمى لقصة مجهولة لتجسس مضاد تركزت في مدينة عربية تقع في حوض أشجار نخيل وشجيرات البن، غير أنني بالتأكيد لم أر هذه التوافقية في الحياة. كان أعظم ما تخصصت فيه بدر، هو زراعة أشجار التين، التي كان أجودها ما كان نامياً بالقرب من الوادي، حيث توجد أسوار ضخمة منها هناك وهي أكثر ما تكون تشتتاً في البساتين. كانت أشجار التين في هذا الوقت تسقط أوراقها سريعاً، وبرغم ذلك فهي لا تزال ذات ظل كافٍ. ينمو العنب كذلك هنا ولكن لا يجد العناية ويقال إنه ينتج ثماراً من نوعية متدنية. كانت هنالك شجيرات الرمان بكثرة ولكنها قد أهملت وتركت لرحمة مياه السيول إذ لم تعد تروى بمياه الآبار- لذا كانت ثمارها متوسطة النوعية. كانت هنالك أيضاً أشجار الخوخ وأشجار فواكه أخرى، ولكن على مستوى انتشار محدود، لقد انحصر كل النشاط الزراعي في بدر في زراعة الحبوب، يتخللها محصول برسيم معتبر والذي كان يجد تسويقاً جيداً في الجزيرة العربية. ينتج الدخن هنا محصولين في السنة، مقابل ثلاثة أو أربعة محاصيل في نجران وحبونا وقد تم حصاد محصول الخريف

بالفعل. ويزرع كل من القمح والشعير على مدار العام في تتابع متصل، على الأقل ثلاث، ربما أربعة مرات. كان محصول أواخر الخريف في هذا الوقت في مرحلة تكوين السنابل، ووقت حصاده ليس بالبعيد. بينما ينمو معه المحصول التالي في المساحات المكشوفة والذي قد بلغ ارتفاعه بوصتان، ويتوقع حصاده في أوائل مارس.

لقد وجدت بعض الرسومات الغربية على صخور جبل تنور^(١) حيث الفرن، غير أنني أستطيع أن أؤكد، حتى هذه اللحظة، غياب النقوش حول بدر نفسها- بمعنى أنه لا توجد نقوش قديمة- علماً بأن النقوش العربية قليلة الفائدة كانت متوافرة. كان من بين الرسوم العديدة لثعابين تتلوى، وصورة لكائن يشبه فرخ الضفدع وصورة لسحلية كبيرة، -ربما تمساح-، وشيء شبه السمكة برأس مستدير تحيط به أشعة. كان من أميز طيور بدر طائر الأبلق وثلاث حمامات خضراء (غرد). كما كانت طيور يمام الصخور والحمام في وفرة. إلى جانب أبلق آخر، كما تحصلت على طائر أبيض الحنجرة الأصفر ولعله كان يقضي الشتاء هنا.

هكذا كانت بدر. هرع رجل يجري نحوي، قبل مغادرتنا لها، يطلب العلاج لابنه الذي فقد سمعه حديثاً بعد هجمة للحمى. لم أستطع أن أفعل له شيئاً، وتحركنا في مسيرتنا، بينما حلق فوق رؤسنا صقر، يقال إنه يبحث عن شاة، وكان هذا أسلوب فقدانهم للشياه من حين لآخر.

(١) جبل تنور: -نسبة إلى التنور المعروف عند أهل البلاد، وهو وعاء يصنع من الفخار أو الحجارة، ثم يفرس في الأرض ويعمل فيه الخبز. وهو معروف عند معظم سكان جنوبي البلاد السعودية إلا أنه يختلف في شكله وأحجامه وطريقة استخدامه من مكان لآخر. (ابن جريس).

هبّت علينا رياح باردة حادة شرقية ونحن نصعد وادي الخانق، تكون حيناً في بطنه وحيناً خارج شريطه، ونكون أحياناً ممتطين دوابنا، وأحياناً أخرى مترجلين عبر الأجزاء الصعبة المنحدرة والتي أجهدت حيواناتنا البائسة. كان معنا المرشد الجديد الذي اعترف لنا بعد أن تحركنا منطلقين بأنه لم ير مطلقاً النقوش المزعومة على سلسلة العشة أمامنا، والتي وظفه الأمير من أجلها، الذي كان قد رآها بنفسه خلال رحلاته، لأجل أن يقودنا إليها. كان في صحبتنا، لحسن الحظ، أحد رجال الأمير واسمه ضاوي، وهو أصم كالحجر، وقد صرّح بأنه يعرف الطريق إليها. اتصلت سلسلة مبنى البيت الطويلة على يميننا تجاه الشمال مع سلسلة منخفضة تسمى مرقان ومن فوقها سلسلة سفلى تسمى العرف تبعد حوالي ستة أميال من طريقنا ناحية الشمال الشرقي.

يقال إن هذه السلسلة الأخيرة العرف هي رأس المسائل التي تقود إلى أسفل إلى حزيمة وإلى وادي ثار. يجري طريقنا في هذا الوقت عند منتصف المسافة بين مجري الخانق والخضرة، ويكون أقرب قليلاً إلى الأخير منهما، وهو يجري فوق سطح من حجارة رملية صعبة وتنمو عليه أشجار القرظ المبعثرة حتى إذا ما كنا على مسافة أربعة أميال من بدر وصلنا إلى مفترق الطريق، يقود فرع الطريق الأيسر، والمتجه ناحية غرب الشمال الغربي، إلى سوق الأحد ماراً ببركان قرن سبط التابع لقرية أهل صروم. يقام السوق في بدر، بالمناسبة، أيام الثلاثاء تحت الإشراف القبلي لأبي ساق. سلكننا الطريق الأيمن نازلين مع مصرف عين جربوع الضحل والذي يوجد فيه نبع «ميت» في مكان ما إلى أسفل في الطريق إلى الخانق. وقد مررنا في مجراه على زرائب أغنام مبنية من الصخر لحماية الحيوانات ليلاً من الذئاب.

تحولت البلاد الآن إلى أرض شجيرات تنتشر بين مجرى عين جربوع ومجرى نعيمة وسرعان ما وصلنا إلى بئر سبكة (ينطق سبجه) وتقع داخل أخذود خنق نفسه والذي يقع رأسه الفعلي على بعد الميل الواحد تجاه شمال الشمال الغربي. يبدو أن الجمال تهوى قضم أغصان أشجار القرظ، فتركناها لذلك وذهبنا لفحص البئر التي احتوت على ماء وافر على عمق قامة ونصف القامة، كان بعض البئر من صخر طبيعي وبعضها مدعم بالبناء عند قاعدة لصخرة ارتفاعها ٤٠ قدماً والتي لا بد أن ينحدر منها شلال رائع أثناء السيول. كان هنالك رجل من أفراد قبيلة يام ومعه صبي صغير وبعض الماعز تشرب، كما مررنا بقطعان أخرى صغيرة تقوم برعايتها النسوة، تظلل هذه البئر أعداد من أشجار الآثاب (التين البري) وتعد بئراً قديمة قدم الزمن، إلا أنه كان «ميتاً» حتى وقت قريب، وحيث تم حفره بواسطة مرافقي الأصم ضاوي، تحت أوامر الأمير. يوجد على الصخرة رسم جذاب لرجل مسلح بقوس وسهام مهدداً شخصاً عارياً، عديم الحيلة، رافعاً يديه إلى أعلى، رمزاً للاستسلام. كان العضو الذكري في كليهما مبالغ في تصويره، وكانت بجانبها علامة البئر وهي عبارة عن دائرة وبجوارها (١٨) نقطة.

شمخت ناحية الغرب وعلى مسافة ميل واحد السلسلة الصخرية الرملية المنخفضة التي تسمى قهرة زبيدة، وهي الموقع الذي ذكره لنا الأمير والذي توجد فيه النقوش القديمة والصور. توجهنا إلى هناك وكان الارتفاع حوالي (٧٠٠٠) قدم، وأمضيت ساعة ونصف الساعة أنسخ هذه الوثائق القديمة، التي كانت بالفعل تستحق الزيارة، إلى جانب النزهة. تبعد (قرن السبط) على بعد ميل ونصف الميل من هنا.

حيث قررت أن يكون معسكرنا الليلة عند مشارف عتبة أرض جديدة. لقد انتهينا من أرض الحشاشين ومن منطقة نجران وسنكون في أرض قحطان القديمة غداً. كان معسكرنا هنا على ارتفاع (٧٢٥٠) قدماً فوق سطح البحر.

الفصل العشرون

تثليث الأعلى^(١)

شمخت قمة قرن سبط على ارتفاع (٧٦٠٠) قدم فوق سطح البحر. كانت القمة مخروطاً بركانياً قديماً، ولم يكن تسلق سفحها المنحدر البازلتي أمراً صعباً، إلا أن الصخر المعدني قد أثر بفعل بحقله المغناطيسي على بوصلتي التي بدأت تعمل بأسلوب غريب مما فرض عليّ أن أصرف النظر عن قيمة اتجاهاتها. كان اتجاه قرن سبط من عند قلعة بدر هو (٣٠٢) درجة بينما كان الاتجاه المعاكس من قرن سبط إلى بدر هو (١٠٨) درجة بفارق أربعة عشر درجة. كانت صخرة البازلت ممتدة في طبقات عمودية ومن ثم برزت من فوق القمة غير أن البوصلة بدأت تعمل بأسلوب عادي حينما استخدمتها في الجزء المسطح الذي تكسوه الرمال. كان عليّ، على كل حال، أن أراجع ملاحظاتي في النجوم لأتحقق من تقلبات بوصلتي، غير أنها كانت تجربة مربكة في حينها. لقد مررت بالظاهرة نفسها من قبل في المخروط البركاني لقرن القاعة بالقرب من طريب، الذي يمكن رؤية بعض تلاله البارزة من هنا: منها أم القصص والعار، إلا أنها ليست واضحة تماماً.

تقع إلى مسافة ناحية اليسار السلسلة المرتفعة لقعم عبيدة (سلسلة أحد) التي كنا قد رأيناها من عند أبها وخميس مشيط، والتي توصلت جنوباً لسلسلة مشابهة

(١) لمزيد من الإيضاح عن وادي تثليث من بدايته في أعالي السروات حتى يصب في رمال أعالي هضبة نجد من الناحيتين الغربية والجنوبية الغربية، انظر: عبدالرحمن الشريف، جغرافية المملكة العربية السعودية، ج٢، ٤١٣ - ٤٢٨، فؤاد حمزة، في بلاد عسير، ص ١٤٥ - ١٤٦، علي الحربي، المعجم الجغرافي... (منطقة عسير)، ج١، ص ٣٠٤ - ٣٠٥. (ابن جريس).

مسطحة بركانية مع زوائد من حين لآخر منها: مشرفة، ونطفة، والمسورة على الجانب الغربي لحوض تثليث الأعلى الذي يمتد أمامنا والذي سندخل إليه سريعاً. ينحدر مجرى شعيب راحة من عند المسورة إلى الجنوب الشرقي من موقعنا، فوق قاعدة تلال عالية ماراً بالبلدة الصغيرة التي تسمى الحرجة (تقريباً غرب قرن سبط) ليصبح باسم وادي الفيض والذي بدوره يتصل مع وادي القصب في قرية القصب، التي يملكها آل حرّان وال جبرة التابعان لسنحان قحطان^(١)، ثم يصبان في مجرى واحد يسمى «المضيّق» وبعد ذلك يطلق عليهما اسم «تثليث». ينحدر في هذه الأرض المتقلبة، إلى الغرب من هذا الشريط، وإلى تلال عبيدة الرافدان العظيمان وهما العرين وطريب. يشترك وادي القصب نفسه مع وادي ثار في حد فاصل حيث أنه يمثل استمراراً لوادي ضحل يسمى البياض وهذا بدوره يمثل استمراراً لمسيل يسمى الخوايس ينحدر من عند الفاصل فوق الشفة الشمالية للهضبة العالية. توجد في مجرى بياض مجموعة من القرى عبارة عن المجمع وقمم جرانيتية بارزة تسمى اضكر ينتهي الطريق من بدر إلى هذا الموقع فجأة على حافة هضبة الحجر الرملي أسفل قرن سبط - حيث تميل الهضبة نفسها لتصرف مياهها جنوباً وشرقاً. ينساب كل من الخوايس ومسيل آخر صغير يسمى وقيره فوق الحافة إلى حوض تثليث. كنا هنا على القاسم المؤثر بين حوض تثليث وحبونا^(٢). نستطيع الآن رؤية شثا والتلال العديدة الواقعة إلى ما يلي ظهران.

(١) سنحان قحطان: - إحدى القبائل الرئيسية لقبائل قحطان الحالية، وهي مجاوره لبلاد نجران من الجهة الشمالية والشمالية الغربية. للمزيد عن عموم قبائل قحطان وأوديتها وقراها، انظر: فؤاد حمزة. في بلاد عسير، ص ١٣٨ - ١٥٠. (ابن جريس).

(٢) للمزيد عن وادي حبونا وتثليث انظر: عبدالرحمن الشريف، المرجع السابق، ج-٢، ص ٤٠٧ - ٤٢٨ (ابن جريس).

بدأت تهب علينا رياح شديدة البرودة ونحن فوق تلك القمة المكشوفة بينما كنت أنسخ النقوش العديدة التي كانت على صخورها، كنا سعداء ونحن نغادر القمة ونعود إلى المعسكر وذلك قبل غروب الشمس. لم يبرهن مرشدي عوض، وهو من أبناء شريف سنحان^(١)، جدارته كمساعد لي حيث أنه لم يفعل شيئاً غير العمل العادي في حدود معلوماته عن بلاده وكان يعتقد بأن الأشياء البعيدة ليست ذات أهمية لثبير التطلع إليها. استطعنا الإمساك بحرباء أثناء النهار والتي بدأت في وضع أعداد ضخمة من بيضها ونحن نعد العدة لإدخالها إلى زجاجة الموت. وضعت مع تقدم الليل (١٩) بيضة، وفي الصباح، وهي لا تزال حية، واصلت وضع البيض. بدأنا نتفقد الهلال الجديد لرمضان بعد وصولنا إلى المعسكر، غير أننا لم نره بسبب وجود شريط من سحب نحاسي اللون متدنياً فوق السماء الغربي. لقد كان كل من الزهرة والمشتري مقتربين من بعضهما وكان ذلك نهاية مناسبة لليوم. لقد تأجل صومنا ليوم آخر. إلا أنني لاحظت أن رجال يام القائمين على العناية بالجمال كانوا قد بدأوا بالفعل صيامهم في بدر (١٤ نوفمبر)، لعل ذلك كان استجابة لتوجيهات من أحد وكلاء المكارمة. إنهم يكملون بذلك يومين من شهر الصيام قبل أن نبدأ نحن برغم أنه من الواضح جداً أن الهلال الجديد كان لا يمكن رؤيته في الثالث عشر من نوفمبر. كان ذلك، على أي حال، أمر خاص بينهم وبين الداعي، وكانوا بالتأكيد ملتزمين بالصيام. أطبق الليل مع رياح غير طيبة وقد امتلأت السماء بالسحب، كان العراء المكشوف بارداً دون ملجأ، غير أنه لم يكن هنالك صقيع.

(١) شريف: ليسوا أبناء سنحان، وإنما شريف عشيرة وسنحان عشيرة أخرى، وجميعهم يعودون في قبيلة

قحطان الأم. (ابن جريس).

يقع قرن سبط على بعد ميل واحد عند طرف الهضبة العالية وفي شريط عريض صافٍ، والذي قد تآكل من فوقه الشريط النحيل للصخور الرملية، أو أنه قد غسلته الأمطار من فوق سطح الصخور الرسوبية التي تقع أسفله. كانت الجلاميد الخارجية للهضبة من البازلت والجرانيت وهي مبعثرة في اضطراب شديد لتمهد مجرى للعديد من الجداول فوقها، والتي تصب مياه الأمطار من خلالها داخل شريط الصرف الرئيس الذي يقع إلى أسفل. توجد عند قواعد هذه المساليل وكذلك في المجاري الكبيرة الكثير من القرى الصغيرة التابعة لسنحان قحطان، وتكون عادة في مجموعات صغيرة. هبت علينا رياح باردة لاسعة من جهة الشرق. فتوقفنا لفترة عند رأس مسيل أثبة، حيث رغبت في مراجعة بعض اتجاهاتي من عند القمة المغنطيسية. اتضح لي أن الاتجاه من هنا إلى ناحية العار، مثلاً، كان (٣٢٢) درجة بدلاً عن (٢٩٧)، وهو فارق (٢٥) درجة. امتدت حافة الهضبة من هذا الموقع وعلى يسارنا ناحية الجنوب الشرقي مسافة ثلاثة أميال ثم اتجهت ناحية الجنوب الغربي في أرض صعبة تسمى العذار والتي يتصرف ماؤها جنوباً عن طريق شعيب مقم الذي يصب بدوره في شعيب أمتره، الذي ورد ذكره، كواحد من رؤوس حبونا. تتجه حافة الهضبة، على يميننا، بعد امتدادها إلى مسافة نصف الميل تجاه الشمال الغربي. إلى جهة الشمال الشرقي لتختفي في الفضاء البعيد قبل أن تدور جنوباً. يقوم مسيلان رئيسان هما الأجوف والخوايس بتصريف مياه الصخرة إلى كل من شعيب السميقة، الذي يقع تحت أرجلنا، وإلى وادي القصب بالتالي.

وصلنا بعد سير صعب على الأقدام مدة نصف ساعة إلى شعيب السميقة عند ملتقى كل من الأثبة والأجوف، من حول الرعن المنحدر الذي نزلنا منه.

تكسو سميكة شجيرات جافة خفيضة وبعض شجيرات الطلح وكان الوادي دافئاً بشكل مريح مقارنة بالبرودة الشديدة في أعلى الجبل. لقد لاحظت أكواماً كثيرة من الحجارة على الطريق، ربما كان قد وضعها جامعوا الحطب المحليون، هذا الحطب الذي ينقل معظمه إلى سوق الحرجة، وذلك لوضع حمولتهم عليها أثناء توقفهم لتهدئة أنفاسهم قبل التقاطها مرة أخرى دون الحاجة إلى الانحناء. يحمل ناقلوا الملح في الهند معهم عصاة ذات قمة مسطحة للغرض نفسه. بدأنا نرى طلائع مزارع المجمع عند منحنى الوادي، حيث يدخل المسيلان وحيث كانت الصخور مغطاة برسوم لحاملي الرياح، وسرعان ما وصلنا إلى أولى قراها الصغيرة واسمها آل قناع على جانب الوادي الأيسر. تقع عرق بن مسلم من وراء آل قناع وعلى الجانب نفسه، وهي قرية أكبر قليلاً إلا أنها مخربة تأتي قرية آل حاجب في مقابل عرق بن مسلم على الجانب الأيمن، بينما تستقر مجبه إلى أسفل قليلاً وعلى الجانب الأيسر وفي قسمين داخل حوضن وتر مهيب من صخور جرانيتية. تقع آل جحيش خلف عرق بن مسلم عند قمم شعيب الوقيرة في موقع دخوله السميكة من جهة الغرب، ويكتمل المنظر بوجود مزرعتين فيهما بئران هما: بئر جلا وبئر الوادي. كانت هذه هي قرية المجمع الواقعة في شعيب السميكة الذي ينساب شمالاً ليتصل مع منخفض بياض. تسمى الصخور الجرانيتية الجميلة باسم تضكرر. كان معظم سكان المجمع غائبين حين وصلناها لذهابهم لسوق الأحد في صروم، ولذا يبدو المكان مهجوراً ومنعزلاً إلا من بعض النسوة وقد علمنا أن الناس هنا قد بدأوا صيامهم في اليوم السابق بأمر من المكارمة! كان أهل المجمع يتبعون سنحان، وكان من المثير أن نجد التأثير الديني للمكارمة ينطبق على إقليمهم. كانت مجمع قرية صغيرة بائسة بها بعض حقول الذرة الصفراء وبها الكثير من الأثل وبعض مساحات للتين البري والرمان.

واصلنا السير مع وادي سميكة مدة ربع الساعة إلى جزيرة ضخمة من جلاميد جرانيت رمادي تسمى حرمة تعلّم رأس أرض يسمى بياض - وهو عبارة عن فرجة واسعة بين مجموعة من تلال حجرية أكثر منه وادياً، إلا أنها تحمل معها إلى أسفل استمرارية مجرى السميكة وهو يجري عبر مساحة زراعية أخرى متجمعة حول عدد من القرى الصغيرة تابعة لآل حيان (سنحان). يندمج بياض، عند النهاية البعيدة، على مسافة تجاه شمال الشمال الغربي مع وادي القصب، والذي لم تكن قراه مرئية لنا من هنا، برغم أنني قد رأيتها من قمة قرن سبط. تنتمي قريته الرئيسة وهما آل حران وآل الجبرة إلى سنحان وعبيدة بالتالي^(١). لقد تسلقت إلى قمة الكتلة الجرانيتية، مزعجاً أثناء ذلك بحركتي هذه ثعلباً، وسرباً ضخماً من حمام الصخور، وأسراباً صغيرة من طائر «الحجل» ومجموعة كبيرة من طيور السوادية. كان الارتفاع عند القمة (٦٧٠٠) قدم فوق مستوى البحر وكان الوادي على مسافة (٢٠٠) قدم إلى أسفل، وعليه نكون قد هبطنا إلى (٧٠٠) قدم من عند مستوى الهضبة، وكانت الأجواء هنا دافئة ومريحة بما فيه الكفاية مما يؤمن لنا وقفة طويلة في منتصف النهار.

نظرت من عند القمة إلى قرية بائسة، وإلى ما حولها من منظر غير منظم لصخور وتلال في هيئة يصعب تصورها. لا يمكن الخروج بأي نظام جغرافي من هذه الفوضى. كان عرض حوض بياض حوالي نصف الميل غير أن معظم قراه الصغيرة تقع على شريط المجرى الفعلي الضيق للسيول. تقع قرية ثغر الصغيرة،

(١) عبيدة: هي ما يعرف اليوم بسرّة عبيدة، وهي من المراكز الرئيسة في بلاد قحطان ومن المحافظات الرئيسة في منطقة عسير. (ابن جريس).

وهي الأقرب إليّ، على بعد ربع الميل وبها ستة منازل فقط. كانت قرية الشويكة والتي تلي ثغر هي القرية الرئيسة وبها (٢٥) منزلاً. وتوجد مزرعة ذات بئر مع اتجاه الوادي على بعد نصف الميل تسمى بئر البغدادي، وبئر أخرى اسمها بئر شويطر على مسافة نصف ميل آخر. كان ذلك هو كل ما يمكن مشاهدته، إلى جانب أرض لزراعة الذرة الصفراء والقمح والشعير، ومجموعات قليلة من أشجار التين والرمان. لقد أطلقت رصاصة أثناء نزولي للحاق برفاقي وهم يستريحون في ظل الصخور عند سفح التلال صوب سرب حمام بني وأسقطت أربعة منها، والتي كانت إضافة نرحب بها لإثراء وجبة الغداء.

يتكون رأس بياض من اندماج كل من وادي شعيب السميكة وشعيب الجيرة ويأتي هذا الأخير من جهة الغرب. وقد سلكناه لمواصلة مسيرتنا المتكاسلة، بعد أن سبقتنا في بداية السير جمال العفش بمسافة ساعة كاملة. كانت طيور الحجل والسيسي كثيرة هنا وبشكل مدهش، خاصة بين الجلاميد الجرانيتية والتي ملأت الوادي في سلاسل وأكوام والتي سرنا بينها بصعوبة، وكنا نمشي أحياناً بدلاً من أن نكون راكبي الجمال وذلك حسب صعوبة الممر الذي جاهدت فيه الجمال بحق. يسمى الجزء الأعلى من الجيرة باسم جنب^(١)، وينحدر من عند السلسلة التي تقع على يسارنا برفقه عدد من الرعنت المتشرة شمالاً لتتصل كلها مع الأرض الجبلية التي تقع على اليمين من موقعنا. مررنا بمجرى أزيبات أثناء خروجنا من جنب وذلك لعبور هذه الرعنت، والذي بدوره سيلتقي مع جنب بعيداً إلى الأسفل.

(١) جنب: - المقصود بها سرة فحطان اليوم وهم أساساً من مذبح القحطانية. لمزيد من التفاصيل عن ذكر اسم (قبيلة جنب) في التاريخ، انظر: الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٣٩، ٢٠٥، ٣٢٢، عاتق البلادي. بين مكة وحضرموت، ص ٧٢ - ٧٦. (ابن جريس).

لقد قابلنا في الطريق مجموعة من القرويين وهم عائدون من سوق الأحد الذي أقيم في وادي صروم الذي يقع أمامنا. أوصلتنا سلسلة أخرى متعارضة ومنخفضة إلى شعيب مقصر وهو أحد روافد أزيبات الذي كنا قد سلكناه باتجاه أعلى الوادي إلى سفح بجلاميد ووصلنا إلى ما يليه إلى مزارع وإلى قريتين توأم هما نسلة وآل نزيه ويسميان معاً «العرف» وكلاهما في مسيل السواد. كانت فعلاً قرية واحدة ومنظرية جداً، تقف على سلسلة من جلاميد جرانيتية، والتي نهبط من عندها إلى تفرع المسيل إلى حيث حقول الذرة الصفراء التي تصل إلى الطرف المقابل. يجري من هذه النقطة خط صرف آخر يسمى جنب إلى داخل السواد من جهة الجنوب، ويتجه السواد نفسه إلى مقصر ومنها إلى أزيبات ثم إلى وادي القصب فيما يلي أزيبات.

وصلنا بعد مسيرة خمس دقائق من جنب إلى مجموعة من أربع قرى صغيرة إحداها كانت مدمرة وبلا اسم بينما كانت أسماء الثلاث المتبقيات هي وسط، والعرق ورزقة بهذا الترتيب إلى أعلى. لقد كانت هذه القرى، بالإضافة إلى حفير، ذات أهمية قليلة على الرغم من ازدهار أشجار التين المزروع منه والبري (حمط وأثب) بين الحقول المبعثرة، كما يوجد في حفير نفسها أبراج جيدة. وقفت قرية كبيرة عند ملتقى شعيب الحباب مع جنب، تسمى القرن وفيما يليها قرية المعزب وبئر ورحة، وقد امتلأ الوادي في هذا الموقع ومن الجانب إلى الآخر بحقول القمح والدخن والبرسيم. توجد مزرعة بئر أخرى، تسمى بئر ابن رزقة إلى أعلى وبها قلعة مبنية على هضبة صغيرة مرتفعة، ويبدو أنها تعلم الخط الفاصل بين قريتي العرف التي تقع وراءنا الآن، وقرى آل جشمة التي تقع أمامنا. تواصلت المزارع ترافقها أبراج مراقبة نحيلة متكررة تحيط بالحقول.

مررنا بأل ساري وآل هادي بالتالي لنصل إلى آل جشمة نفسها وهي على جانب الوادي الأيمن، وتقع الزرقان على الجانب المقابل لها، وكانت هذه القرية التوام آخر قرى شعيب جنب، الذي يتصل به هنا عند رأسه مسيل عيب القادم من جهة الغرب، والذي توجد فيه بعض الحقول كما يوجد فيه بئر تنتمي إلى مجموعة الزرقان. واصلنا سيرنا من هنا إلى أعلى حوض عيب الضحل، العاري، إلى حيث ممر من أرض صخرية ينتهي في مضيق الذي كان على ارتفاع حوالي (٧٠٠٠) قدم أو تقريباً على مستوى الهضبة العالية. ثم هبطنا من عنده إلى مسيل شعيب الحماطة ناحية الغرب ومدة عشر دقائق إلى حيث الموقع الذي ينحني فيه بشدة إلى جهة الشمال، تجاه شعيب صروم الذي يذهب بدوره إلى وادي الفيض. يكون مضيق عيب (أو الحماطة) هذا، تبعاً لذلك، الرأس الأعلى للنظامين التصريفيين وهما الفيض والقصب، اللذان يتحدان في الأسفل ليكونا وادي تثليث، غير أن الفيض، كما سنرى، ما هو إلا استمرار لوادي راحة، الذي يحمل بدوره تثليث إلى الخلف إلى منبع بعيد.

تهمني دراسة شعيب الحماطة، برغم أنه غير مميز وكثيب المظهر، لقد عبر درب الفيل المشهور من هنا، عند منحنى الحماطة قادماً من الشمال عبر قرى الفيض وعلى امتداد شعيب صروم (حيث أسواق الأحد)، ومن فوق طريقنا هذا، صاعداً إلى الهضبة العالية عن طريق مسيل رافد ضحل ومنه إلى الطلحة، وإلى ظهران، وإلى سهل الحماد فيما يليها. لقد رأيتُه آخر مرة عند طريب. ولا يوجد ما يميزه هنا غير ذكراه الحية. من المدهش تأمل عمق تأثير درب الفيل على

الروايات المحلية القديمة في أعماق الناس هنا، الذين قد نسوا تماماً كل شيء غيره^(١).

يواجهنا الآن صعود صعب إلى حيث مضيق آخر، يقع على الارتفاع نفسه كما في عيب، التي نزلنا من عندها إلى رأس شعيب صروم نفسه، حيث توجد مجموعة أخرى من قرى صغيرة ومن حقول. يدخل مسيل باقم إلى صروم من جهة الجنوب الغربي، وتكون مجموعة القرى الصغيرة ومجموعة الحقول في هذا الموقع ما يسمى بالديرة، عند الرأس الفعلي لصروم في سلسلة منشر على بعد ميل واحد إلى أعلى من عند طريقنا، وتقع آل حامد على يميننا وتتكون من كل من ابن حقة (التابع لآل زمر) وآل زاهر بالقرب من فم باقم. تعرف كل هذه القرية الصغيرة باسم الصدر أو الرأس (لصروم). يهبط باقم من عند السلسلة البركانية المنفصلة التي تسمى قعمة القلح البارزة من بين الحاجز الرئيس من خلف مجرى وادي راحة. لقد تتبعناه قليلاً إلى مسافة قصيرة فقط قبل أن نصعد إلى أرض ذات منحدرات على امتداد مسيل سوس، الممتلئ بأشجار الطلح. ثم ترجلنا عن دوابنا لنسير على الأقدام إلى أعلى السفح المنحدر إلى رأسه الذي يرتفع حوالي (٧٢٥٠) قدماً فوق سطح البحر، أو على مستوى معسكرنا عند سفح قرن سبط، والذي من الممكن رؤيته الآن ناحية الشرق من موقعنا.

(١) درب الفيل: مشهور إلى اليوم عند سكان شرق بلاد قحطان وشهران، وغيرهما من القبائل الواقعة إلى الأجزاء الشرقية من بلاد السروات. وذلك لعدة أسباب منها:— (١) عبور أبرهة الحبشي بجيشه وفيلته من اليمن إلى الحجاز بغرض هدم الكعبة. (٢) إن حادثة الفيل واقعة مهمة عند المسلمين اليوم، بل هناك سورة في القرآن حول هذا الموضوع، وبالتالي فإن نسيان هذا الطريق وتلك الحادثة أمر صعب وبخاصة الأقوام الذين يعيشون قريباً من هذا الدرب (درب الفيل) وآثاره الموجودة حتى اليوم. (ابن جريس).

غربت الشمس الآن، وواضح أننا لن نستطيع الوصول إلى الحرجة هذا المساء دون أن نترك عملاً كثيراً أود أن أقوم به في هذه المنطقة المتشعبة من البلاد، لا توجد إشارة تدل على جمال الحمل التي كانت قد سبقتنا، ويبدو أنها ضاعفت الخطو للوصول إلى قدور اللحم في الحرجة قبل موعد الإفطار. كان من الممكن لنا أن نتركهم يذهبون ونعسكر في استقلال عنهم لولا أن ساعاتي الكرونومترية كانت معهم ولا بد أن يعبأ نابضها. لقد أرسلنا رسولاً لإحضارها وتحرك بقية الفريق إلى الأمام إلى أسفل شعيب قليطة بحثاً عن موقع مناسب للمعسكر إلى جوار مرعى للحيوانات. كان علينا أن نصعد المضيق التالي لنجد مثل هذا الموقع، والذي وجدنا في أسفله قطعة أرض ذات شجيرات في مسيل يسمى شعيب غربان في وسط جلاميد جرانيتية.

وصلت جمال العفش إلى الحرجة ولم تعد إلينا إلا عند الساعة (٥، ١٠) ليلاً، وقد قادها ناحيتنا ضوء مصباحي والذي يمكن رؤيته من عند السلسلة الثانية، وقد سعدنا كلنا بذلك، خاصة شخصي. لقد تم إنقاذ ساعاتي، والآن يتطلع رفاقي إلى وجبة طعام، ذلك لأنه لم يكن معنا شيء إلا تمر جاف صلب، وهو التموين الراتب العادي لرجال جمالنا، وقد كنا نجلس من حول النار لنشويها كأنها اللوز وذلك لنجعلها مستساغة للأكل. كان التمر بعد تليته بهذا الأسلوب لذيذاً مع تناول الشاي معه.

نظر إلينا المبذرون العائدون نظرة عتاب وهم ينصرفون إلى مواقعهم في المعسكر دون أن ينبسوا بكلمة. ولقد رأيت بدوري أن ألزم الصمت أيضاً، ذلك لأنني كنت المسؤول عن إعادتهم من عند مشارف وليمة إفطار رمضان. شاهد فرج في هذه الأثناء الهلال الجديد لرمضان، وقد فاتني أن أتبه لذلك، إذأ يبدأ غداً

صيامنا. لم يتم إعداد وجبتنا البسيطة الخالية من اللحوم إلا قليلاً قبل منتصف الليل، غير أنه إدراكاً بأن أعمالنا في موضوع النجوم غير ضرورية في مثل هذا المكان، فقد استمتعت بالجلوس حول النار بلا عمل.

لم يكن هنالك صقيع أثناء الليل، غير أن رياحاً شرقية باردة كانت تهب في الصباح عندما واصلنا مسيرتنا ونحن صائمون. وصلنا إلى المضيق بعد مسيرة دقائق قليلة، وتوقفنا عند السلسلة التالية له مدة ساعة ونصف الساعة لتسجيل كل التفاصيل عن المنظر الجديد. لقد نظرت إلى أسفل من عند ارتفاع (٧١٠٠) قدم فوق سطح البحر، إلى حوض وادي راحة، أو راحة سنحان كما يسمونه محلياً. كان المشهد العام لوادي مرتفع ممتلئ بالأشجار يخترق من جهة لأخرى، العديد من المسائل والمصاريف ويعترضه مجرى واحد رئيس يرتفع إلى (٨٠٠٠) قدم أو أكثر من صخور داكنة بركانية تقف على قاعدة مربعة لصخور متقطعة محمرة اللون الأبيض. كما يمكن رؤية جزء من الحرجة نفسها من عند هذا الموقع، وهي ليست بالبعيدة، ولما كان كل فرد الآن صائماً، فلا ضرورة للإسراع.

يدخل وادي راحة، الذي ينساب على امتداد قاعدة سلسلة جبال بعيداً ناحية الجنوب، إلى الحوض العظيم الذي أمامنا، من بين سلسلة جنعان على جانبه الأيسر وسلسلة قعمة القلح عند قرية آل الطويل عند ملتقى مسيل صغير قادم من ناحية الغرب مع المجرى الرئيس. ينساب هذا الآن إلى أسفل عبر حقول آل نجيب المرقطه بالبروج إلى ناحية القرية المتوسطة الحجم التي تسمى آل بحير وتقع إلى الجنوب الغربي لطريقنا المتجه إلى الحرجة.

يمر الوادي بعد ذلك في منحنى عريض لمجره الكثير الأشجار ليتصل به وبالتتابع، كل من شعيب ولج الهابط من عند مضيقنا هذا، والمجرى المشترك بين

قليطة وغريان (يسمى مضرة) والذي يدور حول السلسلة على يميننا ومن خلفنا. كانت كل هذه النقاط تبعد مسافة ميلين ونصف الميل وميلين في خط مستقيم من عند المضيق من هنا. يمر المجرى نفسه، عند قرية آل السويد، على بعد ثلاثة أميال وبقربها يوجد بئر أم قطرة داخل مجال رؤيتنا وهو في طريقه إلى الفيض. تقع قرية ضير، إلى الغرب من موقعنا، داخل مسيل يجري بين جوعان ونتفه، ثم يستمر هذا المسيل ماراً بقرية سلعان الصغيرة والحرجة نفسها ليتصل براحة وذلك بعد مروره بقلعة قديمة تسمى أشرف تقع عند قدم الصخرة الجبلية. يوجد مصب آخر يقع بعيداً إلى ناحية الشمال يسمى شعيب جريدة حيث توجد قرية حجراف على تل في وسط الحقول، وقرية آل حجر عند التقائه مع راحة حوالي ميلين ونصف الميل من موقعنا. يخرج شعيب محله من عند نتفة وبه قريتان صغيرتان تابعتان لآل سرفان وحصونهم المبعثرة، من عند الحاجز الجبلي عند قرية آل زاهر ليتصل مع راحة في آل السويد. يأتي بعد ذلك في الترتيب شعيب شعف وتقع قرية آل محيرث في مجراه ليتصل مع الوادي الرئيس أسفل آل السويد.

كانت كل هذه خطوط تصريف صغيرة نسبياً، غير أن الخط التالي الذي يتبع من عند الحاجز على بعد ستة أميال غرب الشمال الغربي كان ذا أهمية عظيمة. أنه وادي يعوض والذي لم أقم بزيارته والذي قيل إنه يجري لمسافة طويلة بين أحضان الجبال والذي تقع عليه قرى عديدة والتي نرى منها واحدة فقط من هنا هي آل التيس وهي عند مخرجه ناحية المشرف، وهي عبارة عن مخروط بركاني عند طرف السلسلة.

يحضن وادي يعوض الصخور من هنا ويمر من الجانب القريب بالمخروط البارز المسمى قرن الخبط تجاه الشمال الغربي من موقعنا لكي يعبر من خلال التلال المنخفضة ليتصل مع راحة عند أعلى موقع التقائه مع وادي الفيض. يمر يعوض في موقع ما

بين آل التيس وموقع التقائه مع راحة، عبر القرية المهمة التي تسمى آل دليم، مقر إقامة رئيس سنحان الذي يشغل مركزاً إدارياً في الحكومة السعودية^(١) بصفته أميراً على كل بلاد سنحان، مع بعض القيود في أمور المالية والقوانين الشرعية. تتجمع القرى في هذا الوادي داخل الحاجز الجبلي تحت الاسم العام شريف^(٢). يمكن رؤية العار وسلسلة جبال القعم في عبيدة، ناحية الشمال الغربي، في اتجاه طريب.

ذكرتني البلاد التي تنتشر فيها الجلاميد الصخرية والتي نزلنا من عندها الآن، بحيط الطائف. وصلنا خلال عشرين دقيقة إلى مجموعة قرى صغيرة، منها قرية آل بحير وقرية البصرة، وقرية آل نجيب، وقرية فطيس، وقرية القلعة، وقرية آل الصعب، والعديد من الأبراج في أرض زراعية واسعة عند منفرج مسيل السد إلى أسفل ناحية الجانب الأيمن لراحة نفسها حيث توقفنا لفترة وجيزة على صخرة ارتفاعها (٤٠) قدماً من جرانيت مكشوف تطل على القرية المبعثرة والمحطمة. كانت المزارع متواصلة ومستمرة فعلياً من هذا الموقع إلى الحرجة نفسها على بعد ميل واحد فقط، وقد مررنا بين حقول محاطة بالحجارة، وكلها كانت تبدو مهملة ومهجورة غير أنها منتجة وذات محاصيل جيدة وذلك استجابة طبيعية لسيول جيدة، ذلك لأن هذا المزج بين الصخور الجرانيتية والبركانية ينتج عنه عادة تربة خصبة. كانت الحرجة نفسها خارج خط الوادي عند منفرج مجرى تابع لها والذي كنا قد أقمنا معسكرنا في بطنه عند الساعة الواحدة مساءً بعد مسيرة قصيرة في يوم كان كثير العمل.

(١) القرية التي تسمى (آل دليم) أو (الكولة) هي مقر إقامة شيخ شمل قحطان ووادة المعروف ب (ابن دليم). أما سنحان فهي عشيرة من عشائر قحطان المتعددة ومشيختهم في آل راسي، لكنهم جميعاً مع غيرهم من عشائر قحطان ووادة يعودون لشيخهم الرئيس (ابن دليم). (ابن جريس).

(٢) شريف: من قبائل قحطان الرئيسة ويتبعون في مشيختهم إلى ابن دليم. للمزيد انظر: محمود شاكر. شبة جزيرة العرب - عسير (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٠هـ / ١٩٨١م) ص ١٠٥ - ١٠٧.

(ابن جريس).

كنا محظوظين أن نصل إلى هنا في يوم السوق المحلي، ففي الحرجة يقام السوق أيام الإثنين، وكان المكان مزدحماً بالزوار من الريف المجاور. كما يتوقع المرء منهم معظمهم من القحطانيين التقليديين، زبدة فرسان القبائل العربية، غير أن النسوة كن أقل ظهوراً في الأسواق مقارنة بنجران، واللاتي يأتين للسوق منهن كن أكثر تحفظاً من أخواتهن في يام. وصلنا بالطبع إلى السوق في وقت متأخر وكان السوق قد بدأ يتفكك. كان هنالك تجمعاً لا بأس به في السوق، مع ذلك، والذين قد بدا عليهم الاهتمام العميق بشخصي وبتحركاتي. فأينما ذهبت تبعني فيلق من المتفرجين، غير أنني استفدت من هذا لأبعد الحدود، فقد كانوا على استعداد تام للإجابة عن أي سؤال أوجهه لهم، غير أنهم كانوا متشككين ومتخوفين من آلة التصوير. كانوا رجالاً مكتملين قوين، ذوي مظهر أرسطوقراطي أكثر من أولئك، قاطعي الطريق السابقين في يام.

استمعت إلى شكاوى من كل الجهات تدور حول الفقر والبؤس الذي تعانیه بلادهم ويعزى هذا إلى حقيقة أن العربي الحقيقي التابع لقبائل عظيمة لم يكن إطلاقاً مزارعاً. ينظر هذا العربي إلى الزراعة بأنها مهنة تناسب العبيد والخدم، وأن الأرض ستنتقم منه^(١). كان على الأيدي العاملة المؤجرة أو المكروهة أن تستفيد إلى أقصى حد من الأرض ومن الماء المتوافر، ولا يوجد رأس مال متوافر لتطوير الوسائل الزراعية لاستغلالها. ونادراً ما كان يتم حفر آبار جديدة، ونادراً ما كانت

(١) العربي من قديم الزمان يأنف من العمل في المهن المختلفة، بل إن هناك بعض المهن لا يعمل فيها إطلاقاً ويحتقر من يمارسها. أما مهنة الزراعة، وبخاصة عند سكان تهامة والسرارة، فتأتي من المهن الرئيسة التي يقتاتون منها، وما ذكر فيلبي قد ينطبق على البدو الرحل، أما الذين يعيشون في القرى والحواضر والأرياف فإن الزراعة تعتبر مهنة رئيسة عندهم. (ابن جريس).

تصان السدود القديمة، والمساطب والقنوات، فضلاً عن تمديدها. كان على ملاك الأرض أن يقبلوا بما منحهم الله، وقد تكون المنحة أحياناً كافية بالكاد، وتكون أحياناً في وفرة عظيمة.

لا توجد وسائل مواصلات لنقل الفائض إلى الأسواق المربحة، وإذا تم ذلك فهو بتكلفة عالية. كانوا بصفة عامة يعيشون بأسلوب الحياة من اليد للقم ولم يكن هنالك فائض لثروة حقيقية. وقد اتجهوا -تبعاً لذلك- إلى الحكومة وشكوا من انصرافها عنهم وعن الاهتمام بشأنهم. وقد اعتقدوا بأسلوب غامض بأن حضوري لهم مع تبريكات ابن سعود هو تنبؤ لهم بمستقبل أفضل^(١). كان المخزون لغرض التجارة لهذا السوق كما هو في أية مكان آخر هو تلك البضائع التي تباع بالقطعة وهي رخيصة الثمن، والتوابل الضرورية وما يباع في البقالات، والمنتجات المحلية، يرغم أن التمور كان بنداً بارزاً وذلك لأنه غائب.

باشرت الحكومة السعودية قبل فترة سبقت هذه الأيام العمل بتجربة الإدارة المباشرة لمنطقة سنحان، وقد أوفد إليها أمير من الرياض واسمه عبدالله بن عثمان. وسرعان ما دخل عبدالله في خصومات مع العادات المحلية ومع شيخ القبيلة المحلي وقد تم إعادته حديثاً. لقد جاء دليم بن دليم خلفاً له ودليم هذا هو شيخ السنحان الذي كان قد منح لقب أمير على منطقتيه القبلية وكان مقر عمله الرسمي هو الحرجة^(٢)، حيث بقي معه عدد قليل من كتبة الخدمة المدنية من الإدارة النظامية

(١) فعلاً كان الناس في حاله اقتصادية سيئة، ولكن بعد توحيد البلاد في عهد الملك عبدالعزيز، وتوفر الأمن بدأت الأحوال الاقتصادية تتحسن، بل صار الناس يأمنون على أرواحهم وممتلكاتهم بعكس العهود السابقة. (ابن جريس).

(٢) دليم بن محمد بن دليم هو شيخ مشائخ وادعة وقحطان. وقرية الكولة كانت المقر الرئيس للمشيخة ثم حل محلها قرية الحرجة التي تقع بين سراة عبيدة وظهران الجنوب. (ابن جريس).

وذلك لأداء العمل المالي والدخل الضروري، بينما تم تعيين قاضٍ جديد لتنفيذ العدل طبقاً للشرع. لقد ترك كل ما عدا ذلك لصالحات دليم، ولم تواجهه مشكلة في إدارة أمور قبيلته.

كان دليم مشغولاً في المجلس حين وصولنا، ينظر في الدعاوي العادية الموجهة لعناية الأمير في أيام الأسواق، وبمجرد استقرارنا في معسكرنا ذهبت ومعني فرج لزيارته. لقد كان فعلاً بمظهر الرئيس لقبيلة عربية فهو رجل قوي، وفي متوسط العمر، ويظهر عليه السمات السامية. لم يقدم لنا دليم قهوة أو أي منعشات أخرى، وذلك بسبب الصيام ولم أعطله طويلاً عن رغبته في العودة إلى يعوض لينعم باستراحة الظهر وقيلولتها. ومن جهة أخرى لقد كان كثير الحماس، في أن يمدني بمرشدين ممتازين وذلك لاستكشاف إقليمه وقد أصر على أن أعده بزيارة أخرى في وطنه الخاص بعد عودتي من ظهران.

ما كدت أستقر في المعسكر حتى وصل أحد عبيده واسمه شعبان ومعه شاتان قد أرسلهما لنا سيده بغرض إعداد عشائنا. أكرمته -بالطبع- بالبقيش العادي وأدهشني أنه رفض أن يأخذه. لم يكن هذا بالأمر المألوف، غير أنه متوقع. كان هذا الرجل هو نفسه الذي كلفه الأمير في غيابه، مع أوامر مشددة، أن يقوم بتأمين أحسن المرشدين المتوفرين لخدمتي. لقد زارني شعبان عدة مرات أثناء فترة الظهر وبرهن لي على أنه شخص يجمع بين قوة الشخصية وبين السلوك الجذاب. وبرغم أنه مصنف ضمن طبقة العبيد وهو بالفعل زنجي الأصل^(١)، إلا أنه يبدو في تطبيق

(١) كان الرقيق موجودين بكثرة في جنوبي البلاد السعودية، وكان يؤتى بهم إلى البلاد عن طريق الحجاز واليمن وسواحل البحر الأحمر، وربما نجد والخليج العربي. (ابن جريس).

سلطات سيده وكأنه جبل على ذلك. أخبرني أن يعوض تبعد مسافة ساعة سفر من الحرجة، لنقل خمسة أميال في بلاد صعبة كهذه.

كان هنالك القليل من الظل حول المعسكر، وكانت استلقاءات القيلولة عند الظهر كثيرة التقطع وذلك بسبب أشعة الشمس التي كانت تتخلل الموانع التي وضعت في طريقها. كنت أحس بالإرهاق إما نتيجة ذلك، أو بسبب الصيام، وخاصة حرماني من التدخين، عند نهاية فترة العصر، وقد كنت سعيداً بمغيب الشمس في ذلك اليوم الأول من رمضان. لقد أسيء طبخ شاة الأمير للأسف بواسطة زملائي وكان عشاؤنا فاشلاً. أطبق المساء في دفئه تحت سماء ملبدة بالغيوم وهو الأمر الذي تداخل إلى حد ما مع ملاحظاتي للنجوم، ثم برد الجو في وقت متأخر من الليل، وسقطت علينا بعض درجات من الصقيع. كانت أقصى درجة حرارة في الظل عند فترة ما بعد الظهر حوالي (٧٢) درجة فقط، وكانت الحرجة عند ارتفاع (٧٠٠٠) قدم فوق سطح البحر. تنهض القرية، وهذا كل ما فيها، من الجانب الأيسر لمسيلها فوق منحدر لطيف والذي من عند قمته بدت منازلها ذات الثلاثة طوابق شديدة الجاذبية. يقع السوق ناحية الغرب من القرية في مكان واسع مكشوف محاط بجلاميد جرانيتية. اختلط اللون الرمادي لهذه الصخور مع لون البناء الداكن البازلتية للقرية ومع جدرانها المتبقية على امتداد المسيل، لتصنع صورة كئيبة. تدعم هذا المظهر الكئيب قرية من الجبال البركانية الداكنة، الناهضة في معظم أجزائها إلى شريط مستوى مسطح عند القمة يطل على، أو بالقرب من، لج تهامة. ويحمل إلى جانب ذلك قرى مشرف، والنطفاء، وجوعان، وقلح بهذا الترتيب من الشمال إلى الجنوب، وقد ورد ذكرها. كانت أبرز السمات للجانب المرئي من سلسلة الجبال وفي ترتيب تجاه الجنوب هي أبا ثول، وأبا الصبر،

والسعدي، وليطان وحمل - تقع كلها تجاه الجنوب من الحرجة - ثم شيبة. يبدو، من بين هذه القرى، أن سعدي وشيبة مميزتان وقد علمتهما لكي أقوم بزيارتها.

ربما كان مسيل الحرجة هو الذي أشير إليه من قبل باسم ضيسر أو هو فرع منه، عبرنا سلسلة منخفضة، عندما واصلنا السير في الصباح كانت تفصل الحرجة عن شعيب عقيقة والذي عن طريقه وصلنا إلى قرى آل الطويل التي ورد ذكرها تتكون من آل بحير والبصرة إلخ إلخ. ذلك بكونها تقع على أسفل المجرى حيث تتصل مع راحة سنحان التي تقع الآن ناحية اليسار لطريقنا وليست هي بالبعيد كثيراً، إلى جانب قرية أخرى تسمى القروات، التي تشاهد إلى البعيد في مجراه، وقرية آل جهيم الصغيرة التي تقع أمامنا على جانبه الأيسر. قابلتنا هنا فتاة كانت متسلقة لشجرة طلع طويلة، وكانت تقطع بالفأس أغصانا كبيرة منها توفر العلف لقطيع ماعزها الذي تجمع أسفل الشجرة، والذي كان يلتقط الأوراق العصارية الصغيرة وبشبهة واضحة. تمكن الملاحظة الآن وبسهولة كيف أن مثل هذه البلاد من خلال سلوك أجيال مهملة قد أصبحت معرأة من غاباتها. سيكون من عديم الجدوى بالطبع أن نعترض على ما تقوم به هذه الفتاة، فهي بعد كل هذا مسؤولة عن إطعام قطيعها^(١).

تقع قرية آل سويد عند معبر عين الوعل، بالقرب من انبعاث التقائه مع راحة، على بعد نصف الميل باتجاه أعلى الوادي وكانت القرى الصغيرة المماثلة هي آل مونس ومحجر القضا وكلاهما أسفل منا. كما تقع إلى مسافة في آل شماخ مجموعة صغيرة من المنازل، مقابل راحة، وتكون أطلال آل الحمال إلى أعلى منها وعلى الجانب نفسه. كان الوادي ممتلئاً بكثافة بأشجار طلع قديمة طويلة والتي

(١) في الآونة الأخيرة صارت وزارة الزراعة تقوم على حماية الغابات من الخراب وقطع الأشجار، بل هناك قوانين صارمة لمن يمارس أي تشويه أو قطع للأشجار دون إذن مسبق من الجهات المسؤولة عن ذلك. (ابن جريس).

حلقت فوقها البلابل الكثيرة، وقد استغرقت في التفكير إن كان نقار الخشب الذي كنت قد اكتشفته من قبل يصل بعيداً إلى هذا الجنوب. وصلنا بعد مسيرة دقائق قليلة إلى آل حريج وآل جهيم (آل جعدنه). تقع هاتان القرستان في مسيل صغير والذي من عند رأسه هبطنا إلى جانب الوادي راحة مرة أخرى بالقرب من آل حيان وسرعان ما وصلنا إلى القرية الطويلة المتعرجة واسمها القروات. استقرت في مقابل هذا المكان وفي مسيل يأتي منحدرًا ناحية الجانب الأيمن لراحة، القرستان الصغيرتان، وهما هجرة وآل باهر من فوقها.

يدخل الوادي العريض المسمى وادي الحبيط، من عند النهاية أعلى الوادي باتجاه قروات، على ارتفاع (٧٢٠٠) قدم فوق سطح البحر، إلى راحة وعلى جانبه الأيسر. يقود طريق هام يقع أعلى هذا الوادي، ماراً بقرية آل عبدالله، والتي تشتمل على ثلاث قرى صغيرة، ثم الصمعة وتقع أعلاها، ثم إلى ممر عقبة شراقب عند قدم سعدي. هذا هو أفضل وأيسر طريق من بين كل الطرق التي تقود إلى تهامة جنوب منطقة أبها وسأترك وصفه إلى الوقت المناسب، ذلك لأنني سأسلكه في نهاية الأمر في طريقي إلى الساحل.

كان لدينا عمل آخر يشغلنا في هذه الأثناء، وقد عبرنا راحة إلى قرية الحوط التابعة لقبيلة شريف حيث توجد مباني مهيبية غير أنها في معظمها كانت في حالة مدمرة. توقفت هنا في طريق العودة ولن أذكر شيئاً عن ذلك الآن. يجري الوادي فيما يليها تجاه الجنوب لفترة قبل أن يدور فجأة ناحية الشرق في واجهة جبل شبية، الذي كان هدفنا المباشر. وقد سلكنا طريقاً مختصراً، لنصل إلى قاعدته، عبر قاعدة المثلث الذي يكونه الوادي، وهو يتبع خط شعيب الظفارة، الذي يجري إلى أسفل راحة في الحوط.

تقع قرية جزعة على يميننا عند منحنى حاد لراحة، عند مدخل شعيب جيسان من جانب الوادي، وتكون قرية جيسان إلى أعلى الرافد. ذكر مرشدي وهما رجلان قويا البنية من رجال القبائل التابعة لبلاد ابن دليم أن الجزعة وهي أول قرية تابعة لسنحان في راحة، بينما كانت كل القرى الصغيرة التي عبرناها حتى الحوط تابعة إلى آل شريف. لقد كان هذا محيراً لي، ذلك لأنني توقعت أن يكون آل شريف فخذاً من سنحان وبعد إعادة التفكير توصلت إلى الاستنتاج بأن هذا يجب أن يكون هكذا، علماً بأن فخذ شريف، وهو القسم الذي يتبعه الرئيس، يمكن النظر إليه كفرع مستقل لقحطان، مثله مثل سنحان وعبيدة. يجب أن أعترف بأنني غير متأكد من ذلك^(١). كنت قد رأيت قرية آل فاضل الصغيرة وذلك عندما وصلنا إلى جانب الوادي الأيمن لراحة مرة أخرى، وتقع على الجانب المقابل، على مسافة نصف الميل عند قاعدة شيبية. اعترض طريقنا المسيل الصغير المسمى عطيف وتقع عليه قرية آل أبو مخروقة قليلاً باتجاه أعلى الوادي، وذلك قبل أن نصل إلى آل دشان في راحة نفسها حيث نزلنا لنبدأ الصعود.

كان ارتفاع الوادي (٧٣٠٠) قدم وتقع قمة شيبية ناحية الجنوب من موقعنا وهي شامخة فوق رؤوسنا. كانت حقول آل دشان ذات المساطب قائمة في الجزء الأسفل من جانب التل مع جدران متبقية ترتفع إلى عشرة أقدام^(٢)، واحتلت القرية الصغيرة الثانية مستوى أعلى قليلاً، بينما يمكن رؤية آل يصبأ على الجانب الأيسر لراحة على مسافة ميل واحد باتجاه أعلى الوادي. كانت هنالك بعض

(١) نعم عبيدة، وشريف، وسنحان فروع رئيسة في قبيلة قحطان، ولكل قبيلة من هذه القبائل شيخ يدبر أمورها، لكنهم جميعاً يعودون إلى المشيخة العامة لقحطان ووادعة عند ابن دليم. (ابن جريس).

(٢) تسمى هذه الجدران باسم (المدرجات الزراعية) تبنى حول المزارع لتمنع تربتها من الانجراف، وبلاد السروات من الحجاز إلى اليمن تشتهر بهذا النوع من المدرجات. (ابن جريس).

أشجار الفاكهة بالقرب من الوادي في هذه الأرض التي تحتوي أيضاً على حقول ذرة صفراء كان معظمها قد تم حرثه حديثاً، والتي كان السير فوقها صعباً غير أنه ليس بالسطح المنحدر. كان الجزء الأول من الصعود إلى أعلى تجاه الصخرة الحمراء عند قاعدة الجبال البركانية، وقد وصلنا إلى موقع التماس بين الاثنتين - وهو خط طويل مستقيم حاد يقع على ارتفاع ٧٥٠٠ قدم.

كانت كتلة التل فيما يلي هذه من بازلت شبيهه بذلك الذي شاهدناه في قرن سبط، وكان مركباً عمودياً ويبدو أنه من المحتمل أن تكون كل سلسلة السراة من عند قعم عبيدة جنوباً هي من نوعية التكوين نفسه، بينما يوجد أيضاً سبب للاعتقاد بأن الشريط التحتي المحمر البياض يحتوي على البوكسيت. لم تكن هنالك صعوبة في التسلق وذلك لأن مرشدي كانا يعرفان الطريق جيداً، وقد وصلنا إلى قمة سفلى لقمة الهضبة العالية الواسعة، على ارتفاع (٧٨٥٠) قدماً فوق سطح البحر، وذلك في خلال (٤٠) دقيقة من عند القاعدة.

يمكننا الآن أن نسير بسهولة عبر المنحدر اللطيف إلى قاعدة القمة الحقيقية، ومرة أخرى وجدنا الصعود سهلاً، وقد استغرق إكمالنا لكل المهمة حتى القمة (٦٥) دقيقة من عند مجرى رحة، حوالي (١٠٠٠) قدم، وذلك لأن القمة تقف على ارتفاع (٨٣٠٠) قدم فوق سطح البحر. وقد وجدنا عليها مصلى وكانت بعض جدرانها ترتفع إلى ثلاثة أقدام غير أننا لم نجد محراب القبلة التي تقول عنها الروايات المحلية، كما يقول مرشدي^(١)، أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قد زارها وصلى فيها! ^(١) ويقع بالقرب من المصلى تذكارات قديم، عبارة عن لوح صخري عليه نقوش وصور تمثل رمّاحين ممتطين.

(١) هذا ضرب من الخرافات والأساطير؛ فالرسول لم يصل هذه البلاد التي يتكلم عنها فيليبي في هذه الدراسة وبخاصة ما يقع جنوب بلاد بني سعد في الطائف حتى بلاد اليمن. (ابن جريس).

كان المنظر من هذه القمة عظيماً بمعنى الكلمة ويدفع للرهبة، لقد قمت بمراجعة بوصلتي في كل من الحرجة والحوط ودخفة وقد وجدت أنها كانت تعمل طبيعياً وقد أصبح بإمكانني مواصلة العمل بها دون مخاوف في بقية مسوحاتي. فوق آل يصبأ تعرج مجرى راحة حول قاعدة شبية وقد انتشرت فوقه خمس قرى صغيرة التابعة لآل الأشعث على امتداده من ناحية الشمال الشرقي إلى ناحية شرق الشمال الشرقي على بعد ميل ونصف من مكاننا في خط مباشر. وعلى بعد المسافة نفسها كما تقع في راحة أيضاً قرية آل ملعب ومن فوقها قرية العوران الصغيرة. تقع في مسيل شعب آل مسعود الذي يهبط من عند عرن قعمة القلح إلى راحة قليلاً أعلى آل ملعب، قريتان صغيرتان وهما آل خاري وآل الشعب التي تليها من أسفلها.

لم نستطع رؤية أي من قرى راحة أعلى العوران من عند هذه القمة، وذلك لأنها كلها كانت محجوبة بكتلة الجبال. يجدر بي أن أقدم قصتها هنا، وقد رأيتها أثناء عودتي إلى أسفل من المضيق الجنوبي لشبية الذي كان يسيطر على منظر كامل لراحة إلى عند رأسها في قمة مسوره قليلاً ناحية الجنوب الشرقي. كانت هذه البقعة على بعد (٣٠٠) ياردة من القمة وفي ذلك الاتجاه. تقع أولى القرى الصغرى التابعة لراحة وتكون أعلى العوران إلى الشرق من موقعنا وعلى بعد ميل ونصف الميل في خط مباشر، وتقع قرية آل علي^(١) ومعها آل جحلان على مسافة نصف الميل أعلى منها وتقع قرية أهل بقعان إلى أعلى أكثر، حيث يدور الوادي بعنف ناحية الغرب في تدرج منحدر. كما تقع قرية ومزارع آل لوي في هذا الامتداد الذي يصل طوله إلى ميل ونصف الميل قبل أن يدور مرة أخرى ناحية

(١) آل علي: - يطلق عليهم أيضاً آل بن علي، أو آل علي بن علي. (ابن جريس).

الجنوب ليصعد للمرة الأخيرة. نستطيع أيضاً رؤية أجزاء من الصفراء وآل عيفة على قمة الوادي، وهما أعلى من آل لوي، حيث تتجمع مساليل المسورة لتكونه. يتضح للقارئ من هذا أن وادي راحة، من رأسه إلى محيط الفيض هو عبارة عن منظر لمناطق مأهولة باستمرار ومشغولون بالزراعة التي يقوم بها عدد قليل ومبعثر من السكان الذين يعيشون في مجموعات صغيرة ونادراً ما يزيد حجمها عن الأسرة الواحدة^(١).

لنعد الآن إلى المنظر العام من عند القمة ولو من على بعد أمكننا الآن أن نرى، بعض معالم المرتفعات العليا لوادي يعوض داخل الحاجز الجبلي. تقع هذه المعالم فعلياً تجاه الشمال من عند موقعنا، وقليلًا ناحية الغرب وكانت أعلى القرى هي آل العباس التي تقف على صخرة تبدو لصدع عميق في الجبل عند قاعدة القمة الأعلى. يمر هذا المجرى الصخري العميق بآل شارد ثم كانت بالتتابع بعد ذلك قرى آل قبس والشрман وآل صيت مع قرى صغيرة أخرى لا ترى، وذلك لأن المسيل يدور إلى أسفل حول قرية آل التيس حين دخوله حوض راحة. يمكن رؤية الجزء الأعلى من وادي محلة القريب من هنا، وتقع على جانبه قرينا ضبعة وعقلة (الزرقان).

يكفي هذا لمسح المناطق المأهولة التي يسكنها الإنسان. لم تكن بدر نفسها مرئية لنا غير أن قرية قرن سبط كانت بارزة. لقد حملت كل من سلسلة العرف وسلسلة مرقان خط الأفق الشرقي إلى مبنى البيت وإلى دخفة على جانب الوادي

(١) المناطق الجبلية الممتدة من سنحان في بلاد قحطان حتى بلاد الطائف مأهولة بالسكان، وذلك لما تتميز به هذه البلاد من مقومات للحياة مثل: التربة الصالحة للزراعة، والمياه الجوفية، والتضاريس الصالحة للرعي والصيد وجمع الحطب وغيرها من المهن الضرورية لعيش الناس قديماً. (ابن جريس).

الأيمن لخبونا وكلاهما يطل على الخضرة. كان المنظر قميئاً في ذلك الاتجاه بصفة عامة وناحية الجنوب، فيما عدا القمة الجذابة التي ترى في المجال الرئيس إلى أسفل قرية المسورة، ويعرف باسم رميح ويشبه في شكله أحد الأهرامات المدرجة في مصر. انتشر الوتر لجبال خولان العالية من جهة الشرق تقريباً إلى الجنوب الشرقي ثم إلى الجنوب الغربي، وبدا رائعاً غير أنه يقع إلى البعيد حيث لا ترى تفاصيله. لا حاجة لي للحدِيث عن المنظر الشمالي أكثر من ذلك، وذلك لأنه لا توجد سمات رئيسة فيه لم ترد من قبل في قصتي. يترك هذا المجال للربع الذي يقع بين الجنوب الغربي والشمال الغربي - وهو منظر رائع بمعنى الكلمة لجبال عالية ولسلاسل عظيمة متدحرجة ذات أودية عميقة ومضايق خطيرة تبدأ كلها من تحت أقدامنا وتمتد إلى البعيد إلى مرمى البصر وذلك لأننا لم نر سهل تهامة من ورائها فضلاً عن رؤية البحر. تتبع كل هذه الأودية والصدوع والشقوق التي تشاهد باتجاه الغرب، من عند هذا الحاجز الجبلي العظيم الذي يرتفع إلى حوالي (٨٠٠٠) قدم فوق سطح البحر.

يشاهد رأس وادي بيش من عند الحدود الشمالية لمنظر الجرف، وهو يأتي من سلسلة من الصدوع والمسائل التي تجري مناسبة إلى أسفل من عند طرف الحلقة التي تتكون من الجوانب الغربية لكل من النطفاء، وثروع، ونودان، وكتفاء، وليتان، وسعدي، وتقع القرية الصغيرة المنعزلة التي تسمى الجوه عند قاعدة كتفة، غير أنني سأكتب عن وادي بيش بتفاصيل أكثر في فصل آخر. كشف الامتداد الأمامي للجرف، عند النهاية إلى اليسار لهذا الوتر، وفي اتجاه الغرب، عن منظر للشريط الطويل لقمة السراة يمتد إلى البعيد، ناحية مرتفعات أبها، والذي توجد فيه سلسلتان بارزتان بهما قمم عالية، ويجعلهما مرشداي، وقد أعادا إليّ ذكرى

تمنية^(١). وقد ارتفعت أمامهما سلسلتا الجبل الأسود والقهرة، كما أسماها مرشداي، برزت جيسان الغربية، من عند ليتان، الذي ورد ذكره، منطلقاً من عند قاسم مشترك مع مسيل بالاسم نفسه يتجه إلى أسفل، إلى راحة، مائلاً عبر حافة منحدر الجرف عند مروره بأكتاف شيبة الخارجية لينبعج في رأس شعب السهوة الذي يقع أسفلنا (يقبل من جهة الجنوب)، قليلاً فوق التقائه مع وادي بيش، في المكان الذي يدخل منه مضيق ضلع إلى النظام نفسه. يتكوّن المنظر الذي يشاهد أمامنا، حقيقة، من سلسلة من سلاسل متقاطعة متوازية متجهة نحو مجرى بيش على الجانبين. شمخت القمة النبيلة لفيفاء إلى البعيد، وهي أعلى من تلك القمم التي تشاهد على الجانب الأيسر من بيش وتكون من: حمار، والغول، وأثيث، وغيرها - أي تجاه جنوب الجنوب الغربي - ومعها شقيقاتها العملاقة والتي كانت أسماؤها غير معروفة لمرشدي.

كانت الساعة الثالثة عصراً قبل أن ننهي من مهمتنا في شيبة ونبدأ نازلين المنحدرات الجنوبية اللطيفة، المتجهة ناحية قرية راحة التابعة لآل لوي. واصلنا سيرنا على الأقدام مدة ساعة إلى المجرى، الذي كان ارتفاعه هنا (٧٧٠٠) قدم فوق سطح البحر، عند منتصف المسافة بينه وبين القرية العليا من قرיתי بقعان، وكانت كل منهما على مسافة نصف الميل من موقعنا. وجدنا جمالنا تنتظر بصبر، ثم عبرنا منحنى الوادي وكنا نسافر بصعوبة فوق الصخور البركانية. كان كل الوادي أعلى من بقعان ممتلئاً بحقول الذرة الصفراء والشعير وكلها جاهزة للحصاد. كانت بقية الحقول غير جاهزة بعد وكان الدخن نصفه مكسود ونصفه

(١) تمنية: - إحدى مناطق شعف شهران، هي تبعد عن مدينة أبها حوالي (٣٠ كم) جنوباً وتعد من أجمل المناطق السياحية في منطقة عسير. (ابن جريس).

الآخر ينتظر المنجل . كما كان هنالك الكثير من أشجار التين وبعض أشجار الرمان المبعثرة وأشجار أخرى .

تبعنا مجرى الوادي الذي يتجه ناحية الجنوب الشرقي حينما عدنا إليه مرة أخرى ، والذي لا يزال يخترق حقول الشعير والدخن والذي كانت فيه الطبقة المحمرة البياض (بوكسيت) بارزة عند قاعدة منحدراته السهلة البازلتية ، على الجانبين . استدار المجرى أكثر ناحية الجنوب وقد انحصر عند المنحنى ومن أعلاه بآبار من بازلت والتي تقع فوقها مجموعات من شجيرات العثرب وهي مزهرة ، ووردية وجميلة جداً . كان لون الرمال في المجرى في هذه اللحظة أسود عند وأسفل موقع التقاء ثلاثة شعيبات تكوّن رأس راحة . هي : شوقه على اليسار ، والأبتر في الوسط ، وآل عيفة على اليمين ، مكوّنة في موقع التقائها حوضاً ضحلاً . وصلنا بعد مسيرة خمس دقائق إلى أعلى مجرى عيفة الذي كان مكسواً بحقول الشعير إلى حدود القرية ، وصلنا كذلك إلى نهاية عمل اليوم . كان معسكرنا قد تم إعداده فوق أرض غير مزروعة على بعد (٢٠٠) ياردة من حد القرية الصغيرة وبعيداً عن عمليات الطبخ التي كانت تجري قبل غروب الشمس لهذا اليوم من رمضان . كانت هذه مسيرة يوم كامل لبعض رفاقنا تحت ظروف الصيام ، غير أنني فيما عدا الامتناع عن التدخين ، لم أحسّ بأي مضايقة ولما كان لدينا أكثر من ساعة كاملة قبل الإفطار فقد انطلقت في جولة استكشافية .

لا يمكن تمييز منازل القرية بين بساتينها ما عدا برج مربع بارز . كانت تحتوي على أشجار تين متخشبة ، غير أنني لاحظت أن مواد بناء المنازل هنا ، كما في العديد من القرى الصغيرة إلى أسفل ، تحتوي على نسبة معتبرة من الصخر المحمر مع شيء من البياض ليخفف كآبة البازلت الشائع . انتشرت حقول الذرة الصفراء

عبر الوادي، مع قليل من مساطب ترابية عند رأسه تكونت من اتحاد مسيلين صغيرين، ينحدران من عند كتف مسورة، والمحجر من جهة الغرب ومن هيجة من جهة الجنوب الشرقي. يصرف كل من الأبر وشوقبة إلى أسفل، سفوح مسورة تجاه الجنوب الشرقي، غير أن حوض آل عيفة محصور داخل دائرة من تلال منخفضة، حددت علينا مجال الرؤيا في كل الاتجاهات. كان الارتفاع عند آل عيفة نفسها حوالي (٧٨٠٠) قدم فوق سطح البحر، بينما كانت رؤوس كل من المحجر وهيجة وكلاهما معاً يعدان الرأس المؤثر لوادي راحة ومن ثم لوادي تثليث، فهما يرتفعان فوق ذلك بحوالي (٢٠٠) قدم.

وصلنا الآن إلى ارتفاع (٨٠٠٠) قدم فوق سطح البحر لأقصى حد ممكن لتثليث وهو أعظم وأطول وادٍ في الجزيرة العربية، يبدأ من هنا على مرأى من البحر الأحمر - في يوم صافٍ جميل -، ويجري شمالاً مسافة (٣٠٠) ميل ثم يدور ناحية الجنوب الشرقي عبر وادي الدواسر والربع الخالي على الخليج العربي. من المؤكد أن الطول الإجمالي لهذا الوادي أكثر من (١٠٠٠) ميل. لقد رأيت الآن ثلاثة أقسام معتبرة من تثليث في مساره شمالاً، والآن ولأول مرة يمكن وضع مساره على الخريطة مع درجة من الدقة. يتقاسم شعيب شوقبة مستجمع الماء الذي يقع على مسافة الميل الواحد من هذه المنابع، مع وادي الحمرة وهو واحد من المصادر العديدة لوادي حبونا. لم ير أوربي غيري أي جزء من هذين الواديين العظيمين. شعرت بنشوة الارتياح وأنا أرى شمس يوم صيامنا الثاني وهي تغرب^(١).

(١) للمزيد من الإيضاح عن وادي تثليث انظر: عبدالرحمن الشريف. جغرافية المملكة العربية السعودية،

بدأت السحب تتجمع في السماء قبل الغروب، وقد سقطت بعض القطرات بالفعل. أفطرنا بالأسلوب التقليدي، حبات من التمر وفناجين من القهوة حول نار المعسكر قبل صلاة المغرب وقبل العشاء، وكنا نجتمعهما دائماً أثناء السفر. ثم تعشنا وقد اجتمع كل من القمر والزهرة والمشتري في مثلث منفرج الزاوية في مساحة خالية تقع بين السحب وكأنها تراقب ما كنا نقوم به. اكتظت السماء بالسحب سريعاً، وكان عليّ أن ألزم الصبر حتى ينكشف السحاب عند منتصف الليل لأقوم بملاحظات حول النجوم. أدرك النوم كل المعسكر وكل القرية الصغيرة بينما ظللت أنا ومعي سعد نعد المزواة لنثبت موقع تثليث.

صحونا مبكرين لتناول السحور قبل بداية صيام يوم جديد وعدنا إلى نومنا بعد أداء صلاة الفجر وكانت الشمس قد ارتفعت عندما دبت حركتنا مرة أخرى. لم يكن الجو بارداً أثناء الليل حيث كانت الدرجة الدنيا (٣٧) درجة. بدأت صعود مسورة مع مرشدي بمجرد أن أحسنا بدفء شمس الصباح، تاركين البقية يخلدون للراحة في المعسكر إلى حين عودتنا. لقد أزعجنا سرباً من طائر الحجل كان داخل حقول الذرة الصفراء أثناء سيرنا عبر مسيل محجر الصعب، كانت أشجار التين ممتلئة بمجموعة من طيور السوادية والبلابل، ويبدو أنها كانت تستمتع بالتقاط الحبوب. كانت طيور الأبلق وافرة على سفوح الصخور وعلى أطراف المزارع، متضمنة النوعين النموذجي والجنوب الغربي (O.S.bottae). (O.lugentoides) وجدت عند رأس المسيل منبع محجر آخر، ناحية اليمين، يجري أسفل الجانب الشمالي لسلسلة عيفة ليتصل مع راحة عند المنحنى الحاد أعلى قرية آل لوي^(١).

(١) ربما يطلق أيضاً على قرية آل لوي اسم (آل الهويج). (ابن جريس).

تبتعنا الآن الكتف الأسفل لمسورة تجاه الجنوب مارين برؤوس هيجة، ويقع الجرف الرئيس لها على يميننا، يسقط في مدرجات منحدره من صخور سوداء إلى مضيق شعيب الغول والذي كان يزدهر بالشجيرات والأشجار الخضراء. كما كانت الهاوية كالحلة المنظر.

وصلنا الآن إلى ما يبدو أنه المستوى العام لحاجز قمة السراة، الذي يكون حافة الجرف وقد برزت فيه النقاط العالية مثل شيبة ومسورة وكأنها أهرامات عظيمة.

قابلتنا فتاة راعية أثناء هبوطنا إلى قاعدة مسورة، وهي من قبيلة سنحان وكانت ترعى قطع أغنامها في هذه المرتفعات المنعزلة وقد تبادلنا معها التحيات ولولا الصيام لكان صاحبها جرعات من اللبن. كنا على ارتفاع (٨١٠٠) قدم، عند هذا الموقع، فوق سطح البحر ولم نجد صعوبة في الصعود إلى القمة التي ترتفع إلى (٤٠٠) قدم. كانت القمة عبارة عن مسطبة مسطحة صغيرة تنتشر عليها جلاميد ضخمة وألواح من بازلت يصل قطرها إلى حوالي (١٠٠٠) ياردة. كانت الصخور هنا مغناطيسية للأسف، كتلك التي شاهدناها في قرن سبط، وقد أحسست بعدم الارتياح لأداء بوصلتي واتجاهاتها غير أن المنظر مرة أخرى كان عظيماً.

كان منظر حاجز السراة، كما يرى من هنا، ناحية الشمال، منسقاً على شريط يبدأ من عند شيبة إلى الشمال الغربي من موقعنا وليس بالبعيد منا وينتهي عند مرتفعات تمنية وأبها ناحية غرب الشمال الغربي، بينما توجد في الاتجاه المعاكس السلسلة العالية البركانية التي تسمى مرعة والتي يقال: إنها تطل على باقم من ناحية الغرب، وتقع فعلياً ناحية الجنوب.

ويبدو أن حافة الجرف داخل الأراضي العربية السعودية من عند الحدود في ممر علين إلى مرتفعات أبها، تكون وترأ لطيفاً، يتجه ناحية الجنوب الغربي ليحتضن البانوراما الرائعة لقمم الجبال والسلاسل العالية والمضايق العميقة التي تؤلف مرتفعات تهامة، هذه المساحة التي تختلف كثيراً من السراة العارية من حيث الطقس ومن حيث مجموعاتها النباتية والحيوانية. أنها تنتمي إلى الإقليم الأثيوبي تحت المداري ولا تنتمي إلى الجزيرة العربية، وتبدو كأنها شريحة من الجبال الأثيوبية قد تركت على الجانب الخطأ للمياه وذلك حينما تكون وادي الصدع العظيم بعد مخاض الأرض في العصور القديمة^(١). وقف جبل فيفاء، من هذه الجبال العظيمة، في شموخ ومعه كل من حشر ومنجد وزهوان وقمم عالية أخرى كثيرة وسوف أتجول بينها كثيراً ولأسابيع كثيرة.

يجري الشريان العظيم لوادي بيش في وسط هذه المساحة الضخمة مع عروق جانبية له تربطه مع الجبال من على الجانبين. يصرف جزؤه الشمالي ناحية البحر عن طريق وادي بني شعبة متجهاً نحو شعيب ضلع بالقرب من أبها. كان الشريان الرئيس النائي، فيما يلي هذا، ويقع خارج نطاق الرؤيا، هو وادي حلي، بينما في الجنوب وداخل حدود مجال الرؤيا، فإن المرتفعات كانت مجردة بروافد وادي جازان. سيتم وصف كل هذه بتفاصيل أكثر في فصول لاحقة^(٢).

(١) عن تضاريس بلاد السروات وبخاصة المنحدرات الغربية منها انظر: عبدالرحمن الشريف. المرجع السابق

ج٢، ص ٢٧٥ - ٣٨٨. (ابن جريس).

(٢) لمزيد من الاطلاع عن الأدوية التي تصب من بلاد السروات ناحية الغرب حتى البحر الأحمر، انظر:

محمود شاكر. المرجع السابق، ص ١٣ وما بعدها، عبدالرحمن الشريف، المرجع السابق، ح٢، ص

٥٣ وما بعدها. (ابن جريس).

تقع المنابع العليا لوادي حيونا على الجانب الآخر، ناحية شرق ضلع السراة، وذات أهمية كبيرة لي ذلك لأننا سنهبط إلى هناك قريباً بمجرد فراغنا من مسحها من أعلى، وهي تنهض في دائرة تتجه ناحية الشرق للجبل عند ما يقدر بست نقاط ويجري عبر الهضبة الحجرية الرملية المكسرة وغير المنسقة إلى مضايق صخرية تقود إلى أسفل إلى حيث الوادي العظيم. نبدأ برأس شعيب مقم الذي يقع عند سفح قرن سبط - أو بدلاً من ذلك من عند رأس الخانق - بدر- قاب فيما يليه- فإن أكثر المنابع أهمية هي:

١- سلسلة مرحض وتقع على بعد أربعة أميال من مسورة، وعرن جنوبي قعمة القلح الذي يكون رأس وادي الحمرة وهو ينساب إلى قرى الطلحة.

٢- الفرع الشرقي لمسيل شوقبة الذي ينحدر إلى وادي الحمرة عند سفح مسورة.

٣- شعيب قحيث وهو مسيل على الجانب الشمالي لمسورة، يصعد بالكاد نصف الميل عن القمة، ويجري متعارضاً أسفل الجبال ليتصل مع شعيب الدرة الذي يهبط من قمة رميح من عند القريتين التوأم التابعتين لآل ثابت، ومن عندهما ينساب ليتصل مع الطلحة أعلى منفذه بين حقول وبساتين كل من المحجر وطرف الذراع.

٤- شعيب آل فروان، وبه قرية ابن داهش الصغيرة (آل فروان) وتقع على جانبه الأيسر وينساب مستقيماً إلى موقع آخر من جوانب شثا. تتقارب كل هذه عند مضيق الضيقة الذي يقع مباشرة أسفل طرف الذراع لتكون مجرى أم طرا، والقرى التي تقع أعلاه، والتي تشمل على الطلحة وغيرها بالإضافة إلى تلك

التي ورد ذكرها، وتسمى كلها في شمولية «الغيل»^(١). يمكن بالكاد رؤية مجرى ظهران من هذا الموقع، ويمكن تأخير الحديث عن اتصاله مع الروافد المختلفة فيما يليه ومع حبونا إلى الفصل الآتي.

أشرت إلى أن سلسلة السراة وقممها كانت بصفة عامة عارية، وأن التأثير الذي تركه في المرء هو الجفاف مقارنة مع الغطاء النباتي الثري للأودية ولسفوح الجبال الواقعة ناحية الغرب. كانت هنالك بعض أشجار العرعر، حتى في الأطراف السفلى من مسورة، وليس، حسب معرفتي، في شيبة التي لم أرها منذ مغادرتي مقاطعة أبها، كما كان هنالك غطاء نباتي خفيض وبكثرة خاصة في المسائل المناسبة له وفي الصدوع منها أشجار الطلح والشث والجبر والثول والطباق والحوشة والمستعار (نبات حساس) والعثرب وردى الأزهار^(٢). كان النباتان الأخيران متوافرين بكثرة خاصة حول حقول آل عيفة التي قد عدنا إليها الآن وذلك لمواصلة مسيرتنا إلى الحوض الأعلى لحبونا. لقد اكتشفنا، على الأقل، منابع تثلث، وقمنا بوضع الحل للمشكلة التي كانت قد شغلت الجغرافيين مدة قرن كامل.



(١) الطلحة: - قرية في بلاد قحطان لا تتبع (الغيل) الذي يجمع اسمه عدد كبير من القرى. (ابن جريس).
 (٢) جنوبي البلاد السعودية تمتاز بغطاء نباتي جيد، فيوجد بها مئات الأنواع من النباتات والأشجار المختلفة في الأشكال والألوان والاستخدام، للمزيد انظر: كتاب النبات للدينيوري (عدة مجلدات)، فريدة قدح، الغطاء النباتي الطبيعي في الإقليم الجنوبي الغربي، ص ٢٨ وما بعدها. (ابن جريس).

الفصل الحادي والعشرون

المنابع العليا لحبونا^(١)

تمتلك شوقبة رأسين يتجهان في ناحيتين متضادتين من عند ممر يقع على الطريق الرئيس بين ظهران والطلحة ناحية الجنوب وبين قرية الحرجة وقرية راحة تجاه الشمال. كان المجرى الذي يقود إلى راحة أسفل حقول آل عيفة قصيراً، وصعباً ومنحدرًا بلطف، بينما كان الثاني طويلاً ومنحدرًا بهبوط (٣٠٠) قدم، وكان طريقه صعباً بصفة بارزة (للحيوانات) ويقود إلى أسفل إلى الرؤوس العديدة لشعيب الحمرة. هبطنا راجلين تاركين الجمال لتجد الطريق المناسب لعودتها.

وصلنا بعد هبوط ١٥٠ قدماً إلى قمة صخرة حمرة مشربة بالبياض ويطلق العرب عليها اسم مغر ويستخدمونها على شكل مسحوق في الأغراض البيطرية - وهي صخرة ناعمة وسهلة الانسحاق تمتد إلى مسافة أسفل تماسها مع البازلت الذي يعلوها، غير أنها تتصلب إلى صخرة ناعمة بيضاء وصلبة عندما تكون وسطاً وتعود مرة أخرى للتكسر حين تعلو هي فوق صخور جرانيتية والفلدسبار المكشوف من أسفل. تعرف الخبراء في المتحف البريطاني على الصخرة بأنها بوكسيت بناءً على العينة التي كنت قد أرسلتها إليهم، وهو خام الألومونيوم. وقد وجدته في وقت لاحق متكشفاً على الجانب الغربي لحاجز السراة ويستتج من هذا أن هذا العرق من البوكسيت الذي يبلغ عمقه، حوالي (١٠٠) قدم يمتد أسفل امتداد

(١) لمزيد من الإيضاح عن وادي حبونا ومنابعه وفروعه، انظر: عبدالرحمن الشريف. المرجع السابق،

القلنسوة البازلتية للسراة والتي يبلغ طولها (١٠٠) ميل من ناحية الشمال إلى الجنوب ويبلغ عرضها حوالي الميل الواحد. تمدنا عملية حسابية سريعة بالحجم الكلي للصخر بما يقدر بـ (٧٠٠٠) مليون طن شحني، ولا أدري كم من البوكسيت سيتتجه هذا، أو حقيقة، إن كان مربحاً تجارياً. خطر لي أنه من المجدي إجراء التعدين ثم نقل المادة على الطريق الجبلي الرأسي. سيكون إنشاء طريق مكلفاً جداً بلا شك، ولكن هنا -مع ذلك- فيبدو أنه مصدر لم يستغل بعد من مصادر الثروة الطبيعية.

يقع رأس هذه الأرض التي تسمى شعيب الحمرة حوالي ميل واحد إلى الخلف ناحية الشمال الغربي، وبعد أن امتطينا دوابنا سلكنا مساره الشرقي إلى أسفل عبر غابة خفيفة وكثيفة من أشجار الطلح تقف في وسط خليط من جلاميد جرانيتية، تذكرني مرة أخرى، ببلاد الطائف. اعترضت طريقنا عشرات المسائل الصغيرة المنحدرة من عند سفوح الجبال وذلك أثناء ما كنا نقرب تدريجياً من مجرى حمرة الرئيس الذي يجري إلى يسارنا إلى أسفل إلى وسط حوض ضخم غاطس بين آبار من صخور بركانية أكسبته مظهر الفوهة البركانية الضخمة. كانت هنالك خيام مبعثرة في المسائل الأكبر وهي: عين البقرة وشعيب دخس، تدخل مجرانا من ناحية الغرب، ممرنا بأناس ربما كانوا رعاة يرعون قطعانهم في هذا الغطاء النباتي، بينما مررنا من حين لآخر بمجموعات منهم راجلين ومرحين أو هم على ظهور الحمير عائدين من سوق طلحة الأسبوعي وهو سوق الأربعاء. لقد منعتنا زيارتنا إلى قمة مسورة من هذا النشاط، وكان النهار قد تقدم كثيراً. كانت المسيرة أحياناً صعبة جداً في مسارات ضيقة جداً بين جلاميد بينها أشجار الطلح ذات أشواك رهيبة.

تركنا المجرى الآن لنجد أنفسنا مرة أخرى في رافد آخر من روافد الحمرة، وهو شعيب النقييل الرملي الضيق الذي تحيط به من على الجانبين سلاسل جرانيتية عالية، تقع سلسلة القرارة العليا من خلفها على مسافة ميل واحد على يسارنا، ويجري تحتها - كما قيل لي - طريق وجد أنه مناسب لحركة سيارات الأمير سعود وجيشه أثناء حرب اليمن. جاءت السيارات من أبها، أغلب الظن أنها كانت سالكة طريقنا هذا حتى الأمواه ومنها إلى الفيض ومنها إلى الطلحة وظهران. ربما كان الطريق من الفيض إلى الأمام هو درب الفيل القديم. يتصل النقييل مع مجرى آخر يسمى الحنكة الذي مررنا فيه بواسطة طريق مختصر فوق أرض صعبة جداً من جلاميد ضخمة وقادنا إلى سلسلة منخفضة وإلى مضيق. تراجلت عن دابتي لأسير على قدمي صاعداً أتفقد أكوام الحجارة العديدة على جانبي ما يبدو وكأنه ممر شيد بعناية، غير أنني لم أجد معنى يفسر هذا، وكان بمقدورنا أن نظل في المجرى إلى الموقع الذي ينبع فيه مع شعيب الإصادين من ناحية الشمال والغرب بالتتابع ويجري إلى داخل حوض الحنكة. يعني الاسم «ضيق»، والذي يشير بوضوح إلى ذلك الممر الضيق مهما كان مغزاه في الأزمان الغابرة.

ضربنا في سيرنا فوق منحدرات حجرية منخفضة، بعد أن تركنا المجرى يواصل مساره إلى الحمرة، أيضاً تسمى القو، تقع على جانبه الأيمن، الذي تشاهد عليه آثار إطارات سيارات عبرته قبل عامين، لا تزال معلمة فوق سطحه الصلب. كانت الآثار تتجه ناحية الجنوب الشرقي ولكنها لم تصمد أمام خط الصرف التالي، وهو فرع آخر الإصادين الذي استدرنا فيما يليه ناحية الشرق إلى أسفل

(١) لقد أعطت الدولة مؤخراً فرصة التعدين للمستثمرين في البلاد، والأجزاء الممتدة من الحجاز حتى اليمن غنية بمعادنها الجيدة والمتنوعة. (ابن جريس).

إلى حيث شعيب آخر لنصل إلى مصرف الحمرة الرئيس في أرض تسمى وادي الأفياض، وهي فرجة جميلة يبلغ عرضها ميلاً واحداً وكانت أرضيتها من رمال وردية جميلة وعلى الجانبين وقفت سلاسل صخرية كان طير الحجل الذي كنت قد اكتشفته متوافراً فيها.

يمكننا الآن أن نرى الطلحة أمامنا وقد وصلنا إليها خلال عشر دقائق وذلك قبل غروب الشمس بقليل لنعسكر بجوار أشجار الطرفاء الكبيرة في بطن السيل الرملي لأحد المجاري العديدة التي تصب هنا والتي تكون حوضاً ذا اعتبار لحقول القرية. لم نتمكن من الذهاب إلى السوق، غير أنه يبدو أن بعض الزوار من خارج المنطقة قد تخلفوا مع مضيفيهم لتناول إفطار رمضان معهم ولقضاء الليل. كان اسم أحدهم ابن داهش وهو رئيس شعيب آل فروان الذي أقبل ومعه رئيس الطلحة^(١) واسمه ملفي^(٢) ليتفقدانا بعد عودتنا. لقد دعوتهما لمشاركتنا طعام الإفطار، غير أنهما لم يستطيعا ذلك، إذ كان ملفي يتوقع ضيوفاً آخرين ينتظرونه في منزله، وقد غادر كلاهما قبل غروب الشمس. يبدو أن الطرفاء الكبيرة التي عسكرنا تحتها كانت هي الوكر للصقر المحلي الذي راودتني الآمال أن أضيفه إلى مجموعتي. ولكن هذا لم يحدث.

أقبل الطائر العظيم في حذر على ارتفاع كبير، وأحس بأن هنالك شيئاً غير طبيعي يحدث عند شجرته، ومن ثم طار لحال سبيله غير أنه عاد مرة أخرى ليجدنا لا نزال محتلين الموقع، وأخيراً اختفى تماماً لسيحط لنفسه عن سرير في موقع آخر لقضاء الليلة. كانت طيور الغداف هنا من الصنفين المعروفين في الجزيرة العربية

(١) يسكن الطلحة فرع من عشيرة آل منصور اليامية، وهم داخلون بالحلف في قحطان، ولهم خصوصيتهم،

كما يسكن الطلحة أيضاً أسر من قبائل وادعة وقحطان. (ابن جريس).

(٢) ملفي، يسمى ملفي العرام، وهو من أعيان قرية الطلحة. (ابن جريس).

الصنف الجبلي أو المروحي الذيل والصنف الصحراوي الشائع البني الرقبة. كان كلاهما وافرأ هنا وكانت كلها عائدة لمأواها وجائمة بإزعاج لقضاء الليلة.

كان ابن داهش رجلاً ذا تأثير، قوياً وذا ميول أرسطوقراطية قد أُسِّرَ إلينا بفخر بأننا لم نعد في أرض قحطان، بل نزلنا ضيوفاً على قبيلته العظيمة وادعة^(١)، والتي مثلها مثل قبيلة يام وقبيلة دهم وغيرهما تكون قسماً مستقلاً ومهماً للأصل التاريخي العظيم لهمدان بن زيد. تشق الحدود القبلية بين وادعة وسنحان خطوط صرف لكل من الإصادين والخنكة وتعبر فوق خط الحمرة عند الطرف وباتجاه أعلى الوادي لأفياض لتواصل الانسياب إلى حافة الهضبة العالية. يستمر خط الحمرة - والأفياض، وعلى جانبه الأيمن تقف قرية طلحة عند منفرج المجرى الصغير الذي عسكرنا فيه فوق منحدرات سلسلة تسمى الخيالة، وأيضاً يطلق عليها اسم الطلحة ومنها إلى قرية طرف الذراع حيث تصبح مضيقاً يسمى الضيقة والذي بدوره يصبح شعيب مرار في قرية تسمى ملححة، ثم يستمر عبر أم قرة إلى مجرى الخانق عند قرية القرن. ومن عند هذا الموقع وإلى بقية الأجزاء إلى أسفل فهي أرض تابعة لقبيلة يام خالصة، بينما إلى اتجاه أعلى الوادي بما في ذلك ملححة فهي أرض تابعة لقبيلة وادعة.

تقع قرية الطلحة، التي تحتوي على (٢٠٠) منزل وعدد من السكان - بما في ذلك قاطني الأبراج المبعثرة - حوالي (١٠٠٠) نسمة، في المنحنى الذي يكونه مجرانا هذا الصغير وفي الوادي الرئيس على هضبة مرتفعة قليلاً بين حقول مستوية

(١) قبيلة وادعة من القبائل الرئيسة في بلاد قحطان، وشيخهم الرئيس هو ابن دليم، مع العلم أن قبائل وادعة لها العديد من المشايخ المحليين، للمزيد انظر: محمود شاكر. المرجع السابق، ص ١٠٥، عاتق البلادي. بين مكة وحضرموت، ص ٧٤. (ابن جريس).

واسعة، وتوجد في هذه حصون من حين لآخر تلتحم مع سفوح سلسلة الخيالة وتمتد إلى مسافة مع اتجاه أسفل الوادي في شكل وتر لنتشر من حول القرية. أحسست بسريان الحياة الطبيعية في هذه القرية وهو إحساس لم أجده في أي قرى أخرى تابعة لسنحان أو شريف التي كنا قد عبرناها، وكانت بها مساكن يبدو أنها حديثة إذ إنها مبنية بعناية وقد برزت فتحات نوافذها داخل إطار مستطيلات عريضة من الجير الأبيض، كانت القرية متعرجة إلى حد ما وبها مجموعة من المنازل التي تبدو وكأنها مهجورة^(١).

يلتف طريق السيارات حول سلسلة الخيالة المسننة حيث علامات دواليب السيارات واضحة، ليوصل مسيرته إلى وادي الطلحة وإلى قرية المعلق الصغيرة على بعد مسافة ميل واحد. ثم يضرب إلى أعلى شعيب القحيف قبل أن يتفرع. يصعد الفرع الأيمن الذي ستتبعه إلى السفوح السفلى لشثاث إلى مضيق يقع بينه وبين السلسلة المجاورة (للقهرة)، ثم يهبط عبر طريق صعب إلى ظهران. أما الفرع الآخر الأيسر والذي سلكته سيارات الأمير سعود في طريقها إلى سهل الحماد على الحدود بالقرب من النعاء، فهو درب الفيل، ويصعد مجرى شعيب قاوية إلى ممر منخفض من سلسلة القهرة وسلسلة بياح^(٢)، ثم يهبط إلى قرية المجزعة في وادي العرين، تجاه الوادي بالنسبة لظهران ثم يمر عن طريق سلسلة تسمى المصلولة تجاه النعاء، وأخيراً يتجه إلى صعدة وصنعاء.

(١) الطلحة: - قرية قديمة وردت في كثير من كتب التراث الإسلامي، وبخاصة كتب الرحالة الجغرافيين مثل: - الهمداني، وابن خردادبة، والإدرسي، وابن حوقل والاصطخري، وابن الفقيه وغيرهم. (ابن جريس).

(٢) بياح: ربما يطلق عليه أيضاً اسم (المبرح). (ابن جريس).

أخبرني ملفي، مرشدي، أن طريق الفيل إلى الشمال من الفيض يمر خلال سهل خبت ومجرى خنقة، ثم يعبر الجزء الأعلى من وادي العرين (ربما عند الغارس) في طريقه إلى طريب وما يليها. كانت معظم التلال المنخفضة والسلاسل في منطقة طلحة من البازلت، الذي برزت سفوحه من عند أرضية رقيقة من الصخر الرملي. تقع طلحة نفسها على ارتفاع (٦٧٥٠) قدم فوق سطح البحر، وقد أحسست بلطافة المساء هنا تحت سماء امتلأت بالسحب منذ غروب الشمس، غير أن مقياس الحرارة سجل أربع درجات من الصقيع أثناء الليل، كما سجل عند الساعة (٨,٣٠) صباحاً وفي الشمس (٦٢) درجة فقط.

لقد تسلقت إلى قمة الخيالة لألقي نظرة لما حوله، وذلك قبل أن نترك المعسكر للمرحلة التالية من رحلتنا، والتي من أجلها تحركت جمال العفش متقدمة علينا. لقد شكرت رفيقي القويين وصرفتهما مع إكراميات لهما مني، وكلاهما ينتمي إلى سنحان، كانا عظيمين، متيني البناء الجسمي، كما كانا نحيلين وشديدي الاحتمال وكانت سماتهما نموذجاً للسامية ولكن للأسف، وقد أدهشني أن أجد ذلك فيهما، فقد كانا متأثرين بعقدة النقص برغم أنهما كانا رقيقَي الحديث والسلوك ومتواضعين. يطلق أهل سنحان وشريف شعورهم الطويلة مفرودة أو مجمعة وفي الحاليتين فهي مدهنة بكثافة^(١). يصعب التمييز من أول وهلة حقيقة بين العنصرين إلا أن اليهود - وهم قاطنو المدن - كانوا ذوي قامات أصغر مقارنة بهؤلاء الذين يعيشون في الجبال. وربما جرى الدم العربي نفسه في كليهما؛ وذلك

(١) هذه سمة قد تكون منتشرة آنذاك بين أفراد كثيرين من القبائل في نجران وقحطان وبلاد شهران، وأجزاء عديدة من الديار التهامية. كما لا زال بعض التهاميين إلى اليوم في تهامة قحطان وعسير وشهران يطلقون شعورهم حتى يصل طولها إلى (٢٠، و ٣٠، وربما / ٥٠سم)، ويقومون على دهنها وتصفيرها، وأحياناً تزيينها ببعض النباتات العطرية المحلية، (ابن جريس).

لأن اليهود الأصليين في جنوب الجزيرة العربية كانوا قد تحولوا من الوثنية القديمة. رافقني أحد الرجال المحليين إلى قمة الخيالة التي ترتفع إلى حوالي (١٥٠) قدماً فوق مستوى الحوض، غير أنني قد سبق لي أن وصفت معظم ما قد رأيت هناك.

تقع قرية محاري الصغيرة^(١) مباشرة تحت طرف الطلحة تجاه أسفل الوادي، على بعد ثلاثة أرباع الميل، وتتكون من ٣ أو ٤ مبانٍ أبراجية في وسط الحقول مع وجود بعض أشجار التين وأشجار أخرى على جانبي المجرى. يوجد في قسم الطلحة وعند قاعدة الخيالة، غابة جميلة من الأثل الكبير مبطنة الجانب حول بئر تابعة للقرية. كما تقع، على بعد ميلين ناحية الجنوب الشرقي وعند رأس مضيق الضيقة القرية المتعرجة التي تسمى طرف الذراع، والتي تمتد حقولها وبساتينها مسافة أعلى فوق كل من وادي الطلحة ورافده شعيب القحيف، الذي تقع فيه كذلك وعلى مسافة أربعة أميال ناحية الجنوب الغربي، قرية آل ثابت.

توجد المزرعة ذات البئر والمسماة بئر الطيار على بعد ميلين إلى الغرب من مجرى صغير آخر بينما يبدو أن قرية العار هي استمراراً لطرف الذراع في أعلى القحيف أو في مسيل رافد، وتقع، أخيراً، وفي الطريق إلى ظهران، وعلى بعد ميل واحد قرية المعلق، وهي واقفة إلى الخلف من الجانب الأيمن لوادي الطلحة وبجوار غابة طرفاء ذات اعتبار توجد داخل حقول الذرة الصفراء. لم تكن الملحّة، وهي أسفل المضيق، مرئية لنا، إلا أنها تقع قليلاً ناحية الجنوب الشرقي من الطلحة. كان تل شثا، الذي يبرز من داخل الجدار الرئيس للجبل، وتماماً ناحية الجنوب من موقعنا، بينما كانت هنالك قمة منعزلة أخرى إلى شمال شثا تسمى

(١) قرية المحاري: - ربما يطلق عليها أيضاً اسم (المهاجرة). (ابن جريس).

عمان الأعلى وهي منبع شعيب راية، وهو أحد روافد وادي العرين الذي يدخله من أعلى ظهران. يهبط مسيل آل فروان من الدارة، وهي عبارة عن سنام على سلسلة السراة المسطحة البركانية.

سرنا حتى المعلق وإلى ما يليها سالكين طريق السيارات الذي كان أيضاً هو «طريق الفيل». تفرع الطريق واتخذنا الجانب الأيمن منه ناحية منحدرات سفوح شثا إلى حيث يوجد ممر تحيط على يمينه صخرة بازلت مربعة القاعدة ينهض من فوقها التل. كان ارتفاعنا هنا (٧١٠٠) قدم فوق سطح البحر ثم هبطنا على المسيل الصخري المسمى المعيجب الذي قابلتنا فيه جماعة من سنحان عائدين من سوق الخميس في ظهران، التي تبدو لنا عن قرب. يجري المعيجب داخل شعيب السد الذي كنا قد دخلناه على بعد نصف الميل أعلى قرية آل جبير وعبرنا إلى المنحدر المقابل، والذي من عند قمته نظرنا إلى أسفل إلى حيث البلدة. ثم عبرنا حول حافة ساحة السوق خلال دقائق وقد كان السوق عامراً بالناس، ثم مررنا عبر البلدة - التي كانت أكثر قليلاً من مجرد قرية- لنعسكر في مجرى وادي العرين حوالي (٦٧٠٠) قدم فوق سطح البحر.

أسرعت لأرى ما أقدر على مشاهدته حيث رأيت واحداً من أفضل الأسواق وأكثرها حيوية مقارنة بكل الأسواق المحلية، وعلى الرغم من أن كل الناس كانوا -بالطبع- صائمين. لم يكن العنصر النسائي واضحاً، غير أن الرجال كانوا مرحين وطرويين، وكانت التجارة كما هو واضح لنا، جيدة^(١). ترك معظم الناس

(١) شاهد فيليبي التجارة النشطة عندما دخل السوق المحلي بقرية الطلحة في بلاد قحطان. ونستطيع القول إن معظم الأسواق الأسبوعية في جنوبي البلاد السعودية كانت نشطة خلال العقود الماضية من القرن الرابع عشر وأوائل القرن الخامس عشر الهجريين، والسبب في ذلك يعود إلى عدم وجود الأسواق المحلية الدائمة (كما نشاهد اليوم)، ثم إن سكان القبائل كانوا لا يجدون غير هذه الأسواق للممارسة تجارتهم من خلالها. (ابن جريس).

مساوماتهم عند وصولنا، واصطفوا بجمهرة كثيفة على حافة ساحة السوق ليرونا ونحن نعبره. توجد لديهم هنا صناعة مثيرة للاهتمام ألا وهي صناعة القدور والمقالي المنزلية من حجر أخضر رمادي، وهو نوع من الحجر الصابوني - يقلع من المحيط الصخري المجاور. يمكن وضع هذه القدور بعد دهنها جيداً بالشحم أو الدهن، فوق النار لأغراض الطبخ. كما يصنع أناس هنا معاطف نسائية مريحة من جلود الحملان ويكون الصوف الطبيعي إلى الداخل ويزخرف الجلد بخياطات ملونة، أما في حالة معاطف الرجال، فهم يستخدمون جلد الأغنام الخشن ويكون الصوف فيها إلى الداخل مثل البوشتين الأفغاني. كانت المعاطف النسائية قصيرة ولا تصل إلى أسفل الخصر. كما كانت أعمال الحديد والفضة في طهران في يد أسرة يهودية واحدة مكونة من ثمانية أشخاص ويسمى رئيسها جميلاً وهو الذي كان قد زار نجران حينما كنت أنا هناك. وقد صنع لنفسه الآن طقمًا كاملاً لأسنان صناعية للفك الأعلى، من الفضة، وكان في ذلك إرضاء كاملاً له.

كان من حظي أن أجده مقيماً هنا وذلك لأنه كان ميالاً لقضاء معظم وقته في سعده. لقد وقعت لي كارثة كبيرة في طلحة وذلك حينما كنت مشغولاً بملاحظاتي للنجوم بمزواتي حينما توقف النايط التانجستي، وقد فشلت كل محاولاتي لإعادته للعمل. بدا لي وكأنها نهاية عمالي في ملاحظة النجوم. وهو أمر محتمل ملأني بالرعب، وذلك لأن بوصلته موشورية ولا يمكن تحديد قيمتها، وتحتاج إلى عمل دقيق أكثر لتعطي القيمة الكاملة لتتأججها، خاصة في حالة الشوشرات المغناطيسية في بلاد بازلتية مثل هذه الأنحاء. كان سعد هو الذي شاركني الحزن وهو الذي قدم لي الاقتراح بأنه إذا كان ذلك اليهودي لا يزال في طهران، فربما استطاع أن يصلح التلف. وقد وجدناه في طهران، هذا حقيقة، غير

أن جميلاً بدا كئيباً جداً حينما رأى الأداة التي لم ير مثلها من قبل قط. أريته النابض التانجستي، غير أن كل ما عمله هو كان الوعد بالتفكير في الموضوع. حضر إلى معسكرنا صباح اليوم التالي ليقول: إنه مستعد لمحاولة التجربة دون ضمانات بالنجاح. جلسنا وجلس هو يراقب حركاتي باهتمام شديد، وأنا أشرح له كيفية عمل النابض وكيف أنه لا يؤدي هذه الوظيفة الآن. ثم قمت بتفكيكه من الأداة بعد ذلك وفككته أكثر إلى أجزاء صغيرة. التقطت جميل هذه الأجزاء بعناية ثم ذهب. كانت أمامه فترة عشرة أيام للفشل أو النجاح، وذلك لأننا كنا نعد العدة خلال هذه الفترة دراسة لمسح الحدود.

كنت أقابل في هذه الأثناء بعض زوار السوق، من أولئك الذين قد زاروني في المعسكر. طلب مني محمد بن داهش - من أبناء شعيب آل فروان والذي كنت قد قابلته من قبل في الطلحة، وكان ينوي زيارة سوق الخميس في طهران، بلطف - أن يكون مرشداً لي خلال الرحلة القادمة. كان الانطباع الحسن الذي تركه في مقابلتنا الأولى لا يزال قائماً، وقد وجدته كما كان رقيقاً جذاباً وذكياً وملماً بالكثير من المعلومات في إطار الأبعاد المحدودة للبلاد ولأهلها، لقد تزوج محمد حديثاً من فتاة بدوية عمرها (١٤) عاماً، وكان يضج متذمراً من هذه الرحلة إلى طهران تلك التي ستحرمه من صحبتها لمدة (٢٤) ساعة وحتى بعد عودته للوطن في الصباح التالي فإن صيام رمضان سيحرمه من متعة اللقاء بها حتى غروب الشمس. لقد أصبح محمد شديد العاطفة تجاهها، ولم يكن بأي حال رجلاً شاباً، ولم تكن هي، بالطبع، أول زوجاته. لقد توصل محمد إلى حل وسط في النهاية وهو أن يقوم بتأخير عودته إلى المنزل بغرض مرافقتي إلى قمة شثا في اليوم التالي، ولم نفترق إلا عند الساعة (٤,٣٠) عصراً وعند سفح هذا التل ليذهب

كل منا بعد ذلك في طريقه. لقد كان محمد بالتأكيد رقيقاً ممتازاً وقد قدّم لي الكثير مما زاد معرفتي ببلاده.

قام بزيارتي بعد إغلاق السوق كل من ابن كعبان رئيس قرية العر، وابن عرير وهو أيضاً رئيس قرية المجزعة التي تقع إلى أسفل وادي العرين^(١). لدى كل أعيان وادعة العديد من المظالم وكانوا بلا شك يأملون فيّ ويتوقعون مني أن أتدخل لصالحهم مع السلطات. برزت المظالم بسبب تعيين دليم بن محمد بن دليم الذي تولى رئاسة شريف بعد وفاة والده، محمد، فأصبح بذلك أميراً على منطقة هذه الهضبة التي تشمل حرجة وظهران، العاصمة، خلفاً للأمير النجدي الأصل واسمه عبدالله بن عثمان^(٢).

لم أدرك وأنا في الحرجة أن صلاحيات دليم قد امتدت إلى ما وراء كل من بلاد شريف وبلاد سنحان، لتصل إلى منطقة وادعة التابعة لظهران؛ لذا، فإن أهالي وادعة محقون في مظلمتهم في تعيين رئيس من قبيلة منافسة لهم - وكانت منافسة لهم في السابق - لموقع السلطة عليهم. كل ما كانوا يريدونه هو إعادة الوضع كما كان في السابق، بإيفاد موظف من الرياض أو مكة أميراً للمنطقة، إذا ما كان الغرض من ذلك هو معاملتها كوحدة واحدة لأغراض إدارية.

لم يكن من حقي بالطبع أن أتدخل في مثل هذه الأمور، غير أنني أرى بالتأكيد أن الشكوى منطقية بما فيه الكفاية، برغم أنه، حسب معرفتي، فإن دليم

(١) ابن كعبان وابن عرير لا زالوا من المشائخ الرئيسين في قبائل وادعة حتى اليوم، وهم وغيرهم من مشائخ وادعة وقحطان يعودون إلى المشيخة الرئيسة عند ابن دليم. (ابن جريس).

(٢) ابن دليم هو في الأساس شيخ قبائل شريف، ثم صار خلال الحكم السعودي الحالي شيخ مشائخ قحطان ووادعة. (ابن جريس).

نفسه، برغم إنه كان أميراً إسمياً على المنطقة، إلا أنه نادراً ما كان يقحم نفسه في بلاد وادعة، التي يبدو أن إدارتها تقع على كاهل كل من محمد بن بريكان، مدير الجمارك والمالية، ومحمد القدسي، مدير قوة الشرطة الصغيرة المؤلفة من (٢٠) رجلاً.

ولد محمد القدسي في أبها. وهو ابن مواطن من القدس وكان قد شغل منصباً رسمياً في تلك المنطقة خلال النظام التركي القديم. وقد كان رجلاً غريب المظهر، صغير الحجم، حقير الطلعة، إلا أنه فيما يبدو كان قادراً وحاذقاً في عمله. لقد قابلته في أجنحته المريحة جداً في منزله في البلدة ووجدت أن غرفة الاستقبال لدية كانت نظيفة أكثر من العادة وأنيقة. كانت الأجزاء العليا من الجدران مطلية بالجير الأبيض، بينما طلي الجزء الأسفل بالأخضر الناعم، مع شريط تزييني ملوّن يمتد في خط عريض حول جدران المجلس على أسلوب أبها^(١). كانت الغرفة بسيطة ولكنها أنيقة، وكانت -بلا شك- من عمل امرأة من أبها كانت تشارك زوجها في منفاه في هذه البقعة النائية. تناولنا طعام الإفطار إلا أن محمد القدسي قد أصر على تقديم الأطعمة المنعشة إلى جانب القهوة العادية والشاي وكان يطرنا بالتمر الممتاز الذي جلبه من بيته، وبالزبيب، وبالرمان الطازج المحلي.

كما احتفى بنا محمد بن بريكان، وأصله من حضر عنيزة، الذي دعانا عنده للإفطار وقدم لنا مأكولات مشهية منعشة، وبعد مضي نصف ساعة، قدم إلينا

(١) هذا الفن الجمالي في تزيين المنازل كان منتشرًا في عموم بلاد قحطان وشهران وعسير، ورجال الحجر (بنو شهر، وبنو عمر، وبللسمر وبللحمر)، وكذلك عند معظم القبائل القاطنة في أرض السراة بين الطائف ونجران. (ابن جريس).

عشاءً كاملاً في منزله الفاخر الذي يقع على الطرف الغربي للبلدة. تناولنا عنده الإفطار المكون من القهوة مع تمور بيضة وعنب الخريف الأسود الذي جلب من صعدة، وبعض اللقيمات الصغيرة اللذيذة، وهي ضرب من الكعك المحلي المقلي بالدهن. كان العشاء أساساً الرز الوافر مع لحم الضأن، غير أن اللحم كان غير مطهو جيداً وكان قوياً مع قرع مقلي ومشرح في أطباق من صلصة مرق اللحم. كانت وظيفة مضيفنا تنحصر في ضبط وإقرار الضرائب على تجارة البن من اليمن، والتي أصبحت ظهران هي المركز الرئيس لها في أراضي المملكة العربية السعودية. كان البن مصدر دخل مهم للحكومة وقد علمت من محمد أن تجارة الريال السعودي كانت قد طبقت ثم ألغيت هنا كما في نجران.

كانت ظهران نقطة حدودية ذات أهمية كامنة على الرغم من أن محمداً لم ير أنه من الضرورة إقامة حامية عسكرية هنا، وكانت وظيفة الشرطة الأساسية هي ضبط التهريب عبر الحدود. كان رجال الشرطة حتى هذه اللحظة يعيشون في مساكن سيئة محطمة على أطراف البلدة، غير أن محمد بن بريكان بما لديه من الصلاحيات قام ببناء نقطة شرطة جديدة على الموقع المسيطر من فوق هضبة تطل على البلدة. كاد بناء نقطة الشرطة هذه أن ينتهي في هذا الوقت، وبقيت الزخرفة الداخلية، والطلاء بالجير الأبيض والنظافة العامة وقريباً سيتم تسليمها للشرطة. تبدو النقطة مهيبة بلا شك، مبنية كلها من مواد حجرية ومن أخشاب العلب للأعمدة والرافدات. كان تقدير تكلفة الأشجار التي تم قطعها للحصول على هذا الخشب (٤٥٠٠) ريال ماريا تريزا أو حوالي (٢٢٥) جنيه إسترليني ذهبي. والذي يبدو أنه مبلغ مرهق وذلك لأن قطع الأشجار وإعداد الخشب قد تم كله على حساب الحكومة.

يسهر الناس إلى وقت متأخر من الليل خلال شهر رمضان، ولقد رتبت برامج رحلاتي المسائية بزيارة إلى جميل اليهودي الذي كان قد دعانا إلى الشاي والقهوة مع الزبيب والرمان. كان الرمان يقدم على هيئة بذور في الصحون وكانت حبوه طازجة هذا الوقت، غير أنها هنا في ظهران يتم تخزينها بعد الحصاد وتدوم بسهولة من موسم إلى آخر دون أن تفقد مذاقها - كانت الثمار صغيرة ولكنها حلوة جداً. شاركنا في تناول الوليمة ابنا جميل وهما ولد وبنت غير أن زوجته لم تظهر إطلاقاً. غير أن مما لمحتة عنها أثناء غسيلها للصحون، يدل على أنها جميلة جداً، وامرأة شابة. يبدو أن هذه الأسرة، إذعاناً لقيود رمضان، ظلت تحافظ على ذلك، برغم أن هذا الإذعان قد لا يكون ملزماً لها.

تقع ظهران على أرض عالية على امتداد الجانب الأيسر لوادي العرين، الذي كان عبارة عن صخرة من طمي يصل ارتفاعها (٢٠) قدماً مرتدأً إلى الورا ببقوة وتبدو أشجار التين وشجيرات أخرى قد ضربت جذورها فيه لتساعد في التصاق كتل البازلت الكبيرة التي كانت قد استخدمت في عمل المنحدر الخفيف. كان المنحدر على جانب الوادي الآخر، البعيد من المجرى سهلاً، غير أنه على كلا الجانبين على مسافة إلى أعلى وأسفل، فإن الحقول والبساتين ذات المساطب قد غطت الوادي. لقد استمتعت بإغفاءة القيلولة في فترة ما بعد الظهيرة في أول يوم لنا هنا، تحت ظل الحائط الحاجز الكبير وقد شعرت بالبرودة عنده، غير أن الجو كان دافئاً في الجانب المشمس من المجرى. كان المساء لطيفاً ودافئاً، بينما جلس كل من جميل والقدسي معي ليستمعاً للأخبار التي تبث من جهاز اللاسلكي، برغم أنه كان هنالك صقيع بنسبة ثلاث درجات ليلاً. فقد كان استقبال اللاسلكي ممتازاً غير أن جميلاً لم يكن على طبيعته وهو يستمع إلى الحديث العبري من القدس

الذي وجهت مؤشر الراديو إليه لمصلحته. «اشكانزي! قالها» كما قالها زملاؤه في نجران.

تبدو المياه في هذا المجرى في شكل غيل بعد السيول الموسمية، غير أن الوادي في هذا الوقت كان جافاً ورملياً. كانت آبار ظهران ضحلة نسبياً، إذ يتراوح عمقها بين (٤) إلى (٦) قامات، على عكس آبار طلحة حيث يكون عمقها من (١٠) و (١٥) قامة، علماً بأن مستوى الماء في كل الآبار في هذه المنطقة يرتفع في موسم السيول. كان اليوم بصفة عامة يوماً مريحاً ومملوءاً بالعمل بالنسبة لي، ولما لم يكن لدي عمل خاص بالنجوم، فقد خلدت إلى مذكراتي.

كنت قد قابلت في منزل القدسي رجل دين جمع بين وظيفة القاضي والكاهن، وهو رجل ضخم، سمين يميل للتودد والشحاذة. كان مبكراً جداً -حقيقة- للوصول إلى معسكرنا صباح اليوم التالي، وقد شحذ بالفعل، وقد أعطيته ريالاً واحداً وقبله برشاقة. كان عليّ أن أنهي أموري مع الرجال القائمين على أمر الجمال الذين رافقونا من نجران وقد انتهت الآن عقود عملهم. كان الإيجار لعشرة جمال -وهنالك جمل لم يتضمنه الحساب لإصابته بالعرج إذ كان العدد الأصلي (١١-) هو (٦٠) ريال ماريا تريزا فقط لرحلة (١٧) يوماً بالإضافة إلى الطعام لكل من الرجال والجمال على طول الطريق. وقد انصرفوا وكلهم فرح وغبطة بإضافة عشرة ريالات أخرى تعبيراً عن الشكر لهم.

ترتفع شثاث إلى (٨٠٠٠) قدم فوق سطح البحر فوق مخروط ضخم مسطح القمة من البازلت، مخروم من كل الجهات كأنه أنابيب أورغان عملاق. كان الهيكل العاري للصخور المعدنية، اللامعة، غير الملائم تماماً للغطاء النباتي، ومع

ذلك فإن كل صدع وكل شق فيه كان يبرز كأنه شجرة خليجية، وكان من أبرز هذه النباتات نبات الأغاف ونباتات أخرى سميكة الورق كانت لها المقدرة على الإمساك بالمياه وتخزينها لفترات جفاف طويلة، قد مكنها ذلك من احتلال موقع مسيطر فوق المنحدرات العارية وفوق القمة التي كنستها الرياح. لم يكن الصعود صعباً، فهو صعود إلى مسافة (٢٠٠) قدم من المر، وقد استغرقت مهمتنا أنا وابن داهش، حوالي ست ساعات نهائية فوق الجبل. لم يكن هنالك ما يدعونا للقلق، وقد منع الصيام عنا كل المنعشات، ولا بد أن نوفر فسحة من الوقت تمكنا من العودة إلى أوطاننا قبل غروب الشمس. كان المنظر رائعاً بحق، غير أن أداء بوصلتي المضطرب تحت تأثير المغنطيس المحلي كان مزعجاً لي بعض الشيء.

كان السجل الوحيد الذي وجدناه لزيارات سابقة لرجل إلى هذه القمة قد امحى ويصعب قراءته وهو نقش باللغة العربية يحمل التاريخ (١٢٣٢هـ/ ١٨١٧م)، الذي يدل -ربما- على فترة سيطرة السعوديين على هذه الأجزاء كما في اليمن بصفة عامة. كان النقش على صخرة بجوار كوم حجارة تم وضعه عند أعلى موقع بالقرب من تركيب دائري من الحجر والذي يبدو أنه كان بهدف جمع مياه المطر.

كانت السمة المثيرة للانتباه التي نلاحظها من عند القمة هي تلك الأرض التي لم تستكشف بعد والواقعة في شمال اليمن إلى ما يلي حدود الهضبة، لعام ١٩٣٤م بين سلسلة هضاض شرقاً وممر علبين في تجاه الغرب. والتي تكون في تضاد مع الهضبة شمال ظهران وشريط وادي العرين التي يخترقه، والذي يتألف أساساً من طبيعة بركانية مع تداخلات جرانيتية وغطاء خفيف من صخور رملية هنا وهناك، فإن كل الهضبة، تجاه الجنوب على جانبي الحدود يبدو أنها مغطاة بطبقة

سميكة من الصخر الرملي إلى شرق السلسلة البازلتية المسطحة التي تسمى السراة، والتي كانت بعض سماتها البعيدة في أرض اليمن التي تشاهد من هذا الموقع منها سلسلة قعمة آل قراد ومرع وشحاط، التي تحتل وتراً ضيقاً من الجنوب إلى الجنوب الغربي. تقع على القاعدة الشرقية لشحاط على حدود اليمن عند قرية باقم، التي لا نراها بين سفوح التلال.

شمخت جبال عرو إلى الخلف قليلاً ناحية الجنوب الشرقي، ولا تزال بركانية، -وهي نقطة حدودية أخرى- وكذلك سويد في قرية ساقين التي لا نراها وتقع خلف سويد. كما يوجد تل الصبر إلى الورا مرة أخرى، وهو متواصل، أو منفصل قليلاً عن سلسلة السراة، ناحية الشرق داخل سهل آل سعيد وبالقرب من صعدة وبذلك يكون منبع شعيب مروان والذي هو الجزء الأعلى من وادي نجران. يهبط منبع مائل آخر هو مسيل الفلاح من جانب سويد.

تقع الهضبة العالية الصخرية الرملية إلى الشرق من هذه السمات العالية، ترافقها سلسلة عوير وصعدة نفسها ويقع سهل بني سحار على جانبيها. تصطف إلى وراء عوير، في أراضي اتحاد كل من حاشد وبكيل المشهور، تل وسلسلة مفلك، وهي أقصى سمة، تشاهد إلى البعيد، ناحية اليمن وترتفع من سهل يسمى عمشية. نهضت قمة رأس السكر البديعة لجبل براش وهي من أبرز السمات، قليلاً ناحية شمال مفلوك، وربما كانت مخروطاً ناتئاً من الجرانيت، ويوجد قريباً منها وعلى الجانب نفسه تل بربر، وهو على هيئة سنام مسطح القمة مكون من صخر رملي يقف على هرم جرانيتي. يقال إن المسافة بين براش وصعدة حوالي رحلة ست ساعات، لنقل (١٥) إلى (٢٠) ميلاً، كان هذا كل ما أمكننا رؤيته من جانب اليمن، أرض مهيبة عارية. لقد كانت مفصولة من مجال الرؤيا ناحية الشرق تجاه الأرض الذي رأيناها من نجران، بسلسلة هضاض المتعارضة.

تقع سلسلة هضاض وبها أحد الأعمدة الحدودية ناحية الجنوب الشرقي من موقعنا، ويوجد تل صغير بارز عند طرفها الأيمن معلماً الموقع لقرية النقعاء على سطح مسيل الحنكة الذي يهبط إلى اليمن من عند الحدود ويتصل مع شعيب العرض وهو في طريقه إلى وادي نجران. يوجد قليلاً ناحية الغرب، مسيل آخر يجري أسفل المجرى نفسه وفي بطنه تقع القرية الحدودية (اليمنية) الصغيرة، بينما يهبط المصرف الرئيس لشعيب العرض نفسه من عند سلسلة شحاط التابعة للسراة. يمكننا متابعة الشريط العام، من هضاض نفسها، للحدود على امتداد سلاسل وعوع وشيبة وضراوية. وقفت بارزة إلى حيث يمر عليين الذي يقع ناحية الجنوب من موقعنا والذي يعلمه تل مربع القمة وجرف فاغر، والذي إلى أسفله يهبط الطريق إلى حيث أرض جبال تهامة غرب الجرف. سأتمكن من وصف هذا الشريط الحدودي بتفصيل أكثر ولا ضرورة للخوض فيه هنا. كما لا أحتاج أن أحكي شيئاً عن البانوراما العظيمة لجبال فيفا التي تملأ المنظر ناحية الجنوب الغربي.

تنقسم الهضبة بواسطة مضيق عميق لوادي كتام^(١) قريباً من هنا وعلى مسافة نصف الطريق بين شثا والحدود، وهو وادٍ يهبط من السراة من بين صخور رملية طويلة مكسرة تدعمها السلسلة المتعارضة الجرانيتية العالية التي تسمى قعمة آل أبا الشيخ. ولقد برزت الأبراج السكنية من عند رأس المجرى، التابعة لقريتين صغيرتين هما زاوية وآل زاهر بينما نستطيع رؤية الحوض الواسع الكثير الشجيرات الذي يتحد فيه ومعه مضيق آخر يسمى القبضة مع وادي العرين في طريقه إلى حبونا. يوجد عدد من القرى الصغيرة في معقد المسائل هذا وهي تكون رأس

(١) كتام: - ربما يطلق عليها أيضاً اسم (قتام). (ابن جريس).

وادي العرين أعلى ظهران وهذه القرى هي: آل السحامي^(١) وتقع على بعد أربعة أميال من موقعنا، آل سيار وآل رشيد، وهما قريبتان منا، وآل محض وسعرا على بعد الميلىن منا وليستا بالبعيدتين من ظهران والتي يقع بالقرب منها مجموعة قليلة من الأبراج، الحصون. يقع عدد من القرى الصغيرة في العرين وناحية أسفل البلدة وفي انبعاث معتبر للوادي الذي تكونه روافد ثانوية من السفوح المجاورة، وهذه القرى الصغيرة هي: العرق، وقعه، وحيدان، والعطف وهياج وكلها مبعثرة على مسافة ثلاثة أميال من موقعنا وفي خط مستقيم. يتكون الأفق إلى البعيد إلى شرق مبنى البيت والسلاسل التي تقع وراء بدر، وتقود إلى المعلم المخروط البارز دائماً وهو قرن سبط والذي يقع الآن قليلاً ناحية الشمال الشرقي فوق قرى الغيل.

كان الحيوان الوحيد من ذوي الأربع الذي شاهدته في شثا هو الفأر الصغير الذي تأقلم مع الحياة في هذه التلال العارية، غير أن فرج كان قد أصاب بالرصاص ثعلباً أثناء غيابنا في واحة العرين. كما ظهر صقر طلحة في الصورة على ارتفاع عالٍ وكأنه يراقب أعمالنا، كما تكثر هنا طيور الغداف مروحية الذيل، إلى جانب بعض القنابر وسمنة الصخور، وطائر العوسق وهو يطارد الجراد. حان الوقت أن نغادر المكان وجدت عند الممر رجلاً متجهاً إلى ظهران وبرفته جمل وجحش. امتطيت الجحش نازلاً معه قافلاً إلى المعسكر حيث كانت استعدادات إفطار رمضان قد شارفت على النهاية. زارني أربعة من رجال الشرطة المحليين في المساء، ويبدو أنها كانت حملة شحذة، غير أنني قد صرفتهم خالي الوفاض على الرغم من إدراكي أنهم لم يتسلموا رواتبهم لعدة شهور خلت. لقد كانوا مجموعة

(١) آل السحامي يطلق عليهم أيضاً اسم (آل أمسحامي) أو (قلة أمسحامي). (ابن جريس).

حزينة حقيقة، وعلى الرغم من أنهم قد بادروا بزيارتي، إلا أنهم عاجزون عن الإدلاء بأي حديث حول أنفسهم، عدا أنهم لا يحبون ظهران إطلاقاً وهذا أمر غير عجيب، إذ لم تكن مكاناً مثيراً يشجع على الحياة فيه.

سرنى أن يلتحق بمجموعتي ثلاثة من هؤلاء الرجال لمرافقتي وإرشادي للرحلة على امتداد الحدود. وذلك ليس فقط لأنهم سيتحصلون على بعض المال لشراء بعض الخنطة لطاحونهم، ولكن لأنهم قد التحقوا من قبل وبمستوى وظيفتهم هذه مع القسم السعودي في لجنة الحدود المشتركة وهم يعرفون تماماً المواقع الصحيحة للأعمدة الحدودية. كانت الساعة حوالي الحادية عشرة والنصف صباح يوم (٢١ نوفمبر) عندما بدأنا رحلتنا على ظهور الحمير أسفل الجانب الأيمن لوادي العرين، سالكين درباً سهلاً يرتفع تدريجياً مع الخطوط الكفافية لطبقة الانحدار للسفوح إلى عند مضيق في السلسلة يكون الفاصل بين كل من وادي العرين ووادي القبضة. وصلنا إلى كومة كبيرة من ألواح صخور رملية ضخمة متساقطة من قمة سلسلة بازلتية، بعد أن مررنا بمجموعة من القرى كنا قد رأيناها من عند شثاث عند المنحنى العريض لوادي العرين، وإلى مساحة معتبرة لأراض زراعية ذات أشجار الأثل وبعض أشجار النخيل.

لقد تركت العديد من الأجيال المسافرة عبر هذا المكان بصماتها هنا، إذ كانت الألواح ممتلئة بالنقوش وبالرسوم. لم تكن الرسوم ذات أهمية تذكر - فهي رسوم بدائية من النوع الذي قد ألفناه وتنحصر في رسوم لأناس، ولوعل، ولحصين، ولحاملي رماح ممتطين وما شابه ذلك. ويرجع تاريخها إلى العصر الثمودي^(١).

(١) من يتجول في بلاد تهامة والسراة فإنه يلاحظ كثيراً من النقوش والرسوم العديدة التي بعضها يعود إلى العصر الثمودي. كما أنني أتادي الآثاريين والمتخصصين في التاريخ القديم إلى أن يولوا مثل هذا التراث بعض العناية والاهتمام في دراساتهم وبحوثهم. (ابن جريس).

وقد كتبت فوق بعضها نقوش عربية من النوع العادي، وليس عليها إشارة للتاريخ. كان على أحد هذه الألواح شعارات توحى بالحروف الثمودية أو نحو ذلك، غير أن أكثر سمة مثيرة كانت عبارة عن نقوش عبرية، اثنتان منها كانتا ذاتا طول لافت للنظر. كانت هذه النقوش العبرية ذات تاريخ حديث نسبياً، من عمل يهود مسافرين بين صعدة وظهران.

كان وادي القبضة، الذي نزلنا إليه من عند المضيق موقعاً جذاباً. تقع القرية عند سفح الممر على جانب الوادي الأيسر وهي محاطة بالبساتين وبمزارع العنب التي كانت ألوان طيفها تتراوح بين الأحمر العميق والأصفر والأخضر وكلها متمزجة بجمال مع الجرانيت والصخور الرملية عاكسة صورة جميلة وبشكل غير عادي. كانت البساتين مزروعة بالتين والخوخ والرمان، وكلها عارية من الأوراق الآن، غير أن مزارع العنب هي التي أكسبت المكان تميزه بالجمال. رأيت حتى الآن أشجار العنب كشجرات منفردة أو مجموعات صغيرة، غير أنها هنا كانت تزرع على مستوى تجاري مما جعل شمال اليمن مصدراً كبيراً للعنب، يقع رأس الوادي على بعد الميل الواحد باتجاه أعلى الوادي فوق صخور رملية صعبة، والتي قد ألفت بساطاً ضحلاً فوق الجرانيت التحتي للجانب الأيسر والتي كونت جداراً أعمق كثيراً إلى حدود مستوى المجرى على الجانب المقابل، والذي ارتفع إليه طريقنا بانحدار شديد بين كتل الصخور، وقد كان بطن الوادي مكوناً من الرمل الصافي.

نظرنا من عند المضيق على الجانب البعيد، على ارتفاع (١٤٠) قدماً فوق مستوى الوادي ناحية وادي كتام المستوى العريض الذي يهبط من عند سلسلة القبضة ليجري موازياً لها إلى موقع التقاء مشترك له مع وادي العرين. يهبط

الطريق بعد ذلك إلى حوض ضيق صعب عبر السلسلة الصخرية ليوصلنا إلى مستوى الوادي وإلى مزارعه الكثيفة. كان الوادي كثيف الشجر وتوجد به أشجار الطلح ومجموعات من الأثل وشرائط من أشجار الخروع ومزارع عنب، وبساتين وحقول ذرة صفراء مبعثرة - كانت المنطقة مدينة كبيرة وأكثر ازدهاراً من القبضة، وبها أربع قرى صغيرة. تقع اثنتان من هذه على الطريق وهما العمدة وآل طوق مجتمعتان معاً «كموقع وسط» تليهما مع اتجاه أسفل الوادي كل من رهوة وشط، وبهما أبراج خلاصة يقعان قليلاً إلى أسفل عند موقع اللقاء مع العرين. تقع قرية الحنكة، الكبيرة شيئاً ما، عند رأس الوادي في مدرج طبيعي للتلال الصخرية الرملية. لقد توقفنا هنا مدة ساعتين وقد تجولت حول المكان دون أن أجد شيئاً ذا أهمية خاصة، إلا من مصيدة خشبية بدائية يستخدمها الناس لصيد طيور الحجل التي تدخل حقولهم من عند الصخور المجاورة.

يتصل المجرى، عند قرية آل طوق على جانب الوادي الأيمن، مع بطن مسيل محذ الذي يشبه الدلتا والذي بدوره ينحدر من سلسلة مرتفعة على الجانب الجنوبي. كانت ارتفاعاته السفلى مغطاة بكثافة بالأشجار، وقد كانت أشجار الطلح مهيبية، وقد تأخرت بينها لفترة أطارد طائر ناقر الخشب، وهو أول طائر من هذا النوع أراه منذ مغادرتي محيط خميس مشيط. كانت مطاردتي له ناجحة وقد تحصلت على عينة منه لأسجل هذا الامتداد البعيد إلى الجنوب لطائر عربي صرف والذي لم يسجل وجوده بعد في اليمن أو في مناطق شمالية لا تتجاوز قرية محدثة. كان من بين الطيور التي شوهدت في هذا الموقع: الطائر الناسج والردستارت والشادي والطيور الصحراوية العادية. مثل الحمام والبلاكستارت والأبلق.

ينحدر مسيل محذ من عند هذه المرتفعات الواسعة الكثيفة الأشجار عبر سلسلة عالية إلى وادي صغير ضيق وجميل عبر الممر المحاط بالصخور إلى ارتفاع (١٥٠) قدماً فوق كتام و(٧٠٠٠) قدم فوق سطح البحر.

وصلنا إلى بركتين صخريتين قبل أن نصل إلى الممر، تسميان معاً ميين وتغذيهما العيون التي تسيل من جانب الجبل عند قاعدة الصخر الرملي الذي يرتفع هنا على الجانبين إلى الوادي الصغير في الصخور الترسبية وإلى ارتفاع (٣٠٠) قدم. قررنا أن نقضي الليلة في هذا الموقع الجميل حيث الماء الوافر وقد عسكر الرعاة الذين كنا قد اشترينا منهم جديدين بسعر ريال واحد في الوادي الضيق، وقد انتشرت سراخس كزيرة البئر ونبات القصب ونبات الحرف وبغزارة في الجداول الصغيرة التي يدخلها الماء من البرك ومن منابعها في الصخور. يقال إن المياه هنا تنساب على مدار العام، غير أنها في مجراها العادي نادراً ما تصل إلى الجزء الأسفل من المسيل. كان الطقس دافئاً ومريحاً تحت حماية الصخور العظيمة وقد بلغت درجة الحرارة أثناء الليل (٤٢) درجة.

أقبلت حشرات العثة وحشرات أخرى بأعداد كبيرة إلى ضوء مصباحي ليلاً، وقد عمنا الإحساس بالراحة والاكتفاء بعد أن تناولنا الوليمة المعدة من لحوم الجديدين والرمان الذي اشتريناه في ظهران بسعر (٥٠) حبة مقابل ريال واحد. كان هذا الرمان من إنتاج مزارع جميل اليهودي ومن مخزون شتائه، غير أنه أفادنا بأنه في موسم الحصاد يرخص السعر وقد يشتري المرء هذه الفاكهة بسعر (١٠٠) حبة أو أكثر بريال واحد وذلك لأن الرمان يكون حينها وافرأ في كل هذه الهضبة العالية. تعتبر قرية ميين واحدة من المواقع المثالية لإقامة معسكر من بين كل رحلاتي فهي منظر لا ينسى لجمال فطري.

صعدت إلى قمة إحدى الجلاميد الصخرية الرملية في الصباح بصحبة أحد مرشدي، تاركين بقية زملاء الآخرين لرفع المعسكر استعداداً لبداية مسيرة اليوم التي يمكنني متابعة موقع مسارها العام من أعلى، وستتجه ناحية الجنوب الشرقي من عند ممر يقع في وادي الضحضاح الذي يبدو وكأنه مجرد مسيل فقط أول الأمر، ثم يتسع أثناء انطلاقته مع تدفق مسایل عديدة أخرى وروافد إليه من جهة تلك البلاد الصعبة المكسرة ناحية الغرب، وإلى ما وراء موقع عبورنا لمجرها، ثم يستمر في اتجاه جنوب الشرق ليتصل مع مجرى آخر يسمى الخانق الذي يتصل بشعيب حلال بالقرب من هداة ويكون بذلك أحد روافد حبونا.

تؤدي السلسلة التي أقف عليها الآن خدمة أخرى وذلك لأنها هي المنيع لمصدرين من المنايع المساهمة في صنع هذا الوادي العظيم. تهبط روافد الضحضاح من عند كل من قعمة آل أبا الشيخ وقعمة عرابة، وهما فرعان مائلان لسلسلة السراة الرئيسة والتي تقع قريباً منا وأمامنا ناحية الجنوب الغربي، وتقع قعمة آل أبا الشيخ قبل قعمة عرابة. لقد كانت ظهران نفسها محجوبة عنا بسلسلة الحمرة، غير أننا نستطيع رؤية القرى التي تكون تحتها وكذلك قرى كتام إلى أسفل حتى ملتقى العرين. كما توجد أمامنا منطقة حدودية في كل امتداد هضبتها، وقد كانت سلسلة المذراع ذات أهمية خاصة لي، وقد كنا قد رأيناها على مسافة من قبل، غير أنها الآن تبدو مهيبة بتركيبها الشديد الانحدار ويمر طريق نجران - ظهران الرئيس عند سفح طرفها الغربي، والذي يغادر نجران - كما ذكر سابقاً - عند ممر يقع في أعلى شعيب برن.

تمكنا من اللحاق بقافلتنا سريعاً في شعيب الضحضاح، ورجعنا مرة أخرى إلى أسفل المستوى للحجر الرملي في وسط الجلاميد والتنوءات الكثيرة المكونة من تركيب بركاني ورسوبي. ثم عبرنا من فوق سلسلة منخفضة بعد أن عبرنا المجرى،

وقد كانت تفصله هذه السلسلة عن خط محر وجعار الصرفي الضحل والذي هو أحد روافد الخائق وقد ملأته أشجار القرظ التي تحولت إلى غابة، إلى جانب شجيرات البالميتو التي توجد داخل وخارج مجرى شعيب الفرح، الذي ينبثق من عدة مساليل معقدة نازلة من سفوح السلسلة الصخرية الرملية التي تقع قليلاً إلى الخلف من طريقنا وتجاه الغرب. وجدت عدداً من النقوش على صخرة ساقطة من الحجر الرملي على جانب الطريق، ومعظمها كان باللغة العربية وكانت كلها ذات قيمة قليلة، وإحداها كانت بالعبرية. لا تزال مستمرين في المسيرة في مجرى محر، متجهين إلى أسفل، ناحية الشرق، وقد تسلقنا إلى خارجه قبل اتصاله مع جعار، وذلك من على منحدر سهل من صخر رملي، ثم على سهل متموج تخترقه بحيرات عديدة لشعيب جعر نفسه، وكلها كانت منحدره من عند السفوح الصخرية الرملية لسلسلتي كل من قدم منصور ونزوح وتبعدان على مسافة ميل واحد من هنا.

كان الجانب الجنوبي من نزوح هو أيضاً منبع لوادي نجران، وذلك لوجود مسيل آخر له اسمه الخاص به يجري جنوباً من عند وادي نجران ليتصل مع وادي ثويلة، وهو رافد لشطبية الذي هو بدوره رافد لوادي الحصن الذي يجري إلى أسفل إلى وادي العرض والذي يكون حين اتصاله مع وادي مروان، وادي نجران.

وصلنا الآن إلى مستجمع الماء الذي يقع بين حبونا ونجران، وقد زرنا وعبرنا، بالقرب من منبعه، كل روافد حبونا، تكون حبونا. ومنابعه، في رأيي، النقلة من العربية السعيدة إلى الصحراء العربية^(١) تاريخياً وجغرافياً وجيولوجياً.

(١) العربية السعيدة (Arabian Flex) والصحراء العربية (Arabian Deserta) هما مصطلحان جغرافيان تم استخدامهما من قبل الكتاب الإغريق، غير أن العربية السعيدة كانت تشمل جميع أراضي الجزيرة الواقعة جنوب الخط الممتد من الخليج العربي شرقاً وحتى خليج العقبة غرباً. وللمزيد انظر: محمد بيومي مهران. دراسات في تاريخ العرب القديم، ص ٩٣ وما بعدها، السيد عبدالعزيز سالم. تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ٦٤ وما بعدها. (ابن جريس).

الفصل الثاني والعشرون

حدود الهضبة

إن الإنسان كائن سياسي وهو قليلاً ما يهتم بتنظيمات الطبيعة أو حتى بتجاربه الماضية. وكانت نجران دائماً ضحية للصراعات الداخلية. لقد تحركنا بعيداً من الجزء التلي للهضبة دون أن نحس بذلك، تجاه السهل المستوي لأطرافه الشرقية لنجد أنفسنا فجأة ونحن نتبع خطي السلف المتنافس في كل من الشمال والجنوب. لقد تقدمنا لمسيرة خمس دقائق من آخر مسيل عبرناه من مصرف جعار حينما وصلنا إلى حافة هوة ضحلة في أرضية الحجر الرملي والتي يقع أسفلها حوض شعيب العرقة وهو أحد الرؤوس العديدة لوادي نجران.

غير أن الأهم من ذلك هو أن الطريق العريض المعبد الذي يقود إلى أسفل، كان مائلاً على امتداد جانب الجلمود إلى المجرى أسفل. عدنا مرة أخرى إلى طريق الفيل والذي يحف البلاد الصعبة من عند جنوب المجزعة، وقد وصل إلى حاجز لا يمكن للفيل أن يدور حوله دون مساعدة الإنسان له، ولا نحتاج هنا إلى روايات محلية لتفيدنا بأن طريق السيارات العريض، المنحدر، والمتعرج في بعض أجزائه والذي قد انتزع من وجه الصخرة الرملية، كان بالفعل من عمل الإنسان.

لم تكن هنالك رسوم أو نقوش قديمة (أو حديثة) لتؤرخ هذا الموقع، والغريب في الأمر أن فترة الثلاثة عشر قرناً ونصف القرن التي فصلت بين درب الفيل ودرب السيارات وتعاقبهما في اتجاهين متضادين قد تركا أثرهما، فقد مرَّ

الفيل وقد مرت العربية لاحتلال الأراضي التي تقع وراءه، لقد ترك الفيل آثاره في ذاكرة الإنسان، إلا أن آثار سيارات الأمير سعود كانت لا تزال منطبعة وواضحة في الممر الصخري وفي مداخله لمن يرى. كان هنالك جهد يدوي بشري حذر بمساعدة الحبال والبكرات، وقد كان ذلك ضرورياً، بغرض إنزال السيارات بسلام إلى أسفل الجزء المتعرج من الطريق، وقد تمت هذه العملية بنجاح وبلا خسارة. غير أن ذكرى عبور فيل أسعد كامل إلى أعلى الممر، وهو بطل الاحتلال الأول، لا تزال ترفرف في أعلى الذاكرة المحلية. لقد رأى هؤلاء الناس، على كل حال، السيارات، وتقبلوها كأمر واقع، إلا أنهم لم يروا الفيل إطلاقاً وربما كانت لديهم فكرة غامضة عن هذا الحيوان العظيم. رجع ابن داهش، بعد زيارة قصيرة لزوجته، وهو لا يزال متذمراً لمرافقته لي في هذه الحملة ومعه مرشد محلي اسمه مسفر، الذي كان أشبه ما يكون بالقرد منه بالإنسان، وقد سرنى أنهما معاً كانا يتحدثان عن ذلك الفيل.

يسمى هذا الممر أحياناً الشطبية، وقد ظهر بهذا الاسم في رسائل الأمير سعود، غير أنني لم أجد تأكيداً محلياً لهذا الاسم، والذي يمكن أن يكون اشتقاقه من مجرى الشطبية الذي يقع قليلاً وراءه. لقد هبطنا إلى خليج العرقة العريض في غير ما صعوبة، ومن ثم تتبعناه إلى أسفل إلى قرية قرص التي تقع بين جلاميد صخر رملي، ترتفع أحياناً إلى (٤٠٠) أو (٥٠٠) قدم فوقنا. ثم اتسع تدريجياً إلى أكثر من الميل الواحد إلى حيث موقع اتصاله مع مسيل عطفة الذي يدخله من جهة اليمين لنعبر من بعده إلى وادي ثويلة، الذي كان جانبا ممتلئين بأشجار القرظ وأنواع الطلح الأخرى، كان البدو الرعاة يقومون بقطع أغصان كبيرة من هذه الأشجار علفاً للماعز. كانت الأشجار ليست فقط كثيفة ولكنها أيضاً مرتفعة العلو

بحوالي (٣٠-٤٠) قدماً، برغم هذا التخريب المتعمد الضارب في التاريخ. لقد تكون أمامنا الآن منظر جميل لأرض غابات في وسط الصخور الرملية الكثيرة في هذه الأقفار. أشار ابن داهش إلى طريق، قبل أن يغادر مجرى العرقة، وهو الطريق القادم من ناحية نجران ماراً بتل المدرع، الذي يقع الآن ناحية الشرق من موقعنا، ويبدو أنه متصل مع الممر، الذي كنا قد سلكناه من ظهران، عن طريق ممر العرقة وممر ميين، ثم يتفرع هنا أيضاً إلى الشمال على طريق الفيل إلى كل من المجزعة والطلحة، بينما يقود الفرع الطويل الآخر إلى النقعة ناحية الجنوب الشرقي.

كان هذا الممر الأخير هو الذي سلكناه لنعبر وادي ثويلة ومنه إلى سهل عريض رملي، كثيف الشجر، لقد كانت آثار عجلات السيارات التي عبرته عام ١٩٣٤م لا تزال واضحة. لقد أوصلنا صعودنا اللطيف إلى مستجمع أمطار منخفض ومن عنده اتجه السفح إلى الأمام إلى وادي الحصن، ويقع طريقنا عن النقطة الوسطية بين مجرى رافد حجر (أو طيب الاسم) وذي كحل^(١)، على يسارنا، وهما يصرفان مياه أرض من الصخر الرملي كانت عليها تلال وسلاسل غريبة وكان بعضها قد نحتت الرياح فأصبح في شبه عش الغراب العملاق ويقف على سيقان عالية، بينما اكتسب الآخر بشكله القضيبى اسم زب واردة. أصبح سطح السفح الآن صعباً وقد انتشرت قطع من حجر صخري أسود نقلتها مياه الأمطار من السلاسل العليا، فوق طبقة حجر صخري ذي لون وردي.

لقد اقتربنا تدريجياً إلى مجرى ذي كحل المطوق بالصخور، لنصل إلى وادي الحصن، الذي يقع على بعد (٢٠٠) ياردة من موقع تدفقه. وقد كانت على بطنه

(١) وادي ذي كحل يقع جهة حصن الحماد. (ابن جريس).

الواسعة، المبطنة بألواح الصخر الرملي، العديد من البرك المائية يحيط بها نبات القصب الطويل مع الكثير من نبات الحلفاء وأشجار القرظ المتناثرة من حولها. قررنا لذلك أن نعسكر هنا لقضاء الليلة بالقرب من بركة كبيرة ذات ماء عكر والتي خفف عندها زملائي، عند الغروب، عطش صيام نهار اليوم، وبإسراف للدرجة التي لم تكن لديهم بعدها الشهية لتناول وجبة المساء الخالية من اللحوم، والمكونة من عجين طبخ بالسمن. لم أشرب ولا قطرة ماء منذ بداية رمضان، مكثياً بالشاي والقهوة، وقد كنت الشخص الوحيد في هذه المجموعة الذي قام بإعداد وجبة حسنة الشهية في ذلك المساء وقبل الفجر، وقد لاحظت لأول مرة رطوبة مميزة على الأرض، وهي الندى. أقبلت في وقت لاحق من الصباح، بطة منفردة ناحية البرك، وقد أطلقت عليها رصاصة وهي تقترب من سطح الماء، غير أنني أخطأتها ولم أرها بعد ذلك.

يكتسب وادي الحصن اسمه من هضبة صخرية رملية منخفضة تشبه القلعة تقع في حوضه. كانت هذه الربوة وغيرها داخل المجرى ومن حوله قد حصنه بصخر يصل ارتفاعه إلى مستوى الصدر تم وضعه بواسطة القوات الزيدية، الذين تغلغلوا إلى هذا الموقع من منطقة النقعة عند بداية حملة عام ١٩٣٤م. استطاع حفيد الملك، وهو فيصل بن سعد، الذي كان يقود المجموعة المتقدمة من جيش الأمير سعود وبالقليل من المصاعب أن يرغمهم على الانسحاب من الوادي، الذي عسكر فيه هو لبعض الأيام أثناء ترتيبه للقوة لتتقدم على باقم. كما عسكر سعود هنا أيضاً عندما كانت قواته تجول سهل الحماد الذي يمتد من جانب الوادي الأيمن إلى أسفل إلى جوار الحدود، ثم قام بدخول أرض اليمن حتى حدود قري النقعة وعار، التي تم احتلالها ثم تدميرها.

كان حفيد الملك في هذه الحادثة، وهو خالد بن محمد، هو القائد، وقد قتل في المعركة ثمانية من رجاله بما فيهم حامل اللواء الذي سقط في الجبهة الأمامية للمعركة وقد أصيب بجرح مميت. لم يذكر عدد أفراد العدو الذين قتلوا في المعركة، إلا أن (٦٥) أسيراً قد أخذوا.

يرتفع الوادي في قعمة أبلشيخ ويتصل به على مسافة ميلين إلى أعلى تل حصن شعيب العاقبة، الذي ينساب فيه شعيب حجر عند أعلى موقع الاتصال. وتقع مجموعة من التلال المرتفعة، أمامنا ناحية الجنوب الشرقي، وهي متمركزة في سلسلة هضاض وتشمخ منها قمم بارزة في كل من مرتكزه والأتم وكلاهما إلى يسار مسيل الحنكة، الذي ينحدر إلى النقعة ماراً بذات انشان. يمكننا رؤية هضبة علب، بعيداً ناحية الغرب وهي تعلّم النهاية الأخرى للحدود على الخط القاسم لمسائل عليين، ويجري أحد الفرعين إلى باقم بينما يسقط الآخر في هوة تهامة على عمق (٢٠٠٠) قدم إلى أسفل. وقفت شاث بارزة معلمة موقع ظهران، وما عدا ذلك، فلا يوجد ما يهم ذكره في هذا المنظر الكئيب الممتد أمامنا.

كنا الآن على ارتفاع (٦٢٠٠) قدم فوق سطح البحر، وكانت الليلة هي الأدفأ بين الليالي التي قضيناها منذ مغادرتنا بنجران، إذ كانت درجة الحرارة الدنيا ٤٦ درجة. لحسن حظنا جميعاً، وأنا خاصة، إن مجموعة من رعاة يام بالحارث حضروا إلى موقع الماء ذلك الصباح وذلك قبل تحركنا لمواصلة الرحلة. وتمكنت من توظيف اثنين منهم كمرشدين لي لتوضيح العلامات الأرضية الخاصة بنجران، بينما اكتفى رفاقي بتأمين شاة منهم لوجبتنا القادمة.

انطلقنا، بعد هذا التدعيم للفريق، ونحن فرحين وسرعان ما وصلنا إلى وادي مخوار الواسع وهو رافد الحصن. يهبط مخوار من قهرة العنز التي ينبع من

جانباها الآخر مجرى شجع هابطاً إلى برك شعيب الجدليّة على الحدود، والذي يجري داخل أرض يمنية، ليتصل مع وادي العرض بالقرب من تل بربر، تجاه الجنوب من موقعنا من هضبة الحصن. كان مجرى مخوار كثيف الشجر وخاصة أشجار البالميتو. ثم عبرنا فيما يليه، وبالتتابع، مصرفين ضحلين وخلالهما تندفع مياه سيول وادي الحماد إلى المرتفعات السفلى من وادي الحصن. مررنا فوق المسطح اللطيف الذي يفصلهما على زوان صخرية رملية ضخمة، والذي تحولت فيه قاعدته التي نحتتها الرياح إلى مظلة ضخمة من الصخر مانحة ظلاً ظليلاً للمسافرين العابرين، الذين قضى بعضهم وقت الراحة في الخربشة على الجدران بالصور العادية (وعل، فرسان، إلخ) بينما تمكن زائر حديث، بلا شك ينتمي إلى عضوية الجيش السعودي لعام ١٩٣٤م الذي كتب العنوان: ملك الحجاز وملحقاتها سعود بن عبدالعزيز!^(١) لا بد أن يكون هذا الموقع قد تم احتلاله بواسطة فرقة عسكرية من الحوطة، غير أن الجيش كان قد انتشر فوق السهل هنا وإلى مسافات معتبرة في كل الاتجاهات تاركين في أثرهم عدداً من المراحل الثلاثية الأقدام المكونة من الحجارة في مواقع نيران معسكراتهم والتي كانوا يطبخون طعامهم عليها.

لم يتبعنا -بالمناسبة- طريق الفيل الذي اختفى بعيداً تجاه الغرب، قبل أن يصل إلى وادي الحصن ليعبر فوق حَجَرٍ إلى مستجمع ماء شجع ومن هناك إلى وادي الجداليّة. يمضي طريقنا الآن خلال سهل الحماد المرتفع وهضابه الغربية المبعثرة بين أشجار القرظ والطلح والتي تطورت إلى غابة منتظمة والتي كنا قد

(١) يقصد عبد العزيز بن سعود وقرأها فيلبي حسب ترتيبها بينما هي العكس. (ابن جريس).

توقفنا فيها لننال بعضاً من الراحة في الظهيرة مدة ساعتين، في أرض لأشجار القفل والبالميتو.

وصلنا إلى الحدود عند العمود الحدودي في ردم الحنكة واستقر بنا المقام لنعسكر في المسيل الذي تطوقه الصخور، بعد أن سرنا مسافة تقل عن الساعة فوق بلاد صخر رملي صعبة تنحدر تجاه ناحية الحنكة ذي الرأس القمعي، وقد كانت صخور المسيل قد تآكلت بفعل الرياح وتحولت إلى مجموعة من الكهوف والمغارات والتي يمكن أن تأوى قرية من سكان الكهوف، غير أنني لم أر أي إشارة لاحتلال قديم لها. كان الصخر الرملي الحديدي أسود كالفحم ممتداً من أحد الجانبين إلى أعلى السطح الأسود لسلسلة شيطان، وعلى الجانب الآخر لشقة سهل الحماد، حيث يطل من هناك على أرض يمينه عند سفح الجلاميد. يقع على كل من جانبينا عمود حدودي وأعتقد، وأنا داخل كهفي الدافئ أن درجة الحرارة الدنيا كانت ٥٣ درجة وقد بلغت (٥٥) درجة في الليلة التالية - لقد نمت ونصف جسمي في أرض سعودية عربية ونصفه الآخر في اليمن.

يقع أسفلنا حوض مسيل النقعة وتشاهد فيه بعض أشجار النخيل كما شاهدنا أسفل الطريق الذي يقود إلى هناك مجموعة من الجمال التي أثارت شكوك ابن مسفر، رئيس الشرطة المرافقة لي. ذهب هو ورجاله لمتابعة الأمر، برغم الحقيقة بأنهم يدخلون بلا إذن أرضاً تابعة لدولة أخرى. ولم يمضي طويل وقت إلا وقد عادوا إلى المعسكر ومعهم غنيمتهم: ثلاثة رجال وثلاثة جمال وخمسة بنادق- وكانوا سعيدين جداً بحصيلة يومهم. كان المهربون الثلاثة- وهذه حقيقتهم- من مواطني بريدة الذين قد استقروا حديثاً في أبها ليستغلوا فرص الانفتاح الجديد في التجارة.

جاءوا هذه المرة من هناك دون إثارة أي شكوك حولهم، ولولا سوء الحظ الذي واكبهم اليوم، لكانوا قد باعوا البنادق بريح جيد في صعدة. وربما عادوا بشحنة من البن لتهرب بالأسلوب نفسه عبر الصحراء دون دفع الرسوم عليها، لقد حرمهم اختياري لهذا الوقت غير المناسب لهم للوصول إلى الحدود ليس فقط من مشروعهم التجاري وهو في مهده، بل ضياعهم أنفسهم إلى جانب وضعهم في موقف حرج جداً. لقد تناولوا معنا العشاء، بالطبع، وقد زارني رئيسهم عبود في كوشي ليلتمس تدخلتي، ليس مع الحكومة ولكن هنا والآن مع الشرطة. لقد تمت مصادرة البنادق، بالطبع، وأمر ابن مسفر الرجال الثلاثة ومعهم جمالهم بمراجعة القائد في ظهران وقد فعلوا ذلك كما سمعنا لاحقاً، كنت آسفاً لحالتهم، وأحس بتعاطف معهم لأنه قد تم القبض عليهم وهم داخل أرض دولة أجنبية، وهو أمر لم يحاولوا استغلاله، لم أستطع عمل شيء لهم وقد ألقى القبض عليهم بهذه الطريقة واكتفيت فقط بالتعليق بأنه من السخيف لرجال محترمين مثلهم المخاطرة بمثل هذا العمل الشائن لأجل ثراء غير شرعي. كان الجانب السيء الخطر في الموضوع كله من وجهة نظرهم هو أنهم لم ينتبهوا إلى وجودنا في ناحية الحدود، فترجلوا من دوابهم عند برك الحنكة المائية (وقرة) عند منتصف الطريق إلى المسيل ملء قرب المياه وهناك تم الإمساك بهم. كان بإمكانهم الهروب لأن تحركهم كان قد بدا قبلنا بمسافة طويلة، وبإسراع للخطى.

قررت أن أمكث هنا اليوم كله وذلك لأجل ربط خط الحدود من النقطة التي تمكنت من أن أرسمها وأقوم بمسحها من عند التلال أعلى وادي مروان والموفجة. ذهبت ومعني مسفر وابن داهش والمرشدين اليامين إلى كومة حجارة حدودية تقع على سلسلة شثيان على بعد (٣٠٠) ياردة جنوب القمة، وتركنا فرج يلاحق

ليصطاد الأرناب الأوروبية والتي يقال إنها وافرة هنا^(١)، وقد تمكن بالفعل من اصطياد اثنين منها. ارتفعت قمة السلسلة حوالي (٥٠٠) قدم فوق مستوى معسكرنا الذي أقمناه في رأس الحنكة، وقد كان موقعه موفقاً للحصول على فكرة عامة عن المخطط العام للبلاد عند هذا الجزء المتشابك من الحدود. تجري سلسلة مارة بموازاة مع سلسلة شيطان، من الجنوب إلى الشرق إلى كتلة الأتم على بعد الميل الواحد من موقعنا، وهي من حجر رملي مماثل أسود.

يبدأ مسيل ومجرى وادي هضاض من عند النقطة التي تلتقي فيها الأطراف الجنوبية لهما على بعد ربع الميل إلى شمال الشمال الشرقي لعلامة الحدود، والذي يكون جانبه الأيسر، على امتداد قاعدة المنارة الخط الحدودي الذي يصل إلى الفرجة بين الطرف الجنوبي لمنارة وقاعدة الأتم. يستمر، من تلك النقطة، الجانب الأيسر للوادي المتجة شرقاً لهضاض كخط حدودي، إلى بقعة يتصل فيها وادي العرض معه فيها على الجانب الأيمن، وعلى مسافة أميال قليلة من هنا. تجري الحدود بعد ذلك على امتداد الجانب الأيمن للمجرى، الذي يسمى الآن العرض، ثم إلى قمم مسيل فرد الذي يهبط من القمة الوسطى لسلسلة فرد - والتي أسماها مرشداي الجديدان بني داخر - والذي يقف من فوقه آخر الأعمدة الحدودية التي سجلتها من منطقة نجران ويحمل رقم (١٢).

أخبرني مرشداي أنه قد تم نصب أعمدة حدودية أخرى فوق كل من شحاط الغميرة والأتم وجبل هضاض - هذا اسم مرادف لشيطان - . لقد أبلغت الآن،

(١) لا أعتقد أن في جبال نجران وقحطان وما جاورها أرناب أوروبية، وذلك لبعدها عن الجهات عن القوى الأوروبية التي كانت تأتي إلى الجزيرة العربية آنذاك، وربما أن هذا الاسم من استنتاجات فيليبي، أو أن الأرناب التي شاهدها هناك تشبه في أشكالها بعض الأرناب الأوروبية. (ابن جريس).

رسمياً أنه لا توجد أعمدة حدودية بين كل من فرد وشيان، ويعزى ذلك لأنه أثناء عملية التعليم للحدود وقع خلاف حول التخطيط الصحيح، ولم يحل بعد. كانت البلاد، بما في ذلك سلسلة منارة، في الزاوية التي يكونها مجرى هضاض تابعة بلا شك لآل حشيش، وهو قسم تابع ليام والذي ينتمي إليه مرشداي الجديدان. ولقد تم حل الإشكال في وقت لاحق لصالح آل حشيش والمملكة العربية السعودية، وذلك بتثبيت الحدود كما وصفتها هنا.

أصبح عمود حدود شيان هو الرقم (١٣) على قائمة علامات الحدود. تقع الأتم داخل حدود مملكة اليمن، وهي، مثلها مثل سلسلة شيان إلى جنوب ركام الحجارة الحدودية ومسيل الحنكة على جانبه الغربي إلى أسفل موقع معسكرنا. لقد سررنا بما فيه الكفاية أن تتمكن من حل مشكلة هذا الجانب غير المعلم من الخط الحدودي وأن نكون قد أزلنا شجاراً محتملاً. يمكن أن يكون اسم شحات الغميرة اسماً مرادفاً لصخرة ذات العطف الرملية التي تقع في أرض آل حشيش إلى الشرق من سلسلة المنارة.

توجد في أجزاء من سلسلة شيان حجارة رملية مبعثرة يصل قطرها إلى ١٢ بوصة وكانت سفوحه مغطاة بنبات شجري شوكي يسمى شخصس أزهاره وردية بوقية. يبدو أن الصخور الرسوبية التي تشاهد عند قاعدة التل من تكوين الشست مع كوارتز كثير. استطعنا أن نرى من هذا الموقع ولأول مرة الأبراج السكنية لحجر، في مسيله عند رأس وادي الحصن. كما لمحنا ناحية الجنوب أولى القرى الصغيرة الثلاثة المكونة لنقعة عند التقاء مسيل الحنكة مع شعيب النقعة الذي ينساب ليتصل مع وادي العرض جنوب الأتم. احتجبت القرستان الأخريان، مع اتجاه

أسفل الوادي، وراء مضيق ذات انشان، وتبدو القرية التي كنت قد رأيتها مكونة من نخيل مشئت وبعض الحصون. كما رأيت قصور كونا التي يسكنها آل عامر (وادعة) عند قاعدة سلسلة فيما يلي القريتين في الخط المباشر (ناحية الجنوب) لصعدة، التي لم تكن مرئية.

تقع سلسلة مرعة البركانية ذات القمم المستوية للسراة الرئيسة الآن ناحية الغرب من موقعنا وتقع سلسلة شحاط الصخرية الرملية أمامها كما تقع باقم عند سفحها وتقف قلعة مهيبية قديمة تسمى أم ليلى على السفح للامتداد الجنوبي للسلسلة عبر وادي أصنام الذي يقال أنه يحتوي على قرى عديدة. توصلت هذه المجموعة من الجبال جنوباً إلى أقصى مجال للرؤيا عبر الجبل الأسود وهي عينة، وبنو حليفة وفلة وقعم الصبر، في هذا الترتيب من الشمال إلى الجنوب، كانت الأخيرة منها في اتجاه جنوب الجنوب الغربي من موقعنا. اتجه الخط الحدودي من شيشان ناحية الشمال الغربي تجاه تل علب الذي يشاهد من ناحية غرب الشمال الغربي. ويقف جبل جفا في منتصف المسافة بيننا وبين تل علب، ويقع في أرض يمنية، وتقع من ورائه قرية يباد، وهي بداية بلاد خولان ويسكنها قسم ابن صبحان التابع لتلك القبيلة في بلاد سحار.

مشينا سيراً على الأقدام على السفح البعيد لمجرى هضاض ثم تتبعناه هابطين على امتداد الحدود إلى حيث انحنائه الحادة إلى اليسار بين طرف منارة وسفح الأتم الحاد ومن ثم عبر مضيق رائع. كان الارتفاع في هذا الموقع حوالي (٦١٥٠) قدماً فوق سطح البحر، في مواجهة الصعود أعلى الأتم والذي كانت قمته على ارتفاع (١٠٠٠) قدم أعلى من موقعنا. كان السفح من تركيب الشست ومسافة (٦٠٠) قدم مع الكثير من الكوارتز المتخلل له وكانت هنالك بعض أشجار اللبان

التي أكسبت المنظر مسحة رومانسية. كان أحد هذه الأشجار نموذجاً عظيماً، إذ كانت أغصانها منتشرة مثلها مثل بعض أشجار نخيل الزينة الدخيلة. تسمى هذه الشجرة أعربة ويقال إنها تنمو إلى حجم كبير في جبال تهامة حيث تستخدم ألياف أوراقها في صناعة الحبال^(١). يعترض شريط رفيع بين الأساس الشستي والحجر الصخري الفوقي لأتم مكون من الكوارتز ومن كسارة من خليط كوتقلومارينى، يبلغ سمكه القدم الواحد، ويصل ارتفاعه إلى (٦٠٠) قدم على جانب سفح التل، كما وجدنا هنا نباتاً يسمى تألب، وله ثمار توتية، يبدو أن هذه الثمار قد جذبت نحوها جملاً هائماً وزوجاً من غزلان حمر قد هربت إلى ما وراء التل للدرجة التي لم أتمكن حتى من رؤيتها. ربما كانتا من نوع غير معروف وذلك لأنها لا تبدو شبيهة بأي من الغزلان العربية التي أعرفها. لقد قابلتنا هنا فتاة صغيرة بصحبة قطيع من الماعز. ربما كان قطيع الألبان لنقعة، غير أنه يبدو لنا أن المسافة إلى هنا طويلة لتترك فيها هذه الطفلة بلا مرافق في هذه البرية.

كان القسم الشرقي هو أكثر أجزاء المنظر العام بروزاً من عند القمة إذ أنه هو الذي يحتضن العلامات الأرضية لنجران. يقف أبو همدان نفسه واضحاً بين تلال جانب الوادي الأيسر في اتجاه شرق الشمال الشرقي، وتقع من ورائه كل من عان الدريب والرهوة كما يقف قرن آل الحارث إلى اليسار بين تلال الجانب الأيسر، بينما كشفت صخرة الوادي المقابلة بعض قممها، منها خشم مدر، وعرير، والعبلاء، دون الحاجة لذكر بقع التي تطل على قرى وادي الفرع. ويقع قريباً منا

(١) لمزيد من الايضاح على نباتات بلاد تهامة والسراة واستخدامها في أغراض عديدة، انظر: كتاب: النبات للدينوري، الذي يقع في عدة مجلدات ويفصل الحديث في هذه الجزئيات، وبخاصة النباتات المتواجدة في المنطقة الواقعة بين اليمن والحجاز. (ابن جريس).

ملتقى تربية المكون من كل من مروان والعرض، بينما يمكن متابعة المجرى الكامل للعرض وعلى مراحل إلى الخلف إلى حيث منبعه في سلسلة شحاط، والذي يتجمع عند قاعدته كل من مصرفي الجبل الأسود وبني حليفة في مرتفعات السراة الرئيسية. الذي ينحدر إلى مخروط بربر، من عند باقم، ماراً إلى الجنوب منه ويدور إلى حوض واسع ضحل على مسافة ثلاثة أميال جنوب الجنوب الغربي من عتم. ينساب من هنا من خلال، التلال التي تمتد ناحية الجنوب الشرقي من عتم لتظهر مرة أخرى في الجانب الشمالي عند التقائه مع هضاض بجوار دلوه العالية على مسافة ميلين ونصف الميل. يمكننا بهذا أن نضع رافداً آخر لنجران وبدقة على الخريطة.

أمكنني بعد ذلك رؤية قرية أخرى من قرى النقعة، تقع أسفلنا وتبرز من خلف زاوية قرية ذات أنشان، وهي عبارة عن أبراج قليلة في مزارع نخيل كثيفة، كما اقتربت من رؤية صعدة ناحية الجنوب أكثر من ذي قبل، وذلك بعد أن لمحت هضبة صغيرة تعلّم موقعها في حوض سهل سعيد. لم أتمكن من رؤية أي من منازلها، ولم يكتب لي ذلك، بعدها. نظرت ملياً إلى اليمن ناحية جنوب الجنوب الشرقي، من فوق سلسلة كل من مفلوك وبراش، إلى سلسلة برد البعيدة^(١)، التي تحتضن بكيل (آل محمدي وآل حسيني) وهي بلدة سوق عنان. تقع قرية نشور في وادي آخر بالاسم نفسه، وهي غير مرئية لي، على مسافة جنوب مجرى العرض. لقد ملأت شثاث ونقاط مألوفة أخرى، الجزء الشمالي لهذا المنظر الكتيب بحق - كأنه بحر من حجارة رملية وتنوءات صخرية ترتفع كأنها الأمواج بين أحواض البازلت الأسود والشست.

(١) سلسلة (برد) ربما يطلق عليها أيضاً اسم (برط). (ابن جريس).

هبطنا من فوق الجبل إلى نقطة على طريق النقعة عند أسفل مسيل الحنكة، ومن ثم عدنا إلى المعسكر بعد أن تسكعنا بعض الوقت فوق الممر الضيق المكون من كسور صخرية بين جلاميد كثيفة من الشست. واصلنا دراستنا في الصباح اليوم التالي للحدود، سائرين حيناً وراكبين حيناً آخر على ظهور الحمير بحسب الظروف، وكان عمود الحنكة الحدودي رقم (١٤)، يطل على رأس المسيل. كانت كومة الحجارة التالية، وهي بلا اسم، قد وضعت عند حافة الصخرة على مسافة (٥٠) مقياس سلسلي من حافة حنكة، وقد تم استخدام النظام السلسلي كوسيلة مساعدة للوصف الرسمي للحدود، إلا أنه قد هجر سريعاً بوصولنا إلى المنطقة التالية. كانت السلسلة كما أذكرها تعادل (٢٠) متراً، وعليه تكون المسافة بين عمودين، بهذا المعنى، تعادل كيلومتراً واحداً. ولقد لاحظت ناحية الجنوب شريطاً من أكوام الحجارة على الحافة السفلى للصخرة، وقد تم وضعها (كما قيل لي) بصفة غير رسمية لتعليم الحدود قبل حرب ١٩٣٤م.

يمكن، على هذا الأساس، تجاهلها، وذلك لأن لجنة الحدود المشتركة قد أرجعت الشريط لصالح اليمن. يقع كوم الحجارة التالي على بعد (٥٠) سلسلة من سابقة على رأس مسيل مسياد (رقم ١٦) إلا أن الوصول إليه قد استغرق منا (٤٠) دقيقة عن طريق ملتوٍ فوق سلسلة في بلاد قد حرقته الشمس. يجري مسيل مسياد إلى أسفل الحنكة ومنها إلى النقعة. ثم سرنا على الأقدام بعد ذلك إلى أسفل سلسلته إلى غابة أشجار قرظ كثيفة، لنجد أن مستوى الأرض قد مال إلى أعلى من عند حافة الجلمود في اتجاه الجنوب، وفي اتجاه شمال شرقي ناحية سهل الحماد وخطوط صرفه، والتي عند رأسه، جنوب غرب كومة حجارة مسياد، يقف فوقها العمود الحدودي التالي. كان هذا العمود بالفعل على سلسلة تكون

قاسماً شمالياً - جنوبياً ويعرف في القائمة الرسمية باسم رأس الحماد (رقم ١٧)، وهو وصف كافٍ لموقعه.

يواصل خط الحدود اتجاهه الشمالي الغربي، الذي تم تحويله بعض الشيء ناحية الجنوب ليشمل مصرف كل من الحماد ومرعى ويقعان بكاملهما في العربية السعودية، إلى حيث كومة حجارة رأس العار إلى موقع معلم على سلسلة وعوع. لقد تم وضع كوم حجارة العار (رقم ١٨) فوق هضبة صخرية على الطرف المكسر لوتر ضحل تنحدر من عنده نهيرات عديدة، لتكون مسيل العار، الذي، أثناء مروره بقرية بالاسم نفسه عند قاعدة رفة، يتصل مع مجرى النقعة على الجانب الشرقي لتل بربر. تفصل الحدود من عند عمود شثيان إلى رأس العار، بين وادعة من منطقة ظهران وقبيلة وعيلة اليمنية، التي كانت حتى شثيان من عند النقطة الأقصى تجاه الشرق، عند تنصاب، قد فصلت بالأسلوب نفسه من منطقة قبيلة يام في منطقة نجران.

يفصل مسيل العار على جانبه اليمني بين قبيلة وعيلة وقبيلة بني حليفة الخولان التي تتاخم مع وادعة حتى العمود الحدودي لجدلية، والتي فيما يليها، يوجد قبيلة سحار خولان الذين انفصلوا عن أقربائهم بني حليفة بواسطة ذلك المجرى ويلتقطون الحدود التي تتاخم الحدود إلى قبيلة علب^(١)، مع قبيلة وادعة، والذين يكونون مجموعة قبلية سعودية يمكن مقارنتها مع قبيلة يام، إلا أنها أصغر منها، ومن الأصل نفسه النهائي لهمدان بن زيد. تمتد عناصر قبيلة وعيلة وقبيلة خولان في شريطيهما المتوازيين إلى ناحية الجنوب، حتى بلاد بكيل في محيط

(١) قبيلة علب: أو بلاد علب عبارة عن أرض تحتوي على جانبيها قبائل وادعة السعودية وسحار اليمنية.

برد. تعود أصول قبيلة همدان، المكونة من كل من يام ووادعة إلخ، إلى زيد الهلالي^(١)، بينما تتبع كل من قبيلة خولان وقبيلة قحطان لبني عامر.

استمرت كثافة الأشجار في البلاد التي تلي عمود العار الحدودي مع هضبات من صخر رملي وسلاسل ترتفع إلى (٣٠٠) أو (٤٠٠) قدم فوق مستوى السهل. يبدو أن هذه الأراضي قد اعتادت على هطول أمطار غزيرة مقارنة بالأراضي إلى الشمال والشرق وهذا هو أيضاً حال المنطقة المماسية لحدود اليمن الشمالية. كان سهل الحماد بصفة عامة وهذا الجزء الغربي منه بصفة خاصة، كثيف الأشجار مقارنة بأي جزء آخر كنت قد رأيت في الجزيرة العربية خارج جبال تهامة، التي تقع في ممر الرياح الموسمية. وصلنا إلى وادٍ رملي كثير الجنبات، بعد أن تعرج طريقنا خلال الغابات وعبرنا بأطراف السلاسل مدة نصف ساعة، تتبعنا مجرى الوادي عبر الجلاميد العالية المتآكلة بفعل الرياح إلى موقع يلتقي فيه مجريان، أحدهما من الجنوب والآخر من الجنوب الغربي، ليكونا رأس الوادي بين شجيرات وصخور ذات ظلال تغطيها النقوش الثمودية وعلامات المياه. كان هذا هو وادي حلقة ولعله اكتسب هذا الاسم من علامات الآبار الدائرية، وهو على أي حال رافد مهم لوادي الحصن.

كانت هذه البقعة بنقوشها، علامة حدودية ضاربة في القدم بين قبيلة بني حليفة (خولان) وبني جمعة (وادعة)^(٢)، ولهذا فقد وافقت اللجنة الحدودية

(١) تنسب إلى همدان بن زيد عدد من القبائل كوادعة، ويام، وحاشد وبكيل وغيرها، لكن قول فيليبي أن زيد جد همدان ينسب إلى أبي زيد الهلالي فهذا رأي مخالف للحقيقة، للمزيد انظر: علي بن أحمد بن حزم. جمهرة أنساب العرب (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) ص ٢٥٢، ٣٩٢ - ٣٩٥، ٤٧٦ - ٧٤٥. (ابن جريس).

(٢) بنو جمعة (وادعة):— هذه العشيرة لا تعود في وادعة بل تلتقي مع وادعة في همدان بن مالك بن زيد. (ابن جريس).

بقبولها معلماً حدودياً بلا حاجة إلى عمود حدودي أو كوم حجارة. اتخذت هذه البقعة الرقم (١٩) في قائمة العلامات الحدودية، ويمكن اتخاذ الخط الصحيح للحدود هنا بأنه يقع عند النقطة الوسطية للمجرى بين الدوائر التي رسمتها كل قبيلة على صخورها الخاصة بها. كانت بعض النقوش الثمودية قد تأكلت كثيراً بفعل الطقس، غير أنني قمت بنقل تسعة منها، وكان إجمالي عدد حروفها (٧٣) حرفاً. لقد كانت بلا شك أكبر مجموعة للنقوش التي تحصل عليها على الهضبة فعلياً.

تبعنا طريقنا إلى أعلى الفرع الجنوبي الغربي للوادي، وسرعان ما ابتعدنا عنه تجاه الشمال الغربي أعلى السفح للسلسلة المحيطة التي هبطنا من قممها تدريجياً عبر سفح حجري صعب، تنتشر فوقه ألواح وكسور لصخر رملي، حتى كومة حجارة بلا اسم (رقم ٢٠) تطل على وادي شجع. اتجهنا الآن ناحية الشمال، لنصل خلال دقائق إلى مسيل محيريشة، ونتبع مجراه الشمالي الغربي فوق بطن من ألواح صخر رملي يكسوه غطاء نباتي ثري من أشجار البالميتو والقرظ. يجري المسيل إلى أسفل في مضيق عرضه (٥٠) ياردة من صخور ارتفاعها (٢٠٠) قدم، تنكشف عن دلتا صغيرة ذات غطاء نباتي كثيف، والتي قد اندمجت سريعاً مع فم مسيل السلفه من جهة غرب الشمال الغربي، ومسيل قفية شجع من جهة الشمال، داخل وادٍ صغير كثيف الشجر والذي يدخله شعيب شجع من ناحية الشمال الغربي ليجري داخله في اتجاه جنوبي إلى ما وراء منحني حاد، وفي وسط غابة من الحلفاء تقع البرك المائية بجدلية التي تغذيها العيون في وسط حلقة من السفوح الخضراء بالنبات عند موقع التماس للصخر الرملي الأعلى مع الجرانيت التحتي، حيث تسيل العيون إلى خارج السطح.

كنا هنا على المنحدر المعاكس لمستجمع الماء، على ارتفاع (٦٢٠٠) قدم فوق سطح البحر، عند موقع لقاء حقيقي لمجري سيول ذات حجم معتبر وكثافة لنباتات الذروة التحتية. كما يوجد، إضافة إلى المجاري التي قد أشير إليها، مسيل الجدليّة الذي ينحدر من مستجمع الماء ليتصل بالوادي الصغير الذي يقع بين محيريشة وقفية شجا، بينما توجد أسفل البرك جدليّة أخرى، أو الجدليّة سفلى، يدعمها مسيل ضبعة القادم من الشمال الغربي، ليدخل مجرى شجا من عند جانبه الأيمن عند المنحنى.

لقد وضعوا حدود الجدليّة، مباشرة مقابل وأعلى هذا الموقع وعلى صخرة على الجانب الأيسر، على ارتفاع (٢٥٠) قدماً فوق مستوى بطن المجرى، وذلك لتعليم النقطة الثلاثية التي تلتقي فيها كل من قبائل وادعة وبني حليفة وآل سحار. لقد عسكرنا لقضاء الليلة على بعد (٥٠٠) ياردة من هذا باتجاه أعلى الوادي بالقرب من البرك، غير أنني لم أضيّع وقتاً فقد أسرع للصعود إلى العمود الحدودي الذي أحاطت به الجلاميد للدرجة التي دفعتني للصعود أكثر لألقي نظرة على المحيط الذي حوله. يحمل هذا العمود الرقم (٢١) للحدود. ويطل الرقم (٢٠) على محيريشة، ناحية الشمال الشرقي منه، ويحمل الذي يليه الرقم (٢٢) ويقع في الجزء الأعلى من مسيل ضبعة ناحية الشمال الغربي، وقد كانا قرييين من موقعنا. لقد لفت نظري فجوة في مستجمع الماء - وهذا موضوع بعيد عن موضوع الحدود - تقع ناحية الشمال الشرقي، ويمر من عندها درب الفيل ليدخل مسيل الجدليّة العليا وليهبط منه إلى برك الوادي الضيق، ومن ثم يواصل انسيابه ليدخل وادي شجع ومنه إلى وادي العرض ثم يعبر الأخير هذا في طريقه إلى صعدة. لا يصلح هذا الجانب للدرب المشهور لحركة السيارات. ينحدر وادي شجع نفسه من

سلسلة ضربة العالية إلى الورا ناحية شمال الشمال الغربي، حيث يكون منبعه هو مسيل الخربان.

خرج فرج حاملاً بندقيتي ومعه أرنباً، بينما كنت أقوم بأنشطتي الجغرافية، لم ألاحظ طيوراً لافتة للانتباه وقد كانت البلابل متوافرة هنا وكذلك البلاكستارتس و القنابر. كانت الليلة لطيفة وقد أحاطت بالقمر هالة من ألوان قوس قزح، بينما بشرت سحبات خفيفة بتغيير محتمل في الطقس. هبت الرياح أثناء النهار من جهة الجنوب الغربي، إلا أنها سكنت تماماً عند غروب الشمس وقد أدفأت لنا الليلة إذ كانت درجة الحرارة الدنيا (٤٨) درجة.

أدهشني عدم وجود رعاة حول الماء عند وصولنا، والشخص الوحيد الذي كنا قد رأيناه، من غير أفراد مجموعتي، كان زائراً عابراً مسناً غيبياً وكان قد شاهدنا من بعيد وجاء إلى المعسكر على أمل أن يحظى بوجبة طعام. كان اسمه حسين وهو من رعاة آل فاطمة -ربما يتبعون آل حشيش- ويرعون قطعانهم في سهل الحماد، وهو من شاكلة المرشدين اللذين يعملان معي وكنا قد ألحقناهما معنا في وادي الحصن. وأطلقنا سراهم حديثاً بعد نهاية العقد معهم. لقد ظل مرعي، وهو من قبيلة وادعة معنا، كما وافق حسين أن يرافقنا على الأقل إلى معسكرنا الآتي. لم يكونا متفقين دائماً على أسماء الأماكن، غير أنني وجدتهما مفيدتين جداً كمصححين لبعضهما البعض.

صعدنا إلى خارج الوادي في الصباح من فوق عرن السلسلة لندخل ضبعة والذي وصلنا على جانبه الأيسر إلى عمود حدودي، من كومة صغيرة والحجارة غير بارزة. يبدو أن بطن المسيل يقع في أرض يمنية ويتصل مع وادي شجع أسفل عمود الجدلية الحدودي. ثم وصلنا إلى كتلة كبيرة لحجر رملي، بعد أن واصلنا

سيرنا على المسيل متجهين ناحية غرب الشمال الغربي إلى ما يلي موقع تدفق حلقوم من عند سلسلة خطا العالية تجاه الشمال الغربي، كانت تلك الكتلة على الدرب عليها نقوش ثمودية طويلة مكونة من (٣٠) حرفاً، بينما وجدنا على بعد مسافة بعض الرسوم للوعل وكلاب الصيد على صفحات جلاميد متشابهة مفككة. وصلنا هكذا إلى رأس ضبع على ارتفاع (٥٠٠) قدم فوق موقع التقائه مع شجع كما دخل من الجانب البعيد مجرى رحب والذي يدخل إلى شجع أيضاً، قليلاً إلى أسفل.

دخلنا إلى مضيق جميل، بعد أن تتبعنا جانبه الأيسر، كان عرضه ١٠٠ ياردة ويقع بين صخور شديدة الانحدار، لنصل بعدها إلى العمود الحدودي التالي (رقم ٢٣) الذي يعرف باسم عليب وهو اسم الجزء الأعلى لمجرى رحب من فوق المضيق. كانت هنالك بركتان كبيرتان للماء في هذا الموقع المجرى، يقال: إنهما مستديمتان، بينما برز شريط نحيل للبازلت يشق طريقه إلى أعلى، خلال الصخر الرملي، ليكون طريقاً للعبور يبلغ عرضه (٧) أو (٨) أقدام وقد شمخت الصخور الرملية على جانبيه.

كان العمود الحدودي على قمة صخر رملي على جانب الوادي الأيسر، أعلى البرك، والتي لا بد أن يكون موقعها على بعد (٥٠٠) قدم أسفل منا. كان الارتفاع هنا حوالي (٦٧٠٠) قدم فوق سطح البحر، وقد أمكننا رؤية بطن عليب وهي مرتفعة في ثبات ناحية سلسلة وعوع الصخرية الرملية إلى الغرب، على مسافة ميل واحد فقط. أمكننا كذلك رؤية كوم الحجارة الحدودي لوعوع على قمة السلسلة وكذلك كوم حجارة حدود الجدلية إلى الخلف من موقعنا ناحية الجنوب الشرقي. كان تل دلنان معلماً مثيراً للانتباه ويقع ناحية الجنوب الذي إلى الشرق

منه يجري طريق الفيل أسعد كمال كما روى مرشداي، وهو يعبر أرض آل سحاز متجهاً إلى صعدة.

ثم واصلنا سيرنا فوق الجانب الأيسر المرتفع لعليب، ووصلنا بعد ساعة من المسيرة الصعبة إلى قمة وعوع وإلى عمودها الحدودي، رقم (٢٤)، على ارتفاع (٧٣٠٠) قدم فوق سطح البحر. لقد سيطرنا، من هذه البقعة المثيرة، على منظر رائع ليس به إلا القليل من السمات الجديدة، مثل القلعة الصغيرة (قصبه الحيد) التي تقع فوق قمة هرمية على سلسلة السراة قليلاً ناحية الجنوب الغربي. قال عنها مرشداي أنها تطل على بلدة صغيرة أو قرية كبيرة اسمها ساقين عند قاعدة التل وعلى جانبه القريب.

ظهرت الآن جبال عرو ورازح، التي ورد ذكرها كثيراً أثناء المراحل الأولية لحرب اليمن، ولأول مرة من وراء الكتف الأيسر للجبل الأسود، وبالطبع، داخل الحدود اليمنية. يقع تل علب ناحية الشمال الغربي من موقعنا وتقع قلعة أم ليلي تجاه الجنوب الغربي، بينما وقفت شاث في تجاه شمال الشمال الغربي ومعها قرن سبط الذي يشاهد بوضوح ناحية الشمال. كانت بعض قمم نجران مشاهدة من ناحية الشرق وهي قرن آل الحارث، وزبره، وعرير، بينما تقع الأعمدة الحدودية الأتم وشثيان ناحية شرق الجنوب الشرقي. يمكن أيضاً رؤية بربر، وبراش ومفلوك وكذلك برد البعيدة، ناحية الجنوب أكثر.

وصلنا بعد تسلق صعب فوق السفوح المنحدرة الحادة على الجانب البعيد من وعوع إلى هبوط في الارتفاع يقدر بـ (٥٠٠) قدم إلى مجرى تكسوه أشجار البالميتو ويسمى شعيب الظريفة، والذي ينساب من هنا ناحية الشمال الشرقي لمسافة قبل أن ينحني ليتصل مع وادي شجع من عند موقع دخوله إلى وادي الجدلية

الصغير. توجد في حوضه وهي أعلى موقع اللقاء، بعض الثقوب المائية (حيرة) تسمى الظريفه. سلكتنا هذا المجرى إلى أعلى ناحية الجنوب الغربي، حيث يصل إلى فاصل صخري ضيق يبعده عن وادي شعيب الشعبة. ينساب هذا المجرى جنوباً ليتصل مع شعيب ثيبان، الذي ينحدر من عند ممر علب ويتصل في نهاية الأمر مع وادي شجع بالقرب من موقع التقائه مع وادي العرض بالقرب من بربر. ينبع وادي شجع نفسه، كما قيل لي، من موقعين في جوانب كتله صخرية رملية تسمى ضراوية والتي كان عمودها الحدودي مرئياً لنا من عند القمة إلى الشمال الغربي من موقعنا.

توجد برك مائية في شعيب الشعبة عند موقع التقائه مع ثيبان، بينما يقع العمود الحدودي لشعبة على مسافة (٥٠٠) ياردة فقط من رأس الظريفه في اتجاه شمال الشمال الغربي وعلى ارتفاع (٧٠٠٠) قدم فوق سطح البحر. قررت أن تتوقف عندما وصلنا إليه، للراحة ولتنال قسطاً من النوم الخفيف على الرغم من أن الجو كان بارداً عند ذلك الارتفاع، وكانت السماء ملبدة بالسحب، منذرة بالرعود من جهة الجنوب الغربي. كان هذا هو كوم الحجارة الحدودي رقم (٢٥) في السلسلة الحدودية.

لقد أرسلنا حميرنا فوق طريق سهل لتقابلنا فيما يلي رأس الشعبة والذي يحمل صرف مياه سفحه الشمالي مسيل سيلة معدة الذي ينساب ناحية الشمال الشرقي ليتصل مع موقع التقاء كل من فرع جليل من ناحية الغرب وتقبله على بعد نصف الميل من موقعنا، ويسمى المجرى بعد ذلك باسم الحجفاء ويواصل سيره ليتصل مع وادي شجع. لعل القارئ الآن قد أدرك التعقيد الكبير للنظام الصخري في هذه الأرض الصخرية الرملية المكسرة، غير أنه يجب القول هنا بأنه بالنسبة

للرعاة المحليين المنتشرين في هذه الأراضي، فإن كل مجرى فيها يمثل قسماً من أراضي الرعي والتي هم دائماً على استعداد للدفاع عنها ضد المعتدين. مررت في هذا المسيل نفسه، أي سيلة معدة، أثناء هبوطنا، بتذكار كئيب وغريب لمعركة من هذه المعارك كانت قد حدثت قديماً وفي عام ١٨٩٤م بين قبيلة وادعة، وهم يدافعون عن مراعي بلادهم، وآل هشام وهم قسم من قبيلة وعيلة^(١).

كان ما شاهدته هنا عبارة عن مجموعة أكوام من الحجارة وهي مبعثرة في المنطقة محددة الموقع الحقيقي حيث سقط الأفراد المدافعون عن القبيلة أثناء قتالهم المعتدين، والذين بناء على الروايات المحلية، التي تصف المعركة بأنها كانت كبيرة، قد تم دحرهم بخسارة كبيرة، توجد عشرات من هذه الأكوام الحجرية في المجموعة الواحدة لتشير إلى ثمن انتصار قبيلة وادعة. كما قد ذكرت لي معركة مماثلة أخرى، وأنها قد وقعت في ضهبة بالقرب من سلسلة الأجمعين جنوب شرق ظهران، ولقد ذكرت سابقاً موقع معركة ثالثة عند الهضبة جنوب بدر. امتطينا ظهور الحمير الآن لنواصل سفراً فوق سفح سهل تجاه الكتلة البارزة التي تسمى ضراوية، والتي قد وصلنا إلى قاعدتها، التي كانت عند مستوى الارتفاع نفسه الذي كان عليه رأس الشعبة، وذلك خلال (٢٠) دقيقة.

كان صعودنا فوق الصخور على السفح المنحدر صعباً جداً. أصابت الجروح يدي بسبب الصدمات والسقوط المتكرر بين الجلاميد الحادة لهذه البلاد. وكان الأمر أيضاً صعباً على كعوب أرجلنا والأجزاء العليا للأحذية المطاطية. كان هذا الصعود

(١) الصراعات بين القبائل على أماكن المراعي وموارد المياه كانت من أعظم المشاكل التي تقابل الناس قديماً، واليوم خفت بدرجة كبيرة لوجود أجهزة حكومية تقضي بين الناس، وكذلك توفر مصادر رزق أخرى غير مهنتي الزراعة والرعي التي كانت توجد تلك الصراعات من خلال ممارستها. (ابن جريس).

من أسوأ ما قد واجهناه حتى الآن، برغم أن القمة كانت على ارتفاع (٤٠٠) قدم فقط من القاعدة، لنقل (٧٤٠٠) قدم فوق سطح البحر. سقط رذاذ مطر خفيف حينما وصلنا إلى القمة، في ذيل عاصفة كانت عابرة فوق المرتفعات الغربية من الجنوب إلى الشرق خلال فترة ما بعد الظهر كلها. سعدنا بعد ذلك بمشهد نادر لقوس قزح رائع ولمدة طويلة بألوانه البديعة- وكان طرفا دائرته التي تمثل ثلاثة أرباع الدائرة، ظاهرين بوضوح عند قاعدة السلسلة على الجانبين، بارزاً من عند الموقع نفسه الذي كنا قد بدأنا منه تسلقنا ومستديراً من فوقنا وإلى أمامنا ليهبط عند البقعة التي تنتظرنا فيها حميرنا، بعد أن استدارت حول السلسلة، على الجانب الآخر. خلدت بقية أفراد مجموعتي للراحة في المعسكر في هذه الأثناء لقضاء الليلة عند قاعدة تل يسمى مهد على بعد الميل الواحد تجاه شمال الشمال الغربي.

لم يكن هنالك ما يبرر بقاءنا أكثر من ذلك عند القمة، وقد اعتدت على المنظر العام، والذي كانت سمته الوحيدة الجديدة هي جرف عالٍ من صخور رملية يسمى غرا، ناحية الجنوب الغربي، على جانب واحد من الممر المشهور المسمى باب الحديد أو أم حديدة كما يسمونه في هذه الأثناء^(١)، وهو البوابة الحديدية التي تقود إلى اليمن عن طريق باقم. كما توجد كومة حجارة أخرى على قمة ضراوية على بعد الميل الواحد تجاه الغرب، غير أنها كانت أرضاً قبلية قديمة أو علامة حدودية. ولا دخل لها بالحدود الدولية، والتي وصلنا عندها إلى العمود الحدودي رقم (٢٦).

كان العمود الحدودي التالي، (٢٧) لا يزال على سلسلة ضراوية عند طرفها الشمالي ويسمى بل فريض الراكاة. لا يزال قرن آل الحارث التابع لنجران مرئياً لنا

(١) وربما أطلقوا على هذه المواطن اسم (أبواب الحديد). (ابن جريس).

ناحية الشرق، غير أن بقية المعالم الأرضية الأخرى لنجران قد غابت عنا بسبب السلاسل المعترضة.

لم يعترف حسين الفاطمي، على أي حال، بقرن آل الحارث، كما أنه لم يكن مفيداً كمرشد وكان كذلك حال مرعي الوادعي برغم أنه كان يثرثر كالقرد. يرتدي حسين ثوباً من السمق مصبوغ بكثافة بالنيلة وملتصقاً مع جلده، ويرتدي فوقه سمقاً أبيض اللون للأناقاة. وكان يحتذي صنديلاً مصنوعاً من مطاط إطارات سيارات تالفة، وكان دائماً يحمل أحد الحذائين ليحميه من ضرر الصخور! كان ابن داهش يمثل دعامتي الأساسية، برغم أنه لم يكشف عن أي معلومات جغرافية تفصيلية، خلال هذه الأيام الطويلة الكئيبة التي قطعناها سيراً على الأقدام، ونحن نصعد صائمين. تركت فرج واستقلاليتي للصيد، علماً بأن ذلك لم يكن كثيراً، إلاً من أرنبه خجولة، في هذه البلاد المعزولة. لم أر الكثير من بقية الرفاق، إلاً في المعسكر فقد كانوا سعداء بمتابعتهم للطريق الأقل مقاومة والأكثر راحة.

وصلنا إلى المعسكر مع غروب الشمس وقد مررنا بصخرة على جانب الطريق وعليها نقوش ثمودية، وتركت أمر نسخها إلى صباح الغد. كان يوجد نقش آخر من تسعة حروف يقع بعيداً قليلاً من الصخرة الكبيرة والتي كانت صفحتها مغطاة بنقوش عديدة تشتمل على (٦٥) حرفاً في جملتها. أقمنا معسكرنا في تل مهد على الجانب الأيسر لوادي تقبله والذي كانت توجد فيه أيكة جميلة من شجر القمر، والذي يستخلص البدو من سيقانها اللحمية دهناً يستخدمونه في علاج الجرب^(١) وغيره من أوجاع الجمال.

(١) الجَرَبُ: من الأمراض التي تصيب الإبل، وقد تعالج من هذا المرض إذا تم دهن جلودها، أو مكان المرض بمادة (قطران) المستخلصة من جذوع بعض الأشجار المحلية كالعتم والطلح وغيرها. (ابن جريس).

رأينا في هذا المجرى وفي مصارف مماثلة في هذه المنطقة، الكثير من شجرة يسمونها نهديّة شديدة الشّبة بالطمسوس، والتي تستخدمها النسوة في غسيل الشعر. كانت شجرة القرظ وافرة هنا، إلّا أنّ ابن داهش ذكر لي بأن أوراق القرظ، على عكس الطلح وأنواعه الأخرى، لا يصلح علفاً للإبل. لقد شاهدت الجمال تأكله بحرية في حضرموت، ويبدو أنّ الجمال المحلي هنا تفعل ذلك أيضاً، إلّا أنّها لا بد وأن تتأقلم عليها طوعاً أو كرهاً. تتأذى الجمال الغريبة من أكله كما حدث لجمال السعوديين أثناء العمليات في الحماد خلال حرب اليمن. كانت هذه البلاد أرضاً كثيفة ومعزولة، على الرغم من كسائها النباتي الأخضر، يبدو أنّ شجرة اللبان (اعربة) تنمو بغزارة في هذه السلاسل الصخرية الرملية مثل سلسلة وعوع وضراوية.

سلكننا سلسلة نهد صباح اليوم التالي، صاعدين إلى أعلى الوادي إلى فترة، قبل أن نضرب تجاه الغرب من خلال غابة من أشجار القرظ أسفل ضراوية إلى القاعدة الشمالية لضراوية، والتي وصلنا إليها خلال (٢٥) دقيقة. ثم وصلنا بعد (١٠) دقائق من الصعود إلى العمود الحدودي (رقم ٢٧) الذي يقع عند ارتفاع (٧١٠٠) قدم فوق سطح البحر في سرج منخفض به قمتين للسلسلة يقعان في أقصى الشمال. يجري مسيل فريض الراكّة، على الجانب البعيد منه، إلى أسفل في اتجاه الجنوب ليتصل مع ثيبان. ثم هبطنا سالكين الطريق الذي صعدنا عليه، وكنا ممتطين حميرنا، وتواصل السير على الخط الكفافي لقاعدة ضراوية إلى مسيل المعول، الذي سلكناه إلى رأسه في المضيق، والذي من عنده هبطنا إلى مسيل العروس. يجري مسيل العروس بجوار بعض البرك الواقعة في بطنه ليتصل مع

شعيب مجازة من ناحية الغرب، والذي بدوره يتصل مع المعول إلى أسفل مع شعيب حجر، ومنه إلى وادي الحصن.

تركنا العروس بالقرب من منحى البرك وضرينا السير فوق مسيل يسمى عجمة المعول والذي هبطنا من عند رأسه إلى شعيب البطيح الذي سلكناه، وهو رافد لمجزة. أصبحت التلال شديدة التشابك ومختلطة ويصعب رؤية ما يحدث في الحدود، التي تقع على امتداد طريق متعرج يجري تجاه الغرب. كان مسيل البطيح قليل الأشجار والتف بعد فترة ناحية رأسه في سلسلة وردية اللون وليست بالبعيدة ناحية الشمال الغربي، تاركاً لنا في مدرج جبلي طبيعي والذي من عنده وصلنا، بعد تسلق استمر مدة ساعة على السفوح الصخرية العادية، إلى قمة جبل عضد وعموده الحدودي القائم على حافة هوة رهيبة.

كان ارتفاعنا على هذه القمة حوالي (٧٦٥٠) قدماً فوق سطح البحر، وهو أعلى موقع وصلناه في الحدود حتى الآن، ولا بد أن يكون حوض وادي ثيبان عند أسفل الهاوية على بعد (٢٠٠٠) قدم أسفل من موقعنا وقد هبطت عليه صخرة شديدة الانحدار وتستدير من حوله في شكل نصف دائرة جروف مخيفة لتكوّن صدعاً يبلغ عرضه (٢٠٠) ياردة والذي ينحدر منه مسيل ثيبان ومسيل آخر يسمى يباد من جهة الغرب والجنوب الغربي بالتتالي في سباقهما ناحية كل من شجع والعرض. كان كلاهما جافاً في هذا الوقت، وكان بطن الهوة محتوياً على برك متقطعة غير أن الأمر يحتاج إلى قليل من الخيال لتصور ما سيكون عليه الحال خلال موسم السيول وحين تصب المياه الهادرة من هذا العلو.

يهبط مسيل يباد من عند فجوة في الصخر الرملي على مسافة أميال قليلة، وتقع قرية يباد نفسها إلى الورا على السلسلة نفسها، بينما يقع منبع ثيبان ببضعة

أميال في أرض مرتفعة مكسرة. نحن نقترّب الآن من الجرف العظيم ذي السلسلة البركانية المسطحة واسمه جبل شعير الذي وضحت حافته بجوار علب، الذي لم يكن مرئياً لنا، إلاّ أنه يقع غرب الشمال الغربي خلف كتلة صبحطل^(١) المعترضة. كانت أبعد النقاط المرئية لنا هي قرن سبط ناحية الشمال والمعلم الأرضي برد ناحية الجنوب الشرقي.

قضينا حوالي ساعة عند هذه النقطة الحدودية (رقم ٢٨) مستمتين بالمنظر العظيم الذي وقفنا عليه. كما استغرق وصولنا إلى البقعة الحدودية التالية وهي فريض أسعر (رقم ٢٩) ساعة كاملة أخرى، على الرغم من أنها لم تبعد بأكثر من ميل واحد. كان الارتفاع مثل الارتفاع عند عضد حوالي (٧٦٠٠) قدم فوق سطح البحر، ولكي نصله كان علينا أن نهبط بعض الشيء لنصعد فوق سفح آخر يقودنا إلى مضيق ضيق والذي على جانبه ينحدر المسيل بحدة إلى كل من ثيبان ومجازة بالتالي - وهو منبع آخر مزدوج الرأس لوادي نجران.

يمتاز هذا العمود الحدودي بأنه لا يمكن رؤيته من أي موقع غير شثاث، وبعض التلال التي ساعدت على تثبيت موقعه، وقد استغرق وصولنا إلى العلامة الحدودية التالية، حوالي (٢٠) دقيقة فوق سلسلة واصله صعبة، التي تقع على هضبة صبحطل العالية (رقم ٣٠) والتي يبلغ ارتفاعها (٧٨٠٠) قدم فوق سطح البحر. لقد كانت هضبة منعزلة، تملأ الفجوة بين جرف عضد وجرف السلسلة وقد تم وضع العمود الحدودي عند النقطة الوسطية. ثم ظهرت إلى البعيد ناحية

(١) صبحطل: - يطلق عليه أيضاً اسم صبحطل. (ابن جريس).

الجنوب كتلة جبال جديدة يمنية، كنا قد رأيناها من قبل من عند أسعر، وكأنها هضبة حادة الجنبات، إلا أن مرشديّ لم يقدموا لها اسماً. كان كل من قرن سبط وقرن آل حرث مرثيين لنا ناحية الشمال وناحية الشرق بالتتالي، بينما تقع أمامنا تقريباً، سلسلة شعير ومعها ممر علب الذي يقع في طرفها الشمالي.

وصلنا بعد مسيرة (٤٠) دقيقة على الأقدام إلى الطرف الغربي الأقصى لأرض صبحطل النجدية، والتي تنفصل عن هضبة مماثلة ولكن أصغر منها تقع ناحية الغرب وتسمى فريض المحدث، بواسطة مضيق عميق ينحدر إلى (٦٠٠) أو (٧٠٠) قدم بين صخور شديدة الانحدار والتي يسقط من فوقها مسيل فريض المحدث في طريقه للاتصال مع ثيبان. يقع العمود الحدودي التالي (رقم ٣١) على حافة فريض المحدث على بعد (٢٥٠) ياردة من موقعنا، عبر المضيق، قليلاً ناحية الشمال الغربي، وفي خط مستقيم عبر شعيب المزيرعة، مع رأس مسيل علب حيث يهوى إلى الجرف. لقد أرهقتني ضغوط عمل اليوم وقد تقدم النهار وضعفت مقدرتي على العطاء، بينما حذرنا طول الرعد المتدرجة من ناحية الغرب فوق فيفا بأنه قد حان الوقت لمغادرة المرتفعات إلى الأرض. أجلت رؤية عمود محدث الحدودي وأسرعنا إلى المعسكر. كنا نرى زملاءنا وهم مستريحون في الأسفل، على بعد يقل عن ميل واحد، في حوض فجة البيضاء عند سفح الجبل، على بعد (٥٠٠) قدم إلى أسفل من موقعنا. كان الهبوط صعباً بحق على الصخر الرملي من أعلاه إلى أسفله. كانت الطبقات السفلى، وإلى عمق (٣٠٠) قدم، من حجر رملي أكثر بياضاً من الرخام وكان في تضاد مثير مع اللون الأسمر المحمر والصخور السوداء في المستويات العليا.

كان القمر بديراً هذه الليلة، يلمع فوق مخابي انسحابنا بين الجروف الضخمة التي شمخت فوقنا، وهي جروف بيضاء وقفت في شبه دائرة كبيرة من عند التلال العالية حول الحوض الذي يجري فيه مسيل بياض ناحية الشرق. تمثل مجموعة الطيور هنا بطيور السوادية والأبلق، بينما لاحظنا أثناء النهار آثار الوعل على تل صبحطل وشاهدنا كذلك بقايا ماعز كان قد قتله ذئب وأكله.

تحول الطقس إلى الدفء، وكانت الدرجة الدنيا للحرارة في هذا الموقع المحمي (٥٩) درجة، بينما كانت الحرارة في وادي مهد المحمي أيضاً (٥٢) درجة لقد شقت تأثيرات الشمس نهائياً، والرياح الباردة عند القمم، والظروف المعتدلة في هذه الليالي، إضافة إلى التسلق الصعب بين الصخور، كلاً من وجهي وأنفي وأصابعي وظهر يدي إلى الدرجة التي لم ترعجني فقط، بل سببت لي متاعب خطيرة. كانت ذروة ذلك خلال مسيرة اليوم، حينما اكتشف أنه، عن طريق إهمالي وعدم انتباهي، فإن بعض تقرحاتي بدأت تتقيح وتمتص طاقتي. لم يكن معي من المؤن الطبية غير اللفافات، إلا أنني جلست اغتسل بالماء والصابون عند المساء لإعادة صيانة جسمي، وكنت في الصباح أؤدي عملي وأنا ملفلف بالشرايط، غير أن ذلك لم يكن نهاية متاعبي بأي حال.

واصلنا عملنا في الصباح خارج فجة البيضاء على امتداد خطوط الكفاف لسفح فريض المحدث، الذي يرتفع تدريجياً وهو أمر صعب على الحيوانات السالكة في الممر، غير أنه لم يكن صعباً علينا مع بعض الزحف من حين لآخر. استغرق وصولنا إلى حافة هضبة فريض المحدث حوالي نصف الساعة، وكانت أقل ارتفاعاً من صبحطل بحوالي (٢٠٠) قدم وتقع تجاه الغرب من عمودها الحدودي. مررنا بعدد من البرك الصخرية أثناء صعودنا وكانت كلها مليئة بالمياه

نتيجة للأمطار الأخيرة، كما كانت هنالك برك بين جروف فجة البيضاء، غير أن الأخيرة هذه يقال عنها إنها تجف صيفاً. كانت قمة فريض المحدث مكسوة بالشجيرات الخفيضة وبعض أشجار القمر وبشجرات الشث زيتونية اللون.

سرنا على الأقدام فوق هذه الهضبة مدة (١٥) دقيقة، لنصل إلى العمود الحدودي التالي واسمه رأس المزيرعة (رقم ٣٢)، وقد تخرب تماماً، ربما بفعل الرياح والسيول. يقف العمود بجوار بركة كبيرة ضحلة، كانت جافة تماماً في هذا الوقت، داخل حوض من حجر رملي عند زاوية الهضبة حيث يهبط مسيل شعيب القوم من عند سلسلة الحضار ناحية غرب الشمال الغربي من موقعنا، ويتفرع إلى جزأين، أحدهما يجري شرقاً ليكون رأس شعيب المزيرعة ويتجه الآخر جنوباً ليصب في الجزء الأعلى من مجرى علب، الذي يجري إلى أسفل حيث وادي شجع. كان علينا أن نبحث عن طريق مختصر وقد واجهتنا جلاميد عالية، مما دفعنا للعودة على أثر طريقنا لبعض المسافة ثم لنصعد وبمشقة إلى أسفل المجرى المزيرعة الأعلى، والذي كنا قد سلكناه إلى مضيق ضيق على ارتفاع (٧٦٥٠) قدماً فوق سطح البحر، والذي كان يمر عبر طريق الجمال اليمني الذي يتجه إلى مسيل علب ومن ثم على امتداد المزيرعة ليمر داخل شعيب القوم. تجمعت أشجار العرعر في هذه المنطقة، وكنا قد رأيناها متفرقة حول صبحطل، وكان بعضها هنا مثمرًا. كانت الشجرة اللافتة للانتباه التي رأيناها لأول مرة في شعيب المزيرعة هي شجرة كثا، التي اتضح أنها زيتون بري.

تضمن الغطاء النباتي العالي المحلي نبات مجره ونبات أثق كما قابلنا ونحن في طريقنا إلى هذا المكان، فتاة في السادسة عشرة من عمرها (غير متزوجة) ترتدي سمقاً جميلاً حديث الصبغ بالنيلة وكانت خصلات شعرها مدهنة جيداً

ومكشوفة، وهي تمضي في طريقها وحيدة من عند مخيمها وذلك لزيارة للجرف المجاور. كانت فيما يبدو شخصية مشهورة، فهي واحدة من ستة من البنات، تزوج اثنتان منهن، والدهن هو محمد بن شيخ من قبيلة وادعة، الذي مات منذ زمن دون أن يخلف أبناء ذكور يرثونه.

استغرق وصولنا إلى العمود الحدودي (رقم ٣٣) عند رأس شعب القوم حوالي ساعة كاملة من المشي الجاد المرهق على الأقدام عبر مجاري صعبة لكل من المزيرعة وشعب القوم، على ارتفاع (٧٧٠٠) قدم فوق سطح البحر. تقع كل الهضبة داخل الزاوية التي يكوّنها هذان المسيلان وكانت هضبة خضراء مريحة وبها العديد من المنخفضات المشجرة التي أصابها الأمطار الأخيرة وبدت طازجة المظهر. اتجهنا الآن ناحية الجنوب الغربي، عبر التركيبة نفسها من الصخر الرملي لهضبة البلاد، التي انتهت فجأة عند قاعدة الوتر لسلسلة البركانية التي تكون القمة، للجرف الفعلي، الذي ينحدر من الجانب البعيد إلى هوة تهامة وإلى صدوعها. ثم تسلقنا السفح الشرقي الصعب لسلسلة بركانية لنقف على قممتها على ارتفاع (٧٨٠٠) قدم فوق سطح البحر. يقف العمود الحدودي لعلى هضبة منعزلة على مسافة قليلة من موقعنا، تجاه جنوب الجنوب الغربي عند رأس العقبة المشهور، ومن عنده يهبط طريق شديد الانحدار عبر فتحة في الصخر تسمى الحنكة، ثم إلى قرية المريسقة اليمنية التي تقع إلى أسفلنا بحوالي (٢٠٠٠) قدم وتبعد مسافة ميلين في خط مستقيم موقعنا.

لم نكن في عجلة من أمرنا للذهاب إلى العقبة حيث سيكون معسكرنا، أثناء جلوسنا على السلسلة نستمتع بالمنظر، وصل إلى سمعي صوت يشبه صوت حصان يعدو، لم يكن لديّ الوقت لأسجل هذه الظاهرة، حينما برز من عند

الزاوية للسلسلة وعل ذكر مكتمل النمو، كائن رائع ذو قرون ثقيلة، يخب أمام عيوننا بيسر فوق صخور البازلت الصعبة. لقد كان رجل الشرطة الجالس بجواري بطيئاً في استعمال بندقيته واختفى الحيوان من وراء منحني في الجرف قبل أن أجد وقتاً أطلق فيه رصاصة. لم يملكني الأسف على ذلك، على أي حال. كانت هذه هي أول مرة أرى فيها وعلاً في بيئته المحلية الطبيعية في جبال الجزيرة العربية، وقد رأيت الحيوان بكامله أمامي مدة دقيقة كاملة على مسافة (١٠٠) ياردة مني، وهو مشهد لا يمكن أن ينسى. أسرع محمد بن مسفر فوراً في ملاحقته، غير أنه لم يره مطلقاً. لقد كانت أمامه فرصة الحياة غير أنه لم يكن مستعداً لها حينما جاءت.

كان المنظر فوق جبال تهامة يمتد أمامنا باتساع غير أنه قد اعترضت صفاء سحب منخفضة، مما جعل التقاط التفاصيل أمراً صعباً. تقف الأرض المرتفعة البركانية التي تسمى مندبة مباشرة خلف العقبة وداخل أرض يمنية ممتدة غرباً لتكون زاوية مع سلسلة علب والحضار، والتي نقف نحن فوقها الآن، وهي تمتد من الجنوب إلى الجنوب الغربي، وتحجب المنظر في ذلك الاتجاه. غير أن كتل كل من مرعة وقعمة قراد قد برزتا جزئياً فيما يلي وأعلى من كتف مندبة وإلى اليسار، وكان جبل فيفا بارزاً بين جبال تهامة ناحية الغرب ومن حوله كتل منجد وثيران وغيرها.

سرنا على مهل إلى العقبة لنعسكر في كهوف رائعة في صخوره الرملية الترسيبية أسفل قمة البازلت. يقع الممر على ارتفاع (٧٥٠٠) قدم فوق سطح البحر في منخفض في قمة الجرف. وقد سيطرتُ على منظر عظيم من عند كهفي، يمتد من ضلع إلى آخر لاكتاف الجبال البارزة من الجدار الشديد الانحدار للجرف. وهو

جدار يرتفع إلى (٢٠٠٠) قدم ويتعرج تجاه الشمال في سلسلة مصفوفة من أراضي رأسية، وجدار من صخر رملي أحمر تكسوه قلسوة رفيعة من البازلت، والذي كسحت حجارتها المتساقطة المائة قدم العليا من صخرة التحتي. كنت مرهقاً جداً عند الوصول، ومتعباً بسبب التسلق ولا أزال أشعر بآثار تقرحاتي الملتهبة.

استلقيت بسبب ذلك لأنام في كهفي، وبرغم الإزعاجات الصادرة من أكثر من جهة، إلا أنني قد نمت براحة كافية من الساعة (٢,٣٠) حتى غروب الشمس، حيث كنت مستعداً لتناول بعض المنعشات، مع عدم ميلي إلى النشاط. صحت عند الساعة (٤,٣٠) على جلجلة رعد عنيف، معلناً لنا بقدم العاصفة. ثم جاءت العاصفة، مندفعة شمالاً في مقدمة إعصار، غير أنها تركتنا جافين وأمطرت فوق الجبال الواقعة ناحية الغرب إلا أن العاصفة عادت مرة أخرى ولكنها لم تصبنا للمرة الثانية، وقد مرت فوقنا تجاه الشرق. ثم اختفت العاصفة نهائياً مع غروب الشمس، وقد صفا الجو ليعبره القمر، إلا أن الجو قد برد إلى جانب أن قروحي والشرائط ومع الألم الواخز قد سببت لي الكثير من عدم الراحة، وجعلني أحس بأنني خارج حالي الطبيعية. عزلت نفسي -على أي حال- في كهفي وقد فاتتني المجموعة الضاحكة من رجال الحمير الذين عادوا بعلب فارغة من باقم إلى ظهران، وهم يتلکأون ليدركوا فرصة تناولهم العشاء مع رفاقي.

قررت أن أقضي كل يوم الغد (٢٩ نوفمبر) هنا وأن آخذ الأمور ببساطة وأعطي لنفسي فترة استرداد للعافية. كان الموقع مريحاً حقاً لكي أنال إجازة، وقد واكبنا الحظ في أن نعرض مسار شحنة عنب لذيذ كانت متجهة إلى سوق ظهران. لقد كانت قافلة كبيرة من الجمال والحمير وأقبلت عبر طريق يتلوى من باقم هذا

الصباح. كانت الحمير محملة بالعنب في الصناديق الخشبية المعروفة. التي تم صنعها أصلاً لتحتوي على علب البرافين، بينما حملت الجمال المواد الثقيلة الأخرى مثل البن في حقائب (مزودات) مصنوعة من جلود الجمال^(١).

يجري وادي علب، من عند الممر، وهو هنا أشبه ما يكون بالمسيل، تجاه الجنوب الشرقي. ثم يدور الطريق على مسافة (٥٠٠) ياردة ليهبط إلى أسفل عبر ممر صعب بين سلاسل منخفضة، ليرتفع مرة أخرى سريعاً إلى ممر آخر يسمى الشطبة الذي ينساب من عنده مسيل يقود مباشرة إلى قرية يباد. يلتف الوادي من هناك تجاه الغرب إلى ممر أم حديدة الرئيس (باب الحديد)، الذي يقع على مسافة ميلين تجاه الجنوب من عند عقبة علب، ويبعد تقريباً نحو ثلاثة أميال إلى الشمال من باقم. لم نستطع رؤية أي من القرى التي ورد ذكرها. يجري الطريق ناحية الجنوب الشرقي من باقم مسافة (١٥) ميلاً إلى سقي فوق أرض بني جمعة، ومنها وبمسافة مماثلة، إلى سعيد في أرض بني سحار -تتتمي إلى ابن مناع-. يتبقى بعد ذلك مسافة خمسة أميال فوق سهل منزرع ليصل الطريق إلى صعدة.

يبدو أن علب هو الاسم المحلي الذي يستخدم للممر الذي يشار إليه غالباً باسم علبين في داخل البلاد، مثلاً، في نجران والرياض. يعني هذا بوضوح أن «علبين» هي مثنى «علب» ويشير إلى الصفة المزدوجة للعقبة، التي ليست فقط تقود إلى اليمن عن طريق باقم كما ورد وصفه، بل تلتقي إلى أسفل بطريق قديم

(١) هذه (المزودات) يطلق عليها في اللغة اسم (عياب) ومفردها عيبة، وهو وعاء ينقل فيه الزرع المحصود من مزارعه إلى أماكن درسه وخزنه. واسم عيبة مصطلح دارج عند معظم سكان جنوبي البلاد السعودية، وكان يستخدمها أصحاب المزارع إلى وقت قريب، بل لا زال يوجد منها بعض النماذج في المتاحف المحلية بهذه البلاد. (ابن جريس).

في الصدوع المنحدرة لحنكة وفي اتجاه تهامة. تقع قرية المريسقة اليمينية عند أسفل حنكة على بعد (٢٠٠٠) قدم إلى أسفل من موقعنا، وهي محتضنة بين سفوح مضيق يسمى الشعثاء، وهي قرية تنتمي إلى عناصر من قبيلة سحار التابعة لخلوان.

يغير الحنكة، ومعه تلال الحرف وخيمة على جانبه الأيسر اسمه أسفل هذا الموقع، إلى اسم أم جوة^(١) وذلك بعد تدفق مسابيل أخرى إليه وينساب إلى شعيب موتان إلى أسفل في شبكة واسعة من التلال، وهذا بدوره ينحدر إلى دفاء الذي سنصله في وقته. لا توجد قرى، إلى جانب أطلال قرية الرهوة (أيضاً سحار) على مسافة ميل واحد إلى أسفل، في هذه السلسلة من المسابيل، غير المريسقة التي يوجد بها برجان و(١٢) من عشش ذات طابق واحد كلها مبنية من اللبن في وسط الحقول والنخيل.

يكون الشريط العام -الحنكة، والجوه، وموتان، والريث، الخط الحدودي الذي كان يعلم على فترات بالأعمدة، التي لم أقم بزيارتها ولكني نظرت إليها، وكانت أحياناً بلا وضوح تام، وذلك من عدة نقاط من على الجرف وبهذا استطعت أن أضعها على الخريطة مع درجة قربية من الدقة. لم أرغب في الإساءة إلى آداب المعاشة بسؤالي عن إمكانية الحصول على دليل من مريسقة اليمينية الذين يبدو أنهم غير واعين بوجودنا في الممر أو أنه لا يهتمهم الأمر ليقوموا حتى بزيارتنا. شعرت حقيقة، بأنني أنفر من الإجهاد الذي ستسببه دراسة تفصيلية لعلامات الحدود في تلك المنطقة. لقد رحب رفاقي بحماس بقراري أن نسلك

(١) أم جوه - يطلق عليها أيضاً اسم (الجوه). وهناك كثير من المصطلحات في أجزاء تهامة والمنحدرات الغربية من السروات (الأصدار) في جنوبي البلاد السعودية يلقب فيها حرفي (ال) إلى حرفي (أم)، مثلاً؛ الجوه تنطق أحياناً أم جوه... وهكذا. (ابن جريس).

الطريق الأقل مقاومة لنا وأن أكتفي باعتبار المنظر التحليقي للحدود في تلك المجموعة المرتبكة من التلال والسلاسل والمسائل.

كان العمود الحدودي والذي يحمل الرقم (٣٤) على صخرة صغيرة بارزة بالقرب من ممر علب آخر علامات الهضبة. تجري الحدود من عنده إلى أسفل إلى الحنكة إلى موقع قريب من أطلال الرهوة التي يقف في مقابلتها وعلى جانب الوادي الأيمن عمود الرهوة (رقم ٣٥) الذي يبعد حوالي ميلين من الممر. تتبع الحدود بعد ذلك مجرى الحنكة مارة بالجانب الشمالي لسلسلة الحرف وسلسلة خيمة، غير أن الأعمدة، مرتدة إلى الجانب الأيسر، تسلك طريقاً مختصراً عبر قاعدة الانبعاث، على امتداد الشريط للممر القديم الذي يقود من غرب الرهوة إلى بلاد الريث.

توجد ثلاثة أعمدة في هذا الامتداد القصير من الأرض، كلها قائمة فوق هضبات منخفضة أو سلاسل، وهي: برق (رقم ٣٦)، والبيضاء (رقم ٣٧) ونيد الكحل (رقم ٣٨)، معلمة ممرأ منخفضة الذي يبدو الطريق من بعده هابطاً إلى أم جوة، عند نهاية الانبعاث البعيدة. تقف قشبة (رقم ٣٩) ومجزع القرظ (رقم ٤٠) وهما العمودان الحدوديان التاليان، على نقاط على السلسلة التي تكون الجانب الأيسر لهذا المجرى، بينما يقع العمود الحدودي رقم ٤١ وهو آخر الأعمدة التي تهمني فوق عرن سلسلة منجد أو ثهران، تقريباً عند الموقع الذي يترك فيه أم جوة (الجوة) المجال لوادي دفاء، بعد اتحاده مع مصارف أخرى من الجانب الشرقي لهذه الجبال، لقد قدرت أن المسافة من عند ممر علب إلى عمود الحمرة هذا^(١)، حوالي

(١) عمود حمرة: - يطلق عليه أيضاً اسم (عمود حمرة دفاء) (ابن جريس).

سبعة أميال، غير أن طول الحدود الفعلي بين هذين الموقعين من حول الانبعاث كان على الأقل ضعف تلك المسافة.

تقع الحمرة قليلاً إلى الجنوب الغربي من علب، بينما كان الطرف البعيد للانبعاث الشمالي على بعد أربعة أميال اتجاه الشمال الغربي، كان المنظر محجوباً، فيما يلي الحمرة، بسلسلة فيفا وشقيقاتها العملاقة، وهي جبال عظيمة تشمخ إلى (٧٠٠٠) قدم فيما يلي ارتفاعات أقل تقع بينها وبين الجرف العظيم. نحن لا نرى شيئاً من سهل تهامة ولا البحر، غير أن ميناء جازان يقع على بعد (٥٠) ميلاً في خط مستقيم مع فيفا، ناحية الجنوب الغربي. يعترض المنظر الذي نشاهده كل من الجبل الأسود وجبل مرعة من جهة الجنوب، بينما لا تزال بربر تشاهد من جهة الجنوب الشرقي.

أقبلت العاصفة للمرة الثانية من جهة الجنوب، غامرة للمرتفعات الجنوبية الغربية بجداول مياه أمطارها وقد حولت المعسكر إلى حالة بائسة وكانت تصحبها رياح باردة ظلت تهب على مدى ساعتين بعد غروب الشمس. تحسنت الأحوال كثيراً مع تقدم المساء وقد صفت السماء واستقرت مجموعتنا بعد يوم قليل الجهد ووجبة عشاء يسودها اللحم والعنب في كهفي في آخر ليلة لي أقضيها فوق الهضبة الحدودية. سنكون متجهين إلى وطننا صباح الغد ووطننا الذي لن نصله إلا بعد شهرين ونصف الشهر. سيكون أماننا العديد من الجولات وكثير من المحن ولمدة تصل إلى ثمانين يوماً في أرض أكثر غرابة من صحراء الجزيرة العربية - أرض استوائية من سهل وجبل ويسكنها أناس أكثر بدائية من عرب صحراء الجزيرة العربية.



الفصل الثالث والعشرون

عودة إلى شراقب^(١)

اتجهنا ناحية الشمال في آخر أيام نوفمبر. كان من الأجدر لنا أن نتبع الحدود من عند ممر علب وعبر جبال تهامة إلى البحر، غير أن عدة أسباب حالت دون ذلك، خاصة حاجتنا إلى مرشدين، واستحالة أن نجد أحداً لهذه المهمة في شريط التلال العارية، والسلاسل التي تقع بين علب وفيفا. كان عليّ نتيجةً لذلك أن أترك فراغاً صغيراً في الخريطة الفعلية للحدود، بالدرجة التي تدل على أن الأمر ثانوي الأهمية، بينما كان المخطط الذي حددته لنا السلطات هو أن يحقق لي رؤية الكثير من بلاد تهامة، أكثر مما قد فعلت الآن. كان الممر العملي التالي الذي يقع إلى الشمال من علب، هو ممر عقبة شراقب بالقرب من قرية الحوط في وادي راحة، ولكي نصل إلى هناك فعلينا أن نعود عبر ظهران والحوط نفسها، برغم أنه إلى جانب تماسنا بهذين الموقعين وبالطلحة، فإن طريق عودتنا كان يجري فوق بلاد جديدة علينا مما مكنتني من إكمال مسح الهضبة.

(١) شراقب:— هي طريق (عقبة وجمعها عقبات) تربط بين أعالي السروات في بلاد ظهران الجنوب وبين منطقة الأصدار والأجزاء التهامية في أعالي وادي بيش. ومثل هذا الطريق (العقبة) توجد هناك طرق (عقبات) عديدة في البلاد الممتدة من ظهران الجنوب حتى الطائف، وجميعها تربط أعالي السروات بالأجزاء التهامية، ومن هذه (العقبات) ما تم تحويله إلى طرق رئيسة مسفلنة تسلكها السيارات بأنواعها، ومنها لا زال شديد الوعورة، ولكن السيارات القوية في صنعها وعزمها تسلكها مع بعض الصعوبات. (ابن جريس).

يقع أول أجزائه، من عند علب إلى ظهران عن طريق درب البن^(١)، قريباً أكثر من الجانب الشرقي للقلنسوة البازلتية، ويكون الجرف الفعلي وهو منبع كل خطوط الصرف التي تجري شرقاً إلى الصحراء وغرباً إلى البحر. كانت تكسو سماء تهامة سحب منخفضة إلى البعيد ناحية الشمال الغربي مع بداية مسيرتنا. غير أن قمم التلال كانت واضحة، وكان أمامنا منظر رائع للجبال الغربية. لقد سرت راجلاً على الحافة الغربية للقلنسوة البازلتية المكسوة بالحصى، إلى موقع يطل على وادي الحنكة إلى أسفل، وعلى قرية مريسيقة خلف تل بتار عند ملتقى مسيلة مع الحنكة. ومن هذا الموقع أمكننا الحصول على منظر عام، لكل النقاط التي بُنيت عليها الحدود إلى قرب كومة الحجارة الحدودية لحمرة، على العرن الجنوبي لسلسلة طويلة عالية، ذات القمم الأربعة البارزة، التي تقع ناحية الغرب من موقع المشاهدة، والتي يسميها مرشدي: منجد الفرعات. وتوجد إلى ما يلي هذه، سلسلة أخرى، وعدد من سلاسل تغطي كتل كل من ثهران، وفيفا، وزهوان، ويتهيئ ذيلها ناحية الشمال الغربي في جرف مرتفع شديد الانحدار في وادي ضلع بالقرب من أبها. كان مرشداي قليلي المعرفة بالأسماء، ولم أكن مقتنعاً بتعريفهم للقمم الفردية من هذا الموقع، وكان عليّ أن أتركها لفحص أكثر دقة في وقت لاحق في جولتي. ارتفعنا الآن إلى قمة قسم والحضار من القلنسوة البازلتية التي من عندها كنت أشاهد منظراً رائعاً للمنحدر الشديد للجرف أسفل إلى الوادي. وكانت الصخور على عمق (٢٠٠) أو (٣٠٠) قدم تحت قلنسوة البازلت من

(١) درب البن: — عرف الطريق الذي يصل ظهران الجنوب ببعض الأجزاء في اليمن بهذا الاسم (درب البن)؛ وذلك لأن سلعة البن كانت هي البضاعة الرئيسة التي تصدر من اليمن إلى ظهران الجنوب والحرجة في بلاد قحطان، ثم من هناك تصدر إلى أسواق عديدة في الجزيرة العربية. (ابن جريس).

صخر رملي، حيث تمتد إلى (١٠٠٠) قدم أو أكثر إلى أسفل والتي يمكن رؤية الشست تحتها إلى مستوى الوادي حوالي (٢٠٠٠) قدم من تحتنا. كان هذا الشست هو المادة الرئيسة التي تكونت منها معظم جبال تهامة، غير أن الحجر الرملي هنا وهناك يتعارض في شكل سلاسل عالية شديدة الانحدار وعظيمة.

قضينا حوالي ثلاث ساعات فوق هذه الأميال القليلة لمسيرتنا نستمتع بالمنظر قبل أن نهبط آخر الأمر لنلحق بقافلة الحمير عند أسفل القلنسوة البازلتية على الجانب الشرقي. وحجبت هذه السلسلة الرؤيا عنا تماماً في اتجاه الغرب أثناء مسيرتنا، ولم نر بعد ذلك تهامة، إلاً بعد وصولنا إلى ممر شراقب بعد أيام قليلة. لقد أصبحنا فوق طريق البن الذي يخترق هذه البلاد البازلتية الصعبة التي تصب كلها تجاه الشرق عبر عدد لا يحصى من المساليل والمضايق التي جرحت سطح الصخرة الرملي. كان أول هذه هو شعيب الحضار الذي ينحدر من عند بازلت الحضار على يسارنا وينساب إلى أسفل، ليتصل في نهاية الأمر مع شعيب الزج^(١)، الذي بدوره يتصل مع شعيب معس وهو رافد لوادي كتام الذي يجري إلى حبونا. وخرجنا من منطقة مستجمع الأمطار لوادي نجران. ثم أوصلنا منحدر صخري صعب خلال خمس دقائق إلى أسفل بطن وادي حضر الصخرية التي كانت قد احتفظت بالعديد من البرك المائية، ثم تسلقنا بعد عبورنا لهذه المنطقة إلى السفح المقابل، وهو صعب أيضاً والذي من عند قمته يواصل طريق القوافل المشهور اتجاهه إلى أسفل حتى منخفض أم الكوم الضحل، وهو رافد لوادي كتام.

لقد أوصلنا هذا بدوره إلى مضيق ضيق، تعلّمه كومة حجارة، والذي من عنده هبطنا تجاه رأس شعيب حلیم قضض، وهو رافد مقاطع لكتام، الذي صعّدنا

(١) شعيب الزج :- ربما يطلق عليه أيضاً اسم (الدج). (ابن جريس).

من عند جانبه البعيد عبر ممر ضيق تحيط به الصخور يسمى رهوات المسوآن إلى رأس شعيب أم سرب. هبط طريقنا مع هذا الوادي عبر منظر رائع من جلاميد صخرية رملية ممزقة، إلى ممر سلحاح الضيق الذي عنده يشق المسيل طريقاً له عبر الصخور. ويرتفع هذا المسيل في الجوانب المشققة للجزء الشمالي البعيد لقلنسوة الحضار البازلتية التي كانت في هذا الوقت محتفظة بكمية ضخمة من المياه في بركها الصخرية العديدة في غطاء نباتي مزدهر من أشجار القمر وأشجار أخرى، بما في ذلك نسبة معتبرة من أشجار العرعر.

يتصل سرب مع مسيل سبت في مكان ما إلى ما يلي الممر الذي ينحدر من جهة الشمال ثم يتجه ناحية الشرق فوق بطن صخري ضيق يقع بين الجلاميد. ثم ينبعج بعد ذلك إلى أرض واسعة ذات شجيرات في الموقع الذي يتصل فيه مع شعيب القمقم القادم من جهة الشمال، في انحداره نحو وادي كتام، الذي يكون قمقم أحد روافده الواقعة في أقصى الشمال. لقد سلكناه إلى قرب رأسه في مسيل نجد حطب الذي ينبع من الجانب البازلتية لجبل مرعود على مسافة نصف الميل إلى يسارنا. ويقع رأس مسيل قمقم - نجد الحطب المعقد على ارتفاع (٧٦٥٠) قدماً فوق مستوى البحر، ويمكن رؤية المسيل الذي ينطلق إلى أسفل في اتجاه الشمال الغربي من عند الجانب البعيد للقاسم، ويكون الرافد الجنوبي الأقصى لوادي قبضة. ويسمى أيضاً، على أية حال، باسم قمقم ويقوم بحمل الطريق لمسافة نصف ميل إلى أن يدور بعيداً عنه ناحية الشرق. ثم يستمر الطريق الآن فوق الأرض المرتفعة لحلقة من أرض مرتفعة مكسرة تكوّن رأسه، ويدخل فيما يليها إلى رافد آخر لقبضة يسمى حوضن الجرذان، ليتبع واديه الصعب، لمرتفع مرة أخرى فيما يليه إلى قطع في رأس وادي العرين، وهو مجرى ظهران.

تفتت السلسلة البازلتية على يسارنا إلى سهل منحدر حجري مائل بدرجة حادة، لا تسمح برؤية جبال تهامة، وممزق بالعديد من خطوط الصرف، مكونة الرأس العريضة لعرين. ويقف أمامنا الآن - قليلاً تجاه الجنوب الغربي - الهرم المسطبي البارز المسمى الرميح، وهو أول القمم الكبيرة للجرف. ويجري مجرى سارة - وهو رافد لعرين - الضحل فوق هذا السهل الميت الذي يقف في مجراه الأعلى برج مراقبة منعزل لقرية قصبه ابن حيان البارزة^(١). مررنا بها بعد فترة على مسافة نصف ميل إلى يسارنا ونحن نتابع مجرى سارة الذي اتجه تدريجياً شرقاً. ثم عبرنا إلى جانبه الأيسر بعد فترة، أعلى الموقع الذي يدخل فيه مضيقاً عميقاً ضيقاً، ثم صعدنا جانب تل صعب بازلتي عليه قلنسوة صخر رملي. يشق ممر مدر طريقه بالقرب من القمة، عبر القلنسوة وبرز لنا من عند الممر مضيق سارة العميق الذي يقع على بعد (٥٠٠) قدم أسفلنا على اليمين. ولا نستطيع رؤية ظهران نفسها من هذا الموقع، إلا أننا نرى القرى فيما يليها في العرين الأسفل وكذلك العلامات الأرضية المختلفة المألوفة مثل السمة التلية البارزة الأجمعين، وقد كانت قاعدة الحجر الصخري هنا من بوكسيت إلا أن أجزاءها العليا كانت داكنة الحمرة حديدية، وفي بعض الأجزاء تكون سوداء بسبب عوامل الطقس.

قادنا ممر أسفل إلى حيث تتصل ثلاثة مساليل لتكون البداية الفعلية لوادي العرين وهي عين آل عبس، وعرير، وذات ريح على يسارنا الذي يتصل به شعيب سارة من الجانب الأيمن قليلاً إلى أسفل. توقفنا قليلاً فوق هذا الملتقى عند طرف البساتين والحقول لقرية سارة، قبل أن نواصل مسيرتنا خلالها إلى قرية الحصن الجميلة، التي تقوم على قمة حاجز صخري منعزل، عبر الطرف النهائي لمجرى

(١) قرية قصبة ابن حيان: - ربما يطلق عليها أيضاً اسم (آل السحامي). (ابن جريس).

سارة الذي يدخل العرين التي تقع أسفله. عبرنا الآن إلى الجانب الأيسر لوادي العرين لتصل إلى البساتين العليا لظهران نفسها ومنها إلى موقع معسكرنا الجديد بجوار المجرى قليلاً أعلى جانبه الأيمن. وكان التحول الأخير في الطقس قد أملى علينا أنه من الحكمة ألاّ يقيم المعسكر في بطن الوادي كما كانت عادتنا، بسبب احتمال قدوم سيل أثناء الليل.

لقد سررنا بعودتنا إلى البلدة مرة أخرى، بعد عشرة أيام مرهقة في الريف. وكانت الأخبار التي وصلتني عند وصولي سارة بحق. فقد استطاع جميل اليهودي أن يعيد النابض التانجستي مزولتي للعمل وقد ظللت أنتظر قدوم الليل لأختبر الأداة التي تم إصلاحها ولاختبار الملاحظات الفعلية. برهنت هذه الاختبارات أن العملية كانت ناجحة بحق، كما يشهد بذلك الموقع المسجل الآن لظهران - والعديد من الأماكن التي تمت زيارتها بعد هذا التاريخ - وأشعر أن علم الجغرافيا مدين بالكثير لجميل وأن هذا الشكر يجب أن يدخل في السجل العام. توقفت ملاحظاتي للنجوم بعد أسابيع بسبب تلف بطاريات الراديو. إلاّ أنه قبل ذلك الوقت، أمكنتني إدخال نقاط مهمة إلى الخريطة. اكتسب جميل شكري أيضاً لإصلاحه مفصل نظارتي. لم نتأخر كثيراً في ظهران إلاّ أنني قد سعدت بليلتين في أمنها النسبي، وذلك لأنني لا أزال أحس بالتعب وغير مرتاح بمعنى الكلمة، وقد برزت بشرة ذات حجم ضخمة في الأصبع الأوسط لإحدى يدي. تمكنت من الوصول إلى مخزوني الشحيح للأدوية الذي أمكنتني أن أحاول تأثيرات دواء ستانوكسيل الذي شفاني منذ عدة سنوات في جدة من عدة بثرات في سرعة مذهلة

غير أن الدواء قد خذلني الآن، وبقية مراحل علاجي قد تركتها للوقت وللصدفة^(١).

نحن الآن في منتصف رمضان ولم أشرب قطرة ماء واحدة منذ بدايته. لقد حافظت على صحتي حتى الآن، إلا من هذه البثور الحديثة والتقرحات وكلاهما يعزى إلى تأثير الهرش، والكدمات، والصقيع ووعثاء السفر، ولا أزال أعتقد أن تحاشي الماء هو سر نجاح رمضان، بينما العديد من الصائمين يعرضون أنفسهم للمرض مع جرعات كبيرة للماء فوق معدة خاوية عند افطارهم في نهاية اليوم مع غروب الشمس. أعتقد أن الشاي والتبغ هما المكونات المثالية لإفطار رمضان^(٢)، مع الفاكهة إن وجدت. دعانا محمد بن بريكان لتناول طعام الإفطار والعشاء معه في هذه المناسبة وقد أمدنا بالعنب للإفطار، وبلحوم الضأن والأرز للعشاء. لقد حضر لسماع الراديو جمهور غفير بما في ذلك جميل اليهودي ومعه ابنه وحفيده. وقد أدت مؤشر الراديو لمصلحتهم، لإذاعة الأخبار العبرية من القدس، لأكتشف -كما في نجران- أنهم قد استوعبوا ما قيل على أساس أنه لهجة اشكانزية ولم يجدوا صعوبة في استيعاب الأخبار العربية التي اشتملت هذا المساء على تقرير طويل لمناشط اللجنة الملكية في فلسطين، وأخبار الحرب في إسبانيا دون إكثار الحديث عن تدمير القصر البللوري بواسطة النيران.

(١) إذا أصيب الإنسان بمرض فإن الشافي هو الله عز وجل، وليست الصدفة، كما يذكر فيليبي، هي التي تسبب في الشفاء من العلل والأمراض. (ابن جريس).

(٢) قول فيليبي: «إن الشاي والتبغ هما المكونات المثالية لإفطار رمضان»، هذه وجهة نظره؛ لأنه من الميالين إلى هذا الصنف من الطعام والشراب، مع أنها وجهة نظر غير سليمة من الناحية الطبية وكذلك من الناحية الدينية الشرعية. (ابن جريس).

كنت سعيداً بهذه الزيارة الثانية لظهران لأقيم حالتها العامة بالنسبة لمناخها الجغرافي والجيولوجي التي تحسنت معرفتنا له. يقع الجزء الرئيس المأهول للوادي، وكذلك البلدة، داخل حوض واسع تحيط به تلال بركانية أو ناريه عدا ناحية الغرب والجنوب الغربي حيث يكون شريط من هضبات منها جيث، وجفجفان، وقردة، والحمره، وسلسلة، تواصل الأخيرة تجاه الشمال، الحدود الخارجية لقلنسوة الحجر الرملي التي تعلو قاعدة الحجر الناري للأرض المرتفعة وهو نفسه يقع أسفل قلنسوة بازلتية على الجرف على امتداد طرفه الغربي. ويبدو أن طبقة المغر أو البوكسيت تقع وسطاً بين الحجر الصخري والحجر الناري. يتكون حوض ظهران - الذي يبلغ قطره ثلاثة أميال - من تلال جرانيتية متدرجة بينما تقع على الشاطئ الأيمن في مواجهة البلدة، مساحة معتبرة عليها كتل صخرية سوداء مبعثرة، ربما بازلتية أو شستية.

تقف شجرتان من الطرفاء بين هذه وبالقرب من مجرى الوادي على أرض مرتفعة وتقع بقربهما جلاميد جرانيتية مستديرة في حلقتين تامتين، يتراوح قطرهما بين (٥، ١) قدم و(٢) قدم. تقول الروايات المحلية أن هذه الجلاميد قد تم وضعها بهذه الطريقة حول شجرة طرفاء حديثة الغرس في مركز الدائرة الداخلية لحمايتها من الرعي بواسطة الجمال! مهما كان الأمر، فإن شجرة الطرفاء قد ماتت بسبب حادث لم يسجل، وفي رأيي أن الشجرتين العائشتين الكاملتي النمو وإن الدائرتين المزدوجتين من صخور جلاميد، كان الغرض الأساسي منها كلها هو مغزى ديني أو احتفالي، ويمكن أن تكون الدوائر ضريحاً لرجل دين أو رئيس محلي، وأن تكون الأشجار (أو ما سبقها) أشياء للعبادة الوثنية التي نعرف أنها استمرت إلى عصر الإسلام في العديد من أجزاء الجزيرة العربية مثل: وادي حنيفة.

تحيط بظهران روايات محلية تعود إلى عصر بني هلال، هذه القبيلة التي يعزى إليها أمر البئر الذي يوجد داخل المسجد والبئر الآخر الذي يوجد بالقرب من مجرى السيل شرق البلدة^(١). ويسمى البئر الأخير هذا باسم بئر أم سبع - أو بصفة عامة بئر الجن-، ويقال إنه مسكون بأرواح شريرة- قيل لي إن الكاهن الذي كان يتنبأ بموقع الماء والذي حضر إلى هذا الموقع أثناء عمله، قد هرب منه هلعاً لسبب لم يفصح عنه^(٢). لم تؤثر هذه الموانع على شخص أبله اسمه حسين بن محسن، الذي تطوع أن يصحني إلى الموقع مقابل ريال واحد، والذي قال إنه لا مانع لديه أن يتم تصويره وهو يجلس «فوق الجن»، كان البئر معطلاً لمدة طويلة، وقد تساقط بناؤه الفوقي إلى الداخل الذي يبلغ عمقه الآن حوالي عشرة أقدام بسبب الركام والحجارة التي سقطت فيه، فأصبح داخل البئر كأنه سطح تربة وقد نمت عليها أشجار بالميتو من البذرة.

ويقال إن المسجد قد تم بناؤه في الأيام القديمة لسعود الأول^(٣) حين امتد النفوذ السعودي بعيداً إلى داخل اليمن. كان البناء صغيراً ولكنه كان مميزاً، ولقد زخرفت جدرانه بالجبس، وقد فصل جزء منه ليكون مكاناً للوضوء، الذي يصله الماء عن طريق جداول من البئر الذي يغطس صهريجه إلى عمق ثمان قامات عبر

(١) من يشاهد بعض الآبار في ظهران الجنوب، أو في أجزاء عديدة من بلاد السروات يجدها نُقبت في أرض صلبة، وأحياناً في الصخر لعشرات الأمتار. وهذا يدل على قوة وصلابة من قام بهذه الأعمال الجبارة، التي يجد الناس اليوم صعوبة في عمل مثلها مع توفر العديد من آلات الحفر العملاقة. (ابن جريس).

(٢) الجهل بالدين يوقع الناس في أخطاء عقدية مثل التبرك ببعض الأوثان، وشركيات أخرى يصعب حصرها في هذا المقام. ومثل هذه الممارسات كانت منتشرة في معظم أجزاء الجزيرة العربية حتى ظهر الشيخ محمد بن عبد الوهاب ويؤازره الإمام محمد بن سعود فعملاً على محاربة هذه البدع حتى تم القضاء عليها، وهكذا حتى جاء الملك عبدالعزيز آل سعود فسار على نهجهم حتى عم صفاء العقيدة عموم البلاد. (ابن جريس).

(٣) سعود الأول: المقصود به الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود. (ابن جريس).

صخور طبيعية إلى ماء مستديم عمقه ثمان قامات. لم تكن للمسجد مئذنة أو أية ضرب من الزينة، بينما ظل مكان الصلاة مغلقاً بصفة دائمة، غير أن هنالك مسطبة مكشوفة أمامها، مجهزة للزوار لأجل العبادة.

تصنف تجارة البن في ظهران إلى مجموعتين متجهتين إلى الحجاز وإلى نجد، وكلاهما يمر ببيشه. يذهب الممثلون التجاريون من ظهران إلى اليمن، لشراء المواد وإحضارها معهم إلى هنا عبر الضرائب والجمارك بنسبة (٢٠٠) حمل (حمولة الجمل) في كل شهر، وكل حمل يعادل (٧٢) مداً أو حوالي (٥٥٤) كيلوجراماً. انخفض سعر الحمل هذه الأيام إلى (٦٠) ريالاً ماريا تريزا، غير أن التقدير الضرائبي الرسمي كان (١٤٥) ريال ماريا تريزا، والتقدير الجمركي كان بنسبة (٢٠٪) وتقديره (٢٩) ريالاً ماريا تريزا إلى جانب رسوم مصاريف تقدر بثلاثة ريالات ماريا تريزا لشهادة التخريجية التي تثبت أن الرسوم قد تم دفعها. يدفع المورد على هذا الأساس، لما اشتراه بسعر (٦٠) ريالاً ماريا تريزا، (٣٢) ريالاً أخرى مقابل الضرائب ويضاف إلى ذلك تكلفة النقل بالجمال قبل أن تصل البضاعة إلى بائع القطاعي الذي يعرضها للمستهلك. إن تقدير الحكومة لمبلغ (١٤٥) ريالاً ماريا تريزا للحمل الواحد كان معادلاً لسعر التجزئة (القطاعي) للبن في مكة. ويبلغ الدخل الشهري لظهران من البن فقط حوالي (٦٠٠٠-٧٠٠٠) ريال ماريا تريزا في المتوسط.

قمنا برفع المعسكر في الثاني من ديسمبر لنواصل تجوالنا، وبدأنا بالسير فوق وادي العرين في اتجاه الشرق فوق ربوات متموجة في لطف إلى تل جيث الذي يقع على بعد يقل عن الميلىن وإلى يمين موقعنا. ثم عبرنا الوادي فوق قرية هياج الصغيرة التي تقع عند منحى عريض للوادي، ثم عبرناه مرة أخرى إلى الجانب الأيمن قليلاً أعلى من آل حيدان حيث توجد مساحات معتبرة، كما كان الحال

حول دار العرق للذرة الصفراء والبساتين مع كثافة لنمو شجيرات الأثل في المجرى نفسه. دخلنا المجرى مرة أخرى أسفل دار العرق، وتبعناه أولاً عبر ممر من صخور جرانيتية وبازلتية، وفيما يلي هذه، عبر حقول مبطنة بالحجارة، وشارع على جانبيه أشجار الأثل والطرفاء التي يخترقها بطن السيل الرملي الذي يبلغ عرضه (٥٠) ياردة. ووصلنا بعد مسيرة متقطعة استغرقت نصف ساعة من عند دار العرق، إلى موقع التقاء كل من وادي القبضة ووادي كتام مع وادي العرين في مساحة رملية عريضة في وسط غابة حقيقية من أثل وطرفاء. لقد تحدد موقع دخول وادي القبضة، بوجود شريط طويل من المياه تعلوه طبقة نبات أخضر لزج، والذي يبعد بحوالي (١٠٠) ياردة فوق فم كتام، الذي وقفت في مجراه على ارتفاع (٣٠٠) قدم قرية الشحاك الصغيرة.

وصلنا على هذا الملتقى بعد دقائق قليلة لأول حقول المجزعة، والذي كانت أولى قره تسمى العطفة، تقف قليلاً إلى الخلف على الجانب الأيمن، ثم توقفنا قليلاً قبل المعزاب على الجانب المقابل، عند الموقع الذي ينحدر فيه بطن الوادي إلى حوالي (٢٠) قدماً من فوق سد جيد البناء من مواد بازلتية. وتوجد عند قاعدة السد بركة من مياه تعلوها طبقة نبات لزجة خضراء، تكاد تكون مياهها راكدة، مع سيلان خفيف يخرج من عند نهايتها السفلى متجهاً ناحية قرية الثغر التي تبعد قليلاً مع اتجاه الوادي على الجانب الأيسر. كانت المياه المملوءة بكائنات دقيقة تشبه سمك المنوة، وبعضها ذو حجم كبير، وكان يقفز باستمرار ناحية الذباب الصغير المحلق فوق السطح، بينما طارت من سطح الماء أعداد كبيرة من طيور الماء وذلك حين قدومنا، من بينها البط وأبو مطرقة ومختلف أصناف طائر المخوض إلى جانب هذه يوجد أيضاً الحمام والقنابر المتوجة وطيور أخرى مائتة. لقد كان بطن الوادي

أسفل السد، من صخر أزرق مكشوف، أصبح ناعماً بفعل حركة المياه ومبطناً هنا وهناك بطبقات من الرمل والعشب الأخضر والقصب - وكان منظرًا طبيعيًا مريحاً على خلفية من أشجار تين عارية ومبانٍ بسيطة. عدنا مرة أخرى إلى طريق الفيل، من عند الثغر، الذي تقع أسفله آخر قرى المجزعة وهما سند ومخلبة على بعد (٤٠٠) أو (٥٠٠) ياردة مع اتجاه أسفل الوادي، الذي يقبل ماراً بتل المصلولة على بعد ميل واحد تجاه الجنوب الشرقي، ثم يعبر في هذا الموقع وادي العرين في مسيرته إلى الشمال. ويجري الوادي نفسه من هنا إلى قرية القرن ثم إلى وادي الخائق ومنه إلى حبونا. ويختفي سيلان الماء في مقابل مخلبة، وبعد ذلك يستمر الوادي وهو جاف تماماً إلى الأمام.

لقد سلكنا الآن درب الفيل فوق الخطوط المصرفية الضحلة التي كونتها الخطوط الكفافية للأرض الحجرية التي كانت تنمو فيها شجيرة الشرفث في غزارة. لقد هبطنا من أعلى الهضبات - وبالمناسبة فإن المجزعة تقع على مسافة (١٥٠) قدماً أسفل ظهران - إلى بطن شعيب قاوية - أحد روافد العرين - وامتطينا ظهور الدواب إلى أعلى بطن الوادي الحجري، الذي توجد فيه أشجار العبال منتشرة هنا وهناك. لقد كونت أشجار العبال هذه وأشجار الطلح منظرًا ساحراً للغابة وعلى امتدادها وقد كانت حرارة الشمس عالية، مسلطة على ظهورنا ونحن نقود دوابنا عند الظهر. لقد استخدمت سيارات الأمير سعود هذا الطريق ولا تزال آثارها مشاهدة في الأجزاء الصلبة من الوادي. يتصل مجرى حوضه العريض على بعد، مع قاوية من عند رأسه في سلسلة تبعد حوالي (٢) ميلين ناحية الشمال، وقد كنا قد تأخرنا بضع دقائق بسبب محاولاتي الفاشلة للإمساك بفراشة كبيرة من جنس البابليو. ثم يضيق الوادي تدريجياً مما يلي موقع دخول مصرف ضحل يسمى ركاية

إلى جهة اليسار من موقعنا، لقد تباينت رتابة المنظر الكئيب الذي يقع أمامنا بتخلل قطع كبير لأغنام بيضاء وماعز أسود متجهة إلى موطنها في دار العرق تحت حراسة فتاة واحدة، كاشفة الرأس ومتأنقة في عباءة جديدة مصبوغة بالنيلة الداكنة^(١).

يمر طريق الفيل فوق قناة مبنية تصل دخول مسيل ثانوي، قبل وصولنا إلى رأس قاوية. كان ارتفاع المضيق فوق قمة قوية حوالي (٧١٠٠) قدم فوق سطح البحر، بينما هبطنا من الجانب الآخر إلى شعيب بيح، وهو حوض عار وضحل في الأرض الحجرية التي تحيط به والتي يشق طريقه عبرها، خلال ممر شستي ضيق مملوء بقصب الخلفاء والنمص. ويقع الثغب المائي الذي يسمى مضره والذي ثبتت أهميته لموقعه الاستراتيجي بجانب الطريق بكثرة النقوش قديمها وحديثها، على سطوح جدران الشستيه الشبيهة بالألواح.

لقد تأكلت النقوش والرسوم القديمة الثمودية بفعل عوامل التعرية وكانت أهمية النقوش العربية الكوفية متدنية. ينبع الماء من العين ويصل إلى العديد من البرك التي تقع بالقرب من رأس هذا الممر ويكون فيضها سطوحاً مائية يكسوها نبات لزج، وتجري لمسافة (٣٠٠) أو (٤٠٠) ياردة قبل أن تدخل مرة أخرى إلى أسفل السطح الحصوي للمجرى، وذلك أثناء اتساعه خارج الممر. قابلتنا مجموعة من الناس، بعد أن واصلنا مسيرتنا، وهم عائدون إلى المجزعة من عند سوق الأربعاء في طلحة. لقد تركنا طريق الفيل يأخذ اتجاهه شمالاً، تقريباً بعد خروجنا من الممر الصخري، وواصلنا سيرنا فوق مجري بيح الشعباني إلى حيث مزارع التين

(١) مادة النيلة: تعد من أصباغ الملابس الأساسية عند سكان جنوبي الجزيرة العربية خلال القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي)، بالإضافة إلى أصباغ أخرى كانت تستخلص من بعض النباتات والأشجار المحلية في هذه البلاد. (ابن جريس).

والأثل في شعبة، وإلى ما يليها توجد قرية طرف الذراع التي تسيطر على رأس مضيق الضيقة الكثيب. لقد كانت مستوطنة صغيرة، غير منظمة، وغير مؤثرة ذات حقول واسعة وبساتين، وكانت تنمو فيها نسبة غير عادية من أشجار الخوخ، ولقد رأيت في الصباح الباكر، بالمناسبة، شجرة خوخ مزهرة في المجزعة. وتحتوي قرية طرف الذراع على حوالي (٥٠) إلى (٦٠) منزلاً إلى جانب مبان برجية مبعثرة بين الحقول والبساتين. وتسمى الأرض التي تقف عليها «الغيل»، برغم أنني لم أر أثراً لمياه جارية في الأجزاء السفلى من المجاري المختلفة التي تلتقي عند رأس مضيق الضيقة. كان هنالك إلى جانب بيع، كل من عار والدارة والقحيف والحمرة.

استغرق وصولنا إلى أبراج مزارع المهجري وإلى ما يليها حوالي نصف الساعة، مارين باستمرار خلال الحقول أو البساتين، ثم وصلنا إلى مزرعة الأثل في الطلحة، وفيما يليها من الأقسام المختلفة لقرية الطلحة نفسها، حيث وجدنا ميدان السوق وقد ازدحم بالناس وهم يتحدثون حول تجارة اليوم وينتظرون غروب الشمس ليوم صيام مرهق آخر. واصلنا سيرنا لنصل إلى موقع معسكرنا على الطرف البعيد لحقول الطلحة فوق الرمل الأحمر لوادي الأفياض، وعلى الجانب المحجوب من الرياح سور من أشجار التين العارية. بدأنا مسيرة اليوم التالي بعد تأخير قليل بسبب ملاحقة طيور الحجل، والتي أفرزت الحصول على زوج منه، وفي أعلى فرجه أفياض، دخلنا عند نهايتها العليا، ثم تسلقنا وادي طلع الكثيف الشجر وهو غابة حقيقية من أشجار الطلح وكان العديد من الضأن يرعى في ظلها الوافر الشائك. كما كان صقر الطلحة، إلى البعيد في السماء، من أمامنا، يحلق في عظمة باحثاً عن فريسة، حينما انطلق سرب من طائر الغداف الصحراوي، مهاجماً في شجاعة الصقر الأعظم ومن كل الجهات حتى هرب الصقر عاجزاً وقد

لاحقه غداف واحد ليوذعه. ولقد كان لونه، حسب ما استطعت رؤيته أنه أسود البطن، ومبيضاً مع بعض العلامات البنية على الظهر.

كنا مرة أخرى على درب الفيل من عند الطلحة وما علاها، ولا تزال آثار سيارات الأمير سعود واضحة عليه. ثم ينقسم الوادي قليلاً إلى الأمام ليحتضن تلاً يقع في وسطه، ثم يضيق من خلفه التل إلى حوالي (٥٠٠) ياردة بين سفحين أملسين من شست أسود يكسوه عشب جاف في كثافة. ثم يضيق الوادي مرة أخرى إلى (١٠٠) ياردة بين جلاميد عالية شديدة الانحدار، وهو يتعرج ويتلوى وقد نمت عليه أشجار الطلاح بكثافة، وقد قادتنا علامة المياه المألوفة المسجلة على جدار الصخرة إلى الثقب المائي المسمى غمر الطلاح الذي يقع في البطن الرملي للمجرى. لقد كان فم الصهريج مبنياً من الخشب ومن قطع الحجارة وإلى عمق (٣) أو (٤) أقدام غير أنه لا يحتوي على الماء إلاً بعد السيول. كما يوجد ثقبان مائيان مائلان في هذا الجانب من المجرى كان أحدهما عديم الماء في هذا الوقت، بينما احتوى الآخر على قليل من المياه. كما كان على أسطح الصخور بالقرب من هذين الموقعين للمياه عدد من النقوش الثمودية، وهذا يبرهن على أنها مواقع كانت معروفة لدى الأقدمين. وقد آوت الصخور عدداً من الأرانب البرية، بينما نما مزدهراً في بطن المجرى نبات القر الشبيه بالدفلي، الذي يحتوي على سائل لبني.

استمر المضيق في تخرمه أكثر ونحن نصعده، وقد وصل عرضه في بعض المناطق إلى (٣٠) ياردة وكانت على جانبيه صخور شديدة الانحدار ذات لون أسود مزرق ولربما كانت من الشست. وأقبل من جهة اليسار رافدان هما محدثي والقرارة وفيما يلي موقع تدفق الثاني منهما يوجد ثقب مائي آخر جاف من هذه الثقوب المائة ويستخدم مصطلح غمر لمثل هذه الظاهرة. بدأ المجرى يفتح قليلاً

في هذا الموقع وذلك لاندماج الصخور على الجانبين مع سفح يرتفع إلى (١٥٠) أو (٢٠٠) قدم الذي صعدهنا تدريجياً إلى هضبة يصل مستوى ارتفاعه إلى (٧١٠٠) قدم فوق سطح البحر. ويتصل في هذا الموقع مجريان هما شعيب الحسرج من ناحية الغرب، وشعيب المختلف من ناحية الشمال الغربي ليكونا معاً رأس وادي الطلاح في أرض قليلة التموج واسعة، من فلسبار أحمر، منتشر فوق صخور وجلاميد فوق أرضية من مادة مائلة يجري تحتها الشست التابع للوادي الذي نسير عليه. كان خط التماس من الاثنتين مستقيماً جداً ومحددًا، ويبدو أن الشست التحتي والفلسبار كانا على شكل عمودي.

واصلنا مسيرتنا أعلى مجرى المختلف عبر أرض كثيفة الأشجار. عليها العديد من أشجار الطلح. كان المنظر مماثلاً للمناطق التي تحيط بالطائف^(١)، غير أن طريقنا ابتعد بعد فترة عن المجرى الضحل الذي يواصل سيره شمالاً إلى رأسه في مجموعة من التلال (فلسبار أو جرانيت) على بعد ثلاثة أميال. ثم اتجه طريقنا ناحية الشمال الغربي، ناحية درب الفيل بتتبع المختلف، فوق أرضية الهضبة الفلسبارية والتي بدأ ينتشر فوقها البازلت ونحن نقترّب من سلسلة بركانية تقع أمامنا تتكون من قعم مرخ والعود وهومين سوداوين صغيرين بلا اسم، لقد أبرزت هذه السلسلة من الوحدات البركانية بوضوح ليس فقط القلنسوة العليا البازلتية التي يبلغ سمكها (١٠٠) إلى (١٥٠) قدماً بل أيضاً طبقة الصخر التحتي (مغر) أو

(١) فيليبي يذكر الغطاء النباتي الجميل الذي يغطي مناطق ظهران الجنوب وبلاد قحطان وأبها وما حولها. ثم يشبهها ببلاد الطائف وما حولها من حيث وفرة الغابات وما يوجد بها من أشجار متنوعة، مع العلم أنه لو سار عبر البلاد السروية الممتدة من أبها إلى الطائف لوجد العديد من الديار الجميلة التي حباها الله الجمال، ولما فيها من غابات كثيفة وطيور وحيوانات متعددة الألوان والأحجام. (ابن جريس).

البكسيت، الذي يبلغ عمقه (٢٠٠) إلى (٣٠٠) قدم والذي يعتقد أنه يعلو الجرانيت الذي بدوره يغطي الشسث. ويبدو أن الطبقة العليا من المغر تجري في خط مستقيم من حولنا ونحن نقرب من الدائرة. وقد أمكننا رؤية رأس ممر شراقب من هذا الموقع ناحية الجنوب الغربي، والذي هبطنا من عنده عند آل عيفة إلى مجرى الحمرة، ويقع بينهما الحاجز الرئيس وهو السلسلة البركانية المسماة قعمة الحمرة التي تلتف لتقابل كلاً من العود والمرخ وقد ورد ذكرهما. لقد كانت هذه - بعد مسافة في نهاية مسيرتنا - الجانب من طريقنا الذي يتجه الآن ناحية الغرب ولمسافة تزيد عن الميل الواحد ناحية الشمال، وسرعان ما عبرنا مجرى ذات العكي وهو ينحدر من سفوح المرخ ليتصل مع الحسرج الذي يقع بعيداً على يسارنا.

تفرقت حميرنا بعد هذا التقدم لقافلتنا بانزعاج وانتشرت فوق المكان وهي ترفس وترتع وكأنما أصابها الجنون، وذلك بسبب ذبابة واحدة. لقد كانت ذبابة لاسعة، فقد لسعت ثلاثة من الحمير أسفل الذيل، الواحد بعد الآخر وكانت النتيجة كما قد وصفت. كان علينا أن نتوقف، بينما أعد ابن داهش هجوماً مضاداً على العدو الذي انسحب آخر الأمر تاركاً الميدان تحت سيطرتنا التامة. ثم واصلنا مسيرتنا مارين بقطع ضخم من الضأن يمتلكه آل غازي من سنحان، والذين يملكون بلاد الحمرة من عند الشريط الذي تم وصفه بالتفصيل في فصل سابق^(١).

بدأنا دخول الفجوة عبر السلاسل البركانية الخارجية التي يكونها وادي الهجلة الذي ينحدر من الجانب الجنوبي لكتلة قعمة القلح ليدخل في نهاية الأمر إلى الحسرج. لقد كان عرض الفجوة في هذا الموقع حوالي ميل واحد أو أكثر قليلاً، ويقع مجرى الهجلة إلى يسارنا على بعد (٥٠٠) ياردة كما تقع سلسلة العود على يميننا إلى ضعف هذه المسافة، ثم يضيق الوادي سريعاً إلى حدود (٥٠٠) ياردة، وتقع الهجلة في وسطه قريباً من طريقنا، ولقد ضاق الوادي بعد نصف ميل إلى (٥٠) ياردة فقط، وقد ظهرت كتل البازلت على جانبيه بارتفاع (٤٠٠) قدم.

(١) الحمرة: أرض واسعة يشترك في امتلاكها عدة عشائر من الحباب، وآل الطلحة، وسنحان. (ابن جريس).

صار السفر الآن صعباً جداً على ضفة الوادي اليسرى وكان علينا أن نهبط إلى بطن الوادي الذي بدأ يتعرج بين الجدران التي ارتفعت إلى (١٠٠) قدم وكانت من جرانيت تعلوه ركام حجارة. واستدرنا الآن في اتجاه عام إلى شمال الشمال الغربي ووصلنا إلى رأسي الهجلة، جاء الرأس الذي على اليمين من عند قعمة القلح، بينما هبط الثاني الذي سلكناه من عند الأرض الصعبة التي تفصله عن الجانب الأيمن لوادي راحة^(١). كان علينا أن نصعد خارج المجرى، لندور حول حاجز صخري يكون سداً عبر المجرى الضيق، وذلك بتسلقنا لممر منحدر صعب.

ولندخل مرة أخرى إلى الوادي فيما يلي هذا العائق. كان بطن المجرى في هذا الموقع من صخور جرانيتية تعلوها طبقة رمل خفيفة وكسور بازلتية. ثم وصلنا سريعاً إلى شريط من برك صخرية في منخفضات أرضية الوادي، مع حركة خفيفة لسيلان الماء بها تصل بينها كأنها جدول، وذلك بلا شك بسبب الأمطار الأخيرة التي لم تصرف مياهها كلها بعد. لقد قررنا أن نتوقف هنا للراحة بعض الوقت ولتخفيف شدة حرارة الظهيرة.

انقسم المجرى مرة أخرى فيما يلي هذه البرك إلى رأسين، وقد تتبعنا الفرع الأيسر الذي يقود غرباً عبر مساحة معتبرة من نبات الحلفاء وغطاء نباتي آخر، والذي في وسطه وصلنا إلى بئر آخر مؤقت، أو هو ثقب مائي يعتمد على الأمطار الأخيرة لتغذيته. ثم صعدنا مرة أخرى إلى البازلت، الذي يعلو الجرانيت عند ارتفاع يصل إلى (٧٦٠٠) قدم في أرض مضطربة، تكون الكتوف لقعمة القلح تجاه وادي راحة. وتشبه مستنقعا ضخماً تصرف مياهه بمجري عديدة إلى الهجلة. كانت قمة هذه الأرض حوالي (١٠٠) قدم فوق البئر في مضيق يفصل بين الكتف وبين الكتلة الرئيسة، والذي من عنده هبطنا الآن تجاه وادي راحة في اتجاه غربي.

واصلنا هبوطنا على الجانب الآخر، بعد أن مررنا برأس الحوض المنخفض المليء بالشجيرات، الذي يبلغ عرضه (١٠٠) ياردة ويسمى حلة مسعود وبه كل

(١) كلمة (راحة) وردت كثيراً في الصفحات السابقة، وسوف ترد معنا أيضاً في صفحات لاحقة، والمقصود بها (راحة سنحان). (ابن جريس).

من قرية آل مسعود الصغيرة^(١) تجاه أسفل الوادي من عند موقعنا وآل مجلم عند ملتحاه مع راحة تاركين قرية آل مسعود على مسافة (٣٠٠) ياردة إلى يسارنا قرية آل الخرج إلى البعيد على الجانب نفسه. ثم خرجنا من الحوض إلى مضيق هبطنا من عنده تجاه الشمال فوق أرض صعبة من جرانيت أسود ثم عبرنا مصرف مسيل القعمة الذي ينحدر من سفوح قعمة القلح إلى قرية آل مفرح عند التقائه مع راحة على مسافة نصف ميل إلى يسارنا. أمكننا رؤية قرى أخرى صغيرة تقع على ضفة وادي راحة، والتي نراها لأول مرة إلى أسفل من آل مفرح وهي: آل طراد، وآل صالح بن راقع، وآل الزين، بهذا الترتيب إلى أسفل. لقد تضمنت هذه البلاد الكثير من السفر الصعب، الذي أوصلنا إلى القرية المزدوجة آل وازع في شعيب بالاسم نفسه يهبط من عند قعمة القلح. كان شعيب العطف مصرفاً مائلاً من المنيع نفسه، مع أبنية برجية أكثر للقرية نفسها، ومن ثم دخلنا إلى ما يليها إلى حوض صرف شعيب آل بحير وهو وادٍ كثيف الأشجار وبه مجموعتان من القلاع وعدة أبراج منعزلة تابعة لقرية بالاسم نفسه تقع في وسطه، وتحيط بها حقول واسعة، كان بعضها قد ترك بغير زراعة وبعضها قد تم حرقه للبذر التالي.

انتهينا الآن من محن هذه البلاد الصعبة العدائية وستتجه سريعاً إلى أبراج الحوط التي وصلناها خلال نصف ساعة قبل الغروب. لنعسكر في بطن راحة الرملي بجوار مزارع التين بالقرية. اعترض مجرى السيل عدد من السدود من الرمل ومن الأغصان الخفيفة إلى داخل الحقول والبساتين على جانبي الوادي. لقد عدنا الآن إلى الموقع الذي مررنا به قبل (١٧) يوماً في رحلتنا جنوباً من الحرجة، وكان مما يسرنا أن نعيد علاقتنا مع دليم بن دليم^(٢) الذي جاء إلى هنا لمقابلتنا ومعه ابنه الشاب الجذاب، الذي يتحدث عنه الناس لحبه للرياضة. ومعه بندقية عيار (١٢) ليس معه ذخيرتها. كان دليم من الرجال الذين لا يرتشون بالنقود غير أنه سر كثيراً بإعطائي له (٥٠) خرطوشاً لابنه. لقد أعد لنا عشاءً فاخراً، وقد قام

(١) قرية آل مسعود الصغيرة يطلق عليها أيضاً اسم (القرية). (ابن جريس).

(٢) دليم بن دليم: - هو دليم بن محمد بن دليم شيخ مشايخ شمل قحطان ووادة. (ابن جريس).

بجهد كبير لترتيب استمرارية جولاتي في تهامة حيث امتد نفوذه ومسؤولياته حتى قرية الحقو^(١). كانت حدوده الشمالية عند ضبة بالقرب من أبها، بينما تزاملت مسؤولياته مع مسؤوليات حاكم نجران ناحية الشرق، عبر قرن سبط، الخائق - حتى شرق القرن - وهضاض على الحدود اليمنية. لقد حضر هو وابنه وبعض أتباعه بعد العشاء لسماع الأخبار والموسيقى من الراديو، والتي كانت هذا المساء، إلى جانب أخبار حرب مدريد، فإن الموضوع الرئيس الذي كان يناقش هو الصدع الذي حدث بين الملك إدوارد وحكومته وأدى خلال أيام قليلة إلى تنازله عن العرش. كان دليم محتاراً حول القيود التي يستسلم عندها ملوكنا والأهمية التي نضعها على مشاكل الزواج التي تواجه العظماء.

كانت هنالك لمسة صقيع خلال الليل إذ بلغت درجة الحرارة (٣١) درجة فهرنهايت وذلك لأول مرة منذ أن غادرنا الحرجة في اتجاه طقوس جنوبية، ولم ندفاً إلا عند الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي لكي نبدأ التحرك من جديد لتنفيذ المسيرة القصيرة المخططة ذلك اليوم إلى ممر شراقب، حيث سنقضي الليلة التالية قبل نزولنا إلى تهامة. لقد اخترقنا سهلاً رملياً بعد عبورنا مجرى راحة وكانت عليه وعلى فترات مجموعات من القبور تكون مقبرة حوط، ناحية شريط أبيض لصخور مغر التي تقف أمام السلسلة البازلتية للجرف، والتي تحجب عنا في الوقت الحاضر وادي حبيت، ثم وصلنا إلى مضيق ضيق، بعد أن مررنا عبر هذا الشريط الملون جداره بالأحمر والأبيض والمكشوف في مسيل ضحل، ومن هذا المضيق هبطنا إلى وادي حبيت العريض بالقرب من قرية القعمة الصغيرة^(٢)، التي تقع عند الطرف الغربي لمستوطنة آل عبدالله.

ثم وصلنا أثناء استمرارنا غرباً إلى قرية الصمعة وأحواضها ذات الجدران الحجرية، أما منازلها فقد بني جزء منها من الحجر والجزء الآخر من طين المغر

(١) قرية الحقو: من القرى الواقعة في السهول التهامية، وقد يطلق عليها أيضاً (حقو ماغص)، وتتبع لإمارة منطقة جازان. (ابن جريس).

(٢) قرية القعمة الصغيرة: تحتوي على قريتي آل يصبأ وآل عاطف، ويطلق عليهما اسم (قرية القعمة الصغيرة). (ابن جريس).

الوردي، مع مدرجات من شست شبيبة بالألواح على طراز أ بها^(١). كان عرض الوادي من كتلة جوعان وناحية الشمال، وجبل سعدي ناحية الجنوب، حوالي ميل واحد، ويجري البطن الصخري لوادي حبيث في مجرى عميق يصل عرضه إلى (٢٠٠) ياردة عند منتصفه. كما كان هنالك أشجار طلح مزدهرة على كلا الجانبين، مع كتل من الهدال وهو نبات طفيلي ينمو فوق قممها. كان المكان مملوءاً بطائر الحجل، غير أنني كنت سعيداً أكثر برؤية زوج من طائر نقار الخشب وقد أمكنتني إصابته وإضافته إلى حقيبة العينات خلال مطاردة استمرت ربع ساعة. ثم يضيق الوادي في الأعلى إلى حجم المسيل بين جدران بازلتية عالية وذلك أثناء دخولنا إلى طرف الجرف النهائي الحاجز بجوار ثقب مائي يسمى صعدة حيث الماء الدائم.

صار الطريق صعباً جداً، وقد سرت على رجلي معظم الوقت على الجانب الأيسر للمجرى، الذي أوصلنا إلى برك لكة في حوضه الضيق الحصوي في وسط نباتات عطرية مزهرة. ويقع فيما يلي هذه الرأس الفعلي لوادي حبيث، الذي يتكون من التقاء مسيلين هما شعيب ضفرة الذي يقبل من عند القلنسوة البازلتية ناحية شمال الشمال الغربي، وشعيب الجريه الذي يأتي من عند أسفل سعدي قليلاً ناحية الجنوب الغربي. ثم تتبعنا سعدي لمسافة ميل واحد، إلى قرب رأسه في طرف سهل أخضر معشب، يكون سرجاً ضحلاً يفصل بين القسم الشمالي والقسم الجنوبي لقلنسوة البازلت، وقد كانت المسافة إلى ممر عقبة شراقب قصيرة، والتي استقر بنا المقام عليها لنعسكر على ارتفاع (٧٨٠٠) قدماً فوق مستوى البحر. وكان المنظر من حولنا رائعاً يستعرض أمامنا جبال تهامة في هذه المنطقة. استغرق سيرنا مسافة ستة أميال، مع مسيرة متقطعة لأكثر من ثلاث ساعات لنقضي خلالها المسافة بين الحوط والممر وكان أول ما فعلته حين وصلنا إلى المعسكر هو أن أعد نفسي لنوم عميق عند الظهيرة، ولقد نمت نوماً عميقاً مدة ساعتين وصحوت وأنا مرتاح ومنتعش، وغير راغب في أي نشاط كبير.

(١) توجد مثل هذه المباني المشيدة بالحجر ثم الطين في مناطق عديدة من جنوبي البلاد السعودية وبخاصة في بلاد قحطان وشهران وما حولها. (ابن جريس).

أحسست بأن فرصة تسلق سعدي يجب ألا تضيع، وعند الساعة الخامسة مساءً، بعد تسلق مرهق فوق سفحها الرفرفي البازلتي الصعب، وقفت على قممها ومعني مرشدي نقوم بمسح الأرض الموعودة التي تمتد أمامنا. لقد كانت القمة على ارتفاع (٥٠٠) قدم فوق معسكرنا على الممر وعلى ارتفاع (٨٣٠٠) قدم فوق سطح البحر، وكان المنظر يستحق الجهد الذي بذلناه للوصول إليه. وكان مرشدي الرئيس والمتخصص في هذه المهمة، والذي قدمه لي دليم بنفسه، واسمه عايض بن شري وهو من آل حيان تحت قسم آل سريع (تهامة) مجموعة سنحان، وكان يقوم بمساعدته رجل من الأصل نفسه إلا أنه من درجة اجتماعية أقل. كانت الأحوال هنا، عند هذا الارتفاع، وعلى جبل مكشوف لطيفة بدرجة مدهشة. كما هي لطيفة أيضاً في المعسكر أثناء الليل، غير أن كلا المرشدين وهما من رجال أسفل الوادي، قد طلبا الأذن لقضاء الليل أسفل الوادي مع مواطنيهم مع الوعد بالعودة عند الفجر لنبدأ مسيرتنا.

كان منظر جبال تهامة من عند القمة على الرغم من الضباب الخفيف الذي تكاثف أكثر بالضوء المنتشر للشمس الغاربة. لقد كان مرشداي يعرفان بلادهما جيداً، وقد كانت هذه هي المرة الأولى التي أتلقى فيها فكرة أقرب إلى الحقيقة حول الأسماء الصحيحة للسماوات الرئيسة للمناظر الرائعة التي تتكون من سلسلة وراء سلسلة من جبال عظيمة شامخة من فوق أوديتها إلى قمم وسلاسل ترتفع إلى (٧٠٠٠) قدم أو أكثر. ولقد كان هذا هو أفضل منظر تحصلت عليه حتى الآن. كانت قمة سعدي مثلها مثل القمم التي كنت قد تسلقتها، بسفوحها العارية التي تتبقع بأشجار الطلح الجافة، غير أنه لا يوجد أثر لأشجار العرعر. ويمكن الافتراض بأن كل هذه القلنسوة البركانية لجرف السراة الرئيس من عند جبل عبيدة جنوباً إلى علب، وابن مرعي والأخريات لها الخصائص ذاتها وهي الكآبة والخلو من النبات وعدم الجاذبية. تقوم جبال تهامة باعتراض معظم الرياح الموسمية الممطرة، وتستمتع بمجموعة نباتية وبمجموعة حيوانية تحت مدارية مزدهرة في مقابل الظروف الصحراوية للهضبة وسلسلة الجرف. لم أقطع شريط تأملاتي في هذا

المنظر إلا قليلاً قبل غروب الشمس وها قد غربت الشمس بالفعل ونحن في منتصف الطريق إلى أسفل التل. لقد أرسلت المرشدين إلى المعسكر وجلست لأفطر على تبغ غليون كنت انتظره بكل رفاهية العزلة. وقد وجدت حجلاً، عند عودتي للمعسكر بعد نصف ساعة، وقد تم طبخه لي، وكان لحمه طرياً ولذيذاً برغم أن هذه كانت المرة الأولى لي التي أتناول فيها لحم طائر كان قد قتل بالرصاص ليصير عينة متحفية. لقد تخلصت الآن تقريباً من قروحي وقد أحسست بالعافية في هذا المساء بالذات، والشكر يعزى لفترة الراحة الطويلة ولتسلقي التل الذي تلي تلا الراحة^(١).

انقضت من رمضان الآن عشرون يوماً، وبقيت عشرة أيام ولم أذق فيها الماء حتى الآن. لم يؤثر ذلك على الصيام تأثيراً ضاراً، غير أنني أحس بالرغبة في النوم عند الظهر، وقد اعتدت على السهر في كل الليالي حتى الساعة الواحدة صباحاً أكتب مذكراتي وأحلل ملاحظاتي، ثم أنام حتى الساعة (٤,٣٠) حين نستيقظ لتناول السحور قبل الفجر، وعند الساعة (٥,٣٠) أعود مرة أخرى إلى النوم حتى الساعة الثامنة، وحينها أصحو على حركة زملائي وهم يتهاونون لبداية مسيرة يوم جديد.

كانت لدينا هذا المساء الميزة الإضافية لمناسبة عظيمة فقد كان معسكرنا يقف على قمة رأس العالم، والتي من عندها ألقى نظرة في الصباح على الجبال وقد التحفت الضباب الخفيف الذي تخللته ألوان مختلفة بأشعة الشمس القادمة. ارتفعت طبقة من سحب خفيفة فوق البحر البعيد، والذي - حسب ما رواه مرشداي - لا يمكن رؤيته مطلقاً من هذا الموقع. لقد رأيت بعيداً ناحية الجنوب في وقت صلاة الفجر، نجم صليب الجنوب لأول مرة هذا الشتاء. ثم هبت علينا رياح جنوبية شرقية باردة مدة ساعة عند منتصف الليل إلا أنها سكنت مع الفجر، وكانت لطيفة جداً، كانت أدنى درجة للحرارة أثناء الليل (٣٥) درجة فهرنهايت أو قريباً من ذلك.

(١) الشكر هو لله عز وجل، فهو الشافي لجميع العلل وليست (فترة الراحة الطويلة) هي التي شفت فيليبي

من أمراضه. (ابن جريس).

لقد أمضيت الساعات الأولى من الصباح، قبل أن نبدأ المسيرة، في آخر جولة من زوايا المزواة على النقاط الرئيسة التي تمت ملاحظتها من عند قمة سعدي في اليوم السابق، تحسباً لأن تكون اتجاهات بوصلتي في ذلك المكان قد تأثرت بظاهرة المغناطيس في الصخور البازلتية المزعجة جداً في كل هذه البلاد البركانية. لقد كانت هنالك اختلافات بين القراءتين.

لقد احتضن المنظر من قمة سعدي إطاراً واسعاً من هذه البلاد الجبلية، ممتداً من سلسلة تمينة بجوار أربها تجاه غرب الشمال الغربي عبر زهوان (جبل الريث) وسلسلة الصهاليل إلى قمم كل من حشر وطلان وثيران حاجبة فيفا نفسه، ومنها إلى الحرف مرة أخرى إلى الجنوب من موقعنا. يمكن رؤية مسيل شعيب مجزع القرص وهو يهبط من قرب رأس ممر شراقب، بينما من جهة الجنوب من سعدي - على مسافة الميلىن - يجري مسيل مشابه يسمى ضعان إلى أسفل ليقابله بالغرب مشرب العينة، وهو أول أهدافنا في تهامة. مسيل ثالث من عند الجرف قليلاً ناحية الجنوب من ضعان، واسمه رحا^(١)، ليتصل مع المسيلين الآخرين بالقرب من الموقع نفسه. يقبل مسيل رابع من عند الجرف فيما يلي مجزع القرص (إلى شماله) واسمه سححة بينما يرسل بازلت مصقوع مسيل حده ليتصل مع المجرى الرئيس، واسمه العطف ويقع أسفل عينة حيث يدخل رافد حرره من عند التلال ناحية الجنوب. يكون هذه المساليل للجرف رأس وادي بيش^(٢)، وهو خط الصرف الرئيس لكل بلاد تهامة التي تواجهنا غير أن التسمية المحلية تصنفها إلى أقسام مختلفة، لكل منها اسمه الخاص به. فمثلاً يتخذ العطف الذي يبدأ عند سفح الجرف الفعلي، اسم الفرشة الذي يجري داخل لحج، الذي يصبح اسمه رحا والذي بدوره يتحول إلى بيش. علينا الآن أن نعبّر أسفل كل هذا النظام حتى نصل إلى البحر، بعد أن انتهينا من الهضبة العظيمة ومن جرفها.

(١) وادي رحا: يكتبه بعض المؤلفين باسم وادي (راحة) وأحياناً وادي (رحة) والسليم هو (وادي رحا). (ابن جريس).

(٢) للمزيد عن أعالي وادي بيش، وأجزاء عديدة من تهامة قحطان ووادة التي يأتي منها عدد من روافد بيش،

انظر: عبدالرحمن الشريف. جغرافية المملكة العربية السعودية، ج ٢ ص ١٨٢ - ١٨٩. (ابن جريس).

الباب الخامس

مرتفعات تهامة

٥ ديسمبر إلى ٣١ ديسمبر ١٩٣٦م

الفصل الرابع والعشرون

وادي بييش^(١)

كان مرشداي عند وعدهما، فقد عادا في الوقت المحدد من عند دفء الوادي، إلى برودة المرتفعات حيث أكون، ولم نبدأ التحرك من المعسكر إلا عند الساعة العاشرة صباحاً سالكين طريقاً منحدراً صعباً يهبط من عند الممر وقد قيل إنه يصلح لسير الجمال. يفضل معظمنا أن يسير على قدميه وأن يترك الحيوانات تهتدي إلى طريقها إلى أسفل غير مثقلة بأوزاننا. لقد قمنا باستبدال حمير استؤجرت من ظهران بجمال استؤجرت من سنحان التي أمدنا بها دليم في الحوط^(٢)، إلا أنها كانت مخلوقات شديدة التحول مقارنة بجمال الصحراء. لقد عبرت الجمال هذا الطريق من قبل، ولذا فقد سلكته الآن بلا حوادث، مع الكثير من الصراخ المشجع من جانب السائقين. يتبع الطريق أول الأمر أهدوفاً عميقاً في الصخر البركاني، وبه جانب صعب بمعنى الكلمة يقع على امتداد الرف الضيق، غير أن ظروف السير قد تحسنت، بعد أن عبرنا مسيل شراقب، من فوق سفح عشبي إلى أن وصلنا إلى بطن شعيب مجزع القرص الذي يقع حوالي (٦٠٠) قدم

(١) للمزيد عن وادي بييش انظر: البكري، معجم ما استعجم، مج ١، ج ١، ص ٢٩٣، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٥٢٨، محمد العقيلي. المعجم الجغرافي للبلاد السعودية. مقاطعة جازان. (الرياض: منشورات اليمامة، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م) ص ٦٢ - ٦٣ (ابن جريس).

(٢) الجمال والحمير كانت وسيلة المواصلات الرئيسة أثناء زيارة فيليبي جنوبي البلاد السعودية، وإذا كانت قد ظهرت السيارات فلا توجد إلا بعدد قليل جداً عند الأمراء والوجهاء في الحواضر الرئيسة مثل مدينة أبها وما شابهها. (ابن جريس).

تحت معسكرنا الليلي. لقد استغرق بحثنا عن هذا الجانب من الممر ما يقارب الساعة الكاملة.

كان الوادي الذي هبطنا إليه الآن يجري في اتجاه جنوبي، وهو كثيف الغطاء النباتي بما في ذلك أشجار التين البري (الأثب) وأشجار الطلح وأشجار العبال وجنابت من نبات العثرب وأنواع أخرى عديدة. وصلنا إلى قطعة أرض بوكسية (مغر) بارزة من فوق جلاميد البازلت وإلى ركام حجارة تقع من خلفنا. وصلنا بعد مسافة قليلة إلى الأسفل إلى ثقب ماء بياضه ويقع في منخفض رملي في وسط صخور مغر، وهو مشرب معروف بالنسبة للرعاة المحليين. لا يبدو أن هنالك أثراً للإنسان، إلى أن صرخ فينا قزم يشبه القرد، نصف عاري يقف عند صدع في الجلمود. لقد كان بلا شك يلحظ تحركاتنا باهتمام لبعض الوقت ويبدو أنه قد تعرّف على مرشدينا. ويدور المسيل إلى أسفل قليلاً ناحية الجنوب الشرقي في مضيق كئيب لا يزيد عرضه عن (٥٠) ياردة من جلاميد داكنة عالية من الشست، دقيقة المسام ومرتبة عمودياً كأنها ألواح. بدأ غطاء نباتي من أنواع جديدة ينتشر، ويسود فيه التين البري. لقد كانت طيور السوادية تتغذى على ثمار التين، بينما أزعج وجودنا سكينه سرب من طيور الحجل بالقرب من تدفق مسيل صغير (حرة) من جهة الشمال، تقع قليلاً إلى أمام فم مسطح جميل لمياه الغيل يسمى مبرته. لم يكن المضيق هنا بأعرض من (٢٠) ياردة وقد سال الجدول بين سلسلة من البرك الصغيرة فوق بطن الوادي الرملية الداكنة اللون. قررنا أن نتوقف هنا لننال قسطاً من راحة الظهر إذ أن جمال العفش قد أدركتنا منذ قليل. وتحتاج هي بدورها لشرب الماء بعد إجهادها. لقد أمضيت الوقت مع توقعات حظي مع حصاد البندقية وشبكة صيد الفراشات وأنا أتجول بين أشجار التين وشجيرات اللاندندر في

هذه المضايق وقد تمكنت آخر الأمر من إضافة طائر من طيور السوادية وفراشة من نوع بابليودمالس إلى مجموعتي المتحفية.

وقد استأنفنا سيرنا بعد الساعة الثالثة بقليل عبر المضيق الصخري والجروف الساقطة التي ترتفع جوانبها من (١٥٠٠ - ٢٠٠٠) قدماً، وتخلل ذلك ظهور الأماكن التي يتسرب منها الماء، وبعض الرقع التي تكسوها أعشاب الحلفاء. وبعد ساعة من السير على الأقدام والتي خلالها اتصل مسيلان مع المضيق، في اتساع عند موقع تدفق كل من مسيل شعيب ضعن ومسيل سمحة من كلا الجانبين الأيسر والأيمن بالتتالي. تفتت الجلاميد على الجانبين إلى سفوح منخفضة لطيفة، وقد أصبح عرض الوادي الآن حوالي (٣٠٠) ياردة، والذي كان قد انحرف سريعاً وبعنف ناحية الغرب ليرافق شعيب رحا الذي كان قد اتصل من الجانب الأيسر على امتداد الحافة لسلسلة عثيث الضخمة. أصبحت أشجار العلب الآن في وفرة وأصبح الوادي معطراً بالأعشاب العطرية. كانت تعلو جانبه الأيسر سلسلة ريدان، وأصبح اسمه من عند هذا الموقع هو العين، بينما أصبح اسم الغيل الذي يدخله من عند رحا هو حلله. نقترب الآن من محطة الوصول النهائية، غير أنني دهشت حين رأيت في مسيل يدود الصغير الذي ينحدر من سلسلة ريدان بعضاً من المباني البسيطة الحجرية التي اتضح أنها ليست مأوى لمن هم على قيد الحياة بل هي قبب لمدافن تحت الأرض. لقد كان للموقع قداسته في أعين آل حيان، الذين مازالوا يحضرون موتاهم إلى هنا، حتى من المناطق البعيدة مثل صبيا ونجران.

يبدأ غيل العينة من عند هذا الموقع، وسرعان ما استقر بنا المقام في معسكرنا بالقرب من مجموعة أشجار ضخمة من السدر (العلب) والطلح وغيرها في مقابل فم شعيب الضبع الذي ينحدر إلى الوادي من جهة الجنوب، وكان ارتفاعنا هنا أقل

من (٤٥٠٠) قدم من عند ممر شراقب في قمة سعدي. كان التغيير الذي حدث في الطقس بين الموقعين -والذين تفصل بينهما مسافة (٣) أو (٤) أميال من أقرب طريق مباشر- ملموساً، فقد كانت أدنى درجة للحرارة ليلاً هي (٥٤) درجة. وكان من أكثر الأشياء جاذبية في العين هو موقعها ومظهرها المميز كواحة عربية. يجري الوادي الآن، على خلفية من جرف السراة المرتفع، بين سلسلة كل من عثيث - على الجانب الأيسر - وريدان، وكلاهما ينحدر إلى الخلف بلطف وعلى ارتفاع (٥٠٠٠) أو (٥٥٠٠) قدم فوق سطح البحر.

يكون الوادي بين هاتين السلسلتين وفم كل من رافدي يدود وضع انبعاجاً معتبراً إلى ما يلي الممرات الضيقة التي دخلنا من عندها إليه، وبعض الشلالات على بعد ميل واحد إلى أسفل ناحية الغرب. كان اتساع الانبعاج عند أوسع مواقعه حوالي (٨٠٠) ياردة وقد احتلت طرفه الشمالي مزرعة من أشجار جميلة كان عمقها (٥٠) ياردة وطولها (٥٠٠) ياردة. ولا توجد مساكن دائمة في الواحة، غير أن بعض الرعاة كانوا يعسكرون بين الأشجار على قرب من الماء، الذي كان يتدفق محدثاً خريراً من عند العيون. لقد ذكرت الرقع الصغيرة من المياه التي قابلتنا في المرتفعات العليا للوادي، غير أنها هنا تكون غدراناً ذات خرير لم أر من قبل مثلها في الجزيرة العربية. كانت تجري فوق بطن صخري ضحل، وبين مروج من عشب الحلفاء والقصب حتى تغيب عند منحنى الشلالات التي قد ورد ذكرها. يعزى نمو أيكة الأشجار الجميلة هذه بلا شك إلى وفرة المياه غير العادية هنا غير أن استمرارية حياة الأشجار وبلوغها هذا الحجم لا بد له من سبب آخر. يعتقد أنها محرمة وذلك لقربها من المقبرة القبيلة والتي كان العديد من قبورها مبعثراً فوق الأرض المرتفعة من خلف الأيكة، وكان معظمها بيضوي الشكل يرتفع

إلى قدمين، ومبنيًا من حجر محلي، وأحياناً يزخرف بصفين من حجارة صغيرة بيضاء. كانت هذه بلا شك قبور لجمهرة الناس العاديين، بينما كانت الضرائح الكبيرة في يدود محجوزة للرؤساء وأسراهم.

رأيت ولأول مرة شجرة الابراه من بين الأشجار وهي تشبه كثيراً شجرة الكستناء بظلها المنتشر وبكل ما فيها. كان فوق أغصانها العديد من أعشاش أبو مطرقة، وكان العش بحجم ضخيم ومظهر غير منتظم. وكان الطائر نفسه (SCO- *pus umbretta*) منتشرًا بكثافة وهو يعود في المساء لعشه بعد أن قضى النهار في صيد السمك. ويطلق عليه العرب هنا اسم انقب الما أو بومه، وقد رأيت طائراً آخر مميزاً لهذه المناطق لأول مرة ويسمى عَجَلَة (*Lophocerus nasutus fors-kalii*) مشؤوم المنظر، له طيران كالشبح ومنقاره ثقيل مقوس وهو الذي أكسبه مظهراً ثقيلاً برغم كل جسمه الرشيق. كانت طيور الحجل توجد بوفرة أيضاً، وهي من النوع نفسه الذي يشاهد في الجبال وفي هذه الأثناء تمكنت من إضافة طائر السمنة إلى حقيبة العينات المتحفية، لقد كان يقضي الشتاء في هذا الطقس المعتدل بعد رحلة طويلة من الشمال البارد.

وصلنا إلى المعسكر الساعة (١٥, ٥) وذهبت فوراً إلى موقع الشلالات في الجدول، حيث جلست على صخرة أتأمل المنظر وأنتظر غروب الشمس. غير أن المياه الجارية كانت مغرية جداً للدرجة التي لم أستطع فيها أن أكبح صبري أكثر من ذلك وأشبعت رغبتي في شربة طويلة باردة دون أن يشاهدني أحد^(١). وذلك قبل

(١) صحيح إذا كان أفطر في رمضان قبل حلول الإفطار دون أن يراه أحد من البشر، ولكن الله عز وجل يراه ويشاهده. (ابن جريس).

عشر دقائق من موعد الغروب! كانت تلك أول مرة أشرب فيها الماء خلال رمضان، وقد كانت المياه لذيذة. ثم اغتسلت وحركت رجلي ويدي في الماء قبل أن ألحق بزملائي لتناول الإفطار الرسمي، ثم أخذت حماماً ممتعاً في صباح الغد وقبل الساعة الثامنة في بركة تقع بين الشلالات نفسها. كان من أبرز المضاعفات لهبوطنا لهذا الارتفاع المنخفض هو أنني لم أستطع النوم بعمق خلال هذه الليلة الأولى. لقد كنت مشغولاً بكتابة مذكراتي وملاحظاتي حتى الساعة الواحدة صباحاً، حين ذهبت إلى سريري، غير أنني لم أنم إلاً عندما تجاوزت الساعة الثالثة صباحاً لأستيقظ بعد ساعة للسحور. ثم اضطجعت عند الساعة السادسة، إلاً أنني نهضت من السرير بعد نصف ساعة، وخرجت للبحث عن الطيور. لقد كوفئت بالتقاط منظر رائع لريدان، الذي يبرز من خلال أشعة الشمس الذهبية الشاحبة وهي تشرق، بزم طويل قبل أن تبرز الشمس نفسها فوق القمم لتطل على معسكرنا من فوق حافة الجرف. واستمر هذا حتى الساعة (٨, ٢٠) صباحاً.

بدأت مسيرتنا إلى أسفل الوادي حوالي الساعة التاسعة صباحاً. كانت طيور البلابل توجد بوفرة بين أشجار التين البري على الجوانب الصخرية للوادي، والتي كانت تكثر بداخلها ومن فوقها طيور الذعرة بمرح.

هبطنا خلال نصف الساعة نحو (١٥٠) قدماً إلى فم شعيب حرير الذي أقبل من عند الجانب الأيسر بين سلاسل كل من عثيث وأذن والأخير هذا معلم أرضي كنت قد لاحظته من عند العمود الحدودي من ممر علب. ثم واصلنا هبوطنا في اتجاه غربي بصفة عامة ومررنا بمساحات كثيفة من الحلفاء وعلى فترات. ثم وصلنا إلى فم مسيل أحده (حدا) وينحدر من تل ثروة في الجرف، والذي فيه سجل مرشداي رقعتين صغيرتين لمياه الغيل، هما سددة وكانت العليا ورنده وتقع

أسفلها. ويستمر الوادي من أعلى عينه حيث يلتقي بشعيب حرير على الجهة اليمنى من ريدان وشعيب المعراض حتى أدن على اليسار. ويبلغ عرض المجرى هنا (٥٠٠) ياردة وقد كان حجرياً وعارياً من النبات، غير أننا قبل أن نصل إليه كنا قد سمعنا العواء المألوف للقروء المحلية، ولقد وصلنا في الوقت المناسب لنرى فريقاً منها وهو يصعد سفوح حرير. ورأينا كذلك وسمعنا أنغام زوج من طيور العجلة، وكنا قد أدخلنا إلى صندوق العينات المتحفية بعضاً من الحمام الأخضر، وبعض الطيور النساجة حمراء الوجنات. وذلك خلال مسيرة اليوم. ثم وصلنا إلى أسفل إلى بركة ملححة الصخرية التي يغذيها نبع في قاعدة صخرة جرانيتية على الجانب الأيسر ويقال عنها إنها تكون دائماً مليئة ولكنها لا تفيض. وقد انتشر من فوقها الظل اللطيف لأشجار العلب، بينما كانت الأرض من حولها مكسوة بأشجار البالميتو. لقد كانت بقعة لطيفة. ويتصل شعيب نفص بمجرى العطف من عند كل من أدن ومسيل خبيرة الصغير من جهة اليمين وإلى ما وراء الأخير، وحرفي على اليسار، وكذلك من عند أدن. كما لاحظت أن كلاً من مرشدي السنحانيين عايض ومداوي - وقد قدمتهما للقارئ في قمة سعدي - ينطقان «ل» بدلاً من «ض» مثلاً «لرم» بدلاً من «ضرم» (الخزامي). ويسميان القروء أرباح أو قروء أو قرده^(١).

تتصل مجموعات أخرى من المساليل مع الوادي إلى أسفل على ارتفاع (٤٠٠٠) قدم فوق مستوى البحر وهي مسيل عرم (من عند أدن)، وآخر من حرير (من ريدان) والجودلة على اليسار (من الحمة). ويقبل إلى أسفل هذه، مسيل نفص آخر ومسيلان باسم مليض أعلى جزيرة كثيفة الأشجار في وسط انبعاث عريض

(١) كما ذكرنا في حواش سابقة أن اللهجات المحلية في جنوبي البلاد السعودية بحاجة إلى دراسات علمية، حبذا لو الفتت الأقسام العلمية وأصحاب التخصص لمثل هذا الجانب من الدراسات. (ابن جريس).

للمجرى. لقد كانت هذه الجزيرة عبارة عن شبكة من شجيرات قصيرة وحشائش الحلفا مع العديد من أشجار العلب جيدة النمو، ويبدو أنها كانت مأهولة ببعض الرعاة. ولم يكن لي دليل على ذلك غير معزة واحدة. ثم وصلنا بعد ذلك إلى غابة حقيقية لنبات الحلفا الذي يرتفع إلى (١٥) أو (٢٠) قدماً مع العديد من أشجار العلب والأثب (التين البري) إلى جانب بعض أشجار الدوم وهي أول مرة أرى فيها هذه الأشجار في هذا الوادي^(١). يوجد في هذه الغابة مشرب نخله، غير أنني لم أشاهد الماء في بطن المجرى، والذي كان مبللاً ولعله هو مصدر القطع المائية التي لاحظناها، وقد وصلناها سريعاً وهي تنساب في جدول لمئات قليلة من الياردات، لتختفي فجأة كما بدت فجأة عند فم مسيل يسمى أضملة من جهة اليسار.

يتصل وادي مهرة العريض الكثيف الشجر الذي ينبع من سفوح ثروة، مع المجرى الرئيس والذي تغير اسمه الآن إلى الفرشة ويتسع ليصبح عرضه (١٠٠٠) ياردة ويكسوه غطاء نباتي ثري. كما ينتشر نبات الحلفا وكتل ضخمة من القصب وبعض أشجار الدوم فوق الوادي من هذا الجانب إلى الجانب الآخر تاركة مسافة صغيرة من المجرى لتحمل مياه الغيل الذي على امتداده سرنا لفترة، لتتوقف عند فم شعيب جع، الذي يقبل من جهة اليسار، وبعد فترة راحة امتدت ثلاث ساعات، وقد كنت نائماً في معظمها بعمق. لقد هبطنا الآن إلى ارتفاع (٣٧٠٠) قدم فوق سطح البحر. وكانت فترة الظهيرة شديدة الرطوبة، غير أن النسيم قد هب من عند الوادي في وقت لاحق، وكان من الممتع أن يستطيع المرء أن يغتسل

(١) شجر الدوم وغيره من الأشجار المتنوعة في أشكالها وأحجامها وفوائدها موجودة بكثرة في جبال السروات الممتدة من بلاد صنعاء حتى الطائف. (ابن جريس).

في الوادي البارد دون أن يقلق على استنزاف مخزوننا من الماء. لقد شربت الجمال بشراهة حينما وصلت إلى هذا الغيل.

يقع جانبا الوادي إلى الخلف في سفوح لطيفة وكان المجرى الوحيد المهم الذي دخل إلى الوادي هو وادي النعام وينحدر من عند سلسلة عمث البعيدة التابعة لمنطقة بني بشر ناحية الشمال^(١). ابتدأت أعداد أشجار الدوم في الازدياد بين الحلفاء والقصب كما لاحظت أن زملائي البدو الذين يرافقوني قد التقطوا الثمار المتساقطة وأكلوها عند الغروب. كانت الثمرة غير شهية، وكانت تؤكل منها طبقتها الخارجية وذلك لأن المركز كان صلباً ومستديراً ككرة البلياردو ويستخدم في السودان في صناعة الزينة العاجية المزيفة. يقوم البدو بحرق الحلفاء في أجزاء كثيرة من الوادي لتقوية المحصول لمقاومة الرعي الربيعي لأغنامهم. كانت مياه الغيل منقطعة وظلت تظهر ثم تختفي أثناء اقترابنا من دلتا الحلفاء والأعشاب الأخرى، التي تكونت بارتظام وادي الحمة من عند السلسلة التي تحمل الاسم نفسه وتقع على يسارنا. وأصبحت أشجار الدوم في وفرة حقيقية في هذه الدلتا، تنمو هنا وهناك حول الدلتا في أجمات مغلقة.

يضيق الوادي فيما يلي الدلتا، وهو يتعرج ويتلوى باستمرار وبه جدول يجري في بطنه الذي تنتشر فوقه الصخور، وعلى جانبيه كوّنت أشجار الدوم شارعاً جميلاً. يتصل المسيلان الكبيران وهما شوحطة (يسار) والحبرة (يمين) مع المجرى وهما متقابلان مع بعضهما في هذه المرتفعات المتعرجة، والتي قابلتنا فيها مجموعة من العرب وهم متجهون أعلى الجدول، وقد أفادونا بالخبر الذي يقول بوقوع غارة

(١) عشيرة بني بشر إحدى القبائل الرئيسة في بلاد قحطان ومشاينها أسرة آل ثقفان. (ابن جريس).

قام بها آل مسعود ليلة الأمس على الريث في البلاد التي تقع أمامنا. لقد غير الوادي اسمه بالمناسبة من عند دلتا الحمة وإلى أسفل، فأصبح اسمه اللحجة بدلاً من الفرشة، ويعادل ذلك مواقع نمو الحلفاء والقصب. لقد قرر المرشدون بأسلوبهم الخاص أين سيكون معسكرنا هذه الليلة غير أنه لم يقطع أمر ذلك إلا بعد مضي نصف ساعة بعد الإفطار الذي كان عبارة عن جرعات من الماء، حين وصلنا إلى مخيم للبدو فيما يلي فم شعيب الجفار إلى اليسار في أحمية ساحرة لأشجار نخيل الدوم، التي استقر بنا المقام في وسطها لقضاء الليلة. كنا على ارتفاع (٣٣٠٠) قدم فوق سطح البحر وكانت درجة الحرارة الدنيا أثناء الليل (٥٧) درجة.

كان معسكرنا فعلياً على مسيل شلالة الصغير عند موقع التقائه مع اللحجة في أرض كل من آل حوير وآل يزيد، تحت قسم آل سريع فحطان الذي يشكل شعيب الجفار حدوده الشرقية، كما أن بعض أجزاء الوادي تابعة لآل حيان، أحد عشائر آل سريع. ودفعنا لمرشدينا التابعين لآل حيان أجرتهم مقابل خدماتهما المتواضعة وكانت الأجرة ثلاثة ريالات لكل واحد منهما. كان عايض مفيداً إلى حد ما، أما مداوي فقد كان جميلاً في غموض ومتنعماً وعديم الفائدة، ويبدو أنه يكره القيام بأي نوع من الإجهاد. وقد عينت في مكانهما رجلاً من آل يزيد من المعسكر على الجانب المقابل للجدول وكان بعض ذويه قد زارونا وتناولوا معنا عشاءنا المتواضع الخالي من اللحوم.

بدأنا رحلتنا عند الساعة العاشرة صباحاً (٧ ديسمبر)، وكانت سلسلة ريدان لا تزال ترى من خلفنا، بينما اتجه الوادي ناحية الشمال الغربي. كانت مياه الغيل تبدو لنا متواصلة لعدة أميال، وقد انتشرت أشجار الدوم على امتداد الجدول وعلى الجانبين. لقد سرت على قدمي معظم الطريق، وكنت أمتطي الحيوان من حين

لآخر لأجل التغيير. كان المكان بلا حياة بشكل مدهش لا يتناسب مع جمال الموقع، وكان كل ما لمحناه من بني بشر خلال المسيرة التي امتدت لأكثر من ساعتين، رجلاً شبه عارٍ وبرفته كلب. لقد ازداد حجم قافلتنا وذلك بالتحاق عدد من الرجال والنساء من معسكر آل يزيد وقد كانت لهم أعمال في أسفل الوادي. سار الرجال بمرح، كانوا عراة إلا من خرقه تستر العورة وهم يحملون بنادقهم عرضياً فوق أكتافهم من خلف أعناقهم، وكلا اليدين ممسكتان بعقب وبماسورة البندقية. لقد كان معظمهم مسلحاً ولقد شاهدت إحدى النساء وهي تحمل السلاح، وكان ذلك لتخفيف الحمل مؤقتاً عن أحد الرجال. ترتدي النسوة قبعات طويلة شبيهة بالسلال من القش للوقاية من الشمس. وكان بعضهن يرفع الجزء الأعلى من سماقهن الفضفاض الواسع، وهو كل ما كن يرتدين من غطاء، فوق قبعاتهن وذلك لأجل حماية أكثر. ثم مررنا في أحد المواقع بمنطقة من القروذ جالسة بهدوء على جانب التل كانت تراقب تقدمنا إلى أسفل الوادي، لقد كان غذاؤها الرئيس في هذه الأرض هو ثمار الدوم والتين البري وبعض ثمار توتية أخرى.

لقد وصلنا إلى رافد مهم، وهو المسيل العريض المسمى سقامة، وذلك بعد مسيرة ساعة، مررنا خلالها بفم مسيل بعشة إلى اليسار، بعد أن تركنا كلاً من المعسكر وشعيب مخلقة على الجانب نفسه، الذي ينحدر إلى الجانب الأيمن من تل بكة البعيد. لقد اختفى جدول مياه الغيل بعد ذلك وبدا المجرى يدخل مضيقاً، به صخور عالية من شست يشبه الألواح وقد كانت كهوفها وشقوقها موطناً للعديد من الأرانب الأوروبية. يبدو أن الشست هو الصخر القاعدي الأساسي لكل هذه الأرض المرتفعة لتهامة، وذلك لأنني على ما أذكر، لم أر أي نوع آخر من

الصخور تقع أسفله، علماً بأنه يوجد الكثير من الجرانيت في المنطقة. لقد وصلنا إلى ثقوب مائية تسمى برد في وسط المضيق في أرض المجرى الرملية والذي كانت صخوره هنا عالية جداً، وشديدة الانحدار، وسوداء اللون جداً. لقد قابلتنا في هذا الموقع امرأة متقدمة في السن وجميلة جداً وذات صفات منحوتة بجمال وقد تبادلت التحية والمزاح من قريبتها، محمد أبو علي، مرشدنا، وهو رجل مسن قاسٍ إلى حد بعيد وصموت. كان مسيل برد الذي تشتق منه اسم الثقوب المائية ذا مجرى عريض ويدخل الوادي إلى مسافة قليلة فيما يلي الثقوب المائية. ويقال إنه ينبع من مرتفعات سلسلة وثران بعيداً إلى الجنوب. وكانت هنالك امرأة جالسة بمفردها عند زاوية الطريق وكأنها لوح من خشب أكثر منها إنساناً إلى أن وصلنا إليها.

يُكُونُ مدخل وادي سقامة بعد مسافة، إلى اليمين وإلى ما وراء نهاية الممرات الضيقة انبعاثاً واسعاً وعشيباً للوادي وتحيط به أجسام أشجار الدوم. كانت أعداد القروء هنا كثيرة جداً، وبالمئات تلو المئات، ويبدو أنها قد توزعت إلى ثلاث فرق ولا يزعجها أمر وجود بني بشر. وكان هنالك قطع ماعز كبير يرعى عند جانب التل وتقوم بقيادته امرأتان، ولم يثر الظهور المفاجئ لموكبنا حتى القروء. لقد تحركت إحدى فرق القروء، يقودها زعمائها بمسيرة مماثلة إلى جانبنا وعلى مسافة محترمة لمرافقتنا على جانب التل.

واصلت مياه الغيل ظهورها فيما يلي انبعاث سقامة - تحت مسمى عين سودان - على هيئة جدول لطيف عريض يتموج في هدير خفيف فوق الحصا ثم يمر من خلال الشارع الجميل لأشجار الدوم الذي ينتهي عند موقع تدفق وادي اللحجة من جهة اليمين داخل رافد عريض ومهم أيضاً يسمى لحجة. ينحدر هذا

من تلال عمث في مقاطعة بني بشر ويكون التقاء مسيلي اللحجة خط الحدود بين قسم آل سرع وقسم ال جوب التابع لقسم آخر من قحطان، والذي يزعم أنه الأصل الأبوي لبني بشر في مرتفعات تهامة ولقبيلة عبيدة وقبيلة شريف في الجرف.

يسمى الوادي المشترك الآن رحا بدلاً عن لحجة، ويتوقف فيه مياه الغيل، مؤقتاً، لتظهر بعد مسافة (٥٠٠) ياردة إلى أسفل. كانت الأبقار متوافرة في هذه المنطقة، من عينة وكانت تشاهد على فترات، وهي ذات سنام صغير، ويبدو أنها وافرة اللبن. والأبقار أكثر وفرة في منطقة رحا هذه منها في أي موقع آخر. ربما بسبب اتساع المراعي الذي تسببه كثرة الروافد التي تدخل إلى الوادي من كلا الجانبين. لقد رفعت لي أسماء أكثر من (١٤) من هذه المسائل^(١) كما رواها لي دليلي، خلال مسيرة ساعتين ونصف الساعة - لنقل (٦) أو (٧) أميال عن طريق الوادي الملتوي - غير أن أكثرها أهمية كان شعيب ضروة الذي يقبل من عند الجانب الأيمن على بعد نصف المسافة إلى أسفل، وهو ينبع من البعيد إلى الخلف في جبال بني بشر التابعة لعمث. لقد قابلنا القليل من الناس هنا وهناك، وكانت هنالك امرأة منفردة، ترتدي قلنسوة من القش، وهي ترعى الأغنام، وقابلنا مجموعات صغيرة من رجل أو رجلين وهم يجلسون عاطلين بجوار الجدول تحت النخيل، بينما ترعى ماغزهم بجوارهم، وقابلتنا مجموعات من حين لآخر من القروء تكاد تكون إنسانية في سلوكها الرصين. ثم بدأ نسيم قوي يهب عند الظهيرة، وقد أدى ذلك إلى تلطيف الأجواء على الرغم من نعاس رمضان الذي

(١) على الجانب الأيمن: رحا، وحسين، وظل الحص، وضروة، ومضو (تنطق مللو)، والمناخ، والمجنب، وشقرة. وعلى الجانب الأيسر: ضررة، وضروة، وضروة السفلى، وضرابة، وفضحو، ويقع ثيحو أسفل معسكرنا. (المؤلف).

كنت أقاومه حتى الساعة الثانية ظهراً على أمل أن نحرز تقدماً في السير أكثر مما قد أحرزناه. قررنا أن نتوقف - على أي حال - للراحة في بقعة ظليلة والتي منها ابتعدت مجموعة من القروود في هدوء ونحن نتقدم نحوها. لقد نمت هنا بعمق لمدة ساعتين ثم أخذت حماماً منعشاً في المياه الجارية قبل أن نواصل المسيرة.

أصبح منظر أشجار الدوم، على الرغم من سحره، مملأً داخل المسافة المحصورة للوادي. والذي حددت سفوحه الشديدة الميلان مجال الرؤيا. غير أن المنظر تغير سريعاً مع اتجاه الوادي ناحية الجنوب الغربي، فقد بدأنا نشاهد جانباً من الكتلة العظيمة لجبل الريث التي تقع أمامنا وتقع سلسلة دفا المنخفضة أمامه على امتداد الجانب الأيسر لوادي دفا، وهو الشريان الصرفي الرئيس لجبال الخولان (تهامة)، ذلك لأن وادينا هو النسخة القحطانية المقابلة. يدخل مجرى وادي بيش العريض، على الجانب الآخر من على بعد نصف ميل بعد بداية سيرنا، وواديه الجاري وأشجار الدوم التي تحفه، عبر مروج الحلفاء، إلى الوادي من عند منبعه البعيد في الأطراف البعيدة لثمينة بالقرب من أبها. أدت هذه الزيادة في القوة لاندفاع الجدول في هدير فوق البطن الحصوي العريض الذي تحفه على اليسار كتلة عظيمة من صخور شستية ملساء سوداء ومنغرسة عند زاوية (٤٥) إلى (٥٠) درجة، وعند طرفها البعيد يتصل وادي دفا نفسه مع رحا في دلتا عريضة يكسوها نبات الحلفاء ونبات القصب، وتجري خلالها مياه الغيل وكأنها النهر والتي كانت تلهو عليها أسراب عديدة من طيور الماء إلى أن تسبينا في إزعاجها. ويكُونُ التقاء المجريين الرأس الحقيقي لوادي بيش^(١)، والذي يجري من هنا كوادٍ عريض مع

(١) لمزيد من التفاصيل عن وادي بيش وفروعه وسكانه انظر: عبدالرحمن الشريف. المرجع السابق، ج-٢،

الجدول المدعم له وهو يحتضن الجلاميد الشستية على الجانب الأيسر، بينما يكون الحرف على الجانب الآخر، علامة أرضية بارزة ومن حولها يتجه الوادي ناحية الشمال الغربي. ويهبط سطح حصوي عريض من هذه العلامة الأرضية إلى شريط كثيف من أشجار الطلح والدوم على امتداد الجانب الأيمن للجدول الفعلي. كانت الأحوال هنا، وخاصة منظر طيور الماء، أكثر إغراء لنا، ولذا عسكرنا على السفح الجبلي لقضاء الليلة.

كان ارتفاع رأس وادي بيش عند ملتقى كل من رحا ودفا حوالي (٢٢٠٠) قدم فوق سطح البحر. وكانت درجة الحرارة عند الساعة الثامنة صباحاً ٧٩ درجة. وكانت الدرجة الدنيا للحرارة ليلاً (٦٥) درجة، ويصعب على المرء أن يصدق أننا كنا قد تعرضنا لبرد شديد قبل ثلاثة أيام فقط. كانت مسيرة النهار شديدة الحرارة، وكانت هنالك نسبة عالية من الرطوبة في الهواء، والتي تسببت في تكوين ندى كثيف أثناء الليل^(١). كان كل شيء ينز بالماء في صباح الغد، وكان علينا أن نتنظر طلوع الشمس لتجفف لنا الأسرة قبل أن نطويها للسفر. كان هنالك الكثير من المياه السطحية في هذه الأرض - للأسف - مما حدا بطيور الماء التي لاحظناها حين وصولنا أن تظل بعيدة عنا. لقد كانت حقيقتي المتحفية مخيبة للآمال أيضاً، على الرغم من أنها احتوت على ثلاثة أنواع من البط وفرد واحد من دراسة الصخور دون الحديث عن طائر العجلة الذي أصبح مألوفاً، إلى جانب عينة من نقار الخشب الذي لم أكن أتوقع وجوده عند هذا الخط العرضي المنخفض. لقد كان هو الطائر الوحيد الذي رأيته وربما يكون قد ضل طريقه من الهضبة، برغم أنه لا

(١) لمعرفة مناخ تهامة، وكذلك الأجزاء الغربية من جبال السروات انظر: عبدالرحمن الشريف. المرجع

السابق، ج٢، ص ١٣٧، وما بعدها. (ابن جريس).

يوجد ما يؤكد أنه طائر أراض مرتفعة فقط. لم ترجع طيور مالك الحزين والطائر المخوض التي كنا قد رأيناها، مرة أخرى للمكان، غير أنني رأيت في الصباح الباكر ما بدا لي وكأنه خمسة من طيور اللقلاق، وهي تقف في صف على قمة صخرة عالية على الجانب الأيسر للوادي. لقد اختفت كلها سريعاً ولم أعد أراها بعد ذلك. أدهشني أنه في بلاد وافرة المياه كهذه، لا توجد إرهابات تدل على محاولة للزراعة من أي درجة كانت، في كل هذا الوادي، من عند عينة إلى أسفل، غير أنه قيل لي إن التربة هنا ضعيفة. كان الغذاء الرئيس لهؤلاء الناس هو لبن الأبقار، واللحم من حين لآخر، وغالباً لحم الضأن أو الماعز. كما أنهم لا يأكلون في مجموعات عكس ما يفعله عرب الصحراء.

قرر عايض، ذلك المرشد الذي كنت قد دفعت له أجرته في معسكر شلالة، أن يظل معنا لكي يرى أكثر عن العالم. لقد جاء دور محمد أبو علي لكي أدفع له أجرته ويذهب في حال سبيله، وفي مكانه لحق بنا رجل من آل جوب اسمه جابر، ويتبع لأحد عشائر قبيلة آل حسن، وذلك لصحبتنا للمرحلة التالية من الرحلة. كنت أعتقد أنه قد التحق بنا لرغبته في رؤية بعض الأصدقاء والأقارب أسفل الوادي، والذين حمل إليهم جدياً تمت ولادته حديثاً أثناء سيره بجوار الجمال. يرتدي جابر ملابس عبارة عن إزار قصير جداً، وحزام للخراطيش البندقية ثلاثة أرباعه فارغة، وإضافة إلى، البندقية. كان رجلاً قصيراً غير أنه متين البناء وصوته هادر عميق وكان يستخدمه في انطلاقات مختصرة مثل «أى» و «لا» إجابة عن الأسئلة التي توجه له ونادراً ما يبادر بالحديث. لقد استمعنا للقرود وهي تنادي بعضها بعضاً خلال الليل كما لا بد أن يكون هنالك معسكر للرعاة في الجوار وذلك لورود مئات الرؤوس من قطعان الماعز إلى موقع الماء وذلك قبل أن تبدأ

رحلتنا، ومنها عادت إلى مراعيها في التلال وهي مكونة منظرًا رائعاً في تسلقها بجهد في مجموعات، مع إيقاع تساقط الحجارة من عند الصخرة السوداء الشديدة الانحدار.

لقد قابلتنا إحدى نسائهم الراعيات على مسافة إلى أسفل الوادي، وكانت امرأة شابة وجميلة، وفي عمر الزواج، ولكنها لم تتزوج بعد، كما قال جابر، والذي وصله بها قرابة بعيدة. لقد كانت فتاة مكتملة النمو والبناء ذات ابتسامة ساحرة وعيون ضاحكة لامعة، كانت ترتدي القبعة المألوفة المصنوعة من القش وترفع قناع الموسلين بعيداً عن وجهها. كانت ترتدي زياً يتكون من قطعتين، بدلاً من السمق العادي، من ثوب أعلى يتصل عند العنق ويتدلى في فضفضة إلى أسفل ومن الخلف ويكون الجانبان مكشوفين، ومن قطعة قماش ملفوفة حول خاصرتها ومطوية على الجانب. لقد كنت متمكناً من ملاحظة هذه التفاصيل وذلك أثناء مرافقتها لجابر لفترة، وهما يسيران بجوار جملي إلى أسفل الوادي تجاه السور الواقي العظيم لجبل الريث. وبدا لي هذا الجبل وكأنه من صخر رملي وربما كان من الجرانيت، وكانت كتلة كبيرة منه قد انتصبت عمودية إلى ارتفاع (٥٠٠٠) أو (٦٠٠٠) قدم فوق سطح البحر، وفي وسط الشست وفوق الأرض المحيطة. ينتمي سكان الريث إلى قسم خولان. وتنفصل أرضهم عن آل سريع (قحطان) بواسطة وادي دفا، وتنفصل عن الجوب (أيضاً قحطان) بواسطة وادي بيش من عند موقع الالتقاء وإلى أسفل، ويمتد آل جوب إلى وادي أبخ الذي يدخل بيش على بعد ميلين إلى الأسفل من عند فم دفا، ويقع منبعه في كتلة تمنية.

كان الوادي أسفل معسكرنا ممتلئاً بشجيرات نبات الشار وبأشجار الرين صفراء الأزهار، وهي منتشرة جداً في سفوح تلال مكان، بينما استمر شريط أشجار

الدوم بلا انقطاع بين الجلاميد العالية التي تساعد على تضخيم أقل صوت. فمثلاً، يكون لصوت حركة احتكاك أحد الجمال على جذع شجرة الدوم على مسافة ووراء موقعنا حين يرده الصدى إلى أسفل الوادي، كأنما هو طلقة نارية قد أطلقت، وعندما استخدمت بندقيتي كان صوت الصدى كالرعد. يمتد الوادي إلى أسفل بين جلاميد كبيرة كأنها الغدير، ثم فجأة يفسح الشست المجال للجرانيت ليتخلله. كان الصخر يميل على درجة (٤٥) وقد احتل كلا جانبي الوادي، غير أن الشست كون خلفية له على الجانب الأيمن وبدأ وكأنه يغطي أجزاء منه وكأنما انقلبت الكتلة المتصدعة رأساً على عقب فوق موقعها الأصلي. كانت قاعدة جبل الريث جرانيتية في وضوح، غير أنني لم أقطع الشك إن كان الجزء الأعلى منه هو صخر رملي أو هو من الجرانيت. ويطل جانبه الشرقي على المجرى الرئيس الصرفي الداخلي للمنطقة وهو وادي رنقة الذي كان فمه موعد لقاء جابر مع شقيقه لاستلام الجدي. ولم يصل شقيقه، غير أننا دعونا إلى وقفة إلى حين وصول الشقيق ولمدة نصف ساعة وقد وظفتها بفائدة بنشاطاتي في البحث عن الحشرات خاصة الفراشات العديدة التي كانت تطير فوق الوادي العطر. ويبدو أن ثمار الدوم المتساقطة المتحللة هي الأكثر جاذبية للفراشات وكذلك الطين الرطب بجوار الوادي. هبط على مسافة قليلة إلى أسفل الصدع المحدود الأهمية والذي يسمى أم لجة، إلى بيث من على الجانب الأيسر وعبر انحدار رائع يتكون من ثلاثة أجزاء والذي بجواره، وفي داخل كهف مظلل في جوف الصخرة الجرانيتية شاهدت رجلين وعدداً من الأطفال وكلهم عراة تماماً وهم ينظرون إلى ناحيتنا. وفي أثناء مرورنا تحصلت على أحد طيور مالك الحزين من هذا المكان وقد كنت قد رأيت الطائر من قبل في ملتقى دفا.

وصلنا إلى نهاية الجرانيت على مسافة الميلىن من عند أم لجة، وقد استعاد الوادي معطفه الشستى وسط صخور شديدة الانحدار. كان الوادي يتجه ناحية الشمال الغربى بصفة عامة وتقع كتلة ثريان العالية أمامه فى حين يدخل على الجانب القرب منه وادٍ آخر بالاسم نفسه إلى وادي بيش من عند تمنية. يقع السور الواقى العظيم المسطح القمة جبل الريث إلى الخلف قليلاً من موقعنا ناحية الجنوب، غير أنه لا يزال يحجب كل شيء فى الجوار، وهو جبل عظيم بحق يرسل العديد من المسايلى إلى أسفل حتى تتصل مع وادي بيش عند منحنى عريض ناحية الغرب. ثم مررنا هنا بأول المناطق المأهولة بالبشر فى هذا الوادي، ولقد كانت مجرد مجموعة من عشش صخرية منخفضة، بعضها لم يزد حجمه على حجم خيمة معسكر مؤقتة. لقد كانت العشش على أى حال مأهولة. ثم مررنا على مسافة قليلة إلى أسفل بامرأة أخرى جميلة جداً وهي تستحم فى الوادي تكسوها ملابس شحيحة، إلا أنها كانت مغطاة بحشمة. لسقد كان الوادي متخللاً بالعديد من البرك العميقة الممتلئة بالأسماك الكبيرة، غير أن الرمال هنا كانت خطيرة وكثيراً ما تغوص تحت وطأة وزن جمالنا. كان لون الرمال رمادياً أسود. ثم دخل عدد من المسايلى إلى الوادي الرئيس على فترات ومن كلا الجانبين، ويبدو أن الجرانيت الذى ظهر مرة أخرى هنا كان مختلطاً مع صخور الشست وكان يقع حقيقة أسفلها.

يحمل الوادي الاسم المحلى الفيض، من موقع دخول شعيب شرحان، وترافقه كتلة ضخمة من أشجار الدوم خاصة عند فمه على يمين الوادي، ويبدو أنه منحصر فى انبعاج محلى يحتوى على غابة حقيقية للدوم كأنها واحة، إلى جانب حقول عظيمة للحلفاء. وقررنا التوقف هنا لأجل الراحة بضع ساعات ويمتد أمامنا

منظر جيد لجبل الريث، ناحية الجنوب الشرقي وتمتد مستديرة إلى الجنوب في سلسلة منفصلة مزدوجة القمة تسمى قرشو، التي كانت سفوحها الخارجية تكون بالفعل الجانب الأيسر لهذا القسم من بيث (أو الفيض) لمسافة تليه إلى أسفل. ظهرت لنا أيضاً قممًا تمنية من ناحية الشمال الغربي من أعلى وادي ردوم ووادي العوراء اللذين ينحدران من كتلتهم إلى بيث إلى مسافة إلى الأسفل. لقد تكون الجانب الأيمن لعورا قريباً من موقع دخوله، بواسطة سلسلة جبال بيد العالية. لعل النطق لحرف «و» الأخير في كلمات قرشو وردوم يقصد به «ي» قرشي وردمي وهو لهجة محلية. ومن غرائب لهجتهم إدغام المقاطع الأخيرة من بعض الكلمات، مثلاً، «آل الشا» بدلاً من «آل الشام» و«ذلي» بدلاً من «ذا الليل»^(١). لقد تكاثرت الآن طيور الشقراق الإثيوبية الجميلة في مزارع الدوم وقد استطعت أن أتحصل على أولى عيناتي المتحفية لها أثناء توقفنا عصر هذا اليوم. لقد كانت بالطبع من أكثر طيور تهامة عسير شيوعاً، وتنتشر إلى البعيد إلى ساحل القنفذة، وليس إلى ما يلي هذا الموقع.

لقد لفت انتباهي عمود صغير، وذلك بمجرد أن بدأنا مسيرتنا، وهو مبني من حجارة بيضاء، الواحد منها فوق الآخر، قائمة على طرف جلمود. لقد كان تقليد محلي أن يقام نصب تذكاري لقتلى الحروب القبلية - أصبح هذا التقليد ميثاقاً الآن ومهجوراً - ولا يقام النصب التذكاري على موقع سقوط الضحية القتيل، ذلك لأنه قد يكون قد تم قتله وهو يتحرك أعلى أو أسفل الوادي، ولكنه ينصب حيث أختبأ العدو القاتل الذي قام بإطلاق الرصاصة. لقد كانت الحرارة شديدة في

(١) لهجات سكان تهامة تختلف كثيراً في مخارج الحروف وتركيبها عن سكان أهل السراة، ولكن كما ذكرت سابقاً أن لهجات هذه البلاد (تهامة والسراة) جديرة بالدراسة والتحليل. (ابن جريس).

الوادي أثناء فترة الظهيرة، ولكن سرعان ما هبَّ نسيم جنوبي غربي بمجرد بدايتنا للمسيرة، وكنا حينها نعبر أفواه العديد من الروافد والمسائل على الجانبين إلى أن وصلنا إلى موقع اتَّصل فيه شعيب لحج آخر^(١) مع الوادي من جانب الريث إلى الجنوب الشرقي. قررنا أن نعسكر هنا في منبعج واسع تكون بواسطة هذا الرافد المهم وعند التفاف ثعباني للوادي الرئيس، ويمتد أمامنا منظر كامل «لأعمدة القتل» التي إما أنها كانت لذكرى كمين كبير أو مصيفاً مشهوراً لرجال قبائل يهوون المتاعب. وقد تحول اسم «الفيض» مرة أخرى إلى بيش وذلك من عند فم العوراء وإلى أسفل.

كان الارتفاع هنا ١٦٠٠ قدم فوق سطح البحر، وأفرزت الليلة التي كانت درجة الحرارة فيها ٦٦ درجة، نسبة عالية من الندى. كانت أرضية الوادي هنا بالتأكيد من الجرانيت، غير أن الجلاميد كانت لا تزال من شست داكن ما عدا الأجزاء السفلى. كان الجزء المبكر من المساء عاصفاً، ذلك لأنه ومنذ الغروب بدأت رياح قوية تهب على السفوح المجاورة وحول منحني الوادي، غير أنها هدأت في وقت لاحق وكانت الليلة ساكنة بما فيه الكفاية، ما عدا إزعاج الضفادع التي يبدو أنها كانت متوافرة بكثرة في هذا الملتقى المائي، وقد واصلت الضفادع نقيقها حتى غلبني النوم بعد سهري العادي الليلي مع أعمال المزواة وكتابة الملاحظات. لقد وقع معظم زملائي منذ لحظة وصولنا إلى عينة بإغراء الماء الوافر لهم، وكان صيام رمضان خلال الأيام القليلة الماضية قد تمَّ الالتزام به ليس بإطاعته وإنما بخرقة.

(١) دخلت إلى بيش، ما بين فم دفا وفم اللحجة، ما لا يقل عن (٢٥) رافداً هي: الجانب الأيمن: أبخ، وثران، وحرشو، والفرع، وشرحان، وردوم، والعوراء، وملتف، وثلثين والقرأ. ومن الجانب الأيسر: صلاح (مسيلان) وروايح، ورنقه، ولجة، واوسط (ثلاث مسائل) وحيلة، ورشدة، ومشامة، والنقل، وعتية، وغرف، ورجل. (المؤلف).

ويبدو أن الأهالي المحليين لا يأخذون الصيام مأخذ الجد، إذ إنهم يشربون متى ما أحسوا بالحاجة لذلك^(١). لم يكونوا يشربون من المياه الجارية، بل كانوا يحفرون الرمل للحصول على بركة طازجة وماء أشدُّ برودة، وتراهم وقد انبطحوا أرضاً يلعبون السائل بشفاهم، يحمل النسوة أواني القرع ويشربن منها. لقد توقف القائمون على رعي الجمال عن الصيام، وهم رجال من الحوط، كانوا قد صاموا فوق الهضبة مع ذويهم، كما منح سعد نفسه رخصة إفطار المسافر في شهر رمضان. ولقد حافظ على الصيام حقيقة كل من فرج، وابن هذيل - وهو طباخنا النجدي والذي يساعد في كل شيء - بالإضافة إلى اثنين من رجال الجمال وشخصي، كما بقيت من الشهر أيام قليلة.

رافقتنا في هذا المعسكر شخص آخر اسمه جابر أيضاً، وهو من ناحية النسب خال لأحد مرشدينا، وبالرغم من أننا سنختار مرشدين جدد في كل أرض تابعة لقبيلة مختلفة، فقد قرر مرشدانا السابقان أن يظلا معنا، وقد ذكر جابر - مرشدنا السابق - أنه لم يغادر إلى خارج بلده لأبعد من قرية الحقو، وهي أولى قرى سهل تهامة الحقيقية، بالقرب من الموقع الذي ينبعج فيه وادي بيث وهو ينحدر من المرتفعات. كانت سلسلة بيض الممتدة على مجرى العوراء هي الحدود الغربية لجوب. يتسمي الجانب الأيمن لبيث من هذا الموقع وتجاه الغرب وأراضيه المرتفعة إلى قسم آل الشام (بنو معراج، وبنو مأجور وعسكر وأقسام أخرى)، وينتمي قسم شحران لأرض تمنية، والذين يكوّنون فرعاً جانبياً لبني شحر الذين يتركزون في

(١) هذا تعميم خاطئ لأن ما يقوم به بعض الأفراد لا يعني أن الجميع كانوا يقومون به، كما أن الجهل الديني ربما كان منتشرًا بين كثير من الناس؛ لهذا فهم لا يدركون خطورة ما يفعلون. (ابن جريس).

الشمال من أبها في جبال السراة^(١). يقع الجانب الأيسر لبيث، وأراضيه المرتفعة حتى الحقو نفسها ناحية الغرب - من عند دفا إلى أسفل - وداخل أراضي الريث التابعين إلى آل خزيم وآل حسن، وغيرهما من الأقسام.

كان مرشدانا الجديان قد حضرا لمقابلتنا هنا بعد تعيينهما بتوصية من دليم ابن دليم، ويتبعان أصل الريث، وهما بالاسم: يحيى بن مسرع وهو شيخ آل خزيم، وموسى بن حمدان^(٢)، وهو شيخ آل حسن. كان موسى مميزاً وعلى الرغم من أنه رجل بالغ في السن وله لحية وكل ذلك، إلا أنه لم يكن مختوناً. إن تأخير الختانة هو التقليد المتبع بين قبائل تهامة وهم يعتبرون عملية الختان اختباراً للشجاعة الشخصية والاحتمال، ويحتفلون بها في مواكب عظيمة وتشريفات. ولا يتزوج الرجال إلا بعد ختانهم وللعروس المختارة الحق في رفض الرجل الذي يحجم عن هذه العملية، والتي كانت ذات طبيعة قاسية وأكثر الأعمال وحشية. يشتمل الختان في هذه القبائل على إزالة الجلد من عند المعدة من جانب إلى آخر إلى ما يلي السرة ثم على جانبي الوركين وما بينهما بنزع الجلد منها كلها وتكون البقعة المتأثرة بهذا هي المعدة، الحوض، والقضيب، والصفن، وأسطح الأرجل الداخلية والتي تكون كلها مسلوخة. إنها حقيقة عملية سلخ جزئي لكائن حي ويقال إن العديد من الشبان يستسلمون لهذه العملية. لقد منعت الإدارة السعودية هذا العمل بصفته من مخلفات العصر الوثني القديم، وهو أمر مخالف لتعاليم الإسلام غير أنه في هذا الوقت، لا يزال يطبق وبدقة، وسيستغرق الأمر وقتاً طويلاً للتخلص من عادة

(١) لقد خلط فيليبي بين شهران وبني شهر عندما قال: - «قسم شهران لأرض تمنية... يكونون فرعاً جانبياً لبني شهر»، وهذا غير صحيح؛ لأن قبائل بني شهر المنتسبة إلى حجر بن لهوئذ الأزدي تختلف في نسبها عن شهران التي تنسب في قبائل خثعم. (ابن جريس).

(٢) موسى بن حمدان ربما أن اسمه موسى بن همدان. (ابن جريس).

تعمّقت في التقاليد القبلية^(١). يتطلع موسى لتجربته الشخصية لهذه الطقوس الوحشية وكل أمله أن يجعل فتاته فخورة به.

وقد لاحظت أمراً آخر بين هؤلاء الناس، وذلك أنهم يلجؤون إلى محاكاة أصوات الحيوانات للفت الانتباه في مناداة الأصدقاء الذين يصلهم هذا الصوت. أطلق جابر مثلاً أثناء سيرنا وعلى فترات، صوتاً يحاكي صوت طائر البوم، كما سمعت صوتاً آخر خلال هذه الأيام يحاكي الخشخشة أو البقبة يكرر ثلاث أو أربع مرات. كانت البندقية التي يحملونها هنا من النوع الإيطالي المعروف والذي يسمى أبو كسوة، والذي يشبهون علبة ذخيرته خماسية الخرطوش بكيس الصفن لعضو الذكر، كما يعكس الخيال المحلي. تستعمل هذه البنادق بكثرة في اليمن ويمكن الحصول على واحدة في هذا الوقت بسعر (٣٠) ريالاً.

خلال الساعتين الأوليين من بداية مسيرتنا - لنقل خمسة أميال داخل الوادي - صباح اليوم التالي (٩ ديسمبر) كون السفح الشديد الانحدار لكتلة بيض الجانب الأيمن لبيش، الذي تباين عرضه بين (١٠٠) و(٢٠٠) ياردة، وقد تشرح على جانبه الآخر بالمرتفعات العالية البعيدة لنظام جبل الريث - بما في ذلك القمة العالية لجبل صماد - الذي كان رأس مسيله يتكون مما لا يقل عن (١٨) رافداً^(٢) لبيش

(١) كان في أجزاء عديدة من جنوبي البلاد السعودية العديد من العادات السيئة، وإلى عهد قريب، ولكن مع انتشار التعليم الديني والثقافي بدأت تختفي قليلاً قليلاً، حتى صارت لا توجد إلا في المواطن الوعرة والموغلّة في الصعوبة. ولا زال هناك حملات دعوية من مراكز الدعوة والإرشاد، وكذلك من المؤسسات التعليمية لاجتثاث تلك العادات وبخاصة ما يتعارض مع الشريعة الإسلامية السمحة. لمزيد من المراجع التي ذكرت بعض تلك العادات، انظر: فؤاد حمزة. في بلاد عسير، ص ١٢٥ وما بعدها، محمود شاكر. عسير، ص ٦٢ - ٧١ (ابن جريس).

(٢) هذه الروافد هي: قنا (مسيلان)، وحلوة، وخبرة، وزهوة، وخبير، ويحاضر، ومواجي، وعده، وقوارة، وقوار، وطلبير (وادي كبير) ومسمة، وورثة، وحضلو، ويخرف، ومسيلان تسميان غليفة (المؤلف).

تنحدر إلى أسفل إلى حيث مقر معسكرنا للمساء المقبل عند مشقة، التي تقع قليلاً إلى خارج السفوح المجاورة لسهل تهامة. وقفت كتلة بيض سداً منيعاً أمام مصرف تمنية، والذي كان يغذي الوادي الرئيس عبر جانبه الأيمن، غير أنه يمون كذلك ما يزيد عن النصف من الروافد الثانوية بما في ذلك بيضو^(١) وهو أكبرها وأولها. انحدرت الروافد، فيما يلي الجزء الغربي لسلسلة تمنية بما في ذلك الجبلان العظيمان وهما يدا وواعر.

كما كان هنالك ما لا يقل عن (١٤) من هذه الجبال تقع بين الطرف الغربي لبيض ومشقة^(٢). ولقد كان البطن الضيق للوادي في الجزء الأعلى (بطول ٨ أو ٩ أميال) مكسواً بنبات الحلفاء في غزارة، وغطاء نباتي آخر، إلى جانب أشجار الدوم التي كونت في بعض الأجزاء أجمات كبيرة. ثم بدأ الوادي يتسع إلى عرض (١٠٠٠) ياردة بين تلال تنخفض تدريجياً، ليصل ارتفاعها إلى (٥٠٠) أو (٦٠٠) قدم وكنا نحن نقرب من طرف السهل، غير أن الغطاء النباتي ازداد كثافة مع اتساع الوادي وظلّت أشجار الدوم واقفة في خطوط كثيفة على جانبي السهل الأوسط حيث نبات الحلفاء مع الكثير من نبات الشار وغطاء نباتي آخر والذي يتتشر من خلال تعرج الجدول بين صفتين رمليتين منخفضتين. انحدرت العديد من الروافد عبر أفواه قد خنقتها نباتات الحلفاء وأشجار الدوم لبعض المسافة. لم نسمع أو نر الكثير عن القروود خلال يوم أمس في الممرات الضيقة، غير أنها ظهرت إلى أسفل، في السفوح الكثيفة الأشجار في الوادي المتسع، ونادراً ما كنا بعد ذلك

(١) كانت بقية الروافد هي وانسل (مسيلان)، وعجيرة، وضنبة، وشضبية. (المؤلف).

(٢) هي بالاسم: ركان، ويسرة، ورجة، وحرثية، وصريث، ورثمة، وبعو، وأبو القمعان مخيرف، ورفضه (واديان) وملحة، وحسارة ومسيلان أيضاً. (المؤلف).

بعيدين عن مدى سماعها أو رؤيتها. ولقد كانت رائحتها قوية برغم وجود النباتات العطرية التي كانت أسراب الفراشات تحلق بكثافة حولها.

كانت الحياة البشرية تدب بصورة متقطعة. فقد مررنا بقطيع كبير من الأبقار والجمال بعد بداية مسيرتنا بقليل، وهي تقاد ناحية مرعى باتجاه أعلى الوادي، ومن خلفها امرأة تسوق جملاً محملاً بكل مستلزمات المنزلية. ثم أقبلت امرأة أخرى بعدها من ورائها وهي تحمل رضيعها في مهد مصنوع من جلد البقر وقد علّق من فوق كتفها وعلى ظهرها. كما مرّت بنا امرأة، وذلك أثناء توقفنا القصير لجمع الفراشات والطيور التي نتج عنها الإمساك بأول عينة من وقواق تهامة، وكانت هذه المرأة في طريقها مع اتجاه أسفل الوادي في صحبة زوج من الجمال. لم تذهب بعيداً بل جلست بجوار الجدول لتشرب من القرعة التي كانت تحملها ولتغتسل. كانت قد اكملت وضوءها حينما واصلنا مسيرتنا فإذا بها تلتحق بعفوية مع قافلتنا، وهي تمشي مجهدة بجانب جملها وتشارك في محادثة متقطعة مع مرشدنا. لقد كانت تحمل قرعة وزوجاً من صندل مصنوع من الحصير (القصب) في يديها، وكانت تسير حافية متوشحة مئزراً يصل إلى قدميها مطويّاً عند الخاصرة. كان الشال ساقطاً على كتف واحد تاركاً الكتف الآخر عارياً، غير أنه كان يغطي ثديها تماماً ومعظم ظهرها. كانت المرأة تلبس على رأسها قبعة من القش مغطاة بقطعة من الصوف البني، التي بدورها كانت مغطاة بقناع موسلين أسود. لم تكن المرأة صائمة بالتأكيد وذلك لأنني كنت قد شاهدتها وهي تشرب، واعترف مرشداي بأنهما لا يلتقيان بالاً لرمضان^(١).

(١) عدم صيام المرأة ليس دليلاً على عدم اكتراثها بالصيام، بل قد يكون لها عذر شرعي يبيح لها عدم الصيام مع أننا لا ننكر أن الجهل الديني كان متفشياً بين الناس، وذلك لقلّة الدعاة وطلبة العلم الذين يفقهون الناس في أمور دينهم. (ابن جريس).

أصبح معروفاً لديّ أن هذه المرأة تنتمي بقرابة مع مرشدي موسى، وذلك لأن شقيق والدته كان والدها. كانت متزوجة ولكن زوجها ظل غائباً عن البلدة، وهي الحقيقة التي أمكنتها من مرافقتنا - علماً بأنها لم تخلف منه أطفالاً - إلى معسكرنا التالي وإلى ما يليه في اليوم التالي. لقد كانت على أية حال متجهة في اتجاهنا نفسه، وذلك لأن جملتها سيعودان وهما محملان باحتياجات أسرتها من عند القرية التي تقع عند طرف تهامة. لا يمكن وصف وجهها بأنه جميل، غير أنه يكون كذلك حينما تبتسم، مع نقرة جذابة في وسط الذقن. كانت المرأة نحيلة البنية على الرغم من صدرها الكبير التام النمو، وكانت تتحرك برشاقة تحمل بندقية مرشدنا موسى من حين لآخر. لقد كانت حقيقة، أنموذجاً كاملاً لأنثى النوع البشري وقد كان الرجال أيضاً ذوي جمال غير طبيعي من الطراز الحسي الشهواني، كانت التقاطيع - فيما يبدو لي - سامية. كان مهر الزوجة عند قبائل بيش هذه - كما قيل لي - مرتفعاً إلى حدود (٢٠٠) ريال أو حتى (٣٠٠) ريال، بالمقارنة مع (١٠٠) ريال فقط للجمل، وهو سعر عالٍ في المتوسط بمستوى الهضبة العادي.

يتصل مع وادي بيش من نقطة أعلى رافد يخرف الذي ينحدر من جبال الريث، الذي يقع أمامنا الآن منظر رائع له لكل امتداده من الشمال إلى الجنوب، فوق السلاسل المنخفضة والتلال لما أصبح الآن أرض سفوح جبلية، وقد اتخذ الوادي الآن اسم «مشقة» وسيظل يحتفظ بهذا الاسم إلى أن يتمثل بالسهل. لقد تأخر الوقت كثيراً وكادت الشمس أن تغرب، على الرغم من أننا لا نزال بعيدين عن الموقع المحدد لمعسكرنا. كنت أرغب في أن نواصل السير دون توقف لتناول الإفطار، غير أن جابراً بدأ يشتكي من العطش، لأنه كان صائماً أيضاً، وكان يلح على أن نتوقف حينما حسم الأمر بواسطة زوج من الصقور عاد ليعشعش في

شجرة الدوم في اللحظة نفسها التي كنا نعبر فيها. لقد التقطت بندقيتي التي كانت بارزة من حقيبة السرج على جانبي حينما صعد الطائران العظيمان بانزعاج وأطلقت رصاصة مجازفة. كانت الخراطيش من النوع السباعي غير أن رصاصتي أصابت الهدف واخترقت الجناح المنتشر لأحد الطائرين والذي سقط بدوره بارتطام عظيم على أرضية الوادي. وكان لا يزال حياً وقادراً على الطيران، إلا أنه لم يستطع ذلك. لم أشأ أن أفسد العينة برصاصة أخرى، ولذلك كان توقفنا قد وفر لجابر كل الوقت ليطفئ عطشه ويتناول إفطاره بينما انصرفت أنا ومعني فرج للإمساك بالطائر وإزهاق روحه ببطء. كان الطائر الآخر يحلق فوقنا، غير أنه لم يحاول الإنقاذ. لقد كان صقراً أسود داكناً ويسمى علمياً باسم صقر بتلير.

لقد سعدت كثيراً بهذه الجائزة غير المتوقعة التي كان ثمنها بعض التأخير في الوصول إلى المعسكر الذي يقع على الجانب الأيسر لوادي مشقة، فيما يلي موقع دخول رافد غليفة من عند جبل الريث عبر أجمة كثيفة لأشجار الدوم. بدأت السحب تتجمع في السماء من جهة الشرق، غير أنني استطعت أن أتحصّل على ملاحظاتي حول النجوم. تناولنا الإفطار في هذه الأثناء وتعشينا بلحم ماعز وبالعصيدة، ولم أنس احتياجات السيدة الوحيدة المرافقة لهذا الفريق. كانت هي والمرشدون قد استقر ثلاثتهم على مسافة منا، وقد ذهبت ناحيتهم لأسأل السيدة ماذا تفضل أن تتناول في العشاء. فأجابت أنها ترغب اللبن واللحم. لقد كان لدينا الكثير من اللحم، غير أنه لم يكن معنا لبن. ولم ترغب هي في العصيدة. لقد تعشّت السيدة على اللحم فقط؛ ذلك لأن الحارسين كانا قد التحقنا بنا لتناول العشاء معنا. ولقد نام ثلاثتهم معاً، في كوخ الأجمة وبملاصهم التي كانوا يرتدونها، ولم يكن على الرجال إلا القليل منها. كانت ليالي تهامة دافئة، وكانت

درجة الحرارة (٧٢) درجة غير أن الارتفاع فوق سطح البحر كان فقط (٩٠٠) قدم. يحتوي هذا الجزء من مشقة على انبعاث عريض يكون رأس الدلتا التي عن طريقها يشق الوادي طريقه عبر آخر مجموعة للسفوح الجبلية ليجري آخر مراحل مسافة ٣٠ ميلاً عبر السهل. كانت الساعة الثانية صباحاً قبل أن أذهب إلى النوم غير أن البعوض كان وافراً ومزعجاً وقد نلت القليل من النوم قبل أن أصحو لتناول وجبة السحور. لقد كان هنالك ندى كثيف أثناء الليل.

لقد انتهينا الآن من أمر الجبال ولا يتبع الطريق بعد الآن وادي بيش وإنما كان قد ابتعد عن جانبه الأيسر فيما تبقى من سلاسل لسفوح جبلية فيما يليها ليحتضن حافة الأراضي المرتفعة حول قرية الحقو. كان معسكرنا على جانب الطريق على بعد (٣٠٠) ياردة من حافة الوادي في وسط سهل حجري ضيق. قمت بتسلق هضبة منخفضة في الصباح قبل مغادرة المكان، كان ارتفاعها حوالي (٢٠٠) قدم وذلك للمسح النهائي للمنظر. يدور الوادي هنا ناحية الجنوب، وكنت أستطيع رؤية مجراه عبر وفيما يلي السفوح الجبلية الخارجية ولمسافة المليون تقريباً. ويتصل به عند نصف تلك المسافة مسيل صخري يسمى شعيب قفل الذي ينحدر من التلال الواقعة إلى يسارنا. لم تكن قرية الحقو نفسها مرئية لنا، غير أنها تقع ناحية الجنوب الشرقي، كما نستطيع رؤية السلسلة المنخفضة والهضبات التابعة لمحاسل على مسافة في السهل. كان هنالك جبل مرتفع مرئياً لنا إلى البعيد ناحية الشمال الغربي عند أعلى السلاسل للسفوح الجبلية، بينما تقع السفوح الثلاثة لكل من واعر ويدا ناحية الشمال، وتمتد بقية تمنية في جوارها في سلسلة طويلة ناحية الشمال الشرقي. وقفت كتلة بيض ناحية الشمال الشرقي، بينما أمكننا رؤية جبل القهر بعيداً ناحية الشرق ومعه قمته الصباعية في سلسلة جبل الريث التي تقوم

القبائل فيها بزراعة - كما قال موسى - ليس فقط القمح ولكن أيضاً البن . تبدو يدا
الآن وهي واقفة أمام سلسلة تمنية واعر إلا أنها تقع أعلى من السفوح الجبلية ،
والتي تتمركز في سلسلة عالية تمتد شمالاً من الجانب الأيمن لبيش وتسمى
ضهره - ينطقونها لهره- . كما أمكننا رؤية القليل من أرض الخبت -أرض
منخفضة- كما يسمون تهامة ، وذلك بظهور ضباب خفيف فوق المنظر .



الفصل الخامس والعشرون

منطقة صيباً^(١)

يكون شريط رافد يخرف حدوداً قبلية ثانية، إذ هو الحد الشرقي لأرض شهران التي تتضمن امتداد بيش من ملتقى يخرف إلى نهاية السفوح الجبلية، وجميع الأراضي الجبلية جنوباً بين يخرف وتهامة. كانت العلامة الحدودية الفعلية بين كل من الريث وشهران تقع على تل يسمى لقمه على بعد (٥, ٣) أميال ونصف الميل من مشقة وعلى الجانب الغربي من يخرف، بينما تتبع الأطراف الخارجية للسفوح الجبلية للحقو، وهي متضمنة لكل من الحضر والبدو. لم تكن أرض شهران واسعة هنا وقد تم تقسيمها إلى أربعة أقسام قبلية كانت أقصاها، ناحية الشرق، حول ركان ويسكنها آل عسكر، وإلى غربهم بني معراج، ثم بني مأجور وأخيراً وائلة. ويتضح من ذلك أن التلال من عند يخرف إلى أسفل، وعلى كلا جانبي بيش تتبع لأرض شهران (الشام).

بدأت مسيرة اليوم ماشياً. وأوصلنا الطريق عبر مسيل قفل قليلاً قبل دخوله إلى بيش وعبر مقابر شهران على الجانب البعيد، إلى مدفنه تتكون من مقابر متطاولة معلمة بعناية بحافة من الحجارة وموضوعة فوقها الحجارة إلى ارتفاع قدم واحد أو قدم ونصف القدم. مررنا في تماس فيما يلي هذه مع جانب بيش المكسو بأشجار الدوم، وانحرفنا داخله فوراً داخل غابة خفيفة من أشجار الطلح

(١) لمزيد من الإيضاح عن منطقة صيبا انظر: عبدالرحمن الشريف. جغرافية المملكة العربية السعودية،

ج٢، ص ١٧٢ - ١٧٤، العقيلي، المعجم الجغرافي للبلاد السعودية، مقاطعة جازان، ص ٤٦. (ابن

جريس).

وشجيرات البشام، التي تستخلص من عصارتها مادة بلسم مكة القيمة (بلسم جليد). ضربنا على الطريق إلى الخلف الآن داخل السفوح الجبلية من الدلتا لنصل إلى مضيق لسلسلة الحلة التي منها يطلق على الطريق اسم درب (أو طريق) الحلة، وهو واحد من الطرق الرئيسة التي تؤدي من تهامة إلى الهضبة. لقد التقطت أول منظر للحقو من هذا المكان، أو بمعنى آخر من الهضبة التي تسيطر عليه من حافة التلال، والتي تتعرج بقلعة تسمى قشلة السيد -يعني الإدريسي-، وذلك لأننا الآن على حافة ملك الأدرسي التقليدي^(١). - لقد أمكننا الآن من ناحية الجنوب الشرقي رؤية البركانين الخامدين التوأمن واسمهما (العكوتين)^(٢) وهما يسيطران على قرية الحسينية المهمة كما تقع السلسلة البركانية لجبلين إلى البعيد ناحية اليمين وتقع محاسل شيئاً ما ناحية الجنوب الغربي. تكون هذه السلسلة، حدوداً خارجية للسفوح الجبلية الحقيقية مع غطاء نباتي منخفض وتقع بلاد السافانا بينها، وقد تجرحت بالمسايل الصخرية التي تجري من حافة السفوح الجبلية تجاه بيش أو المصارف التي تقع ناحية الجنوب أكثر. تفصل عدة هضاب منفردة، بيننا وبين الحقو منضرة إلى الأمام عند حافة السفوح الجبلية والتي فيما يليها نستطيع رؤية نظم قمم كل من برم (تنطق برا)، حقو ورضى في نظام الريث. كما كنا لا نزال نشاهد النقاط الأساسية في كتلة تمنية ناحية الشمال.

(١) للمزيد عن تاريخ الإدريسي في منطقة تهامة خلال القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر الهجري، انظر: عبدالمعتم الجميبي، الأدارة في الخلف السليماني وعسير (١٣٢٦-١٣٤٩هـ / ١٩٠٨-١٩٣٠م). (خميس مشيط: دار جرش للتوزيع، ١٩٨٧م) ص ٦ وما بعدها، محمد العقيلي. تاريخ الخلف السليماني (لرياض: منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م) ج٢، ص ٦٢٠ وما بعدها. (ابن جريس).

(٢) العكوتان: جبلان يقعان في الجهة الشمالية الشرقية من مدينة صييا، وهما العكوة الجنوبية والعكوة الشامية. للمزيد عن تاريخ هذين الجبلين في بعض كتب التراث، انظر: محمد العقيلي. المعجم الجغرافي للبلاد السعودية، مقاطعة جازان، ص ١٦٦ - ١٧٢ (ابن جريس).

سلكنا سفح الجانب الأيمن لغليفة الثالث، على الجانب البعيد من سلسلة الحلة، في وسط كثافة لأشجار الطلح وأشجار الدوم المبعثر، وسرعان ما عبرناه على مسافة ١,٥ ميلاً إلى أسفل قبل اختفائه في السهل وعلى مسافة تعادل بعده من موقع التقائه مع بيش. ارتفعت السفوح الجبلية على يسارنا، الصف تلو الصف، إلى الخلف ناحية الريث، بينما يشق المجرى الأسفل لغليفة طريقه فوق سهل متموج بلطف، وهو كثيف الأشجار، سفحي، يتجه ناحية بيش. كان عبور المجرى التالي عند شقبان الذي يجري فوق أرض مشابهة يتكون سطحها من الشست الرمادي الشبيه بالألواح، والذي يميل على زاوية ٤٥ درجة من ناحية الشرق إلى الغرب. كنا نشاهد من حين لآخر لمحات من أشجار الدوم معلمة لوادي بيش الذي يمر إلى الشمال من سلسلة محاسل في طريقه إلى البحر. كانت الظروف المناخية في السهل المكشوف، مقارنة بمسيرتنا خلال أيامنا الأخيرة في الوادي المنحصر، لطيفة جداً وقد هبَّ علينا نسيم بارد من جهة الجنوب الغربي وكان جواً مثالياً لمواصلة المسيرة. كانت أشجار الدوم كثيرة في المعبر التالي وهو مجرى عكاث ومن بين أشجاره شجرة جديدة بالنسبة لي وتسمى الضبر (تنطق لبر). لقد عبرنا ثلاثة مجارٍ أخرى خلال نصف الساعة التالي وكانت كلها ذات خصائص مماثلة وكلها روافد لبيش - وهي سدينة، وضيبرة والعقيد - لنصل من بعدها إلى هضاب منضرة على الحافة الشرقية لأرض واسعة لحقول الدخن تمتد بعيداً ناحية اليمين وكان هذا أول العلامات الجادة لنشاط زراعي شاهدناه منذ مغادرتنا الهضبة. تعتمد هذه الزراعة على الري بواسطة السيول، وجزئياً من شعيب العقيد وجزئياً من شعيب الملاح، وهو مجرى سيل آخر يقع إلى ما يلي الهضاب التي كان وادي غيلها ظاهرياً وكأنه مستديم. كانت البلاد بصفة عامة

عارية وجافة ومتموجة في لطف غير أن زراعة الذرة قد ازدادت من حيث المسافة والكثافة ونحن نقرب من الحقو.

قررت أن نتوقف قليلاً قبل الوصول إلى الموقع الذي ستتهي إليه الرحلة، وذلك لننال بعضاً من الراحة عند الظهيرة بالقرب من أجمة أشجار العبال في وسط حقول شاسعة للدخن (دخن وذرة)، والسمس (جلجلان) الذي يزرع بكثافة في هذه الأجزاء حيث توجد عصارات الزيت. تعرف هذه الأراضي التي لا تحتوي على مناطق مأهولة، والتي تمثل الأطراف الخارجية للحقو، باسم الملاحي واتضح لنا أنها موقع لطيف جداً. تركت رفاقي يعملون ما يرغبون وذهبت بمفردي أبحث لنفسي عن سرير مريح فوق قطعة من نباتات الدخن الصغير وتحت ظل شجرة علب لأستلقي، صحوت بعد نومة طويلة ومنعشة لأجد قرعة ماء بجاني بلا تفسير كيف وصلت إلى هنا، ذلك لأنه لم تكن لدينا أوان منزلية من هذا النوع. ربما رأي أحد عمال الحقول وأنا نائم هنا وترك لي الماء لأجل الوضوء قبل صلاة الظهر، لم يكن الماء للشرب وذلك لأننا لم ننته بعد من رمضان، وبالمناسبة، لقد تركتنا السيدة ذات القرعة ورفيقتها عند منتصف الطريق أثناء مسيرة الصباح حيث توجه ثلاثتهم لبعض قرى بيث. كنت أسفاً لفقد صحبتهم، وكنت قد جازيتهم بكرم أكثر، بأمل أن المرأة التي ليس من السهل تقديم المكافأة لها مباشرة، قد تستفيد هي أيضاً. وأثناء مغادرتهم وعلى لسانهم كلمات الوداع البسيطة، أزال المرأة الشال تماماً عنها لتعيد ترتيب وضعه من جديد وحينها كنت قد التقطت آخر لمحة لي لفينوس الريث.

تقع الحقو على مسافة نصف ساعة سيراً على الأقدام فيما يلي المجرى العريض الصخري لوادي طفشه والذي عند وسطه وصلنا إلى بئر الحقو وهو بئر

جيد البناء في الحوض الحجري للمجرى وبه كمية كافية من المياه على عمق (٥, ٤) قامات ونصف القامة. والذي بجواره كان هنالك حشد كبير من الرجال والنساء يقومون بسحب الماء لغرض احتياجاتهم المنزلية المسائية في رمضان. وكان معظمهم من أصل زنجي، وكانوا مرحين ودودين. كنت مهتماً في هذه اللحظة بطائر اللقلاق الذي كان يحلّق من قريب ثم قرر الذهاب إلى موقع آخر يقضي فيه الليل، وذلك لأننا لم نره بعد ذلك. لقد تمكنا من إدخال عدد من الدجاج الحبشي إلى حقيبة العينات المتحفية، وذلك خلال بقائنا ليوم واحد قصير في الحقو، والدجاج الحبشي طائر شائع في كل بلاد الجبال السفحية هذه غير أنها كانت المرة الأولى التي أقابله فيها! كما تمكنت من الحصول على طائر الباز وبعض الطيور النساجة الصغيرة إلى جانب طائر الصرد وبعض الحمام. بدت البلاد السفحية الغزيرة الأشجار وحقولها المزروعة بيئة مناسبة جداً لحياة الطيور بالمقارنة مع وادي بيش، وقد كانت طيور الحدأة والغداف التي تحلّق فوق الحقو ومحيطها هي الفيلق الرئيس.

أقمنا معسكرنا في بعض حقول الدخن التي تم حصادها على حافة أرض ذات شجيرات إلى ناحية الغرب من القرية التي تتألف من عشش وأكواخ مصنوعة من القصب والأعواد الخشبية على شكل حزم القش الموجودة لدينا؛ وتشبه التكل الأفريقي. لقد كانت في الحقيقة قرية أفريقية في إطار عربي وذلك لأن سكانها كانوا عنصراً زنجياً^(١)، نقياً بالإضافة إلى أهل شهران الذين ينتمون إلى قسم عبس،

(١) لقرب منطقة جازان من الحدود اليمنية من الناحية الجنوبية، وكذلك من ساحل البحر الأحمر من الجهة الغربية، مما جعل كثيراً من العناصر البشرية الإفريقية واليمنية تندفق إلى هذه البلاد إما للعمل في كثير من المهن والحرف المحلية، أو للتسول والشحادة في القرى والأرياف والمساجد وعلى فوهات الطرق والممرات المختلفة. (ابن جريس).

الذين يكوّنون الطبقة العليا، بينما يقوم الزوج بالأعمال الزراعية والوضيعة للمجتمع. كشفت ملامح بعض أهل عبس عن علامات للمزج العنصري، بما في ذلك سمات الشيخ المحلي غانم بن مفرح، الذي -على الرغم من أن العنصر الذي يدخله كان خفيفاً جداً ولربما كان بعيداً- كان رجلاً مسنّاً جذاباً يزيد عمره عن (٦٠) عاماً وهو شخصية محلية عظيمة، ورجل ودي المعاملة، ناعم الحلاقة، ووجهه طويل نحيل، يعد أنموذجاً لعرب نجد. وبرغم أنه الشيخ المحلي لهذه المنطقة، إلا أن إدارتها كانت تحت إشراف موظف كانت قد عينته الحكومة السعودية، كونه أميراً ورئيساً للشرطة، وذلك لأهمية الحقو كأحد المنافذ الرئيسة التي تقود إلى داخل البلاد. كان هذا الموظف هو عبدالرحمن البواردي، وهو من مواطني شقراء البعيدة، وهو رجل لطيف طيب الحديث وشاب، كنا قد اجتمعنا معه لتناول طعام الإفطار وطعام العشاء، الذي تضمن الدجاج كطبق إضافي. رحبنا به إلى جانب الغذاء البسيط الذي كنا قد اعتدنا عليه. كانت هذه أول وظيفة مستقلة لمضيفنا في خدمة الحكومة، وقد مضى عليه حتى الآن أربعة أشهر، وتحت إدارته عشرون رجلاً ملحقون بمركز الشرطة وعدد قليل من الكتبة يقومون بالأعمال الإدارية العادية. لقد احتلت مراكز أدائه عمله وأداء عمل الشرطة سلسلة من العيش في مجمع متعرج مسورّ بأعواد الخشب. كان رجلاً قنوعاً بهذا النمط من الحياة وبمجموعته وكان يشيد بأعلى صوته بالطقس الممتاز الذي يعم المكان ويغياب البعوض. لقد اعتمدت كل مزارع الدخن وغيره من المحاصيل على الأمطار أو السيول الموسمية، ولا يوجد ري بماء الآبار، وكان القليل من هذه الآبار لغرض الشرب. كان أبرز الأشياء هنا هو الغياب العام للمياه الراكدة وإنتاجها غير المحبوب ألا وهو البعوض.

جاء عبدالرحمن إلى معسكرنا للاستماع للراديو، حيث استمعنا منه إلى حديث السيد بولدون الإذاعي حول قرار الملك بالتنازل عن العرش وإفساح المجال لشقيقه ليصبح ملكاً لإنجلترا. لم يثر هذا الحدث الذي هزَّ الأرض اهتمام مجموعتي، وأدركت أنَّ عبدالرحمن كان لا يعرف شيئاً -لدرجة مدهشة- عن شؤون العالم الغربي والشخصيات المهمة من وراء الأحداث في بلاد مثل فلسطين والعراق. لم تمتد اهتماماته أو تطلعاته إلى أبعد من احتياجاته الخاصة^(١). لقد احتفل أطفال الحقو، في هذه الأثناء، بليلة رمضان بألعابهم النارية المزعجة وغير المثيرة وواصلوا إلى وقت متأخر من الليل. تجمَّعت السحب عند الفجر في السماء، وكانت الليلة خالية من الندى، على الرغم من أنه كانت هنالك لمسة رطوبة في الهواء. كانت درجة الحرارة الدنيا هي (٦٥) درجة وكان ارتفاعنا فوق سطح البحر لا يزال هو (٩٠٠) قدم.

لم تكن القلعة التي تقع فوق التل مأهولة -والتي ذكرناها سابقاً- وكان اسم القلعة الثانية هو «ماغص» وعلى الرغم من أنها تحظى ببعض العناية والاهتمام والصيانة عند الحاجة، تقف هذه القلعة على ارتفاع (١٠٠) قدم فوق القرية، وتسيطر تماماً عليها، وتحتوي القرية إلى جانب العشش على عدد قليل من المباني وحيدة الطابق، مع وجود شريط مزدوج من حجارة بيضاء كضرب من الزخرفة للجانب الخارجي الكئيب^(٢). لقد أمكننا رؤية قرية مسلية من هذا الموقع، إلا أنَّ

(١) مما يظهر من كلام فيليبي أن أهل السروات كانوا على علم بما يحدث في العالم من صراعات مقارنة بأهل تهامة. وهذا ليس قول فصل، فالناس آنذاك في هذه الأوطان كانوا يعيشون في عزلة عن العالم لعدم توفر وسائل الإعلام عند كل الناس، وإن وجدت كالراديو مثلاً فلا توجد إلا عند الأمراء وربما بعض الأغنياء. بالإضافة إلى انعدام التعليم والمؤسسات التعليمية التي يمكن من خلالها تثقيف الناس وتوسيع مداركهم ومعارفهم بما يدور في عالمهم. (ابن جريس).

(٢) غالبية البيوت والمنازل في تهامة كانت من القش والأخشاب وسعف النخل وما شابهه، ويطلق على مثل هذه المنازل اسم «العشش» ومفردتها «عشة»، وإن وجدت أبنية من الحجارة فهي قليلة جداً مقارنة ببلاد السراة. (ابن جريس).

الضباب كان يحيط بها، وتقع إلى ما يلي الجانب الأيمن لوادي بيش أثناء مروره ناحية النهاية الشمالية لسلسلة محاسل.

تتصل كل المجاري الصرفية التي كانت قد اعترضت طريقنا من الحقو، إلى الضبيرة مع بيش وعلى فترات أعلى هذا الموقع، غير أن كلاً من العقيد وطفشه وقرى تنحدر جميعاً إلى أسفل للتقابل بالقرب من النهاية الجنوبية للسلسلة نفسها، ثم تمضي كلها عبر السهل لتتصل مع المجرى الرئيس لبيش بالقرب من وإلى أعلى من قريته الرئيسة التي تسمى أم الخشب، والتي أحياناً تسمى بيش. كما أمكننا أيضاً رؤية قرية عشش، وهي ليست بالبعيدة وتتبع بئر العصبة على الجانب البعيد لشعيب قرى وبئره التي تقع وسط المجرى. كانت هذه البئر وبئر الحقو، هما البئران الوحيدان في هذه المقاطعة. تقع إلى ناحية الغرب من موقعنا السلسلة الطويلة المنخفضة التي تسمى غبر بعيداً في السهل. لا يزال الحبييل مرثياً لنا من جهة الشمال الغربي، ولكننا لا نرى قمم تمنية، بينما يمكن رؤية معظم سلسلة جبل الريث ناحية الشرق، حيث تكوّن سلسلة جعوين العالية الحدود الشرقية لعبس. يحد هذا القسم من ناحية الجنوب وادي ضمد وهو مصرف جبلي يشابه بيش وهو بمثابة حدود القسم من ناحية الشمال، بينما تنغلق عليه من ناحية الغرب سلسلة الحدبة على امتداد طرف السهل. وتقر عبس بصفتها قسم من شهران بالحكم المطلق لسعيد بن عبد بأنه الشيخ الرئيس للقبيلة وهو يقيم في شمال أبها.

كانت الساعة قد تجاوزت العاشرة حينما بدأنا مسيرتنا جنوباً عبر سهل تهامة. وكانت كل الأرض بين مجرى طفشة ومجرى قرى مغطاة بالأشجار، مع الكثير من مزارع الدخن المبعثرة في أراضٍ مقطوعة الشجر، في وسط خليط لأشجار الطلح والأراك والسيسال والرين ونباتات أخرى. استغرق وصولنا إلى البئر في

شعيب قرى حوالي الساعة والذي يهبط من أطراف جبل الريث. كانت البئر نفسها مبينة من مواد بناء بدائية في البطن الحصوي للمجرى، وكان عمق مائه أربع قامات، ويجري بقربه غيل محدود الطول وغالباً ما تكون قد أنتجت السيول الأخيرة. لقد خلدنا إلى الراحة هنا ساعات قليلة قبل أن نضرب على الطريق مارين بقرية العصبه في سهل سافانا واسع، والذي التقطنا طريقنا من فوقه مصادفة وذلك لأنه لا يوجد ممر مطروق عبر الغابة.

كانت كل من أم الخشب، والملحاء والعصبه نفسها في هذه المنطقة لغابة السافانا - في الأيام الخالية وحتى وقت قريب - مواقع للإغارة على العبيد من أبناء الزوج وبناتهم الذين كانوا يرسلون إلى نجد عن طريق بيشة. لقد منع هذا النشاط الآن^(١)، وكان من مهام نقطة الشرطة في الحقو تطبيق المنع لهذه التجارة. وصلنا إلى مجموعة قليلة من البروزات الصخرية التي تقع وسط الغابة والتي كانت مملوءة بطيور الشقراق، والعجلة وغيرها، وتسمى مكسر، وإلى ما يليها يجري الوادي العميق المشجر الصخري، المسمى شعيب لحف الذي يمتد مسافة طريقنا كاشفاً له في جانبه عن الشست التحتي الملون بعروق الكوارتز. وجدنا فيما يلي هذا طريقاً مطروقاً فوق أرض صخرية مكسرة، لا تزال تكسوها الغابة، وكانت فيها أشجار البشام تفوق أشجار الطلح وتمتد إلى الفرع الثاني لمجرى لحف. عبرنا بعد ذلك سهلاً متموجاً في لطف من حصى كوارتزي تكسوه غابة سافانا كثيفة بينما كان يميل تدريجياً للاقتراب من مجرى مصرف معتبر ينحدر ناحية الجنوب. كان هذا هو وادي شهدان، وهو رافد لشعيب قرى، مثله مثل فرعي لحف، ومنه إلى بيث

(١) تجارة الرقيق كانت نشيطة في معظم حواضر شبه الجزيرة العربية، ولكن منذ بداية النصف الثاني من القرن الهجري الماضي بدأت تختفي قليلاً قليلاً حتى تم القضاء عليها وتلاشت تماماً. (ابن جريس).

نفسه . لقد كنا نسير فوقه مسافة على اليسار، وكذلك مسافة (١,٥) ميل ونصف الميل إلى البعيد، وكانت سلسلة جبلين تقع على يميننا على بعد نصف تلك المسافة حتى البقعة التي عندها يخترق المجرى السلسلة. توقفنا هنا لفترة في بطن الوادي الكثيف الأشجار الذي يبلغ عرضه هنا حوالي (٥٠٠) ياردة بالقرب من منبسط صخري مرتفع من الأرض، - ربما بقايا سلسلة - في وسطه .

تبعنا الوادي عندما واصلنا المسيرة، مدة نصف ميل قبل أن نضرب صعوداً إلى خارجه إلى السافانا فيما يليه وعبر وادي أم كحل الممتلئ بالشجيرات . لقد غربت الشمس ولم تكن معنا قطرة ماء تساعدنا على تخفيف الظمأ ولا أمل في وجود الماء في هذا المكان إلاً في الحسينية، التي لن نصلها إلاً بعد أربع ساعات وذلك بسبب الصعوبة التي واجهتنا في العثور على طريقنا عبر المتاهة المتشابكة للغابة، وعبر بطون السيول المعترضة لنا في الظلام. لقد أفطرت على دخان الغليون وعلى قليل من التمر والفجل الذي جلبناه معنا من الحقو، غير أننا لم نضيع وقتاً كثيراً إذ واصلنا مسيرتنا على أمل أن نجد ماءً في أحد المجاري العديدة التي كان علينا أن نخترقها. كان أول هذه المجاري واسمه أم الخشب جافاً كأنه العظم، غير أن المجرى الثاني قد أسرّ قلوبنا من على البعد، ذلك لأن شعيب الملحاء - وهذا اسمه - كان مملوءاً بالبرك الصخرية. اتضح لنا أن كل ما رأيناه على البعد كان سراباً. كان وجود الماء هنا حقيقة، وكان هنالك الكثير منه على امتداد كل الشريط لكل البرك التي في طريقنا، غير أنه كان ماءً مالحاً كماء البحر، وحتى جمالنا أزاحت وجهها عنه في امتعاض. انهارت كل آمالنا لأن شعيب وساع كان جافاً أيضاً. ولكن بينما كنا على وشك أن نفقد الأمل في البحث ونهيه أنفسنا لمصيرنا المحتوم حدث ما لم يكن في الحسبان، لقد كانت في مجرى الضبيرة -

وهو الرابع - بركة كبيرة لمياه السيول، تقع في بطنه الرملي وكان كل شيء بعد ذلك على ما يرام. لقد شربنا حتى اكتفينا وأخذنا معنا مؤنة كافية للطريق بتعبئة قربة أو قرتين من الجلد. لقد أظلمت الدنيا تماماً عندما عبرنا الجانب الثاني لضبيرة، مما جعل ملاحظة التفاصيل لمعالم البلاد التي نعبرها أمراً صعباً، كنت متبهاً بعبور الوادي العريض إلى ما يلي هذا الموقع وبدخولنا إلى أرض واسعة لزراعة الدخن حول قرية ربيعة. كانت الحقول ممتدة من هنا وإلى ما بعد، وقد شققنا طريقنا المتعرج بينها حتى دَلَّنا كل من نباح الكلاب وأضواء الحسينية^(١) في نهاية الأمر إلى معسكرنا.

ترتفع الحسينية إلى (٤٠٠) قدم فوق سطح البحر، غير أن الليلتين اللتين كنا قد قضيناها هنا كانتا باردتين بشكل منعش، إذ كانت درجة الحرارة الصغرى (٦١) درجة مع رطوبة خفيفة في الهواء، علماً بأنه لا يوجد ندى للمرة الثانية، ربما بسبب أن السماء كانت مليئة بالسحب جزئياً. كان لي سببان للتراخي في هذا الموقع. كنت متطلعاً في المقام الأول لزيارة بركان العكوتين، وأن أقوم بجمع عينة من التربة البركانية إلى جانب مسح البلاد من عند ارتفاعها المسيطر على المنظر. كما أنني كنت أحس بالضعف، في المقام الثاني، خلال اليوم أو اليومين السابقين، ويعزى هذا جزئياً إلى صعوبة الصوم في رمضان وجزئياً أيضاً بسبب أن دمي لم يتعاف بعد تماماً من التسمُّم الذي حدث له في الهضبة، فأنا مرهق ومعتل الصحة.

(١) الحسينية: - قرية في بلاد صيبا، وهي تقع شرق جبل عكوة الشمالية، وقد استوطنها الإدريسي واتخذها عاصمة لحكمة في تهامة خلال النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري. (ابن جريس).

مهما كان الأمر فقد قضيت ليلتين هنا، وعند تمام الساعة التاسعة صباحاً من اليوم الأول بدأنا رحلتنا على ظهور الحمير، التي أمدنا بها الرئيس المحلي وفي رفقتي مرشدان؛ وذلك لزيارة البركان الشمالي الذي يقع ناحية الغرب من معسكرنا.

بينما كانت القمة الجنوبية تقع ناحية الجنوب ويجري بين الموقعين مجرى وادي نَخْلَانُ الذي على جانبيه تقوم الأكواخ المبعثرة وحقول الدخن في الحسينية. كان الطريق يخترق أول الأمر الحقول، وهي تتضمن مساحات معتبرة من السمسم، إلى أن وصلنا إلى موقع انتشار الأرض البركانية، وكانت ذات لون أحمر وعاٍرٍ من النبات وكان الطريق صعباً ويمتد على طول قاعدة السلسلة ويعترضه خط صرف جار أحمد بن حسين الذي ينساب إلى أسفل من طرف القمة الشمالية، ويتصل مع وادي نخلان الذي هو رافد لوادي بيش، ويصله على مسافة أسفل موقع تدفق وادي أم الخشب، الذي تتجمع فيه المجاري المختلفة التي كان قد ورد ذكرها والتي تقع بينه وبين وادي ريجة، ليمر من بعد ذلك إلى الخارج على الجانب الشمالي للعكوتين.

كانت المسيرة صعبة فوق الحمم، غير أنه لم يمض وقت طويل حتى وصلنا إلى مضيق منخفض عند الطرف الجنوبي لتواء صخري يجري إلى أعلى ناحية قمة البركان التي وقفت على ارتفاع (١٠٠٠) قدم فوق مستوى سطح البحر و(٦٠٠) قدم فوق مستوى القرية. كانت الفوهة التي تكسرت وكانت تفتح ناحية الغرب، قد أحاطت بها جدران الصخور البركانية الشديدة الانحدار على الجوانب الثلاثة الأخرى، وكانت أعلى بقعة فيها تقع على الطرف الشرقي. لا ندري متى خمد البركان، غير أن الحمم تشير إلى أن الفوهة كانت حديثة التكوين مثلها مثل غيرها

من المخاريط البركانية في منطقة تهامة، مما يغري بالتفكير في أن انفجارها كان معاصراً لتدفق براكين المدينة المنورة، حوالي عام ١٢٠٠م، غير أنه لا يوجد إثبات لدعم هذه الفكرة وأن الاحتمال الأكبر هو أن اضطراب تهامة عسير كان قد حدث في بداية العصر المسيحي، حينما كان هنالك نشاط بركاني واسع، ومن النوع المدمر الذي حدث فوق مستوطنات سبأ بما في ذلك مأرب.

كان المنظر عند فوهة البركان مثيراً للاهتمام أكثر منه مهيباً، فقد رأيت -ولأول مرة- منظر صبيا عاصمة الإدريسي^(١)، وفيما يليها جازان على ساحل البحر الأحمر وقليلًا ناحية الجنوب الغربي. كما تقع ناحية الغرب قرية الملحاء الكبيرة التي كان المسجد المحلي ذو البناء المطلي بالجير الأبيض أبرز ما فيها إلى جوار أعشاشها المبنية من التوتل.

وقفت كتلة فيفا بقممها المختلفة واضحة ناحية الشرق من قرية الحسينية إلى جانب بئرها ومسجدها الأسطواني ذي السرايب، وبعض مبانٍ قليلة مدمرة كانت قد انتشرت فوق مساحة معتبرة على امتداد الوادي. تقع قرى كل من الحرف والعقبة وهيجة أم الرقع ناحية الشمال الشرقي أكثر وناحية الشمال، وكذلك الحقول الممتدة -والتي كنا قد سافرنا خلالها أثناء ظلام الليل حين وصولنا- على امتداد جانب وادي فسوة الذي ينحدر إلى شعيب وساع وهذا بدوره عبارة عن رافد لبيش عبر وادي الملحاء الذي يحتوي على البرك الصخرية المألحة. وقف البركان التوأم الواقع في جنوب عكوة -وليس بعيداً-، ناحية الجنوب، وعلى الجانب

(١) صبيا يطلق عليها قديماً أبو ذنقور، ثم اختطت في القرن العاشر الهجري، وكان الذي اختطها هو الأمير/ دريب بن مهارش الخواجي عام (٩٥٨م). انظر: العقيلي. المعجم الجغرافي للبلاد السعودية، مقاطعة جازان، ص ٤٦. (ابن جريس).

الأخر من نخلان، ويبدو أنه مشابه للبركان الذي نقف عليه الآن. يفتح كلا البركانين ناحية الغرب إلى جانب وادٍ من الصخور البركانية الواسع يبرز إلى البعيد في السهل على ذلك الجانب، وينساب مجرى نخلان في الفجوة التي تقع بين الاثنين وهو في طريقه للاتصال مع وادي بيث.

اكتشفت أن رفاقي كانوا قد غادروا المعسكر بعد عودتي من القرية عند الظهيرة، وذلك للحصول على ما قد يوجد به سكان العشش في الجوار مما يساعد على الوقاية من الشمس، ولم ينسوا أن يهيئوا لي سقفاً لراحتي، ولقد وجدت بالفعل عشة واسعة شديدة النظافة ومريحة جداً تحت تصرفي، كان شكل العشة على هيئة خلية النحل، مبنية على قاعدة من طين والذي يكون سطحه أرضية العشة وكان مضغوطاً وأملس، لقد امتدت طبقة الطين حول العشة من الداخل وإلى ارتفاع قليل على الحافة وذلك ليمنع دخول الماء من الأرض الخارجية، بينما كان بقية التركيب من أعواد الشجر وهي مرتبة بأناقة لتكسب الجدار الداخلي سطحاً مستوياً، والذي تمّ فيه غرز أوتاد خشبية لتثبيت الأواني المنزلية. كان القش على الجانب الخارجي للعشة قد تماسك بواسطة العديد من الحبال التي اتّصلت معتمدة على قمة العشة، وهي نفسها متماسكة فيما بينها بحبال أخرى ممتدة أفقياً حول محيط البناء وعلى مسافات^(١).

تباينت العشش كثيراً في ارتفاعها، غير أن هذه العشة لا بد وأن يكون ارتفاعها عشرين قدماً أو أكثر من الأرضية إلى القمة. لقد أعجبتني درجة نظافتها،

(١) لمزيد من الإيضاح عن طريقة بناء العشة أو (العشش) في الأجزاء التهامية من جنوبي البلاد السعودية،

وبخاصة منطقة جازان انظر: غيثان بن جريس. عسير ١١٠٠-١٤٠٠هـ، ص ٤٩ - ٥١. (ابن

جريس).

إلى جانب الزخرفة والتأثير الذي عكسه ترتيب الأواني المنزلية في مجموعات على الجدران. لقد كان على الأرضية ثلاث أو أربع لفات من الحصير المحلي لتقوم مقام المفارش أو السجاجيد حسب الحاجة، ذلك لأنهم كانوا ينامون على الأرض في هذه الأنحاء، وعلى الرغم من أنني قد شاهدت أسرة من الحبال ذات أقدام خشبية قصيرة في مناطق أخرى من تهامة. لقد تدلّت من على الجدران صفوف القرع والقذور الخشبية ذات الأحجام المختلفة، وعدد من السلال المصنوعة من القصب أو السلال الجلدية. كان الأخير منها يشابه الأعمال البدوية في السودان. وقد وقفت عند زوايا الجدار جرار للماء كبيرة الحجم متنقلة من الفخار^(١). كانت هذه هي الخلفية التي قضيت الظهرية عندها مستمتعا بالراحة. ولقد لاحظت وأنا أتجوّل في وقت لاحق أن القش الخارجي للعثش كان قد تم تجديده بأعواد جديدة وقد كان هذا ضرورياً لتخليص التركيب من الحشرات والأقذار. وكان المسجد كبيراً وشبهياً بالبرميل ولكنه بيضوي الشكل، وكانت جدرانه وأرضيته ليست من الطين، وكان قشّه أكثر خشونة مقارنة بالمساكن الخاصة، وقد تمّ ربط القش ببداية على أغصان الأشجار. تفخر الحسينية ببئرها الوحيدة وبمياهها الممتازة التي يصل عمقها إلى ثلاث عشرة قامة. ولا تروى المحاصيل هنا كما في أماكن أخرى بمياه البئر، إذ إنها تعتمد على مياه الأمطار والسيول، غير أنه يقال إنّ المياه هنا جيدة بالدرجة التي دفعت الإدريسي المسن لأن يرسل عبيده وحميره من صيبا لجلب المياه من هنا لاحتياجات منزله.

(١) معظم مدن منطقة جازان، وبخاصة صيبا، وسامطة، وأبو عريش وغيرها تشتهر بصناعة الأواني الفخارية المختلفة في الأشكال والأحجام. (ابن جريس).

ويبدو أن المكان يحتوي على (٢٠٠) إلى (٣٠٠) عشة، ربما كان عدد سكانه حوالي (١٠٠٠) نسمة، وكلهم زنوج من أصل إفريقي وقد استقروا هنا فترات طويلة. وكانوا دائماً يتحدثون عن السيد الإدريسي بحب واحترام. لم يكن للناس هنا اهتمام بشؤون العالم، ولم يكن لهم إلا اهتمام قليل بشؤون الجزيرة العربية بصفة عامة، والقليل جداً مما يقع خارج حدود حقولهم وقرى أسواقهم. يستدل المرشد الذي اصطحبته معي إلى العكوة على جبل فيفا بالمشاهدة وبالاسم، أما حكمه على بقية الجبال التي تقع داخل مجال رؤياهم كل يوم فهي بالنسبة لهم ليست قمماً فردية، ولكنها مواقع المأوى الباهتة لهذه القبيلة أو تلك، أو لأحد أقسام جيرانهم العرب، الذين حضروا ليقايضوا البن والموز، بالدخن والسهم. ويطلق على السهم اسم جلجلان ويرسل عادة إلى عصارات الزيت في صيباً^(١)، وبنسبة أقل إلى عصارات (أبو عريش) وأم الخشب لاستخلاص الزيت، غير أن القرى الصغيرة لا تمتلك عصارات زيت خاصة بها. وإلى جانب قليل من الجهد للبذر وحصاد المحصول، ذلك لأن الحرث ليس ضرورياً هنا، وأن أمور الري هنا ميسرة والناس هنا وفي الحقو قد جذبوا انتباهي بكونهم أكثر ازدهاراً وأكثر حرية تجاه اهتماماتهم بالحياة مقارنة بأولئك الذين يقطنون الهضبة، والذين كان عليهم أن يكافحوا بشدة لأجل البقاء. لقد كانت المساحة المخصصة لمحاصيلهم محدودة جداً، تحكمها ظروف الطقس في كل سنة، وكان لديهم الكثير من الأبقار التي تؤمن لهم اللبن بالإضافة إلى الدخن الذي يُكوّن غذاءهم البسيط.

(١) عصر السهم في الأجزاء التهامية، وبخاصة في المناطق الممتدة من محائل والبرك والقنفذة شمالاً إلى سامطة وأحد المسارحة في منطقة جازان جنوباً، يتوافر بكثرة، بل يعد في بعض هذه النواحي من السلع التجارية الهامة التي تصدر إلى الأسواق المحلية في جنوبي البلاد السعودية. (ابن جريس).

لقد ثبتت المناشط المنزلية في ليالي رمضان أي إغراء بزيارة الناس لمعسكرنا للاستماع للراديو، ولذا لم يزعجنا أحد، إلا من نباح الكلاب طيلة الليل وتجولها حول معسكرنا بحثاً عن عظام تلحقها. لقد لاحظت كذلك بعض القطط التي ربما جذبتها رائحة الطيور فأقبلت من القرية، وقد كنت جمعت الكثير من هذه الطيور أثناء النهار بما في ذلك الحمامة الحبشية وزوج من طائر اللقلق وأنواع مختلفة من طائر الباز، كما كانت هنالك أيضاً طيور السنيبرد النيلية والأبلق الصحراوي وحمام الصحراء العادي. ثم جلست بعد فراغي من ملاحظة النجوم حتى الساعة (١,٣٠) صباحاً لأستمع إلى كلمة وداع الملك إدوارد لشعبه. كان الحدث وكأنه قد وقع إلى البعيد، غير أنني هنا في الصحراء عند سفح هذه البراكين الشابة، كنت أحس في قرارة نفسي بأن صدعاً ما قد حدث، وأن النظام القديم قد ذهب ليحفظه التاريخ. ولعله كان من المناسب وأنا أجلس تحت النجوم أنتظر هذه اللحظة الموعودة، أن يشغل الراديو القدس هذه الفترة من الاستراحة بأنغام من موسيقى كانت تبث من فندق الملك إدوارد، ثم أدت المؤشر بعدها إلى برامج مسرح المنوعات الذي كان يبث من نيويورك. لقد ضحك العالم ورقص حينما رحل الملك عن العرش. لقد كنت سعيداً أن أكون بمفردي هنا في كاتدرائية^(١) ليل الصحراء العظيمة.

كنا بالطبع قد أرسلنا ما يفيد بأمر حضورنا إلى صيبا، ولقد حضر الأمير عند الساعة التاسعة صباحاً في اليوم الثالث عشر من ديسمبر، شخصياً ومعه عربتان لترافقنا إلى العاصمة القديمة. كان اسمه عبدالرحمن الغنيم وهو أحد موظفي

(١) الكاتدرائية: كلمة يونانية تعني كنيسة الكرسي الأسقفي. (ابن جريس).

الخدمة المدنية السعودية، وكان حسن النية إلى حد ما، غير أنه كان شخصاً لا يهتم بشيء خارج حدود روتينه اليومي. لقد بدأ السفر سريعاً على ظهر السيارتين الثقلتين بالحمل على امتداد نخلان، الذي عبرناه على مسافة (٥٠٠) ياردة لنسلك الجانب الأيسر في براري من عشب الثمام المتكتل، التي تتخللها مساحات مزروعة وشرائط من غابات الطلح. لقد ركب خمسة منا في سيارة الأمير ووقف أحد العبيد بصورة خطرة على جانب السيارة وهو يتمايل نحو هذه الناحية أو تلك ليتجنب الأغصان الشائكة للأشجار والجنبات التي شققنا طريقنا خلالها بالسرعة التي يسمح بها الطريق الوعر. لقد كان مجرى نخلان يستعد تدريجياً عن ممرنا ناحية اليمين داخل مجرى تكسوه جنبات قصيرة وكان طوله (١٠٠٠) ياردة مكوناً دهليزاً بين بركاني العكوة. ثم وصلنا سريعاً إلى طرف طريق الصخور البركانية وسلكناه، وقد انتشر إلى الخارج من عند المخروط الداخلي وليبرز إلى ما يليه إلى وادي سافانا واسع والذي بدوره كان قد أفسح الطريق إلى الصحراء ذات الأشجار القصيرة.

تقع فيما يلي هذه قرى صبيا بمزارعها الممتدة إلى البعيد، والتي وصلنا إلى طرفها بعد عشر دقائق. لقد كان اسم أولى هذه القرى هو الحسيني، وهي منطقة زوج من المجموعة نفسها التي كانت قد سكنت في الحسينية، وكانت تحتوي على عدد كبير من العشش التي تشبه خلايا النحل وتقع على مسافة ميل واحد إلى الجنوب من طريقنا وعلى الجانب الأيمن لوادي صبيا، والذي يشق طريقه إلى البحر في استقلالية وقليلاً ناحية الجنوب من دلتا بيش العريضة. ثم وصلنا بعد دقائق

إلى قرية الخواجيه^(١) الصغيرة التي تقع على جانب الطريق ومنها إلى صلَّهبة على بعد نصف ميل إلى ما يليها على جانب الوادي. ويتفرع الطريق بعد ذلك ليذهب ناحية اليمين إلى بيت السيد وهي قرية منفصلة من بيوت مبنية من مواد البناء، مكونة مقر سكن أسرة الأدارسة، ثم إلى ناحية الشمال إلى صيبا الجديدة التي كانت محطة الوصول المباشرة. لقد اكتملت المجموعة بالقرية الشبيهة بخلية النحل لمستوطنة قديمة، تسمى صيبا البالية، التي تقف قليلاً إلى الخلف ناحية الجنوب الغربي في الفجوة التي تقع بين صيبا القديمة وبيت السيد. ويمكن اعتبار كل هذه القرى أنها مكونة لبلدة صيبا التي تمتد على هذا الأساس فوق مساحة معتبرة يقدر عدد سكانها محلياً بحوالي (٢٥٠٠٠) نسمة^(٢).

لقد واصلنا سفرنا عبر حقول الدخن بعد أن توقفنا لمسح المنظر من مفترق الطريق، ثم دخلنا صيبا الجديدة بالقرب من إحدى آبارها الخارجية، ويقع قريباً منا وعلى يميننا المسجد الرئيس للبلدة، وهو من مواد بناء قوية ومزخرف بالجبس من الداخل والخارج. ثم وصلنا إلى قرب مركز البلدة، بعد أن شققنا طريقنا عبر ممرات متعرجة بين قرى القش الكثيفة جداً إلى حيث يوجد بناء كبير مطلي بالجير

(١) يعود نسبة قرية الخواجية إلى الأمير. دريب بن مهارش الخواجي، الذي اختط مدينة صيبا عام، (٩٥٨م). (ابن جريس).

(٢) يقدر فيليبي عدد سكان صيبا عام (١٣٥٠هـ) بحوالي (٢٥٠٠٠) ألف نسمة، والعقيلي في عام (١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م) يقدر عدد قراها بـ (١٢٧) قرية، وعدد سكانها حوالي (٥٧٢٨٢) ألف نسمة، وصيبا تعد من كبريات محافظات جازان التي بلغ عدد سكانها في المدن والقرى والأرياف من السعوديين فقط في عام (١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م) حوالي (٩٦٨٤٨٦) ألف نسمة. انظر: العقيلي، المعجم الجغرافي للبلاد السعودية، ص ٢٥، محمد صبري محسوب وآخرين، دراسات في جغرافية المملكة العربية السعودية (القاهرة: مكتبة رشيد، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م) ج٢، ص ٢٣٣. (ابن جريس).

الأبيض ومزخرف بالجبس يملكه التاجر الرئيس المحلي واسمه أحمد البهكلي^(١). وتقع بجوار هذا مجموعة من مباني ماثلة كانت في السابق مقراً لسكن الإدريسي، غير أنه يشغلها الآن الحاكم السعودي، لتضم سكن أسرته ولتضم أيضاً مكاتب الحكومة التي كان من أهمها مكتب المحكمة الشرعية، وأقسام مالية الدولة^(٢). لقد خصصت لنا مجموعة من العيش بالقرب من هذه لتكون مقراً لنا، ولقد كانت عشتي نظيفة لطيفة وواسعة الأبعاد بالنسبة لي مع مسطبة من الطين للجلوس أو النوم عليها خارج العشة، وتقف كل عشة في حوش خاص بها تسورها الأعداء وتبلغ مساحتها ما يزيد على الأكر الواحد.

لقد نمت مستوطنة صيبا الجديدة بأسلوب متقطع متناثر حول مقر سكن الإدريسي الذي كان نفسه قد شيد على أساس التجربة كسكن يلجأ إليه صيفاً لقربه من الوادي أكثر بدلاً من القصر الرئيس (بيت السيد). لقد تحول المكان إلى خراب بعد حربه مع القوات السعودية أثناء المتاعب الحديثة نسيباً مع الإدريسي وقد تم هجره مؤقتاً، وبرغم أنه قد عاد إلى الحياة مرة أخرى بسرعة مذهشة، وبدا مظهره وكأنه قد أسس منذ زمن. كانت البلدة القديمة التي كان يقضي الأدارسة صيفهم فيها، تقع على جانب الوادي، إلى الأسفل، وكان يهددها تآكل السيول لها، وقد تمَّ هجرها تدريجياً في استحسان لصيبا الجديدة^(٣). لا يزال هنالك بعض السكان

(١) أسرة آل البهكلي من الأسر العلمية العريقة في بلاد جازان، بالإضافة إلى أنه ظهر منهم تجار ووجهاء وأعيان برزوا في مجالات عديدة. (ابن جريس).

(٢) لا زال بعض آثار هذا المبنى ماثلة للعيان، بل إن منطقة صيبا يوجد بها العديد من الآثار المتنوعة في أشكالها وأماكنها وعصورها، وهي جديرة بالدراسة حبذا لو تصدى لها بعض طلاب الدراسات العليا في إحدى الجامعات السعودية. (ابن جريس).

(٣) الخوف من أمطار الوادي يعد من الأسباب الرئيسة إلى نقل الإدريسي عاصمته من مقرها القديم إلى المقر الجديد (بيت السيد) في الحسينية. (ابن جريس).

في صبيا القديمة إلا أن عددهم كان قليلاً. ولا تزال صبيا الجديدة تجد مؤنتها المائية من الآبار، غير أن مصدر مائها الرئيس كان صهريجاً موضوعاً في مجرى السيل ومدعماً ضد السيول ببناء مثبت بالأسمت، ومثبت كذلك من الداخل حتى مستوى الماء الذي كان على عمق (١٠) أو (١١) قامة إلى أسفل. ويشرف المجتمع كله على هذه البئر وتقوم عصبة من العبيد بسحب المياه منها وصبها في الجرار أو العلب التي تحضرها الفتيات على ظهور الحمير من المنازل المختلفة مقابل نسبة صغيرة من الحبوب لأجل الصيانة. يكون كل من هذه البئر وبطن المجرى موقعا للترفيه والنزهة خاصة عند الظهيرة ولكل السكان، ولقد كان في مثل هذه الأوقات بؤرة لمنظر مرح، وفيه يسمح للصبيان وللفتيات المحليين باللقاء ولكبار القوم بمناقشة مناشط اليوم والأخبار القاصية والدانية.

يكون القطن هنا إلى جانب الدخن والسّمسم محصولاً مزدهراً ويزرع على مساحات واسعة على مستوى متبعثر. كما يزرعون أيضاً نباتاً يسمى الحور وهو مصدر صبغة النيل المشهورة في مساحة كبيرة أيضاً بما في ذلك الهضبة. ويستديم المحصول الذي ينتج عن البذرة لهذا النبات مدة خمس سنوات قبل استعادة بذره، ويمثل في ذلك برسيم نجد الذي يظل حصاهه متكرراً مدة تتراوح من خمس إلى ثماني سنوات. لقد تم تثبيط زراعة النيل حديثاً وذلك بسبب اجتياح أصباغ الأنيلين الأوروبية، ولعل مما يؤسف له أن النيل الآن صناعة تختصر. كما يجب زراعة بذور الدخن الصغير متكرراً عاماً بعد عام لكل محصول، غير أن محصول الذرة يحصد أربع مرات في السنة في بلاد تهامة هذه من بذر مرة واحدة. ويجلب الموز الأخضر الممتاز الشديد الحلاوة بكميات كبيرة من جبل الريث ومن الجبال الأخرى التي تنتج أيضاً عنباً ممتازاً.

يقال إن صلحبة التي تقع عكس التيار بالنسبة لصبيا الجديدة كانت النواة التي تطورت في نهاية الأمر لتكون صبيا. وتقع على جانبها القريب أطلال قلعة قديمة تعود إلى زمن الأشراف، أو إلى فترة ما قبل الحكام الأدارسة، والتي بدورها سبقت النظام التركي من عام ١٨٧٢م وما يليه. وتقع قرية الحسيني تجاه أعلى الوادي وإلى البعيد، بينما تقع على مسافة الميلىن مع اتجاه الوادي، غرب صبيا الجديدة، قرية العدايا الكبيرة الشبيهة بخلية النحل وبأراضيها الزراعية التي تمتد تقريباً إلى قرب الكثبان الرملية على امتداد ساحل البحر. لم تكن صبيا نفسها بعيدة عن البحر وهي ترتفع قليلاً جداً فوق مستواه (حوالي ٥٠ قدماً) وقد كانت جازان مرئية لنا في غير وضوح تام وبها قلعتها المنظرانية التي تقف فوق قمة التل ناحية الجنوب الغربي. ويمر الطريق هنا فوق حقول مزروعة من على الجانب الأيسر لوادي صبيا، وإلى حدود بئر وقرية الغراء في أجمة لأشجار علب وغيره، تبطن هذه البئر من عند قمته إلى سطح مائها باللبنات وتتوج بقم واسع مثبت بالإسمنت وتعمل هذه البئر عن طريق مجموعة من العجول المخصصة وهي تقوم بسحب المياه عند عمق (١١) قامة. كما توجد بئر أخرى بين كل من الغراء وصبيا وعلى طريق جازان - وهو اليوم طريق سيارات مزوداً بخط تليفون-. تسمى هذه البئر باسم (بئر لذكري) وتقع داخل أجمة أشجار بينما تكسو جوانب وادي صبيا التي تبعد عنها إلى الخلف بحوالي نصف الميل مجموعة من أشجار العلب. تبعد الغراء التي توجد بها آبار أخرى إلى جانب تلك التي تقع على جانب الطريق على مسافة نصف ساعة سفر بالسيارة من صبيا الجديدة، أو قل حوالي خمسة أميال.

كان العضو الرئيس في المجموعة التجارية لصبيا - كما ذكر من قبل - هو أحمد بهكلي، صاحب مؤسسة، وقد استقرت أسرته منذ زمن طويل في جازان.

ولقد حضر إلى هنا، ليس بدافع شخصي ولكن للعناية بمصالح شخص اسمه محمد يحيى الباصهي، الذي كان والده قد أعدم قبل ست سنوات بواسطة الإدريسي، وذلك بسبب تعاطفه مع النظام السعودي. لقد خلف والده أملاكاً واسعة هنا، من منازل وأراض زراعية ومصالح تجارية معينة، لأمر عناية ابنه، ولذا فقد استقر محمد يحيى هنا لإدارتها^(١). كانت صبيا شعلة من الضوء في تلك الليلة التي كنا نتمنى أن تكون الأخيرة لرمضان. غير أن ذلك لم يكن، إذ لم يشاهد الهلال الجديد. ويواجهنا تبعاً لذلك يوم آخر للصيام وقد سهر أهل صبيا بالولائم حتى الساعات البكرة من الصباح، بينما ابتهج أطفالهم بالألعاب النارية والمفرقات وارتفع نهيق الحمير، وصياح الديوك وشارك حتى الأطفال الرضع إذ أضافوا مساهمتهم للضحيج العام وذلك بالبكاء المتواصل خاصة ذلك الطفل الذي يقع -بجواري والمريض جداً- في التكل. كانت المراحيج والدورات لا تزال تكسو ساحة السوق، حينما مررت عبر المكان بعد أيام في طريقي إلى فيفا، وكانت هذه الألعاب قد نصبت لإبهاج الأطفال خلال فترة الإجازة، كما قد بدأت شوارع البلدة وحياتها تدب عائدة إلى طبيعتها^(٢).

إن صبيا مركز مهم لصناعة الزيوت (زيت السمسم)، ولقد رأيت واحدة أو اثنتين من معاصرهم البسيطة وهي تعمل. كانت خشبة اللوحة المستوية للمعصرة مكونة من وعاء شبيه بالهون الذي توضع فيه البذور بينما يطوف حوله جمل وقد

(١) يحيى باصهي: يعد من وزراء الإدريسي الرئيسيين، وعند ظهور الحكم السعودي شكى الإدريسي في نوايا باصهي، وميله لابن سعود فقتله وأحرق منازلهم ومزارعهم. وقد شاهدت في صيف عام ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م) بعضاً من بيوت باصهي وعقاراته مدمرة ويظهر عليها أثر الحراب والحريق. (ابن جريس).

(٢) هذه من العادات الاجتماعية، والمهن الاقتصادية التي لا زالت تمارس في أجزاء من منطقة جازان حتى اليوم. (ابن جريس).

عُطِّيت عيناه، ويقوم أثناء طوافه بتحريك اليد التي تدير حجر الرحي. يقي السقف المصنوع من الأعواد الحيوان من حر الشمس، غير أنني أحس بالشفقة ناحية الحيوان بسبب حركته غير النهائية في تلك الحلقة الصغيرة المفرغة، التي يصل قطرها إلى ضعف طول جسمه^(١). تجاور المقبرة طريق الحج الرئيس الذي يقود إلى مكة عند الضواحي الخارجية للبلدة وكانت مجموعة قبورها بأثثة، وبالية وصغيرة، وقد برز من بينها قبر واحد، هو ضريح بسيط ولكنه كبير وله سقف محدودب قليلاً، مبني من الخرسانة، والذي تسجى بداخله البقايا للسيد محمد الإدريسي، الذي توفي عام ١٩٢٢م. لقد كان هو أول وآخر حاكم إدريسي مؤثر على تهامة عسير^(٢)، كما أن ابنه قد خلفه من بعده واسمه علي، الذي كان قد أبعده عام ١٩٢٦م وذلك عند إنشاء قاعدة حماية سعودية على البلاد تحت الحكم الاسمي لأحد أعمامه واسمه الحسن الذي كان قد أبعده آخر الأمر إلى مكة وذلك عندما ألحقت تهامة عسير^(٣) آخر المطاف إلى المملكة العربية السعودية، ولم يتم هذا بدون العصيان الذي ورد ذكره عام ١٩٣٠م.

كان لكل قسم من أقسام صبيا هذه مقابره الخاصة به غير أن مقبرة الحسيني التي تقع أعلى المجرى كانت كبيرة بصفة خاصة، وتملؤها قبور عديدة منخفضة، ومنتشرة فوق كل المساحة التي انتشر فوقها حصى صغير كوارتزي أبيض، ربما ليكسب الموقع لمسة مرحة.

(١) هذه من العادات الاجتماعية، والمهن الاقتصادية التي لا زالت تمارس في أجزاء من منطقة جازان حتى اليوم. (ابن جريس).

(٢، ٣) إطلاق فيليبي على هذا الجزء اسم (تهامة عسير) غير صحيح، وإنما تسمى (تهامة جازان) أو (منطقة جازان) أو (منطقة صبيا)، مع العلم أن الإدريسي مد نفوذه لبعض الوقت إلى تهامة عسير، بل وإلى مرتفعاتها. (ابن جريس).

الفصل السادس والعشرون

جازان^(١)

يدخل طريق جازان، فيما يلي مزارع الدخن الواسعة الانتشار وحقول السمسم الغراء، والتي تعترضها سدود (مساطب) عديدة لتنظيم السيول التي يقال إنها متكررة وغزيرة، إلى شريط عريض لصحراء ذات شجيرات قصيرة وتكثر بينها شجيرة العلقاء والحشائش المألوفة والتي تأكلت كتلتها بحركة السيارات خاصة خلال حملة عام ١٩٣٤م.

وصلنا إلى غابة أشجار السلم الكثيفة بعد سفر نصف ساعة من عند صيبا، وكانت هذه الأشجار تملأ تماماً المناطق السفلى الشبيهة بالدلتا لوادي ضمد، الذي ينحدر مخترقاً السهل من عند قاعدة كتلة فيفا. ثم يندفع الطريق عبر هذه الغابة ماراً ببئر تُسمى سلمة داخل مساحة واسعة مكشوفة داخل الغابة؛ وهي عبارة عن بناء صهريجي مستدير إلى مستوى الماء عند عمق خمس قامات، ثم يبرز الطريق إلى ما وراء الجانب الأيسر لمجرى ضمد ليتجه إلى سبخة واسعة مستوية، ينمو عليها العديد من لافندر البحر، ويبدو أنها كانت خليجاً صغيراً تابعاً للبحر، أو ربما كانت مجرى قديماً لضمد نفسه، ذلك لأن السيول الجبلية فوق هذا السهل الواسع المستوى قد تفعل الكثير وبأسلوبها الخاص. كانت كل هذه الأرض المستوية صلدة وقوية بما فيه الكفاية لتسمح بسرعة حركة ممتازة للسيارات، غير أن سلسلة من

(١) لمزيد من التفاصيل عن جغرافية وتاريخ منطقة جازان، انظر: عبدالرحمن الشريف، المرجع السابق،

ج٢، ص ١٣٧ - ٢٠٣، محمد العقيلي، تاريخ الخلف السليمانى. جزءان. (ابن جريس).

كثبان رملية -تدعى قوز، قيزان- منخفضة تقع قليلاً إلى الأمام، كانت قد اعترضت بين طريق السيارات وبين البحر، الذي بدأ لونه الأزرق العميق يشاهد فيما يليها. لم يكن هذا المسطح الصغير من الماء هو البحر نفسه، بل خليجاً كبيراً يسمى قوز الجعافر والذي يجد الحماية من الجانب البعيد بواسطة نتوء طويل مستوٍ ومقوس من الرمال ومبطن من الجانب الداخلي بشرائط طويلة من مستنقعات أخذودية.

يعبر الطريق الآن بين كشييين رملين مرتفعين يسميان يبان جازان (البوابات) ثم يصل إلى سلسلة رملية طويلة منخفضة تسمى المنجارة وهي تطوق آخر المسطحات الملحية التي تفصلنا عن التتوء الصخري لجازان نفسها. كانت هذه هي دلتا وادي جازان، وتقع داخلها إلى البعيد، على يسارنا وعكس اتجاه أعلى الوادي، كل من بئري الحفائر وعمير^(١) إلى جانب ما لا حصر له من جمال القوافل ذهاباً وإياباً بينهما وبين البلدة التي تسحب كل حاجتها من المياه منهما، ذلك لأنه ليس بالبلدة آبار حلوة الماء. كانتا هاتان البئران محروستين بعدد من القلاع، تسمى إحداهما قلعة السبخة التي تحرس مدخل جازان عبر المسطح الملحي. وينحدر تل جازان فيما يلي ذلك إلى أسفل حافة البحر، حيث يوجد عرن يسمى المطلع، والذي يكون خط دفاع داخلي طبيعي.

لم يمض وقت طويل حتى كنا عند عتبة باب مقر سكن الحاكم، وذلك لتحية محمد بن مهدي قبل توجهنا إلى مركز القيادة الذي كان قد أعده سكناً لنا. لقد كان مقره بناءً حديثاً عند قاعدة محط السفن الوحيد الذي كان قد تم بناؤه بغرض

(١) تعرف حالياً بالعميرية، وهي نسبة إلى اسم حافرها ويدعى عمير. للمزيد انظر: محمد العقيلي. المعجم الجغرافي للبلاد السعودية، ص ١٧٥. (ابن جريس).

أن يستخدمه الكتبة المراجعون لمصلحة الجوازات والجمارك، والذي أصبح الآن مقراً لإقامتنا المؤقتة في جازان، وسرعان ما قمت بتنصيب نفسي وممتلكاتي في غرف الطابق الأعلى، تاركاً الطابق الأرضي لرفاقي بينما ذهب رجال الجمال والمرشدون المحليون إلى أصدقائهم المختلفين أو أقاربهم في الأقسام الشبيهة بخلية النحل داخل البلدة. انتشرت هذه المساكن بصفة عامة من عند الجزء الرئيس للبلدة وإلى أعلى التل مكونة ضاحية كبيرة متعرجة، بينما شغلت المباني الحكومية والمستودعات الخاصة ومكاتب التجار وما شابه ذلك المنطقة المنخفضة التي تقع على واجهة البحر، وقد كانت كل المباني من الحجارة المغطاة بالجبس من الداخل والخارج.

كانت كل المباني متداعية والبناء الذي نشغله ليس بأوفر حظاً. إلا أن موقعه كان مثالياً. لقد سيطرت نوافذ البناء في الطابق الذي كنت أشغله على منظر شمولي للميناء وخط الساحل الجذاب عند حافة التل الناتئ وإلى قمته. كان يرسو بالميناء في حينها حوالي (٣٠) من السنايك من أحجام مختلفة في المرسى أو كانت معلقة للصيانة كما كانت هنالك صناعة آلات صيانة للسفن نشطة في هذا الميناء. لقد ترتبت أكياس الدخن وباللات أوراق الدوم والقصب في أكوام على صدر الساحل في انتظار الشحن، ومعظمها كما يبدو كان في طريقه إلى عدن. وكانت مصوِّع ميناء آخر على البحر الأحمر والتي تتعامل معها جازان تجارياً، وذلك بشحن حوالي (٢٥٠٠) جوال من ثمار الدوم كل سنة لأجل صناعة العاج المزيف. كما كان الدخن الذي رأيته هو آخر شحنة تغادر الساحل العربي ذلك لأن الحكومة السعودية قد فرضت حظراً يمنع تصدير كل الحبوب.

قدمت الحكومة أيضاً أموالاً لبناء مدرسة جميلة على ساحل البحر، تقع بعيدة عن الميناء، داخل تجويف رملي لطيف مكوناً انبعاجاً في الدائرة^(١). لقد كان هذا هو أول انطباع لي عن جازان، وبعد أن نلت قسطاً من الراحة التي كنت أتطلع إليها وبعد أن قمت بالسباحة في البحر عند نهاية الرصيف، جلست في ردهة الحجرة أراقب الدقائق الأخيرة لشمس رمضان، وهي تتوقف ناحية أفق البحر الصافي ثم تغوص في بطن من خلفه مع انطلاقة ختامية للشعاع الأخضر المألوف. لقد انتهى اليوم وانتهى كذلك شهر رمضان. ولقد صمنا فقط (٢٩) يوماً بدأت في (١٦) ديسمبر، في ذلك اليوم حينما استيقظنا في سيل غربان وسرنا إلى الحُرَجَّة، غير أن الناس هنا في تهامة قد صاموا ثلاثين يوماً.

ما أروعه من هدوء حينما يوقظ المرء في الساعات البكرة ليس لأمر ضروري ومهم، ولكن لتناول طعام غداء غير مرغوب! وياله من كرم أن يجد المرء براد الشاي بجوار سريره حين يستيقظ من نومه، ويجد غليوناً ليذخه في سلم وأمان قبل أن يعد المرء نفسه لناشط اليوم التي بدأت في حالتي بغطسة في البحر. لقد اختفت كل الأحاسيس بالتعب التي كانت قد تراكت خلال الأيام الماضية ويلمسة عصا سحرية، ولقد كان من الممتع أن يرتدي المرء أزياء نظيفة من قماش اللين مرة أخرى. ثم توجهنا عند الساعة السابعة صباحاً من يوم الأحد، أنا ورفاقي، وقد كنا في أجمل ملابسنا ضمن الحشد المتعدد الألوان المبتهج إلى موقع التجمع بجوار

(١) جازان لا تخلو قبل منتصف القرن الهجري الماضي من بيوتات علم وفكر وأدب، لكن المدارس النظامية لم تفتح في منطقة جازان وغيرها من مناطق جنوبي البلاد السعودية مثل: - أبها، وبيشه، والظفير في بلاد غامد إلا عام (١٣٥٤ - ١٣٥٥هـ). للمزيد انظر: غيثان بن جريس. تاريخ التعليم في منطقة عسير ١٣٥٤ - ١٣٨٦هـ. ج١، ص ٥٢، ٦٤. (ابن جريس).

المصلى، أو مكان صلاة العيد للشكر لله على إتمام صيام آخر قد أضيف إلى سجل حسنات المرء. كان المكان واسعاً ويقع بين الحدود الخارجية للعشش الشبيهة بخلايا النحل ومناجم الملح المحلية.

وكانت الأرضية من رمل أبيض، ولا يدل على الغرض من هذا التجمع الذي يحدث مرتين في السنة إلا وجود محراب الصلاة المني والمنبر^(١). وانتهت الصلاة القصيرة، بخطبة طويلة حتى الإملال، كان قد ألقاها القاضي المحلي، وهو رجل طويل، كثيف اللحية، جميل المحيا، بصوت مريح وموسيقى، وكانت المناسبة عظيمة لكل الأطفال الحاضرين، وهو أول حضور لهم لصلاة جماعة بعد أول تجربة لهم مع الصيام. إن الإسلام رؤوف بالأطفال ولا يصر على صيامهم أو الالتزام بأوقات الصلاة المفروضة، ولكن عندما يبدوون هم بدافع ذاتي، أو طاعة لوالديهم فلا عودة بعد ذلك، وعليهم أن يتصرفوا بصفتهم رجلاً في كل أمور الطاعة الدينية. إن تأكيدهم للعقيدة بمحض رغبتهم المستقلة، يضع على عاتقهم الالتزام الذي يجب ألا يتم تجاهله بغرض الإفلات من العقوبة. كانت ملابس كل الأطفال قد تزينت بألوان قوس قزح، وهي مصنوعة من الحرير أو الستن إلى جانب أغطية الرأس الجديدة وكان كل الرجال قد ارتدوا أحسن ما لديهم، على مستوى الأمير وأتباعه في منتصف الصف الأمامي، إلى أفقر عامل في المواني أو معادن الملح^(٢).

(١) من السنة في صلاة العيدين أن تكون في أرض مكشوفة خارج القرى والمدن إلا في حالة وجود عذر قاهر يمنع ذلك كالأمطار والحروب وما شابهها. (ابن جريس).

(٢) للاطلاع على مزيد من العادات والأعراف المختلفة في جنوبي البلاد السعودية، انظر: غيثان بن جريس. عسير ١١٠٠ - ١٤٠٠هـ، ص ٣٥ - ١٠٨، محمد العقيلي. الأدب الشعبي في الجنوب (الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م) (جزءان) (ابن جريس).

أشرف الأمير بعد الصلاة على مراسيم الاستقبال الرسمي للكل، وذلك في الفناء الواسع في مقر سكنه المتداعي. لقد احتلَّ القاضي موقع الشرف بجلوسه على يمين الأمير، بينما جلس إلى يساره أحد سادة الأدارسة. ثم قدمت فناجين القهوة وأكواب الشاي بالطريقة المألوفة عبر التاريخ وكانت المحادثات متقطعة، غير أن أكثر الفقرات التي كانت قدمت أثناء التجمع قد قوبلت باستحسان، كانت قصيدة جيدة فوق المعتاد، ألقاها الشاعر علي السنوسي الذي ربما كان يتتمي بقرابة بعيدة إلى أسرة السنوسي. ثم دعا الأمير كل الحضور بعد ذلك لتناول وليمة العيد التي تألفت من لحم ضأن ممتاز وأرز وقد وضعت في أنحاء الغرفة في حوالي عشرين من الأطباق ذات الأرجل. انتهت بذلك المهمة الرسمية، ويستطيع كل الحشد أن يتجول بحرية متنقلاً من منزل لآخر في زيارة الأصدقاء أو الموظفين للتهنئة بهذه المناسبة العظيمة ولتذوق ما لديهم من قهوة وحلوى.

قمت بزيارات لعدد من الموظفين الرئيسيين، كان من بينهم عبدالعزیز الضميري، وهو رئيس مصلحة المالية المحلي، وصالح بن إبراهيم النفيسي، مدير الشرطة، وعبدالله البسام وهو صديق قديم لي من أيام مكة ويشغل الآن وظيفة ضابط الميناء وهي وظيفة مهمة، ثم قمت إلى جانب هؤلاء بزيارة حسن البهكلي، وهو رئيس الشركة، والذي كنت قد ذكرت ممثله في صيبا من قبل، كما رأيت وصول قافلة صغيرة من الحمير أثناء وجودي في منزله في السوق. وقد جلبت معها المؤنة اليومية من نبات القات الطازج وقد تمَّ لفها في أوراق أشجار الموز الباردة^(١). وستكون لي فرصة أخرى للحديث عن هذا المخدر المحلي الجبلي

(١) شجرة القات من الأشجار المرغوبة عند أهل جازان، يؤكل ورقها بحجة أنه يضيء على من يأكلها الاسترخاء والانبساط العقلي والنفسي والجسمي. ويتم الحصول عليها من منابتها الرئيسة في جبال فيفا وبلاد اليمن. والدولة تسعى جاهدة إلى محاربة استخدامها لما ينتج عن أكلها من أضرار جسدية واقتصادية، وربما أخلاقية. مع العلم أن هناك بعض الدراسات المعمولة حول هذه الشجرة وأضرارها، ولكن في رأيي لا زلنا نحتاج إلى دراستها من جميع الجوانب. (ابن جريس).

بتفاصيل أكثر. لقد اكتفيت هذه اللحظة بتذوق قطعة منه، ولم تكن مشيرة للاهتمام، وقد وعدني مضيبي أنه سيمنحني الفرصة ذات يوم لحضور جلسة للنادي المحلي لآكلي القات وذلك لكي أمنح العشب القيم جداً، التجربة الصحيحة تحت الظروف المناسبة لذلك. لقد تحدثنا حول هذا الموضوع أثناء اجتماعنا بالأمير، حينها أعلن القاضي بدون تقييد، أن النبات ليس محرماً ويمكن تعاطيه دون إخلال ديني. لقد كانت كل السفن رافعة أعلامها لأجل مناسبة العيد، وكان بعضها قد رفع أعلامه إلى علو عظيم، واكتسى البعض الآخر منها بأقمشة بهيجة تصنع منها الرايات إلى جانب الأعلام المختلفة الوطنية التي ترفرف فوق مؤخراتها. كما تحمل معظم السنايك العلم السعودي ويرفع غيرها العلم الأحمر اليمني، كما قد رفع القليل منها ولعله من مصوع العلم الإيطالي، ثم أطلقت المدافع التي تقع بجوار القلعة من فوق الجبل تحياتها وعلى فترات وذلك بعد صلاة العيد ثم واصلت ذلك أثناء اليوم وعند مواعيد الصلاة. لقد كان صباحاً مرحاً وممتعاً بالنسبة لي، وقد خذلني شيء واحد، هو البريد الذي كنت أظن أنه قد تراكم بانتظاري، ولكنه لم يصل بعد.

قمت بمرافقة مدير الشرطة لزيارة القلعة التي تقع على رأس التل بعد أن نلت شيئاً من الراحة كما قمت بإطلاق النار على طيور النورس وغيرها من طيور البحر التي كانت تملأ صدر البحر والميناء. لقد تمّ بناء هذه القلعة قبل أربع سنوات تحت إشراف الحكومة السعودية، حسب التصميم الذي أعده خالد القرني وهو من أبناء طرابلس والذي ظلّ على رأس العمل عند ابن سعود مدة طويلة يشغل وظيفة وزير بلا وزارة، وشارك في التصميم مهندس نجدى يسمى القفيدي. وتحتل القلعة موقعاً مسيطراً على قمة التل بلا شك، وقد بنيت من الصخر المحلي الذي كان قد قطع من جوارها، وهي عموماً بناء جيد التركيب مفصلة من الداخل بأجنحة مريحة

للحامية الدائمة إلى جانب حوض كبير منحوت في الصخر لتخزين مياه الشرب التي يتم جلبها من آبار عمير التي قيل إن مياهها أكثر حلاوة من مياه الحفائر. تتألف قوة الشرطة التي يرأسها صالح النفيسي من (٥٠٠) رجل منتشرين في مساحات كبيرة من بلاد تهامة، منخفضها ومرتفعها. لقد كانت فرقة شرطة جازان مكونة من مئة من الضباط والرجال، وقد تبادل أداء الواجب في هذه القلعة حوالي ثلاثين منهم. كما كانت هنالك مراكز أخرى تحتوي على قوة من ٢٠ إلى ٣٠ رجلاً، والذين كانوا يترددون على جازان لأجل التغيير من مراكز القيادة في كل من الحقو وصيبا، والعارضة، وفيفا، والموسم، وصامطة، وبني مالك، وجبل حريص، وأبو عريش، وجزر فرسان، ووعتان، والخوبه، وبلغازي، والشقيق، وقنا وعل البحر والقحمة، التي تقع إلى البعيد ناحية الشمال على الساحل.

لا تعد قوة شرطة مكونة من (٥٠٠) رجل كبيرة لمثل هذه البلاد الواسعة غير أنني أعتقد أن مهمتهم كانت سهلة في حفظ الأمن وذلك لأن سمعة ابن سعود وحدها كانت كافية لإسكات المخطئين. إلا أنه قد تحدث برغم ذلك بعض المشاكل وقد علمت أنه خلال شهر رمضان قد تم قطع رأسي رجلين من رجال القبائل وتم ذلك علناً في جازان وبحكم القاضي، وذلك لعلاقتهما بجريمة قتل كانت قد وقعت في جبال تهامة. ينتمي صالح نفسه إلى أسرته المشهورة في القصيم وكان موطنه هو قرية الخضراء بالقرب من بريدة وهو حفيد لعبدالله النفيسي الذي كان وكيلاً لابن سعود في المجالين الدبلوماسي والتجاري في الكويت مدة امتدت إلى ثلاثين عاماً. إنني أتذكره على أي حال في عام ١٩١٧م وهو هناك، وذلك عندما تدعمت ثقة مليكه فيها.

يبدو أن أصل التتوء الصخري لجازان هو من قبة ملح مثله مثل كل الظواهر المماثلة في جنوب الجزيرة العربية ولربما كذلك في جزر فرسان التي كانت أعمدة الملح فيها تغوص إلى أعماق بعيدة^(١)، كما لاحظ ذلك مهندسو شركة شل حينما كانوا يبحثون عن النفط بإذن من الإدريسي قبل قدوم الحكم السعودي. كما يقع شريط من الجبس فوق طبقة الملح هذه في هذا التتوء الصخري، ويبدو أنها تمتد إلى القمة، وتكون بالقرب منها صخرة صلدة تصلح لعمليات البناء. لم يزد ارتفاع التل عن (١٠٠) قدم فوق سطح البحر، ويشغل مساحة تقدر بـ (٢) إلى (٣) أميال مربعة.

ولم تكن تلك القلعة السابقة التي كان قد أنشأها الإدريسي^(١) على القمة ولكنها منفصلة وتقع قليلاً إلى غرب القلعة السعودية، ويقود إليها طريق جيد من البلدة، والذي لا بد أن يكون قد استخدم لنقل إحدى المدافع الإيطالية في يوم ما إلى موقعها هناك خارج أطلال القلعة التقليدية، حيث لا تزال موجودة لتكون تذكيراً لنظام قد انطوى. كما توجد على أي حال قلعة ثالثة إلى أسفل، عند قاعدة التل وقريباً من مستوى البحر على بعد (٢٠٠) ياردة من حاجز الماء. كانت هذه هي القلعة الأصلية التي أسسها الأشراف^(٢)، وكانوا هم الحكام الفعليين للمنطقة حين وصول الإدريسي الأول من إفريقيا بين عامي (١٨٤٠م) و(١٨٥٠م)، والتي كان قد احتلها الأتراك حينما قدموا إلى عسير واليمن بعد ثلاثين عاماً من ذلك التاريخ^(٣)،

(١) للمزيد عن جزر فرسان، انظر: إبراهيم عبدالله مفتاح. فرسان بين الجيولوجيا والتاريخ. (مطبوعات

نادي جازان الأدبي، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م)، ص ٥ وما بعدها (ابن جريس).

(٢، ٣) لمزيد من الإيضاح عن تاريخ منطقة صبيا وما حولها من بلاد جازان منذ عهد الأشراف إلى عهد

الإدريسي، انظر: تاريخ الخلفاء السليمانيين، للعقيلي. ج١، ٢٦١ وما بعدها. (ابن جريس).

وكان ذلك نتيجة طبيعية لافتتاح قناة السويس . لقد كان محيط جازان مبرقاً بمراكز المراقبة الصغيرة إلى جانب هذه القلاع المركزية العظيمة ، وذلك عند كل مناطق النقاط الرئيسية . وكان واحد منها يقف على مطلع عرن ، وآخر يحرس معادن الملح ، كما كان آخر يسيطر على تقاطع الطريق عند الدلتا (قلعة السبخه) ، كما كان هنالك اثنان لحراسة آبار كل من الحفائر وعمير ، ويوجد آخر على الكورنيش (قلعة بحرية) وأخيراً تقع قلعة العشيما على الجانب الداخلي الجنوبي للتوء . لقد كانت جازان جيدة الحماية ، بينما توجد إلى مسافة ناحية الجنوب وعلى طريق اليمن وعند قرية المضايا قلعة أخرى تعود إلى أيام الإدريسي .

كان اسم مؤسس نظام الإدريسي في جازان هو أحمد الإدريسي^(١) الذي قدم إلى الجزيرة العربية -ويجب تذكر هذا- من قارة أفريقيا ، ولم يأت وهو غازياً وإنما جاء بصفته رجل دين مشهوراً ومدرساً . لقد كان نظامه في عزلته الاختيارية روحياً مستديماً في صفته ولم يكن دينياً مؤقتاً ، غير أن البلاد كانت حينها بلا قائد وكانت غير متماسكة مما دفع الناس إلى أن يقوموا بزيارته لإقامة العدل بينهم وبين قبائلهم وقد أخذوا يندفعون إليه أفواجاً بسبب تفوقه الروحي ، وقد أحاطته هذه التوجهات بالضرورة ، وبمرور الوقت بزخارف من السلطة شبه المؤقتة . ولم يحاول الإدريسي الأصل أو ابنه الاثنان بالرغبة في تحدي السلطة المؤقتة للأشراف ، إلا أن النظام التركي كان هو الذي أزاح الأشراف عن السرج ، تاركاً للإدريسي سلطته الروحية وهيبته دون تدخل . لقد استمر هذا الوضع حتى عام ١٩٠٨م أو ١٩٠٩م حينما

(١) هو من أتباع الطريقة الصوفية الأحمدية من مدينة القيروان ، استقر في صيبا سنة (١٨٢٩م) ، بعد فترة طويلة من التنقل بين مصر ومكة واليمن . أما عن علاقة الأدارة مع اليمن وعمير والدولة السعودية فيمكن الرجوع إلى كتاب: «تاريخ الخلف السليمانى» ، لمحمد أحمد العقيلي ، ص ٦٢٠ وما بعدها ، عبدالمعنى الجميلى ، الأدارة فى الخلف السليمانى وعمير ، ص ٩ وما بعدها (ابن جريس) .

أصرَّ الأتراك على تحجيم أمور الشرع أو القانون الشرعي في محاباة لقوانينهم الوضعية، وقد قاد هذا إلى الكثير من المتاعب في كل من اليمن وعسير. لقد اضطرَّ الأتراك للانسحاب مؤقتاً من عسير في وجه التمرد الذي وقع، وانتهز محمد ابن علي - وهو الحفيد الأكبر لأحمد الإدريسي - هذه الفرصة التي أتاحتها هذا الموقف لإقامة دولة مؤقتة كان هو أول حكامها. ثم توصلَّ سريعاً إلى تفاهم ما مع الأتراك كما ساعد مادياً على دخول الشريف حسين إلى أبها لنجدة الحامية التركية هناك، ولم يكن هذا إلا التصاقاً جسدياً صعباً، وذلك لأنه خلال الحرب العظمى - وبعث ثورة الحجاز - قام الإدريسي بإعلان الحرب على الأتراك ونال اعترافاً بريطانياً بوصفه حاكماً مؤقتاً على المخلاف السليمانى أو جازان. ثم الاعتراف بالإدريسي سيداً على كل جنوب تهامة حتى الحديدة، وكان ذلك عندما ترك الأتراك الجزيرة العربية عام ١٩١٩م وإلى الأبد تحت شروط الهدنة.

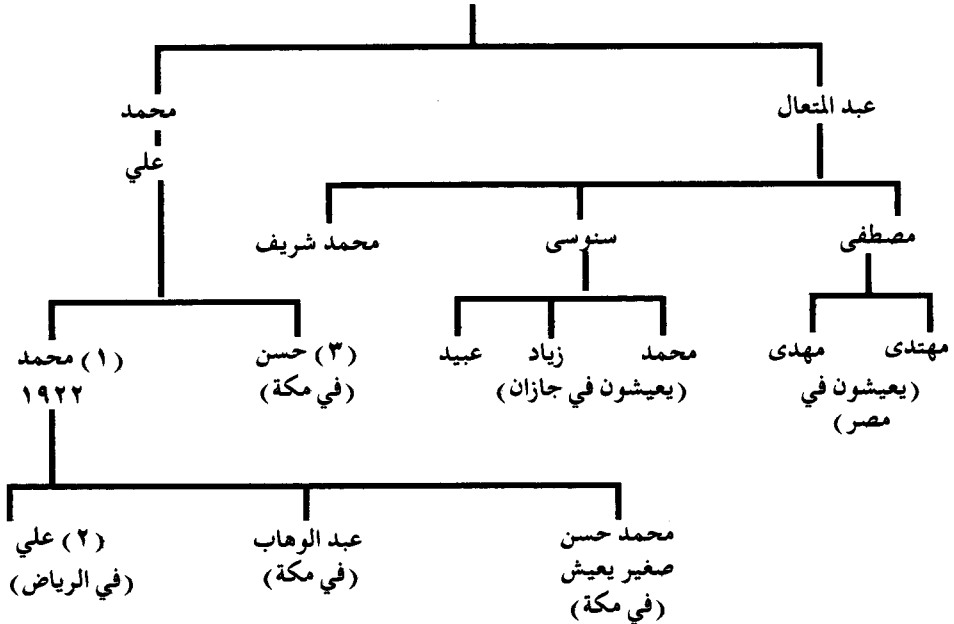
لم يكن هذا الترتيب مريحاً للإمام يحيى، الذي - في غياب القوات البريطانية لحماية مرشحهم - لم يجد صعوبة في إخراج الإدريسي من الحديدة وإلى خارج تهامة اليمن إلى موقعه الصحيح شمال ميدي. لقد حدث هذا عام ١٩٢١م، وقد توفي محمد الإدريسي في العام التالي^(١)، تاركاً عرشه غير الثابت لابنه الشاب عديم الخبرة واسمه علي، الذي كنت قد أشرت إلى خبرته من قبل. لقد استمرت سلالة الإدريسي، وبرغم كل السلطة التي استمتعت بها لأكثر من (٧٠) عاماً وذلك بسبب اعتبارهم الديني، استمرت لمدة (١٧) عاماً فقط في السيطرة الفعلية على القوة السياسية. لقد فقدت الأدارسة الآن كلاً من الظل والأصل للسلطة وأن من تبقى من أفرادها الذين قد سمح لهم بالسكن في جازان، مثل سيد العابد،

(١) محمد بن علي الإدريسي توفي عام (١٣٤١هـ / ١٩٢٣م)، وولادته كانت في عام (١٢٩٣هـ /

١٨٧٦م). (ابن جريس).

والذي كنت قد قابلته في حفل العيد الذي أقامه الحاكم وقابلته مرة أخرى في منازل أخرى، فإنهم يتصرفون كمواطنين عاديين دون عمل مدني أو ديني وعلى معاش تدفعه لهم الحكومة السعودية. كان بقيتهم بالطبع يقيمون في المنفى، ولربما كان من المفيد أن نسجل للتاريخ الأجيال التي خرجت من صلب الإدريسي الأول الذي كان قد عاد لزيارة أرض أسلافهم الذين هربوا من الجزيرة العربية بعد هزيمتهم في معركة فح بالقرب من مكة في زمن هارون الرشيد^(١).

أحمد الإدريسي (من إفريقيا ١٨٤٠ - ١٨٥٠م)



ملحوظة: الأرقام (٣ و٢ و١) تشير إلى الحكام السياسيين في هذه الأسرة. لقد أبعاد رقم (٢) عام ١٩٢٦م وعين مكانه رقم (٣) الذي أبعاد عام ١٩٣٠م لقد أدى السيد مصطفى دوراً مهماً في المفاوضات بين البريطانيين والإدريسي أثناء الحرب العظمى وهو يعيش حالياً في مصر، وقد توفي هناك قبل عام ١٩٣٦م.

(١) موقعة فح لم تقع بالقرب من مكة المكرمة في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد، وإنما حدثت عام ١٦٦٩هـ / ٧٨٥م) في عهد أخيه الأكبر (الهادي)، انظر: الطبري. تاريخ الأمم والملوك، ج٨، ص ١٩٢ وما بعدها. (ابن جريس).

كانت الصناعة الرئيسة في جازان، إلى جانب بناء السفن ومناشط ذات علاقة بالبحر، هي بالطبع معادن الملح. ويتكون كل الجزء الأسفل من التواء الجبلي من صخر ملحي ممتاز. وقد أقيم فيه معدن ضخيم تحت سيطرة وملكية الحكومة. كما يوجد بالقرب من مداخل مواقع العمل، مخزن متداعي يحتوي على ما مقداره حمولة حوالي (٧٠) جملاً من الملح المعبأ الجاهز للتوزيع. ويحتوي كل كيس على حوالي (٩٢) عق (٤٠٠) درهم أو (٢,٥) رطلين ونصف الرطل بالتقريب، وتتكون حمولة الجمل من كيسين، أو ما يعادل (٤٦٠) رطلاً، وقد تم صنع الأكياس محلياً من الحصير الخشن. وتقوم الحكومة ببيع الملح مباشرة للتجار بسعر ثلاثة ريالات للحمل الواحد زائداً نصف ريال لاستخراج شهادة البيع، بما يعادل ريالاً واحداً لكل (١٤١) رطلاً وعلى المشتري أن يحاول الحصول على أفضل الأسعار في الأسواق المحلية التي يستطيع الوصول إليها.

يكون هؤلاء السماسرة من البدو الذين يعملون في نقل الأحمال على جمالهم، وكانت هنالك مجموعة منهم شاهدتهم أثناء زيارتي هذه، من قرية المسارحة^(١) مما يلي أبو عريش وهم يقومون بتحميل جمالهم بما كانوا قد اشتروه. ولا يوجد تصدير لهذه المادة عن طريق البحر. كما توجد غرفة عليا أعلى المخزن يعمل فيها الكتبة الذين يدونون هذه المعاملات، إلا أن هذه الغرفة قد هجرت منذ زمن، مفضلين عليها عشة من الأعواد تقع قريباً من الموقع وتؤمن وقاية أفضل من حرارة الشمس.

(١) قرية المسارحة تقع جنوب جازان بحوالي (٥٥ كم)، ويطلق عليها أحد المسارحة، وربما أطلق عليها اسم (الأحد) فقط. (ابن جريس).

كان المعدن الفعلي عبارة عن حفرة كبيرة أبعادها ما بين (١٠٠) إلى (٤٠٠) ياردة ويختلف عمقها ما بين (٣٠) إلى (٤٠) قدماً، وتمثل أسلوب التعدين الذي كان متبعاً لعدة أجيال ولعدة قرون. كان عمق التربة المكشوفة حوالي (٢٠) قدماً وتعلوها طبقة من الرَّمْل ذات لون بني داكن، ولربما كانت هذه تمثل طبقة الجبس المتآكلة السفلى، والتي تكون إلى مسافة أعلى، صخرة جميلة صلدة شبيهة بالرخام. ينتمي كل من الملح والجبس إلى العصر الميوسيني^(١) مع عدد من الصدوع يخترق الحنبرة كما تأكدت من ذلك لاحقاً من جهات متخصصة. ويتم تفكيك السطح الملحي باستخدام أصابع الديناميت التي توضع داخل ثقب تعد بالمشقاب، ثم تجمع بعد ذلك الكتل المكسرة من الصخر الملحي داخل الأكياس دون أي محاولة لتشذيبها. ويكون الناتج الثانوي للمعدن هو نوع من الملح الخشن الذي تكون بعامل التبخر في قاع الحفرة بعد الأمطار أو السيول. وكان هذا الناتج يباع في السابق بسعر ريال واحد مقابل ثماني صفائح عبوة أربعة جوالين جازولين فارغة، لمناطق تمليح وتجفيف الأسماك غير أن الحكومة السعودية أوقفت هذا التعامل مع الملح الرديء لتدفع بمجففي الأسماك أن يشتروا الصخر الملحي المرتفع الثمن الذي تقدر مبيعاته الشهرية بحوالي (٥٠٠) جمل أو (١٠٠) طن تقريباً، ويكون دخله لمصلحة المالية حوالي (١٧٥٠) ريالاً.

يمثل إنتاج كل من الكلس (النورة) وجبس الجص (جبس) من خام الجبس المحلي صناعة أخرى مهمة في جازان. وتستخدم هذه المواد في معظم الحالات

(١) عصر جيولوجي يمتد من حوالي (٢٥-٣٠) مليون سنة وخلالها انفصلت الجزيرة العربية عن القارة الإفريقية، (ابن جريس).

محلياً في الميناء نفسه وفي كل من صبيبا وأبو عريش ومراكز أخرى. كانت اليابان هي المورد الرئيس لمعظم واردات البلدة، وخاصة البضائع التي تباع بالقطعة، والخردوات الرخيصة والمواد الغذائية مثل الأناناس المعلب - بسعر (٩,٥) ريالاً لصندوق يحتوي على (٤٨) علبة عبوة رطل واحد-، ولبن الكريمة - (٧) أرطال لكل (٣,٧٥) ريالاً -، والترامس اليابانية - بسعر (٢,٢٥) ريالين للترمس الواحد- غير أنها لم تكن جيدة الصناعة مقارنة بالمواد الرخيصة من المصدر نفسه، التي تباع في مواني حضرموت.

حافظت الحكومة السعودية -كنوع من التنازل على سبيل الاتفاق، وكتقليد قديم، وإحساساً بحالة السكان الفقراء- على نظام الضرائب أو الجمارك القديم والذي يعادل (٨٪) من القيمة، مع تحديد نسب خاصة تتراوح ما بين (١٠٪) و(١٢٪) على البضائع الكمالية مثل مواد الحرير، وبين (٢٠ - ٢٥٪) على التبغ والسجاير حسب أنواعها. على أن يدفع الفرق بين الجمرك المحلي وبين التعرفة السعودية على كل البضائع التي يعاد تصديرها من جازان إلى منطقة الحجاز أو منطقة أبها، وذلك عند مراكز المراقبة في منطقة رجال ألمع أو في أبها أو في مواني الحجاز طبقاً للحالة. وتمر كل البضائع التي تأتي عن طريق البحر إلى جازان عبر عدن ويتم تخليصها هناك على ظهر بواخر صغيرة بواسطة وكلاء للتجار المحليين. ولا تستطيع السفن الكبيرة الوصول إلى ميناء جازان؛ وذلك لوجود حيد بحري رملي يكون بارزاً فوق سطح البحر، وذلك عند انخفاض المد ويمتد شمالاً عبر المدخل عند الطرف البعيد للتوء؛ كما توجد فجوة في هذا الحيد تسمح للقوارب الصغيرة بالعبور ويبلغ عرضها (٥٠٠) ياردة وهي جزء من اللسان.

ويتعرض البحر على امتداد هذا الساحل إلى حركة عنيفة للمد والجزر وقد يصل الفارق من أدنى مستوى للماء والخط الذي يحدد أقصى حد للمد بحوالي

(٤٠) ياردة. يكون جانب من حاجز الماء وذلك عندما ينخفض مستوى الماء، مرتفعاً وجافاً أو تحيط به مياه ضحلة جداً، وحتى عند الطرف البعيد، حيث كنت أستحم عند مدرج الهبوط، فقد كان البحر ضحلاً مع وجود طين متين في القاع وعليه بعض الأعشاب البحرية. كانت ذروة المد في هذا الوقت تقع عند غروب الشمس وكانت أدنى درجات الجزر تحدث بعد (١٢) ساعة لاحقة.

جذب صخب شديد انتباهنا ناحية البلدة، عندما كنت أنا وصالح النفيسي عند القلعة عصر يوم العيد مستندين على حاجز السقف نراقب صفوف الجمال غير النهائية، وهي تعمل بنشاط بين البلدة وبين الآبار على رأس المجرى. ويعود سبب الصراخ إلى اشتعال النيران في مجموعة من العشش التي تقع على الجانب القريب من البلدة ومن أسفلنا، وسرعان ما انتشرت النيران والدخان في كل الموقع. ولم يستغرق وصولنا إلى موقع الكارثة وقتاً كبيراً، ولعل النار قد شبت من شرارة انطلقت بإهمال من أحد المطابخ، وحينما وصلنا إلى هناك كان ما لا يقل عن (١٢) عشة قد تدمر بينما يحاول حشد كبير من الناس وقف انتشار الحريق. لقد كان الوقت لا يزال عند بداية المساء لحسن الحظ.

وقد خمدت النيران تدريجياً داخل فجوة يغطيها جدار من اللبن، ولم يحدث ضرر كبير، غير أنني علمت أن تكلفة بناء هذه العشش الشبيهة بخلايا النحل كانت في حدود (١٠٠) إلى (١٢٠) ريالاً للعشة الواحدة وكان إجمالي قيمة ما قد فقده هؤلاء الفقراء هو (٦٠٠) إلى (٧٠٠) ريال. لقد تم تحذيرهم في الروايات الشعبية من عدم عقوبتهم والامتناع عن ميلهم بالاعتداء المتكرر على أطراف المقبرة المهجورة التي تقع على جانب التل، وقد استمعت خلال هذا الحشد إلى من يقول بالرأي بأن ضحايا هذه الكارثة قد نالوا ما يستحقونه من عقاب

إلهي. كما كان هنالك التخوفُ من أن النيران قد تمتد إلى محطة اللاسلكي الحكومية في قلعة الأشراف المهجورة، وإن حدث هذا فإن مخزون الوقود لن يؤدي إلى تدمير المحطة فقط ولكنه سيزيد بشكل خطير حجم انتشار النيران. ولقد أمكن تجنب ذلك الخطر المحتمل، ولم تفقد أية أرواح، غير أنني لم أكتشف ماذا حل بهؤلاء القوم الذين باتوا بلا مأوى ولو مؤقتاً.

وصلتني الدعوة في اليوم التالي، التي كان قد وعدني بها حسن البهكلي لحضور جلسة القات. لقد وجدت مضيبي وقد وجهَّ الدعوة أيضاً إلى عدد كبير من الشخصيات الكبيرة في المجتمع المحلي لتناول وجبة الغداء التي كانت قد تأخرت، وذلك حين وصولي لمنزله، حيث وجدت شقيقه معه وقد حضر من صيبا. كانت وجبة الطعام قد انتهت عند الساعة الثانية ظهراً وبدأ اجتماع الأعضاء الكبار لنادي القات بحزم عند الظهرية. كان عدد الحضور حوالي (٢٥) شخصاً وقد ضمتهم غرفة الاستقبال الطويلة الرئيسة التي انتشرت فيها سرائر الحبال المنخفضة ليجلس عليها الجمع. كما انتشرت النارجيلة^(١)، وكان يوجد حوالي الدسته منها، وكانت من أحجام مختلفة داخل الغرفة وذلك لاستخدام الضيوف لها، وقد وقع اختياري على واحدة خفيفة منها ومن الطراز الحمي بدلاً عن الطراز الثقيل (الجراك) وهي خليط من التبغ القوي إلى جانب عدد مختلف من النباتات العشبية العطرية. لقد انتشرت كذلك جرار المياه بالإضافة إلى الأسرة والنارجيلة في مواقع ملائمة ووضعت بجوارها الأكواب والكؤوس، وقد خصصت لي جرة معينة من مياه صيبا، التي يقال عنها إنها أفضل وأحلى من مياه آبار عمير. هكذا كان الإعداد لجلسة القات.

(١) النارجيلة: هي ما يعرف اليوم بـ (الشيشة). (ابن جريس).

لقد تم إحضار لفائف الموز الضخمة وتم كشفها بينما كنا نتحدث ونحن جلوس فوق الأسرة. وقد تم فحص المحتويات بدقة وحذر. ثم قدم إليّ طقم من الأوراق التي كانت قد اختيرت بعناية، وقد نال كل شخص آخر نصيبه منها ثم بدأت عملية المضغ. لم تكن هنالك مراسيم للحفل وكان كل فرد يتحرك على مزاجه، ويتحدث مع جاره أو أن يلزم الصمت برغبته، كان هذا هو الروتين اليومي لنادي القات، الذي كان يجتمع ظهر كل يوم عند الساعة الواحدة أو الثانية ظهراً حتى غروب الشمس. وكان كل عملهم هو فقط مضغ الأوراق العصارية وقد وُضِّحت لي كيفية ذلك. وينصح بتناول جرعات صغيرة من الماء من حين لآخر ليظل الحلق رطباً وأثناء ذلك تدور فناجين القهوة على فترات، ويساعد هذا على إخراج الخصائص المقوية الكامنة للنبات. ويظل المرء وهو يمضغ الورقة باستمرار، ويتلغ العصاراة ثم يلفظ على فترات الأنسجة المستهلكة في المبصقة. ويقال إن مدمنوا القات يدخلهم إحساس بالابتهاج أثناء هذه العملية، ويتبعها إحساس لاحق بالكآبة. ومضغ القات عادة تملك المرء لدرجة أنه إذا لم يتعاطاه في أحد أوقات الظهيرة يدفعه هذا الحرمان إلى التوسُّل للحصول عليه، كما في حالة مدمن الحشيش. وبحكم الإجماع العام فإن هذه العادة خطيرة، وسيئة على الأعصاب وتنتهي بصاحبها إلى الضعف. وكنت قد مارستها لمدة ساعتين في ذلك اليوم دون أي رغبة في الخوض في التجربة مرة أخرى ودون أن أحس بأي شعور قوي من أي نوع كان لذيداً أم لا. يبدو لي أن مضغ القات هو كمضغ الحشيش وهذا هو كل ما يمكنني أن أدلي به نتيجة لتجربة واحدة والتي لا رغبة لي إطلاقاً في تكرارها^(١).

(١) فيليبي جرب أكل شجرة القات وذكر عدم جدواها وأني أنادي جميع من يتعاطاها أن يترك استخدامها ويدرك مضارها الصحية والاقتصادية والاجتماعية. (ابن جريس).

لقد أصبحت أحداث الجلسة فاترة فانتهزت فرصة غريبة لأعتر وأنسحب لأداء مناشط أكثر فائدة. لقد كنا جلوساً بهدوء لمضغ القات حينما وقع ضجيج فجأة وضوضاء بين النساء في الجوار. لقد اعتقدت بناءً على التجربة السابقة أنه قد شبَّ حريق مرة أخرى، غير أن الأمر لم يكن كذلك، لقد كان الأمر أسوأ من ذلك فقد تم إحضار جثة لصبي على التو وسلمت إلى والدته في عشة مجاورة. وكانت هي التي بدأت الصراخ حينما رأت ابنها الميت، وفي لحظة التقطت كل امرأة على مدى السمع الصراخ، واشتركت كل امرأة في كورس النياح. لقد أصبح منزل تلك المرأة المنكوبة منذ تلك اللحظة قبلة أنظار لكل امرأة في البلدة. ويتواصل الصياح مع وصول كل وفد من الزوار، وبقوة شديدة وكأنا قد واجه العالم كله نهايته السيئة. لقد كان الأداء مدهشاً ولا بد أنه كان محنة كبيرة على والديّ الصبي، واللذين سيكونان قد لحقتهما إهانة بالغة إذا تركا لمصيبتهما يحتملانهما في سلام. لقد أحضر الصبي وهو ميت. وكان قد ذهب في الصباح في صحبة الجمال لإحضار الماء من الآبار، ووجد ميتاً على جانب الطريق. كان هذا هو كل ما في الأمر. ولا يوجد ما يكشف عن كيفية حدوث ذلك، ولا يوجد ما يمكن عمله غير دفن الصبي على أنغام عويل جماهيري. وكان كل ما يمكن إيضاحه هو أن الصبي قد يكون قد سقط من على ظهر جملة، ولا يوجد طبيب في جازان للقيام بتشريح للجثة لمعرفة السبب الحقيقي للوفاة^(١).

ذهبت لأداء صلاة الجمعة (١٨ ديسمبر) في أول أيام إقامتي القصيرة في جازان في الجامع، وهو مبنى كبير ورائع وقد تم إنشاؤه حديثاً، وتكفلت أسرة

(١) عادات النياحة على الميت تتفاوت من مكان لآخر، وكانت في الغالب تمارس بنوع من المبالغة لعدم وجود الوعي الديني بين الناس، ولكن بعد انتشار التعليم والتفقه في الدين أدرك الناس حرمتها فتركوها، واعتدلوا في مراسيم جنازتهم. (ابن جريس).

البهكلي بذلك. يقع المسجد عند منتصف المسافة بين حاجز الماء وقلعة الأشراف القديمة وكان بناءً كبيراً، ويتم الدخول إليه عن طريق أبواب على جانبه الشرقي والغربي والتي كانت تقود المصلين إلى ساحة مكشوفة تحتل ما يقدر بثلاث البناء. كانت بقية البناء مغطاة بصف من الأعمدة الجذابة، مكون من خمسة أروقة تمتد طولياً مرتبة من الشرق إلى الغرب، ومن أربعة أروقة في العمق مرتبة من الشمال للجنوب، مع وجود قبة عريضة تعلو كل رواق. ولقد كانت كوة المحراب عند الجدار الخلفي على الجانب الشمالي، ويوجد بها منبر خشبي مترنح للخطيب. كان المسجد هو البناء البارز في البلدة بلا شك والتي كانت منازلها المبنية آيلة للسقوط وليست ذات قيمة فنية معمارية. إن جازان في شكلها المعاصر، هي مدينة حديثة، برغم أنها كانت قرية لصيد الأسماك، ومركزاً لصناعة الملح عبر القرون حينما كانت العشش الشبيهة بخلايا النحل كافية لإيواء السكان. كان أقدم مبانيها هو قلعة الأشراف، وحتى هذه فهي الآن في حالة مدمرة وكثيرة الرقع، ولربما لا يزيد عمرها عن القرن الواحد بينما يعود تاريخها إلى بداية القرن التاسع عشر^(١).

يقترح العالم المحلي تفسيراً غريباً لاسم جازان والذي ينطق أحياناً جِزَّان. ويعتقدون حسب رأيهم أن جازان نطق أفسد الكلمة الأصلية جازان، والتي تسجل حقيقة إنشائها بواسطة مجهول ومشكوك فيه، وبطل من أبطال الماضي الذي «جا» ثم «زان» والتي يكون لشرحها لتعني «هو جاء وهو بنى»، ويبدو الأمر بسيطاً، ولربما خيالي تماماً، ذلك لأن الاسم قابل لاشتقاق آخر أكثر قرباً من الطبيعة. تغطي ساحل البحر على جانبي النتوء تلال رملية وسلاسل رملية من الطراز الذي يسمى «قوز»، ويحفظ العديد من هذه التلال الرملية بهذا المعنى كجزء من

(١) المقصود بالقرن التاسع عشر، أي (الميلادي)، الموافق القرن الثالث عشر الهجري. (ابن جريس).

أسمائها، فمثلاً «قوز المنجارة» عند حافة مسطح الملح في الدلتا. و«قوز» يجمع على «قيزان» وتخفيف «القاف» الثقيل إلى «جيم» الخفيف هو ظاهرة مألوفة في الجزيرة العربية مثال ذلك «خرج» بدلاً من «حرق» و«جاسم» بدلاً عن «قاسم». وعليه، تكون جازان بدلاً عن قيزان وتحل بذلك المشكلة. لقد عرضت هذا التفسير على الأمير وعلى غيره، إلا أنني لست متأكداً تماماً بأنهم قد اقتنعوا به^(١).

يرجع أصل الأمير محمد بن ماضي إلى قرية الروضه في منطقة سدير التابعة لنجد. لقد كان رجلاً عظيماً ضخماً ذا سمات مستبشرة، وهو رجل عمل أكثر منه فيلسوفاً، وكثير الشفقة تجاه الفقير والضعيف، ويبلغ من العمر سبعة وثلاثين عاماً وقد كان حاكماً من قبل على ضبا التي تقع على ساحل الحجاز الشمالي، حيث خلفه هناك شقيقه تركي، حينما تم نقله هو إلى جازان وذلك حوالي عام ١٩٣٦م. لقد كان سلفه واسمه شويعر^(٢) قائداً لقسم من جيش الأمير فيصل، وذلك أثناء الحرب اليمنية عام ١٩٣٤م وقد تم تعيينه بعد ذلك ليكون مسؤولاً عن هذه المنطقة الحدودية المهمة، وقد توفي وهو يشغل هذه الوظيفة، مخلفاً زوجته وطفله الصغير. لقد قام محمد بن ماضي في سبيل التخلص من أسرة سلفه هذه وذلك بزواجه من الأرملة وتبني الطفل، وبذلك حل لنفسه مشكلة السكن واستقر في منزل مريح بمجرد وصوله. لقد وجد أن هذه الترتيبات كانت مقنعة جداً كما حافظ على مستوى مائة ممتاز، والتي كنا نتردد عليها عند كل مواعيد الوجبات الرئيسية اليومية خلال فترة إقامتنا هنا. لقد كان محمد يعامل الطفل الصغير

(١) لمزيد من التوضيحات عن تاريخ المخلاف السليمانى (منطقة جازان) خلال العصور الإسلامية المختلفة،

انظر: العقيلي، تاريخ المخلاف السليمانى. (جزءان) (ابن جريس).

(٢) شويعر: الاسم الصحيح هو حمد الشويعر، انظر: عبدالرحمن السبيت. رجال وذكريات مع

عبدالعزيز، ص ١٨١، ١٨٢ (ابن جريس).

وكانه ابنه، وكم سرني إحساسه وقلقه على سلامة ورفاهية هذا الطفل، الذي كان جذاباً وفاتناً.

كان كل من محمد والقاضي كثيري المساعدة وفائقي اللطف نحوي ونحو فرقتي، وكثيراً ما كنت أجد محمداً وهو على استعداد بما لديه من خطط لتنفيذ تجولاتي بينما أصبحت جازان هي مركز الرئاسة لي. لم يسمح محمد بالتأكيد للعشب أن ينمو تحت قدميه ولم أكن مستقراً في جازان - التي جئتها في ثلاث مناسبات فقط - مدة أطول تجعلني أمل البقاء فيها. لقد كنت مقيماً، في المرة الأولى مثلاً في هذا المكان مدة خمس ليال فقط، حينما كانت كل الترتيبات جاهزة للمرحلة التالية للعمل، وفيما يخص هذا العمل فقد كانت لدى الأمير التوجيهات الكاملة من الرياض. كما لا توجد مزايا محددة في محمد بن ماضي، إلا أن فطرته السليمة في الحكم على الأشياء كانت مثيرة للإعجاب. يبرز هو ومعه إبراهيم النشمي التابع لنجران في شريط ذكرياتي للطفهما ولكفاهتهما، ولقد كان كرمهما خارج إطار اللوم، وكثيراً ما كنت أعجب لما عليه ترتيباتهما المالية مع الحكومة. إذ إن مرتب الحاكم - حسب ما استطيع من تأكيد له - لمحافظة مهمة مثل أبها ونجران وجازان يصل إلى (١٦٠٠) ريال - (٨٠) جنيه استرلينياً ذهبياً - شهرياً، والتي عليه منها أن يتحمل التكاليف المالية لحاشيته التي يتراوح عدد أفرادها بين (٢٠) و (٣٠) رجلاً، بينما يتحصل الرجال على (٢٠٠) ريال في السنة كمرتب لكل فرد، إلى جانب ما يحرك أسنانهم^(١).

(١) لمزيد من المعلومات عن رواتب موظفي الدولة في جنوبي البلاد السعودية خلال عصر الملك عبدالعزيز، انظر: غيثان بن جريس. عسير في عصر الملك عبدالعزيز، ص ١٨١ - ٢٤، ابن جريس أيضاً «قراءة في مخصصات مقاطعة جيزان وملحقاتها من الموازنة العامة للمملكة عام (١٣٦١هـ) في أثناء حكم الملك عبدالعزيز» دراسة منشورة في مجلة ببادر الصادرة من نادي أبها الأدبي عدد رمضان (٢٥) (١٤١٩هـ / ١٩٩٩م) ص ١١٥ - ١٣٩، كما نشرت هذه الدراسة في كتاب: دراسات في تاريخ وحضارة جنوبي البلاد السعودية. (جدة: دار البلاد للطباعة ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م) ص ١٦٣ - ١٨٦ (ابن جريس).

قمت بزيارة الأشقاء البهكلي وأهله في منزلهم للوداع، وذلك في عصر اليوم السابق لبداية رحلتي إلى فيفا. وقد وجدت من بين المدعوين السيد عبيد الإدريسي. وكانوا قد اجتمعوا لحفل القات. لقد تحدثنا عن زيارة روزيتا فوربز (Rosita Forbes) إلى جازان قادمة من السودان بواسطة الدهو -مركب شراعي- عام ١٩٢٢م، حيث أعدت لها مقابلة مع محمد الإدريسي قبل وفاته بأشهر قليلة. ويبدو أن هذه المقابلة قد تمت في الميناء، إذ أنها لم تقم بزيارة أي من صبيا أو «أبو عريش». كان هذا هو كل ما تذكره مضيفي على أي حال، وغيره من الذين كانوا يتذكرون سفرها بحراً إلى ميدي. لقد جاء السيد ماكسويل دارلنج (Maxwell Darling) أثناء استكشافاته الخاصة بالجراد، عبر صبيا إلى جازان في مارس ١٩٣٦م، بينما وصل إلى جازان عبر صبيا أيضاً مهندسان تابعان لشركة الزيت العراقية، وهما السيد بايك (Pike) والسيد والفورد (Walford)، وهما في طريقهما إلى جزر فرسان وكان ذلك أثناء زيارتي لهذه الأجزاء، وذلك لقيامهما بدراسة لكل الطريق على محور البوصلة دون أن يتأكدا من صحة أسماء الأماكن في البلاد التي قد قاموا بمسحها. لم يتغلغل أي رحالة أوروبي إلى أعماق تهامة عسير مطلقاً قبل نهاية الحرب العظمى. وكما لوحظ مما قد ورد أعلاه، فإن الزوار الأوروبيين للمنطقة لم يكونوا كثيري العدد خلال فترة الجليل الماضي، غير أن إنشاء طرق السيارات وحركة مناشط مهندسي المعادن^(١) قد يتوقع منها أن تجعل هذه المناطق النائية للجزيرة العربية معروفة أكثر مع مرور الأيام^(٢). ومن المناسب الإشارة إلى زيارة كانت قد تمت إلى جازان قبل قرن من الزمان من وقتنا هذا.

(١) قام بزيارة المنطقة العديد من الخبراء الأوروبيين والأمريكيين في ذلك الوقت. (المؤلف).

(٢) وهذا فعلاً ما حصل، فلقد أصبحت جازان وغيرها من أجزاء جنوب المملكة العربية السعودية معروفة وهامة، لما تمتاز به من غطاء نباتي جيد، وما يتوفر فيها من موارد زراعية واقتصادية أخرى، بالإضافة إلى أنها صارت من أكثر أجزاء المملكة العربية السعودية تأهيلاً بالسكان. (ابن جريس).

لقد وصل إلى جازان -عن طريق البحر- في الرابع من مارس (١٨٣٥م) فرنسيان هما إي. كومبس (E.Combes) (وم. تاميزيه) (M.Tamisier) إلى محافظة أبو عريش الصغيرة^(١). لقد انخفض حجم التجارة، التي كانت ذات اعتبار كبير، منذ أن أسس محمد علي باشا نظام احتكار السلع على كل المنتجات العربية، خاصة السنا والبن. لقد احتلت البلدة برغم صغرها، مساحة كبيرة تغطيها مبانيها المبعثرة. يوجد في الناحية الجنوبية حصن مهيب تحيط به مبان عديدة مدمرة. وكانت المساكن في هذا الوقت من عيش مستديرة ذات أسقف هرمية وغطاء طيني كثيف من الداخل، وكانت مؤثثة فقط بالأسرة والفخار المنزلي. ويحيط بكل مجموعة من العيش سور من الأعواد الخشبية مكونة عالماً بحاله.

لقد كان حال نساء البدو اللاتي يقمن بزيارة جازان مختلفاً كثيراً عن أولئك اللاتي كنا قد عرفناهن في أماكن أخرى، فالنساء هنا غير محجبات ويرتدين أسماقاً زرقاء وقبعات من القش على رؤسهن. وكانت نسوة البلدة أيضاً غير محجبات، وكن يرتدين أزياء كتلك التي ترتديها النساء في القنفذة، وكان القليل منهن يضعن قميصاً إضافة إلى القماش الطويل والعباءة والقناع كما هو الحال في تلك المنطقة. وكن يقمن بتصفيف شعورهن إلى أربع خصلات رشيقة تصل إلى الكتف، ويضعن أكاليل الأزهار والأعشاب العطرية على جباههن. كان الرجال يرتدون أغطية رأس صوفية ويصففون شعورهم بعناية كبيرة وبالكثير من الدهن. كان السوق المحلي مكوناً من متاجر شحيحة البضائع تقوم ببيع الدجاج بأسعار

(١) لا ندرى ما هو السبب في إطلاق فيليبي اسم (الصغيرة) على محافظة أبو عريش. فهي من المدن الرئيسية في منطقة جازان، وتبعد عن مدينة جازان ناحية الجنوب بحوالي (٣٠) كم، وكانت المقر الرئيس لحكومة الشريف حمود بن محمد أبو مسمار التي ظهرت في أوائل القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي). للمزيد انظر: العقيلي، تاريخ الخلف السليمانى، ج٢، ص ٤٤٧ وما بعدها. (ابن جريس).

منخفضة جداً وأحياناً تقوم ببيع الفاكهة والسّمك. وكانت الحدود الحجازية اليمينية في هذا الوقت عند رأس حلي.

كما لوحظ أن الأمطار الموسمية في اليمن تسقط في الفترة من منتصف يونيو وحتى نهاية سبتمبر. وكان هنالك ندى كثير خاصة على الساحل. كما اشتمل إنتاج اليمن على الدخن والشعير والبن والتبغ والمر والبخور... إلخ. كانت حمير اليمن كبيرة الحجم وقوية، وكانت الحيوانات المفترسة نادرة، وحيوانات الصيد متوافرة. كانت هنالك معادن للحديد والملح الصخري، والكبريت، والرخام السماق. وكان الخشب شحيحاً^(١) وأما بعر الإبل فيستخدم وقوداً للنار^(٢). لقد أمضى المسافران الفرنسيان ساعات قليلة في جازان، ثم واصلا رحلتهما إلى بندر اللحية اليمينية التي تقع شمال الحديدة.



(١) الخشب ربما كان شحيحاً في الأجزاء الساحلية من جنوبي الجزيرة العربية، أما الأجزاء المرتفعة، والممتدة من الطائف حتى صنعاء فإنها من أغنى أجزاء الجزيرة العربية بالأشجار والنباتات المختلفة. (ابن جريس).
 (٢) استخدام بعر الإبل في الوقود عادة عرفت عند سكان الجزيرة العربية منذ القدم، وهذا الأمر يحدث إذا لم تتوفر الأخشاب الصالحة للوقود، وهي عادة غالباً ما تكون عند أهل البوادي أكثر من أهل تهامة، وذلك لتوفر الإبل عندهم بأعداد كثيرة بعكس السهول والسواحل البحرية. (ابن جريس).

الفصل

السابع والعشرون

جبال تهامة

الفصل السابع والعشرون

جبال تهامة^(١)

لقد استعدت صحيتي بخلودي للراحة، وبتناول الغذاء الجيد وبالاستحمام في البحر في جازان، وذهب عني إرهاق رحلة رمضان الطويلة، وأستعد الآن لمغامرات أكثر. لقد أخذت حمامي المعتاد عند نهاية الرصيف صباح اليوم التاسع عشر من ديسمبر، وذهبنا جميعاً لتناول وجبة الفطور في منزل الحاكم، وقد بدأت بألد أنواع الكيك، الذي قامت بصنعه مضيفتنا. ثم طلبنا الإذن بالسماح لنا بالمغادرة من كل من محمد بن ماضي ومن الموظفين الآخرين الذين كانوا قد دعوا معنا للفطور، وعدنا لنضع اللمسات الأخيرة للاستعداد للمغادرة إلى فيفاء. وضع الأمير سيارة وشاحنة تحت تصرفنا للمرحلة الأولى من الرحلة حتى السفوح التالية إلى قرية العبدابي، حيث تمت الترتيبات هناك بتجهيز الحمير والجمال لبقية الرحلة. لقد تجاوز الوقت الظهيرة حينما انتهينا من فرز العفش الذي سيصحبنا من ذلك الذي ستركه خلفنا.

تبعنا الطريق الرئيس حتى صبيا، وكنا نأخذ الأمور على علاتها، ونتوقف مراراً لمراجعة اتجاهات البوصلة السابقة، ولذلك فقد استغرق وصولنا إلى منزل ابن غنيم ساعتين كاملتين، حيث كنا قد تلكأنا في شرب القهوة والشاي مدة نصف ساعة قبل أن نواصل السير. وواصلنا سيرنا على طريق الحسينية حتى مسجد الخواجية فيما يلي مفترق صبيا الجديدة - بيت السيد، ثم استدرنا مباشرة على

(١) لمزيد من الإيضاح عن مرتفعات تهامة التابعة لمنطقة جازان انظر: عبدالرحمن الشريف. جغرافية المملكة العربية السعودية، ج٢، ١٧٧ - ١٨٥. (ابن جريس).

طريق السيارات إلى اليمين وهو يمتد فوق صحراء عارية إلا من عشب الثمام ناحية النهاية الشمالية لقرية الحسيني، وهي مجموعة معتبرة من عيش على هيئة خلايا النحل وتغطي مساحة ميل مربع. ثم انحدرتنا تدريجياً فيما يلي هذه إلى أرض صعبة ناحية الضفة اليمنى لوادي صبيا، وتتبعناه من خلال الأشجار الكثيفة من الطلح والعلب والأراك والطفاد، وغيرها من الغطاء النباتي البري لنمر بجوار مستوطنة خمين الصغيرة المبنية من القش. كان هناك الكثير من مزارع الدخن على جانبي المجرى الكثيف الأشجار، والذي بدا لنا أحياناً كأنه غابة وليس مسيلاً للوادي. كان علينا أن نبتعد ما استطعنا عن مسلكه لتتحاشي تلك المعوقات ووصلنا دون تأخير كثير إلى قرية الجخيرة التي انتشرت عيشها بين أجمة أشجار الدوم المتعرجة، وقد رأيت كتلاً من أعواد الدخن مكدّسة في وسطها.

واتصلت حافة حقل الحمم البركانية لعكوة مع حافة القرية عبر الأزمان، على شكل جلمود ارتفاعه (٢٠) قدماً يمتد من الشرق إلى الغرب، وقد تراكم الكثير من الطمي بينها وبين الضفة اليمنى للوادي، الذي يبعد مسافة (١٠٠٠) ياردة، وشقّ طريقنا سيره فوق هذا حتى وصلنا إلى المجرى مرة أخرى عند الموقع الذي يلتف فيه الجلمود البركاني ليكون ضفته اليمنى، على ارتفاع (٣٠) قدماً ويكسوه شريط كثيف من أشجار الأراك والطلح، ينحني الجلمود سريعاً ناحية الشمال ماراً بقرية صغيرة تسمى جرّ مسعود في وسط الكثير من الروابي الطينية التي يكسوها الغطاء النباتي النموذجي. كان الطريق في أحد أجزائه تالفاً بسبب الأمطار والسيول، للدرجة التي اضطررنا للتوقف لإصلاحه قبل مواصلة السير.

تعرف هذه الأرض التي يكسوها الطمي والروابي الصغيرة والغابات باسم الخُروجَة. وقد كان سطحه رملياً غير أن السير فيه كان صعباً فوق ممرات ضيقة بين

الروابي الصغيرة، بينما انتشرت حقول الدخن والسمسم في المنطقة مما زاد من هذه الموانع في طريق تقدمنا. وصلنا نهاية الأمر إلى موقع ملتقى مجاري سيل يسمى المجمع غالباً، وقد سمي بذلك لأنه تجتمع فيه أودية صيبا ودامس وقصى وتكون مجرى واحداً. ويتصل في هذه البقعة وادي قصي، الذي يأتي من ناحية الشمال الشرقي مع وادي صيبا، الذي يقبل من ناحية الشمال ماراً بقرية أم الغلف الصغيرة التي تقع على بعد (٥٠٠) ياردة، تجاه أعلى الوادي. ثم صعدا في جهد إلى أعلى البطن الحصوي لوادي قصي بعد أن عبرنا موقع اللقاء، ثم خرجنا منه إلى ضفته اليمنى لنشق طريقنا من خلال أرض شجرية تكسوها أجسام الأراك، وتعرضها حقول متفرقة، ذات مدرجات وسدود للدخن. بدأ الطريق يدور الآن فوق سهل حصوي متموج بين مجريين، وأهم ما يميزه هو وجود مقبرة واسعة ذات قبور محاطة بالحجارة المنخفضة، التي يبدو أنها تخدم القرى الصغيرة التي قد ورد ذكرها إلى جانب قرية أخرى تقع أعلى وادي صيبا على ضفته اليمنى، واسمها (سَمْرَة). بدأ سطح الأرض يرتفع تدريجياً الآن، وكان السير فوقه أصعب بكثير مما سبق فوق الحصى، وقد غطت أشجار الطلح والبشام والصبار - من نوع السيسال - الأرض، دون الحديث عن الحشائش التي تنمو في كتل بين كتل الطمي والرمل. ألقينا نظرة من هذه الأرض المرتفعة على الشرائط الكثيفة للأشجار والشجيرات التي تعلّم مجرى واديين على كل جانب وتفصلهما مسافة ميل واحد.

بدأت أسطح البلاد تتفكك تدريجياً ونحن نقترّب من أطراف السفوح التلية التي يمكن رؤيتها أمامنا وهي تطوق خط تقدمنا على اليمين. لقد كانت البلاد أرضاً عارية متموجة، ذات غابة شحيحة الأشجار وقد تشققت بالعديد من خطوط الصرف التي تسمى في جملتها رقبة مسيحلة، وقد انتشرت فوقها أعداد كبيرة من

أشجار نخيل البلميط^(١). ثم يبرز بعد قليل لسان بازليتي على امتداد سلسلة طولها ميل واحد، تسمى تلعة تُربة من السفوح التلية إلى مسارنا ثم اتجه إلى السهل المتعرج الذي كان قد تخطط بشرائط منخفضة من البازلت في موجات متعاقبة. كان أول سلسلة السفوح التلية الخارجية التي علينا صعودها غير معروف، ويغلب على الظن أنه (جبل المشاف)^(٢) الذي كانت قمته المنخفضة حوالي (٦٠٠) قدم فوق سطح البحر. يقع وادي قسي الآن بعيداً عن طريقنا، وهو الوادي الذي في وسط التلوجات البازلتية التي تقع أمامنا، قد عبره مجرى لحجة عَصَد الذي ينحدر ليتصل به مرة أخرى بعد عدة أميال ناحية الجنوب الشرقي. لم نعد نرى وادي صيبا الذي دخل السفوح التالية إلى الخلف منا. ويقع منبعه - فيما يُعتقد - في مكان ما على جانبي جبل الريث.

بدأنا نمر بقطعان الضأن على ضفة لحجة عضد الكثيف الأشجار، الذي تتبعناه إلى بعض المسافة، وكان هذا بشيراً لنا بأن المناطق المأهولة ليست ببعيدة عنا وقد تأخر الوقت كثيراً. لاحظت أن العديد من أشجار الطلح هنا مصابة بنموات غزيرة لنبات الهدال الطفيلي. ثم وصلنا سريعاً إلى مزارع العيذاب وحقول الدخن الصغيرة، وقد تلاحقت فيها المدرجات جزئياً عند السفوح السفلى وجزئياً في أحواض صغيرة عند القاعدة. وتتكون القرية نفسها التي ترتفع إلى (٩٠٠) قدم فوق سطح البحر وهو - تقريباً - نفس مستوى ارتفاع الحَقْو، من ثلاث مجموعات منفصلة من أعشاش مصنوعة من الأعواد، وقد استقر بنا المقام بجوار واحدة منها - كانت تتكون من ثماني عشش صغيرة محاطة بسور من أعواد ومن عشة واحدة منفردة تقع إلى خارج السور - لقضاء الليل. ويسكن القرية الصغيرة جماعة آل

(١) نوع من النخل قصير مروحي السعف، وهذا النوع من الأشجار تتوافر بكثرة في السهول التهامية الواقعة

بين سفوح جبال السروات الغربية وبين ساحل البحر. (ابن جريس).

(٢) جبل المشاف: هو الاسم الصحيح وليس (المشاث) كما أورد فيلبي. (ابن جريس).

بلغازي، وهم قسم من خولان، الذين يسكنون كذلك قرية الحناية الأكبر حجماً والتي تقع على مسافة منا ويبدو أنهم يرتبطون بقرابة مع اليهانية (خولان)^(١) قسم من فيفاء. وتحتل المستوطنات المبعثرة في العيدابي - والتي يبدو أن هذه القرية كانت أكبرها - حوضاً ضحلاً يفصل أرض الحباطة البازلتية المرتفعة التي كنا نعبرها من عند تلعة تربة إلى الأمام عن السفوح التلية الفعلية التي تبدو وكأنها من الشست.

كان اسم الرجل العجوز الذي أشرف على إرشادنا من صبيا هو عبدالله خبّاش من الجخيرة. لم تكن معرفته بالبلاد واسعة، غير أنه يغطي هذا النقص الخطير. كان قد أحضر لي قطعة من صخر أسود وذكر أنه يوجد في جيوب صغيرة بين سلسلة الحباطة ويطلق عليه محلياً اسم (كُحل)^(٢) ويستخدم في تجميل العيون. لقد بدا لي هذا الصخر الأسود وكأنه الماغنيزيوم. لقد كان رئيس بلغازي المحلي - أو عسكر جندي كما يحلو له أن يسمى نفسه ويدعى يزيد، ولقد استرقت السمع إليه وهو يلقي عبدالله أسماء العلامات الأرضية المختلفة لينقلها هذا بدوره إليّ، ومنها اتخذت قراري بأن أتحصل على المعلومات مباشرة من فم الحصان كما يقولون. ولقد استغنيت عن خدمات عبدالله مقابل ريال واحد لأتعبه أعيد إلى أهله مع السيارات التي عادت، بينما وافق يزيد في تطلع على أن يحل مكانه. ثم قمت بإرسال ابن هذيل لشراء بطارية جديدة لجهاز الراديو الذي لسبب ما - ربما الارتجاج الشديد أثناء السفر - رفض أن يؤدي وظيفته حينما وصلنا إلى

(١) لمزيد من التفاصيل عن هذه القبائل ومواطنها انظر: عبدالرحمن الشريف، المرجع السابق، ج٢، ص ١٧٩ - ١٨٠. (ابن جريس).

(٢) هذا النوع من الكحل كان يستخدمه كثير من الناس في أجزاء عديدة من الجزيرة العربية وحتى آواخر القرن الرابع عشر الهجري، وربما بعض كبار السن في البوادي والأرياف لا زالوا يستخدمونه إلى اليوم. (ابن جريس).

المعسكر. لقد كان هذا أمراً خطيراً، إذ أنه في غياب الدقة في معرفة الوقت فإن المرء لا يستطيع أن يعمل في تثبيت المواقع، وقد كنت أرغب في تثبيت موقع فيفاء بدقة شديدة، وذلك لأن فيفاء علامة أرضية مهمة جداً. لقد كان عليّ أن أستفيد من الظروف السيئة هذه، حتى لو تمكن ابن هذيل من العثور على البطارية في جازان، فهو لن يصل إليّ إلا بعد عدة أيام.

صحوت على صوت عويل مرتفع ينبعث من ناحية المعسكر المجاور لنا، وذلك في الصباح الباكر، حينما كانت الشمس تحاول الظهور من فوق كتف القمة البعيدة لجبل العُرّ، ناحية الجنوب الشرقي. وقد أوضحت الاستفسارات أن امرأة متقدمة في السن جداً قد ماتت، وتواصل النواح لساعة كاملة، ويبدو أن الموضوع ما هو الا استعراض لولولة منظمة لا يصاحبها إحساس. كنا - مع ذلك - بعد قليل على الدرب مرة أخرى تاركين القرية لجنازتها، ولم يبد يزيد أيّ رغبة - لحسن الحظ - ليقى من أجل التشيع.

بدأ مجرى عَضَدَ كأنه مسيل صغير، ينحدر من انطواء في السفوح التلية الخارجية، وسرعان ما وصلنا إلى وادي قصي مرة أخرى، بعد مغادرتنا للمعسكر، والذي تتبعنا ضفته اليمنى في اتجاه الشمال الشرقي بين كثافة الغطاء النباتي السفحي من نوع صبار الشيمة ذي الأشواك والأزهار الصفراء، وكذلك شجرة العَدَنَ الغريبة الشكل ذات الأزهار الوردية، وهي مصدر للبخور، وتنمو إلى ارتفاع (٦) إلى (١٢) قدماً ويضيق ساقها إلى أعلى عند قاعدة متفخة درنية. ويجري غيل عنيف في الوادي نفسه فوق بطن حصوية، ويستمر لمسافة إلى حيث قرية صغيرة تسمى الحمى، تقع عند حافة أرض الحباطة المرتفعة. تتبع هذه المستوطنة قوم عبس (قحطان)، الذين يرتبطون بصلة قرابة مع أهالي الحقو. لقد

كانت غابات قصبي مملوءة بالطيور من بينها العجولة، وتسمى هنا أبو معول، وفي كثافة، كما كانت في وفرة كذلك طيور القنبرة طويلة الذيل والتُمير الأسود، كما لاحظت بعض طيور أبو مطرقة وهي بجوار الماء، وشاهدت أحد أعشاشها الضخمة على إحدى الأشجار^(١). يقول يزيد إن وادي قصبي ما هو إلا استمرار لوادي الجوة^(٢)، الذي ينبع من الجرف الذي شاهده عند ممر علبين^(٣).

نحن الآن داخل منطقة السفوح التلية، وسرعان ما عبرنا قصبي وغديره المرتفع الذي يبلغ عرضه (٢٠) ياردة وينحدر ماؤه فوق الجدول الحصوي، متجهاً إلى حقول قرية أم الرماد، وهي مستوطنة أخرى تتبع بلغازي. ويقع قسم آخر من القرية الصغيرة إلى يسارنا وبه مسيل عميق نسبياً ترتفع ضفتاه إلى ١٠٠ قدم، ويفصلهما الشست الذي من فوقه يقع طريقنا الذي أخذ يرتفع تدريجياً إلى حيث مضيق في سلسلة منخفضة في بلاد عارية وجافة. ثم تركنا وادي قصبي الآن من خلفنا، وتواجهنا سلسلة من جبال وهضاب تقع على مسارنا الشرقي ناحية وادي عيَّان. كما يوجد عدد من القرى المتفرقة فوق قمم السلاسل، كان من بينها كدرة عافية وهي على بعد (٣) أميال، وغلفة، وهي مستوطنة كبيرة، إلى البعيد وتقع على يميننا وتطل على مجرى عيَّان. كنا قد أرسلنا مسبقاً الجمال والعفش في صحبة سعد للسعي الجاد، للوصول إلى موقع لنهاية الرحلة حيث سنقضي الليلة،

(١) هذه المناطق التي يتحدث عنها فيليبي في هذه السطور الوسط بين سهول تهامة وسفوح جبال السروات الغربية؛ ولهذا فهي تجمع صفات السبتين من حيث تنوع الأشجار وتنوع الطيور المختلفة في ألوانها وأحجامها. (ابن جريس).

(٢) أعالي وادي الجوة يتبع لقبائل قحطان في بلاد السراة، وتخرق هذا الوادي طريق متوسطة الصعوبة تسلكه السيارات من السراة إلى أراضي تهامة. (ابن جريس).

(٣) ممر علبين أحد المنافذ بين السعودية واليمن في بلدة ظهران الجنوب لقبائل وادعة. (ابن جريس).

غير أن قافلة حميرنا قد رسمت لوحة جميلة وهي تنطلق في طريقها من فوق ومن بين سلاسل السفوح التلية المنخفضة. يشير تركيب هذه الأرض إلى تجمع كبير من القباب الكبيرة ذات الأحجام المختلفة مجتمعة معاً في شيء من الفوضى وتفصلها عن بعضها البعض سلسلة مساليل تنحدر إلى وادي عيبان. يسمى واحد من هذه باسم شعيب معروك وبه بعض الزراعة التابعة للحناية على ضفتيه، بينما ألقينا نظرة من قمة السلسلة إلى ما يليها حيث شبكة وادي عيبان الذي تصب كلها فيه.

يمكن رؤية ما يقارب نصف دسنة من القرى، على مساحة يبلغ نصف قطرها ميلين، وهي تقع على رؤوس السلاسل والهضاب، فوق السفوح الجبلية ونحن نطيل النظر إلى الخلفية الرائعة للجبال الكبيرة، وقد بدت قريبة منا وشامخة من فوقنا، وعندما كانت تعبر السماء سحب متقطعة. تقع قرية غلفة ناحية الجنوب أسفل كتلة صخرية هرمية الشكل ومعها كدرة عافية. لقد تعرجت أكبر هذه القرى من أمامنا ناحية الجنوب الشرقي، على حافة منحدر للشاطئ البعيد لعيبان، وتسمى الحناية، وتقع قرية خطوة الحجوة الصغيرة بينها وبين معتقة وهي مستوطنة مهجورة على قمة تل هرمي صغير. وتقع قريرتان صغيرتان إلى ناحية الشمال الشرقي، وهما الحرف وثاهر الغدير من فوق سلسلة تبعد حوالي ثلاثة أميال إلى الخلف منا، وتقع شهران على سلسلة أخرى مع بعض المدرجات المعدة للإمساك بمياه الأمطار، التي تزرع عليها المحاصيل. لقد كانت معظم مساكنهم أكواخ من الحجارة مع بعض العشش المصنوعة من الأعواد وتكون مبعثرة فيما بينها. ويقع سوق هذه الأرض السطحية التلية في عيبان ويسمى سوق عيبان أو سوق الخميس والذي - للغرابة - لا يقع في وادي عيبان ولكن يوجد أسفل كتلة فيفاء في وادي جوراء. ويتصل وادي عيبان، مع المجرى الكبير فيما يلي حافة السفوح التلية إلى

أعلى موقع التقائه مع وادي ضمد، الذي كما قد رأينا يجري إلى البحر قليلاً إلى الشمال من جازان. ولا يرتفع عيان إلى أكثر من سلسلة الحرف، بصفافه العميقة وأشجاره الكثيفة ومجراه الذي يبلغ عرضه (٣٠) ياردة. ثم هبطنا مجراه، وبعد أن وصلنا إليه عبر مسيل ضحل شجري، حيث توجد بئر واسعة الفم مبنية تقع على الضفة اليسرى واسمها الغاوية ثم صعدنا مرة أخرى إلى الحناية.

لقد أكرم الشيخ المحلي وفادتنا هنا، وكان اسمه مفرح أم جرو، ويزعم أنه الشيخ الأساسي لقبيلة بني الغازي، والتي تعادلها في الأهمية يهانية فيفاء، وبني حريص، وبني مالك، وأقسام أخرى ترجع من خولان. لقد وفرنا تزودنا بالبن مقابل وجبة الطعام - وهذه بضائع نادرة في القرى الفقيرة - وذلك في داخل خيمة من القضبان التي يبدو أنها كانت مركزاً اجتماعياً، وكانت باردة ممتعة. ويطلقون على المدرجات الزراعية هنا لفظ دموم (وجمعها دمامين)، ويتم بناؤها على مجاري مساليل صغيرة كانت قد تكونت بواسطة انطواءات التلال^(١)، وكثيراً ما تكون منظرية، بأكوانها الحجرية المدورة المنعزلة أو التي قد تتجمع من اثنتين أو ثلاث لسكن مراقبي المحصول.

كان الجو حاراً عند الظهر، وقد واصلنا - وفي مشقة - صعودنا إلى التل وهبوطنا حتى وصلنا إلى طريق مستو وعريض يقود إلى أسفل، إلى وادي جوراء عند معتقة التي تبعد عنا الآن مسافة نصف ميل ناحية اليسار، والتي كانت أطلالها

(١) هذه الأجزاء الواقعة عند سفوح جبال السروات الغربية توجد بها الأراضي الزراعية الكثيرة التي تكثر فيها المدرجات الزراعية المبنية بالحجارة كما عند أهالي السروات الممتدة بلادهم من صنعاء حتى بلاد الطائف. وفائدة هذه المدرجات أنها تحفظ تربة المزارع من الانجراف، كما أنها تفصل المزارع بعضها عن بعض فتصبح كل مزرعة معروفة بحدودها ومعالمها الأرضية. (ابن جريس).

عبارة عن مركز حربي قديم للإدريسي . كانت الضفة اليمنى لجوراء في هذا الموقع منحدره باعتدال إلى جرف ارتفاعه (١٥٠) قدماً، وبه ممر يقود إلى أسفل الوادي العريض، والذي في بطنه يجري غدير ذو اعتبار تحفه ضفاف معشبة منحدره ناحية كتل الآجمات . لقد وصلت جمالنا مؤخراً لهذا المكان على الرغم من أنها كانت قد سارت قبلنا بفترة طويلة، وأنا قد تباطأنا في الطريق . لقد قررت أن نتوقف في هذا الموقع اللطيف، لنهيم للجمل فترة راحة لبداية تالية للسفر، وكان معنا مفرح الذي رافقنا من الحناية . لقد كان مفرح هذا رجلاً مرهقاً ويبدو عليه المرض، ولربما كان ضحية لمرض السل، على الرغم من أنه يعزي حالته الصحية إلى الحمى الواسعة الانتشار في هذه القرى، التي تعتمد على مياه الغيل الجارية في أوديتهم . بدا مجرى جوراء وكأنه ذو امتداد كبير، وقد احتل كل المساحة التي حللنا فيها . لقد انتهزت هذه الفرصة المناسبة واغتسلت جيداً في مياهه الباردة المنعشة، ثم أدينا صلاة الظهر فوق أرض معشبة خضراء على حافة الغدير .

كانت الساعة الرابعة مساءً حينما امتطينا حميرنا، وواصلنا سيرنا أعلى الوادي، وقد انحدرت السفوح العظيمة لكتلة فيفاء إلى أسفل المجرى على جانبنا الأيمن . أينما نظر المرء فإنه يجد آثار الناس ومساكنهم، التي بدت وكأنها قلاع صغيرة أكثر منها منازل، وعادة ما تكون منتصبة منفردة على بعض الهضاب أو القمم العالية، وأحياناً أخرى تكون في مجموعات صغيرة حين يسمح مستوى الأرض بذلك . لم أر مثل هذا المشهد من قبل . إن فيفاء مدينة جبلية، وقد انتشرت مساكنها فوق مساحة واسعة في كل موقع ملائم، بينما ملئت الفراغات المعترضة بحقول ذات مدرجات، المدرج تلو المدرج من القاعدة إلى القمة . ويُعتقد محلياً أنه يوجد في فيفاء حوالي (٦٠٠٠) مسكن من هذا القبيل، وأعتقد أن هذا تقدير

صحيح وأن عدد سكانها يبلغ (٢٥٠٠٠) نسمة. لقد كنا على ارتفاع (١٢٠٠) قدم فوق سطح البحر عند مياه غيل جورا، ويرتفع سوق عيبان بحوالي (٢٥٠) قدماً فوق ذلك، بينما تقع قمة فيفاء على ارتفاع (٥٧٠٠) قدم فوق سطح البحر. ويقدر طول محورها الرئيس من ناحية الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي، من نهري جوراء وضمد بحوالي خمسة أميال ويصل أعرض موقع له إلى ثلاثة أميال. ويقدر أن نصف المساحة الإجمالية للمنطقة تشغله مساكن أو مدرجات زراعية^(١).

لقد كنا نسير أحياناً في الوادي، وأحياناً أخرى عبر الألسنة البارزة لقاعدة فيفاء، ثم مررنا بحافة جلمود سلسلة معتقة على اليسار والتي من عندها ينحدر المجرى إلى الخلف داخل منعطف حاد بين ضفتين مرتفعتين. ثم مررنا بقرية المَرْمَا الصغيرة بعد ذلك، وتقع فوق نتوء على الضفة اليسرى، وبحقول ذات مدرجات ويقصر جيد البناء وبيع بعض الحصون التي تحرس نهاية فيفاء. ظل النهر الجاري في رفقتنا كما وقفت بعض المنازل لقرية خطوة على ضفته اليمنى قليلاً إلى الأمام، بينما تقع قريتنا سرأم القرع على الضفاف المقابلة فيما يليه. لقد كانت معظم حقولها إلى الأسفل وداخل المجرى، إلا أن القريتين نفسيهما تقومان فوق سلاسل تطل عليه -ربما لتحاشي مرض الحُمى (سَدَم) المنتشر في هذه الأودية ذات مياه الغيل. وكانت هنالك امرأة تقوم بسحب الماء من بركة نحتتها من داخل الرمل، وبعيداً عن الوادي وذلك لأغراضها المنزلية، وكنت قد توقفت لأشرب من الماء الذي احتفظت به في القَرَع^(٢) التي كانت تستخدمها للماء القربة الجلدية، لقد

(١) للمزيد عن تاريخ وجغرافية بلاد فيفاء، انظر: عبدالرحمن الشريف، المرجع السابق، ج٢، ص ١٨٠ -

١٨٥. (ابن جريس).

(٢) تسمى هذه الأداة محلياً ب (الشِقْفَة) وتصنع من القَرَع واليقطين بعد تجفيفه وتجفيفه. (المراجعون).

ناولتها ريبالاً مقابل كرمها هذا، ثم واصلتُ سيرى لأصل سريعاً إلى حقول سوق عيبان -وهي أحواض ذات حواجز بنيت من طمى الوادي، وبها حقول ذات جدران حجرية متسلقة فوق السفوح على الضفة اليمنى، ومن خلفها على هيئة المدرجات. لقد كانت قرية كثيبة ذات منازل وحيدة الطابق، ومبنية من الحجر فوق مسطبة مسطحة ترتفع إلى حوالي (٣٠) قدماً فوق وادي جوراء عند الزاوية التي تكوّنُها ضفتها مع الضفة اليمنى لمسيل شعيب القات، الذي يهبط من سلسلة خَدُور المجاورة، والتي من ورائها ارتفعت سلسلة مَصِيدَةُ ذات القمم الثلاث وكتلة صُمام المنعزلة. كانت أكواخ سوق عيبان متشرة في مجموعات صغيرة من (٤) أو (٥)، وكانت كلها مستديرة الشكل وكان السقف فيها مسطحاً ومن اللبن ومدعماً بالأعمدة. ويشتمل السوق على ساحة صغيرة مكشوفة تقع بين القرية الصغيرة وسفح التل، وهو مؤثث بصفّين طويلين للأكشاك وتفصلهما حواجز من الحجارة، وكانت كلها ذات سقف من القش المدعم بأغصان العلب والبشام العطري. كما كانت جوانب التل مغطاة في كثافة بشجرة تسمى المظ ثمارها عنبية.

ينحدر مسيل بِيضَانَ الذي يجري مقابل القرية من سفح فيفاء، ليصب في جوراء داخل دلتا واسعة كثيفة الشجيرات، وقد تم إعداد معظم مساحتها للزراعة وجهزت بالمدرجات، كما انحدر العديد من المساليل الأخرى إلى هذا الموقع الذي ينتهي على مساحة نصف ميل أعلى القرية داخل منحنى حاد ناحية اليمين وحول صخرة بارزة. لقد حجب ضباب خفيف من ناحية الجبال قمم فيفاء عن مجال الرؤيا، غير أنه يبدو أن كل بقعة في كل مكان صعوداً إلى أعلى قد شغلها مسكن. لقد كان الوادي إلى أسفل هادئاً وساكناً ورطباً وموحلاً، ذلك لأننا كنا قد انجسنا كلية بين السلاسل على الضفة اليمنى والجوانب العالية لفيفاء. وكانت أدنى درجة حرارة ليلاً هي (٦٣) درجة، غير أن درجة الحرارة في الليلة التالية

بلغت (٦٨) درجة، ولقد كان علينا قضاء اليوم التالي كله هنا وذلك بسبب عدم وصول فريق الحمالين من فيفاء لنقل عفشنا.

لم يكن زوار سوق عيبان مثيرين للاهتمام، غير أننا ابتعنا منهم جدياً للعشاء، وعدداً من الدجاج (خمسة دجاجات بريال واحد) لعشاء الليلة التالية. وكان يزيد الذي رافقنا من العيدابي، قلقاً يفكر في الذهاب إلى وطنه، لحضور مأتم المرأة العجوز، التي كانت قد توفيت في ذلك الصباح ولاستقبال التعازي من الزوّار المتوقّعين. لم ينتظر يزيد لتناول العشاء معنا وذهب بمبلغ الريالين بدلاً من الريال الواحد الذي كان يتوقعه. تناول طعام الغداء معنا كل من مفرح والرجل الآخر، الذي أقبل من قرية الحناية، ولم يكن أي منهما مفيداً لنا، وقبل أن يستأذنا، فقد أخذ كل منهما ريالاً مقابل خدمات اليوم. كما وجدت ولدهشتي وسروري أن جهاز الراديو استعاد عافيته دون أن أحسب لذلك أي حساب، بعد ما كان عليه في الليلة السابقة، وبدا الاستقبال بصورة طبيعية.

تمكنت من استقبال أخبار العالم كالعادة، أثناء قيامي بتحزيم وإصاق الرقع على ما تحصلت عليه اليوم من عينات، والتي تضمنت أول عينة من طائر الفردوس، صائد الذباب الذي كان الذكور منه ذا ذيل طويل جداً، وطائر الصرد الذي لم أشاهده من قبل. كما تحصلت أثناء النهار على طائر الحجل الصخري العربي العادي، وعلى طيور أخرى عديدة. كما قمت بجمع كمية وافرة من المجموعة النباتية الغنية، والتي - ومن الغريب جداً - بدا أن الناس في هذه الأنحاء يعجبون ليس باستخداماتها العملية، أو الرعوية أو الطبية، وإنما بتأثيرها الزخرفي. لقد رأيت العديد من الرجال أثناء النهار، وهم يضعون أكاليل أعشاب عطرية خضراء على رؤوسهم أو ينسجونها في شعورهم، بينما يرتدي آخرون قبعات

مهيبة من سعف النخيل مع ريش طيور كبيرة قائمة^(١). وكان ذلك هو عامل الأناقة الذي ينعدم في ساكني الصحراء. يعد وادي جوراء من سوق عيبان حتى قرية يَبْضَانَ إلى أعلى قليلاً وفي مقابل الوادي محددًا الحدود الجنوبية لبلغازي. ويبدو أن حدودهم شمالاً كانت عند وادي قصبي وسلسلة مصيدة، والتي من عندها إلى سوق عيبان تمتد الحدود الشرقية^(٢).

في الصباح كانت هناك طبقات كثيفة من السحب تغطي فيفاء، امتدت إلى حوالي (١٠٠٠) قدم من الوادي، وقد اهتزت حواسي بفعل صوت مزمار راع يعزف لحناً رقيقاً من جانب الجبل، كنا نتوقع وصول فريق الحمالين عند الفجر ولم نتبه للحقيقة المهمة أن اليوم كان يوم الاثنين، وهو يوم السوق في فيفاء نفسها. لم يحضروا على أي حال، ولما كان كل النقل فوق الجبال محصوراً للحمالين من البشر، وذلك بسبب صعوبة النقل بالحيوانات فوق الصخور الشديدة الانحدار، كان علينا أن نلزم الصبر. لقد تم تنبيهي - بالمناسبة - بأن معظم الحمالين سيكونون من النساء، وكنت أفكر إن كنَّ سَيَكُنَّ في كفاءة أخواتهن في جبال الهملايا، حيث تستطيع النسوة هناك رفع أثقال مدهشة. لقد اشتمل فريق الحمالين حين وصوله في صباح اليوم التالي على عدد متساو من الرجال والنساء - حوالي درزن من كل جانب - وكان بعض النسوة متناهيات في الصغر لا يزيد طولهن عن ثلاثة أقدام ونصف القدم. ارتدى كل النسوة ثياب خارجية فضفاضة تصل إلى

(١) هذا النوع من اللباس لا زال منتشرًا ومستخدماً عند بعض سكان تهامة وبخاصة القاطنين في المناطق الجبلية الريفية من سفوح جبال السروات الغربية. (ابن جريس).

(٢) للمزيد عن سوق عيبان، والمعروف بـ (سوق الإثنين) في بلاد بلغازي، انظر: عبدالرحمن الشريف، المرجع السابق، ج٢، ص ١٨١ - ١٨٢. (ابن جريس).

أسفل الركبة، بينما ارتدى الرجال ما يغطي العورة فقط. وعندما جاء موعد التقسيم، كان جهاز الراديو وواحدة أو اثنتين من المعدات الثقيلة، من نصيب الرجال. في الواقع لم أعتقد أن أيًا من هؤلاء النسوة يمكنها حمل هذه الأشياء، إلاّ أنهم وتحت ثقل احمالهن كنّ يمشين مشية متأرجحة نشطة. لقد كنّ متسلقات جبال ماهرات.

عموماً، فقد أمضيت يوماً جميلاً في التجوال حول المكان، ومعني بندقيتي وشبكة صيد الفراشات، مكتشفاً بعض الأماكن من أعلى الوادي ومسيل بيضان الكثيف الشجر، والذي استمتعت فيه بإغفاءة القيلولة بين أشجار الأراك المتداخلة مع نبات الغُلف^(١) الذي ينمو بازدهار في كل مكان. ذكرتني كتلة فيفاء الضخمة بجبل هرمون، ولكن بدون قلسوته الثلجية، وهي قمة مهيبية، أو هي هضبة مدعمة من كل الجهات بكتوف ضخمة من صخر شديد الانحدار. فيفاء عموماً، عبارة عن أحزمة متتابعة من المدرجات التي أدهشتني، كانت هذه المدرجات متقطعة في السفوح السفلى، بينما تكون متقاربة لدرجة الالتحام عند ارتفاع (٣٠٠٠) قدم. وقد كشفت هذه المدرجات عن حب المغامرة والصناعة عند أهل هذه الجبال مقارنة مع أهل وادي بيش الكسالي، وقد أدهشني فشلهم التام في الاستفادة من وادي جوراء نفسه ومياه غيله المستديمة الوافرة، وكان تفسيرهم لذلك أنهم لا يستطيعون مواجهة السيول الموسمية التي كانت تنهمر بكميات هائلة، فتجرف كل شيء في طريقها إلا ما امتنع. وحتى الآن لا أستطيع أن أتخيل أنه في يوم ما،

(١) الغُلف: شجر متسلق إذا وجد ما يتسلق عليه وإلا زحف على الأرض، أوراقه خضراء في حجم راحة الكف، وقد تكبر أو تصغر، ويؤكل مطبوخاً، وفي طعمه بعض الحموضة، وكذلك كان يستخدم لتضميد الجروح، وللمزيد عن نباتات بلاد تهامة والسراة، انظر: كتاب النبات للدينوري، وبخاصة الجزءان الأول والثاني، كما انظر: غيثان بن جريس، صفحات من تاريخ عسير، ج١، ص ٣١ - ٤٣ . (ابن جريس).

ربما في المستقبل غير البعيد، سيكون في مقدور الحكومة السعودية ترويض هذه الأودية الجبلية العظيمة في مشاريع كبيرة لري منخفضات تهامة - وهي أرض في حجم الدلتا المصرية-.

لقد كانوا أناساً محبين للاستطلاع، هادئين، مختلفين تماماً عن كل الآخرين في الجزيرة العربية. يمكنهم الوقوف دون حراك، وأن يطيلوا النظر ناحيتي وأنا أعبر غير أنه إذا توقفت مثلهم وأطلت النظر ناحيتهم، فإنهم يتململون كالأطفال ويذهبون في حال سبيلهم وكأنهم قد نسوا شيئاً ما، يحمل معظمهم هراوات طويلة، ويحمل بعضهم بنادق بدلاً عنها - بشكل أفقي فوق الكتفين من خلف العنق - ويدلون أذرعهم من فوقها إلى الأمام^(١). كما كانوا يغطون الجزء الأعلى من أجسامهم مع برودة الصباح بقطعة من القماش، وعندما تشتد الحرارة يلفونها حول الأزر التي تغطي عوراتهم.

لقد استيقظت مبكراً عند وصول الحمالين، في الثاني والعشرين من ديسمبر. تبدو قمم فيفاء الآن واضحة وصافية في حزام من الهواء الخالي من الضباب الذي يقع بين طبقة سميكة من السحب، وبين جداران من ضباب كثيف بدأ يصعد إلى أعلى الجبال من الأودية على الجانبين. ثم اختفى هذا المنظر فجأة باتصال السحب مع الضباب، ولم نكد نر شيئاً من الأجزاء العليا للجبل، حينما بدأنا الرحلة عند الساعة (٨، ١٥) صباحاً، كانت هنالك لمسة رطوبة واضحة في الجو غير أن الندى لم يكن كثيفاً أثناء الليل. يوافق هذا اليوم بداية الشهر الثامن لجولاتي، وفي أحوال كثيرة فقد جلب لي تجارب فاقت كل تجاربي السابقة. لقد تم حمل الشنط

(١) هذه العادات كانت منتشرة بكثرة في أجزاء عديدة من جنوبي البلاد السعودية، مع العلم أن بعض البدو وكذلك سكان الأرياف والرعاة لا زال بعضهم يمارسها حتى الآن. (ابن جريس).

على الأكتاف بين الكثير من الصراخ والجهد، وانطلقنا تاركين الجمال والحمير لتسلك طريق وادي جورا، إلى موقع تم تحديده لها حيث سنقابل الجميع هناك بعد يومين.

سلكنا الشاطئ الجانِب للمجرى مدة عشرين دقيقة، عبرنا خلالها فم مسيلين هما قَعَصِنُ وَجَيْرَان، عبر عشب وغطاء نباتي لا يزال مَبْتَلًا بالندى، ثم استدرنا عند مسيل السَرِبِّ، وهو مسيل ثالث أوصلنا خلال نصف ساعة قضيناها في صعود شاق إلى البرك الصخرية العظيمة في الوغرة^(١)، تتكرر كلمة الوغرة كثيراً في هذه المنطقة! تعني بركة صخرية يضاف إليها اسم المسيل التابع لها - وذلك عند الضرورة - لأجل تحديد أيٍّ منها هو المقصود. وتقع هذه البرك الصخرية - العميقة والشفافه والممتلئة بالأسمك الصغيرة، - فوق وأسفل جرف كبير، يبلغ ارتفاعه (١٠٠) قدم، وعرضه (٥٠) ياردة عبر الوادي. تتصل هذه البرك بواسطة انسياب خفيف لشلال يمر إلى أسفل من على واجهة الصخر الشديد الانحدار - والمكوّن من الشست الذي قد أملسته المياه وبلونه الأزرق الساطع، والذي تنحدر المياه من فوقه، خاصة أثناء السيول كأنه صورة مصغرة لشلالات نياجارا^(٢). لقد كان هدأً صغيراً جميلاً كثيف الشجر، وكانت أشجاره ضخمة قد تقطّرت الرطوبة من جذورها العارية، ومن السراخس ومن غطاء نباتي آخر، بينما انتشر فوق أغصانها المتشابكة أوراق نبات والهدال^(٣). ثم انسدَّ طريق مرورنا إلى أعلى

(١) الوغرة: هي الاسم المحلي للعين الحارة. انظر: العقيلي، المعجم الجغرافي، ص ٧٦. (ابن جريس).

(٢) شلالات نياجارا: هي الشلالات الموجودة في كندا والقريبة من حدود الولايات المتحدة الأمريكية من الجهة الشمالية. (ابن جريس).

(٣) الهدال: - نبات يحمل ثماراً بيضاء صغيرة، ويستخدم للزينة، وكذلك غذاء لبعض المواشي مثل الأغنام والماعز. (ابن جريس).

المسيل، بواسطة الجرف الذي كنا قد استدرنا من حوله، لنصل إلى الجانب الأيمن لمضيق السرب الذي يجري شرقاً ناحية الجبال.

ويسلك طريقنا السرب إلى فترة ما، ثم يتخذ الطريق بعد ذلك ناحية مسيل مروة الرافد، الذي تركناه بدوره لتتبع السبجة، وهو مسيل آخر ناحية الشمال الشرقي. كنا لا نزال على السفوح السفلى المنخفضة لفيفاء، وكنا على حوالي (٣٠٠) قدم فوق وادي جوراء، بعد مسيرة ساعة كاملة متقطعة. لقد كانت الغابة الكثيفة الشبه مدارية ممتلئة بالطيور والفراشات وعدد من حشرات أخرى، غير أنني رأيت فوق كل هذا مجموعة صغيرة فقط من قردة البابون في منطقة فيفاء، وربما يعزى هذا لوجود حركة الإنسان.

لقد صعدنا الآن هذا المنحدر الذي يقع بين مرده والسبجة لنصل إلى قرية السربة الصغيرة، وهي عبارة عن مجموعة من الأكواخ المدورة المسقوفة بالطين يبلغ قطر الواحد منها عشرة أقدام، وتقع على قمة سلسلة تطل في انحدار شديد على المسائل من الجانبين على عمق (٢٠٠) قدم أسفل منا. وتنقسم مرده نفسها من عند مسيل الجرف بتواء مماثل، وهي موقع لالتقاء كل هذه المصارف أعلى شلال الوغرة، التي تكون بعد ذلك مجرى السرب. ومن خلال هذه التواءات المتجاورة والمنخفضة قليلاً عن مستوى ارتفاع القرية الصغيرة، يعترض الشست بواسطة حزام - سمكه حوالي (١٢) قدماً - من المرمل^(١) الأصفر والبنفسجي، والذي كنت أعتقد أنه يشبه ترسبات المغر (البوكسيت) التي كنا قد قابلناها في أجزاء أخرى من هذه البلاد التلالية. لقد كان واضحاً أنها نوع من بعض الصخور المتحولة، وربما

(١) المرمل: نوع من الطين يستعمل كالسماد في بعض الأحيان، ويوجد في أجزاء عديدة من مناطق جنوبي البلاد السعودية. (ابن جريس).

كانت عرقاً من الرخام يقع تحت جرانيت رمادي وفوق الشست الذي يبدو أنه ينتهي عند هذه المرحلة.

ينتهي نتوء السربة عند صخرة عالية، على ارتفاع (٢٤٠٠) قدم فوق سطح البحر، إلى الشرق من القرية الصغيرة، الذي نظرنا من فوقه إلى أسفل في خط مستقيم إلى شلال الوغرة، ونقطة بداية انطلاقنا عند سوق عيبان. وتقع إلى الجنوب منا وعلى حافة حرف أسود يطل على مسيل الجربة إلى أسفل، قرية صغيرة بالاسم نفسه بحقولها ذات المدرجات الصاعدة والتل من ورائها. لقد رأيت ناحية القرية النسوة الحاملات لعفشنا وقد سلكن طريقاً مختصراً لتصل إلى الطريق الرئيس أمامنا بالقرب من الجربة. واصلت النسوة الحاملات سيرهن وهن يغنين ولا يبدو، أنهن يفكرن في أمر حملهن، بينما لا يزال الرجال بأحمالهم الثقيلة متخلفين إلى الوراء. كنا لا نزال نصعد فوق الطريق المتلوي، الذي لم يكن منحدرًا وذلك لأنه كان يصعد من مستوى إلى آخر. كانت هنالك حقول ذات مدرجات عند هذا الارتفاع على كلا الجانبين، إلا أنه فقط، حينما نصل إلى ارتفاع (٣٠٠٠) قدم فوق سطح البحر، يكون الطريق الذي سلكناه قد دخل بالفعل في منطقة الزراعة بالمساطب والتي تبدو أنها مرتبطة مع وجود الجرانيت اللين للسفوح العليا. كان عرض المساطب التي كانت تتبع الخطوط الكفافية للتلال، بضع خطوات بينما ترتفع الجدران المدعمة التي تفصل الواحد عن الآخر، بين قدمين إلى أربعة أقدام. وقد تكون الحقول ذات المدرجات أحياناً عريضة ويصل ارتفاع الجدران من (٨) إلى (١٠) أقدام. وتعتمد هذه العوامل - كما يعتقد - على صفة السطح.

توقفنا لالتقاط الأنفاس عند صخرة ضخمة ناتئة ترتفع إلى (٣٧٠٠) قدم فوق سطح البحر، حيث ينتهي نتوء السَّرْبَةِ عند سفح كتف ضخمة يمتد إلى هذا الموقع من جهة الجنوب الشرقي. ثم تطلعتنا من هذا الموقع ناحية الجنوب على امتداد جوانب فيفاء، وفوق قرية عين مبراه الصغيرة ومساطبها، وتليها قرية أخرى صغيرة، عبارة عن مجموعة من المراحيض حول مسكن جميل يشبه القلعة، ويسمى حصن القَهَبَةِ. كما توجد قرية ماثلة وسط الحقول عند الموقع الذي توقفنا فيه بجوار ضريح مبني كبير، ارتفاعه قدمان ونصف القدم وعرضه قدمان، على جانب الطريق، وتسمى هذه القرية دحبة. وصلنا بعد قليل إلى قرية سلعي وهي عبارة عن مجموعة من نصف دستة من الأبراج الأسطوانية، عند حافة بعض المدرجات حيث كان الناس حينها يقومون بالحراثة لبذر محصول الشعير التالي. وقتت على مسافة إلى أعلى طريقنا عند ارتفاع (٤٠٠٠) قدم فوق سطح البحر، قرية حيدرة النظرية، مظلة بأبراج كل من المحماة وعاوي، قليلاً إلى أعلى السفح ناحية الجنوب، بينما شمخت ناحية الشرق أبراج كل من الغارب والعَبْسِيَّة.

بدأنا نقرب الآن من منطقة القمة التي كانت عبارة عن كتلة من المدرجات والمباني المبعثرة المتباينة الشكل، تتفاوت أشكالها من هيئة الكوخ إلى القلاع المهيبة. لقد بدت المدرجات تعج بالبشر في الدواير التي ترتفع حوالي (٤٦٠٠) قدم فوق سطح البحر، وذلك أثناء اقترابنا منها، وسرعان ما اتضح لنا السبب وراء ذلك؛ وهو أن كل السكان في المنطقة قد حضروا لاستقبالنا، وقاموا بإطلاق النيران من بنادق المسكت المختلفة الطراز بواسطة حرس الشرف الذي اصطفَّ على المسطبة السفلى للقلعة، من وراء الشيخ المحلي واسمه جابر، الذي تقدم إلى الأمام لمبادلتنا التحيَّة ولإدخالنا في مملكته. لقد أمكننا الآن أن نرى العديد من القرى التي تقع

على قمم التلال التابعة لبلاد بني مالك، فيما يلي فيفاء ناحية الشمال الشرقي، والتي سنقوم بزيارتها عما قريب. كانت قرية ختييه، من بين هذه القرى، ذات أهمية لأنها كانت موقعاً لمركز شرطة بني مالك. لقد رأيت من عند هذا الموقع أيضاً أول شجرة بن في فيفاء، بينما بدأ العرعر الآن في الظهور.

ثم عبر الطريق موكب من اليراسيع من صف واحد، يصل طوله إلى قدمين، ويقال إنها تطلق وهجاً فسفورياً بالليل - بينما كوّن حرس الشرف، - وحقيقة، كل السكان المتفرجين - موكباً آخر منافساً، من خلفنا ومن أمامنا مرافقتنا عبر الطريق الملتوي، من خلال قطع الأرض التي يملكونها، وهم يغنون أثناء مشيهم على إيقاع نغم حزين يكاد يكون جنائزياً. كانت المرحلة التالية هي قلعة النقييل وهي أكبر القلاع بين هذه الحقول ذات المساطب وتقع عند ارتفاع (٥٠٠٠) قدم، حيث تقابلنا هنا مرة أخرى مع الحشد السكاني ومع حرس الشرف المكون من (٢٠٠) رجل، والذين أطلقوا عدة قذائف للتحية وذلك حينما تقدم شيخهم للترحيب بنا وهو الشيخ علي بن يحيى، واحد من الرؤساء الرئيسيين لفيفاء وقد أشار إلى موقع منزل أسرته، وهو بناء يشبه القلعة يسمى المروح، ويقع عند الطرف الشمالي لقمة فيفاء، والتي كانت مبرقة على طول امتدادها بمبانٍ أخرى مماثلة.

التفّ الموكب الحشدي الجديد حول أجسامنا النحيلة من كلا الطرفين، وقد تدعّم بالشيخ وبعض حاشيته، ثم واصلنا متابعة الممر المتعرج، والذي يجري عبر المدرجات التي تقع من فوقنا ومن تحتنا. لقد تحرك الموكب في صفين طويلين وهم يغنون أناشيدهم الجماعية حتى وصلنا آخر الأمر إلى مركز الإمارة عند الساعة الثالثة مساءً ويقع فوق الهضبة العريضة للقمة، وهو ليس بأي حال عند قمته التي تقع ناحية الشمال الشرقي على بعد نصف ميل، وتعلوها أطلال قلعة قديمة تسمى

العَبْسِيَّة. يتكون مركز الإمارة الذي يصل ارتفاعه إلى (٥٢٠٠) قدم فوق سطح البحر، من قلعة نموذجية ملحقة بها العديد من المراحيض، ومبانٍ مستقلة، وتتجمع كلها تحت الظل الوافر لشجرة البانان (الأثب)، وتسمى هنا التَّالِق، وعليها كتل من الجذور المتدلّية في الهواء من أفرعها الضخمة سميكة الأوراق. لقد كانت القلعة في موقع مسيطر وتطل إلى أسفل على المدرجات المتراكبة، التي خصصت في هذا الإقليم المرتفع لزراعة البن والسقات والموز، بينما يزرع في الحقول السفلى كل من القمح والشعير. كما تزرع كذلك فاصوليا عريضة الأوراق، ممتدة الساق فوق جدران المدرجات وتتعلق عليها كما يفعل العنب، ويُحد فراغ مستوٍ بالقرب من مركز الإمارة من أحد جوانبه المقبرة، بينما يتم حجز بقية المساحة لمناشط سوق الاثنين المحلي، وقد أعدت له أكواخ قليلة العدد تقوم مقام المتاجر.

كان عبدالهادي -وهو رئيس المركز- مثله مثل محمد بن ماضي في جازان، مواطناً من أبناء الروضة في سدير^(١)، وهو رجل نشط، جاد التفكير، وشاب، ويبدو أنه على تفاهم تام مع هؤلاء الناس، في هذا المركز النائي المنعزل البعيد، وسط قبائل حاشدة. وبناءً على الاعتقاد المحلي، فإن هؤلاء الناس ينتمون إلى مذهب الإمام الشافعي السني، غير أن عبدالهادي الذي كان حاذقاً وحازماً في

(١) من الملاحظ أن معظم رجال الإدارة في أجزاء عديدة من جنوبي البلاد السعودية أثناء زيارة فيليب لهذه المناطق كانوا من نجد وربما من الحجاز. ومن يتتبع أسماء وتاريخ جميع رجال الدولة في هذه الأجزاء يجد أن أعداداً كثيرة منهم هم من فئات المعلمين، من أصول شامية، أو مصرية، وربما عراقية وسودانية وهندية وغيرها. وهذا الموضوع جدير بالدراسة من قبل الباحثين وطلاب الدراسات العليا في الجامعات السعودية. للمزيد انظر: غيثان بن جريس «التعليم وحركة التحول التاريخي في منطقة عسير خلال القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي)». دراسة منشورة في مجلة بيارد الصادرة من نادي أبها الأدبي. عدد (٢٠) (١٤١٨هـ / ١٩٩٧م)، ص ٢٩ - ٤٦. (ابن جريس).

أمور الدين، يرى غير ذلك، وأفتى بأنهم زيديون (شيعة)، وذلك بناءً على طقوسهم الدينية^(١). ويجادل عبدالهادي، بأنهم مثلاً، يصلون منفردين مثل الزيود وليسوا جماعة، ويحتوي أذانهم على فقرة مؤثمة هي: حيى على خير الأمل، بدلاً من حيى على خير العمل^(٢)، وأخيراً فهم يصلون حسب الوقت الذي يلائمهم على مستوى الفرد بدلاً من الالتزام بمواعيد الصلاة، ويجمعون بين صلاة الظهر والعصر، وبين صلاة المغرب وصلاة العشاء^(٣)، وهذا يسمح به عند السنة أثناء السفر فقط.

ربما كانت الحقيقة أن أهل خولان لا يأخذون أمر دينهم مأخذ الجد، ويبدو أنهم لا يزالون يحتفظون ببعض الطقوس الوثنية لأسلافهم ولعل انبهارهم الذي يشبه الزاغ الزراعي نحو الأشياء البراقة بعض من بقايا هذا الاتجاه، قد يكون لإكليل الأعشاب العطرية الذي يضعونه فوق رؤوسهم، كما تم وصفه، يقبل التفسير على أسس صحية شخصية كمطهرات مثلاً، غير أنه لا يوجد سبب مقنع يمكن أن يفسر أساليب تزيين الشعر التي كنت قد لاحظتها في هذا الجزء الأعلى من فيفاء. لقد كانوا يستخدمون أي قطعة من قماش براق اللون أو خرقة لذلك، كما تستعمل ورق صناديق سيجار البحاري المقوى الأصفر اللون والأغطية الملونة للكراميلة للغرض التزيني نفسه.

(١) المذهب الشافعي كان السائد في الأجزاء التهامية، وأجزاء من المناطق الجبلية، أما المذهب الزيدي فكان منتشرًا في بلاد صعده وصنعاء وما حولهما. (ابن جريس).

(٢) هذا قول غير سليم، وبخاصة في الأجزاء التهامية فهم منذ ظهور الإسلام إلى اليوم وهم يؤذنون بالأذان المعروف عند أهل السنة والجماعة. وربما يكون بين سكان هذه البلاد من كان على المذهب الزيدي المنتشر في صعده وصنعاء، ولكن مع هذا كله فهم قلة قليلة، مقارنة بأهل صعده وما حولها فهم يذكرون عبارة «حي على خير العمل في أذانهم» لأنهم على المذهب الزيدي (كما ذكرنا). (ابن جريس).

(٣) وهذا الجهل بأمور الدين يعود إلى الأمية المنتشرة في هذه البلاد، وإلى عدم وجود الدعاة والمؤسسات العلمية التي تنور الناس في أمور دينهم. (ابن جريس).

شيء آخر من مخلفات الماضي البعيد، يمكن الإشارة إليه بما يمكنني أن أصفه بأنه الأسلوب المحلي لأداء لعبة الكريكت المحترمة. كنت قد شاهدت مباراة حية أثناء فترة ما بعد الظهر، يستخدم رجل المضرب عصي طولها (٣٠) بوصة، ثم يرمي إلى أعلى بقطعة صغيرة من خشب - (٤) إلى (٦) بوصات طولاً - ثم يضربها فتنتلق مندفعة في الهواء ناحية اللاعبين، والذين كان هدفهم هو الإمساك بالكرة بقطعة من قماش، تمسك مكشوفه بكلا اليدين، ويعيدونها بأسرع ما يمكنهم إلى رجل المضرب، وإذا فشل هذا في إصابتها بالعصى فإنه يخرج حينئذ من اللعبة. تكثر أمثال هذه الألعاب الأثرية بين أطفال الجزيرة العربية، وربما حافظت لنا هذه الجزيرة على أصول ألعاب أكثر تعقيداً، فلقد كان أصل لعبة البولو هو الشام أو الصين، وكان من المثير للدهشة أن نقابل مثل هذه اللعبة في قمة هذا التل النائي. تسمى هذه اللعبة مزاقرة^(١).

لقد أشرت إلى أهل فيفاء بأنهم مجموعة اليهانية من حولان، غير أن هذه المجموعة تشتمل على أكثر من ذلك، وتتضمن كلاً من بني مالك، بني حريص، وبني جماعة، بالإضافة إلى أهل فيفاء. وينقسم أهل فيفاء إلى قسمين رئيسيين هما: آل عبيد، ويقطنون في القسم الشرقي من الجبال، وآل عطا يتملكون الباقي^(٢). وينقسم هؤلاء إلى أقسام عديدة وأسر، وتحمل أسماؤهم الأبراج

(١) للمزيد عن الألعاب الرياضية ووسائل التسلية قديماً في جنوبي البلاد السعودية، انظر: غيثان بن جريس. عسير ١١٠٠ - ١٤٠٠هـ، ص ١٠٨ - ١١٦، وكتاب: أبها حاضرة عسير (دراسة وثائقية، ص ٢٦٤ وما بعدها. (ابن جريس).

(٢) تنقسم قبائل فيفاء إلى قسمين رئيسيين هما: آل عبيد وآل عطا، وينضوي تحت كل قسم عدد من القبائل، وكل قبيلة تنقسم إلى عدة أفخاذ. وجبل فيفاء بصفة عامة ينقسم إلى قسمين شمالي ويسكنه آل عبيد، وجنوبي ويسكنه آل عطا، ويعد نيد الضالع حداً فاصلاً بين القسمين، للمزيد من الإيضاح عن بلاد فيفاء، انظر: عبدالرحمن الشريف، المرجع السابق، ص ٢، ص ١٨٠ - ١٨٥. (ابن جريس).

والقرى الصغيرة التي يعيشون فيها، حيث يشير الاسم إلى رابطة، وحسب ما أستطيع تأكيده، فإن تحت القسم الوحيد الذي يزعم بأن له اعتباراً خاصاً هو الذي يتكون من مجموعة بني حكم التابعة لآل عطا، والتي تحتل القمم الثلاث الشرقية من فيفاء، وهم يتمتعون بموقع مسيطر^(١) مما يؤهله بمرور الوقت ليصبح قسماً. ولا تبدو هنالك أي فكرة حول شجرة نسب قبائل أهل فيفاء، ولم أكتشف أي شيء فيما يخص كلاً من عبيد أو عطا، اللذين تمت التسمية عليهما لهذين القسمين.

يعود نسب الشيخ علي نفسه إلى أربعة أجيال إلى الوراء عبر أسرته الخاصة، وهو: علي بن يحيى بن شريف بن جابر بن علي. ومن هؤلاء قفز النسب عبر القرون إلى سنحان بن فرحان، ثم قفز عبر قرون أكثر إلى خولان بن عامر وهكذا. كما لم يكن لديه إثبات لموقع كل من عبيد وعطا في شجرة النسب، سوى أنهما أبناء أحمد، كما أنه لا يبدو عليه الاهتمام بالموضوع؛ لقد كان رجلاً طاعناً في السن، جذاباً برصيد كاف من كياسة العالم القديم، التي تقوم الحضارة الحديثة في كل مكان بطردها من آخر معاقل دفاعها، وذلك بظهور أجيال جديدة لا تعرف من هو يوسف. وعلى الرغم من سنوات عمره، فمازال علي سليماً معافى يسير معنا ويخطوته الخاصة، على رأس حرسه الخاص من النقييل إلى عند مركز الإمارة، ثم رافقني فيما بعد إلى العبسية بعد وجبة الطعام الممتازة التي كان عبدالهادي قد أعدها لحضورنا، وعلى الرغم من أننا قد وصلنا بعد الظهر لنستمتع بها، فقد توقف علي في جمود، حينما اقترحت عليه بأن كلانا قد تقدم به السن، وكلانا لا يقدر على الإسراع في السير على هذه التلال، فالتفت ناحيتي يسألني عن حقيقة عمري، ولما عرف بأن عمري خمسون عاماً علّق بأنه يكبرني

(١) إن هذه القمم الثلاث تقع في الناحية الجنوبية الشرقية من فيفاء. (ابن جريس).

بعشر سنوات، إذ إن عمره كان ستين سنة، كان عمره بالتأكيد سبعين عاماً وربما أكثر، وهو رجل عجوز عظيم ويحكم رعاياه كأنه بطيريك.

قمت بمقابلة جابر شيخ كل السوق (مركز الإمارة) العَبَسِيَّة وكان رجلاً شاباً وأقلَّ جاذبية، وبناءً على قول عبدالهادي، فهو شخص غير مُرْضٍ خلال التعامل معه، ذلك لأنه كان ينفر من اقتحام الحكومة لهذه المرتفعات الفطرية. لقد قام جابر هذا بمساعدة السيد عبدالوهاب^(١) وبعض متمردي الإدريسي أثناء حرب اليمن، حينما تطلَّبت مقاطعة فيفاء مراقبة دقيقة لمركز محتمل للاضطراب.

أراد عبدالهادي أن يأوي مجموعتي داخل وحول مركز الشرطة، حيث يجد هو الحماية من ضباب الليل الجبلي، ولقد شرحت له الأسباب الجغرافية لرغبتني في أن نعسكر في القمة نفسها، وقد استجاب في سهولة بعد أن اتفقنا على أن نهبط إلى مركز الشرطة لتناول وجبات الطعام. كانت الساعة الخامسة مساءً حينما صعدنا لنجد مسطبة نموذجية لنعسكر عليها؛ تقع أسفل القمة بحوالي (٥٠) قدماً (٥٨٠٠) قدم فوق سطح البحر) والتي كانت عبارة عن مجموعة من حجارة متساقطة من القلعة الأصلية التي ربما يرجع تاريخها إلى فترة الإدريسي، كانت القلعة مربعة الشكل وذات تركيب ضخم، مبنية من حجارة جرانيت وكانت تقف داخل مساحة مسورة بجدار، إلى جانب حصون مستديرة عند الزوايا. لقد كانت بالطبع مهجورة تماماً وقد نمت فوقها الأعشاب الضارة.

(١) هو عبدالوهاب بن محمد بن علي الإدريسي، وكان أحد قادة ومعرفي الجيش اليمني الذي احتل فيفاء في سنة (١٣٥٢هـ). للمزيد انظر: محمد العقيلي. تاريخ الخلف السليمانى، ح٢، ص ٦٦٢ وما بعدها (ابن جريس).

ما كدنا نستقر في المعسكر حتى تجمعت فوقنا السحب حاجبة كل شيء. لقد استقرت السحب في وقت لاحق من المساء، في شريط سميك قليلاً إلى أسفل من مستوى القمة التي كانت واضحة، وكذلك السماء من فوقها. كانت شرائط السحب الكثيفة من حولنا وكأنها تتحرك في كل الاتجاهات. فالتى كانت تقع قريباً منا تتجه جنوباً والتي تبعد ناحية تهامة تتحرك في الاتجاه المعاكس. ويبدو لنا وكأننا نسبح في بحر من السحب تسوقها الرياح في كل اتجاه. لقد ارتفع الضباب سريعاً ليطوقنا بطبقة رقيقة من القناع المائي الذي عم كل شيء، بينما ظل الراديو جيد الاستقبال، علمت من خلاله بفوز إنجلترا في المباراة الثانية في استراليا. كانت الأرض والأسرة وكل شيء مبتلاً بالماء في الصباح وكان الهواء رطباً بارداً، كانت درجة الحرارة (٥٧) درجة فهرنهايت ثم انخفضت إلى (٥٢) درجة أثناء الليل، غير أنها ستكون دافئة عما قليل، ذلك لأنني كنت أطل ناحية الشمس وهي تصعد من خلف قمم الجبال ناحية الجنوب الشرقي، لتطفو فوق شريط طويل مستقيم من الضباب الذي غطى كل السفوح المرتفعة والأودية إلى أسفل. تُسمى مثل هذه الكتل المطوقة من السحب محلياً «عماة»^(١) ذلك لأنها تحجب كل العالم عن الرؤيا البشرية.

ثم حجبت السحب مرة ثانية - بعد يوم صافٍ - كل المنظر ومدة ساعة قبل الغروب، بينما شمخت في وقت لاحق من الليل القمم العظيمة، بما في ذلك العبسية وكأنها جزر فوق بحر هادي من سحب بيضاء تتلألأ في ضوء القمر، الذي

(١) عماة: أوردها فيلبي باسم (عماية) والمقصود بها الضباب. ولفظة (عماة) تكاد تكون كلمة دارجة عند معظم سكان جنوبي البلاد السعودية. وتظهر العماة (الضباب) على الأجزاء المرتفعة من بلاد السراة الممتدة من الطائف حتى بلاد قحطان ونجران خلال فصل الشتاء وأحياناً في فصلي الخريف والصيف. (ابن جريس).

يقترب من كماله. أستطيع أن أرى وبوضوح سلسلة الجبل الأسود تدور ناحية الكتل العالية لكل من النظير ورازح، وهي نقاط جبلية يمنية خارجية تطل على سفوح الحدود، بينما نهضت على الجانب الآخر الكتل الضخمة لكل من الحشر وبني مالك. ثم ذهبنا إلى مركز الإمارة لتناول العشاء بعد غروب الشمس مباشرة، وعدنا ومعنا عدد من الزوار كانوا يرغبون في الاستماع لأخبار العالم، وكان أبرز ما فيها تلك الليلة هو انتهاء اللجنة الملكية من مهمتها في استطلاع الرأي المحلي، والإشارة إلى موعد مغادرتها الذي اقترب.

قضيت النهار متجولاً بين المدرجات الزراعية، حيث رأيت الكثير من نبات القطن وقد نما بصورة متقطعة، إلى ارتفاع يعادل الأشجار الصغيرة. ويتم جني هذا القطن للاستخدام المحلي، غير أن النباتات تظل نامية لأعوام ويبدو أنها تزدهر في مثل هذا الطقس. كما كانت نباتات زراعة التبغ وافرة أيضاً، على الرغم من أنها مثبتة رسمياً. كما كانت أشجار العرعر في كثافة وكذلك شجرة السرو (السَّعْبِر) ذات الأغصان العطرية. كما كانت هنالك أيضاً بعض أشجار الخوخ، وهي ليست كثيرة العدد إلا أنها مزهرة الآن، كما أن حجم ثمرة الموز المحلي صغير، وغليلة صفراء وهي من درجة متدنية مقارنة مع الموز الطويل الرفيع الأخضر، الذي يستورد بكميات كبيرة من النظير وما جاورها. وتشتمل الحبوب هنا على الدخن والشعير وبعض القمح الذي تتلقى الحكومة منه عائداً سنوياً يقدر بـ (١٢٠٠) ريال على حساب نسبة العشر، وهذه هي الجملة النهائية التي يتم استلامها بعد تسديد تكلفة الجمع التي تأخذ شكل نسبة مقربة مخصصة لمختلف الناس، الذين تكون لهم علاقة بمراحل المبايعة المختلفة.

وتقسم الحبوب إلى عشرة أكوام، تحت إشراف الخراصين، ويقوم الرئيس المحلي (تحت قسم) لكل منطقة، باختيار كومة للحكومة، ويشرف على مراجعة هذا العمل الشيخان الرئيسان لكل من آل عبيد وآل عطاء واللذين بناءً على تقريرهما، يتم رفع نصيب الحكومة إلى المخزن الرسمي مع تخفيض (١٠٪) للشيخ الرئيس و(١٠٪) أخرى للرئيس المحلي، و(٥٪) للذين يقومون بالتقدير. ويكون نصيب الحكومة تبعاً لذلك هو (٧٥٪) من عشر كل محصول الحبوب^(١)، ولما كانت هذه الكمية مقيّمة على (١٢٠٠) ريال، فإن قيمة كل المحصول في المتوسط في العام ستكون (١٦٠٠٠) ريال، وهذا المبلغ ليس بالكبير على عاتق سكان يبلغ عددهم (٢٥٠٠٠) نسمة. كما توجد إلى جانب ذلك بالطبع، محاصيل أخرى، غير أن محصول البن ليس كبيراً ويدعم خزينة الحكومة بما يعادل (٥٠) ريالاً فقط في السنة، أما الفاكهة فهي معفية من الضرائب^(٢).

يبدو الأمر غريباً أن تعاني منطقة مثل فيفاء من شح المياه، وبصورة متكررة على الأقل في مرتفعاتها العليا حيث لا توجد آبار أو حتى أحواض للإمساك بمياه الأمطار. وتعتمد إمدادات المياه على نشاط النسوة اللاتي يجلبنها من الشقوق المختلفة والبرك في الأجزاء العليا من المسائل العديدة، ويحملنها في قرب من الجلود ليقمن ببيعها مقابل ثمن الريال للقربة الواحدة، وهو السعر الذي كان سائداً أثناء زيارتي، أو بأكثر من ذلك في الموسم الجاف، حينما يضطرون للذهاب إلى

(١) للمزيد عن الأوضاع المالية والإدارية في منطقة تهامة وأجزاء من جنوبي البلاد السعودية، انظر: مبارك العبدوي. النظم المالية والإدارية في تهامة عسير، ص ٣٩ وما بعدها، غثيان بن جريس، عسير في عصر الملك عبدالعزيز، ص ٨٣ وما بعدها. (ابن جريس).

(٢) إعفاء الفواكه من الضرائب يعود إلى نص شرعي عند فقهاء المسلمين الأوائل. (ابن جريس).

مسافات بعيدة إلى أسفل، حيث توجد برك الوُغرة التي لا تنضب. وقد يقفز سعر القربة الجلدية الواحدة في بعض هذه المناسبات، عند القمة إلى نصف ريال.

تختلف أنماط مباني السكن في فيفاء، فمنها ما هو عشة صغيرة، من طابق واحد، تكون مستديرة أو مربعة ويكون سقفها من الطين. أو تكون برجاً صغيراً مستديراً من طابقين أو تكون ما يشبه القلعة من طابقين أو أكثر مبنية من الحجر. يبدو أن هذا الطراز الأخير خاص بهذا الجزء من البلاد، ويستحق أن يوصف. يستدق البناء الدائري من قاعدة عريضة إلى سقف ضيق. يتم سقف الطابق الأرضي الكبير بالطين ويقوم على أعمدة مع وجود فتحة عند إحدى الزوايا تقود إلى أرضية الغرفة التالية عبر سلم أو درجات من الطين تبرز عند الجدار. ويكون سقف كل من الطابقين الثاني والثالث حيث غرف المعيشة لصاحب الدار وأسرته مسقوفاً جزئياً، بمعنى أن يكون وسيلة لدخول الهواء والضوء دون الأمطار. ويعزز من غرابة هذا الترتيب حقيقة أن الحجرتين تفتحان في اتجاهين مختلفين، وذلك بهدف السماح للسكان باستخدام أي منهما عند الحاجة حسب حالة الطقس في أي وقت أو أي يوم. فإذا كانت الشمس متألقة في الغرفة العليا مثلاً، تكون الغرفة السفلى مظلمة، وإذا كانت الأمطار تضرب في إحدهما، تكون الأخرى جافة، لقد كان من آثار هذه السمة الغريبة للفن المعماري المحلي، أن تتخذ هذه المباني مظهراً ملتويماً أو حلزونياً وهو مظهر جذاب في خلفية الحقول ذات المدرجات. ويكون الطابق الأعلى المكشوف جزئياً مسقوفاً بالأعواد أحياناً، ويكون في حالات أخرى مبنياً من الطين. كانت كل المباني من الحجارة غير أن الطموحة منها تكسوها طبقة من طين سميكة وخارجية، وتعد النوافذ بصفة عامة غير ضرورية.

يجري محور رأس فيفاء وقممه الرئيسة الخمس من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي، بين الأودية العميقة لكل من جوراء وضممد، وهما يصرفان

صفحاته من كلا الجانبين. ولا يصل أي من هذين الواديين إلى جرف السراة، ذلك لأن منبع كليهما كان على الجنبات أو في السفوح التلية لجبال بني مالك، وإلى ما يليها، ويجري وادي دقًا إلى أسفل من الجرف ليتصل ببيش. ويتكون وادي جوراء من مسيلين عظيمين هما عرقين وطية، وينحدران من الزاوية التي تنحصر بين جبال بني مالك وجبال الحشر (بني حريص) ومن الأطراف الشمالية لجبال الحشر. ويقع مكان التقائهما لتكوين جوراء على مسافة أميال قليلة ناحية الشمال من موقعنا عند العبسية بالقرب من قاعدة الطرف الشمالي لفيفاء. ويبدأ وادي ضمد في سلسلة منخفضة نسبياً وضيقة تفصل رأسه عن مجرى وادي دفا الذي سنصل إليه في وقت لاحق. كما ترسل الأطراف الخارجية الشديدة الانحدار، من الرف المرتفع العظيم بالقرب من قمم بني مالك، روافد عديدة تضخ في وادي ضمد إما مباشرة أو عبر مجرى معتبر يسمى الفرع، وذلك عن طريق مساليل عديدة منها: الجنيّة، والجوّ، والخبيّة، وغيرها، وكلها تقوم بتصريف التلال السفحية الجنوبية لبني مالك إلى داخل منحى ضمد الذي يدور حول العزّة الطويل البارز. يتلقى ضمد أيضاً تصريف مياه تلال حاجزية أعلى مثل كتفه وغيره، على جانبه البعيد على الحدود اليمينية، ويلتقي كل من جوراء وضمد في نهاية الأمر في مكان ما على سهل تهامة، إلى ما يلي الطرف الجنوبي الغربي لفيفاء^(١).

تغطي قمم بني مالك وهي: العليلي وحبس وآل سلمى وجبل الحشر وهرم هجيدة العظيم خلف الفجوة بينهما، مسافة الربعية في البوصلة عبر الشمال بينما

(١) لمزيد عن بلاد ضمد وواديها انظر: عبدالرحمن الشريف. المرجع السابق، ج٢، ص ١٥٢، ١٧١.

(ابن جريس).

تجري من ورائهم ومكوناً الجانب الأيمن لدفا سلسلة ثهران العالية التي تمتد وتتواصل مع سلسلة الربوعة، التي تمتد من الشمال إلى الشمال الشرقي. وامتدَّ إلى البعيد يمين هذه - وتقع إلى مسافة إلى الخلف - جرف مرعة ذو السطح البركاني المستوي، الذي لوحظ من الجانب البعيد جنوب ممر عليين. وتقع سلسلة جبل أسود إلى البعيد أكثر ناحية الجنوب الشرقي، وينتهي ذيلها ناحية كل من رازح النظير، بينما امتلأت الفجوة الواسعة بينهما بسلسلة كتفة الحدودية العالية التي تستمر عبر كل من منبه، والعُر، وسلا، إلى حافة تهامة.

ويتواصل خط بني مالك - الحشر، على الجانب الآخر (الشامي) مع كل من مُنجد والقرنة والرِيث ومصيدة ونقاط أخرى لتكمل حزام فيفاء الجبلي عند السفوح التلية لتهامة. وتتبع هجيدة إلى أرض بني الغازي، بالرغم من أنها منفصلة عن الكتلة الرئيسة كما ورد وصفها، بينما يحتل كل من ثهران (ظهران حسب النطق المحلي)^(١) والربوعة، وآل تليد، وهم قسم من آل جماعة يتمركز معظمهم في الجنوب في أرض يمنية. كما أستطيع رؤية قرى الصيابة ناحية الجنوب من موقعنا، وهي تنتمي إلى قسم منعزل من بني حريص على شاطئ وادي جازان وعند ملتقاه مع شعيب الفرشة الذي ينطلق من مضيق منخفض يحمل سفحه القريب شعيب الهيجة^(٢) إلى أسفل ليتصل مع وادي ضمد إلى الجنوب من موقعنا. ويقف بركانا عكوة لتكملة الصورة التي تشاهد من فيفاء في بروز ناحية الجنوب الغربي، بالرغم من أننا لم نستطع رؤية كل من الحسينية وصيبا أو أي جزء من البحر. وتقع قرية

(١) ثهران هو النطق السليم لجبل ثهران في بلاد فيفاء، وهو يختلف عن جبل ظهران أو بلاد ظهران الجنوب في بلاد وادعة من أرض قحطان في أعالي السروات. (ابن جريس).

(٢) والهيجة تنطق محلياً أيضاً باسم (أمهيجة). (ابن جريس).

العِدْأَبِي ناحية اليمين قليلاً من شريط عكوة، وقريبة جداً من موقعنا، والتي كنا قد زرناها حديثاً.

كان منظر فيفاء كما وصفنا. وكان هدفنا التالي هو مجموعة من القرى السفلى التابعة لكتلة بني مالك حول القهبة، التي لم تكن هي نفسها مرئية لنا من العَبْسِيَّة، بالرغم من أن العديد مما يجاورها قد كان واضحاً فوق رؤوس تلالها. كان من بين هذه كل من خاشِر، والثاهر، وذراع، وحصيبة. كانت مجموعة فريق الحمالين الموصى عليها، والتي تشتمل على الرجال فقط، من جهة عبدالهادي، قد بدؤوا يتوافدون، وذلك أثناء الليل بينما جففت الشمس ممتلكاتنا التي بللها الندى في صباح يوم عيد ميلاد المسيح. كانت أجرة الرجال والنساء الذين حملوا عفشنا إلى القمة، من سوق عيبان هي نصف ريال للفرد، ولخجلي من ذلك فقد ضاعفت لهم الأجر عندما وصلنا. وتكون أجرة الحمار في هذه البلاد، بما في ذلك خدمات سيده، ولمدة يوم كامل، نصف ريال فقط، ويكلف الجمل ضعف ذلك وعليه فلم تكن تكاليف السفر في هذه البلاد عالية.

تقدمنا الشيخ علي متوجهاً إلى قلعته في المَرُوح، ليعد لنا مراسم الاستقبال الترفيهية. ثم بدأنا المسيرة ومعنا الحمالون أسفل نتوء ينحدر تجاه الشمال الشرقي من عند العبسية، وكان يفصل بين رأسي مسيلين هما ذُبُوبُ والْفَرْعُ، وكلاهما يصرفان جوانب فيفاء إلى داخل كل من ضمد والجوراء بالتوالي. لقد استغرق وصولنا نصف ساعة لنصل إلى مَرُوحُ بعد جهد، وكانت قلعتها بارزة وكذلك مسجدها، في شكل جميل على آخر قمم أعلى فيفاء عند نهايته الشمالية، وتقع إلى أسفلنا قرية رَحْبَانُ على حافة بجانب الخبية الذي يفصل فيفاء عن بني مالك. انتشرت قرية رَيْدَةَ الكبيرة (غالباً تسمى ريذة العزة لتمييزها عن ريذة أخرى تقع

فيما يلي ضمد^(١) فيما يلي الجانب البعيد للخبيّة وعلى أولى سلاسل بني مالك، بينما تقع قرية الجنيّة الصغيرة إلى أسفلنا على حافة مسيلها، بينما يأتي رَوْحَان على سلسلة من ورائه، وقرى أخرى تابعة لبني مالك قد ورد ذكرها من العبسية على يمينه. لقد كان في رفقتنا في هذه المسيرة كل من عبدالهادي رئيس الشرطة، وجابر شيخ قبيلة آل عطا حتى وادي الجوراء، حيث سيتم انتقالنا إلى كرم بني مالك. أبدى الشيخ علي رغبته أن يحتفظ بنا في مروح لتناول وليمة، غير أننا اعتذرنا لارتباطنا مع رؤساء قبيلة بني مالك، لقد تأخرنا في مروح مدة ساعة اجتمعنا خلالها مع الشيخ علي في غرفته العليا النصف مكشوفه^(٢) التي من عندها أشار إلى العديد من العلامات الأرضية للبلاد والتي توافقت بصفة عامة مع المعلومات، التي كنت قد جمعتها من مرشدي في العبسية.

لقد حكى لي قصة غريبة وغامضة أثناء تناولنا القهوة والمشروبات المنعشة، بغرض أن أتمكن من تفسيرها له بما لديّ من اهتمامات بالطيور. ذكر لي أنه كان جالساً في سريره المصنوع من الحبال في أحد أيام شعبان أو قبل شهرين، في هذه الحجرة نفسها التي نحن فيها الآن، حينما شاهد من بعيد طائراً في السماء قال إنه نسر، وهو اسم يطلق على الصقر أيضاً^(٣)، وهو يحلق فوق قلعته. ثم هبط الطائر في بطاء، وفي ضربات مائلة واسعة ودخل إلى الغرفة وحطّ على السرير بجانبه،

(١) ريدة: اسم مكان يطلق على أكثر من موقع في منطقة عسير، ومنطقة جازان وأجزاء أخرى من بلاد اليمن. وأشهرها ريدة تهامة عسير التي قتل العثمانيون فيها الأمير محمد بن عائض عام (١٢٨٩هـ/ ١٨٧٣م). (ابن جريس).

(٢) الغرفة المكشوفة فوق المنازل يطلق عليها أسماء محلية عديدة مثل: - العلية، والمشرق، والمشراح أو المشرحة. وهي عبارة عن مكان استرخاء واستراحة في الليل، أو مع شروق الشمس في الصباح. (ابن جريس).

(٣) النسر والصقر من الطيور المعروفة عند سكان البلاد، والنسر أكبر حجماً من الصقر. (ابن جريس).

في صورة حبية وسرية. ثم اتخذ الطائر سلوكاً عدائياً حينما حضر الخدم استجابة لدعوته لهم لرؤية ما يحدث، ورفض الطائر اقترابهم. ثم استطاعوا مع تدعيم أكثر لهم من التمكن من إبعاد الطائر عن السرير ولاحقوه إلى البلكونه، غير أنه بعد فترة طار لحال سبيله، وهو لا يزال يحلق ويدور حول المنزل حتى اختفى عن الأنظار. ولم يظهر بعد ذلك. لقد كانت رواية غريبة ويمكن لمثل هذه الخرافة أن تشير إلى شيء واحد. ولما لم أكن ممن يؤمنون بالخرافة، ولما كان الرجل العجوز لا يزال حياً وفي صحة ممتازة، فقد كانت إجابتي أنه من وجهة نظري فإن الأمر غريب ولا مغزى له.

ثم استأذنا من علي، وبدأنا الهبوط فوق طريق منحدر متعرج، ويكثر على حافته من حين لآخر نبات الصبار (كراث) ذو البراعم البنية المحمرة وتملؤه مادة لبنية ذات خواص تؤدي إلى الهرش. ويقال إن الأزهار تُكسب عسل فيفاء نكهة لطيفة. ثم وصلنا إلى قرية ومزارع الغالّة الصغيرة بعد حوالي (٨٠٠) قدم أسفل المروة. حيث كانت توجد مزارع كثيرة للبن والعديد من أشجار الموز. وقد وقفت صخرة بارزة على جانب الطريق على واحدة من هذه المدرجات، وكانت بارزة بما فيه الكفاية ليكون لها اسمها الخاص وهو قمع شفيان. لا بد وأنها قد سقطت من أعلى منذ عصور بعيدة ولربما كانت شيئاً يُعبد في أزمان الوثنية، بما أن ليس للقرويين هنا علاقة بها. ثم أوصلنا هبوط متعرج إلى (١٠٠٠) قدم إلى أسفل إلى مسيل المقطر الذي ينحدر من السفوح العليا لفيفاء إلى مجرى الجوة الذي يقع أسفلنا وعلى اليسار. وقد لاحظت الكثير من الحصى على جانبيه الصخريين وهي كثيرة الشبه مع حجارة القمر، غير أنه لا يبدو أن هنالك تجارة تهريب لحجارة شبه كريمة في هذه الأنحاء على عكس ما هو حادث في اليمن.

ثم سلطنا المسيل إلى أسفل، لنصل إلى جرف يعترض بطنه، الذي يبلغ عرضه (٥٠) ياردة وتوجد به برك ممتلئة بالمياه حتى الحافة. ثم استدرنا حول هذا المانع لنصل إلى برجين متماثلين تابعين إلى قرية حبيل الرزم الصغيرة عند موقع التقاء كل من المقطر والجوَّة. وكنا الآن على ارتفاع (٢٧٠٠) قدم أسفل قمة فيفاء وكان مستوى الأرض مريحاً للجمال التي وجدناها في انتظارنا في الموعد المحدد. ثم دفعنا إلى الحماليين من أهل فيفاء أجورهم، وامتطينا الجمال على الطريق إلى مجرى الجوَّة وإلى موقع التقائه مع باتع الذي ينحدر من سفح فيفاء ناحية الجنوب، ويسمى المجرى المشترك الآن باسم الميثة وهو ينساب ناحية الشمال الشرقي حتى موقع تدفق مسيل حَزمَران ثم ينحني في عنف ناحية الجنوب الشرقي في طريقه ليتصل مع مجرى الفَرع.

ويكون شريط حَزمَران والميثة من هذه النقطة خط الحدود بين مقاطعة فيفاء ومقاطعة بني مالك، وتستمر الحدود ناحية الشمال الغربي مسافة أعلى حَزمَران، إلى سلسلة الكرمة ونحن نتبعها إلى مضيق يكون رأس شعيب الكرمة. ثم هبطنا من المضيق إلى أرض بني مالك بين جلاميد شستية وقد كان المجرى الكثير الشجيرات يعج برعاة بني مالك، وبقطعان كبيرة من الماعز. ويقع في بطنه ثقب الماء المسمى خطوة حماحمة وكان عمق الماء قدمين داخل بركة مبطنه بالبناء، قطرها (٣٠) بوصة. وتقع بالقرب منها أطلال قلعة تسمى أمعكيدة على سلسلة منخفضة خلف مسيل معجلة التي تجري فيها الحدود القبلية، وتقع أمعكيدة على جانب بني مالك من الخط. ويجري وادي الكرمة من هنا ناحية الشمال الغربي ليتصل مع وادي جوراء، بينما استدرنا نحن ناحية الشمال على مسيل رَفَاث^(١) إلى مضيق بين جلاميد كئيبة والذي من عنده ينحدر مسيل آخر بالاسم نفسه، إلى وادي الجوراء الذي يمكن رؤيته الآن إلى البعيد ناحية الشمال.

(١) رفاث يطلق عليه أيضاً اسم (ذرفات). (ابن جريس).

لقد قوبلنا بحرس شرف بعد عشر دقائق، وقبل وصولنا إلى الوادي الرئيس إذا بجمع يتألف من أهل بني مالك، الذين أطلقوا رصاصاً واحدة من بندقية تحية لنا، وكنت أثناءها أسير على قدمي، بالرغم من أنهم قدموا إليّ جملاً لأركبه إلى داخل المعسكر. رفضت هذا العرض مع الشكر، ذلك لأن المسافة كانت قصيرة وفي خلال عشر دقائق وصلنا إلى مجرى جورا لنجد الأمير وعدداً من الشيوخ المحليين إلى جانب مئة شخص آخرين في انتظارنا. لقد كنا هنا بالفعل عند رأس وادي جورا الذي اتبع مسيل عرقين ومسيل طية ليتصل مع شعيب اهرابن عند السلاسل السفلى حول خَاشِرٍ. لقد قمت بالتقاط صورة تذكارية للشيوخ ورجال القبائل بعد انتهاء مراسيم الاستقبال الرسمية. واستقرينا في المعسكر في بطن الوادي. لقد كنا هنا عند ارتفاع (٢٣٠٠) قدم فوق سطح البحر، وحوالي (١٠٠٠) قدم فوق سوق عيبان الذي من عنده هبطنا بعيداً عن وادي الجوراء لزيارة فيفاء.

يقع مركز إمارة بني مالك في قرية القهبة، في السفوح التالية للسلسلة الرئيسة، حيث قام بمقابلتنا عبدالله بن شرقة القائد العام وممثل الحكومة، لقد كان عبدالله رجلاً نشطاً، محبوباً وشاباً، وله ميل واضح نحو الحماسة الدينية، وينظر إلى نفسه بأن له رسالة نحو الوثنيين لدعوتهم إلى الطريق السوي. لقد كان عبدالله في هذا المجال أكثر حظاً من ذلك الذي يقابله في فيفاء، حيث تكون المساجد في حكم النادرة أو غير واضحة، ربما بسبب تشتت المناطق المأهولة وغياب الحياة الاجتماعية على أي مستوى كانت. لقد كان بنو مالك منظمين بشكل مختلف في قرى ذات حجم معقول، وفي قرى صغيرة ذات قصور تكون منعزلة من حين لآخر. وكان أبرز بناء في كل القرى، صغيرها وكبيرها، هو المسجد الذي يصير

التقليد المحلي على طلائه باللون الأبيض عند بداية شهر رمضان. لقد يسرت مساجد القرى، من وجهة نظري علامات أرضية لا تخفى لأغراض المسح. وهكذا بالرغم من أن الشعائر الدينية بصفة عامة لبني مالك ذات لمسة زيدية كما في فيفاء، إلا أنه يوجد هنا التزام أكبر باتباعها^(١).

يبدو أن بني مالك، إلى جانب ذلك، مسلحون بدرجة أفضل من جيرانهم، ويحمل كل رجل بندقية من طراز ما. لقد كانوا هذا هكذا للدرجة التي أنه حينما جلسنا حول طبق العشاء تلك الليلة، لتناول وجبة ممتازة من جدي مغلي وخبز محلي، كان كل واحد من الرؤساء - والذين قد وجهت إليهم الدعوة لينضموا إلينا، قد برهن بأنه رجل خندق ممتاز، إذ جلس وبندقته على مفصل ذراعه الأيسر وهو يغرف بالطعام إلى فمه بيده اليمنى^(٢).

لقد كانت الصورة مُبْهِرَةً، غير أنه أثناء تناول أطراف الحديث، حينما اعترضت على اصطحاب السلاح على طاولة العشاء، تدخل عبدالله بن شرقة للدفاع عن التقليد المحلي. وأوضح لي أن سلاحهم هو زيتتهم. ولقد كاد أن يقول إن سلاحهم هو ملابسهم، بالرغم من أن هؤلاء الرجال القادة، وخاصة في مناسبة مثل هذه، كانوا يرتدون معاطف قصيرة مكشوفة فوق أجسامهم إلى جانب الخرقة التي تغطي العورة، وكان أتباعهم لا يرتدون شيئاً غير البنادق والخرق التي تغطي

(١) لا يستبعد ذلك؛ لأن حكومة الأئمة الزيدية في صعدة كانت تسعى جاهدة إلى نشر المذهب الزيدي في عموم جنوبي الجزيرة العربية، وبخاصة الأجزاء التهامية، ولكن نجاحهم كان محدوداً؛ لأن المذهب الشافعي كان الأكثر انتشاراً في معظم البلاد التهامية. (ابن جريس).

(٢) هؤلاء معذرون؛ لأن حياة الناس قبل ظهور الحكم السعودي كان يسودها الخوف بسبب انتشار الفوضى والاضطرابات، وعدم وجود الأمن الذي يحفظ للناس أرواحهم وأهليهم وأموالهم. (ابن جريس).

عوراتهم، إلى جانب حزام الخراطيش حول خصورهم. لقد دعوت الشيوخ بعد العشاء للحضور لسماع الراديو، وجاءوا ومعهم كل حاشيتهم، لقد كان منظرًا رائعاً أن ترى هؤلاء الرجال المئة كلهم تقريباً عراة، جاثمون في حلقة كبيرة وقد ارتكزت بناذقهم على كتوفهم العارية في لمعان باهر في ضوء مصباحي. لقد كانت فلسفة الحكومة في هذه البلاد المرتفعة وبحق، هي عدم التدخل في أساليب حياة الناس، شريطة أن يحفظوا السلام فيما بينهم. وقد حافظوا على تقاليدهم العدوانية دون تغيير، وكما قد لاحظت ذلك بنفسني، خلال هذه الأيام، فإن العدائية الزعامية لقلاع هذه المرتفعات ينتقلون في أنحاء البلاد يصحبها حاشياتها الكبيرة من رجال مسلحين فقط بسبب أن ذلك هو الشيء الذي يجب عمله وكان يعمل دائماً. كان الفارق الوحيد أنهم الآن لا يهاجمون بعضهم بعضاً بمجرد الرؤيا، غير أنه إذا كانت لديهم حزازات يودون التعبير عنها، فإنهم يرفعونها إلى ممثل الحكومة. ويستطيع المرء أن يتخيل أن حياة هؤلاء الناس قد اختلفت قليلاً عن حياة القبائل الأسكتلندية القديمة^(١).

تنقسم قبيلة بني مالك، وهم فرع من خولان -على الرغم من أنهم لا يرون أنهم جزء من اليهانية- إلى ثلاث قبائل رئيسة. لقد كانت القبيلة الأولى هي آل كثير التي تحتل قمم السلسلة الرئيسية وتنقسم بدورها إلى أربعة أجزاء: (أ) العليلي^(٢) تحت رئاسة جابر الذي تقف قلعة مقر سكنه واضحة فوق قمة تسمى طَلَّان، التي تحتلها قرى قسمه. (ب) آل حبس تحت رئاسة الشيخ فرحان بن

(١) والآن أصبح عموم الناس في هذه الأجزاء، وفي غيرها من أجزاء المملكة العربية السعودية يعيشون حياة

تسودها المحبة والإحاء وخدمة الدين والبلاد. (ابن جريس).

(٢) العليلي: يطلق عليهم أحياناً اسم (آل علي). (ابن جريس).

داهمة وتحتل قمم رميح. (ج) آل سلمى في التلال السفلى للذاري الأغر^(١) والجزء الشرقي من الجرف الذي يطل على آل ضمد ورئيسهم جابر بن يحيى آل سلمى. (د) إن آل يحيى تحت رئاسة الشيخ حتروش في منطقة الحدود لوادي ضمد. ثم تأتي في الدرجة الثانية من حيث الأهمية، قبيلة آل سعيد برئاسة الشيخ علي بن فرحان، الذي يكون مقر رئاسته في قرية منصية على جرف ضمد إلى الغرب من مقاطعة آل سلمى. وتأتي أخيراً القبيلة الثالثة وهي آل خالد، برئاسة الشيخ يحيى بن شريف بن كبش الخالدي، وهو مضيفنا المباشر، ومراكز قيادته في قرية خاشر التي عندها تنتشر قبيلته في التلال السفحية مائلة الزاوية بين السلسلة الرئيسة والجرف حتى حدود فيفاء غرباً.

ويزعم شيوخ بني مالك بأن قبيلة آل حريص هي واحدة من قبائلهم، ولربما كان هذا صحيحاً عن طريق الرابطة عبر اليهانية، التي وردت الإشارة إليها، غير أنهم -وباعتراف الجميع- مستقلون تماماً عن هذا الاتحاد ومنقسمين إلى جزأين: حريص الحشر (وهم أهل مرتفعات ويحتلون جبل الحشر شمال بني مالك) وحريص الجنوب^(٢) (أهل المنخفضات حول العارضة جنوب فيفاء وفيما يلي ضمد). ولقد تم الاعتراف باستقلاليتهم، وذلك بوجود مركز حكومي منفصل إمارة على كل من الحشر والعارضة. وتكون أقصى قمم سلسلة بني مالك الشمالية، لوبات السنين، جزءاً من مقاطعة العليلي ويكون رأس عرقين في الانطواء الذي يقع بينه وبين الحشر ويؤدي دور الحدود بين بني حريص وبني

(١) الذاري الأغر ربما يطلق عليه أيضاً اسم (الذاري أمغير) (ابن جريس).

(٢) تعرض رواية أخرى هذين القسمين لبني حريص بأنه لا علاقة بينهما إلا في الاسم فقط، وتشتمل على المجموعة الجنوبية في اليهانية، مع بني مالك وأهل فيفاء وبني جماعة، بينما يعترفون لبني حريص الشمالية برتبة الاستقلالية. (المؤلف).

مالك . وتشتمل بلغازي إلى الغرب من الحشر على آل جنادة، وسليمانى، بني عبد وآل أمزرعة . ويكون الاتحاد القبلي الرباعي لكل من بلغازي، بني منبه، وأشر ونفيسة مجموعة تسمى فرود، تقارن مع مجموعة اليهانية التي تربط بين فيفاء وبني مالك وبني حريص^(١) . كما يتبع كلا المجموعتين قبيلة خولان .

إن مجرى عرقين مجرى مهيب ببطنه الرملي وهو يقترب من موقع التقائه مع أهراي الذي سنعسكر فيه . ويتوقف غَيْلُه الذي يقال إنه ذو طول معتبر، فجأة على مسافة (٥٠٠) ياردة أعلى الملتقى، ولا يظهر غيل جورا فوق السطح إلا على بعد نصف ميل أسفل الحوض، حيث تتقارب سفوح الجبال من كلا الجانبين لتكوّن ممراً ضيقاً. ليس أهراين مياه غيل ويحمل المياه فقط أثناء موسم السيول كما يندر وجود الماء في خاشرٍ والقرى المجاورة وسفوح السلسلة الرئيسة، كما كان الحال في فيفاء، حيث يقومون هنا بزراعة محصول خريفي للدخن، ومحصول ربيعي لكل من القمح والشعير كما هو الحال في فيفاء . ينتج البن في كل من تلال بني مالك وعلى الحشر . كما لا يوجد نظام للري، وتعتمد كل الزراعة على الأمطار .

يسيطر موقع معسكرنا على منظر شمولي لطيف لكل البلاد من حولنا، وقد أَلقت الشمس المشرقة الصاعدة من فوق قمة فيفاء العظيمة هالة من الضوء الذهبي، الذي قد فاض فوق قمم بني مالك إلى عمق (١٠٠٠) قدم إلى أسفل وأضاء المساجد والقلاع التي تقف على جروفها . لقد اتجه زوار بني مالك منذ الساعات البكرة ليوم الأمس (الخميس) إلى سوق عيبان، من أمام معسكرنا المنتشر وهم في طريقهم إلى قراهم قادمين من أعلى وادي الجوراء ومعهم حميرهم

(١) ذكرت لي أسماء مجموعات أو أقسام أخرى في أوقات مختلفة بأنها تنتمي إلى فرود، إلا أنه من المحتمل أن تنسب إلى واحدة أو الأخرى من هذه المجموعات وهي: الشبخي، والدوشي، والعري، والقَهري، والعباشي، والبطيني، واليزيدي، والخولي. (المؤلف).

وجمالهم وهم ينشدون متحفزين لإثارة انطلاق أغنية يؤديها رجال القبائل المعسكرون معنا. لقد قطع معظمهم رحلتهم هنا لتحية شيوخهم الكبار الذين معنا ولتبادل أخبار الإشاعات. لقد استمعت مساء أمس إلى ترانيم بيت لحم، وكنت أتمنى لو كانت لديّ وسيلة لتسجيل الأغاني الشعبية الإيقاعية لهؤلاء الناس^(١)، الذين كنت أجلس معهم الآن، كان من خواص كلامهم أنهم لا يستطيعون نطق حرف «د» المفرد، ويضيفون إليه نغمة حادة «إي» كما في «ديفا» بدلاً من «دفا» وتنطق جفعه ومن «عندي الله» بدلاً من «عند الله».

لقد مشيت على قدمي بالأمس كل المسافة من فيفاء إلى رأس الجوراء، وكان هنالك الكثير من اللغظ حول إرسال الحمير لتقلنا نحن، والجمال لتقل العفش، بحجة أنه توجد هنا كل وسائل المواصلات، وسرعان ما واصلنا الرحلة إلى أعلى وادي أهرين، مخترقين مساحة لأحواض صغيرة غير مزروعة وقد شيدت حولها الجدران للإمساك بمياه الأمطار. ثم تركنا أهرين بعد عشرين دقيقة لمجره الصعب إلى اليسار، وتبعنا مجرى رافد اسمه قلحة، كان بطنه الجاف الحجري مغطى بالشجيرات المنخفضة، وبعض أشجار العلب الجيدة. ثم يضيق المجرى ونحن نواصل السير فوقه مارين ببئر مبنية تسمى فقوة قلحة، وهي مشيدة حول نبع ضئيل ومنه وصلنا إلى قرية حيد أمحمر الصغيرة المنظرية وهي وطن سالم بن شريف، أحد الشيوخ الثانويين الحاضرين معنا.

(١) إن الفنون الشعبية والأغاني والأهازيج المتنوعة في جنوبي البلاد السعودية جديرة بالدراسة والتحليل، وذلك لعدة أسباب منها:-

(أ) جودة إيقاعات هذه الأغاني والفنون لما تحتويه من عبارات جميلة وحكم وأقوال قيمة.
 (ب) أنه لا توجد هناك دراسات علمية حول هذا النوع من المعرفة، والحقيقة أنها من مسؤوليات أقسام علم الاجتماع في الجامعات السعودية. (ابن جريس).

لقد كان الوادي صعباً للنقل بواسطة الحيوانات بعد هذا الموقع وعليه فقد تم نقل غفشنا إلى فريق الحمالين من البشر. تسيطر قرية خاشرٍ من موقعها هذا البارز على التل، على رأس قلحة الذي يتكون من عدة مساليل تتقارب من شبكة السلاسل التي تكون هذه المساحة من الأرض. ثم تسلقنا منحدرًا شديدًا لأحد هذه السلاسل إلى قرية الشعيث الصغيرة، وواصلنا السير من فوق القمة النحيلة ووصلنا سريعاً إلى أول مدرجات القهبة. لقد كانت المدرجات الزراعية هنا أضيق من المدرجات العادية في فيفاء وتدعمها جدران عالية يصل بعضها إلى سبعة أقدام. كانت المدرجات السفلى الآن عارية، وقد أصبح الدخن جذامة بعد حصاده، غير أن المدرجات العليا كانت مكسوة بشجيرات البن والموز. لقد كان ارتفاعنا هنا حوالي (٤٠٠٠) قدم فوق سطح البحر. وهذا بالتقريب أدنى ارتفاع يمكن أن تنجح زراعة البن عنده في هذه المرتفعات.

تقف قلعة القهبة التي تستخدم الآن مقرراً لقيادة الحكومة ومركزاً للإمارة، في شموخ فوق صخرة ضخمة من الشست الممزق ويبرز على هيئة خطوط لألواح عمودية والتي تم استخدامها في ذكاء عبقري لتكون بعض جدران البناء مما جعل القلعة تبدو كأنها نامية من جوف الصخر. كانت القلعة ذات حجم معتبر، منتشرة فوق سلسلة السفوح في هيئة مراحل عديدة، وتمتد فوق عرن القمة المسطح، والذي يمثل جزءاً من المقبرة، بينما يكون الجزء المتبقي مكان غربلة الجبوب، وقد يستخدم مصلى في العطلات العامة. لقد تم تزويده - لهذا السبب - ببناء به كوة للقبلة ومنبرٍ بدائيٍ للخطيب.

لقد أقمنا معسكرنا هنا، وكانت خيمتي الخاصة تقع عند حافة اللسان وتطل على منظر صافٍ إلى أسفل ناحية المساليل على الجانبين. تنتشر من حولنا قرى بني

مالك العديدة، وهي قائمة على امتداد سلسلة وفوق كل عرن وفوق كل هضبة، لقد كان المنظر بدايئاً غير أنه مريح. يتم جلب المياه إلى القهبة من نبع يسمى متر يقع على بعد (٣٠٠) قدم إلى أسفل جانب التل الشديد الانحدار داخل مسيل امتلاً بأشجار التين وغيره. وتقف قرية الجران الصغيرة على مستوى موقعنا تقريباً على الجانب المقابل. لقد كانت مباني القرى ذات قيمة معمارية أو زخرفية قليلة، وحتى القبور في المقبرة كانت تحمل لمسات نهائية أنيقة، ومبنيّة من طبقات متبادلة من صخر بني داكن وصخر أبيض (كوارتز). لقد كانت المنازل - بالرغم من أنها مبنيّة من مواد محلية غير مشذبة تماماً - ذات تركيب قوي وقد استخدمت فيها أخشاب العرعر الطويلة المستقيمة، وأعمدة مرتبة في أناقّة، غير أن الغرف كانت صغيرة جداً وقذرة، وكانت أبوابها منخفضة جداً وكانت السلالم خطره إلى حد بعيد، بارزة من داخل الجدران بين الأرضيات. ويجب على المرء أن يكون حذراً وهو يتنقل بين الغرف ليتحاشى أن يصطدم رأسه بالسقف أو بالمداخل^(١).

وصلنا بعد مسيرة قصيرة جداً إلى هذا الموقع، عند وقت الظهيرة. لقد طلبت من سعد أن يحضر لي علبتين عبوة أربعة جوالين من الماء الساخن، وذلك بعد أن ألقيت نظرة من على سطح القلعة على البلاد المجاورة، وذلك أثناء ما كان مطبخ القلعة يعد لنا وجبة الغداء، لأجل أن آخذ أول حمام لي منذ أن غادرنا جازان. لقد ارتديت أحسن ملابسني بعد ذلك، وعدنا كلنا مرة أخرى إلى القلعة حيث كان الأمير ينتظرنا على رأس وليمة تستحق جهد هذا اليوم مكونة من شاة مطبوخة وهي كاملة فوق أرز جبلي، ومعالجة بالزبيب والبهارات ومن عدد من الدجاج

(١) لا يظهر الارتفاع الكافي لاسقف وأبواب المنازل قديماً، وفي الأجزاء التهامية تكون اسوى من المرتفعات والبلاد السروية. (ابن جريس).

موضوع في أطباق محاطة بحسائها دون ذكر شيء عن الخبز القمحي اللذيذ. لقد شارفت الساعة على الرابعة مساءً حينما فرغنا من الدعوة وما تبعها من تناول القهوة والشاي، وقضاء الوقت في الحديث، غير أنني استرخيت إلى نومة القيلولة تحت جدار مسطبي مرتفع وغممت لمدة ساعة كاملة. لقد بدأت السحب تتجمع من حولنا عند الغروب وقد غاصت الشمس من وراء ضباب كثيف من خلف براكين عكوة التي كانت واضحة لنا، كما حجبت السحب عني رؤية لمحة من البحر، الذي قيل إنه يشاهد من هنا في الأجواء الصافية.

لقد أدى الأمير معنا صلاة المغرب وقد أمنا، ثم تحركنا إلى منزل نائب القائد لقوة الإمارة واسمه قتمان وهو من مواطني وادي الدواسر وقد أقام منذ زمن طويل في تربة، حيث التحق بخدمة الحكومة. كان الحديث، أثناء هاتين الوجبتين، يدور حول الحدود التي كان عليّ أن أفحصها بالتفصيل، وأدهشني الغموض وعدم التناسق في مساهماتهم أثناء النقاش، علماً بأن معظمهم كان قد زار منطقة الحدود خلال فترة خدماتهم. وتكمن المشكلة في أن الحدود على هذه الأرض تمتد على طول سلسلة جبلية عالية ليس بها سكان أو ماء، وقد لا يكون أي من الحاضرين قد رأى بالفعل أعمدة حدودية بها، على الرغم من أن معظمهم قد اشترك في أنشطة اللجنة المشتركة للحدود. لقد دعوت كل المجموعة معي وذلك للاستماع لجلسة الراديو، إلا أنه ولسبب ما كان الاستقبال رديئاً، واختفى الجمع كما اختفت جدران الضباب، الذي نهض في كتل عظيمة من الوادي المجاور، وانطبق على سلسلة القهبة.

ثم جلست هناك، وحدي بين السحب، ومعني مصباحي الساطع الذي يحيطني بهالة كبيرة من الضوء، والتي كنت لا أرى شيئاً فيما يليها. لقد خطر

بذهني أن زملائي قد انتهزوا هذا الغطاء الشامل وتوجهوا إلى منازل أكثر راحة، بينما في حالات نادرة حينما تصفو السماء جزئياً، كنت أنصرف إلى مزواتي. لقد كان القمر محاطاً بهالة ضخمة متعددة الألوان، وحينما فرغت من أعمالي، جلست أستمع إلى موسيقى رقصة عيد الميلاد، وكانت تبث من فندق الملك داود من إذاعة القدس.

كانت السماء خالية من السحب عند منتصف الليل، ولفترة من الزمن على الرغم من أن غطاءنا الضبابي استمر ثابتاً في مكانه خلال الليل، وسرعان ما عادت السحب بعد ساعة أو قريباً من ذلك متطايرة مرة أخرى. كانت الليلة برغم كل هذا دافئة ودرجة الحرارة الدنيا (٥٦) درجة، ووجدت سريري وكل ما حولي جافاً في الصباح الباكر، وكان هذا معجزة. بدأت رياح باردة تهب ناحيتنا وتحمل معها ضجيج قرى بدأت تصحو من نهيق حمار أو عواء كلب أو صياح رجال ينادي بعضهم بعضاً. لقد كان هذا واحداً من إنجازاتهم، وهو أن يحدث بعضهم بعضاً على مسافات بعيدة فوق المرتفعات. يمكنهم من القهبة أن يطلقوا رسائلهم وأصواتهم (واستيعابها) إلى البعيد في كل من البُقعة^(١) وضرع بالقرب من قمة طَلَّان، على ارتفاع (٣٠٠٠) قدم، وعلى مسافة لا تقل عن الميل أو الميلىن، في خط مستقيم. وكانوا يتبادلون الإشاعات بالأسلوب نفسه، من خاشرٍ إلى أهلهم عند قمة فيفاء، كنت أستطيع رؤية ما يقارب العشرين قرية كبيرها وصغيرها داخل إطار نصف قطر طوله نصف الميل من عند القهبة، وإلى جانب عدد آخر إلى البعيد، تقوم على سفوح الجبل من الحشر إلى قمم بني مالك إلى نيد الشق عند النهاية الشرقية لجرف ضمد، حيث يجري ممر إلى أسفل رافد الوادي.

(١) البُقعة: ما يعرف في بلاد الشام بالضبعة، وهي تضم عدة بيوت ومزارع، وربما يطلق عليها مصطلحات أخرى مثل: - الديرة، أو الناحية، أو البلدة وغيرها. (ابن جريس).

تحررنا مبكرين في الصباح أكثر من العادة، وقبل الساعة الثامنة صباحاً. ثم صعدنا، بعد أن مررنا بقرية نيد الحقو الصغيرة، إلى قرية جميلة شبه مدمرة تسمى الدفين (حوالي (٤٣٠٠) قدم فوق سطح البحر) تقع في أرض بساتين ذات مدرجات واسعة تنحدر إلى أسفل إلى الوادي.

لقد تميزت هذه القرية أيضاً بأن بها صهريجاً مبنياً بالأسمت على جانب التل بجانب الطريق، وبرغم أنه كان خالياً من الماء في هذا الوقت وذلك لأنه يعتمد على مياه الأمطار التي تنحدر في جداول ضحلة إلى حافته. ثم مررنا فيما يلي هذا بمنزل منعزل على جانب الطريق إلى قرية الشمال الصغيرة عند كتف صخرة كبيرة والتي من فوق قممها تقع قلة آل قطيل القليل فوق الجرف. وتبدو قرية الشمال وكأنها مهجورة، بالرغم من أن واحدة أو اثنتين من عششها لا تزالان تستخدمان، وقد شاهدنا عدداً قليلاً من الناس في ذلك الموقع، ثم صعدنا الطريق الصعب القصير المنحدر لنصل إلى ممر نيد الشق (ممر الشق أو الصدع)، الذي تتم حراسته من جانب الجلمود على ارتفاع (١٠٠) قدم أعلى من موقعنا، بواسطة برج مراقبة منعزل شبه مدمر. كنا لا نزال عند ارتفاع (٤٣٠٠) قدم فوق مستوى البحر، إلا أننا نسيطر الآن على منظر واسع عبر وادي ضمد العريض، حتى التلال والسلاسل فيما يلي الحدود في أرض يمنية.

ثم يتبع الطريق الأسفل من هذا الممر، مسيل القزعة الصخري إلى حيث قرية حبيل النقعة، والتي فيما يليها يطلق على المجرى اسم أهراين ثم يمتد إلى أسفل ليدخل ضمد في موقع يبعد حوالي ميلين من موقعنا ناحية الجنوب الشرقي، لقد برز تل العر الهرمي الرائع في الشريط نفسه، فيما يلي المجرى الرئيس، على ارتفاع (٥٠٠٠) قدم فوق سطح البحر، وتقع قمم كل من عيَّاش والسقاء بعيداً

إلى يساره. لقد أمكننا رؤية قرية مدينة جاوى داخل وادي عريض ضحل، يمتد جنوباً بين هاتين القمتين وبين السلسلة التي تنذيل بعيداً منهما، وهي مركز إداري يمني محلي وهي أيضاً السوق الرئيس للمنطقة. يشبه أهل بطين التابعين لتلال بني عياش، وآل يزيد التابعين للعر تقاطيع سمات أهل فيفاء، وإلى درجة أصغر ما هما فرعان لأهل منبه التي كما قد رأينا تنتمي إلى اتحاد فرود في خولان. وتقع كل هذه المنطقة على الجانب اليمني للحدود، حيث يمكن بالكاد رؤية كتف جبل النظير العظيم البارز، والمسجد الصغير الأبيض اللون الذي يقف في قمته العالية إلى ما يلي العر.

لقد وصلنا إلى قلة آل قطيل بعد مواصلة مسيرتنا فوق أرض منحدره، مارين ببرج المراقبة وصهريج مبني من الأسمنت وخالٍ من الماء وتملؤه أعشاب مزدهرة، وهي مقر مضيفنا، يحيى بن شريف. لقد ارتفعت القرية إلى (٥٠٠٠) قدم فوق سطح البحر عند النهاية الغربية للجرف، مواجهة لوادي ضمد ناحية الجنوب، ومسيطرة على التلال السفلى والسلاسل التابعة لأرض بني مالك ناحية الشمال. لقد كانت قرية مهيبه ذات منازل كبيرة جيدة البناء، ومستديرة، غير أن أهم ما يميزها هو وجود نفق واسع يقع أسفل الفجوة بين اثنين من أكبر هذه المباني وهو مفتوح على الطرفين. ويبدو أن هذا هو المركز الاجتماعي المحلي. وقد قضينا فيه مدة ساعة في جو بارد بعد مسيرتنا المرهقة. لقد التحق بنا كل سكان القرية لمناقشة شؤون العالم مع تناول القهوة والشاي، وذلك لأن مثل هذه الرفاهيات كانت غير معروفة لديهم. ولرد الجميل نحو إكرامنا لهم، فقد قدموا لنا معلومات كثيرة عن البلاد التي تمتد أمامنا في بانوراما رائعة.

نستطيع الآن رؤية وادي جلة حجام وهو يهبط إلى ضمد عند موقع يسعد حوالي ميلين ناحية الجنوب الشرقي، عند السرج المنخفض الذي يربط بين كل من عياش والسقاء. لقد كانت الغابة العظيمة التي تغطي سلسلة كل من العريف والكتف هي أكثر المعالم لفتاً للانتباه وعلى رأس كل منهما تجري الحدود إلى عمر نيد خرمة، ثم تنحدر إلى وادي حجام، ثم تمر على مستوى أدنى على الجانب القريب من كل من السقاء وعياش والعر. وتقع قمة فيفاء الآن ناحية الجنوب الغربي من موقعنا، وتوازن العر ناحية الجنوب الشرقي، بينما وقفت قمم بني مالك العظيمة قليلاً ناحية الشمال الغربي. كما وقفت ناحية الشرق من موقعنا وعبر ضمد كتلة جلحة حول نيد خرمة، وتنتشر قرية شَهْدَان الكبيرة، وهي مقر رئاسة حتروش التابع لآل يحيى، إلى أسفل فوق السفوح الشديدة الانحدار بالقرب من القمة. ويقع جزء من معقد جلحة بما في ذلك قريته في أرض يمنية. ويحمل مسيل سرمه^(١) الذي يفصل قسماً من الكتلة الصخرية، جانباً من الحدود إلى قرية أيحام.

لقد كانت مسيرتنا متقطعة، وقد استغرق وصولنا إلى القرية التالية نصف الساعة، وهي قرية نعامة ولا تبعد بأكثر من الميل الواحد فوق الجرف، ثم عبرنا ما بين هذا الموقع وقرية عَثْوَان التي وصلناها خلال ربع الساعة، وعبرنا الحدود بين قسماً آل خالد وآل سعيد، ووجدنا أنفسنا في آل سعيد ونحن ضيوف على الشيخ مدة ساعة كاملة، واسمه علي بن فرحان، وكان ينتظرنا عند باب منزله ويرفقه حشد منظري لأفراد قبيلته. لقد كان كرمه وافراً أكثر منه مشهياً ولم أكن راغباً في

(١) سرمة: - أحياناً تلفظ (حرمة) والاسم الصحيح هو (سرمة). انظر: عبدالله القبايع. العلاقات السعودية

اليمنية، ص ٤١١. (ابن جريس).

تناول ما احتواه طبق العصيدة الضخم الذي يسبح السمن من فوقه^(١)، والذي وضعوه أمامنا لفتح شهية مجموعتي، لقد تركتهم لها واستأذنت من علي لأقوم بمسح المنظر العام من فوق السطح، حيث ألقيت نظرة على الحشد البشري الضخم، الذي تجمع حول المنزل لتحية هذه المناسبة، لقد كان هنالك الكثير من أشجار العرعر فوق هذه السلسلة العالية، غير أنها كانت في معظمها في مجموعات مبعثرة، بينما كان تركيب السلسلة نفسها من شتت شبه الألواح مع عروق متكررة من الكوارتز.

ثم تنحدر السلسلة إلى وادي ضمد مع عدد من العرعات التي يتكرر بروزها، كما توجد بعض القرى الصغيرة في وسط المزارع المسطبة التي يطلقون عليها اسم حَيْفَة (جمع حياف) بينما تطلق على الحقول المستوية فوق القمة اسم ضربة^(٢). لقد شاهدت عدداً كبيراً من النسوة، أثناء سيرتي، وهن يخرجن من بين جوانب التلال ويحملن حزماً ضخمة من نبات يسمى الشث، واسع الانتشار في كل هذه التلال ويكثر أيضاً في جبال الحجاز وفي الطائف. ثم يقمن بسحق الأوراق لعمل صبغة للمصنوعات الجلدية المحلية^(٣)، وكن حينها متجهات إلى سوق السبت المحلي، في الفَرَحَة التي تقع أمامنا، بينما كان هنالك جمع آخر من وادي دَقَا عائدین إلى منازلهم بما اشتروه من بضائع حينما وصلنا نحن إلى السوق.

(١) العصيدة: - من الأطعمة الرئيسية عند سكان جنوبي البلاد السعودية، وهي منتشرة بشكل أوسع عند سكان جبال السروات، ولها أسماء عديدة مثل: - العصيدة، أو المشغوثة، أو العيش، أو اللهيدة وغيرها. (ابن جريس).

(٢) ضربة: - ربما يطلق عليها أيضاً اسم (ناهرة). (ابن جريس).

(٣) أشجار الشث يتواجد بكثرة في المرتفعات الممتدة من الطائف حتى نجران، ويعد من المواد الرئيسية في دباغة الجلود. (ابن جريس).

لم نتوقف في أي من القرى التي تلي عثوان. ثم تركنا قرية منصية وهي جانب منعزل من عثوان وتقف على طرف الجرف، وتتبعنا طريقاً على امتداد الجانب الجنوبي لسلسلة تمتد في اتجاه الشمال الشرقي، لنصل إلى قرية الرقبة الكبيرة، غير أننا عبرناه إلى الجانب الآخر عبر مضيق، وواصلنا سيرنا في محاذة قرية الأثبة الصغيرة التي تواجه التلال الشمالية. لقد تجاوزنا بذلك كلاً من الرقبة نفسها وقرية سوق الفرحة وما هي حقيقة الامتداد له، وتقع مثل منصية، على حافة الجرف الذي كان ينحدر إلى أسفل الوادي، عند موقع يتقابل فيه ضمد مع رافد من كلا الجانبين. كان ممر رحارح العظيم على جانبيه، وهو ينحدر رأساً إلى أسفل بزواوية حادة بين صخور مسننة، بينما أقبل من جهة الجنوب وادي المديره متعرجاً فوق سفح سهل، بعد خروجه من السفوح التلية لسلسلة الحدود. ويتكون هذا الوادي من عدد كبير من المسائل تتلاقى داخل الحاجز لتكون مجراه، غير أن منبعه يقع في الانطواء الذي تكوّن بالتقاء كل من سلسلة كتفه وكتلة جلحة. ثم انشقت سلسلة الجرف فيما يلي الرقبة إلى فرعين، وقد وقفت قرينا الحدفة (الحَجْفَة) و(النَّشْمَة) على قمة الفرع الداخلي أو الشمالي، فيما يلي مسيل عميق يفصل بينهما.

تستطيع رؤية خط جرف مرع، بعيداً ناحية الشمال الشرقي، فيما يلي السلسلة الحدودية، بينما نهضت قمم القهري، قريباً منا بجوار منحني لوادي دفا، وهي تقع على الجانب اليمني للحدود. ثم واصلنا سيرنا فوق السلسلة بينما ينحدر مسيل الرقبة ماراً بالقهبة ومنها إلى الجوة ومن ثم إلى الجوراء إلى اليسار، وواي ضمد إلى اليمين وفي عمق، إلى أن وصلنا إلى تلال معقدة تصل بين القمم الرئيسة وسلسلة بني مالك وسلسلة الجرف الخارجية، ويتعرج الطريق هنا بين شبكة

نيد وقع الذي تنحدر على جانبه الأيمن التلال الخارجية في عنف في طريقها إلى وادي ضمد، الذي يتكون رأسه من سلسلة من المسائل تجري داخل وحداتها المستقلة، كما يجري وادي حريص إلى اليسار وإلى أسفل ليتصل مع الرقبة كرافد نهائي الجوراء، بينما أمكننا رؤية لمحات لمجرى دفا، من أمامنا إلى ناحية الشمال الشرقي وهو يدور حول قاعدة نهران التي تشمخ أمامنا بكاملها.

ثم سلكنا الممر الخطر عند المضيق الذي تم قطعه داخل جرف شديد الانحدار مكوناً رأس مسيل عشوش داخل دائرة واسعة. ويكون هذا المسيل الرأس الرئيس لوادي ضمد الذي يفصله حزام ضيق من تلال منخفضة عن مجرى دفا. لقد أمكننا أن نرى فيما يلي دفا بعض قرى ومزارع عراب المسطوية في مسيل نهران وذلك أثناء هبوطنا التدريجي من المستوى العالي للجرف إلى التلال السفلى حول مضيق نيد أم أثبة الذي مهد للوصول لرأس ضمد ومجرى دفا. ويسكن آل تليد قرية عرب، وهي القرية الوحيدة في كتلة نهران، وتكون دفا الحدود بينها وبين بني مالك، غير أن لبعض عناصر بني مالك (بني حبس) الحق في استخدام المراعي والغابات (للوquود والخشب) في منطقة نهران. ويقع مضيق أثبة، وتوجد عليه عشة واحدة غير مؤجرة بجوار صهريج صغير فارغ مبني على ارتفاع (٥٥٠٠) قدم فوق مستوى سطح البحر، وحوالي (٥٠٠) قدم أسفل الممر العالي لنجد وقعه. لم ننته بعد من الهبوط إلى أسفل، فسرعان ما وصلنا إلى ممر آخر، اسمه نيد الرزمة الذي يربط بين وادي ضمد ووادي دفا، والذي وصل ارتفاعنا فيه إلى (٤٧٠٠) قدم فقط فوق مستوى سطح البحر. ويجري مسيل غابس من هنا إلى عشوش على جانب واحد من البداية الفعلية لضمد، بينما يجري على الجانب الآخر شعيب قعيتمان لمسافة نصف الميل ليدخل في دفا.

كنا لا نزال نواصل هبوطنا غير أن الهبوط أصبح لطيفاً ولمسافة (٥٠) قدماً إلى أدنى نقطة في الخط الفاصل بين الواديين العظيمين. كان هذا هو نيد العقبة وكان المرر ممتازاً، وهو من أكثر الممرات استخداماً بواسطة الناس الذين يعبرون من أحد المجريين إلى المجري الآخر. لقد هبطنا بذلك حوالي (١٣٥٠) قدماً من المر الذي يعلم أعلى بقعة في الطريق على امتداد سلسلة الجرف. والذي صعدنا فوقه من عند ممر نيد الشق (٤٥٠٠ قدم) إلى قلة آل قطيل عند ارتفاع (٥٥٠٠) قدم. لقد كان صعودنا متراً، من قلة آل قطيل إلى نيد على ارتفاع (١٠٠٠) قدم. ويوجد نيد داخل بلاد ذات سفوح تلالية منتظمة مكسوة بالغابات، خاصة أشجار القرظ الذي كان جافاً جداً.

لقد تجاوز الوقت زمن الغروب، وكانت بقية مسيرتنا سهلة إلى وادي دفا، الذي عسكرنا فيه عند الساعة ٦,٣٠ مساءً بالقرب من الثقوب المائية ومن مياه غيل الفقوة، وعلى ارتفاع ٤٥٠٠ قدم فوق سطح البحر، وعلى ارتفاع ٢٣٠٠ قدم فوق موقع التقاء دفا مع وادي بيش، ولربما كانت المسافة حوالي ٢٠ ميلاً على امتداد الوادي المتعرج، الذي يجري في اتجاه شرق الجنوب الشرقي إلى غرب الشمال الغربي ولمسافة الميل الواحد على جانبي الفقوة لينحرف بعدها في اتجاه الشمال الغربي حتى غاب عن أعيننا في انطواءات التلال. لا أستطيع أن أرى مجراه الأعلى عند الموقع الذي يقترب منه من أعرا نهران الجنوبية، غير أنه يبدو وكأنه يجري ناحية الشمال الشرقي إلى الموقع الذي يتكون عنده رأسه وذلك باتصال مسيل مرييقة مع مسيل الجوه، كما كان قد شوهد عند عقبة علب.

لقد وصلنا الآن إلى ختام مرحلة كاملة من رحلاتنا، وذلك لأننا قد عدنا مرة أخرى إلى الحدود وغداً سنبدأ العمل الشاق لترسيمها إلى الخلف ناحية سهل

تهامة. لقد كان يومنا طويلاً هنا وعلى الرغم من تناول غذاء العصيدة في عثوان، فقد كنا على استعداد لتناول العشاء الفاخر من الأرز ولحم الماعز، الذي تم إعداده لنا على وجه السرعة. لقد كان معسكرنا في بقعة جميلة فوق بطن الوادي الحصوي، وتشمخ الجبال العظيمة من فوقنا. وكانت مياه الغيل منقطعة غير أن الثقوب المائية كانت مستديمة، بينما امتدت شجيرات خفيضة مزدهرة وأعشاب عطرية. لقد كان الضباب كثيفاً أثناء الليل، كما كان كل شيء مبتلاً في الصباح، عندما استيقظنا لأداء صلاة الفجر عند الساعة السادسة والنصف، ثم بدأ رجال قبيلة بني مالك في الإنشاد والرقص، بعد أن فرغنا من العشاء المتأخر الذي أحس كل فرد منا بأنه قد اكتفى منه وارتاح، واستمر الغناء إلى وقت متأخر من الليل^(١). كما أطلقت بعض الطلقات من البنادق، وأضفت على الجو الراقص حيوية، واستمر الرقص في إيقاع مرتفع حتى أدركهم الانهالك، فصمتوا فجأة واستغرقوا في نوم كنوم القائم بالعدل. لقد كان غناؤهم منسقاً، غير أن الرقص كان مملاً.



(١) إن عادات السمر والاجتماعات الليلية قديماً كان يتخللها بعض القصص والحكايات الشعبية، بالإضافة إلى بعض الأهازيج والأغاني والرقصات الشعبية، والهدف من هذا كله هو التسلية والترفيه عن النفس. (ابن جريس).

الفصل الثامن والعشرون

حدود المرتفعات^(١)

كان علينا مراجعة كل شيء قبل أن نبدأ المرحلة التالية من الأحداث. كان عبدالله بن شرقة، الذي رافقنا لبعض الوقت ومعه شرطته، مسؤولاً عن كل الترتيبات وكنت مرتاحاً أن أترك له حرية عمل كل شيء. لم يكن عبدالله فقط كفتاً، بل كانت له أساليب لطيفة للتعامل مع الناس، كان يمزج الحزم في كل الأمور الجادة مع التسامح تجاه الخطأ الذي يمكن الصفح عنه، لقد كان حقيقة يستطيع العزف على اللحن المناسب في تعامله مع هؤلاء الشيوخ وأتباعهم.

كان من العرف المتبع لدينا أنه يقع على عاتق الشيخ الرئيس لأي مقاطعة يحتمل أن نعبرها في الطريق، أن يقوم بمقابلتنا على الأقل عند حدود أرضه ويظل مرافقاً لنا ما دمنا داخل مملكته^(٢). لقد استطعت بهذه الطريقة أن أكتسب معرفة العديد من شيوخ القبائل وأن أقيّم أهميتهم النسبية على المستوى المحلي، ذلك لأنه يجب أن يذكر بأن كل رئيس قبلي يستمتع بمكانته التقليدية وهيئته، إلا أن شخصيته الذاتية ومقدرتها، تعني الكثير في الإطار الديمقراطي. لم أدخل أراضي آل العليلي^(٣) في أي مرحلة من مراحل مسيرتي عبر منطقة بني مالك، ولم يكن

(١) لمزيد من التوضيحات عن مرتفعات منطقة جازان، وهي المقصودة في هذا الفصل باسم (حدود المرتفعات)، انظر: عبدالرحمن الشريف، المرجع السابق، ج٢، ص١٧٧ وما بعدها. (ابن جريس).
(٢) إن حسن الترتيب والاعتناء الجيد الذي ناله فيلبي من الملك عبدالعزيز آل سعود ورجال حكومته خلال هذه الرحلة، من أهم وأعظم الأمور التي أنجحت هذه الدراسة حتى تخرج لنا في هذا السفر الكبير. (ابن جريس).

(٣) العليلي أو آل علي، وكلا الاسمين صحيحاً. (ابن جريس).

من الضروري أن يتفقد جابر، شيخ قبيلة العليلي، تقدم ترحالنا، غير أنه وبدافع إرادته المحضة قد قام بإرسال حفيده أسعد بن حسن ليرفع تحياته إلينا وليقوم بمرافقتنا. لقد رافقنا من جورا، غير أنه لما كانت أراضيها تقع خارج إطار منطقة فحص الحدود، فقد منحته إذناً رسمياً بالانصراف مع هدية مناسبة لأتباعه ورسالة شكر لحاله. لقد غادرنا أسعد أثناء الليل بعد أن تناول معنا وجبة العشاء. كنا بالفعل داخل بلاد حبس أو على حدودها في الفقوة. التي كنا قد دخلناها من أرض قبيلة آل سعيد من نيد. لقد التحق بنا فرحان بن جبار أمداهمة^(١)، وهو شيخ قبيلة آل حبس في عثوان، غير أنه برهن على عدم فائدته لنا، وطاعن في السن وقد سمحنا له أو شجعناه على الانصراف أثناء الليل، تاركاً ابنه جبران يشرف علينا ممثلاً له حتى ننتهي من أرض حبس التي -كما ورد من قبل- تندلق فوق تلال نهران وتمس الحدود على جانبي ضمد. كما غادرنا يحيى الخالدي، راجعاً عندما وصلنا إلى عثوان على أن يلتحق بنا في وقت لاحق حينما تعود بنا رحلتنا مرة أخرى إلى حدود أرضه على امتداد ضمد، لقد كان رجلاً طاعناً في السن وجذاباً. وقد ظل في مرافقتنا علي بن فرحان، وهو شيخ قبيلة آل سعيد حتى قرية الفقوة، غير أنه لا حاجة لنا به وقد سمح له بالعودة.

لقد انتهينا بذلك من الأقسام الشمالية لبني مالك. ولا يزال الشخص الذي نرغب في لقائه غائباً. كان ذلك الشخص هو رئيس قبيلة آل يحيى، حتروش بن سلمان، الذي قد أرسلت إليه رسائل مستعجلة تطلب منه اللحاق بنا دون تأخير، وذلك لفحص حدود أرضه. لقد كنا في حاجة إلى بعض أتباعه خاصة أولئك

(١) أمداهمة: اسمه أيضاً فرحان بن جبار بن داهمة، أو (الداهمة). وجميع هذه الأسماء صحيحة مع اختلاف في بعض الحروف للاسم الأخير. (ابن جريس).

الذين عملوا من قبل في وضع أعمدة الحدود، لم تجد رسائلنا أذناً صاغية، ولم يحضر حتروش أو أي شخص آخر من أتباعه لمقابلتنا، وفي الفقوة يبدو هذا الأمر غريباً وقد احتار عبدالله بن شرقة في تفسيره. ثم انتهى كل شيء على ما يرام، وذلك بحضور حتروش في الصباح الباكر إلى معسكرنا ومعه حاشيته الكبرى. لقد كان حتروش شخصية لطيفة ومسيطرة، لقد أدهشنا حضور يحيى الخالدي لمرافقتنا، ويبدو أنه قد غير رأيه، أو أنه ما كان يؤديه من عمل كان يشغله، وقد شجعت عودته هذه علي بن فرحان على البقاء معنا. كان لدينا بذلك جمعاً منتظماً من القبائل تحت تصرفنا، بينما ازداد حشد المهويين المحليين بإضافة متعب بن جابر، شيخ آل تليد وخبير الحدود.

بدأت العمليات لهذا اليوم بحضور كل هؤلاء، بزيارة إلى هضبة منخفضة في سفوح التلال التي تطل على الفقوة (أو فقوة الريم، لإكساب الثقب المائبة اسمها كاملاً) وذلك بغرض مسح أولي للمنطقة التي سنكتشفها.

يتاخم وادي دفا، الذي ينحني ناحية الغرب أعلى الفقوة، ومن على جانبه الأيسر، شريط من تلال سفحية تفصله عن رأس ضمد، ويبلغ عرضه ميلاً واحداً مع انحدار (٢٠٠) قدم إلى المجرى، ويقيده من جانبه الأيمن ذلك الجلمود الذي يرتفع إلى (٤٠٠) قدم من سلسلة تفصله عن قدم نهران الفعلية. وتطل بقايا أبراج قرية الحسي القديمة على الجانب الأيسر من عرن منخفض ينساب من إحدى قمم قلحة التابعة لأراضي التلال السفحية، وتقع نيد إلى جنوب غرب موقعنا وتكون نيد إلى ناحية الجنوب الغربي أيضاً، بينما يقع وادي عرب داخل مسيله ناحية الشمال الغربي.

لقد شمخ هرم هجيدة العظيم، إلى أسفل مع اتجاه الوادي، وعلى الجانب الأيسر في مقابل العرnat الشمالية لثهران يسمى (صرمان) ربما يقصد بها سليمانى بلهجة تليد)، ومعه السفوح الشديدة الانحدار لبني مالك، التي يصعب تحديدها منفردة من موقع المشاهدة هذا من ناحية اليسار. لقد تكونت في اتجاه أعلى الوادي انحناء الوادي، بواسطة سلسلة عارف الطويلة، وعقدة القمم السفلى لجبال القهر، وقد التفت عن المنحنى الفعلي. وليست هنالك أي إضافات تفصيلية مهمة، ولذا فقد هبطنا إلى المعسكر لتناول إفطاراً دسماً من اللحوم قبل أن نبدأ العمليات التالية قليلاً بعد الساعة التاسعة صباحاً.

لقد وصلنا إلى الحدود بعد أن سرنا على الأقدام مدة عشرين دقيقة فوق مجرى مياه الغيل المتقطعة والراكدة فوق بطن المجرى الحصوي، والتي تعبر وادي دفا في خط شرق - غرب، قليلاً أسفل انحناءته العظيمة. لقد كانت الحدود الرسمية على الجانب الأيمن تتكون من كتلة صخرة تسمى الرصيفي وارتفاعها ثمانون قدماً وتطل على مسيل رافد على جانبها البعيد، برغم أنه لم تكن هنالك حاجة لوضع عمود حدودي فوق جسم بارز كهذا. ويقف عمود قمع معروف على الجانب الآخر للمجرى، عند مستوى الوادي لتحديد الموقع الذي عنده يجري ذلك الخط داخل السفوح التلية ليصل إلى العمود الحدودي التالي على واحد من قمم القلحة^(١) وفي مركزها. ويجب أن نذكر أنه عندما كنا في عقبة علب، كنا قد اكتشفنا بإطلالة من بعيد لما لا يقل عن نصف ستة من الأعمدة الحدودية، مثبتة فوق مجرى الجوة إلى موقع التقائه مع شعيب موتان ليكون رأس وادي دفا (أو

(١) قمم القلحة يطلق عليها أيضاً اسم (جبل أمقلحة) (ابن جريس).

وادي الريث كما يسمى أحياناً). لقد كان آخر هذه الأعمدة الذي استطعت أن أراها في ذلك الوقت هو الحُمرة، ويقع في مضيق يعترض العرن الجنوبي لكتلة ثهران، في موقع انحداره إلى مجرى دفا من فوق منحناه^(١).

كان أحد مرشدي من منطقة بني مالك، والآخر من آل تليد يجهلان أسم الحمرة للأسف، وأخبراني أن العمود الحدودي التالي، والذي يقع إلى شرق الرصيفي هو نيد جنازة، داخل ممر يقود عبر العرن الخارجي لثهران. لقد استطعت في وقت لاحق أن أرى الموقع من أرض مرتفعة ولأقنع نفسي بأن كلا الاسمين يستخدمان من وجهتي نظر مختلفتين للعمود نفسه.



(١) معظم أسماء الأماكن التي وردت في هذه الصفحة توجد على الحدود بين السعودية واليمن، للمزيد من الإيضاح انظر: عبدالله القباع، المرجع السابق، ص ٤٠٨ - ٤١٠، محمد آل زلفه. عسير في عهد الملك عبدالعزيز، ص ٢٧٢ - ٢٧٣. (ابن جريس).



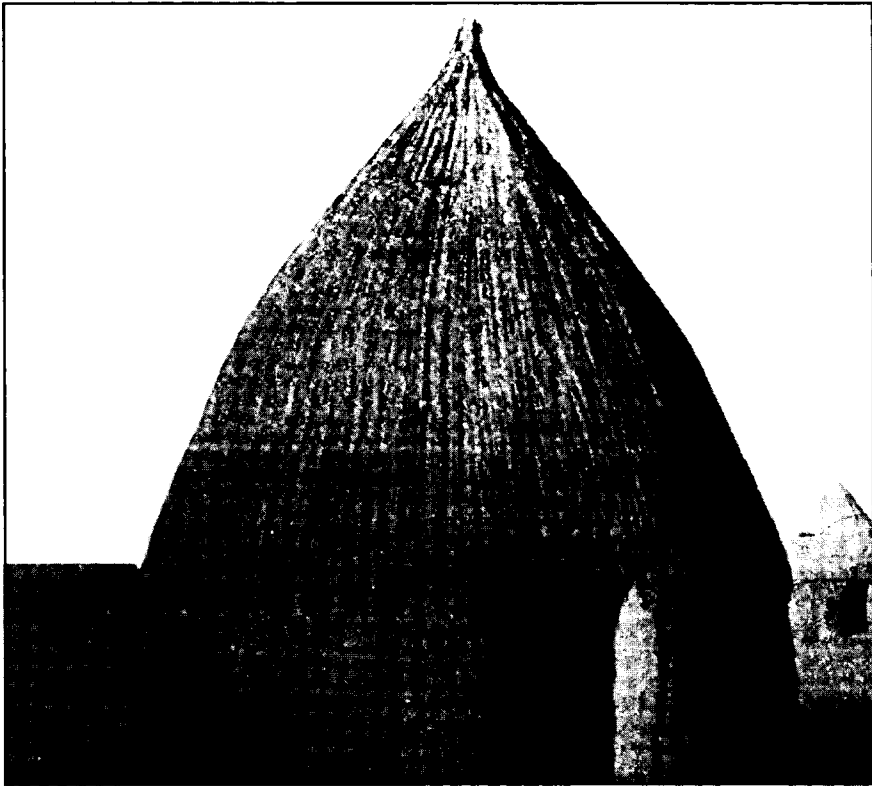
النظر من على جبل في اتجاه الشمال على امتداد عقبة علب



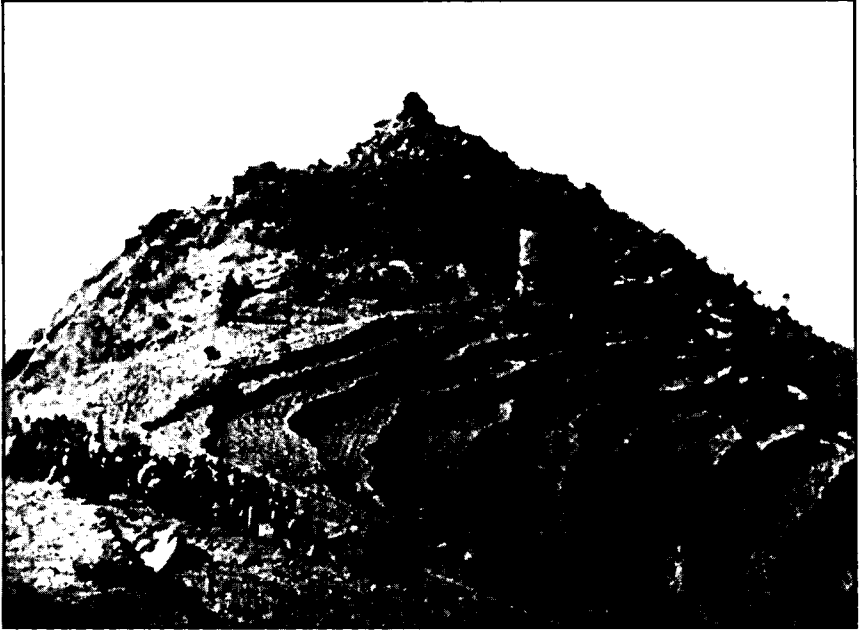
ثهران : دائرة حجرية في اتجاه الشمال الشرقي



جيزان : مراكب الرحو في الميناء مزينة بمناسبة العيد



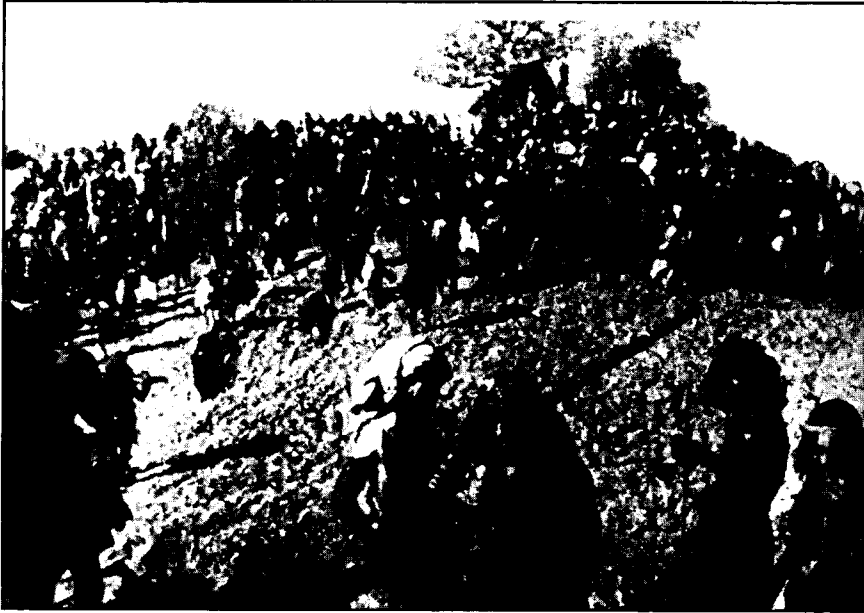
عشة في الحسينية



فيفاء : قرية أم نقييل ورجال القبيلة يغنون



فيفاء : حصون فوق مرتفعات القمة الرئيسية، ويلاحظ منزل الشيخ جابر إلى أقصى اليسار



فيفاء: جيش قبلي في الجبل



فيفاء: رجال قبائل يسكرون في صفين



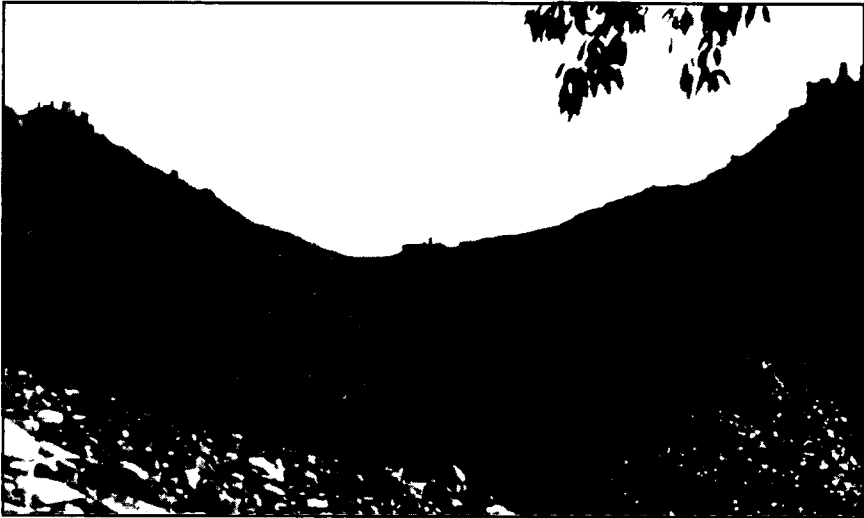
فيفاء : حصن ومسجد شيخ علي في مروح



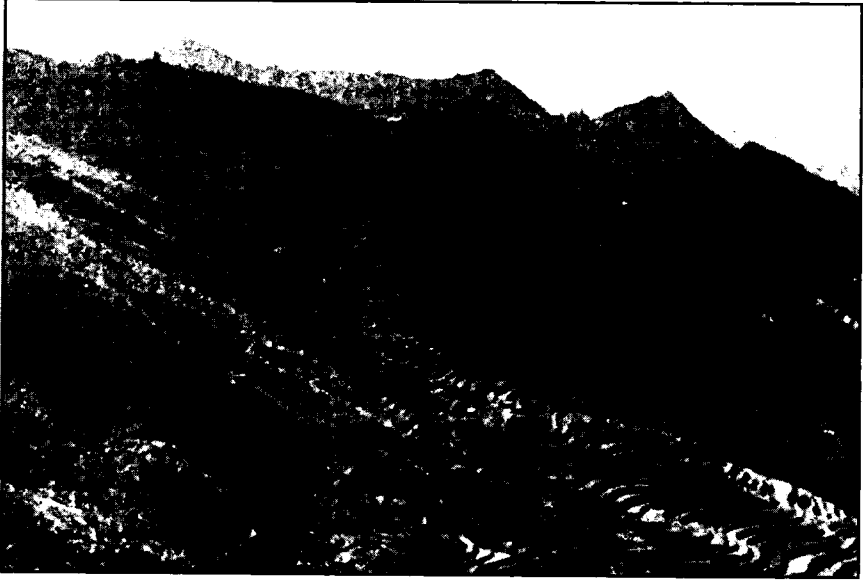
وادي الجوراء ورجال قبيلة بني مالك



يحيى أم شريف من بني مالك في معسكر الجوراء



قرى القهبة، هجو، وختم من عند الحمرة



في اتجاه عبر وادي الرقبة، على السلسلة الأولى يلاحظ ذراع أمسودة، والنشمة، والحدجة وعلى السلسلة الثانية تشاهد ريده، والثاهر، وخاشر، وخطيبة، وروحام



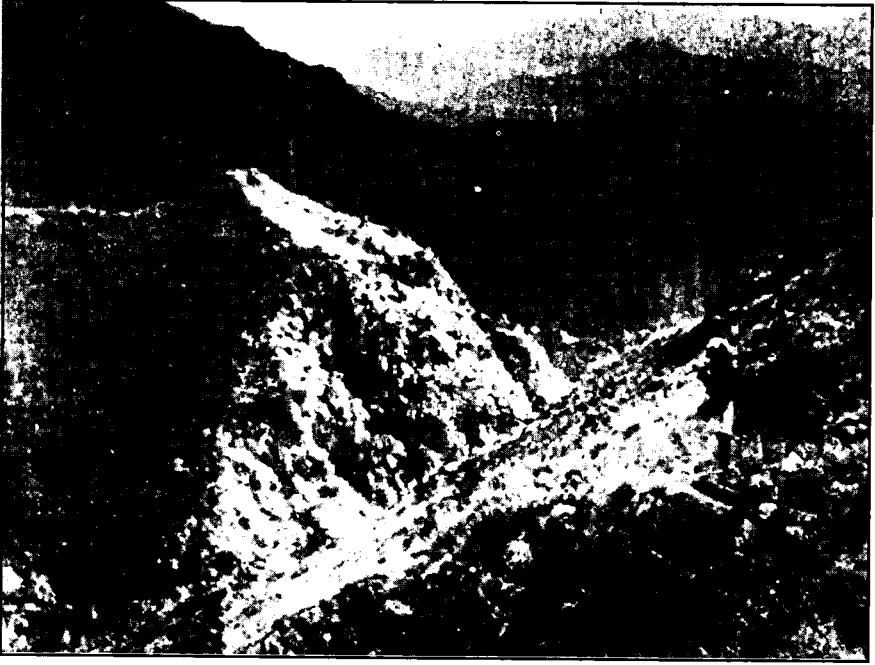
عمود قمع معروف، حتروش ومتعب ويحيى على اليسار وعلي بن فرحان على اليمين



منظر على الحدود إلى قمة القلحة، فوق قرى منظر والصحيف على الجانب اليمني



ممر نيد أمشمة (النشمة)



في اتجاه إلى أسفل وادي سموعة من عند قلات أمذيور (الذيور)



في اتجاه وادي حربرب من عند عياش



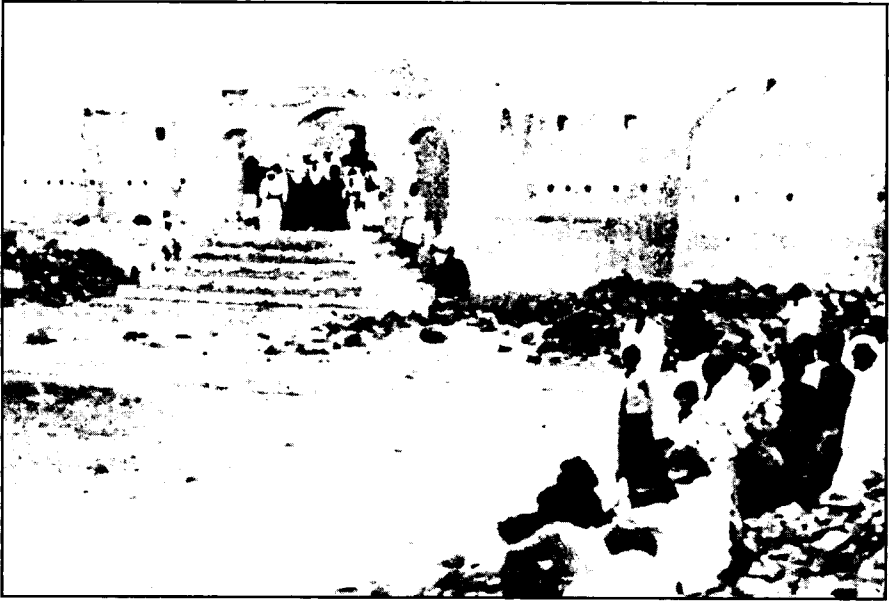
فرن بدو لاستخلاص الراتنج (الصمغ) بالقرب من وادي حبرب



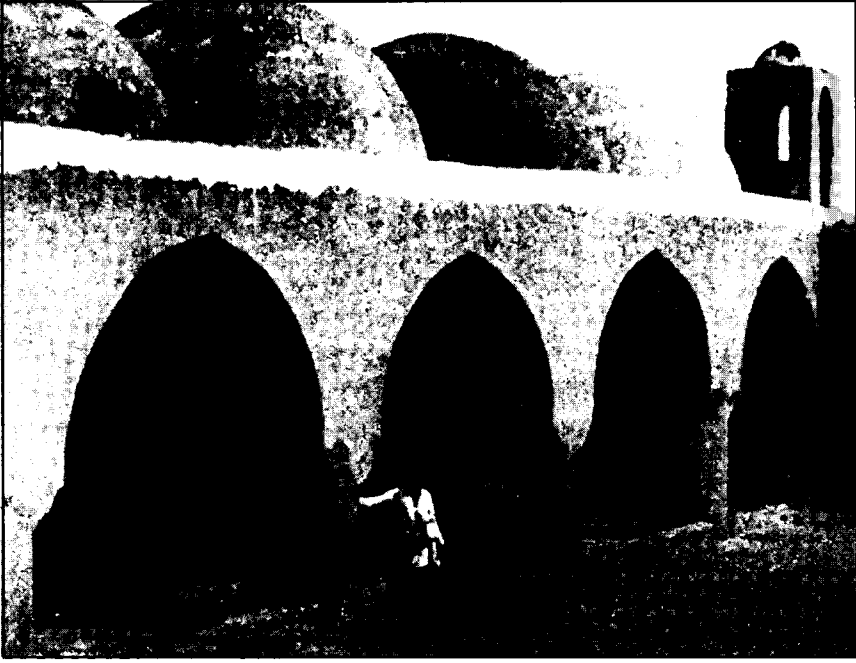
عمود قفلة الحدودي



في اتجاه وادي جازان من مدخل



قلعة مدخل القديمة، مصانه جزئياً



الجزء الداخلي من مسجد أشرف في أبو عريش



عمود مقطع الرديف الحدودي على الطريق الساحلي بين جازان وميدي



علي بن نجيب وشريفين محليين بجوار كوخ في الخوبة



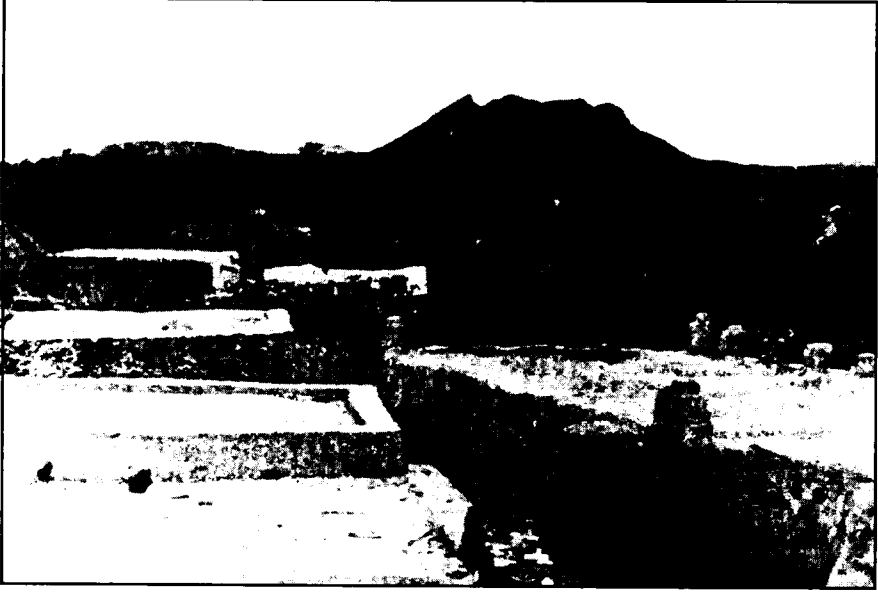
مسلتان (ضريحان؟) في وادي أمغيلة



قرية البيطارية، ناحية الشرق



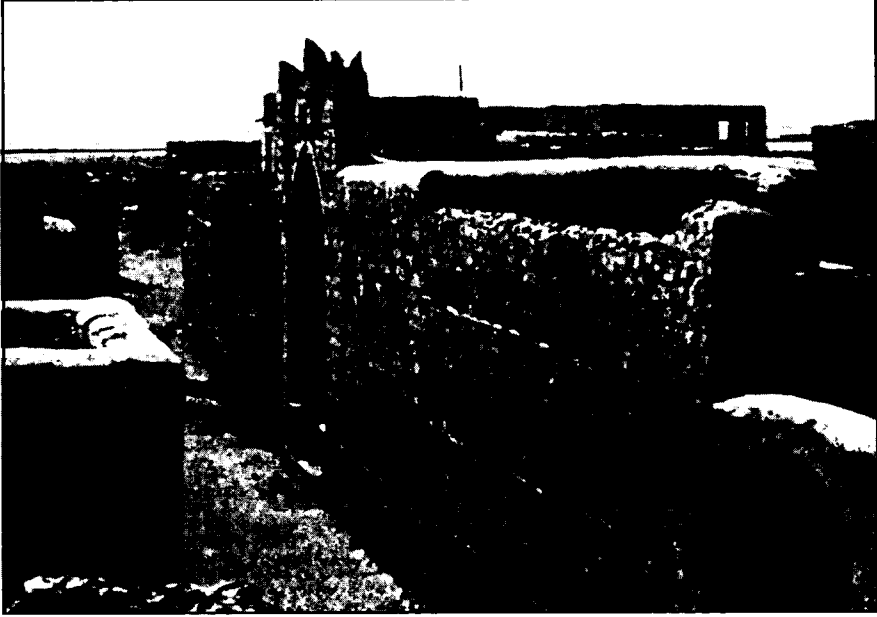
أم الخشب: الشريف حسن والشريف حسين وخداهما



النظر ناحية الشرق فوق قرية القحمة تجاه الفوهات البركانية لكل من الطفة وخرمة



فجوة في الطريق عبر حقل حمم بركانية، ذات جدار مدعم وبوابة



شارع في القنفذة



وادي الأحسبة أثناء الفيضان، بالشاطئ الأيسر

لقد كان الموقف متشابهاً في كل الحالات - كما أرى - وقد أيدتني في ذلك اتجاهات البوصلة وتعريفها. وبقبولنا لهذا الرأي، فقد تم دمج أعمدة كل من الحمرة ونيد جنازة تحت الرقم (٤١)، مع احتمال ضئيل بأنهما منفصلان. وهو احتمال على ضوئه أعددت الرقمين (٤١ و ٤١ (أ)). يتخذ جرف الرصيفي الرقم (٤٢) على الحدود ويكون عمود الحدود في قمة معروب بالرقم (٤٣) وقمة أمقلحة بالرقم (٤٤). وكنت بهذا قد ربطت نهاية الحدود على الفجوة التي كنت قد تركتها من قبل في عليين.

يجري مسيل صغير اسمه شعيب عرب في مقابل عمود قمع معروب، إلى أسفل داخل دفا من سلسلة ثهران الخارجية، وخطر بذهني أن الاسم لهذا العمود يمكن اشتقاقه من هذا وأنه يجب أن يكتب كما يلي «قمع أمعرب». استطعت رؤية قرية الشقرة الصغيرة عند جرف الرصيفي، داخل مسيلها الذي يحمل الاسم نفسه، في الموقع الذي يدخل من مسيل الشقرة داخل دفا عند زاوية منحناه. وهو يقع بالطبع، داخل أراضي يمنية، وينتمي إلى قبيلة آل ثابت، وهي من آل جمعة. ويدخل شعيب جلال، قليلاً من حول المنحنى إلى دفا، عند ممر يطل على وادي ضمد الأعلى على الجانب البعيد. ويوجد على هذا الممر عمود حدودي سنعود إليه عما قريب.

عبرنا في هذه الأثناء للوادي من الرصيفي، ناحية قمة أمقلحة اتجاه الجنوب الغربي في وسط التلال السفحية. لقد كانت مسيرة مجهدة في بلاد كثيبة، ومكسرة، وصخرية، وقد خرجنا منها بتسلق قصير وحاد لنصل إلى العمود الحدودي (رقم ٤٤)، يقع عند القمة على ارتفاع حوالي (٥٣٠٠) قدم فوق سطح البحر. وحوالي (٧٠٠) قدم فوق مستوى دفا عند قدم الرصيفي. لقد كانت

لديّ -لحسن الحظ- برتقالة واحدة في جراب المؤونة، كان قد قدمها لي عبدالله بن شرقة وقد التهمتھا الآن، شهية وسط حلقة معجبة من رؤساء نجد. لقد كنا من الواضح، أكثر عددية من أن نفكر في اقتسامها، غير أنني شعرت بالخجل بأنني كنت أخفف من عطشي، بينما لم يحضروا هم حتى زوادة الماء. لقد انتهى أمر البرتقالة سريعاً -على أي حال- وعدت لعملي. ونحن الآن تجاه الجنوب الشرقي، من معسكر الفقوة، وكان موقع عمود نيد جنازة واضحاً ناحية الشمال الشرقي، على مسافة خمسة أميال. ويقع مجرى دفا داخل الزاوية التي يكونها هذان الخطان، وهو ينحدر ويدور بينما تمكنا من رؤية قرية آل ثابت بأبراجها السكنية على السفح لمسيل يقع فوق الشقرة، ويجري خط الحدود من هنا في اتجاه جنوب الشرق على امتداد سنام السلسلة التي بدأت فوق ممر نيد جلال إلى حيث جرف كتفه الكثيف الأشجار الذي عنده ينحدر مرة أخرى في اتجاه الوادي.

ثم سرنا على طريق ممشى ماعز ملتو إلى منتصف المسافة، عبر غابة قرظ كثيفة، ووصلنا إلى صخرة شعيب جلال على الجانب الأيسر، والتي تطل على قرية الصُحيف الصغيرة التي وقفنا عندها نزولاً عند رغبة متعب رئيس قبيلة آل ثابت لننال بعضاً من كرمه الذي كان قد غمرنا به، ولتقديمه لنا الماء واللبن والبن من إنتاج مزارعهم الخاصة. لقد ناولته ريالاً ونحن نعد العدة لمواصلة السير، فقبله على مفضل صادق؛ إذ إنه لم يرغب أن يجازي علي كرمه^(١).

(١) الكرم من الصفات الرئيسة عند سكان جنوبي البلاد السعودية؛ ولهذا فلا غرابة أن يمتعض رئيس قبيلة آل ثابت من أخذ عطاء من فيليبي؛ لأنه لم يكرمهم ويقدم لهم الطعام والشراب بغرض العطاء وإنما هو كرم نابع من ذاته. (ابن جريس).

لقد كانت كل القرى الصغيرة التي تقع على الجانب الأيسر لدفا بالطبع، داخل أراضي يمنية وتقع تحت إدارة مقاطعة مجز. وينطبق هذا أيضاً على منظر، التي مررنا بها في طريقنا إلى مضيق وعمود الحدود نجد جلال، حوالي (٥٠٠٠) قدم فوق مستوى سطح البحر. ثم وصلنا هنا إلى انفصال مؤقت للطرق، وسأنتجه ومعني في رفقتي حتروش وخبراء حدوده إلى حافة سلسلة الحدود العالية، بينما تتجه بقية المجموعة ويقودها عبدالله بن شرقة إلى مسيل قييف داخل وادي يشق طريقه في الجبال حيث سيكون معسكرنا بين الحقو وبساتين قرية معينة. ينحدر مسيل قييف عند رأس ضمد الذي يعرف محلياً باسم أم صدر، ويقع التقاء المديرية وضمد قليلاً إلى أسفل، بينما يقع موطن حتروش في قرية الوجلة أو (ولده) فوق السلسلة الخارجية، بين المساليل التي تغذي المديرية والوادي الرئيس.

لقد كان رقم العمود الحدودي نيد جلال هو (٤٥)، وكان علينا أن نتسلق منحدرًا شديداً غير أنه قصير، لنصل إلى العمود الحدودي التالي رقم (٤٦) ويسمى نيد السحايا. وتطل على نيد جلال مسطبة صغيرة كان عمودها الحدودي على مسافة (١٥٠) قدماً أسفل موقعنا، وغير مشاهد لنا، إلا أنه مغطى بعدد كبير من ركام الحجارة، ولربما كانت موقعاً لمقبرة قديمة. لقد أمكننا الآن رؤية رأس ضمد وتحيط به صخرة جلمود مهيبة.

كنا لا نزال نواصل تسلقنا فوق نتوء صخري إلى كوم حجارة حدودي قبلي قديم (غير متضمن في القائمة الرسمية للعلامات، ولربما نصنفه تحت الرقم (٤٦ أ) لرزمة أم حرة التي تقع على حافة سفح شديد الانحدار على ارتفاع (٥٨٠٠) قدم فوق سطح البحر. كما يقع أمامنا منظر رائع لنيد جنازة ويرى فيه مسيل معول، الذي ينحدر من عنده إلى دفا الذي ينحني من عند موقع الالتقاء

إلى الخلف ناحية الغرب وعند قمم القهر، وتقع أمامنا الآن أيضاً مناظر أوسع ناحية أسفل وادي ضمد وحتى كل من عياش والعر جنوباً وفيفاء نفسها ناحية الجنوب الغربي، وتقع القرى المرتفعة فوق سلسلة آل يحيى قليلاً إلى يسار الشريط نحو عياش، وهي: الوجبة، والحديبة، وشهدان، والعصيمة، بينما وقفت منصية بارزة على جرف ضمد في خط واحد مع فيفاء تقريباً.

واصلنا تسلقنا لنصل إلى العمود الحدودي رقم (٤٧) واسمه نيد أمرفصة^(١)، ويقع في مضيق بين رؤوس مسایل تتجه جنوباً ناحية وادي ضمد وشمالاً داخل الأراضي اليمينية لتتصل مع وادي حنبة وهو رافد لدفا، والذي يتصل عند المنحنى مع كل من شعيب جلال وشعيب الشقرة.

كان ارتفاعنا هنا حوالي (٦١٠٠) قدم فوق مستوى سطح البحر، وبعد تسلق قصير وحاد على السفح المقابل وصلنا إلى عمود الحدود رقم (٤٨) والمسمى رزمة الرقبة، ولعله يسمى هكذا لأنه يقف في واجهة قرية الرقبة فوق الجرف، كان ارتفاع الجرف حوالي (٦٢٥٠) قدماً، ويقع قليلاً إلى ورائه كوم حجارة رقم (٤٩) لرزمة أم فرحة، التي تقف في واجهة سوق القرية التي تحمل الاسم نفسه على ارتفاع (٦٣٠٠) قدم فوق سطح البحر.

ويتبع خط الحدود في هذا القسم محيط حلقة السلسلة الواسع التي تهبط في انحدار شديد في عدد من المسایل كثيفة الأشجار إلى مستوى وادي ضمد بينما

(١) نيد أمرفصة يطلق عليها أيضاً نيد الرفضة، انظر: عبدالله القباع، المرجع السابق، ص ٤٠٩. (ابن جريس).

يتصل بسلسلة حنبة على الجانب اليميني مع سلسلة حدودية (تسمى العريف تبدأ من نيد أمرفصة إلى الأمام) لتكون رأس وادي حنبة.

ثم واصلنا سيرنا حول طرف الحلقة إلى العمود الحدودي رقم (٥٠) بظهورات (ينطق نهرات) أمقشعة، وهي على نفس ارتفاع العمود السابق، وقد كان المنظر بصفة عامة هو نفسه لم يتغير إلا في ظهور قريتين على قمة السلسلة (هما ثاهر والسودة) بينما تقع المعينة ناحية اليمين إلى أسفل منا وتكون قرية الدارة الصغيرة وراء السلسلة فيما يليها.

نستطيع أن نرى بقية أفراد مجموعتنا وهم يستريحون في المعسكر بين بساتين معينة، وكانت الساعة تشير إلى الخامسة مساءً. لقد كنا عطشى بعد مسيرة يوم شاقة. وقررنا لذلك إيقاف العمليات لهذا اليوم، وسرعان ما كنا نسلك طريق العودة إلى أسفل عبر ممر شديد الانحدار فوق مسيل كثيف الشجر. لقد هبطنا خلال نصف ساعة إلى (١٠٠٠) قدم لنجد أحد رجالنا يجلس بجانب الطريق ومعه قربة ماء جلدية كنا قد رحبنا بها كثيراً، وتوقفنا عنده قليلاً لنستمتع بشراب الماء منها. كان هذا الرجل قد حضر لنجدتنا بناءً على التوجيهات التي أرسلت له بواسطة الصراخ والصياح من فوق المرتفعات ناحية المعسكر من أحد مرشدينا عند عمود قشعة الحدودي، الذي يقع على ارتفاع (٢٠٠٠) قدم أعلى السلسلة ولمسافة سير على الأقدام مدة ساعة كاملة كما فعلنا (دون احتساب زمن التوقف).

ثم مررنا بعدد من عشش البدو البسيطة التي تشاهد قليلاً أسفل هذا الموقع. ولربما كانت مجرد مواقع وقاية للمسافرين. ثم دخلنا المعسكر بعد غروب الشمس بقليل من فوق أحد حقول المعينة المحصودة ذات المساطب. لقد كان يوماً صعباً

ومرهقاً، ونحن نحاول أن نتابع حدوداً سيئة المعالم في وسط غابة من أشجار قصيرة، والتي كنا نحارب طريقنا خلالها خاصة تجاه الغرب أمرفصة، عبر شجيرات شائكة وغيرها من الأجمات. لقد حاول الشيخ يحيى الخالدي أن يتخلف عن المجموعة في وقت مبكر، بحجة أنه متوعك وعزا ذلك بلا خجل، إلى إكثاره من تناول وجبة فطورنا، التي كانت مكونة من لحم الضأن والأرز، وأتبعها بالشراب بشراة من مياه الغيل دون ذكر شيء عن المنعشات الأخرى في قرية الصخيف. لقد شعر حتروش بالملل من إجراءات سيرنا وحاول أن يكون سيئ الطبع مرة أو مرتين في محاولة لتقصير مسافة السير، ثم صار معقولاً أكثر وودوداً حينما تحقق له أنني مصرراً على مواصلة السير إلى أقصى مدى ممكن. لقد كان رجلاً وسيماً، متقدماً في السن، مع ميل عنده ليكون فظاً وعابساً وصرح لي متفاخراً بأنه لم يتعد حدود أراضي قبيلته من قبل إطلاقاً! كما رجاني علي بن فرحان، في الختام وكرر ذلك بأن نتوقف، وذلك بحجة أن المعسكر سيكون بعيداً جداً عنا ولن نستدل عليه في الظلام، غير أنني كما ذكرت من قبل، كنت قد قمت بتوقيت كل شيء في قناعة. عندما وصل هذا النزاع إلى مستوى حرج عمدت إلى الترمسين المحتويين على كل من الشاي وشراب القشر (قشر البن) بالتالي، وقد أنعشت هذه المكيفات كل فرد إلى فترة ما، كما أكرمنا علي بالزبيب مما ساعدنا على المضي في السير. لقد استفدت الدرس من كل هذا، وهو أنه وفي المستقبل لا بد أن تكون معنا بعض المؤن -على الأقل- لصد الجوع أو العطش حتى لا يكون أي منهما سبباً للنزاع فيما بيننا.

لقد استمتعت حين وصولنا إلى المعسكر ببراد الشاي، وبمحتويات علبة من الكرز الياباني إلى حين الإشعار بقدم وجبة العشاء. لقد كانت هذه أول مرة لأي

من هؤلاء الشيوخ ليقف فوق هذه القطعة من الحدود، وذلك باعترافهم بأنهم ظلوا مع أعضاء اللجنة في الوادي بينما كانت لجنة الحدود تقوم بجولتها في الأعلى. لقد أسند عمل بناء العمود الحدودي - وبعد النقاش من الجانبين حول الموقع - إلى بدو يمثلون القبائل على جانبي الشريط. ولقد قاموا هم أنفسهم بأداء عملهم بشكل روتيني تعوزه الحماسة وتدفعهم رغبة موطدة العزم، وهي العودة لرفاهيات المعسكر بأسرع ما يمكن. لقد واجهتنا هنا المشكلة المتكررة المتعلقة بالبحث عن بعض العلامات بين أجمات الشجر، وكادت بعض هذه العلامات تبدو كأنها تراكم طبيعي للحجارة أكثر من كونه ترتيباً صنعه الإنسان أو عموداً مبنياً. كان أكثر ما انطبع في ذهني عن هؤلاء الناس، هو افتقارهم إلى العزم وقوة الاحتمال أثناء المسيرة. كما كانوا كثيراً ما يتوقفون لالتقاط أنفاسهم، ومتى ما سنحت الفرصة فكانوا يلقون بأجسادهم تحت الأشجار أو في ظل الصخور لحماية رؤوسهم من الشمس. لقد كان عرضاً شائناً، وكان جهلهم العام بالبلاد مدهشاً لي أكثر. يستطيع أي منهم بالكاد، تسمية أي معلم، حتى القرى التي تقع خارج منطقتهم، على الرغم من أنه قد كان معي ممثلون من العديد من أقسام هذه البلاد. كان طقس اليوم بارداً بشكل مرض، برغم أن إجهادنا كان عنيفاً. كانت الظهيرة ذات سحب في معظم الوقت مع حركة نسيم لطيف، لقد تراكم السحاب عند الغروب ولم يكن هنالك أمل لي في ملاحظة النجوم. لقد كنت سعيداً بالذهاب إلى النوم مباشرة بعد العشاء الذي لم يقدم لنا الآن عند الساعة الحادية عشرة مساءً، وذلك لعدم وصول الماعز حتى وقت متأخر.

تقع قرية المعينة الصغيرة على مسافة (٣٠٠) ياردة من معسكرنا وتمتد حقولها ذات المساطب إلى ارتفاع (٢٠٠) قدم إلى جانب التل إلى موقع فم صدع عظيم

ينحدر إلى أسفل الجلمود عند قمة سلسلة عارف. لقد تم حصاد الدخن وبدت المساطب عارية إلا مما تبقى عليها من جذوع، وكانت تتخللها مزارع صغيرة للبن هنا وهناك، كما كانت هنالك الكثير من المساحات من أشجار التين، وكلها عارية من الورق. يتصل كل من صدع حلال الذي ينحدر من عند معينة، ومسيل صومال، الذي نزلنا عن طريقه عند قشعة، إلى جانب مصارف أخرى ثانوية، بالقرب من القرية الصغيرة، لتعبر إلى الخارج عبر حواجز التل ناحية ضمد في ممر ضيق صخري شديد الانحدار، وتقف فوق رأسه أطلال السودة في شكل منظري. ترتفع المعينة إلى (٤٥٠٠) قدم فوق مستوى سطح البحر. وكان الطقس دافئاً في الوادي أثناء الليل ولا يوجد ندى. كما شاهدت بعض القروء في الصباح على سفح نتوء عارف، ولم يكن عددها كبيراً في هذه المناطق المأهولة جزئياً.

كان علينا أن نعيد تتبع خطواتنا، التي قادت إلى نزولنا من عمود قشعة الحدودي، وذلك لمواصلة مسحنا المتقطع للحدود. أعلن الشيخ يحيى إصراره على البقاء مع المجموعة من الفرقة التي ستخلف على مستوى ارتفاع أقل، ولم أر مبرراً في الشجار معه حول هذا الأمر. ثم بدأنا التسلق عند الساعة الثامنة صباحاً ومعنا ما يكفي من مؤن للطريق داخل سلة يحملها أحد رجال حتروش، وكانت الساعة العاشرة صباحاً، وقد سال منا العرق بعد تسلق صعب، حين وصلنا إلى نقطة البداية لأعمال اليوم، وتوقفنا مدة ساعة نستطلع المنطقة. ثم تداخلت السحب كثيراً مع الرؤيا ناحية الجنوب وناحية الغرب، غير أنني كنت قد تحصلت في المساء السابق على اتجاهات كل من العر وعياش وجلحاء في الاتجاهين الجنوبي والغربي، وكان جلحاء هو الأقرب إلينا من بين الثلاثة وينقسم إلى كتلتين رئيسيتين، فالتى على اليمين أرض سعودية وتمتلكها قبيلة آل زيدان من آل يحيى،

بينما الأخرى تحتلها قبيلة حولي اليمينية، التي تنتمي لاتحاد فروود (ربما كان متطابقاً مع نصيفه ابن خولان).

كان موقع ممر نيد جنازة واضحاً ناحية الشمال الغربي، بينما يقع العمود الحدودي في أشقة ناحية الجنوب الشرقي، ويحمل هذا العمود الأخير رقم (٥١)، غير أننا حينما وصلناه عند الساعة الحادية عشرة كانت السحب قد تجمعت بكثافة، وغاب عن أنظارنا العالم كله، عدا المواقع القليلة القريبة للسلسلة التي تحدد خط الحدود ولكن بلا أعمدة. ولقد تم تعليم هذه المواقع لأجل الملاءمة حين الرجوع إليها بالإشارة إليها برقم (٥١) (أ- ب - ج - د - هـ) كما يمكن تجاهلها كلها في كل الأغراض العملية ما عدا (٥١ أ)، وهي عبارة عن مضيق حضر الذي منه ينحدر مسيل حنبة إلى أسفل على الجانب اليميني إلى موقع قرية ثهرات على جانبه الأيسر (وتتنمي الحنبة إلى آل جمعة)، ثم يدور ليتصل بدفا في وقت لاحق. وكان هذا المسيل، وكذلك كل السفوح والقمم حوله ومضيق حضر، مغطاة بكثافة بأشجار العرعر والشث والقمر، التي تدلّت من أغصانها كتل ضخمة من الأشنات الهوائية تسمى علايين. كما يوجد نوع من الصبار يسمى «خدن»^(١) بكثرة وينمو من داخل شقوق الصخور. تلمسنا من هذا الموقع النقاط الأربع الأخرى التي ورد ذكرها، والتي كان أكثر ما يلفت الاهتمام إليها هو أن مسيل مسرب يمر بين الأخيرتين منها إلى أسفل، من ممر يتصل بعده مع صدع حلاحل، في طريقه إلى المعينة، وهي قرية غير مرئية لنا تماماً وذلك بسبب تراكم السحب. كما نستطيع من حين لآخر التقاط لمحة لبعض السمات وذلك من بين طبقات الضباب المتحرك،

(١) خدن: والاسم الصحيح هو (خَدَم) وهو من أنواع الصبار، مع أن اسم (كرات) هو الاسم المحلي لنبات الصبار. (ابن جريس).

وكان من المستحيل القيام بأي عمل في هذه اللحظة ما عدا تحريك اتجاهات البوصلة من موقع إلى آخر وتقدير المسافات. ويبدو أننا متعلقون إلى البعيد في السماء من فوق العالم داخل غطاء من السحب.

لقد كنا نتلمس طريقنا من خلال الضباب وعبر الغابة التي تتقطر بالمياه، وذلك مدة نصف ساعة حتى وصلنا إلى جرف رأس سويد الذي يعلوه كوم حجارة حدودي قبلي قديم، والذي رفضت قبوله لجنة الحدود كمعلم حدودي عالمي. وربما لم يكونوا مدركين لوجوده، وعلى أي حال، فقد أصدرنا توجيهاتهم إلى مبعوثيهم البدو لبناء كومة حجارة في هذا الموقع. وكانت النتيجة نصباً تذكاريّاً تعييراً من حجارة ومخلفات، كان نصفه قد اجترفته المياه إلى داخل الهوة الفاغرة الفم على عمق (١٠٠٠) قدم إلى أسفل الجرف، الذي وقف في شموخ على ارتفاع (٧٣٠٠) قدم فوق سطح البحر و(٦٠٠) قدم أعلى من أشقة. لقد كانت النقاط العديدة المعرضة التي لمسناها وترأضحلاً حول رأس الحلقة التي كانت سفوحها الصعبة والشديدة الانحدار مغطاة بكثافة بغابات العرعر التي امتدت فوق السلسلة الحدودية وهبطت أيضاً من ناحية سفحها الجنوبي إلى الحنية. لم تكن هنالك، بالطبع، طرق فوق السلسلة، إلا ما كان بعرض المشى الضيق، فهو يقود من الشمال إلى الجنوب عن طريق المضائق والمسائل، ولكي نعبر الغابة كان علينا بالفعل أن نشق طريقنا شقاً إلى الأمام. ويضيف الضباب المبتل الاسكتلندي الكثير لهذا الاجتهاد الشاق إلى جانب أنه ضار في أغراض المسح. وقد تمكنا من التقاط لمحات من حين لآخر ناحية الشمال والشمال الشرقي من خلال فجوات في الضباب. لقد أحاط من حولنا الخط الطويل لجرف مرع وحَدَّ من مجال الرؤيا، من جبال مدحرجة، الموجة منها تلو الموجة، وسلاسل عالية مكسوة بالغابات.

توقفنا مدة ساعة عند عمود الحدود رقم ٥٢ على الرغم من الهجوم المغيظ لمستعمرة من النمل الحقيقي، يبدو أنها كانت غير راغبة في تطفلنا على خلوتها، وذلك على أمل ضئيل أن يتحسن الطقس. لقد كان سلوك زملائي أفضل مما كان عليه في اليوم السابق، ربما يعود هذا للمؤن الكافية التي أعدناها لأجل غداء الزهة. ولا أعتقد أنهم قد استمتعوا بالضباب مثلما فعلت أنا، ولكنهم على الأقل لم يتذمروا من الحرارة. واصلت السلسلة ارتفاعها في لطف إلى حيث العمود التالي نيد كرب (ينطق شرب، ولعلها تعني شرب أو سرب) عند رأس نتوء حاد يسقط إلى مسيل الثويري، الذي ينحدر فوق السفوح السفلى الصخرية كثيفة الأشجار للسلسلة، ماراً بقرية آل يحيى التي تسمى عثيمة وتقف على رأس عرن من الصخر. كان هذا العمود الحدودي رقم (٥٣) الذي يرتفع حوالي (١٠٠) قدم فوق ارتفاع جبل سويد محاطاً بغابة كبيرة من أشجار العتم مع نمو تحتي كثيف لنبات الثار الذي تواصل فوق قمة وجوانب السلسلة التي ما زالت تصعد إلى جرف قلة شيبان وهي معلم حدودي غير مسجل رقم (٥٣) أيقع عند ارتفاع (٧٦٠٠) قدم فوق مستوى سطح البحر. وتقع قرية العصيمة ناحية الغرب من هذا الموقع، بناءً على ما قاله مرشداي، واللذان قد أشارا أيضاً عبر القناع الكثيف للسحب إلى ناحية الشمال الغربي إلى موقع معسكرنا الأخير في المعينة. لقد كان إحساسي الخاص بالاتجاهات مشوهاً، بلاد بلا علامات أرضية، واعتماداً على مرشدي، فقد رأيت أنه من الأفضل أن اطلب منهما التصوير بالإشارة إلى ناحية الجسم المطلوب بالبندقية، وأن أقف من وراء أكتافهم ومعني البوصلة لتحديد ذلك الاتجاه.

كان لديّ الانطباع طيلة النهار بأننا كنا نتجه غرباً، بينما في الحقيقة فإن الاتجاه العام لمسيرتنا من قسعة وإلى الأمام كان ناحية الجنوب الشرقي، ويكون كل

من وادي حنبة والسلسلة فيما يليه (داخل وادي دفا على الجانب البعيد) على جانبنا الأيسر. ثم يتجه مسارنا، مصحوباً بارتفاع ضئيل، ناحية الجنوب الشرقي، مارين بربوة بلا اسم ولا علامة (٥٣ ب) إلى حيث العمود الحدودي التالي فوق الجرف واسمه قلة نبشة رقم (٥٤)، عند ارتفاع (٧٧٠٠) قدم. نحن الآن على ارتفاع يفوق أي ارتفاع آخر، وصله أي عمود حدودي آخر، فوق قسم الهضبة من الحدود ما عدا كل من صبحطل (٧٨٠٠ قدم) ورأس شعب القوم (٧٧٠٠ قدم). وتجري الحدود من وعوع إلى علب عند ارتفاع يزيد عن (٧٠٠٠) قدم وقد صار خط الحدود الآن من مضيق حضر (٥١ أ) إلى الأمام على الارتفاع نفسه (٧٠٠٠) قدم، ويعلو إلى (٧٧٠٠) قدم في موقعنا هذا وكذلك عند العمود الحدودي التالي رقم (٥٥) واسمه معقر، وكانت هذه هي أعلى النقاط لهذا القسم من الحدود المرتفعة. وكلما ارتفعنا إلى أعلى، ازداد الضباب، وكانت كل شجرة في نبشة وكل جنبه تتدلى من أفرعها الأشنات ويقطر منها الماء. كانت الحشائش التي تنمو على أرضية الموقع بيّنة اللون وجافة كأنما قد عانت من الجفاف. وقد كانوا يجمعون الأشنات المتدلّية ليصنعوا منها فرشاة لكنس أرضية المطاحن.

يرتد اتجاه الخط الحدودي من نبشة إلى الخلف، في اتجاه الجنوب الشرقي إلى ناحية الشمال الشرقي، ليصل إلى العمود الحدودي المسمى المعقر، وهو كوم بائس من حجارة سائبة ملمومة مع بعضها البعض لتؤدي وظيفة المعلم الحدودي. ولم نر القروود في كل هذه الأراضي ذات الغابات، غير أن مخلفاتها كانت منتشرة فوق السطح ولا بد أن تكون متوافرة في أعداد ضخمة. لم يكن هنالك غياب لثمار العليق البري وغيره من الثمار التوتية التي تتغذى بها القروود. لقد تجاذبنا أثناء سيرنا الحديث حول حرب اليمن، والتي أدى فيها حتروش وغيره دوراً مشبوهاً. ولقد

ساعدوا بالتأكيد وآوا عبد الوهاب ومتمردوه من الإدريسيين. ولقد أخبرني كذلك بأن القوات اليمينية قد تغلغت إلى كل هذه المنطقة، وعبرت ضمد لتحتل جبال بني مالك وفيفاء نفسها.

لقد وصلوا إلى سوق عيبان واحتلوه لأيام قليلة، ولم يكتسوا لأكثر من شهرين، في المناطق التي تقع إلى الشمال من ضمد. كما وقع معظم القتال الفعلي بين عصابات عبد الوهاب وقوة حملة حمد الشويعر على سفوح وغابات سلسلة هذه الحدود، كما أدمن معظم بني مالك والقبائل المجاورة استعمال ضرب من بدائل التبغ يمضغونه باستمرار، ويسمى هذا الضرب من التبغ (بردقان)^(١) ويحتوي على أوراق برتقال مجففة، مستوردة بكميات كبيرة من أسواق اليمن، والتي تتلقاها بدورها من مصادر أجنبية، معبأة في بالات مسطحة، تسحق الأوراق إلى مسحوق يشبه النشوق وتضاف إليه مادة تسمى دقدقة، غالباً مستخلصة من الليمون، ثم يحمل الخليط في صرة من قماش أو جلد والذي يستمرون في مضغه، ثم يبصقونه في كتل حمراء، تخلف علامات واضحة على الأرض والصخور ويبدو أن المادة منبهة في لطف^(٢).

يدور شريط الحدود من معقر ناحية الجنوب الشرقي ليتجه إلى العمود الحدودي التالي واسمه نيد نشمة رقم (٥٦) عن طريق مضيق متعارض غير معلم يسمى شروه (١٥٥). ثم ينحدر سفح السلسلة، على يسارنا ونحن نتقدم في هذا الاتجاه، عبر غابات كثيفة إلى الجزء الأعلى لوادي حنبة، الذي كانت فيه ثلاث

(١) بردقان: - هو اللفظ المحلي الذي يستخدمه أهالي جازان، مع أن هذه المادة مستخلصة من قشر البرتقال المجفف. (ابن جريس).

(٢) هذا النشوق، أو الدقدقة لا زال كثير من اليمانية يستخدمها إلى اليوم، ولجدها متوفرة في الأسواق اليمينية وكذلك السعودية القريبة من الحدود بين الدولتين. (ابن جريس).

قرى هي مقره، وذات قسمين هما: حلقوم وخوارج بهذا الترتيب في اتجاه أعلى الوادي، ويقطنها كلها جماعة الحنابة بني حنبة من (بني جماعة).

كما تجري على الجانب البعيد من هذا الوادي سلسلة عقيبة الطويلة، ذات القمم المغطاة بالغابات، والتي تكون حلقة مع كتلة تليه تسمى شعثمي، وتقع بينها وبين سلسلة كتفة، التي تقع أمامنا، على شكل دائرة حول رأس الوادي. ثم هبطنا من المعقر لعمق (٥٠٠) قدم إلى مضيق شروه الذي عنده ينحدر نتوء حاد إلى عمق (٢٠٠٠) قدم إلى مسيل شروه وقرية آل يحيى في أسعر عند ارتفاع (٤٥٠٠) قدم فوق سطح البحر أو (٢٧٠٠) قدم أسفل المضيق، وبالقرب من التقائه مع شعيب اللجاج عند سفوح كتفة. ثم ينساب المجرى المشترك الآن عبر ممر صخري لطيف للسلسلة الخارجية، أسفل المرتفعات العليا لقرية الوجة، ومنها إلى ضمد. لقد بدأ الطقس يصفو، كما اقتربت مناشط يومنا من نهايتها. والساعة تشير إلى الرابعة والنصف، وأمكنا رؤية فيفاء أسفل قلنوسة سميكة من السحب ناحية غرب الجنوب الغربي. كما أمكنا كذلك رؤية قمم الجلحاء وعباش فيما يليها، وتقع قرية نيد قحيف الصغيرة في انطواء لعباش بينما التقطنا لمحات عبر وادي ضمد لبعض قرى الجرف، بما في ذلك الرقبة وريدان العزة فوق العرن الطويل الذي يجري إلى أسفل من ذلك الجانب إلى حافة ضمد، والذي يقع واديه المملوء بكميات وافرة من مياه الغيل، المتلألئة في ضوء الشمس المتقطع مكشوفاً لنا ولأول مرة هذا اليوم، ويجري مسيل نشمة على الجانب الأيسر للمضيق إلى أسفل ليتصل مع وادي حنبة عند حلقوم.

يقع عمود نشمة الحدودي قليلاً ناحية الجنوب الشرقي من موقعنا ويكمل الوتر للسلسلة التي بدأت من المعقر، ثم هبطنا إلى حيث موقعه من مضيق شروه

لنجد أنفسنا عند بداية سلسلة كتفة، التي ترتفع إلى ممر تكسوه الغابات عند نهايتها البعيدة والتي لا يقل ارتفاعها عن (٨٠٠٠) قدم وقد كانت معلماً بارزاً في المنظر الطبيعي الريفى. لم يكن علينا زيارتها كخط حدودى في الوقت الحاضر وهي تمتد على مسافة من عمود النشمة إلى موقع خالٍ من العلامة (١٥٦) عند ارتفاع حوالي (٧٠٠٠) قدم، ثم ينحدر على حافة نتوء حاد كالسكين إلى قرية اللحاج المزوجة التي تقع ناحية الجنوب من موقعنا، وقليلًا أعلى أسعر، لقد كانت أسعر هي هدفنا المباشر كما أمكننا رؤية زملائنا وهم يعسكرون من حولها. لقد قررنا أن نتخذ الطريق المباشر إلى المعسكر وقد كادت الشمس أن تغرب، إلى أسفل السلسلة وأن نترك فحص بقية أعمدة الحدود ليوم الغد. كانت الساعة تشير إلى الثامنة مساءً، وكان الظلام دامساً على الرغم من البدر الكامل الذي حجبه السحب، ثم لحقنا بزملائنا في المعسكر على طريق منحدر هبطنا خلاله إلى (٢٥٠٠) قدم.

كانت قرية أسعر تحتل موقعاً جميلاً في محيط تشغله الغابات قليلاً أعلى الجانب الأيسر للمجرى، وأسفل موقع التقاء مسيل كل من شروه وللحاج. ويقف مسجدها بارزاً بلونه الأبيض بين العشش الكثيبة التي تكوّن المستوطنة، وقد انتشرت حقولها المسطوية التي تم حصادها إلى أعلى وإلى أسفل منها وعلى جانبي المجرى وقد حففتها أشجار التين وغيرها من الغطاء النباتى. لقد كانت هذه البلاد ملائمة لحياة الطيور. وكانت طيور السوادية وافرة، وكذلك أسراب طيور الغداف طويل الذيل، وقد رأيت أثناء النهار عدداً من صقور جريفون.

لقد أمضى فرج وقت الظهر، بعد وصوله مع العفش، في الصيد بالبندقية، وقد اصطاد غنيمه ثمينه، كانت عبارة عن أنثى لنوع أخضر من طيور الوقواق. كان هذا النوع من الطيور بالطبع جديداً بالنسبة لي، ولم تتمكن من الحصول على

أي عينة أخرى منه خلال بقية الرحلة. ولا تملك إناث هذا الطائر العرف الأخضر الجميل للطيور المذكورة، بل لها منه أثر ملون. واعتقد العلماء، حينما تم فحص الطائر بواسطة الخبراء في المتحف البريطاني في وقت لاحق، مقارناً بأنواع مماثلة من الحبشة وغيرها، بأنه نوع جديد للعلم، ولكن بعد بحث مضمّن في أدرج المتحف اكتشف السيد جي. ل. بتز (G.L.Bates) عينة مطابقة لعينتي، وحينما قام بفحص الرقعة الملتصقة على العينة اكتشف أنها -وكانت هي أيضاً أنثى- قد تم جمعها قبل ثلاثين عاماً من اليمن، بواسطة السيد وإيمان بري (Wyman Bury). لقد تم فحص ووصف هاتين العينتين بواسطة السيد بتز بوصفه نوع جديد وأسماه: لقد تعرف حتروش على الطائر عندما رآه وذكر أن اسمه المحلي هو ورقة كما قام فرج بإدخال ثلاث من طيور السمنة الصخري وبعض الطيور النساجة وكانت لا تزال في ريشها الشتوي.

لقد وجدنا عبدالله بن شرقة طريح الفراش بالحمى، حينما وصلنا إلى المعسكر، وقد ذهب إلى فراشه بمجرد وصوله إلى هناك على الرغم من أنه أعلن أنه سيكون معافى في الصباح لمواصلة المسيرة إلى موقع معسكرنا التالي. لقد حدث خطأ في نظام ترتيب المطبخ وقد قام ابن هذيل الذي كان لديه الوقت الكافي لإعداد العشاء، بطبخ الماعز بأسلوب بدائي وبطريقة لا تدفع الشهية لأكله. كما تداخلت الشوشرات الكهربائية، لزيادة متاعبي مع استقبال الراديو، بينما حجبت السحب الكثيفة السماء، واستحالت الملاحظات الخاصة بالنجوم. لقد كانت هذه نهاية سيئة ليوم كان لطيفاً بما فيه الكفاية وحافلاً بالاهتمامات.

وكانت المسيرة إلى أسفل من عرن سلسلة النشمة طويلة ومرهقة فوق ممر صعب ينحدر في نتوء حاد يقود إلى أسفل إلى حيث مسيل شروة على يميننا

ومسيل اللحاج على يسارنا. وينحدر مسيل اللحاج عند الجلاميد التي تحيط بالأسنان الشرقية للسلسلة الرئيسة التي تجري شرقاً من نهاية عرن نشمة، إلى جرف راجل المرتفع ثم يدور مرة أخرى باتجاه الجنوب الغربي إلى التواء الضخم المسنة حيث يبدأ تنوء آخر مكوناً الجانب الأيسر للحاج. وينتهي التواء اللذان يتقاربان بالتوالي في هضاب الضحى البارزة (٥٦ ب وبلا علامة) ووعر (٥٧ أ وكذلك بلا علامة) وتتقاربان في السلاسل السفلى على مجرى اللحاج، الذي توجد فيه شجرة عتم تقف فوق جزيرة صغيرة من الصخر تسمى أمقدة التي قد اعتمدها لجنة الحدود كعلامة حدودية رسمية (رقم ٥٧).

ويرتفع هذا الموقع إلى (٥٢٠٠) قدم فوق مستوى سطح البحر ويقع أسفل سلسلة النشمة بعمق (٢٠٠٠) قدم. ويكون هذا الانبعاج الخارجي للحدود فيما وراء الخط الرئيس للسلسلة تنوءاً لمقاطعة حنبة، ويندلق فوق الصخرة ليشتمل على قرية لحج حنبي المرتفعة التي تقف على الجانب الأيمن للحج، كما تقف في واجهتها وعلى الجانب الأيسر قرية اللحاج يحياوي الصغيرة التي تنتمي إلى قبيلة آل يحيى. ويجري مسيل اللحاج أسفل نقطة أمقدة الحدودية داخل أراض سعودية، من خلال ممر يحيط به جلمود رائع وتقع عند نصف الطريق إلى قرية مطه عند موقع تدفق مسيل أمحشرة من مضيق صوفع شرق ممر مسنة، ثم يبدأ المجرى في اعتراض السفوح المسطبة أسفل الممر، التابعة لمزارع أسعر. لقد سلكننا طريق التجارة الذي يصل أسعر عن طريق مضيق نشمة وحلقوم التي تقع إلى أسفل أيضاً مع المناطق الواقعة تحت سلطة الرئاسة اليمانية في مجز، والتي تبعد مسيرة يومين من أسعر. وتنقل مسيرة يوم واحد كما يقولون، المرء من مجز إلى صعدة. كانت الليلة في مجز بلا ندى وكانت دافئة.

واصلنا برامجنا بعد أن تحسنت صحة الأمير، وبدأت مجموعة المسح السير عند الساعة التاسعة صباحاً، متتبعين طريق الهبوط الذي سلكناه أمس حتى أمقدة، حيث توقفنا لالتقاط الأنفاس بجوار بركة صخرية تقع تحت حاجزها الذي يبلغ عرضه خمسين ياردة عبر المجرى. كان هنالك حجر واحد، موضوع عند موقع تفرع ساق شجرة العتم، وهو السند الوحيد للاستشهاد بأنها ذات أهمية خاصة كنقطة حدودية. سلكنا الآن التواء الحاد الذي يقع على الجانب الأيسر لمسيل اللحاج إلى هضبة وعر (١٥٧) ومروراً بعلامة حدودية بدوية قديمة (بين آل يحيى والحنبه) التي تقع على هضبة ضاري ضاحي (تأحي) وهي في خط واحد مع ممر مسنة (٥٧ب) الذي كنا قد وصلناه عند الظهر.

كان ارتفاعنا هنا حوالي (٦٩٠٠) قدم، ولسبب ما لم يكن من الضروري تعليم الموقع بعمود. كانت السلسلة هنا مغطاة بالحشائش الطويلة وكانت كلها جافة، مع وجود جنبات قليلة. كان كل من العمودين الحدوديين التاليين وهما صوفع (رقم ٥٨) وفرثية (أمفرثية) (رقم ٥٩) مشاهدين لنا عبر الهوة العميقة لمسيل أمحشرة، الذي طفنا من قبل حول وتر صخرته، بجوار مضيق (رقم ٥٧ج) عند رأس الأسنان الصخرية لنصل إليها. كان الطقس هنا -بالمناسبة- لا يزال لطيفاً وصافياً، وقد تمكنا من التقاط منظر ممتاز من مسنة، متضمناً القمتين البركانييتين لعكوة إلى البعيد في سهل تهامة مروراً بالكنف الأيمن لفيفاء. كنا نستطيع كذلك رؤية العلامات الحدودية من خلفنا، لكل من المعقر ونبشة، ونستطيع رؤية قرى تلال الجلحاء إلى الأمام منا.

هبطنا بمقدار (٣٠٠) قدم من عند مسينة إلى رأس مسيل يسمى سواد وهو أحد روافد اللحاج، ثم صعدنا من هناك مرة أخرى على حافة الجلمود الذي كان

ينساب من صخوره الماء، على ارتفاع (٧٢٠٠) قدم. استمرَّ صعودنا إلى مضيق أمحشرة على ارتفاع (٧٦٠٠) قدم فوق سطح البحر حيث استدرنا حول المنحنى تجاه العمود الحدودي المسمى نجد صوفع والذي كان على ارتفاع (٨٠٠٠) قدم فوق سطح البحر. لقد بدأ الضباب الكثيف يتجمع -لسوء الحظ- ويطوقنا، وقد وجدنا أنه من الصعوبة بمكان أن نشق طريقنا فوق هذه السفوح الشديدة الانحدار والخطرة جداً، عبر غابات العتم والعرعر. لقد كان كل من هاتين الشجرتين مثمراً الآن، ويقال إنهما الغذاء المفضل للقروذ المحلية، والتي على أي حال لم نرها بعد إلا أننا كنا نسمع تردد صياحها مع الصدى ومن خلال صدى السحب. وكان طائر الحجل متوافراً هنا، كما قد كنت قد لاحظت في مسنة صقراً يطارد سرباً كبيراً من حمام داكن اللون، ولربما كان الحمام الحبشي، علماً بأنني لم أتمكن من الحصول على عينة منه للتعريف العلمي.

لا يزال وادي حنبة يمتد على يسارنا وهو هنا يقترب من موقع رأسه، حيث يمتد مسيل عمقيه الذي ينحدر من على بعد ميلين من نيد صوفع في سفوح كتفة الشمالية الكثيفة الأشجار، ليتصل مع مسيل القويد المنحدر من سلسلة عقيبة. ومن هذه النقطة تقع قرية القويد الصغيرة في الزاوية التي يكونها الجانب الأيسر للمسيل مع الجانب الأيمن لعمقية، ويطلق على المجرى اسم وادي الحنبة على اسم آل جماعة الذي تنتمي إليه كل قرى هذه السفوح، بما في ذلك أمقربة وقليلة التي تقع قليلاً أسفل موقع الالتقاء، وكذلك أمهللة، قليلاً إلى أسفل على الجانب الأيمن للمجرى، يجري وادي حنبة داخل دفا فيما يلي جبال القهر عند منحناه العظيم. وكان جزء كبير من غابة العرعر التي تمتد من عند خط سيرنا من نجد صوفع إلى العمود الحدودي التالي في أمفرثية شرقاً وإلى الجنوب الشرقي فوق السلسلة التي

تغلق رأس حنبة، كان عبارة عن حطام أسود لجذوع غير مورقة وأغصان وذلك بسبب الحريق العظيم الذي عم الغابة قبل سنوات. لقد كان هنالك الكثير من الغطاء النباتي الجديد النامي في الموقع، غير أن العرعر كان ميتاً تماماً، جذوع ضخمة وأغصان عارية متآكلة. ويقع عمود أمفرثية الحدودي على مسافة (٥٠٠) ياردة جنوباً (قليلاً ناحية الغرب) من نجد صوفع، وقد تحقق لنا أنه التالي في العلو والارتفاع في كل الحدود إذ بلغ ارتفاعه (٨١٠٠) قدم. ويبدو أن مضيق أمحشرة يكون الخط الفاصل بين سلسلة العريف الحدودية وسلسلة كتفة الأصلية.

تكون السلسلة، من فرثة، التواء الجنوبي الذي ينتهي عند كتف صخرة عظيمة تسمى مروح^(١)، تغطس أسفل جلمود شديدة الانحدار إلى حيث مسيل صمعة الذي يقع رأسه عند قمة التسنن التالي للسلسلة عند ممر نيد أم رزم الذي تم تعليمه بواسطة العمود الحدودي التالي (رقم ٦٠). ويقع هذا العمود على مسافة تقل عن الميل الواحد من أمفرثية ناحية الجنوب الشرقي، ولكي نصل إليه كان علينا أن نهبط بمقدار (٤٠٠) قدم، ونحن نشق طريقنا فوق النمو التحتي الكثيف لأرضية الغابات وعبر الضباب الكثيف. لقد اختبر هذا التوافق في توارد المواقع رباطة جأش حتروش إلى حد الانفجار. لقد لعن حتروش بصوت مرتفع هذه الأرض واعترض عليه حسن حسين، دليلنا اليحياوي وخبير الحدود، وأسقط اللعنة عن البلاد وألحقها بالضباب وردَّ عليه حتروش ألا يكرر قول ذلك الكلام. ويعد من السلوك المنافي للمعتقدات في الجزيرة العربية أن يلعن المرء الماء أو المطر بأي شكل، إذ إنها شريان الحياة للبلاد^(٢).

(١) مروح ربما يطلق عليها أيضاً (قلة أمروة). (ابن جريس).

(٢) نعم لا يجوز شرعاً لعن الماء أو المطر، أو أي شيء من مخلوقات الله عز وجل، وقد نهى الرسول

عن ذلك. (ابن جريس).

يرتفع مضيق نيد أم رزم إلى (٧٨٠٠) قدم فوق سطح البحر ويقع عند رأس طريق يقود إلى أعلى، إلى قرية خرمة التي تقع أسفلنا عن طريق مسيل صمعة ويتجه إلى قرى حنبة ومنها إلى مجز، وينحدر شعيب خرمة نفسه من فوق جرف وجلاميد قلة أمذيور وهو البروز التالي للسلسلة الرئيسة، بينما يمتد مسيل آخر اسمه صمعة فيما يلي خرمة إلى أسفل، عند الانطباق الذي تكون بالجرف الرهيب لكل من مقعد كتفة وجلحاء التلي، ثم تلتقي هذه المجاري الثلاثة في ملتقى يقع إلى البعيد أسفل قمة السلسلة، ومن هناك يمتد الوادي على انحدار سهل ماراً بقرية خرمة على جانبها الأيمن، ومنها إلى الجرف العظيم الذي يسمى موفار والذي فيما يليه يدخل إلى ضممد. ويقع الجزء الشمالي من كل من صمعة والخرمة داخل الأراضي السعودية من الحدود، غير أن جنوب صمعة يقع في أرض يمنية ويجري خط الأعمدة الحدودية إلى أسفل تتوء منحدر يفصل بين صمعة والخرمة حتى موقع الالتقاء الثلاثي.

يقود هذا التتوء إلى بقعة فوق سلسلة كتفة إلى مسافة فيما يلي موقعنا الحالي على مضيق نيد أم رزم، كانت الساعة تشير إلى الخامسة مساءً حينما فرغت من أعمالنا هنا، وقررنا أن ذلك يكفي لهذا اليوم. ولم نكن نأمل الوصول إلى المعسكر قبل حلول الظلام. كما لم يطلع القمر هذه الليلة ليلقي بضوئه وذلك لانخفاض السحب. ثم أسرعنا، على هذا الأساس للعودة بأن نسلك الجزء الأكثر انحداراً من المسيل الأعلى، ولم يكن ذلك سهلاً، لنصل قبل غروب الشمس. لقد كان كل شي بعد ذلك عبارة عن محنة مع الظلام المطبق، إذ كنا نصارع الطريق، فنكون حيناً في بطنه وحيناً فوق سفوحه الخطرة وحيناً آخر على الجانبين. لقد تضاعفت الغابات الكثيفة مع الظلام الدامس، وأصبحنا نسير بلا هدى إلى الأمام.

ويقودنا الطريق عند موقع الالتقاء الثلاثي للمسائل إلى قرية السودة الصغيرة التي تقع على رأس سلسلة بين مجرى كل من صمعة والخرمة. لقد كان الظلام شديداً للدرجة التي كنا بالكاد نستطيع رؤية الأكواخ التي تتألف منها القرية، غير أننا قمنا بتحية من قابلنا من السكان ثم استرحنا لفترة داخل فناء مسور بالأعواد، بينما انهمك الأهالي في إشعال الأعواد ليوصلونا إلى موقع المعسكر، ثم بدأت مسيرة حملة المشاعل - منظر متوهج تمنى المرء رؤيته في كل مكان - وسرنا معهم ربما مسافة ميل واحد فوق الممر الصخري الذي كان هو كل ما يمكن رؤيته. مررنا بعنزة قد وضعت مولودها في منتصف هذا الممر، وقد قام علي بن فرحان بالتقاطه وإحضاره معنا، معلقاً بأنه يشفق عليه من أن تأكله ذئب الغابة. وقد تبعت العنزة الأم موكبنا كأنها مقدره شاكرة ومعتادة على مثل هذا الاهتمام.

لقد اكتشف علي، عند وصولنا إلى السودة أن قدمه تؤلمه وطلب المكوث هنا لقضاء الليلة. وكنت اعترض على مثل هذا القرار مما جعله يرضخ ويواصل السير. لقد ذهب هو ومعه حتروش تحت غطاء الظلام، بمجرد أن وصلنا إلى المعسكر، إلى قرية الخرمة، لقضاء ليلتهما مع أقاربهم دون أن يمكثوا حتى لتناول العشاء معنا. كما لجأ إلى القرية كذلك كل من يحيى وشريف، برغم أن مسيرتهم في صحبة العفش كانت مريحة وقصيرة، ولم يعودا إلا في صباح اليوم التالي. لقد كانوا مجموعة بقلوب العصافير يتحاشون التعب وعدم الراحة كتحاشيهم للسم الزعاف. وقد شكوا كلهم بالفعل من برودة المرتفعات، على الرغم من أنني لم أحسّ بتلك البرودة ما عدا فترة قصيرة؛ وذلك قبل وصولنا إلى السودة، وحينما أضاف هطول المطر إلى مصاعب السير في الظلام، كما أمطرت السماء مرة أخرى ونحن في المعسكر ولكن لم يدم ذلك طويلاً.

لاحظت للأسف أن الأمير قد عاودته الحمى بمجرد وصولنا، وقد رفض تناول العشاء ومع ذلك فقد أصرَّ على بقاءه معنا في المعسكر، وهو موشح بالبطاطين تحت وقاية أشجار التين التي تسور الموقع. ثم أعلنت لهم، باعتبار كل هذه الأحداث، وتقديراً للجهد الكبير الذي بذله كل من كان قد رافقني في أعمالنا في هذه المرتفعات، أن يوم الغد سيكون عطلة عامة لاسترداد العافية. كان هذا اليوم هو اليوم قبل الأخير لعام ١٩٣٦م، وهو العام الذي برهن على أنه أكثر أعوام استكشافاتي نجاحاً وأكثرها أهمية في الجزيرة العربية، وقد كنت أيضاً أحتاج لبعض الراحة. لقد تجوّلت أثناء يوم العطلة هذا ومعني بندقيتي والبوصلة لمراجعة أخيرة حديثة للنتائج. وقد كان هنالك الكثير من الطيور، ليس من بينها ما يثير الاهتمام غير طائر الشادي الأصفر الذي كنا نعرفه من قبل في اليمن فقط. وتصلت كذلك على طائر السمنة وعلى طائر الجشنة الشائع. وكان أكثر الطيور انتشاراً في هذه المناطق هي طيور السوادية والغداف إلا أنني لم ألاحظ طائري: الحجل الذي كنت أتوقعه في هذه الجبال.

يقع معسكرنا عند منتصف الطريق بين القرية وفم عمر موفار، وهو مجرى صخري يمتد بين جلاميد عالية وبه قلعة قديمة مدمرة، ربما كانت مخفراً متقدماً للإدريسي، واقفة على جانبه الأيمن وكانت تعرف باسم فثة، ولم أتمكن من الحصول على معلومات عن تاريخها. وكانت قرينا السوداء والخزمة، وهما بالتأكيد وبالاعتراف يقعان داخل أراضٍ سعودية، إلا أن سكانهما كانوا من بلاد حنبة والمعروف عنهم أنهم مواطنون يمنيون. ويقوم العنصران السعودي واليمني، بزراعة الحقول، كما هو الحال أيضاً في وادي صمعة إلى أعلى وعلى سفوح كثفة حيث الزراعة المشتركة بين كل من حنبة وبني خولي هي الراتجة. لم تكن النسوة في كل

من الخرمة والسودة بالجميلات وكان يبدو عليهن الإرهاق والتقدم في العمر برغم أن بعضهن لم تكن طاعنات في السن، لقد كانت كل هذه المنطقة غنية بالأبقار وهي حيوانات ذات سنام ومتوسطة الحجم، كما يوجد أيضاً الكثير من الضأن والماعز، وكان لون الضأن أبيض أو أرقط وكان لون الماعز بنيةً أو أحمر.

ثم انتهت عطلة اليوم واستيقظ الجميع مبكراً وتبدو عليهم روح نشطة، وذلك لبداية عمل آخر وأصعب يتعلق بمسوحات الحدود، والتي بدأت عند الساعة السابعة صباحاً لهذا اليوم ولم نعد منها إلى المعسكر إلا عند الساعة الثامنة مساءً. لم تكن هنالك حاجة للعودة للعمود الحدودي نيد أم رزم، وذلك لأنني كنت قد تمكنت عنده من رؤية وتثبيت الموقع التالي على قلة أمذيور. ويقع طريقنا، بناءً على هذا أولاً على وادي خرمة الذي ظهر الآن في ضوء النهار ويسهل السير عليه مقارنة بمعاناتنا فوق طريق صمعة. وتقع قرية حنبة التابعة إلى قرية أمثولقة (أيضاً داخل أراضٍ سعودية وقرية جداً من خط الحدود) في مواجهة السودة على نتوء تويلقة على بعد (١٠٠) قدم منذ مغادرتنا للمعسكر، بينما وصلنا بعد نصف ساعة أخرى ترافقها زيادة للانحدار إلى البرك الصخرية التي تسمى جو أمعين وتقع داخل خليج ضيق صخري في الوادي على ارتفاع (٦٥٠٠) قدم فوق سطح البحر. ثم صعدنا إلى (٤٠٠) قدم، خارج الوادي، على سفح منحدر على جانبه الأيسر، حينما أدركتنا الشمس من وراء الكتف الأيسر لقلعة أمرقاق^(١) على السلسلة الرئيسة. كان الطقس بارداً، برغم حركة سيرنا العنيفة، داخل هذا الوادي المظلل، وتوقفنا مدة عشر دقائق للتدفئة قليلاً، ثم وصلنا بعد عشرين دقيقة لاحقة

(١) أمرقاق: هو الاسم الصحيح لهذا المكان ويطلق عليه (قلعة أمرقاق)، أما فيلبي فقد ذكره باسم (قلعة الدقاق)، وهذا غير صحيح. (ابن جريس).

إلى السلسلة الرئيسية، حيث كتف بارز في قوة ناحية الغرب من قلة أمذيبور وعمودها الحدودي (رقم ٦١) عند ارتفاع (٧٣٠٠) قدم.

كان الجزء الأخير من الصعود، من الموقع الذي افترقنا فيه عن المسيل، صعباً يمتد فوق عمر أقل ما يوصف به أنه ممشى للماعز. وكان مع ذلك طريقاً سريعاً، ووجدنا عند قمة الصخرة قرية الضيور الصغيرة التي كانت في يوم ما محطة استراحة في الطريق إلى المركز الإداري اليمني الذي يسمى قتبة. لقد استرحنا هنا مدة نستمتع بالمنظر الخالي من السحب، وتناول طعام إفطار بسيط ولكنه كان وافراً مكوناً من الشاي والخبز المحلي، كان هذا هو يوم سوق قتبة، سوق الخميس، غير أنني لا أستطيع القول إنه كانت هنالك حركة كثيرة فيه على هذا الفرع من الطريق، والذي يتصل مع الطريق الرئيس في وادي خرمة، فيما يلي مضيق نيد أم رخم وهي رأس المسيل، بينما ينحدر رافد يسمى قرأ من بين كل من قلة أمراق وناهرة (أمرزم) الكتفة ليتصل مع جانبه الأيسر عند منتصف الطريق إلى نتوء خرمة.

لقد أصبحت قتبة الآن أكثر قليلاً من مجرد سوق، وقد كانت مكاناً ذا أهمية في تاريخ العصور الوسطى لليمن. كما ورد في مؤلفات عمارة وغيره من الكتاب العرب المهتمين بالعصور القديمة^(١). إلى جانب ذلك فهي مركز إداري ثانوي، يقال إنه يمكن الوصول إليها من خرمة خلال مسيرة يوم واحد، ومنها إلى صعدة خلال يومين. يتبادل الطريق موقعه فوق قمم السلسلة من حافتها الشرقية وحافتها الغربية، إلا أنه يقع بشكل أساسي في فجوة بين سلسلتي شعثمي^(٢) وعقبية ثم

(١) لمزيد من التوضيحات انظر كتاب: نجم الدين عمارة اليمني. تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها (صنعاء: المكتبة اليمنية للنشر والتوزيع، د.ت) ص ٢٠٦ وما بعدها. (ابن جريس).

(٢) شعثمي يلفظها السكان المحليين باسم «شعثمن». (ابن جريس).

يخترق هذا الجانب من المجرى تلك الغابة المحترقة التي ورد ذكرها، والتي يعزى تدميرها إلى إشعال متعمد للنار -أصاب النمو التحتي- بواسطة البدو الذين يرغبون في تحسين مراعيهم دون أي اعتبار للنتائج التي يمكن أن تقع.

لقد اغتمتنا مدة نصف الساعة التي كنا فيها على عارض أمديور لالتقاط المنظر الواسع، الذي كان قناع السحب يمر من فوقه. ونستطيع رؤية القمم الثلاث، لأول مرة إلى البعيد ناحية الجنوب، لكل من رازح وحررم والنظير، وكلها شامخة كأنها حصون من فوق المرتفعات وتطل على سفوح تلال تهامة وسهلها. كما برزت قمم كل من العرُ وعياش، قريباً منها وناحية اليمين من خط توضعها، وتقع تلال الجلحاء بيننا وبينهما وهما بارزتان على زاوية قائمة عند كتف كتفة، بينما امتدت سلسلة بطين إلى البعيد ناحية الشمال من العر وخلف عياش، بما في ذلك قرأه العديدة، من بينها العاصمة مسلان، وهي مركز إداري يمني.

كان المنظر بعد ذلك مألوفاً كما كان خلال الأيام القليلة الماضية، غير أن السحاب قد استقرَّ الآن فوق فيفاء. كان معظم المنظر، حينما وصلنا إلى العمود الحدودي - الذي لم يكن سوى مجموعة من ركام حجارة معظمها قد نقلته السيول من موقعه- على قلة أمديور (رقم ٦١) على ارتفاع (٧٦٥٠) قدماً، قد لفها الضباب الصاعد ما عدا ناحية الغرب والشمال. وقد رأيت بعض الأجسام المنقطعة في الجزء الشمالي لجرف الهضبة ومن خلفها لاحظت قمة مستديرة، والتي أغرتني بأن أعرفها بأنها شثاث بالقرب من ثهران. لم يكن لدينا إلا مواصلة السير، مؤملين تغييراً في الطقس وعليه تتبعنا حافة السلسلة، هابطين حوالي (٢٠٠) قدم إلى مضيق يعلم واحداً من رؤوس وادي خرمة الذي عنده كنت أستطيع رؤية معسكرنا الآن. كان هذا المضيق هو نقطة حدودية بلا عمود، ويمكن

للملائمة أن نرّمز إليها بأنها (٦١ أ). ويقع فيما يليها وعلى المستوى نفسه العمود الحدودي رقم (٦٢) الذي يسمى نيد أمرخم، وهو نتوء ليس بذئ مغزى، ويعلم رأساً آخر لمسيل خرمة والذي عن طريقه يدخل طريق قتبة الرئيس. كان الموقعان الأخيران متقاربين من بعضهما، بينما من عند الثانية منهما وعبر صعود طويل خلال غابات كثيفة وصلنا، في مدى نصف الساعة، إلى عمود حدودي فوق أرض تسمى قلة أمراق على ارتفاع (٧٩٠٠) قدم (رقم ٦٣).

لقد أحاط بنا الضباب تماماً ولا نكاد نرى ما مداه خمسون ياردة في كل الاتجاهات. ثم واصلنا سيرنا فوق السلسلة ذات الجوانب الشديدة الانحدار والحافات التي في حدة السكين، فوق ألواح شستية موضوعة طولياً في زوايا قائمة، دون وجود حتى طائر واحد يكسر من ملل هذه الأرض المرتفعة المغلقة بالضباب. ثم خرجنا في هذا الجزء من طريق قتبة الذي استدار إلى البعيد من الأرض الصعبة ليتبع حافة وادي حنبة، غير أننا سرعان ما عدنا إليه ونحن نقرب من العمود الحدودي (رقم ٦٤) المسمى رزمة الكتفة (أو ثهرات الكتفة). كان هذا بالتأكيد هو آخر عمود حدودي فوق الأراضي المرتفعة، وكان أيضاً أعلى عمود في كل المنطقة الحدودية، إذ يبلغ ارتفاعه (٨١٥٠) قدماً. كان من المناسب لنا أيضاً أن نتوج آخر أيام العام المحتضر بإنجاز يصوره وصولنا إلى القمة الحقيقية للحدود. لقد برز الظهر العريض لكتفة من هذا الموقع وناحية الجنوب من أمامنا وحتى قمته على النهاية البعيدة التي كنت قد قدرتها على ارتفاع (٨٥٠٠) قدم فوق سطح البحر وكانت تقع كلها، وهي مغطاة بأشجار العرعر الكثيفة، وتندلق على السفوح إلى مجرى كل من حنبة وصمعة، داخل أراض يمنية، وتمتد الحدود بين الدولتين أسفل التواء الحاد الشديد الانحدار الذي يفصل بين مجرى كل من الخرمة وصمعة.

كان ما يطلق عليه اسم العمود الحدودي ذا مغزى شكلي بنسبة معاكسة لأهمية الموقع كنقطة تحول للشريط، ويتكون العمود -حقيقة- من قطع صغيرة لا يتجاوز عددها الثلاث من الكوارتز ترتب مع بعضها فوق مربع طبيعي من شست قاعدي.

لم يكن في مقدورنا العثور عليه لولا أن حسن حسين، كان أحد المندوبين - فقد كان الآخر راعياً يتبع قبيلة بنو خُولي، ويمثل المندوبين اليمينيين المسؤولين عن وضعها في مكانها هذا. وقد أوضح حسين، ويأحساس من الظلم، أن كلاً من علي بن فرحان وشخص يدعى سعيداً من قبيلة الزرانيق - وكان ضابطاً في الجيش اليمني- واللذين كان عليهما على الأقل زيارة الموقع الحدودي ممثلين لحكومتها، للتأكد من أن كل عمود حدودي قد تم وضعه تماماً وفي دقة في موقعه، إلا أنهما فضلاً شرب القهوة في المعسكر في الحرمة، وأرسلا بدلاً عنهما مبعوثيهما البدويين اللذين قاما بصعود التل وقمته لتحديد الخط. فلا غرابة إذاً في أنهما كانا يتعجلان الانتهاء من هذه المهمة ليسرعاً في العودة تحاشياً لهذه الارتفاعات العدائية. كان عمود كتفة الحدودي أيضاً موقع لقاء ثلاثي بين كل من آل يحيى من الجانب السعودي، وكل من حنبة وبني خولي من الجانب اليمني.

كان الضباب قد حجب كل المنظر، كما هبَّ نسيم لطيف بارد دافعاً الرطوبة في وجوهنا ونحن جلوس هناك. لم يكن هنالك ما يمكن رؤيته غير ثلاث قطع من حجر الكوارتز وشجرة عرعر تبرز من حين لآخر كالشبح عبر الضباب، لم تكن لنا حاجة بالمكوث أكثر من ذلك في هذا الموقع. كانت الساعة (١,٣٠) ظهراً عندما بدأنا الهبوط أسفل السفح الشديد الانحدار والكثيف الأشجار متجهين نحو بداية نتوء خرمة الحاد، وقد كان هذا أصعب جزء من التسلق اجتزناه خلال كل

هذه الرحلة. لقد كان الضباب يضرب وجوهنا كأنه رذاذ المطر، وكنا لا نستطيع رؤية شيء غير الأرض من تحت أقدامنا وغير جنبه أو اثنتين كانتا بالقرب منا. لقد كان من الصعب علينا حتى أن نرى بعضنا، وكان هنالك الكثير من الصياح لبعضنا مع بعض دون أن نرى أشخاصنا، وكنا نتلمس طريقنا فوق صخور لزجة وعشب مبتل وكنا نواجه من حين لآخر بنتوء شديد الانحدار، ونعود متسلقين إلى الخلف مرة أخرى للبحث عن طريق بديل يقود إلى أسفل. وقد استغرق هبوطنا تحت هذه الظروف إلى عمق (٤٠٠) قدم حوالي (١,٥) ساعة، إلى حيث يوجد رف أو عرن للصخرة يحمل مجموعة الحجارة الكورترية الحقيرة التي أشار إليها حسن حسين بابتهاج بأنها العمود الحدودي الذي يسمى رزمة سيلام (رقم ٦٥).

يعزي الوصول إلى هذا العمود إلى حسن حسين تحت كل هذه الظروف، إذ إنه ملم بخصائص بلاده بصورة جيدة. لقد كنا على ارتفاع (٧٧٥٠) قدماً فوق سطح البحر ولم ننته بعد من الجبال، ذلك لأننا كنا على مشارف هاوية عميقة تكون رأس بشران وهو مسيل يتصل مع جنوب صمعة قليلاً أعلى من موقع التقاء بشران مع خرمة. وكان علينا الآن أن نتحسس طريقنا أسفل الجانب الشديد الانحدار لهذا المسيل، وكثيراً ما وجدنا أن السير صار أصعب بكثير مما سبق، وذلك بتكرار ظهور التوآت الحادة التي كانت تملينا تحويل المسار والاتجاه. كما لا يزال الضباب يطوقنا في شراسة، ولكن بفضل المثابرة والقيادة الجيدة لحسن حسين فقد قطعنا مسافة الـ (٣٥٠) قدماً الأخيرة إلى العمود الحدودي واسمه نيد المخطف (رقم ٦٦)، عند ارتفاع (٧٤٠٠) قدم، كان العمود عبارة عن مجموعة من كومة من حجارة بائسة، إلا أنها كانت قائمة بما يشبه الكومة المبنية^(١).

(١) للمزيد عن هذه الحدود، انظر: عبدالله القبايع. العلاقات السعودية اليمنية، ص ٤١٠. (ابن جريس).

كان اتجاهنا العام هو ناحية الغرب منذ أن كنا في رزمة كتفة وقد استمر بنا المسير عليه على امتداد الطريق إلى الخلف، وأصبحت أسوأ مواقع الهبوط من خلفنا الآن، على الرغم من أن مسيرتنا لا تزال صعبة فوق التتوء الحاد كالكسكين الصخري، الذي يفصل بين مسيلي كل من قرأ وبشران. ثم وصلنا عند ارتفاع (٧٢٠٠) قدم على هذا التتوء إلى العمود الحدودي المسمى حرف أمشينه (رقم ٦٧) في وسط غابات كثيفة غطت العرن. ثم بدأنا نلتقط لمحات من العلامات الأرضية المختلفة من فوق من أسفل غطاء من السحب، وواصلنا مسيرتنا في يسر أكثر عبر أرض أشجار غير جذابة، وكنا نهبط باستمرار حتى وصلنا بعد مسيرة ساعة من آخر عمود حدودي إلى العمود الحدودي الذي يسمى نجد فاسح (رقم ٦٨) على ارتفاع نقص (٩٠٠) قدم ووصل إلى (٦٣٠٠) قدم. بدأ لنا هذا العمود وكأنه كان ذات يوم بناءً، إلا أن قطع الصخر الكبيرة التي كان قد شيد منها قد انتشرت على الأرض. ويقود طريق الماعز من هنا إلى أسفل في يسر إلى حيث العلامة الحدودية التالية بجوار الحدبة الشامخة التي تسمى قلة أمسحامي (رقم ٦٩) عند ارتفاع (٦٠٥٠) قدماً، وواصلنا على المستوى نفسه إلى الأمام حيث كومة حجارة قبلية قديمة، وهي نقطة على الحدود لا يعترف بها كعلامة رسمية رقم (٦٩ أ). لقد كانت نصباً تذكاريّاً أحسن حالاً من كومة الحجارة الرسمية غير المرئية، وقد وقفت في بروز في الإطار العام^(١).

كانت الساعة الآن السابعة مساءً وقد انتشر الظلام. ثم توجهنا مباشرة ناحية المعسكر. تاركين ما تبقى من هذه الجبهة الحدودية إلى الغد. لقد أرسلنا صيحات

(١) للمزيد عن هذه الحدود المذكورة هنا انظر، القباع، المرجع السابق، ص ٤٠٩ - ٤١٠، محمد آل زلفه،

عسير في عهد الملك عبدالعزيز، ص ٢٧١ - ٢٧٢. (ابن جريس).

إلى رفاقنا في المعسكر لإرسال مصباح، بعد أن عبرنا عقبات على امتداد الصخور، وجلسنا في انتظار وصول المصباح نراقب تقدمه الصعب والمطمئن إلى أعلى التل حيث كنا. كانت الساعة تشير إلى الثامنة مساءً حينما وصلنا إلى المعسكر بمساعدة المصباح وكنت سعيداً حينما علمت بأن العشاء كان جاهزاً. لقد استغرق العمل - مع توقفات عند النقاط المختلفة - ست ساعات ونصف الساعة لنصعد ارتفاع (٣٠٠٠) قدم وقد كانت هذه هي أسوأ تجاربي في الجبال العربية^(١). لقد شكنا حسن حسين دليلنا الجذاب الكفاء، بالمناسبة، من إرهاصات الحمى، وذلك حينما وصلنا إلى العمود الحدودي في كتفة وقد قام بإشعال النار لتدفئة جسمه في وسط هذا الضباب الرطب، ثم جاهد بعد ذلك بشجاعة على امتداد ذلك السفح المخيف، وكان يقودنا في دقة ممتازة من عمود حدودي إلى الآخر، حتى وصلنا إلى كومة حجارة البديين عند أمسحامي وقرر حينها التوقف نهاية لعمل اليوم. وكنت لا أدري إن كان إحساسه بالحمى ذلك يعزى للبرودة الفجائية أثناء الليل، أم مجرد الإحساس بالراحة بعد الجهد، غير أنه إنهار في اللحظة والتو، كان يلتوي في ألم وكان غير قادر على الحركة.

صرفنا ناحية قرية مجاورة لعلها تويلقة لأجل المساعدة، وتركنا أحد الرجال من حاشية حتروش ليقوم بالحراسة عنده حتى تصلنا المساعدة، بينما واصلنا نحن

(١) فيلبي له رحلات كثيرة في الجزيرة العربية، وقوله: إن رحلته في بلاد فيفاء وما حولها من «أسوأ تجاربي في الجبال العربية»، ربما يعود إلى بعض الأسباب منها:-

أ - صعوبة أرض فيفاء، فالصعود إليها والتزول صعب جداً، وهذا مما جعل فيلبي يعاني من السير في هذه البلاد.

ب - انغلاق أهل فيفاء وما حولها على أنفسهم، ربما كانت سبباً آخرأ حتى جعلت فيلبي يجد صعوبة شديدة في التعامل مع سكان تلك البلاد. (ابن جريس).

مسيرتنا. لقد كنت منزعجاً جداً حينما لم يصل حسن إلى المعسكر، إلا أنه قد تبين لنا أنه تم نقله إلى القرية، التي كانت أقرب كثيراً إليه من معسكرنا، وقد نام بها وذهبت الحمى عنه وظهر بعد ذلك في الصباح وهو في أحسن صحة.

لقد كنا نعمل مدة ثلاث عشرة ساعة هذا اليوم، وأحس الآن بالتعب. كما أنني لم التزم برغبتني في الجلوس حول الراديو للاستماع لإذاعة القدس، وهي تنقل مراسم احتفالات رأس السنة. لقد كان استقبال الراديو ضعيفاً، على أي حال، خلال المساء، ولذا قررت أن أجلس إلى منتصف الليل بالتوقيت المحلي الذي كان متقدماً على توقيت فلسطين ساعة كاملة، وخرجت ومعني حسن صباح اليوم التالي لتكملة الجزء غير المكتمل من الحدود حتى هذا الموقع. لم يكن هذا الجزء ذا أهمية كبيرة ويمكن أن نغطيه في وقت قصير. لقد استرجعنا خطواتنا إلى حيث الموقع الذي انتهينا عنده في المساء، عند كومة حجارة البديين في أمسحامي التي بالقرب منها دهشت لوجود بقايا لقرية قديمة مهجورة على الطريق الذي يؤدي إلى نجد فاسح وما يليه، وكان العمود الحدودي التالي (رقم ٧) ويسمى الجدار^(١) العليا يقع على مسافة (٣٥٠) قدماً إلى أسفل السفح ناحية مسيل صمعة، وقد كان -لدهشتي- نصباً تذكاريماً مهيباً.

كما واصلت مجموعة من القروء المتشاجرة، داخل الغابات ومن حولنا، صياحها بإلحاح، غير أنني استطعت رؤية واحد أو اثنين منها هنا وهناك. لقد كان حولها ما يكفي من الضباب في المستويات العليا التي كانت تقوم بزيارتها مراراً

(١) جدار العليا، هكذا ذكرها فيليبي مع أن الصحيح هو (جبل الجدار)، وهذا الحد يقع بين آل يحيى من بني مالك (فيفاء) السعودية، وبين آل جلحاء من بني خولي (اليمن)، انظر: القباع، المرجع السابق، ص

وتكراراً، وقد نزلت الآن للبحث عن الطعام بالرغم من قربها للعديد من القرى الصغيرة. كان العمود الحدودي التالي (رقم ٧١) هو الجدار الأسفل. عند ارتفاع (٥٣٠٠) قدم وهو كومة من حجارة فوق صخرة ارتفاعها (٢٠٠) قدم تطل على موقع التقاء مجري كل من بشران وصمعة.

ثم يستمر الشريط من هنا على امتداد الجانب الأيمن للمسيل المشترك (صمعة) على ارتفاع (١٠٠) قدم فوق بطنه إلى حيث العمود الحدودي (رقم ٧٢) واسمه نيد أمغيط عند ارتفاع (٥٢٠٠) قدم^(١)، أسفل قرية خولي الكبيرة التابعة للوح الشرقي على ارتفاع (٥٠٠) قدم على جانب جبل الجلهاء، الذي يكون الجانب الأيسر لصمعة وجانب ممر موفار ويستمر بعد التقائه مع وادي خرمة. لقد جاء إلى هنا بعض الزوار من قرية صمعة الصغيرة، أعلى الوادي، بما فيهم شرطي بزيه الرسمي يتبع للإدارة اليمنية، وذلك لمعرفة ماذا كنا نفعل في الحدود، لقد كانوا ودودين جداً ولربما كانت زيارتهم فقط بدافع الفضول.

استمرَّ خط الحدود على امتداد الجانب الأيمن لصمعة، إلى موقع التقائه مع الخرمة حوالي (٢٠٠) ياردة إلى أسفل (٧٢ ج)، وهكذا إلى أسفل أكثر لمجرى متحد لمسافة (٣٠٠) يارد حيث توجد صخرة كبيرة في وسط الوادي وقليلاً فوق مدخل ممر موفار على ارتفاع (٤٨٠٠) قدم. وكانت هذه هي نقطة الحدود الفعلية، ولكن، بما أن الصخرة قد تطنى عليها مياه السيول، فقد تم وضع العمود الحدودي لرزمة التفة (رقم ٧٣) على الجانب الأيسر وتم وضع كومة حجارة

(١) نجد غثيت، هكذا ذكر فيليبي اسم هذا الحد مع أن الاسم الصحيح هو (ساقية أمغيط)، وهو من الحدود بين آك يحيى (السعودية)، وآك جلهاء من بني خولي (اليمن). (ابن جريس).

صغيرة أخرى على الجانب الأيمن لتحديد الخط الصحيح. كانت الصخرة نفسها هي الالتقاء الثلاثي القبلي بين خولي على الجانب اليمني، وكل من يحيوي وزيداني على الجانب السعودي. كانت جدران الممر نفسه من جرانيت وردي اللون تتخلله عروق سوداء من شست كالألواح، وتترابط قليلاً إلى أسفل الحدود بحاجز طبيعي من الصخر بانحدار ثلاثين قدماً. لم يكن هنالك ماء يعبر من فوقه في هذا الوقت، غير أنه كانت توجد برك في بطن المجرى عند قدمه والتي منها يسحب القرويون المحليون الماء. يطلق عليها اسم أم خرق وعلى أحد جانبي الحاجز تم وضع ممسك خشبي ليساعد على الوصول إليها.

يصعد خط الحدود من هذا الموقع إلى أعلى جانب الجلحاء في اتجاه الجنوب الغربي ناحية ممر نيد أم خرمة، الذي يفصل بين أرض خولي وأرض زيداني. وقد كان بالفعل صعوداً صعباً فوق السفح الشديد الانحدار إلى أول الأعمدة الحدودية، الذي كان عبارة عن قطع صغيرة من صخر تم وضعها في فجوة بين جلمودين ضخمين من جرانيت رمادي، يطلق على هذا الموقع رزمة أمخالفة (رقم ٧٤) وترتفع إلى (٥٠٠) قدم فوق الوادي وإلى (٥٣٠٠) قدم فوق سطح البحر. ثم وصلنا بعد تسلُّق حاد آخر على السفح إلى العمود الحدودي (رقم ٧٥) خزانات الهبيجة على حافة شلال بلا ماء يسقط من نتوء صخري بارتفاع (٥٠) قدماً.

وكان ارتفاعنا هنا حوالي (٥٧٠٠) قدم فوق سطح البحر، ثم واصلنا التسلق لارتفاع (٣٠٠) قدم أخرى إلى كومة حجارة صغيرة أخرى (رقم ٧٦) تسمى أضرا السيال، تقع على طريق جيد جداً بين قرى خولي على يسارنا ومستوطنة زيداني الكبيرة التابعة لشهدان، ثم واصلنا الصعود أكثر فوق طريق أسهل بعض الشيء

لنصل إلى الموقع الرئيس لنيد أم خرمة، وهو ممر يسيطر على المدخل إلى منطقة السفوح التلية ووادي ضمد من مرتفعات بني مالك، ويقف العمود الحدودي بجانب الطريق على ارتفاع (٦٣٠٠) قدم فوق سطح البحر، تحت ظل كتف مهيب لصخرة ضخمة تقع على جانبه الأيسر. وكانت هذه الصخرة هي موقع العمود الحدودي (رقم ٧٧) والتي تهيمُ نهاية مناسبة لهذا الفصل^(١). وسترد قصة الحدود داخل التلال السفحية في الفصل التالي.



(١) كان من مهام فيليبي في هذه الرحلة هو رسم الحدود بين اليمن والسعودية، وقد شاهدناه فعل ذلك في الصفحات السابقة، وبخاصة في الأجزاء الجبلية، أما الصفحات التالية فسوف يكمل الحدود في الأجزاء التهامية والساحلية. (ابن جريس).

الباب السادس

منخفضات تهامة

الأول من يناير إلى الثامن عشر من فبراير ١٩٣٧م

الفصل التاسع والعشرون

حدود السفوح الجبلية^(١)

اتجهت الحدود السعودية - اليمنية، على العموم، ناحية الشمال الغربي حتى ممر علب، وقد بدأت عند حافة الصحراء بالقرب من نجران. تمتد الحدود من هناك وحتى المنحنى العظيم لوادي دفا ناحية الجنوب الغربي، بينما يكون اتجاهها العام على امتداد ضلع جبلي العريف^(٢) وكتفة ناحية الجنوب الشرقي، ثم استأنفت اتجاهها نحو الغرب من عمود كتفة، ويقع ممر نيد خرمة قليلاً ناحية الجنوب الغربي من هذا الموقع وشيئاً ما ناحية الجنوب الشرقي من أعمدة منحنى دفا، وكان عمود المعقر ناحية الشمال من خرمة. يتجه الخط منا المعقر إلى البحر ناحية الجنوب الغربي.

يقف العمود الحدودي لنيد خرمة (رقم ٧٧) على طريق خولي - شهدان على قمة جبل جلحة، مشكلاً مجمعا للمياه بين وادي خرمة من ورائنا ووادي الخلص أمامنا، وكلاهما رافد لوادي ضمد. كانت منطقة خولي هي أعلى جزء في هذه الكتلة الصخرية وتقع غرب الممر، والذي تحيط به التتوات العالية لجرف خرمة. يوجد على الجانب الآخر، مرتفع خفيف كثيف الأشجار لأرض شهدان المرتفعة، والذي توجد فيه قرى زيدان. تكون كتلة الجلحاء بروزاً عظيماً ناحية الغرب من

(١) لمزيد من الإيضاح عن حدود السفوح الجبلية في منطقة جازان، انظر: عبدالرحمن الشريف. المرجع

السابق، ج٢، ص ١٧٧ وما بعدها. (ابن جريس).

(٢) العريف: يطلق عليها أيضاً اسم (أمعريف) (ابن جريس).

الضلع العالي لكل من العريف وكتفة، والتي تستمر عبر أرض الصفراء المرتفعة لتتصل مع سلسلة بطين السفلى والتي تكون أكتافها الرئيسة الغربية جبال عياش والعر المرتفعة البارزة، والهرمية الشكل، ويبلغ ارتفاع كل منهما (٥٠٠٠) قدم. تطل حافة الممر، إلى أمامنا أو قل ناحية الغرب، على أخدود واسع وعميق وكثيف الأشجار تكون على جانبيه أقسام كل من خولي وزيداني التابعة لجلحاء، وتنحدر في هذا الوادي مصارف الدائرة في مسيلين رئيسين، هما أمشرح ورضا، ويتحدان تحت اسم أمشرح (الشرح) قليلاً فوق آبار بئر أمشرح التي سوف نعسكر بالقرب منها لقضاء الليلة على ارتفاع (٣٠٠٠) قدم أسفل الممر، ويدخل المجرى -مع إضافات تدخله أثناء سيره- إلى وادي جلحاء جحام الذي ينشأ في الزاوية بين كتلتي الجلحاء والصفراء، وبدوره يتصل مع وادي الخلص الذي يمكننا رؤية اتصاله مع ضمد إلى البعيد عند مركز السوق مضنب باحة (سوق الأحد)، شيئاً ما ناحية الجنوب الغربي من الممر. وينبع مجرى الخلص من سلسلة بطين داخل الممر، والذي يمتد مصرفه من الجانب البعيد عبر سهل مدينة جاوى، وهي مركز إداري مهم على الجانب اليمني.

كانت قرية سورم الكبيرة هي المركز الرئيس لمحافظة منبه التي تتألف من قرى بطين وعياش والعر، وكانت سورم هي مقر الرئاسة لأمير المنطقة. كانت سورم واضحة لنا، على الرغم من أنها تبعد عنا بعض الشيء، ناحية الجنوب. كان أبرز القرى التي نراها قرى الطوال على خط الأفق لسلسلة البطين، والدوشة وتقف على نتوء حاد بالقرب من قمة العر. كانت القرى عديدة وقررت أن أترك أسماءها

للمحلق^(١). وقف جبل فيفاء بارزاً بكل عظمته قليلاً ناحية الشمال الغربي، فيما يلي وادي ضمد، الذي إليه انحدر الجانب المنحدر والواسع لصفحته الضخمة، بينما قليلاً اتجاه أعلى الوادي كان الوادي محاطاً بمنحدر بني مالك والقرى التي تقع على قمته والتي كنا قد عبرناها قبل أيام. يقع موضع لقاء وادي خرمة مع وادي ضمد - عن طريق مجرى المديرية - قليلاً ناحية الشمال الغربي من نيد الخرمة^(٢).

لاحظ حردان، دليلنا الزيداني، حينما وصلنا إلى الممر، بعض رعاة بني خولي وهم ينتهكون حرمة الحدود السعودية مع قطعانهم وهي حالة لو لوحظت رسمياً ستجعلهم مكلفين بدفع ضريبة الضأن أو تصادر حيواناتهم. ولربما أشعلت حرباً قبلية في الأيام الخوالي الجميلة. تركناهم وحالهم! ومررنا عبر طريق يشق الغابات على حافة نتوء يقود إلى قرى زيدانية منها: العرقوب والفدنه والشباب وحضن وغيرها مقامة في المرتفعات وتقع أمامنا على قمة شهدان. لقد نسيت بإهمالي أن أعبئ لفافة التبغ لهذه المسيرة ولما أخبرت حردان بذلك طمأنني بالأزعج. ثم رفع عقيرته ينادي القرى في الأعالي التي من أسقف منازل بعضها، ظهر بعض الأشخاص يستجيبون لندائه، وطالت بعد ذلك المحادثة بين الجانبين، وتفصل بينهما مسافة الميل الواحد على الأقل، والتي لم أفهم منها إلا ما يصدر من طرفنا، وتشتمل على توجيهات لتسليم التبغ الذي نحتاج إليه في بقعة في

(١) انظر: ملحق (ج). (المؤلف). لقد أورد فيليبي أربعة ملاحق في نهاية الكتاب، ولكنها لم تترجم وتلحق بالنسخة العربية؛ فالملاحق رقم (١) يذكر قائمة بأسماء الأعمدة الحدودية بين السعودية واليمن. والملاحق رقم (٢) يذكر المسافات التي قطعها فيليبي باستخدام السيارات. والملاحق رقم (٣) التسلسل النسبي للداعي المكرومي في نجران. والملاحق رقم (٤) والأخير، يذكر قائمة بأسماء القرى في عسير والمناطق الحدودية. (ابن جريس).

(٢) نيد الخرمة: - يطلق عليه أيضاً اسم (نيد أمخرمة). (ابن جريس).

مكان ما إلى الأمام. واصلنا سيرنا بعد ذلك نبتعد تدريجياً عن الطريق أسفل السفح المكون من صخور جرانيتية متناثرة وشجيرات متشابكة منحدره ناحية الأخدود. هبطنا بهذه الطريقة إلى (١٠٠٠) قدم أسفل الممر خلال ساعة من زحف خطر جداً، حينما وصلنا إلى الرأس الحقيقي لمسيل رضا الذي يعلمه العمود الحدودي (رقم ٧٨) والذي يعرف باسم رزمة أم دوشة^(١) لسبب بسيط، هو أن قرية قمه العر التي تحمل ذلك الاسم كانت مرئية لنا.

هبطنا أكثر في مسار حاد على امتداد الجانب الأيمن الصخري لمسيل مسافة (٨٠٠) قدم إلى حيث الرأس العظيم للجدار الجرانيتي الأحمر، وهو قطعة ضخمة من الصخر ممتدة عبر المجرى من الجانب إلى الآخر في دفعتين أو ثلاث دفعات، إلى مجموعة من البرك الصخرية عند سفحه على مسافة (٣٥٠) قدماً إلى أسفل. لم يكن هنالك ماء مندلق فوق الجدار هذا الوقت، وبلا شك ستكون الصورة جميلة جداً أثناء السيول. كان يعلوه جلمود ضخم مستقل من الجرانيت يسمى حياض أم رضا^(٢)، وعلى الرغم من أنه غير معلّم، إلا أنه يكون العلامة الحدودية بحكم حقه في ذلك (رقم ٧٩). تعلم البرك الصخرية التي توجد عند ارتفاع (٤١٠٠) قدم فوق سطح البحر و(٢٢٠٠) قدم أسفل ممر خرمة، قياس التفاوت في الارتفاع للوادي عند التقائه مع شعيب شرح.

كانت موقعاً محبوباً للذين يهوون المعسكرات الليلية من رعاة بني خولي وقطعانهم بسبب وفرة المياه فيها، غير أن حردان علق قائلاً: إن مثل هذا الأمر لا

(١) رزمة أم دوشة، يطلق عليها أيضاً اسم (رزمة الدوشة). (ابن جريس).

(٢) حيد أم رضا، يطلق عليها أيضاً اسم (حيد الرضا). (ابن جريس).

يمكن مجرد التفكير فيه في الأزمان السابقة، وذلك بسبب الخصام المستديم الذي يميز العلاقات بين خولي وزيداني ويحياوي. كان الأخيران حليفين في مثل هذه المشاجرات، لأنهما في عرف القبيلة أحوال. التحق بنا الآن علي سلمان، رئيس الزيدانيين -إلى جانب دليلنا حردان- غير أنه يميل إلى الإذعان لحتروش، الذي كان بلا شك من أهم شخصيات المنطقة. إشارة إلى هذا الموقع الحدودي ليحياوي، فيبدو لنا أن هذا القسم يؤدي دوراً سائداً في سياسات بني مالك. برز يحيى أم شريف من الخالدين في المقام الثاني من حيث الأهمية، إلا أنه كان كائناً ضعيفاً ولا يزال حتى الآن يعاني من انهيار صحته -أشك في أنه يتمارض- ليجد العذر في عدم مرافقتي في أعماله اليومية الشاقة- كان يفضل الالتصاق مع قافلة الأمتعة التي يرافقها أيضاً عبدالله بن شرقة، الذي بحق قد تملكته الحمى للدرجة التي لم يستطع الخلاص منها.

قد يكون من المناسب استرجاع التركيب العرقي لليحياويين مرة أخرى طالما سنودعهم عما قريب ونغادر بلادهم، وخاصة مآثرهم الحربية. كان من المؤكد أن مالكاً هو السلف المؤسس لبني مالك، كان مثل جماعة فيفاء وبني حريص الشماليين من الأصل اليهناني (أو اليهاني). كان له ولدان: كثير ومغامر، وولد مغامر خالد وسعيد؛ السلف الأول لقسمي بني مالك الحاليين: خالد وسعيد. كانت شجرة نسب آل كثير تعقيداً وذلك لأنه كان لكثير أربعة أولاد، علي^(١) ويعلي، ورايم، وحريص. كان عليل هو سلف آل علي، وهو قسم ثالث على قيد الحياة، بينما كان يعلي هو الجد الأعلى لقسمين كنا قد قابلناهما من قبل، وهما آل سلمى وآل حبس. أعطى حريص بدوره اسمه إلى بني حريص (شمال).

(١) علي أو آل علي يطلق عليهم أيضاً (العليلي). (ابن جريس).

وكان لرايم ثلاثة أولاد: يحيى وهو الجد الأعلى لليحياويين، وزيدان، الجد الأعلى للزيدانيين ونخيف الذي لم تقابل أياً من نسله، ولربما توفى ولم يكن له أبناء^(١). يتضح من هذا أن كل عناصر بني مالك، ما عدا الخالدين والسعيديين ينتمون إلى فرع آل كثير. يعتبر تل غويفر على ضمد جنوب منصية هو الحدود بين الخالدين والسعيديين، برغم أن تحت قسم العزة -الذي يقع في العرن جنوب أرض الخالدين- هو أيضاً من أصل سعيدي.

وصل إلى مكان جلوسنا بجوار البرك الصخرية -ونحن نستجم بعد هبوط مرهق- شخص من قرية الشباب ومعه نصف جوال من التبغ المحلي وسيطة من موزهم المنتج محلياً. لم يكن هنالك مجال لدفع الثمن، إلا أن الرجل كان قد سراً جداً بالريال الذي أعطيته له لكرمه ومشقته وقضائه الليلة معنا. كان التبغ قد تم تجفيفه في بدائية تحت حرارة الشمس وكان أخضر، غير أنه أدى الغرض منه في غليونني الوحيد المتبقي، وحتى هذا القصور قابله علي بن سلمان بإعطائي بري مستعمل وهو غليون من النوع الذي يصنع في صعدة، وبه تجويف كبير من الطين متصل بسلسلة صغيرة إلى أنبوب خشبي طوله ست بوصات. أدى التبغ المحلي وظيفته بصورة أفضل في الغليون المحلي.

تقع بركة الرضا على أرض يمنية (بني خولي)، ويمتد الخط الحدودي على الجانب الأيمن لمسيل الرضا والشرح^(٢) المشترك إلى حيث العمود الحدودي التالي

(١) نخيف بن الرايم خلف أولاد من عقبه ويعرفون اليوم باسم آل نخيف القاطنين في بلاد شريح والعين. (ابن جريس).

(٢) الشرح، هو عمود حدودي بين السعودية واليمن ويطلق عليه اسم (بئر الشرح) وأحياناً يلفظ (بئر أم شرح) أو (بئر أمشرح). (ابن جريس).

(رقم ٨٠) واسمه رزمة أم شقرة^(١)، الذي صعدنا إليه عبر حقول دخن - محصول الآن - ذات مساطب تتبع لقرية محشف التابعة لقبيلة بني خولي، الذين يقومون أيضاً بزراعة الجانب الأيسر للمسيل، يقف العمود الحدودي على ارتفاع (١٠٠) قدم فوق مستوى الوادي، و(٤٠٠٠) قدم فوق مستوى سطح البحر، ويتحرك الشريط من هذا المستوى نفسه إلى صخرة شديدة الانحدار، تنهض من بين الحقول المسطبية المزروعة على جانب المجرى. كانت توجد فوقها كومة من الحجارة، تعرف أدبا بأنها عمود حدودي (رقم ٨١) وتسمى رزمة الخزانات الجميلة، وتعني صخرة «الخزان الجميل». وصلنا خلال خمس دقائق، ونحن لا نزال عند المستوى نفسه، وفوق حقول المحشف المسطبية التي تقع أسفلنا إلى اليسار حتى العمود الحدودي رقم (٨٢)، واسمه رزمة طور آل مرة، الذي انتهت فيما يليه الحقول المسطبية، التي تنتمي إلى قرية الشرح أسفل كتلة الجلحاء، في مواجهة حاجز صخري يمتد من جانب إلى آخر في المسيل الضيق.

تعثرنا في سيرنا فيما يلي هذا عند وقت الغسق، فوق بطن سيل وادي الشرح المغطاة بقطع من الصخور، إلى أن وصلنا إلى آبار بئر أم شرح داخل غابة لطيفة واستقرَّ معسكرنا بها وكنا مرتاحين لما بذلنا من جهد في هذا اليوم. كنت أعتقد أننا قد أنهينا أعمالنا في الجبال عندما كنا في نيد أم خرمة. غير أن تسلقنا على صخور هذه المنطقة الكثيفة الأشجار والصخور الصارفة للمسيل مهَّدًا لعمل صعب ما كنا نقوم به في أماكن أخرى، وكان هذا بداية طيبة للعام الجديد الذي احتفلت به بتناول وجبة عشاء ممتازة من لحم الضأن والأرز والموز المحلي ومحتويات علبة من

(١) رزمة أم شقره تنطق أحياناً (رزمة أمشقرة) أو (رزمة الشقرة). (ابن جريس).

الكمثرى اليابانية. لقد أتلف العمل الصعب خلال الأسبوع الماضي طبقة المشمع العليا لحذائي المطاطي، وتحوّلت إلى شرائح، وقررت أن أستخدم نعلًا جديدًا - هو الأخير لديّ - خاصة ونتوقع مسيرة سهلة. لن أنسى بسهولة أشواك وصخور وادي الشرح. قد بدأ الطقس يتحسن بصفة عامة وكانت بدايات الأيام في الصباح لطيفة، غير أن السحب تتكاثر عند أوقات الظهر وتسقط زخات من المطر في أوقات المساء، التي تطورت عند الساعة الخامسة صباحاً إلى رذاذ متواصل حتى شروق الشمس، وحينها كل شيء لدينا قد تبلل بدرجة أخرت بداية مسيرنا إلى الساعة العاشرة والنصف صباحاً. كان صباحاً، بائساً وكل ما كنا نفعله أو نحاوله أن نظل بعيداً عن البلل باللجوء إلى الأشجار ومن فوقنا البطاطين وقد بدأت وكأنها الخيام لتبعد عنا قطر المياه.

تمثل بئر أم الشرح علامة حدودية قبلية قديمة بين قبيلتي حولي وزيداني ومعلمة من كتلة كوارتزية مغروسة في ثبات في شق شجرة أثناب (تين بري) في وسط مجرى السيل، نامية من بين مجموعة من الصخور على بعد نصف المسافة بين الثقبين المائتين أسفل كل من جانبي المجرى. كان العمود الحدودي الدولي عبارة عن كومة من حجارة ملقاة مع بعضها فوق الصخور نفسها تحمل رقم (٨٣) وعلى ارتفاع (٣٣٠٠) قدم فوق مستوى سطح البحر، ظل الثقب المائي الذي يقع أسفل الجانب الأيسر معطلاً لبعض الوقت، إلا أن انسياباً للماء من نبع أسفل كتلة الألواح الشستية على الجانب الآخر، جعلت (بركة) الزيداني ممتلئة بالماء للقطعان، كانت المسافة بين ثقبَي الماء (٤٠) ياردة فقط، ويكون وسط المجرى الحدود إلى مسافة حتى العمود الحدودي رقم (٨٤)، الذي يسمى مسنة، معلماً موقع دخول حوض ضحل بالاسم نفسه، من جانب التلال المتموجة التي تقع على الجانب

الأيمن، ويتجه من هذا الموقع وادي الشرح ناحية اليسار، ويدخل أرضاً يمنية ليدخل مجرى أكبر يسمى جلحاء حجام. كان معسكرنا على الجانب الأيسر، وعليه فهو فوق أرض يمنية، ووجدنا بين أشجاره عش حمامة، وكانت به بيضة واحدة عرفها حتروش بأنها بيضة حجل.

وصلنا إلى العمود الحدودي بعد (١٥) دقيقة من بداية مسيرتنا التي تأخرت هذه المرة على المجرى، ويسمى مسنة (رقم ٨٤) على ارتفاع (٣١٠٠) قدم فوق مستوى سطح البحر، وتقع فوق ممشى حمير واضح على ارتفاع عشرين قدماً فوق مستوى الوادي عند منحناه الأيسر.

هبطنا من جانبه البعيد إلى حوض هرمة الضحل وهو يمثل الحدود الآن، فوق أرض سفوح جبلية متموجة كثيبة مع بعض الأشجار القليلة الجافة وبعض الأشجار الخفيضة، وتقود إلى العمود الحدودي التالي عند منحناه الأيسر ناحية مجرى حجام يقع عمود نيد أم سرمة^(١) - رقم (٨٥)، وعلى ارتفاع (٣١٠٠) قدم فوق مستوى سطح البحر، وهو موقع لقاء ثلاثي بين كل من خولي على الجانب اليميني، وزيداني وسعيدي على الجانب الآخر، وتمتد الحدود الداخلية بين زيداني وسعيدي إلى مسافة نصف الميل على امتداد جدول رافد إلى مضيق ينحدر من سرمة ليتصل بضممد.

خرجنا بذلك تماماً من منطقة قبيلة يحيوي (زيداني) إلى داخل تلك التابعة إلى سعيدي التي دخلناها أول الأمر من عثوان، يمتد الشريط الحدودي الدولي الآن

(١) نيد سرمة، ربما يطلق عليه نيد (أم سرمة) أو (نيد أسرمة)، وهو عمود حدي بين بني خولي من اليمن وآل زيدان المالكيين من السعودية. للمزيد انظر: عبدالله القباع. المرجع السابق، ص ٤١١. (ابن جريس).

ناحية الغرب فوق سلسلة عرق الضعاف الحجرية الجافة غير المشققة والمتوجة، والتي فوق قمته وقف العمود الحدودي رقم (٨٦) - على ارتفاع (٣٦٠٠) قدم فوق مستوى سطح البحر -، أو كان المفروض أن يقف فوقها، وذلك لأنه يوجد في موقعه حجر واحد فوق كومة مبنية فوق صخرة ارتفاعها عشرة أقدام. ربما نقلت السيول بقية الحجارة أو نزعها لأجل التسلية أحد الصبية الرعاة العاطلين؛ الذي لم يجد ما يمكنه فعله أفضل من ذلك.

كان هنالك تصعيد تدريجي في الارتفاع لهذه السلاسل المتتابعة المعترضة التي واجهتنا بعدها، بعد هبوطنا إلى الحوض فيما يلي ضعف بتسلق رئيس للسفوح الجبلي المكسو بالأشجار بصورة جيدة للسلسلة التي لا تزال تمثل قمة السفوح الجبلية لهذه البلاد، يسمى هذا الموقع بدوة -أحياناً تسمى القرعة- وهو بروز شستي للسلسلة يحمل العمود الحدودي (رقم ٨٧) عند أعلى موقع به، ويرتفع إلى (٤١٥٠) قدماً فوق مستوى البحر، ويسيطر على منظر ممتاز بمعنى الكلمة للمحيط المجاور. يمكننا أن نرى إلى البعيد سهل تهامة عبر فجوة واسعة تركتها الصفحات الهابطة لكل من العر وفيفاء لأجل أن يمر عن طريقها ضممد. لم يكن السهل -للأسف- واضحاً وهو بلا سمات بارزة، وكان ضبابياً مما لم يسمح برؤية البحر فيما يليه وليست به خصائص لافتة للنظر.

كان هنالك ما يمكن رؤيته في أي اتجاه آخر، غير أننا توقفنا طويلاً هنا لتناول وجبة الغداء ولمناشط أخرى، كنا نستطيع رؤية بئر الشرح ناحية الشرق، وكان جبل فيفاء نفسه ناحية الجنوب الغربي على الشريط العام نفسه الذي سنسلكه من هذا الموقع على الحدود. حجبت كتلة العر العظيمة مجال الرؤيا ناحية الجنوب وكانت قمته تقريباً ناحية الجنوب، بينما نستطيع رؤية ممر نيد جلال -قليلاً ناحية الغرب

من العُر- . وأستطيع تسجيل الاتجاهات لبقية المعالم التي كنت قد ذكرتها خلال الأيام القليلة الماضية - قبل أكثر من أسبوع- عبر القطع الناقص لمسيرتنا من عند فيفاء إلى منحنى دفا والعودة الآن إلى مستوى فيفاء . لقد كان من أكثر المناظر شمولية التي تمكنت من رؤيته منذ زمن ، وأمكنني ذلك من تكوين فكرة عن الكثافة المدهشة للسكان فيما يمكن وصفه بأنه حوض ضمد . تقع مدينة جواى ناحية الجنوب الشرقي من موقعنا ويمتد واديها إلى أسفل ، ليتصل فيما بعد بمجرى وادي جازان الذي يقع داخل الجبال .

واصلنا مسيرتنا بعد الساعة الثانية ظهراً على قمة العرن لسلسلة القرعة لنصل طرفه النهائي إلى العمود الحدودي رقم (٨٨) والمسمى طور أم لبيدة عند ارتفاع (٣٧٥٠) قدماً فوق سطح البحر . لم يكن العمود موجوداً حقيقة غير أنه قيل لي وبكل تأكيد إنه كان واقفاً ذات يوم على صخرة كبيرة عند نهاية العرن ، تقع ناحية الغرب من موقعنا وعلى ارتفاع (٣٠٠) قدم أسفل من موقعنا هذا ، عند أسفل الهبوط الشديد الانحدار مجموعة كبيرة غير منتظمة من الحجارة تؤدي وظيفة العمود الحدودي (رقم ٨٩) نيد الوقر^(١) في حوض يفصل هذه السلسلة المرتفعة من التي تليها .

تم تكريم صخرة تقع فوق هذا العمود لكونها موقع لمعركة قديمة بين رجال قبيلتي بني خولي وسعيدى ، والتي كانت من نتائجها مقتل شخص واحد فقط ، يعد هذا الحوض الضحل ممراً مطروقاً لأراضي قبيلتي سعيدى وخولي أو عياش ،

(١) نيد الوقر ، عمود حدي بين آل سعيدى (بني مالك) (السعودية) ، وبين آل عياش من اليمن . انظر : القباع ، المرجع السابق ، ص ٤١١ ، آل زلفه . عسير في عهد الملك عبدالعزيز ، ص ٢٧٣ . (ابن جريس) .

ويكون العمود الحدودي موقع لقاء ثلاثي لهذه العناصر الثلاثة، يقع العمود الحدودي التالي على المستوى نفسه بعد ارتفاع قصير من الحوض على سلسلة طور موباد، وهو عبارة عن كومة من الحجارة تم الاعتراف بها رسمياً كعلامة حدودية قبلية جيدة تفصل بين سعيدي وعياش، تحمل الرقم تسعين في السلسلة. كانت هنالك -بين هذين الموقعين الآخرين، وإلى ناحية الغرب- علامات واضحة لطريق واسع والغرض منها يصعب تعليقه، ولا يوجد أثر أو تقليد محلي لحركة سيارات في هذه المناطق النائية. ويبدو أنها تكون خط ربط من هذه السلاسل -على زوايا قائمة- للمواصلات العادية بين المحافظات على امتداد الأحواض التي تفصل بينها.

يوجد عمود حدودي على قمة سلسلة حظوة القرية، على مستوى الارتفاع نفسه (٣٤٠٠ قدم) (ويحمل الرقم ٩١)، بالرغم من أنه ولسبب مجهول، كما يقول الشيوخ الذين يرافقوني، ولربما عن طريق الخطأ، فإن هذا العمود لم يسجل رسمياً بواسطة المؤتمر التأكيدي الذي عقد في ظهران بعد الفراغ من تعليم الحدود. وصلنا بعد مسافة عشر دقائق سيراً على الأقدام إلى العمود الحدودي (رقم ٩٢) على المستوى نفسه تقريباً، وعلى السلسلة التالية، واسمها ظهر موباد، وهو نصب جيد البناء شبيه بذلك الذي شاهدناه في بدوة ولكنه أقل منه إعداداً. وصلنا خلال عشرين دقيقة بعد أن واصلنا السير على الطريق المتعرج لهذه البلاد العارية المتدرجة إلى مضيق يفصل مسيلين ضحلين يجريان في اتجاهين متضادين، هما سيل شعيب ملصة ويتجه جنوباً ناحية وادي جحام، ومسيل شعيب منمتين ويجري إلى أسفل إلى ضمد، يسمى هذا المضيق نيد الغرو، وقد تم تعليم الحدود البدوية القديمة بعناية فوقه بصف من قطع الصخر مثبتة وهي قائمة في التربة.

كانت توجد على إحدى الصخور خدوش لأثر الرصاص، وإلى جانب ثلاث علامات وسم متشابهة، ربما يشير ذلك إلى عدد الضحايا الذين سقطوا في معركة في هذا الموقع. يصعب رؤية العمود الحدودي الرسمي (رقم ٩٣) وذلك لأنه قد وضع في فجوة في الشريط القديم وبدأ كأنه جزء منه، كان هذا العمود على مستوى أقل مقارنة مع أعمدة موباد التي سبقته وذلك لأن المضيق كان في حوض ضحل يفصل السلاسل المعقدة عن التالي والذي يقع إلى أعلى قليلاً، ويسمى القرية والذي على قمته توجد هذه الأكوام التعيسة من الحجارة التي تم تسجيلها رسمياً كعمود حدودي باسم رزمة القرية وتحمل الرقم (٩٤)، وتقع على ارتفاع (٣٤٠٠) قدم فوق سطح البحر، وقليلاً ناحية الغرب من نيد أم خرمة.

تقف كومة من الحجارة على موقع أعلى بالقرب من وسط السلسلة ولا تعلم هذه الكومة حدوداً قبلية أو دولية، إلا أنها تشير إلى الطريق الذي يؤدي إلى مشرب الوغرة على حافة ضمد. أمكننا رؤية موقع عمود نيد جلال الحدودي إلى البعيد ناحية الشمال من موقعنا، كما بدأنا نطل على حوض وادي الخلص، وتوجد به قرية ضربة الصغيرة المدمرة (ثربة) فوق هضبة صغيرة في موقع بروزه من تلال البطين ثم يدور بعنف ناحية اليمين، واصلنا سيرنا غرباً إلى أسفل على امتداد عرن سلسلة القرية ووصلنا خلال ما يزيد على نصف الساعة من مسيرة صعبة إلى كومة حجارة أخرى مكسرة في مضيق منخفض على ارتفاع (٢٦٠٠) قدم فوق سطح البحر، يسمى نيد أم ثوع ويفصل بين مجريين هما أم رضة وينساب أسفل إلى ضمد، وشعيب بلا اسم يجري إلى أسفل إلى وادي الخلص أو جحام، كانت مجموعة الحجارة التي وضعت في شكل غير مشرف بما يجاورها من أكوام حجارة البدو العديدة على رأس التل والتي يتكرر ظهورها ونحن نقترّب من موقع

المشرب، هي العمود الحدودي (رقم ٩٥). نستطيع رؤية غيل شعيب جرة، وهو أحد روافد الخالص، الذي يمتلك فيه علي بن فرحان حقاً عرفياً تم تسجيله له بواسطة لجنة الحدود، لأجل سقي قطعانه منه برغم أنه يقع داخل أراضٍ يمنية.

توجد مجموعة من العش الحجرية الدائرية الجيدة البناء على الجانب المحجوب من الرياح من السلسلة التالية فيما يلي القرية، وتقع قريباً من هذا الموقع ويبدو أنها غير مأهولة تنتمي إلى البدو في أرض يمنية. مررنا بها ناحية اليسار ونحن نهبط فوق أرض متموجة، عارية، حجرية إلى العمود الحدودي التالي الذي تم تسجيله رسمياً باسم نيد أمضراط -رقم (٩٦)، على ارتفاع (٢٥٠٠) قدم فوق سطح البحر-. لقد فرض هذا الاسم الغريب على هذا العمود وبالمناسبة لم يكن العمود موجوداً بالرغم من أن ابن فرحان أسرع في وضع عدد من الحجارة مع بعضها، وكان يظن أن أحداً لم يره لتحديد الموقع - وذلك بسبب حادثة مشؤومة. ذلك أن أحد أعضاء لجنة الحدود قد أخرج ريحاً (ضرط) وقد خرق ذكاء البدو اتفاق اللباقة - وهو أمر خطير في المجتمعات العربية العالية، التي تسمح وتشجع القذف - بهذا الاسم المرتجل.

تعلم كومة الحجارة موقع التقاء ثلاثي بين أرض عياش على الجانب اليمني وأرض سعيدي وخالدي على الجانب السعودي. تتبع الحدود بين قسمي بني مالك، حوضاً ضحلاً، يتعمق تدريجياً ويضيق في ممر تحفه جلاميد ويعبر من خلال الينابيع الحارة لوغرة ليتصل مع وادي ضمد بعد مسافة معتبرة فيما يليها، كادت الشمس أن تغرب الآن، وتركنا أعمالنا الخاصة بالحدود في الوقت الحاضر لنسلك هذا الطريق لنعود إلى زملائنا، الذين قد استقروا منذ فترة في المعسكر الذي يقع فوق مروج خضراء، على حافة بركة في وادي ضمد على ارتفاع

(٢٢٠٠) قدم فوق سطح البحر، و(٣٣٠٠) قدم أسفل نيد أم أثبة، التي يمكن اعتبارها رأسه المؤثر.

أخذت معي بعض الملابس النظيفة بعد أن استرحنا قليلاً في المعسكر ثم توجهت إلى ينابيع الوغرة لأستحم، وكررت ذلك في الصباح. تسيل الينابيع الحارة من داخل قاعدة صخور جرانيتية في الممر وربما من موقع اتصالها مع الصخري الشستي التحتاني، على بعد (٥٠٠) ياردة من فم الممر، حيث تكون المياه لا تزال دافئة وهي تساب إلى ضمد لتكوين الغيل الذي يجري إلى مسافة معتبرة أسفل المجرى. ينتهي غيل أعلى يسمى جزومه قليلاً فوق المروج التي نعسكر فوقها حيث كان بطن الوادي الحصوي جافاً تماماً.

تساب المياه الساخنة من بركة داخلية أبعادها (١٠ X ٥) ياردات ويبلغ عمقها أربعة أقدام، وتعلوها من الخارج كتلة صخرية ساقطة من الجرانيت، وقد كانت مثقوبة بواسطة نفق طبيعي يقود إلى بركة ضحلة أكبر، والتي يخرج منها جدول ضيق عبر الممر إلى ضمد. كانت درجة حرارة الجو في الصباح (٧٠) درجة فهرنهايت، وكانت درجة حرارة الماء (١١٣) درجة. يخصص هذا الجانب لسباحة الرجال، بينما تم حجر البركة الخارجية للنساء. واللاتي يجدن في الغابة اللطيفة للممر درجة من الخصوصية. يقوم بزيارة هذه البرك عدد كبير من الزوار، معظمهم من اليمن، علاجاً للروماتيزم والأوجاع المماثلة.

كنت فرحاً بالحمام الذي أخذته في المساء بعد مسيرة مرهقة وصعبة ومتعرجة فوق سلاسل السفوح الجبلية، كانت الصفة العامة للصخرة متماثلة مع تلك التي اعتدنا عليها في الجبال، ما عدا اتجاه توضع صخور الشست التي أصبحت تميل

نحو الوضع الأفقي بدلاً من العمودي. ثم تصير مسطحة تماماً كما في مجرى ضمد، بينما أدت بعض الاضطرابات الصخرية المحلية في ممر الوغرة إلى حدوث الينابيع الحارة، وإلى توضع صخور الشست على النظام العمودي مرة أخرى. كان الجرانيت الأحمر أكثر انتشاراً أثناء مسيرة النهار ويكون أحياناً فوق الشست كتلاً ضخمة وأحياناً يكون متداخلاً معه. كانت الجلاميد في ممر الوغرة من الجرانيت وكان الشست من خلفها على الجانبين.

وجدت إشكالاً يتنامى في المعسكر عند عودتي من حمام المساء بنشوب شجار قديم كان بين سعد وفرج، لقد كنت طلبت من فرج أن يقوم بتسديد كل فواتير المواد التي تجلب إلى المعسكر، ويصر سعد الآن أن فرج كان يدخل المال لجيبه الخاص وأنه لا يقوم بتسديد أسعار الضأن وأشياء أخرى لم يسدد قيمتها. كان هذا أمراً خطيراً لا يمكن تجاهله، ولذا قمت بتحقيق فوري بمعاونة عبدالله بن شرقة ورؤساء القبائل. اتضح تماماً أن تلميحات سعد لا أساس لها، وتأكد لي تماماً أن كل شيء قد تم تسديد قيمته. كان سعد خجلاً تلك الليلة. لقد خدمني سعد لعدة أعوام غير أنه كان هو نفسه عدو نفسه السيء الوحيد، كان دائماً يختلق المتاعب وكان بصفة عامة سيئاً في عمله، كسولاً، وغير كفاء، ولا يمكن أن استغني عنه كخبير تصبير الحيوانات. لقد قمت هنا وفي مواقع أخرى في التلال، باكتشاف طائر التفاحية الجذاب اليمني، وأصبح طائر الجنة صائد الذباب شائعاً هنا وجميلاً كعادته، كانت غابات الوغرة مليئة بالبلابل، وكانت طيور أبي مطرقة متجمعة تصيد أسماك المينو من مياه الغيل.

صعدت مع المرشدين وذلك قبل انطلاقنا لأداء عمل اليوم، لصباح الغد، إلى قمة الجرف الذي يطل على المعسكر من أعلى فم ممر الوغرة، لفحص الأرض التي

سنتعامل معها في مسيرتنا التالية. كانت ينابيع وغرة الحارة داخل أرض سعودية بالطبع غير أننا في نيد أمضراط وصلنا إلى موقع، كان فيه الخط الحدودي ولأول مرة في كل مداه، موضع شك ونزاع بين القبائل على الجانبين - عياش وآل خالد - وللحكومات التي هم من رعاياها. لم تتمكن لجنة الحدود من إنهاء الأمر، بل قامت بتعليم الشريطين بالأعمدة الحدودية وأن تترك الحل والقرار النهائي، لموافقة الحكومتين، بالأسلوب القبلي العادي. لقد واجهتنا حالة حدودية مماثلة من قبل، فيما يتعلق بمقبرة ثعلة عند ملتقى وادي مروان ووادي العرض في قطاع نجران، ولقد قضي في أمر هذا النزاع في الموقع نفسه بواسطة ممثلي الحدود، حينما أحضر المدعون من وإيلة خمسين شاهداً قاموا بأداء القَسَم بأن المقبرة تحتوي على رفات موتاهم، وأنها كانت كذلك وظلت كذلك.

كان جزء كبير من أرض المراعي، في الحالة الحالية هذه، على الجانب الأيسر لضمد متضمناً، وكانت عملية تجميع المعلومات الضرورية والإثبات معقدة جداً للتخلص السريع. انقضى أكثر من عام ولا يزال الموضوع معلقاً مع وجود أرض لا مالك لها بين المجموعتين المتنافستين، كان المبدأ الذي تم تبنيه للحل النهائي لهذا الموضوع بسيطاً.

يقوم الخالديون وقسم آل عزة من السعيديين شراكة باستعمال الأرض موضع النزاع - لا يتضمن أي قرى للرعي في الواقع - . يبقى على المدعين وهم قبيلة آل عياش، أن يتحملوا عبء الإثبات بأن لهم الحق في استعمال الشريط الذي يزعمونه. كان كل ما عليهم فعله هو إحضار خمسين رجلاً من قبيلتهم الخاصة لأداء القَسَم أن هذا هو الحق. يبدو الأمر سهلاً، غير أنه ليس كذلك إطلاقاً، وذلك لأن المدافعين الخالديين لهم الحق في اختيار خمسة من بين الخمسين شاهداً التابعين لآل عياش، ولا بد أن يكون القَسَم بالإجماع.

يمكن لمعارض واحد من بين الخمسين أن يسقط القَسَم، ويكون القرار في صالح المدافعين. لقد اختار الخالديون رجالهم الخمسة منذ فترة، إلا أن العياشيين لم يجمعوا بعد الخمسة والأربعين المتبقين، بينما وافق الخالديون بلا تحفظ على قبول الشريط - أحد الشريطين المتنافسين - بشهادة أداء الخمسين بكاملهم للقَسَم. يوضح قصور قبيلة عياش أن مطلبهم لا يقوم على حقيقة قبلية، سأبنى من حيث المبدأ الخط الذي يتزعمه الخالديون لغرض وضع الأرقام على الأعمدة مع طقم محتمل لمزاعم عياش.

عدنا على أعقابنا فوق مسيل الوغرة في اتجاه عمود نيد أمضراط الحدودي، وذلك بعد أن ألقينا نظرة من الجرف وحددنا كيفية العمل.

وصلنا وعبرنا مجرى شعيب دهنة بعد مسيرة أربعين دقيقة، وقد هبطنا من سلسلة قرية متجهين نحو وادي الخلص، الذي وصلنا إلى جانبه الأيمن أعلى موقع الالتقاء خلال دقائق قليلة، ثم وصلنا في وقت لاحق وعلى مسافة (٥٠٠) ياردة أعلى الوادي إلى فم ممر شاهق والذي من عنده يجري الوادي من سلسلة البطين في غدير جذاب صغير. يطلق على الممر اسم نقييل الغنم أو «ممر الغنم» ووقف عند فمه، على حافة الصخرة العمود الذي وضعه الخالديون لإبراز حقهم. كان رقمه هو (٩٧س) (س تعني سعودي) عند الموقع الذي يجب أن تعبره الحدود في خط مستقيم من عمود نيد أمضراط الحدودي، كان الارتفاع هنا (٢٣٠٠) قدم فوق سطح البحر، وكانت صخور وجملاميد الجرانيت الشديدة الانحدار وجملاميد الشست تأوي أعداداً كبيرة من الأرانب الأوروبية، وقد رأيت العديد منها وهي تهرب إلى جحورها الصخرية في أعلى الصخرة، وذلك أثناء قدومنا، كان المنظر لطيفاً عند فم الجرف، كانت جدرانه منقرة ومحفوراً بها العديد من المناطق المنعزلة

المظللة، وقد تحولت إلى تعريشات حقيقية بغطائها النباتي المزدهر مدعومة بالمياه المستديمة. يقع الموقع التالي الذي يطالب به الخالديون ناحية الجنوب الغربي من المر عند هضبة تسمى حدة - كانت قمته ترتفع إلى ٢٥٥٠ قدماً فوق سطح البحر- وتطل على مجرى شعيب حدة الذي ينبع من سفوح هرم عياش وينساب تجاه الغرب ماراً بهذا التل ليتصل مع وادي الخلص على مسافة نصف الميل إلى أسفل - سنرقم هذه النقطة بالرقم (٩٨س)- ويمتد منها الشريط الخالدي ناحية الجنوب الغربي إلى الموقع التالي وهو أم فرحة^(١)، على مسافة منا.

يتضح من هذا المطلب أن كل وادي الخلص من أسفل الجرف إلى موقع اتحاده مع ضمد عند مجنب أمبحا^(٢) - إلى الغرب من هضبة حدة- هو ما يُنادى به من العربية السعودية، ويحدد مطلب قبيلة آل عياش خط الحدود بأنه يمتد مباشرة من نيد أمضراط^(٣) إلى شجرة التين البرية الضخمة رقم (٩٧ ي) (ي تعني يمني)، عند المجنب وأمبحا بالقرب من فم وادي الخلص، تاركاً بذلك كل وادي ضمد للخالديين، إلا أنه يضع كل مجرى الخلص تحت ملكية العياشين. سلكننا -بناءً على هذا- طريقنا من حدة إلى وادي الخلص وتتبعنا مجراه إلى أسفل إلى مجنب أمبحا على مسافة نصف الميل من موقع الاتحاد -حوالي (٢٢٥٠) قدماً فوق سطح البحر- عند أسفل موقع اتصال مياه غيل الخلص مع الجدول الجاري لضمد. كان سوق الأحد في ذروته أسفل شجرة تين ضخمة ويقال إن معظم من حضروه كانوا

(١) أم فرحة: يطلق عليها أيضاً (الفرحة) وتلفظ أحياناً (أمفرحة). (ابن جريس).

(٢) أمبحا: تلفظ أيضاً (البحا). (ابن جريس).

(٣) سكان تهامة وبخاصة في منطقة جازان يلقبون حرفي (ال) التعريف إلى حرفي (أم)، مثلاً (الشرح) يقال (أمشرح) و(البحا) إلى (أمبحا) و(السرمة) إلى (أمسرمة) و(الخرمة) إلى (أمخرمة) وهكذا. (ابن جريس).

من مجموعات فرود واليهانية، وتشتمل الفرود على عناصر من كل من آل عياش والبطين والعر، كلهم متوحشو الشكل، نصف عراة وهم يمضغون مخلوط البرتقال ويبصقون فوق المكان.

تحررنا بعيداً عن السوق بعد أن تفقدنا أكشاكه الفقيرة المحتويات، وجلسنا أسفل صخرة من الشست مائلة ذات ظل بارد تكون الجانب الأيمن لضمد. سرعان ما أحاط بنا حشد كبير وركزوا اهتمامهم علينا بدلاً من اهتمامهم بسوقهم وأصبحت نصف المساحة فارغة. لم يكن لديهم ما يقولونه، بل جلسوا بقناعة في الظل يراقبوننا ويمضغون ويبصقون.

لم نملك هناك لأكثر من نصف ساعة وسرعان ما كنا نتحرك على جانب الغدير متوجهين ناحية الموقع التالي الذي يطالب به العياشيون. تركنا الجدول والمروج العشبية لضمد لنصل إلى ذلك الموقع فوق أرض صخرية على الجانب الأيسر لضمد الذي قد جرحته أعداد كبيرة من المسائل الصخرية إلى أن وصلنا إلى البرك الصخرية الرائعة التي تسمى الحنكر^(١) في ممر لطيف مفتوح ينحدر ناحية ضمد. كانت أرضية الممر من صخر جرانيتي قد أملمسته حركة السيول وفي بعض المواقع قد تحفر إلى برك ذات أعماق مختلفة كانت ذات مياه مستديمة.

يطالب العياشون بأكثر هذه البرك وأعماقها بأن تكون هي نقطة الحدود -رقم (٩٨ ي) على ارتفاع (٢١٥٠) قدماً فوق سطح البحر-، تاركين عدداً من البرك الصغيرة داخل أراضيهم والبرك السفلى تابعة للخالدين.

(١) الحنكر عمود حدودي بين آل عزة وآل خالد من (السعودية) وآل عياش من (اليمن)، انظر: عبدالله القباع. المرجع السابق، ص ٤١٢. (ابن جريس).

تأخرنا هنا لما يزيد عن الساعة، جالسين على حافة السفوح العظيمة المساء الجرانيتية حول البركة الرئيسة التي كانت مليئة بالأسماك الكبيرة، التي لا يقل وزن العديد منها عن الرطل الواحد، وقفزت كلها في هجوم عنيف على فتات الخبز الذي كنا نسقطه في الماء ونحن نتناول غداءنا، تأسفت إذ لم تكن معي سنارة صيد السمك، ذلك لأن الأسماك كانت أكثر مكرراً من أن تدخل في شبكة لصيد الفراشات والتي كنت قد استخدمتها مرة أو مرتين بلا فائدة للحصول على عينة. يعتقد أنها من نوع القَرخ، وهو النوع المستوطن في هذه الأنهار العربية. أزعج قدومنا إلى هذه البرك عدداً من البط، بينما كان على رأس الشجرة الوحيدة النامية بجوار السطح المائي الكبير عش كبير لطائر أبي مطرقة مبنياً على مستوى منخفض جداً، برغم أن هذا الموقع لا بد أن يكون مصيفاً مطروحاً للرعاة.

وصلنا إلى رأس مسيل بطنه صخري عند موقع التقائه مع شعيب كحلة^(١) ناحية الشرق من شعيب محد ناحية الجنوب الشرقي، تتبعنا مجرى محد وهو يدور إلى الأمام فوق مسار متعرج وبه العديد من البرك الصخرية على فترات، وكان هنالك نبع يسيل بلطف من داخل الصخر الشستي بين زخم من نباتات كزبرة البئر وغيره من السراخس.

تحركنا مع المجرى بعد مسافة إلى أعلى لنعبر سلسلة منخفضة من جرانيت رمادي تقع في محور الشمال الغربي والجنوب الشرقي عند أقصى نقطة بها، لتكون النواة للعمود الحدودي التالي على الشريط الذي يطالب به الخالديون إذا تم

(١) شعيب كحلة: - اسمه الصحيح (قرن مكحلة)، انظر: القبايع، المرجع السابق، ص ٤١٢. (ابن جريس).

تدعيمه، كان هذا الموقع هو الفرحة عمود حدودي محتمل (رقم ٩٩ س) عند ارتفاع (٢٥٠٠) قدم فوق سطح البحر، وقليلًا ناحية الغرب من آخر موقع على هضبة حدة. كان المنظر كئيباً بصفة عامة، برغم كثافة أشجاره، وهو فوق أرض متموجة سفوح جبلية، وتقع قمة جبل العر ناحية الجنوب وتسيطر على المنظر، ويجر فيفاء أذياله ناحية الغرب إلى أسفل ناحية ربوات وسلاسل منخفضة على الجانب الأيمن لضمد. يقع جبل عياش ناحية الشرق، وتربطه سلسلة متواصلة مع العر الذي كانت هذه السفوح الجبلية هي الوجيهات الخارجية له والتي تتدرج إلى أسفل إلى ضمد.

يجري مسيل جبرية من سلسلة أم فرحة (الفرحة) إلى أسفل حول الحاجز الجرانيتي لشعيب محد الذي دخلنا مرة ثانية إلى جزئه الأعلى لفترة، ينحدر الشعيب من سفوح عياش، غير أننا تباعدنا عنه على طريق أقصر لنعبر العرن المنخفض الذي يمتد من قاعدة العر. يطالب الخالديون بالمر الذي يوجد عند قمته بكونه موقع نقطة حدودهم الرابعة المتنازع عليها (رقم ١٠٠ س) وتسمى نيد أم رزم على ارتفاع (٢٥٠٠) قدم فوق مستوى البحر، وبداية انطلاقه شعيب ملصة الذي تتبعناه إلى أسفل فوق مسيل ضيق غير مثير للاهتمام تنمو فوقه بكثافة شجيرات خفيفة جافة وبعض شجيرات الطلح، إلى حيث العمود التالي غير موجود الذي يطالب به السعوديون، لقد كان هذا العمود مثبتاً على الجانب الأيمن للمسيل لتحديد الموقع إلا أنه تحلل تماماً. كان هذا هو العلامة رقم (١٠١ س) على ارتفاع (٢٣٥٠) قدماً فوق سطح البحر، ويقع ناحية الجنوب من نيد أم رزم.

تتبعنا الآن انحناء المسيل ناحية الجنوب الشرقي، حيث اتصاله مع المجرى الحصوي العريض لوادي ضنبة، الذي ينحدر من القسم التابع لقبيلة آل يزيد على

سلسلة البطين. يعلم هذا الالتقاء بشجرة طرفاء كبيرة وهو معترف به كعلامة حدودية (رقم ١٠٢ اس)، ويكون رأس وادي حبرب على ارتفاع (٢٢٥٠) قدماً فوق سطح البحر، ويزعم أن كل المجرى من هنا وإلى أسفل - حسب قول الخالدين - يقع داخل الجانب السعودي للحدود. تم وضع كومة حجارة بائسة على ثتوء على الجانب الأيسر، وقيل لي إنها عمود حبرب الرسمي المعترف به الذي قبله الطرفان لحل المشكلة.

لا يزال يحيى أم شريف^(١) في تمارضه برفقة قافلة العفش، غير أنه توفر لي دليل لمثل هذه النقاط المتنازع عليها وهو الشيخ عزة (سعيدى) واسمه الشيخ يحيى ابن جبران، وموطنه قرية ربيعة بالقرب من ريدة العزة، كان ناصحاً في شرحه لتفاصيل النزاع وأبرز شريط العياشين بأوضح صورة كمطلب خاص به. تمكنا من توضيح الخلاف إلى نقطة يمكن الاتفاق عليها، غير أن الشمس كادت تغرب حينما فرغت من عمود حبرب وقررنا أن نتحرك إلى أسفل الوادي لنعسكر بالقرب من التقائه مع ضمد. لقد كان المجرى صخرياً حصوياً مع مساحات متفرقة من مياه جارية على فترات، تنبثق من نبع عنيف في وسط جلاميد متكومة بالقرب من آخر الأعمدة الحدودية، اتسع المجرى إلى أسفل إلى ممر كثيف الأشجار يقع بين صخور عالية داكنة من الشست، سرنا فوقها نازلين مع الظلام الدامس متوجهين ناحية ضوء مصباحي المشع في المعسكر. كانت الساعة السابعة مساءً حينما وصلنا، لنجد رفاقنا في انتظارنا فوق رف خشبي عريض على الجانب الأيسر للوادي في موقع يدور فيه في انحناء حادة جنوباً فوق موقع التقائه مع ضمد. كنا هنا على ارتفاع (٢٠٠٠) قدم فوق سطح البحر. وكانت الليلة لطيفة ذات سحب، وكانت هنالك

(١) يحيى أم شريف يطلق عليه أيضاً اسم (يحيى الشريف). (ابن جريس).

رطوبة خفيفة في الهواء، وكانت درجة الحرارة الدنيا (٦٢) درجة، ولم يكن هنالك ندى، تميز كل اليوم بالنسيم اللطيف مقارنة مع يوم الأمس الذي كان حاراً ورطباً.

لقد كنا هنا في أمر مهم في تجولاتنا هذه، والآن وبعد أن فرغنا من النقاط المتنازع عليها، فلا بد من وقفة لفترة، شغلناها بالنظر إلى النظام العام للسفوح الجبلية وهي تقترب من سهل تهامة، ذهبت إلى ربوة مناسبة في الصباح قريبة من معسكرنا، كان مجرى حربرب، يلتوي ويدور في أجزائه السفلى خلال غابة جميلة يكثر فيها طائر العجلة الغامض، وطائر صائد الذباب الفردوسي والبلابل وطيور الشقراق الحبشي وطيور السوادية، وطيور أخرى عديدة، يصب في ضمد عند موقع يبعد حوالي ميلين من معسكرنا، وعلى مسافة تقارب الميل الواحد فوق موقع دخول وادي عفرة، الذي ينساب على الجانب القريب للسلسلة التي تحمل الاسم نفسه وينتهي في موقع اللقاء مع جدول جارٍ (غيل) يسمى حجفاً. يخرج ضمد إلى آخر مجموعة من التلال السفحية بين الطرف الشمالي لسلسلة عفرة والأطراف الخاصة لعرين، منخفضين يجريان خارج قاعدة فيفاء هما روحان والشرحاء. كان هذا هو ما أمكننا رؤيته من ضمد، باستثناء ضبابية الغيوم التي تحلق فوق سهل تهامة فيما يلي التلال.

تقع كتلة العرّ الآن ناحية الجنوب الشرقي من موقعنا، يقع جرف بارز يسمى القعبة على النهاية الغربية للسلسلة، وهي سلسلة مرتفعة وتنحدر سفوحها الكثيفة الأشجار إلى جانب وادي حربرب الأيسر. نستطيع الآن رؤية شريط الحدود وهو يجري من عمود حربرب إلى جرف القعبة ثم يعبر سلسلة عفرة بالقرب من قلعة جور (قور) أم وطف. لا نستطيع رؤية أي شيء فيما يلي ذلك، غير أننا في

موقع تتداخل فيه المساحات القبليّة على الجانبين في شرائط معقدة. يفصل عمود ملصقة الحدودي -مثلاً- بين الخالديين والعزويين على الجانب السعودي، وبين عنصر البطين التابع لبني منابة، وظل العياشين إلى الخلف من وراء نيد أم رزم، والتي هي نقطة لقاء ثلاثي. وتفصل علامة حربرب الحدودية ومعها العمود الحدودي لقرن مكحلة بين الخالديين والعزويين على جانب وبين عناصر العُر التابعة لبني منبة على الجانب الآخر، لا يبدو أن هنالك خطأً أرضياً يفصل بين الخالديين والعزويين.

كانت الساعة تشير إلى التاسعة والنصف صباحاً (١٤ يناير) عندما بدأنا نسترجع خطانا إلى وادي حربرب لمواصلة مسح الحدود. يتصل الوادي على مسافة الميل الواحد تجاه أعلى الوادي مع العُر عن طريق مسيل واسع لشعيب كفر والذي بعده بقليل تركنا المجرى، لتعرض مخترقين أرضاً ذات سلاسل كثيفة الأشجار ومتدحرجة تمتد من الخلف من جانبه الأيسر، مساحة غير منسقة ذات شست مائل، يترتب على زاوية (٢٥) أو (٣٠) درجة من ناحية الغرب إلى ناحية الشرق. وصلنا إلى العمود الحدودي قرن مكحلة، وذلك بعد أن تتبعنا القمة لإحدى هذه السلاسل الجبلية، سالكين مسيل الخرش (أيضاً من العُر) الذي يمتد على طول قاعدة الجانب الشرقي، يقع عمود قرن مكحلة إلى الجنوب الغربي من عمود حربرب الحدودي، الذي يوضع بأسلوب مماثل على الجانب الأيمن لشعيب اللهب بالقرب من التقائه مع الوادي الرئيس.

لقد أوضحت من قبل أن عمود حربرب معترف به رسمياً من كلا الطرفين عند إحدى نهايات الأرض المتنازع عليها تماماً كما تم الاعتراف بنيد أمضراط على النهاية الأخرى. بناءً على العلامات على الشريط التي يطالب بها الخالديون، فهي

تحمل الرقم (١٠٣س)، مع وجود علامتين معترضتين فقط في كل من المجنب وأمبجا (البحا)^(١) والخنكر، فهي بالرقم (٩٩ ي) في حساب اليمن. لقد اخترت الرقم الأكبر للملاءمة في مواصلة التسلسل العددي مع الحذر بأنه إذا تم قبول مطلب بني منبة، سيكون هنالك أربعة أرقام يتم إسقاطها من العدد الإجمالي لعلامات الحدود. مهما كان ذلك، فإن قرن مكحلة، التي ترتفع إلى (٢٥٥٠) قدماً فوق سطح البحر، تصبح هي العمود الحدودي الذي يحمل الرقم (١٠٤).

دخلنا الجانب الأعلى من شعيب كفر بعد أن هبطنا من السلسلة على الجانب الغربي. ثم واصلنا السير فيه حتى مجراه العريض، وكنا في صعود وارتفاع متواصل. مررنا هنا بتركيب بنائي غريب. اتضح فيما بعد أنه فرن بدوي أو المقوجة التي يستخدم لاستخلاص الراتنج بحرق شجيرات مختلفة في هذه البلاد كثيفة الغابات. يستخدم الراتنج لعلاج جمالهم من الجرب وغيره من الأمراض الجلدية. يمتد المجرى الآن من قرن مكحلة إلى حيث ينحدر مجرى جيف ويتحد معه على طول الخط الحدودي، الذي يمتد مباشرة من قرن مكحلة عبر البلاد وإلى أعلى سفح القعبة إلى قمته (رقم ١٠٥) والتي فوقها لم تر لجنة الحدود ضرورة لإقامة عمود حدودي، وضح السبب لذلك حينما بدأنا التسلق للسفح الكثير الأشجار، على شريط مسيل جيف. كان شديد الانحدار وصعباً لأبعد الحدود،

(١) فيلبي ذكر هذا العمود الحدودي باسم (مجنب أمبجا) وهو المعنى نفسه لاسم (مجنب البحا)، ولكن بعض المصادر التي دونت الحدود بين السعودية واليمن ذكرته باسم (مجنب البحار). ثم أثناء تجوالي في هذه المناطق الحدودية في شهر المحرم عام (١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م) وجدت بعض الرواه يذكرون هذا المكان كما ذكره فيلبي فيقولون (البحا) وليس (البحار)، مع أن هذا الاسم أيضاً وجد في بعض الوثائق الحدودية باسم (مجنب البحار)، ولكن سوف نبقي على ذكره كما ذكرها فيلبي، انظر: القباع، المرجع السابق، ص ٤١٢، آل زلفة، عسير في عهد الملك عبدالعزيز، ص ٢٧٣. (ابن جريس).

وكدت أن أفنع نفسي بالتوقف عن الصعود إلى أعلى أكثر للقمة الفعلية، حينما وصلنا إلى مضيق عند قاعدتها، حوالي (٢٠٠) قدم أسفل القمة وعلى السلسلة التي تربطه مع عرن العر الكبير وتنحدر من طرفه الشمالي وكان المضيق نفسه على ارتفاع (٣٣٠٠) قدم وعليه تكون القمة من فوقه حوالي (٣٥٠٠) قدم.

تقع القعبة ناحية الشمال الغربي من العر، وتنحدر انحداراً شديداً على الجانب البعيد من المضيق مع ميل شديد الانحدار، ويتفطح عند قاع الدائرة التي تكونها السلسلة في واد عريض قصير يسمى شعيب مجنة. يتصل هذا المجرى قليلاً أمامنا وناحية الجنوب الغربي، مع آخر يقبل من العر ويسمى شعيب القمحة، ليكون وادي عفرة، الذي، كما ذكر أعلاه، ينساب إلى قاعدة السلسلة التي تحمل الاسم نفسه ليتصل مع ضمد. تكون سلسلة عفرة هذه الحدود بين بني حريص الجنوبية على جانبها الجنوبي، والخالدي إلى الشمال ثم إلى قلعة جور الودافة المدمرة، بينما تكون على الجانب نفسه الحدود الجنوبية لأهل العر (بني منبة). تكون الأطلال تبعاً لهذا هي موقع لقاء ثلاثي بين كل من حريص وخالدي والعر. يسمى الاتصال الفعلي بين القمحة ومجنة لتكون عفرة باسم أمثميلة^(١)، تشتق من حقيقة أنه موقع شرب، وكان هذا هو مكان معسكرنا لقضاء الليل، على الرغم من أنه بقي علينا الكثير من العمل قبل أن نستقر أخيراً لننال الراحة.

يقع العمودان الحدوديان التاليان أسفلنا وعلى جانبي رأس شعيب مجنة عند قاع مسيل شديد الانحدار يهبط من المضيق، ويتعد الخط الحدودي بينهما عن

(١) أمثميلة تسمى (تبري أمثميلة). انظر: القبايع، المرجع السابق، ص ٤١٢ مع أن ابن زلفة أوردها باسم (شري أم شميلة)، والصحيح هو (أمثميلة)، حيث هي من الحدود الواقعة بين قبائل أمشيخ اليمنية، وآل خالد وآل غزوة السعودية. انظر: ابن زلفة، المرجع السابق، ص ٢٧٣، بالإضافة إلى جولتنا في هذه المناطق الحدودية في شهر المحرم عام ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م). (ابن جريس).

الجزء الأسفل للوادي في أرض الخالدين ويكون الجزء الأعلى تابعاً لمقاطعة العُر في اليمن. وصلنا بعد هبوط يعادل (٥٠٠) قدم أسفل المسيل، في طريقنا إلى مجنة، إلى بقايا عشة دائرية مبنية من الحجر، بقيت منها طبقتان فقط -ولربما كانت برج مراقبة أو مركز حراسة- إلا أنه لا حاجة لها الآن لإنذار وتحذير سكان قرية مجنة أسفل السفح بالخطر الذي يترصدهم به الأعداء.

كانت قرية صغيرة من عشش حجرية أو من القش (الوتل) وتسمى القفلة وتسكنها عناصر شبه بدوية من الخالدين والعزيين وآل أمشيخ (بني منبة)، كلهم يعيشون معاً في وئام فوق أرض العُر. تقع على ارتفاع (١٠٠٠) قدم أسفل المضيق وتشتمل فقط على حوالي (١٢) عشة، وقد قوبلنا هناك حين وصولنا بكرم فياض في التعبير عن التقدير أبداه لنا امرأتان وبعض الأطفال -ذلك لأن كل الرجال كانوا غائبين في أعمالهم، وقد أحضرتا لنا أباريق القهوة وقحفاً كبيراً مملوءاً باللبن الرائب، ونحن جلوس تحت ظل شجرة كبيرة وتحيط بنا الماعز والضأن وكلاب القرية، قمت بدفع أثمان ما قدم لنا من كرم في وقت متأخر من اليوم بحرية في الدفع أكبر لقاء المواد التي أرسلت إلى المخيم -لم نضيع الوقت تحت الظل، بل سرعان ما واصلنا السير تتبعنا الكلاب النابحة إلى مسافة، والتي كانت صامتة حينما كنا بالفعل داخل القرية، وذلك بمتابعتها لنا فوق سفح منحدر صعب، على الجانب الأيمن لتتفقد عمود حرف أم عبادة، وهو عبارة عن كومة تعيسة من حجارة في حوض ضحل يجري فوق قمة العرن الذي ينحدر من سفح القعبة.

كان هذا هو موقع العمود الحدودي رقم (١٠٦) عند ارتفاع (٢٧٠٠) قدم فوق سطح البحر وحوالي (٤٠٠) قدم فوق مستوى القرية. يقف إلى الجنوب من موقعنا، وعلى شريط يترك القرية إلى اليسار - داخل أرض يمنية -، العمود

الحدودي التالي فوق جرف من شست أسود يطل على القرية ويسمى غباس، وهو الذي يحمل الرقم (١٠٧) وارتفاعه (٢٥٥٠) قدماً.

لم يكن هنالك ما يثير الاهتمام في هذين الموقعين اللذين قمنا بزيارتهم بعد مشقة. تعرج بنا شعيب الخرق^(١) أثناء هبوطنا من الموقع الثاني، وهو رافد من روافد مجنة حتى وصلنا إليه وتسلقنا إلى قمة الربوة المرهقة في أكثر المناظر بؤساً لجبال سفحية حرقت الشمس صخورها. هبطنا حوالي (٢٠٠) قدم من غباس إلى المسيل ثم صعدنا أعلاه إلى (١٠٠) قدم إلى أسفل التل الذي شمخ إلى ارتفاع (٢٩٠٠) قدم فوق سطح البحر، وجدنا عند قمته بعد زحف خطر، ضرباً من الزريبة من بقايا الحروب القبلية القديمة ولم نجد عموداً حدودياً. لقد ثبت بعد التحري أن لجنة تعليم الحدود التي عهد إليها بمهمة تعليم الحدود، حين وصلت إلى المنظر الجميل لمجنة اكتفت بالنظر من بعد، وللزريبة اكتفت بذلك أيضاً ورأت أنه يؤدي وظيفة العلامة ولا ضرورة للعمود. ولم يكلفوا أنفسهم حتى بإرسال أحد الرعاة لبني بعض أكوام الحجارة، وعليه فقد تم تسجيل الزريبة وتحمل الرقم ١٠٨ في قائمتي.

لقد ذكرت لجنة الحدود هذه كثيراً في صيغة المجموعة، ولعله من المفيد للتاريخ أن أذكر أسماء الأفراد. كان لكل قسم من الحدود بالطبع طقمه الخاص به من المسؤولين عن تحديد الحدود، غير أن أولئك المسؤولين عن هذا الجانب بالذات الممتد من بئر أمشرح إلى سهل تهامة كانوا: من الجانب السعودي أبي مسمار من الشرطة، والذي كنا قد قابلناه في ظهران^(٢)، كممثل رسمي، وعلي بن فرحان

(١) شعيب الخرق، عمود حدي بين قبيلة آل أمشيخ اليمنية وآل خالد وآل عزه من بني مالك السعودية. (ابن جريس).

(٢) ظهران: يقصد بها ظهران الجنوب في بلاد وادعة الواقعة إلى الشمال والشمال الغربي من بلاد نجران وهي اليوم محافظة من محافظات منطقة عسير، وتبعد عن أبها حوالي (١٣٠ - ١٥٠ كم). (ابن جريس).

من آل سعيد، ويحيى بن جبران من آل غزوة، وعلي بن يحيى (ابن يحيى أم شريف) من الخالدين، وأحمد بن حسن أيضاً من الخالدين، وحسين بن سالم من آل قظيل (خالدين) وعددهم ستة، ومن الجانب اليميني، جارالله بن جمعان من سحر، ومفرح بن سليمان من العُر، (بني منبة)، وعلي بن حسن أبو طاقة من آل أم شيخ وفرحان بن عياش من عياش (بني منبة) وعددهم أربعة. لا يمكن القول بأنهم لم يضعوا خط الحدود في وضوح تام من النهاية إلى الأخرى غير أن الأسلوب الذي أدوا به العمل، مع تحاشي العمل إلى أقصى حد والإزعاج، لا يستحق الإطراء.

لقد استمتعنا بالنسيم البارد الذي هبَّ من ناحية الجنوب الغربي، إذ كان تسلقنا غير مريح فوق هذه التلال، نتعرج في التجاويف وبينها، وكنا نتوقف على قممها، بينما إلى البعيد في سهل تهامة، وقد بدا لنا وكأن عاصفة رملية كانت تهب هناك، كان الضباب كثيفاً مما حجب الرؤية في ذلك الاتجاه. كان المنظر في التلال من حولنا بصفة عامة مألوفاً، ومن هذا التل تمكنت ولأول مرة من رؤية قرية داخس الجميلة إلى يسار تل (طوالة) على سلسلة البطين، ومسجدها البارز الأبيض اللون. كان اتجاهنا إلى الجنوب من عمود غباس الحدودي، بينما كان عمود جور الودافة الحدودي، بجوار القلعة المدمرة، التي سنقوم بزيارتها غداً، يقف فوق سلسلته ناحية الجنوب الغربي. تجاوزت الساعة الخامسة مساءً حينما فرغنا من مسحنا من الخرق وهبطنا إلى أرض الخشن المتموج الصخري الذي يفصله عن مجرى وادي القمح.

لقد استغرق وصولنا إلى قمح نصف الساعة وكان مجراه رملياً، عريضاً، وكثيف الأشجار، وهبطنا من عنده إلى العمود الحدودي التالي وهو عمود ضبرة

(ثبرات) أمضس (رقم ١٠٩ على ارتفاع ٢٢٠٠ قدم). كان هذا الوادي مميزاً بوفرة غطاءه النباتي وبحجم أشجاره، معظمها آصم وسرح غير أن أشجار الضبر عند عمود حدودنا كانت عظيمة ذات ظل يعقد تحتها مجلس القرية أو يرتاح فيه قطع أغنام. كان العمود نفسه مسلة جميلة يرتفع فوق كومة حجارة واضحة المعالم، وكانت هنالك عشة راع منفردة على الجانب السعودي للحدود وقرية جداً من الشجرة.

لاحظنا، قبل وصولنا إليها، مجموعة صغيرة غير أنها تثير الشكوك من البدو التابعين لفرود وهم يتجولون بجوار مسيل جانبي، كأنما كانوا ينتظرون حلول الظلام لتنفيذ أمر سيء يجول في نفوسهم. انزعج كل من يحيى بن جبران ويحيى أم شريف، اللذين هبطا معي هذه المرة للمشاركة في مسيرة هذا اليوم، لهذا الظهور غير المتوقع الذي لا نرحب به، وذلك أثناء ما كنا جلوساً تحت الشجرة، ورجاني كلاهما ألا أتجول بمفردي دون حراسة، كما كانت عادتي في المعسكر ومعى البندقية وشبكة صيد الفراشات.

لم يكن هنالك شك في هذا المساء، وذلك لأن الظلام قد أطبق بالفعل، حينما وصلنا إلى فم وادي مجنة واستدرنا لنلحق برفاقنا في المعسكر فوق أرض خضراء لطيفة مطعمة بأشجار العلب ويقع بين الجانب الأيسر لمجرى السيل الفعلي، والذي لا يزال مبللاً في بعض أجزائه بسبب الأمطار الأخيرة والسيول، وبين السفح الكثيف الأشجار لعرن القعبة، الذي نهض فيما يليه إلى أرض السفوح الجبلية التي نتجول فوقها الآن. كنا هنالك على ارتفاع (٢١٠٠) قدم فوق سطح البحر وكان الندى كثيفاً أثناء الليل، إلى جانب أن فمه يصب في وادي قمح ليكون وادي عفرة، فإن وادي مجنة، الذي لا يزيد طوله عن الميل الواحد محاط

تماماً بسفوح القعبة الكثيفة الأشجار وذات العرنات التي تبرز على الجانبين . كانت مساحة تشبه الكمثرى في الشكل ، وكانت نهايتها السميكة تجاه أعلى الوادي ، وكما يدل عليها الاسم ، فهي عبارة عن جنة صغيرة مليئة بالطيور . كانت طيور الماء توجد بوفرة في السفوح الكثيفة الأشجار ، وقد تمكنت من الحصول على طائر السمنة الصخرية ، وطائر الصرد المحلي وطائر أبيض العين . وكانت طيور الثرثار والبلابل توجد بوفرة أيضاً وكانت نداءات طيور الماء في الصباح الباكر شجيةً .

كان معسكر مجنة مركز لقاء لتغيير المرشدين وجمال العفش . لقد أرسلنا الرسائل ، قبل ليلتين من معسكرنا عند ينابيع الوغرة الحارة إلى أمير العارضة ، نخبره بموعد وصولنا وطلبنا منه إرسال ممثلين لبني حريص الذين سندخل أراضيهم ، وحيوانات جديدة لحمل العفش . أصابنا الفزع حينما وصلنا ولم نجد أحداً في استقبالنا ، وبدا لنا أننا سنمكث هنا لفترة غير محدودة . قمت بوداع كل من حتروش وعلي بن سلمان والشيخ زيداني وحردان في معسكر حرب . لقد كانوا لطافاً ورفاقاً مثيرين للاهتمام وكنت أسفاً أن أراهم يذهبون ، غير أنهم كانوا سعداء بأن يجدوا حرية عودتهم إلى أوطانهم ، وكنت أتمنى أن يكونوا مقتنعين كما يبدو عليهم ، بالمكافآت التي يستحقونها؛ مقابل خدماتهم التي لا تقدر بثمن .

لم يظهر أحد في الصباح . وكسبت الوقت وخرجت ومعني بندقيتي وشبكة صيد الفراشات إلى الغابات من حولنا على مسافة أسفل وادي عفرة ، لم تظهر شخصيات الأمس المشبوهة حياة أو نشاطاً ، وكان كل ما قابلته في أثناء تجوالي هو مجموعة من الصبية الخالدين ، يقومون بمراقبة قطع مختلط من ضأن أبيض وماعرز أحمر اللون حول مشرب نبع في جرف كثيف الأشجار ، منحدر صخري يدخل إلى الوادي من سلسلة جور الودافة . جلست أتجاذب معهم الحديث لفترة

واكتشفت أن لديهم معلومات كثيرة. لقد أخبروني -كمثال- بأن سفوح العُر وسلسلة البطين المجاورة مأهولة بجماعة آل يزيد، ومشهورة بينابيعها العديدة، غير أن قرى بقية البطين وقرى عياش يعتمدون على مياه تخزن في أحواض، حفرها الناس في الصخر. ذكروا لي أن هذه المناطق تزرع البن والموز والتبغ بكميات كبيرة إلى جانب المحاصيل الحبوبية العادية من دخن وقمح وشعير في حقولهم ذات المساطب. كان مشرب الماء هذا مكوناً من بركة صخرية كبيرة أسفل نتوء تظلل شجرة فرفار ضخمة، والتي كانت على أفرعها واحدة من الأعشاش الضخمة لأبي مطرقة. يحمل كل من الجرف ومشرب الماء اسم موارد.

كان مريحاً لنا جداً بعد الأيام الصعبة المرهقة، أن نقسم هنا في هذا الموقع الجميل للبلاد بلا عمل معين. رأيت وقد اقترب الوقت من الظهيرة أن أعود إلى المعسكر لتناول وجبة الغداء. أخذتني الدهشة وأنا أخرج من داخل الغابة عند الجرف إلى المجرى أن أشاهد ثلاثة نصف عراة وهم يحملون بنادقهم بالطريقة المعروفة، أفقياً فوق الأكتاف ومن خلف الرقبة.

انصرف تفكيري مباشرة إلى رجال الأحراش في الأمس ولم يكن هنالك مفر من مواجهتهم. وتجلّى الأمر، لراحتي، حينما علمت أنهم طلائع القافلة التي جاءت إلينا من العارضة ومعسكر بني حريص، رأيت خلال دقائق الحمير التي كانت في المقدمة من المنحنى إلى البعيد مع اتجاه أسفل الوادي، وأسرع جمعنا وكنا أربعة أشخاص إلى المعسكر لنبلغ رفاقنا بالأنباء السارة. ثم الإسراع بإعداد الطعام وما هو بالوقت الطويل حين دخلت قافلة الحمير إلى وادينا ووصلت إلينا محملة بشحنات ملأني سروراً.

كان هنالك صندوقان لشحن البارافين وهما ممتلئان بالبريد الخاص بي، والذي كنت أنتظره بشغف -وأشياء أخرى- تسعة أسابيع من بريد الوطن تغطي الفترة من منتصف سبتمبر إلى منتصف نوفمبر، خطابات وصحف وافرة وشحنة مدهشة من سجائر برما وتبغ الغليون. يبدو الأمر كأنه لا يصدق بعد كل فترة الانتظار الطويلة هذه، كما ازداد سروري أنني أرحب بعودة ابن هذيل، الذي غادرنا قبل اسبوعين مما دعاني لإحضار بطارية للراديو، الذي منذ تلك الحادثة الوحيدة التي تعطل فيها، ظل يعمل بصورة طبيعية حتى اليوم.

كان كل شيء أكثر من جيد الآن، وقررت أن أحتفل بالمناسبة بالإجازة ليوم واحد، وذلك بتأجيل مغادرتنا إلى الغد ونسترخي للظهيرة والمساء وإلى وقت متأخر من الليل لألتهم بريدي مع شاي وسجائر برما، ولا بد أنني قد دخنت نصف علبة في ذلك اليوم، لأظل نشيطاً. ارتكبت خطأ خلال هذه الفرحة بأن قد فات عليّ أن أملاً نابض ساعة الكرونوميتر، وكانت النتيجة أنني اكتشفت أنها قد توقفت عند الوصول إلى المعسكر في المساء التالي. كان هذا خطأ صغير، ذلك لأن إذاعة القدس كانت تذيع شارات الوقت مما وضع الأمور في نصابها، كان هنالك الكثير من الحديث بين الأصدقاء القدامى والجدد في معسكرنا، غير أنني لم انتبه لذلك، بل تناولت وجباتي بمفردي لكي أواصل قراءة خطابات الأسرة والصحف. لم أكن في عصر ذلك اليوم وفي مسائه وليله في الجزيرة العربية، لا يمكن أن يحس بمتعة مثل هذا الحدث من لم يمر بالتجربة ذاتها.

صحوت عند الصباح على صوت طيور الماء في الغابات بالقرب منا، ولم نضع كثيراً من الوقت في إعداد الحيوانات الجديدة لحملها وأسيادها فيما يخص

أسرار نقل العفش الثمين، الراديو، والمزواة، وأدوات أخرى، سيرافقنا شيخ الخالدين والعزوين حتى المعسكر التالي؛ وذلك لأننا لم نفرغ تماماً من مناطقهم، غير أن الأمير عبدالله بن شرقة سيغادرنا ليعود إلى أعماله في القهبة، والتي تغيب عنها مدة أسبوعين. لم يفكر إطلاقاً، على الرغم من صراعه المتواصل مع الحمى في الابتعاد عنا أو في الانهزام للحمى وكنت بالتأكيد شديد الأسف لوداعه. لقد انطبع في ذهني كحاكم مثالي بأخلاقه الشجاعة المتواضعة، يتولى الإشراف على هؤلاء الأفظاظ المتوحشين الذين يتصرفون كالأطفال أحياناً، وكان تدينه العنيف يعزز من سلطته عليهم. يبدو أن بني مالك كانوا تحت السيطرة تماماً وكانوا خاضعين برغم كل شهرتهم السابقة بكونهم مزعجين ويصعب التعامل معهم.

لا بد أن يعزى نجاح ترويضهم للحاكم في تعامله معهم بأسلوب لطيف وباستثناء حتروش، فلا أحد من الشيوخ الذين كنت قد رأيتهم يبدو أنه مبرز. كان كل من علي بن فرحان ويحيى أم شريف، ويحيى بن جبران وشقيقه محمد ناعمين بلا مقدرة على الاحتمال، يرغبون دوماً في الراحة حتى في قمة مسيرتنا الساخنة، يرجفون من البرد في إحدى الدقائق ويهرعون للاختباء من الشمس في دقيقة أخرى كأنهم مجموعة من الأرانب، ودائماً يستجدون الطعام، لم أشعر بالأسف بأن هذا هو آخر أيام مرافقتهم لي، وكنت سعيداً أن أراهم يغادرون المعسكر في الساعات المبكرة من صباح الغد غير أنه، مع كل المآخذ التي أبدوها، فلم يكن بمقدوري أن أفعل شيئاً بدونهم ورافق كلمات وداعي لهم شيء أكثر صلابة يحملونه معهم في حقائبهم. لقد كانوا رفاق جولاتي مدة أسبوعين أو أكثر فوق هذه الجبال، ونحن الآن نفترق بلا مجال للقاء بالتأكيد.

ضرب فريقنا مسيرته فوق وادي قمح إلى أعلى السفح الشديد الانحدار للعرن الصخري الكثيف الأشجار الذي يقود إلى أسفل إلى سلسلة عفرة بين مسيلي موارد، على يميننا، ومليح على يسارنا، بينما اتجهت قافلة العفش لتسلك طريقها المناسب، لتصل إلى موقع معسكرنا التالي في الوادي. يرتفع رعن مسلة هذا إلى (٧٠٠) قدم إلى قمته على حافة رف يرتفع فيما يليه إلى قمة عفرة، التي وصلناها بعد تسلق استمر ساعة ونصف الساعة عند العمود الحدودي لجوار جور الودافة (رقم ١١٠) على ارتفاع (٣١٥٠) قدماً فوق سطح البحر. يصل خط الحدود مباشرة إلى هذا الموقع من علامة ضبرة أمضس على جانب وادي قمح، وتكشفت الأطلال، التي كنا قد رأيناها على بعد، حين وصولنا إليها عن ثلاثة أبنية تشبه القلعات المحطمة، بنتها قبيلة بني حريص لحراسة حدودهم، والتي تسير حدود الخالدين غرباً إلى هذه النقطة ومع العر (بني منبة) شرقاً.

تتكون قمة السلسلة على جانبها من شريط من ألواح شستية شبيهة بالمنشار موضوعة على زاوية (٤٥) درجة من جهة الغرب ناحية الشرق. لم تكن العلامة الحدودية بجوار الأطلال عموداً بل شريطاً من ألواح طولها (١٢) قدماً وبارزة إلى قدمين فوق السطح. تنحدر السفوح أمامنا إلى أسفل إلى وادي كثيف الأشجار تحفه على الجانب البعيد سلسلة كل من حيران والمشرق ولكنه ينفتح إلى الخارج ناحية الشرق، ويكشف عن لمحات من الجانب الجبلي من وادي جازان، وهو يجري بين سلسلة عالية تسمى المشوي على الجانب البعيد وقريباً من سلسلة فسوة السفلى وتقف في الاتجاه نفسه قمة فضة التي يوجد فوقها عمود حدودي عند مضيق سلسلتها التي تنحدر إلى أسفل إلى وادي جازان.

ألقينا نظرة على التركيب القبلي المتباين الذي يقع أمامنا الآن ويختلف عن الذي وراءنا، وقد أشار مرشديّ إلى سمات عديدة في أراضي كل من قبائل العبادل وآل مظهر وقيس، ويمانية ومجموعات أخرى، دون ذكر شيء عن الكتف اليمني العظيم المكونة من قبائل رازح وحرم والنظير. أمكننا أيضاً رؤية أجزاء من العُر، لم نكن قد رأيناها من قبل، وبعض القرى الجديدة. استطعت أن أتعرف في كتلة هذا الجبل الوحيد على ما يقارب (١٦) قرية مميزة ولا بد أن يكون هنالك أكثر من هذا العدد على السفوح المعاكسة وفي الانطواءات الجبلية وفي العرئات. كما ذكرت لي أسماء ما لا يقل عن (١٢) قرية تابعة لقبيلة عياش، وأكثر من ذلك على سلسلة البطين، وكان انطباعي العام أنه يوجد ما لا يقل عن (١٠٠) قرية كبيرة وصغيرة في مرتفعات بني منبة ويقدر عدد السكان بحوالي (٥٠,٠٠٠) نسمة. ويعتقد التراث المحلي أن قمة جبل العُر يسكنها الجن.

زارنا بعض الرعاة حينما كنا جلوساً بجوار أطلال جور الودافة، ربما كانوا من منطقة فيفاء. كانت قصتهم أن أحد أقربائهم قد توفي حديثاً وكان يزمع أداء فريضة الحج إلى مكة، غير أنه لم يتمكن من ذلك لا بنفسه ولا عن طريق الوكالة لعدة أسباب. وأصبح الآن ميتاً، ويود أصدقائه أن يتأكدوا من دخوله الجنة بترتيب زيارته بعد وفاته إلى مكة عن طريق الوكالة. كان هذا في عرفهم مسموحاً به، ولست متأكداً من الموقف الشرعي لمثل هذه الحالة^(١)، غير أن مذهب الشيعة يبدو

(١) الصحيح أنه يجوز لغير القادر على أداء فريضة الحج أن ينيب عنه من يقوم بذلك، أما الحكم لشخص بدخول الجنة من عدمه فهو راجع لله سبحانه وتعالى واسع الرحمة. وعدم انتشار التعليم أو من يقوم بتوعية الناس في أمور دينهم على المنهج الصحيح، يجعل عامة الناس يقعون في مثل هذه الأخطاء الشرعية. (ابن جريس).

أكثر تسامحاً في هذه الأمور، ولا يوجد أي شك في العلاقات الضرورية بين قبائل تهامة هذه وبدع الزيديين. قام أصدقاء وأقارب المتوفى بجمع بعض الأموال لتسديد أتعاب الوكيل نيابة عنه، عرفوا أننا قد قدمنا من مكة وسنعود إليها وعليه كان حضورهم إلينا لمناقشة المسألة. نوى يحيى بن جبران أن يؤدي فريضة الحج هذا العام على أي حال لشخصه هو، ويمكنه أن يتعامل مع أكثر من عدد من الوكالات كما يحب شريطة أن يصير لكل حالة المراسيم المطلوبة بدقة باسم الشخص الذي ينوب عنه^(١). وتمت المعاملة في يسر، وأدى يحيى القَسَمَ للقيام بالشعائر المخصصة لمهمته هذه في الحال فوق سلسلة جور الودافة. أخذ يحيى وهو ممسك بيدي رئيس وفد الرعاية وبناءً على ما يمليه عليه هذا الرئيس يكرر القَسَمَ تلو القَسَمَ بكل ما يقدره هؤلاء القوم البسطاء بأنه سيفعل كل ما هو مطلوب في حجته التالية - والتي تبقى لخلولها شهران - وبعد الفراغ من أداء هذا القَسَمَ، سلمت إليه صرة من الفضة، تحتوي على المبلغ المقدر في حدود (٤٠) ريالاً، وقد قام بعد ما فيها من ريالات، للتأكد بأن السعر الكامل قد تم استلامه. وعاد الرعاية وهم مسرورون لمواصلة أمور حياتهم.

تمتد سلسلة عفرة من جهة الجنوب الشرقي لتتصل مع عرون العُر، ويستمر خط الحدود فوق قممها، ودائماً على المستوى نفسه، إلى حيث العمود الحدودي التالي، أو بالأحرى، كومة من ألواح ملقاة مع بعضها البعض فوق كتلة مائلة من الشست بجوار بقايا حصن مبنى من ألواح مائلة. كان هذا هو الذي يحمل الرقم (١١١)، وكنا عند ارتفاع (٣٢٠٠) قدم فوق مستوى سطح البحر. كان التسلق

(١) من يتوكل للحج عن شخص ما فإنه يحج فقط لهذا الشخص المتوكل عنه، ولا يستطيع أن يتعامل مع أكثر عدد من الوكالات) كما ذكر فيليبي. (ابن جريس).

فوق السفوح من الوادي عملاً صعباً، إلا أنه كان لطيفاً فوق هذه السلسلة مع نسيم لطيف وسحب كثيرة من حول المرتفعات المجاورة. هبطنا الآن على السفح البعيد وسرعان ما وصلنا إلى رأس مسيل معجمين وتجري بجواره الحدود إلى بركة غدير حصر أم غيشانية، مسطح مائي كبير على هيئة النجمة في خزان طبيعي عميق من جرانيت رمادي، تأكل حتى أصبح أملساً، عند موقع انحدار إلى (٢٠٠) قدم من الشست، والذي لا بد أنه يقوم بعرض شلال رائع خلال السيول. لم تكن المياه هنا مستديمة لأنها تعتمد على تكرار السيول وكذلك حال برك أخرى صغيرة في المسيل، وبالرغم من أنه لا يوجد عمود حدودي هنا فإن هذه البركة قد تم الاعتراف بها كعلامة حدودية، وأعطيت الرقم (١١٢) في التسلسل. وتقع على بعد (٨٠٠) قدم أسفل قمة عفرة وحوالي (٢٤٠٠) قدم فوق سطح البحر.

يوصل المسيل اتجاهه ناحية الجنوب الشرقي لما يزيد على الميل الواحد، ليتصل مع خطوة القفلة^(١) وهو مجرى ينحدر من العُر إلى وادي أجبه الذي هو رافد لوادي جازان. يُكوّن شريط سلسلة عفرة من العُر وغرباً فاصلاً مهماً بين وادي ضمد وجازان. كان هنالك عدد من الرعاة التابعين لأم شيخ مقيمين بجوار هذه المياه، عند مرورنا الذي كرهته كلاب رعيتهم.

يقع المجرى بالكامل في الأراضي اليمينية، إلى أسفل البركة، ويعتلي خط الحدود سفوح سلسلة نصيب إلى قمته بارتفاع (٣٠٠) قدم ومن ثم إلى قمة بقرة المنخفضة التي تطل على المجرى من الغرب، ثم تتجه الحدود بمحاذاة الجانب الأيمن باتجاه مجرى القفلة. لا يوجد عمود حدودي على هذه القمة الذي يمكن، إعطاؤه

(١) خطوة القفلة: نقطة حدودية بين بني حريص (السعودية)، وآل أمشيخ (اليمينية). (ابن جريس).

الرقم (١١٢) أ، على ارتفاع (٢٧٥٠) قدماً فوق سطح البحر. عبرنا القمة عن طريق مضيق على الجانب الأيمن، حيث هبطنا من مجرى بقرة إلى شعيب شوامي، وبعد الأخير امتداداً لقفلة أسفل العمود الحدودي عند نقطة تقاطعه مع معجمين والأخير، وكذلك مجرى آخر من الجانب البعيد يدعى الجحيرة. وهكذا يشكل وادي شوامي، أسفل القفلة، الحدود الدولية وكذلك الحدود القبلية بين بني حريص (سعودي) وأم شيخ (يمني)، كما يشكل معجمين الحدود بين سلسلة عفرة والقفلة. توجد على مدخل بقرة قرنتان صغيرتان، هما صبران ومقام على جانبي مجرى شوامي، التي يسكنها عناصر من أم شيخ اليمنية، على الرغم من أن صبران تقع في الأراضي السعودية.

توجهنا إلى عمود قفلة الحدودي رقم (١١٣) بعد أن قمنا بفحص هذه الترتيبات المعقدة المتشابكة للقبائل والأنهار، ويعد عمود قفلة الحدودي واحداً من أفضل الأعمدة في كل الشريط، ويشمخ إلى ارتفاع ستة أقدام فوق هضبة هرمية بارزة فوق وادي شوامي على رأس نهاية انحناء على شكل حرف (S) - انحناء مزدوج - للمجرى، يجري مسيل بقرة إلى المجرى عند نهايته السفلى. كان هذا كومة حجارة حدودية قديمة وقبلية، وقد تم تحسينه كثيراً وتم بناؤه بصورة متينة بأمر لجنة الحدود، التي تستحق أن يشاد بها حينما يكون لذلك مبرر كافٍ. هبطنا هنا إلى ارتفاع (١٩٠٠) قدم فوق سطح البحر، وهذا هو أول موقع في كل الحدود يقل ارتفاعه عن (٢٠٠٠) قدم. قمت بتصوير العمود الحدودي احتفالاً بهذه المناسبة ويقف بجواره ثلاثة أعضاء رئيسيين. وهم عبدالرحمن العسيري ممثل الحكومة الرسمي الذي أوفد من العارضة، وبالمناسبة فهو من دماء عربية تركية مختلطة، وذلك لأن والده قد خدم تحت نظام الأتراك في أبها وتزوج من امرأة

محلية، وموسى بن مفرح من قبيلة آل عمر تحت قسم بني حريص، ومحمد بن علي من قبيلة أم شيخ.

يحمل منحى الوادي غيلاً لطيفاً جارياً كان ينساب في بطن، حينها فوق بطن رملي حصوي. كان مملوءاً بالأسمك الصغيرة وقد قيل لي إن هذا الوادي قد بدأ من مسافة بعيدة في المجرى. توقفنا قليلاً هنا للاغتسال لأجل صلاة الظهر، قبل مواصلة المسيرة إلى أسفل إلى العمود الحدودي التالي رقم (١١٤) عند مدخل مسيل الحوك من المرتفعات على يسارنا على مسافة (١٥٠) قدماً أسفل من موقعنا. لقد كان مجموعة صغيرة من كومة حجارة متوضعه فوق جرف من جرانيت رمادي يبرز قليلاً فوق الوادي من الجانب الأيسر للوادي قليلاً أعلى من موقع الالتقاء. واجهتنا مرحلة صعود صعبة بعد أن عبرنا الرافد، على السلسلة المقابلة في طريقنا إلى عمود الدقيقة^(١) الحدودي الواقع فوق قمته ويطل على مسيل سلحات على الجانب البعيد، الذي ينحدر من سفوح فضة العالية الكثيفة الأشجار. يقف عمود الدقيقة الحدودي رقم (١١٥) فوق مستوى الوادي عند ارتفاع (١٩٠٠) قدم فوق سطح البحر ولكنه لا يسيطر على منظر شمولي. تأخر الوقت كثيراً وأسرعنا أسفل السفح البعيد إلى داخل مجرى سلحات وسرعان ما وصلنا إلى موقع لقائه مع وادي ثروة المهم - أيضاً ينحدر من فضة - على ارتفاع (١٦٠٠) قدم فوق سطح البحر.

وصلنا بعد مسيرة عشر دقائق فوق مجرى ثروة إلى موقع التقائه مع وادي شوامي ليكون أجبة، وهو الموقع الذي اخترناه لمعسكر الليلة. كان رفاقنا قد

(١) عمود الدقيقة الحدودي: هكذا سماه فيليبي مع أن المراجع والوثائق التي أشارت إلى هذا العمود سمته (رأس الدقيقة)، ولهذا سوف نستخدم ما ورد في الوثائق والمراجع. (ابن جريس).

استقروا بالفعل هناك، وقد اختاروا للمعسكر موقعاً جميلاً على سفح جانب الوادي عند موقع الالتقاء أو قليلاً أسفل منه. هبطنا الآن إلى ارتفاع (١٥٥٠) قدماً، وهو أدنى ارتفاع وصلناه عند موقع سوق عيبان فيما يلي فيفاء.

تغذي كتلة جبل العُر التي ترسل مجاريها إلى أسفل على جانبي سلسلة عفرة، كلاً من وادي ضمد ووادي جازان اللذين يجريان مستقلين عبر الجبل والسهل وينتهيان معاً في الدلتا نفسها أعلى ميناء جازان. يعد شوامي واحداً من الروافد المهمة لنظام جازان، والذي ينبع أصله الرئيس إلى الخلف في الجرف العظيم لمقاطعة صعدة، ويعرف في جزئه الأعلى باسم وادي معبر حتى ما يلي التقائه مع وادي عينا وحينها يصبح اسمه جازان. تكون أجبة الاستمرار لمجرى شوامي بعد تدفق ثروة. يذوب غيل شوامي الجاري في هذا الموقع، الذي كان متواصلاً من أعلى القفلة في الرمال، ويصبح المجرى العريض المسطح جافاً وهو يخرج من مساره المحاط بالصخور، ويدخل فراغ أجبة الذي يشبه الدلتا، التي يوجد فيها وعلى جانبي الوادي عدد من القرى الصغيرة التابعة لبني حريص يقع أسفل معسكرنا، على الجانب الأيسر للوادي قسمان من قبيلة محشرة، بينما تقف أطلال داود على الجانب الآخر منه بجوار تل المشرق.

لم تكن قشعة وهي على الجانب نفسه غير مجموعة من عشش البدو، بينما على الجانب نفسه تعلّم قرية عوراء موقع تدفق شعيب عورا داخل أجبة وكان شعيب العوراء هو الطريق الذي سلكته قافلتنا وما هو إلا مجرد استمرار لشعيب البقعة، الذي ينبع من الصفحة القريبة من عفرة، وينحدر عبر موقد من تلال منخفضة، المشرق، جازان.. إلخ التي تفصلنا عن وادي ضمد. لم يكن أي من

هذه القرى أو التلال ذا أهمية، غير أن انكشاف الجبال يدل على أننا لسنا بالبعيد من حافة سهل تهامة، كما يوجد اختلاف بين في الصفة العامة للسكان في هذه البلاد المنخفضة. لقد مضى اللطف وأحياناً الإزعاج والتبجح الذي اتصف به ساكنو المرتفعات وحل مكانه إحساس بالضجر والكآبة. ويعيش الناس في بيوت بائسة وقد بلغ بهم الفقر مداه.

كان يوماً ممتعاً بصفة عامة. كانت البلاد كثيفة الأشجار وبها الأشجار النموذجية والنمو التحتي للسفوح الجبلية وكثيراً ما كنا داخل مدى رؤية أو سمع القروء، وهي تبحث عن الثمار التوتية بين جنبات أشجار المظ والغلفة. كان مسيل بقرة ميمزاً بأشجار التمر الهندي (الحمرة) الجيدة النمو إلى جانب برك شوامي الممتلئة بأسمك المنوة. كان المرشدان التابعان لبني حريص ومعهما شيخهما، موسى بن مفرح، غير واضحين بصفة عامة فيما يخص جغرافية بلادهم بالرغم من أنني استطعت أن استخدم رجلاً من قبيلة آل أمشيخ - واسمه محمد بن علي - من بين الرعاة عند بركة حصر لأجل التعويض عن قصورهم، وقد وجدت لذلك ما يبرره، وذلك لأن المنطقة التي نتابع حدودها كانت بالفعل خالية من أي عناصر تابعة لبني حريص، وكانت مخصصة للرعي لآل فيفاء، وبني مالك، وقيس، وأم شيخ.

بعد أن استقر بنا المقام في المعسكر، حيث لحق بنا علي بن شنتوف، شيخ قسم أكاوين الذي لم يلحق بنا في مجنة غير أنه حضر بصحبة قافلة العفش، ناقشنا الموضوع بصورة هادئة. يقف معي هنا الشيخان الرئيسان لقبيلة بني حريص، ويرجوانني أن أرفع توصية إلى الحكومة السعودية باستبعاد كل هذه المنطقة

التي تقع بين سلسلة عفرة ووادي جازان من إطار سيادة قبيلتهم ومسؤوليتها. لقد أخبراني أن شيوخهم جميعاً ولمدى ثلاثة أجيال قد غسلوا أيديهم بالأمر الواقع، عن الموضوع كله الخاص بهذه المنطقة الحدودية ولا يرغبون في أن تكون لهم صلة بها. لقد أحسوا بالحزن حينما كان موضوع الحدود الدولية تحت دائرة النقاش والمحدودية، إن هذه المنطقة قد تمت إضافتها إلى المملكة العربية السعودية، بحجة أنها كانت تاريخياً، وحسب الروايات المحلية أرضاً تابعة لبني حريص.

كان يمكن لمثل هذا القرار أن يكون غير مهم حسب وجهة نظرهم لولا حقيقة أن الحكومة السعودية، تبعاً لسياستها القبلية، قد أصرت على أن شيوخ بني حريص هم المسؤولون عن كل الأحداث المشاكسة فيما كان يعرف بالأرض التي لا يملكها أحد. كانوا يرغبون في التخلص منها تماماً، ولا يهمهم إن كانت قد سلمت إلى الخالدين أو نقلت إلى اليمن أو اقتسمت بين الاثنين.

كانت حالة غير طبيعية بلا شك، ومطلب غريب يعرض في أمر حدود دولية. لا علم لي بنتيجة هذا الموضوع، غير أنه من غير المحتمل أن تكون فكرة تسليم هذه المنطقة المزعجة إلى اليمن قد أعجبت الحكومة السعودية. سيكون تسليمها الفوري حدث فريد في تاريخ العلاقات الدولية. غير أنه لا شك لدي أن شيئاً ما قد تم فعله ليخفف عن رؤساء بني حريص مسؤوليتهم عن منطقة هم حقيقة لا يتحكمون فيها ولا يستعملونها، وسيكون موسى العلي، تحت نظام الحكم السائد في ذلك الوقت، هو المسؤول عن إحضار القاتل أو دية الدم، فمثلاً يتم قتله بواسطة شخص من الخالدين، والعكس بالعكس. كان الشيوخ الخالدين يحسون بالاطمئنان في هذه الأرض أكثر من موسى وقد تعرضوا لغضبي الشديد

عند بركة حصر بإصرارهم على رعاة آل أمشيخ الفقراء أن يعدوا لهم وجبة طعام. نهضت في اشمزاز وذهبت ماشياً ناحية التل، بعد أن رأيت ما قد حدث، وكان يرافقني موسى ورجال قبيلته، غير أن يحيى أم شريف قد تخلف ليستمتع بطعامهم.

واجهنا حادث مؤسف آخر في معسكر أجبة، وذلك بغياب شيوخ قيس، الذين أرسلنا إليهم رسائل نوضح فيها حاجتنا إلى مرشدين وحمّالين، لأننا سندخل جانبهم الحدودي الذي سنبداً العمل فيه في اليوم التالي، كما أرسل إليهم أمير العارضة رسائل مماثلة، ويبدو أنها بلا فائدة، وقد دار الهمس في المعسكر أن الرجال لن يحضروا. كانت قبيلة قيس حقيقة في متاعب مع السلطات السعودية في العارضة، لم يسددوا زكاتهم ويبدو أنهم لا يرغبون في دفعها. هاجرت كل القبيلة من المناطق التي يمكن الوصول إليهم فيها في أرضهم ولجؤوا إلى الجبال، ربما عبر الحدود، حتى يكونوا خارج نطاق جامعي الزكاة والشرطة المرافقة لهم. كانوا حقيقة مضرين وبسلبية شديدة، وأعتقد أنهم سيقاومون أي محاولات لإجبارهم. كان هنالك أمر آخر لم يهدأ بينهم وبين الحكومة سببه عدد من جرائم القتل التي وقعت في أرضهم والتي على ضوءها أمرنا بدفع دية الدم التقليدية في موعد محدد، وقد انتهى منذ زمن بعيد. كان الموضوع غير مقنع من وجهة نظر الحكومة وحينما تم إرسال أحد الأفراد للتأكيد لجابر بن جبران بن حتلان أن زيارتي المزمعة لفحص الحدود لا شأن لها بمطالب الحكومة في أمر الزكاة والدية، عاد الرجل ليقول إنه لم يجد إلا النساء والأطفال فقط في القرى والمعسكرات، ووضح أنه سيكون عليّ أن أتوقف عن دراسة هذا الجزء من الحدود في الوقت الحاضر. كان أمراً مزعجاً ولكن لا مفر منه.

انصبَّ حديثنا أثناء المسيرة وفي المعسكر على أسلوب تنظيم القبائل في هذه المنطقة. ويتكون الجزء الجنوبي من قبيلة بني حريص من قسمين رئيسيين هما: أكاوين تحت رئاسة علي بن مفرح بن حسين بن شنتوف، وقسم آل عمرو تحت رئاسة موسى بن مفرح بن علي العمري. كان كلاهما موجوداً معنا. زعماً بأن قبيلتهما تكون جزءاً من مجموعة اليهانية والذي اشتق من أصل مشترك يدعى يهنوي، المنحدرة من خولان بن عامر. واعترفا في الاتحاد الكونفدرالي بكل من بني مالك، وبني حريص الشماليين وآل فيفاء، والعبادل، وقيس، وآل تليد، وآل جماعة، وآل سلا - وتتكون تحت أقسام الجابرين والسفيايين والوداعيين والمعنين والحريصيين - . ثم صنفا قبيلة قيس إلى ثلاثة أقسام هي: آل محتم تحت رئاسة حسين بن كردام، وآل علي تحت رئاسة شريف بن جبران بن دخنان، وآل فيضة، تحت رئاسة جابر بن جبران بن حتلان. وتقع طبقاً لقولهما، إلى الغرب من قيس كل من آل سلا والعبادل. واعترف خبيرا حريص فيما يخص الفروود بما يلي مكوناً للاتحاد الكونفدرالي: بلغازي، والحساب - وشمال بلغازي - بني آل أمشيخ (الشماليين) والصهاليل وهروب والريث - وتقع الأربعة الأخيرة فيما يلي، شمال شرق بني حريص - وآل أمشيخ، (الجنوبية)، بني منبة - وتتكون من آل أمدوشه^(١)، وآل عامر وبني كثير، وآل سوار، وبني خولي، وعياش وآل اللهب - ، وآل غمر (اليمنيين)، ورازح وسحر. ويبدو أن هنالك الكثير من التساهل في التفسير المحلي للتقارب النهائي للعديد من هذه القبائل، وعامل النفوذ متداخل في معظم الحالات.

(١) آل أمدوشة: هكذا ذكرهم فيلبي ويطلق عليهم أيضاً اسم (آل دوشه)، والاسمان صحيحان. وهم يسكنون في وادي الخرش ويشاركونهم في مواطنهم آل اللهب. (ابن جريس).

بدأنا عمل اليوم دون أن نتظر فريق قبيلة قيس، تاركين أحمالنا للمواصلة فوق مجرى أجرة إلى الموقع المحدد للالتقاء في وادي جازان. تتبعنا خطواتنا السابقة التي تقودنا إلى موقعنا مساء أمس في وادي ثروة، مارين باللقاء سلحات ووصلنا، قليلاً بعد ذلك، إلى الموقد أو فرن حرق الراتنج، ويسمى موقد أم حيدر، وهو معترف به رسمياً علامة حدودية تالية رقم (١١٦) يلي علامة دقيق. كان ارتفاعنا عند هذه النقطة (١٥٠٠) قدم فوق سطح البحر، وواصلنا السير على الوادي الذي يكون الحدود، ويفصل بين بني حريص وآل أمشيخ. مررنا بعد ذلك بمجموعة صغيرة من بيوت البدو المبنية من الحجر وتبدو غير مأهولة إلا أنها تنتمي إلى عناصر من قيس آل أمشيخ، غير أنها على الجانب السعودي (اليسار) لمجرى الوادي، ويطلق عليهم اسم حجاج ثروة.

ثم وصلنا بعد قليل إلى ماء ثروة وهو ثقب مائي في الرمال، محمي بحافة من بناء مفكك. صعدنا الآن إلى ارتفاع (١٦٥٠) قدماً، وواصلنا ارتفاعنا مع الوادي، ثم مررنا بموقع تدفق شعيب وجخة وهو مسيل ينحدر من سفح فضاء على يسارنا عند ارتفاع (١٩٠٠) قدم، ثم تركنا المجرى يدور إلى أعلى إلى رأسه عند فضاء، وتسلقنا سفحاً سهلاً غير أنه كثيف الشجر إلى مضيق نيد أم ثروة فوق عرن ينحدر بشدة من قمة فضاء عبر الحدود. وجدنا هنا العمود الحدودي (رقم ١١٧) عند ارتفاع (٢٠٠٠) قدم وتقع قمته على يسارنا حوالي (٥٠٠) قدم فوقنا. يحمل امتداد عرن فضاء على يسارنا اسم صبة، ويتشتر فوق أرض مرتفعة واسعة تجاه زاوية أجرة - جازان. وينحدر أمامنا تماماً ناحية الجنوب الشرقي، مسيل صخري شديد الانحدار، يسمى ثروة، إلى وادي جازان إلى البعيد من هنا والذي رأينا لمحة منه لأول مرة.

كان شمال وادي ثروة موقعاً جذاباً يميل في لطف فوق أرض شبه غابية، تكثر فيها النباتات العطرية التي تملق فوقها الفراشات بأعداد كبيرة. كان الجو هنا في الأسفل خانقاً وساخنًا وبلا هواء، وسعدنا براحة قصيرة على الممر وقد هبَّ علينا نسيم لطيف أمكننا رؤية كتف كل من رازح العظيم والنظير على بعد وتفصلنا عنهما سلسلة من تلال منخفضة يقال إنها تكون الحدود، وفي بعض الأجزاء عليها بعض الأعمدة الحدودية.

لقد سجلت أسماءها للرجوع إليها مستقبلاً، وذلك لأننا سترك هذا الجانب من الحدود دون فحص في هذه المرة بسبب السلوك الرديء لقبيلة قيس، الذين في أرضهم تقع كل من حبرة وتلين باسم ملغوب ومن أحدهما ينحدر شعيب الخويرة ليتصل مع وادي يميناً قبل اتصاله مع معبر لتكوين وادي جازان.

يواجهنا الآن مجرى ثروة الجنوبي، وهو مختلف تماماً عن اسمه. كان جرفاً محاطاً بالصخور، شديد الانحدار، به العديد من البرك المائية ينحدر في شلالات إلى أسفل السفح. وصلنا بعد زحف فوق أرضه الصعبة على جانبه الأيمن استغرق عشرين دقيقة إلى بيوت للبدو مبنية من الحجارة، ومبانٍ أخرى على هيئة خلية النحل تكون قرية خية شوكان الصغيرة، وهي مهجورة وتمتلكها قبيلة قيس، وعلى الجانب السعودي للحدود، التي تجري إلى أسفل الجرف، وتفصل قبيلة آل أمشيخ اليمنية عن قبيلة بني حريص، كما فعل ثروة الشمالي.

تجمعت أسفل هذا مرة أخرى عشش شط ثروة، وهي مستوطنة تابعة لقبيلة قيس وهي مهجورة، وتقع على جانبي بركة مستديرة في الجرف، بينما إلى البعيد وعلى ارتفاع (١٧٥٠) قدماً فوق سطح البحر - و(٢٥٠) قدم أسفل المضيق -

توجد شجرة ابراه كبيرة تنشر ظلها فوق ملتقى مسيل ثحلة فضة مع جرف ثروة. كانت هذه الشجرة -وقد قيل لي ذلك- هي العلامة الحدودية الرسمية وهي أيضاً موقع التقاء ثلاثي بين كل من آل أمشيخ (اليمن) وقيس وبني حريص (كلاهما سعودي). كانت الحدود أيضاً دولية بين الاثني الأولين هي مسيل ثحلة، ينبع من مضيق يفصل كتلة فضة الرئيسة عن ربوة بارزة تقوم فوقها قرية غينة القيسية. وتمتد ديار قيس أيضاً، كما قيل لي، فوق الحدود داخل أرض آل أمشيخ، بين ثحلة ومسيل معض، الذي يدخل ثروة من سفح فضة قليلاً أعلى وادي ثروة.

يستمر جرف ثروة إلى أسفل ليفصل بني حريص عن قيس حتى مجرى جازان. تشمخ فوق هذه الشجرة العظيمة عند الملتقى الثلاثي، هضبة من صخر ذات ممر صعب يقود إلى أعلى. خطر بذهني أن أتسلق لأرى منظرأ أفضل للبلاد من هذه القمة، وعلى الرغم من احتجاجات زملائي، فقد بدأت التسلق. ووجدت بمحض الصدفة، عند القمة العمود الحدودي الممتاز (رقم ١١٨) عند ارتفاع (١٩٠٠) قدم فوق سطح البحر. كان شيوخ بني حريص مستغربين مثلي لهذا الاكتشاف، وأبدوا بصدق عدم علمهم بوجود هذا النصب المهم. كان عليّ هنا وبكل أسف أن أفنع نفسي بإطالة من بعيد إلى العمود الحدودي التالي (رقم ١١٩) فوق مضيق نيد فضة. لم يكتب لي حقيقة زيارته، وذلك لأن قبيلة آل قيس ظلوا متمردين طيلة فترة زيارتي لهذه الأنحاء.

كان موقع لقاء المسائل مملوءاً بالبرك، بعضها في مساحات رملية، وبعضها في الصخور، وكلها مملوءة بالأسماك الصغيرة. واصلنا مسيرتنا على امتداد الجانب للجراف لنصل إلى قرية منفص الصغيرة (منفت) وقد انتشرت بصورة جميلة فوق الصخور حول بركة كبيرة نسبياً وجميلة وكانت أفضل بركة رأيتها. كانت عميقة

في تجويف طبيعي في الصخر، وينساب من فوق شفتها البعيدة شريط من الماء إلى داخل هوة حقيقية إلى أسفل، يسكن في العشش القليلة لهذه المستوطنة بعض آل بني معن وهم تحت قسم لقبيلة السلا، وقد أكرمونا خلال وقفتنا القصيرة عندهم بالمنعشات من لبن رائب وخبز دخن وقد شاركناهم في هذه الوجبة شاكرين. وقد أفادونا بأن قرى قيس الصغيرة الواقعة إلى أعلى، عادة ما تكون مأهولة، إلا أنهم قد هجروها الآن خوفاً مما ستقوم به الحكومة ضد المضربين. تنحدر الهوة فيما يلي البركة إلى عمق (٨٠) قدماً، عمودياً إلى أسفل إلى وادي جازان، الذي وصلناه الآن بعد هبوط شديد الانحدار.

كان ارتفاعنا عند هذا الموقع (١٦٠٠) قدم فوق سطح البحر، وتوجد عند نهايته السفلى عند انحناء ثعبانية رشيقة للوادي، من حول الصخرة الكبيرة على جانبه الأيسر، حيث يوجد جدول سريع الانسياب عند مرتفعات حقيقية يدور بعيداً فوق بطن الرمل والحصى المتداخلة مع بروزات جرانيت أملسته السيول. يقع على مستوى الوادي عند موقع الالتقاء عدد قليل من البيوت الحجرية لقرية المصنعة الصغيرة، وهي مستوطنة قيسية إلا أنها مهجورة. يعد وادي جازان من هذا الموقع وإلى الأمام هو الخط الفاصل بين قبيلة قيس على الجانب الأيمن، وآل سلع على الجانب الأيسر حتى فمِنا الذي بدوره يفصل بين آل سلا على جانبه الأيسر وآل جملة، وهم قسم من قيس انفصل من الجسم الرئيس بمجرد معبر. يكون الوادي إلى أسفل مع اتجاه أسفل الوادي، هو الحدود بين آل سلا وبني حريص، على الرغم من أن عناصر من سلع تحتل حوالي ثلث كتلة سلا عند النهاية الغربية، وتجتمع معاً لأغراض إدارية مع آل سلا. وصلنا إلى بعض العشش (التابعة لقيس)

بعد نصف الميل أسفل الوادي الملتوي -وتسمى قشعة- من المسيل الذي يدخل الوادي عند هذا الموقع من مرتفعات سلا على اليسار.

واصلنا سيرنا ونحن نلف وندور مع الجدول الهائج مرة على هذا الجانب ومرة على الجانب الآخر، مسافة ميل واحد، إلى مدخل شعيب مرقوع من مرتفعات صبا على اليمين. يحاط الوادي في كل هذه المناطق بجلاميد الشست الشامخة بينما برزت العديد من التتوات الجرانيتية من بطنه. كان كل الوادي وعلى مسافة ميل واحد أسفل فم مرقوع مغلقاً بكتل ضخمة من الصخر، وجلاميد عظيمة مما اضطرنا إلى أن نسلك ممشى ضيقاً كمشى العنز، لارتفاع (٥٠) قدماً إلى أعلى الجانب الأيسر حتى نتقدم بأي شكل كان.

لم يتأثر الجدول بهذه الموانع وجاهد في طريقه وله هدير مرح فوق الصخور أو خلالها، ويبدو أنه يزداد قوة كلما تقدم. كان الجدول مسدوداً جزئياً إلى أسفل بواسطة جدار جرانيتي ليكون بذلك بركة ضخمة، والذي ظل يصب منها فوق شلال أعلى مجراه العنيف. كان أحد طيور البلشون يقف بجوار هذه البركة ونحن نقترّب منه إلا أنه طار وأنا أحاول الإمساك به. توقفنا لفترة للوضوء وأداء صلاة الظهر، لنواصل مسيرتنا أسفل المجرى المتعرج غالباً حتى قرية الموشم الصغيرة التابعة لبني حريص، عند ملتقى مسيل حشرة على اليمين. وصلنا فيما يلي هذا الموقع بعد مسيرة متعرجة مسافة ميل واحد تقريباً، إلى موقع التقاء وادي أجة، حيث انتشر الوادي الأصلي في مجرى واسع مستقيم من رمل وحصى. تقع قرية حجفة الصغيرة على جانبه الأيسر - تتبع لبني حريص -، بينما توجد مستوطنة القرعة، على جانبه الآخر فوق ربوة على كتلة الملتقى، ومعها موقرة، وهي مجموعة عيش على الجانب المواجه عبر الوادي.

تقع كتلة من صخور جرانيتية فيما يلي أجرة بين قرعة ووادي الشرحة، الذي يدخل إلى وادي جازان نفسه على مسافة نصف الميل أو أكثر إلى أسفل. وصلنا الآن لمرتاح في المعسكر أسفل جرف قرعة. تسمى هذه المساحة الشبيهة بالدلتا، على الرغم من أنها منفصلة عن سهل تهامة، بسلسلة حنقة مداخل، لتعلم التقاء هذه الخطوط المصرفية الرئيسة داخل حاجز السفوح الجبلية قبل مواصلتها لتبرز إلى الخارج داخل السهل تحت مسمى واحد هو وادي جازان. كان ارتفاعنا هنا هو (١١٥٠) قدماً فقط فوق سطح البحر.

التمس علي بن شتوف العذر بسبب الصداع الذي أصابه لكي لا يرافقنا في رحلة اليوم الصعبة، كما لم يكن موسى رفيقاً مسلياً أو مفيداً على الرغم من أنه والمرشدين التابعين له قد أبدوا الرغبة في مواصلة العمل أكثر مما أبداه جماعة بني مالك. يبدو أن مجموعة بني حريص كانوا من الدرجة الثانية. كانوا كالباقين دائماً مسلحين، ولم تكن بنادقهم تفارقهم لحظة حتى في أوقات الطعام، بالرغم من أنني لم أشجع هذا العمل حينما كنت أقاسمهم الطعام. كانت كل البنادق إيطالية الصنع بالفعل^(١)، وكان الطراز أبو خصوة هو المحبوب ولا بد أن يكون هنالك الألوف من هذا الطراز في هذه المنطقة. تنتمي كل القرى الصغيرة في هذه الأرض إلى بني حريص، الذين يملكون الكثير من الزراعة المسطوية فوق سفوح الوادي وفوق المساليل الثانوية، مثل مسيل أوكان، الذي هو مملوء تماماً بها من جانب إلى آخر وهو ينحدر من سلسلة مشرق المنخفضة إلى موقع قريب من معسكرنا. كانت الأودية الكبيرة بالطبع، معرضة للسيول الضخمة، إذا عوملت بالطريقة نفسها

(١) الظليان كان لهم علاقة حسنة مع إمارة الإدريس في منطقة جازان، وبخاصة صيبا، ولهذا انتشرت السلع الظليانية في بلاد تهامة، وعلى رأسها أدوات السلاح مثل البنادق وغيرها. (ابن جريس).

وكان مضيق جازان العظيم، الذي دخلنا عن طريقه، خال بدرجة مدهشة من الغطاء النباتي. تنتشر المياه أثناء اندفاع السيل من الجانب إلى الآخر وتجرف كل شيء أمامها عدا الصخور. كانت هنالك مساحات من الرمال المتحركة التي تغوص فيها الأقدام والتي لا ينصح بالمشي فوقها.

انتهينا الآن من المرتفعات ونمت تلك الليلة وأنا على علم بأننا سنكون فوق السهل المنخفض في صباح الغد. يحس المرء بذلك في الهواء، غير أن الليلة كانت باردة لطيفة وكانت درجة الحرارة الدنيا (٦١) درجة مع ندى خفيف.



الفصل الثلاثون

سهل تهامة^(١)

كانت المدخال هي البوابة للبلاد المنخفضة، وقبل أن نعبر من خلالها في الصباح، صعدت إلى قمة منخفضة للتلال السفحية بالقرب من معسكرنا، لأطل على البلاد. كما توقفنا لفترة وجيزة، بعد أن بدأنا مسيرة اليوم بقليل وعلى مسافة ميلين من المعسكر، عند مضيق آخر فوق السلسلة الخارجية للغرض نفسه. تقع قمة فيفاء الآن ناحية الشمال من موقعنا، بينما تقع العارضة والتي نرى قلعتها من المضيق، ناحية الجنوب الغربي، كما كان العرُ ناحية شرق الشمال الشرقي. وتقع قمة فضة فوق مضيقه وبه العمود الحدودي الذي لم نقم بزيارته ناحية الشرق. كانت منطقتا حرم والنظير اليمينيتين المحصنتين تفغان ناحية الجنوب الشرقي. ويمثل الخط الذي يمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي عبر مراكز الملاحظة الخط الفاصل بين المرتفعات والمنخفضات. كانت المرتفعات تفيض فوق المنخفضات إلى مسافة، غير أن سلسلة سلا التي تمتد من مجرى جازان في اتجاه الجنوب الشرقي، تمثل جداراً فعلياً من جرانيت مرتفع يميل ناحية السهل. يكون الجانب الشرقي للسهل رفاً منخفضاً من قاعدة المرتفعات وعدداً من السلاسل المنخفضة الخارجية التي من خلالها تمر خطوط الصرف الرئيسة داخل السهل الساحلي الحقيقي.

يمكن مناقشة تفاصيل المنظر المباشر الذي يقع داخل هذا الإطار في إيجاز. كانت خاصيته المركزية هي بالطبع وادي جازان، داخل دلتا المدخال، والتي فيها

(١) لمزيد من التفاصيل عن سهل تهامة انظر: عبدالرحمن الشريف. المرجع السابق، ج٢، ص ١٣٧ -

تتلقى معظم روافده، وفيما يلي القشرة الرفيعة للسلسلة التي يمر خلالها، لبدأ سيره فوق السهل. يتصل وادي أجبة، من سلسلة عفرة، مع وادي جازان على جانبه الأيمن، في الموقع الذي يخرج فيه من مضيقه إلى داخل الدلتا. يتصل به أوكان من المشرق على الجانب نفسه، قليلاً إلى أسفل، بينما يمتد وادي الشرحة، من حرين والشرحة في التلال السفحية عند قاعدة فيفاء، على امتداد سلسلة مكتف المنخفضة، ليتصل مع الجانب الأيمن لجازان قبل مروره خلال السلسلة إلى داخل السهل. تقف أطلال قلعة قديمة عند طرف السلسلة في هذا الموقع، ويطلق عليها اسم الحصن. يخرج عرن من الجانب الآخر لهذا المنفذ، من عند الصفحة الشمالية لسلا يحرس دلابغ إلى داخل جازان فوق جانب السهل من المنفذ.

تقف قلعة السرير التابعة لبني حريص بالقرب من رأس دلابغ على جانب الجبل، بينما تقع قرية إيسان الصغيرة عند موقع تدفقه داخل الوادي الرئيس، على الجانب الأيمن لدلابغ مع بعض العشش المبنية من الأعواد حول شجرة نخيل تمر واحدة، عند مدخل شعيب المضرب من جهة الشمال، قريباً من غيل جازان الجاري الذي يظهر مرة ثانية عند منفذه من التلال ويستمر إلى مسافة إلى أسفل. تقع قرية بياضة الكبيرة التابعة لبني حريص قليلاً أسفل هذا الموقع وعلى الجانب نفسه، وهي مركز سوقهم الرئيس. يفصل دلابغ من الزاوية الشمالية الغربية لسلسلة سلا، بين بني حريص وآل جابر (التابعين لا آل سلا) وحتى مجرى جازان الذي يصبح بعد ذلك هو الحدود، ويكون قبيلة آل حريص إلى الشمال وحتى الوصول إلى بلاد المسارحة في جوار سلاسل منخفضة هي حدج، والمدرة وخلوة، وصقبان والتي ينساب وادي جازان عن طريقها إلى الخارج نحو البحر. كان لبني

حريص مستوطنة أو مستوطنتان هما الوعرة وقعدي على الجانب الأيسر لمداخل، ولكن في الحقيقة، باستثناء هذه المنطقة الصغيرة، فإننا لم نر إلا القليل من بلادهم ما عدا الجزء الذي يرغبون في عدم حاجتهم إليه. رجانا ابن شتوف أن نسمح له بالانصراف ولما كان قد قدم الكثير من الأعدار لكيلا يرافقني في التلال، فقد تركته يذهب دون مكافأة.

نظرنا ناحية بلاد آل سلا من مضيق معول إلى سلسلتها الجميلة ذات التلال المواجهة للسهل وأخاديدها الجرانيتية الملساء. وارتفع عندها عدد من القمم البارزة، الواحدة تلو الأخرى، على امتداد الجبهة كلها وهي - سلا الحقيقية عند الطرف الشمالي، ومتلاع، والمصيدة (أمصيدة)، والمشبة (أمشبة)، ونجيدة، وقفرة وهلابيهو - اسم غريب - والضبر. وقفت إلى البعيد في سهل تهامة ناحية الجنوب والجنوب الغربي للقامة البارزة المزدوجة الرأس التي تسمى العاصم^(١) وتكون سلاسل كل من غراب وشهرين إلى الغرب منها، ويقال إنها تتبع بلاد المسارحة. قادنا مسيل صغير من مضيق المعول عبر غابة كثيفة إلى رأس مجرى يسمى الزُغْبَة، يجري إلى الأمام على طريقنا، إلى مسافة وقد ملأته حقول الدخن المسطبية التابعة لقريتي الجحيرة ومسبة المحليتين. وتقع، بعيداً داخل السهل، وقريباً من مجرى جازان قريتا عرقد وغوية الصغيرتين. وصلنا إلى نهاية هذه المزارع مع تضيق للوادي بين سلاسل صخرية بعد مسيرة صعبة استمرت نصف ساعة. كنا نمشي وذلك لأنهم قد أرسلوا لنا جمالاً لنقل العفش بدلاً من الحمير التي تحملنا كما توقعنا. كان بطن الوادي

(١) العاصم تلفظ في اللهجة الحلية (أمعاصم). وهناك ألفاظ كثيرة جداً تقلب فيها (ال) التعريف إلى (أم).

(ابن جريس).

متخللاً بالبرك الفيضية أو الغيلية وعلى فترات. انفتح المجرى مرة أخرى على مسافة (٥٠٠) ياردة إلى أسفل على مزارع كثيفة على كلا الجانبين تتبع قريتين صغيرتين يكونان مسبة على الجانب الأيسر.

اعترضتنا مجموعة من قرى الجوابرة حينما كنت أرصد بعض الاتجاهات عند ربوة وإلى جوارى شبكة صيد الفراشات وبنديتي وكان رفاقي جلوساً في الظل إلى أسفل. وقد تقدموا ناحية مجموعتي وهم يحملون إليهم الخبز دون إلقاء التحية إليّ، أو حتى لم يكونوا متبهيين لوجودي. تجاهلتهم لفترة، حتى إذا ما استقر جمعهم حول الطعام، أرسلت بصوت مرتفع بعض التعليقات البذيئة حول إدراكهم للكرم والضيافة. أسرعوا بعدها نحوي بزخم من الاعتذارات، وقد أحضروا معهم سلة خبزهم ووضعوها أمامي وقد أعيد تكوين الحلقة من جديد حولي لمواصلة أحاديثهم في وهج الشمس. قدمت إليهم من جهتي فناجين شراب قشر البن من أحد ترامسي وكنت دائماً أحمل معي ترمساً ممتلئاً لرفاقي، وآخر غير محلى وبلا حليب لشخصي. وقد عبروا عن أقصى دهشتهم بأن الشراب كان ساخناً. قضيت معهم ساعة زمان وأدركت أنهم كانوا لطافاً. كانوا أول الأمر خجولين، وكانوا خائفين حينما شاهدوا شبكة صيد الفراشات التي لا بد وأنها بدت لهم وكأنها أحد أعلام الحرب. كانوا يقدرون البندقية حتى بندقية صيد الطيور الصغيرة هذه، وقد كانت هي كل السلاح الذي حملته على أنه سلاح، غير أن الشبكة حيرتهم، وقد سبق لي أن لاحظت نفس التوقع الساخر هذا حولها بين أهل المرتفعات الذين كنت أقابلهم عرضاً خلال جولاتي.

أقبل شعيب دومة على مسافة الميل الواحد إلى أسفل ومن ناحية اليسار، وأقبل شعيب لحج بن جعار من جهة اليمين ومعهما المساحات الشاسعة للحقول التي بدأ فيها الدخن الصغير، ثم مررنا بقريتي السوداء وحابل المالكتين الصغيرتين على جانبين متقابلين وكانت قرية الملح الكبيرة على مسافة الميل الواحد إلى أسفل وعلى الجانب الأيمن. كان بطن الوادي الرملي مشبعاً بالماء الذي يقع على عمق بوصات قليلة تحت السطح، الذي كان منقراً بثقوب مائية ضحلة، امتدَّ الوادي، من هذا الموقع وحتى العارضة نفسها، على مسافة الميل، على سهل مستوٍ، مستنقي مع مساحات كبيرة لحشائش الحلفاء التي تحتل مساحات في حجم حقول الدخن والتي وجدنا فيها نهراً جارياً واحداً.

لم تكن المسيرة طويلة فقط مدة ثلاث ساعات مشياً على الأقدام، إلا أن الطقس صار ساخناً ولزجاً، ولذلك فقد احتفلت بعودتي إلى حضارة نسبية بالخلود مباشرة وبلا مقدمات، إلى إغفاءة القيلولة داخل عشة باردة نظيفة على هيئة خلية النحل مبنية من القش. كان ذهابي للنوم عند الساعة الثالثة مساءً ولم أصح إلا عند الساعة الخامسة والنصف مساءً وقد انتعشت كثيراً بهذا النوم العميق وبالتجربة غير العادية بالنوم فوق سرير. غادرنا جازان قبل ستة عشر يوماً وباستثناء قيادتي للسيارة إلى العيدابي، فقد كنت أمشي على رجلي معظم الطريق، وفوق أصعب البلاد. لم أتحقق من شدة تعبتي إلا بعد أن استرحت من أعمالي.

كان أمير العارضة، عبدالله البشري مجازاً في هذا الأثناء، غير أن مندوبه كاتب الدخل الحكومي جاء لزيارتي بمجرد أن صحوت من النوم ليقدم لي كرمه ويريني معالم أرضه. لا أستطيع وبالكاد أن امدحه على الترتيبات التي قام بها

لأجل أن أقوم بعملتي في الحدود، أو حقيقة، لراحتي، كان قلقاً حين علم بحقيقة أنني قد سرت على قدمي كل الطريق من عند المدخال، لأعبر عن احتجاجي لفشله أن يؤمن لنا الحمير. توصلنا إلى نقاط ودودة سريعاً، ولكي يساعدني في جغرافية البلاد، فقد جمع حشداً من الخبراء المحليين على الشرفة المفرجة للبناء الشبيه بالقلعة التي تؤدي وظيفة المركز الإداري وثكنات الشرطة. تناولنا كلنا معه وجبة العشاء بعد ذلك، وناقشنا أمور العالم بعد جلسة استماع للراديو خارج عشتي. اتفق معي على موقف بني حريص، ويبدو أنه يعتقد أن كل القبائل في منطقته فقيرة خاصة قبيلة قيس التي سببت لي الكثير من المتاعب. يمزغ بنو حريص، صمغاً محلياً، هو راتنج البشام (البلسم) وهي شجرة شائعة في التلال السفحية المنخفضة وفي الأجزاء العليا من السهل. كان سوق البرتقال والدقذقة المستوردين، وقد أراني كميات للبيع بالجملة وصلت حديثاً إلى سوق العارضة، خارج استطاعتهم، ويذهب معظم هذه المواد إلى ساكني المرتفعات. يشبه الدقذقة في رأي، الجبس، بينما تم شحن أوراق البرتقال التي يسمونها سرت وهي مسطحة، في بالات.

تقع العارضة على ارتفاع (٨٥٠) قدماً فوق سطح البحر وهي قرية كبيرة ممتدة تتكون من عشش على هيئة خلية النحل ولا توجد بها مبان، ما عدا القلعة^(١)، وهي بناء رباعي الزوايا تم إنشاؤه حديثاً من الصخر المحلي وتكسوه طبقة من الجبس ومزود بفتحات الرمي للدفاع. ومعظم سكانها من عناصر زنجية

(١) للمزيد من الإيضاح عن بلاد العارضة انظر: عبدالرحمن الشريف. المرجع السابق، ج٢، ص ١٧٩.

(ابن جريس).

الأصل، وعناصر عربية مختلفة، مثل آل سلا، إلخ. تندلق القرية فوق مساحة كبيرة على الجانب الأيسر لوادي محته الذي ينحدر من بين قمتي نجيدة وقفرة ليتصل مع زغبة أسفل القرية داخل مساحة من الحلفاء شبيهة بالبراري الشبه مستنقعية. يتجه المجرى بعد ذلك ناحية الجنوب إلى سلسلة متقطعة تسمى ثاهرة على بعد الميل الواحد ناحية الغرب ثم يتصل في نهاية الأمر مع منخفض كبير مشجر ويكسوه نبات الحلفاء، يمتد ناحية الشمال الغربي ليتصل مع وادي جازان عند الطرف الشمالي للسلاسل الخارجية (لحدج.. إلخ) التي قد ورد ذكرها. كانت مجموعة تلال أمعاصم (العاصم)، ناحية الجنوب، الواقعة في السهل معالم أرضية بارزة، وأكثر بروزاً هو طحنان وهو أيضاً أعلاها. يقع مركز الخوبة الإداري إلى اليسار منها بالقرب من منفذ وادي خلب عند التلال، غير أنه كان بعيداً جداً ومنخفضاً جداً مما جعل رؤيته صعبة. كان شدع^(١) هو الوحيد البارز داخل حافة الجبل، وبه برج مراقبة على قمته، ويجواره قرية ذات حجم معقول. ارتفع بجوارنا وفي الاتجاه نفسه مرتفعات كل من هلابيهو وضبير ويفصلهما وادي كفاف الذي ينحدر من المرتفعات، بينما كان وادي الدحن هو الخط الفاصل بين ضبير، وشدع وينحدر من رأسين في التلال عبر مسيل كل من رجاف واملحي^(٢). أمكننا رؤية حذبة جحضان، إلى الخلف وإلى البعيد، ناحية الجنوب الشرقي، والتي سنقابلها مرة أخرى حين نواصل فحصنا للحدود.

(١) شدع: هكذا كتبها فيليب مع أن بعض السكان المحليين ينطقونها بضم الشين أو فتحها. (شُدَى) أو

(تشدي). (ابن جريس).

(٢) املحي: يطلق عليه أيضاً اسم (الملحي). (ابن جريس).

لم تكن العارضة مكاناً مثيراً ولم أكن أسفاً لمغادرتها قبل ظهر اليوم التالي، وأنا مسافر على شاحنة كانت قد أحضرت لي بريدي من جازان. وقد انتظرتُ بتوجيهات من محمد بن مهدي لتقلنا جميعاً إلى هناك. كانت مناسبة للتغيير جميلة مقارنة بوسائل النقل العديدة التي كنا قد اعتدنا عليها، غير أن هذه الفرحة قد أزلتها حالة الطريق الذي سافرنا فوقه- وهو الطريق الرئيس من أبي عريش^(١) إلى جازان. كان الجزء الأول منه جيداً كبقية غيره أن عبور حوض العارضة خلال مسافة الميل الواحد الذي يفصلنا عن سلسلة الشاهرة كان صعباً ووعراً، كانت السلسلة نفسها عبارة عن بروز لميكا شستية مع عروق كوارتزيتية التي غطت قطعها المتآكلة السفوح. كان الاتجاه العام للطريق، فوق بلاد تلية سفحية نموذجية مغطاة بغابات جيدة، ناحية الجنوب الغربي، داخل أو على امتداد حوض محته العريض الذي انتشرت من حوله المزارع معظمها حقول تم حراثتها لمحصول الربيع من الدخن. تسمى أرض الغابات والوادي باسم بثن ويبدو أنها تكون جزءاً من حوض أكبر يتضمن مجرى جازان إلى الشمال، والذي كان شريطه الفعلي مميزاً باستمرارياً ما يحفه من شجيرات وأشجار. توقفت الشاحنة مرة أو مرتين أثناء السير الصعب هذا، غير أن السفر تحسن حينما اقترب الوادي المشترك من سلسلة متعارضة منخفضة والذي عبرناه من خلال ممر مكشوف. كان علينا أن نطوف حول هذه السلسلة مارين فوق سهل من حصى تكسوه غابة حتى طرفه الجنوبي حيث توقفتنا لمراجعة الموقف. لقد غطينا خلال خمس وأربعين دقيقة مسافة لا تزيد عن عشرة أميال فقط حتى هذا الموقع، كما أن عداد قياس السرعة لم يكن يعمل.

(١) وللمزيد عن بلاد أبي عريش، انظر: عبدالرحمن الشريف، المرجع السابق، ج٢، ص ١٧٠. (ابن جريس).

يمتد أمامنا وادٍ عريض كثيف الأشجار، يقع بين مجرى جازان على مسافة نصف الميل على يميننا ووادي المشرف، وهو استمرار لكفاف، على مسافة الميل الواحد على يسارنا، ماراً ببيروز منعزل لصخور جرانيتية تسمى دقم. استدار مجرى المشرف وأصبح أمامنا، ووصلنا خلال عشرين دقيقة إلى جانبه الأيمن حيث توقفنا، بينما بحث مرشدانا عن الطريق داخل الغابة والذي كانت السيول الأخيرة قد أزالته. يتصل المشرف مع وادي جازان فوق ممر فقح صقبان، التي يجري مجراها الرملي العريض بين مروج الحلفاء التي تحفها الغابة على الجانبين. يتعرج كل من الغابة وطريق السيارات صاعدين سفحاً لطيفاً لسلسلة حدج وصقبان إلى حيث ممر فتوة. تقع الوغرة أو الينابيع الحارة لمشرف، على بعد ميلين مع اتجاه أسفل الوادي على الجانب الأيمن، والتي توجهنا إليها بالتجول سيراً على الأقدام، تاركين الشاحنة لتعبر المجرى حينما يجد الرجال الطريق وأن ينتظرونا على السفح. تباعد النبعان اللذان يكونان المنتجع المائي المعدني الذي يؤمه الناس على مسافة (٣٠٠) ياردة عن بعضهما البعض فوق مساحة تكسوها نبات الحلفاء وبعض أشجار العدن الجيدة النمو والكثير من أجسام الغابة الخفيفة. يفور الماء على شكل فقاقيع، كأنها مرجل فوق مساحات من طين أسود لزج ينتشر حول المركز في بريكات مزعجة وتحوطها ترسبات الملح. كانت المياه شديدة السخونة في المركز ولم يكن معي مقياس الحرارة حينها لقياس حرارتها، والتي لا بد أن تكون أعلى كثيراً من حرارة مياه ينابيع ضمد، لأنه من المستحيل أن يضع المرء يده داخلها لأكثر من ثوانٍ معدودة. كانت المياه مالحة إلى درجة شديدة ويستخدمها الزوار فقط للغسيل والاستحمام، وليس للشرب.

عبرنا المجرى ثم اخترقنا الغابة لنصل إلى الطريق، حيث جلسنا في انتظار الشاحنة التي علقت في الرمال بعد أن وجدت الطريق. لقد استغرق انتظارنا مدة ساعتين، غير أننا قد استفدنا من هذا الوقت. وحينما وصلتنا الشاحنة استغرق وصولنا إلى عمر فتوة خمس دقائق فقط وهو على ارتفاع (٧٥٠) قدماً فوق سطح البحر. تكوَّنت الغابة هنا من أشجار البشام والطلح، وهي قزمية وبائسة، وقد تعلَّم الطريق خلالها بأكوام من حجارة، واكتشفنا بعد مسافة أن الطريق قد تم سدّه من الجانب إلى الآخر بجذع شجرة كبيرة وثلاث كتلات من الصخر بواسطة البدو على سبيل الدعابة. اقتربنا تدريجياً من مسيل يحرا، الذي ينحدر من سفوح حدج على يسارنا، وتوقفنا لأداء صلاة الظهر في وادي أمعين وهو استمرار لمسيل يحرا، بالقرب من مسطح مائي كبير في بطنه. يخترق هذا المسيل أرضاً بركانية من سلاسل وفوهات إلى الغرب من سلسلة حدج وصقبان، وكان السفر فوقها صعباً إلى درجة بعيدة، ونحن نسير على حافة قاعدة الحمم. كانت الفوهتان الرئيستان الهرميتان هما القرعة الشامية والقرعة اليمانية^(١) ويرتفعان حوالي (١٥٠ - ٢٠٠) قدم فوق السهل. مررنا إلى جنوب القرعة اليمانية فوق طريق نظيف جزئياً في حقلها البركاني، وعبرنا إلى الجانب الأيمن لأمعين الذي يدور هنا ناحية الجنوب ليتصل مع وادي أملاح وهو في طريقه إلى البحر عند مضية.

واصلنا سيرنا خلال غابة البشام الكثيفة متجهين إلى السهل الحقيقي، الذي بدأ لنا من هذه الأرض المرتفعة أنه مستو ويكسوه غطاء لطيف أخضر. وصلنا بعد نصف ساعة لأولى القرى على الطريق عند حافة الحرة (أرض بركانية). كانت هذه

(١) القرعة الشامية والقرعة اليمانية تنطق أيضاً محلياً (أمقرعة الشامية وأمقرعة اليمانية). (ابن جريس).

هي قرية راح^(١)، قرية صغيرة من (٣٠ - ٤٠) عشة من الأعواد، تسكنها مستعمرة من آل أبو عريش وقد بدأت مدينتهم الأم ظاهرة للعيان من هنا ناحية الغرب. تقع قرية راح على ارتفاع (٤٠٠) قدم فوق مستوى البحر، وتمتد في السهل الذي يفصلها عن أبو عريش بالعديد من القرى التي تماثلها في وسط أرض واسعة لزراعة الدخن. لقد تمكنت من حصر سبع من هذه القرى باسمائها، وتعد هذه القرى مجرد ضواحي للمدينة العظيمة وتتجمع كلها تحت اسم عريشية^(٢). برز زوج من توأم بركاني إلى البعيد ناحية الجنوب ويسمى قمتين. ويبدو أن هذين إلى جانب مخروطي القرعة والعكوتين على حافة رف تهامة الداخلي تمثل خطأ لاضطرابات بركانية حديثة. وتوحي الينابيع الساخنة في المشرف بنشاط كامن تحت السطح.

نحن الآن على مقربة من أبي عريش وأن الأهالي الزراع المحليين لديهم إحساس ضيق باحترام أشياء مثل الطرق، ولا مانع لديهم من سد الطرق أو الحفر عبرها في خدمة الزراعة. لم تكن متاعبنا محدودة ونحن نشق طريقنا عبر الحقول، ولتيم تنويع كل هذا، فقد انقلبت الشاحنة فوق مسطبة ضيقة على بعد خمس دقائق من المدينة. كانت صدمة سقوطه غير المتعمد قد عطلت نظام استهلاك البنزين في الشاحنة خارج إطار العمل، وكان علينا أن نتظر حتى تتم صيانته قبل الدخول إلى مدينة الأشرف. كانت الشمس قد غربت تماماً حينما تحركنا بالشاحنة مروراً بجوار المسجد الكبير لنمر من خلال صفوف العشش التي تشبه خلايا النحل

(١) قرية راح: تسمى أيضاً (قرية راح الحجاجية) والحجاجية اسم عشيرة من بلاد المسارحة. (ابن جريس).

(٢) عريشية: يطلق عليها محلياً أيضاً اسم (قرى أمعراشية). (ابن جريس).

إلى حيث المكاتب الحكومية التي تم حجز مكان لنا أمامها لإقامة معسكرنا. كان الضغط علينا شديداً أن نقبل الضيافة داخل بناء واسع تم تنظيفه وكنسه وتلميعه لاستقبالنا. رفضت هذه المداهنات، وذلك لأنه سيكون من الواضح أن النوم أسفل النجوم أفضل في ليالي تهامة اللطيفة. وأحاط بنا حشد كبير، مئات الرجال والنساء والأطفال من داخل المدينة، وبرغم الظلام فقد استقروا حولنا يلحظون تحركاتنا باهتمام شديد. اعتذر لنا الأمير لعدم استطاعته مقابلتنا في الطريق، واعترف بأنه كان منزعجاً جداً حين علم بأنه لم يكن في استقبالنا حرس شرف ليحيينا حين قدومنا، ولا حتى فريق شرطة يراقب مرورنا من خلال العشش الكثيفة التي تشبه خلية النحل التي تكون معظم المدينة. تصافى الأمر بيننا وبينه سريعاً واحتفت بالأمير ورفاقه، دون ذكر الحشد الكبير، بالاستماع إلى الراديو، للأخبار والموسيقى بينما كانت المطابخ تعمل بنشاط لإعداد وجبه عشائنا. جلسنا بعد ذلك نتحدث ومدة طويلة حول أبو عريش حتى الساعة الثانية صباحاً، ثم عمدت إلى فراشي لأنام بعد أن سجلت ملاحظاتي حول النجوم واعتقد أنني أول أوروبي يضع قدمه في هذه المدينة.

ترتفع أبو عريش إلى (٢٥٠) قدماً فوق سطح البحر^(١)، وقد كانت لها أيامها الأفضل في الماضي، وحكماً بحقولها الواسعة المدمرة، فلا بد أنها قد غطت مساحة أكبر كثيراً مما هي عليه حين زيارتي لها. أعتقد في تقديري أن طول المدينة يصل إلى ميل واحد، في اتجاه شمال الشمال الغربي إلى جنوب الجنوب الشرقي، وكذلك عرضها في أوسع مواقعها ويشبه انتشارها الطائرة الورقية. كان جانباً من

(١) لمزيد من التوضيح عن تاريخ وجغرافية أبو عريش، انظر: محمد العقيلي، تاريخ الخلاف السليمانى، ج١، ص ٤٤٧ وما بعدها، عبدالرحمن الشريف، المرجع السابق، ج٢، ص ١٧٠. (ابن جريس).

هذه المساحة تمثله الأطلال، غير أن معظم الأطلال تقع خارجها على كل الجوانب وكلها مهجورة تماماً. يقدر عدد سكان المدينة رسمياً بحوالي (٣٠٠٠) رجل بالغ، وهذا يعادل عدداً إجمالياً يقدر بـ (١٢٠٠٠) نسمة معظمهم يقطن في عشش من أعواد الشجر، ذات شكل خلية النحل أو غيره من الأنماط. ومن حولها فناء من سور من أعواد الشجر (عريش، جمع عرايش)^(١). كان أربعة أخماس المساكن من هذا الطراز، وكانت البقية مبنية ذات واجهة من الجبس في نقش جميل جذاب. لاحظت هذه الظاهرة في صيبا أيضاً!.

كانت كل المساجد من بناء معظمه من البازلت، وقد وُضِعَ في بلكات خشنة دون أسمنت وفي طبقات متبادلة من لونين أحدهما شاحب والآخر داكن، بأسلوب جذاب. كانت بها ثلاث أو أربع قبب فوق الأعمدة، كان للمسجد الذي دخلنا المدينة من جانبه قبتان لهما أبعاد كبيرة، إلا أنه لم يكن المسجد الرئيس. كانت الفخامة تعود للمسجد الجامع الذي تم بناؤه في القرن الحادي عشر الهجري (الذي يوافق القرن السابع عشر الميلادي) وقد بناه الإمام منصور بن عماد الدين، وهو سلف الإمام يحيى إمام اليمن. كان هنالك مسجد ثالث مهم هو مسجد الأشرف، يقف في المدخل الغربي للمدينة في وسط حقول واسعة مدمرة ولا يزال تؤدي فيه الصلوات. كانت صلاية هذا المسجد أيضاً سمة بارزة له. كانت جدرانه الخارجية ضخمة، وكان فناءه المكشوف للسماء، ذا أبعاد أصغر، وكانت أرضيته ملمعة وهي من الجبس والأسمنت. تمتد على جانبه الشمالي أعمدة منخفضة من ثلاثة صفوف سميقة مبنية من طوب مجفف مكونة ست مسافات، وتحمل فوقها

(١) للمزيد عن طريقة بناء العشش في منطقة جازان وما حولها، انظر: غيثان بن جريس. عسير (١١٠٠) -

(١٨) قبة تقف فوق أقواس شبه معلقة. تقع بجوار هذا المسجد قلعة الأشرف القديمة وتسمى دوجاني، مدمرة تماماً مثلها مثل كل القلاع الصغيرة التابعة للفترة الزمنية نفسها، فهي عبارة عن أكوام من حجارة. يوحي انتشار الركام والحجارة المنتشرة في هذا الموقع وفي مواقع أخرى بفكرة تدل على اتساع المدينة أيام أوجها، وقد قيل إنه كان بها ما يقدر بمئة وستة مساجد ومئة وستة آبار، والتي بقي منها (٣٠) و (٢٥) بالتوالي، بلغ عمق الآبار في المتوسط سبع عشرة قامة في أبو عريش والقرى المجاورة.

تم تدمير معظم المدينة وتم حرقها، وكانت هنالك محاولات لإعادة البناء، بدأت في ببطء وتوقفت تماماً هذه الأيام. استولت الحكومة على قلعة الأشرف القديمة التي صمدت أمام الحرائق لتجعل منها مقر الرئاسة. لقد تم تطويرها لكي تستخدم بواسطة الموظفين والشرطة وكانت بناءً مهيباً بحصون زواياها. كان معظم أهل أبو عريش مزارعين، يقومون بزراعة الدخن والسمسم في الحوض الواسع الكبير الذي يقع بين وادي جازان ووادي الأملح ويبعد كل منهما حوالي ميلين من المدينة. كانت صناعة الناس الوحيدة هنا هي إنتاج الزيت، والذي توجد لإنتاجه العديد من المعاصر ذات الطراز البدائي، تديرها جمال معصوبة الأعين. يسمى الدهن الذي يستخلص من السمسم في الأسواق باسم سليط^(١). كان التجار الرئيسيون في أبو عريش من أصل حضرمي كما كان البهكليون في جازان.

كان العمدة المحلي، أو شيخ البلد، هو هادي سعيد، وهو الرجل الرئيس لعنصر المسارحة الكبير في مجموعة السكان. كان رجلاً طاعناً في السن ولطيفاً

(١) مهنة عصر السمسم لا زالت من المهن التي تمارس في المنطقة الممتدة من القنفذة شمالاً حتى جازان جنوباً. (ابن جريس).

وله اتجاهات في الكرم والضيافة جذابة جداً، جاء بشخصه بمجرد وصولنا ويصعبه إناء ضخّم مملوء باللبن الرائب وحزم ضخمة من الموز. وجاء مرة أخرى عند الصباح ومعه سرب من الخدم يحملون أطباق الخبز والبيض والعسل وقحاف من اللبن الطازج واللبن الرائب، كان يبدو وكأنه يفتقر للحاسة الجغرافية تماماً، وكان جاهلاً بدرجة مدهشة للأسماء حتى أسماء القرى المجاورة، دعك عن العلامات الأرضية التي تبعد عنه. غير أنه عوّض عن كل هذا بمعلوماته الموسوعية عن تاريخ المدينة، والذي أوصى علينا بقراءة كتاب عنه بعنوان «نفع العود في تاريخ ابن سعود». الذي نشر في بداية القرن التاسع عشر (١٢١٨هـ) بواسطة الشيخ محمد ابن عبدالرحمن البهكلي، ولعله من أهل جازان^(١).

تنتمي كل هذه المقاطعة في الأصل إلى بني سفيان (التابعين للحجاز) والذين تم إبعادهم بواسطة آل حرث القحطانيين، وأبعد هؤلاء بدورهم، بواسطة المسارحة، الذين لا يزالون يحتلونها، ولربما جاء هؤلاء المسارحة من الشمال من حول المدينة. لم تظهر أبو عريش للوجود إلا في القرن الثالث عشر الميلادي (القرن السابع الهجري)، حينما كانت قحيفة، ذات الـ (٥٠٠) معصرة للزيت، على شواطئ وادي جازان، وحينها كانت هي عاصمة المقاطعة، حين احتلها الزيود اليمينيون الذي جعلوا من كل المناطق في تهامة بين وادي بيش في الشمال ووادي تعشر في الجنوب محافظة إدارية تحت اسم المخلاف السليمانى. هاجر إلى هذا الموقع، وقد شعر بالملل، الشيخ أبو شملة من علماء قحيفة، وأسس لنفسه

(١) الصحيح أن اسم هذا الكتاب هو (نفع العود في سيرة دولة الشريف حمود) من تأليف عبدالرحمن بن أحمد البهكلي، وفي آخره تكملة العلامة الشيخ الحسن بن أحمد عاكش، تحقيق محمد أحمد العقيلي من منشورات دارة الملك عبدالعزيز عام ١٤٠٢هـ (ابن جريس).

ولاسرته «عريشة» واحدة في هذه القفار، وبدأ يستقبل التلاميذ للدراسات الدينية على مذهب الإمام الشافعي على ما يعتقد والذي لا يميل إليه الزيود. ازدادت شهرة اسمه وجاء تلاميذه مع أسرهم واستقروا من حوله، وأصبح اسم القرية التي تكونت (أبو عريش). لا يزال يعيش هنا نسل المقيم الأول وقد أوضحوا لي موقع عريشته الأولى وتبعد حوالي (٣٠٠) ياردة من مبنى الحكومة. لقد نهضت أبو عريش كما نهضت صيبا في الأزمان الحديثة، لتكون مدينة عظيمة حول نواة عريشة العالم، وسقط كلاهما في هوة النسيان تحت ظلال الشريعة.

ظلت أبو عريش ومقاطعتها تحت سيطرة الزيود، دون حوادث أو تميز، لعدة قرون، ويعزى أهميتها إلى أحد حكام تلك الممالك في القرن السابع عشر، كمركز محافظة، ثم تجميلها بالمباني الضخمة، الدينية منها والعسكرية. يبدو أن تأثير الزيود قد انحسر خلال الجزء الأخير من القرن الثامن عشر وذلك حينما تحدى الأشراف الزيود - الذين استقروا هنا غير أنهم أصلاً قدموا من اليمن - وانتزعوا منهم الحكم. كان على رأس ثورة الأشراف الناجحة الشريف محمد بن أحمد آل خيرات، الذي نصب نفسه أميراً على المخلاف السليماني وعاصمته أبو عريش. وخلفه ابنه حمود^(١) الذي حكم في نهاية القرن وحارب السعوديين في أولى أيام القرن التاسع عشر تحت القيادة الذكية لسعود العظيم^(٢). خلف حمود عمه الشريف علي بن حيدر، الذي جاء بعده ابنه حسين، وجاء بعد حسين ابنه حسن

(١) حمود بن محمد بن أحمد الشريف من أسرة آل خيرات، كان تحت لواء آل سعود في دورها الأول ثم ما لبث أن انقلب عليهم، وهو المعني من كتاب عبدالرحمن البهكلي المسمى: (نفتح العود في سيرة دولة الشريف حمود). للمزيد انظر: محمد العقيلي. تاريخ المخلاف السليماني، ج١، ص ٤٤٧ وما بعدها. (ابن جريس).

(٢) يقصد بـ (سعود العظيم) أي الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود. (ابن جريس).

الذي انتقل منه الحكم إلى خاله الأول حسن بن محمد بن علي . احتفى معظم هؤلاء الحكام بذكرى فترة حكمهم بإضافة مبان ذات مغزى ديني أو دنيوي لعاصمتهم النامية .

جرى كل شيء على أحسن حال بالنسبة للبلاد وللحكم، حتى عهد حسن ابن حسين حينما وقع التمرد داخل البيت الأميري ورفع حسن بن محمد السلاح في وجه خاله . تدمرت خلال القتال إحدى القباب الثلاث التي تميز المسجد الزيدي الكبير، وسقط الأمير الحاكم في المعركة . اعتلى المعتصب العرش في ١٨٦٩م ليستمتع به لوقت قصير . كانت قناة السويس قد تم افتتاحها لحركة النقل، ومن خلالها جاء الأتراك في عام ١٨٧٢م لاحتلال عسير واليمن . استمر حكمهم حتى الحرب العظمى حينما سيطر الأدارسة بخروج الأتراك حتى خرجوا هم أنفسهم بدورهم بواسطة ابن سعود . انحدر في عام ١٨٧٠م محمد بن عايض، حاكم مرتفعات عسير من التلال للهجوم على المعتصب حسن بن محمد، وقد تدمر جزء كبير من العاصمة خلال العمليات، إلا أن حسن ثبت في موقعه وفشل الهجوم . استولى الأتراك على المدينة من الأشراف ويبدو أن الأتراك قد اختفوا بين طيات النسيان . ولم تقابلني أية آثار لهم بالتأكيد^(١) .

(١) لمزيد من الإيضاح عن تاريخ أبي عريش خلال العصر الحديث، انظر: العقيلي، المرجع السابق، ص ٤٤٧ وما بعدها، محمد بن عبدالله آل زلفه . تطور الأوضاع السياسية في جنوب غرب الجزيرة العربية: إمارة أبي عريش وعلاقتها بالدولة العثمانية ١٢٥٤ - ١٢٦٥هـ / ١٨٣٨ - ١٨٤٩ (دراسة وثائقية) (الرياض: مطابع الفرزدق، ١٤١٧هـ) ص ٢٩ وما بعدها، علي بن حسن علي الصميلي . العلاقة بين أمراء أبي عريش وأمراء عسير في القرن الثالث عشر الهجري (١٢١٧ - ١٢٦٧هـ / ١٨٠٢ - ١٨٤٧م) (الناشر ومكانه غير معروفين، ١٤١٩هـ) ص ٦٧ وما بعدها . (ابن جريس).

هكذا كانت القصة الحزينة لـ (أبو عريش). غادرناها ظهر العاشر من يناير وتركناها خلفنا، منطلقين من مسجد الأشرف فوق حزام واسع لصحراء قاحلة تمتد شمالاً وجنوباً بين الواديين. تعطلت السيارة بسرعة وتأخرنا مدة ربع الساعة. ثم مررنا بعشش القويعية على اليمين وتوقفنا قليلاً لنفحص البئر الجميلة، بئر مروحة التي تقع بجوار الطريق، وعمقها سبع عشرة قامة. أحاط بفوهة البئر إطار من بلكات بازلتية لحمايتها من التلوث. كان أعلى البئر مربع الشكل، مبنياً من طوب نحيل صغير، بينما أسفل الفوهة كان الصهريج مستديراً، وكانت جدرانه مغطاة بالأسمنت. تعطلنا مرة أخرى بسبب خلل في السيارة مدة نصف الساعة ونحن نقرب من قرية مخاضرة^(١) -يسمى بحرة أيضاً-، في حوض حقولها في وسط غابة على جانبي أحد فروع مجرى جازان. كانت البلاد على الجانب القريب عارية، مسطحة، ورملية، قفر به شجيرات خفيضة قليلة جرى من خلالها الطريق.

كنا نقرب من قرية الخشابية الكبيرة وبعد مرورنا بقرية عسيلة الصغيرة على يسارنا، حينما نفذ البنزين وتعطل السير. لا يمكننا مواصلة السفر بلا بنزين، وكان علينا إرسال رسول إلى القرية لاستئجار حمار نصل به إلى جازان. ولكي أعوض سهري لوقت متأخر من الليل في (أبو عريش)، فقد عمدت إلى إغفاء في الصحراء العارية صحوت منها عند الساعة الثالثة والنصف بوصول قافلة من الحمير. لم تكن هنالك حدود لكرم ساكني قرى هذا السهل. استجابوا بعفوية

(١) مخاضرة: ليس اسم قرية، وإنما هي صفة تطلق على مجموعة من الناس يخرجون من قراهم الأساسية إلى قرى أخرى بها بعض المحاصيل الزراعية فيعملون مع أصحابها مقابل الحصول على بعض الأجور من ناتج المحاصيل. (ابن جريس).

وقد أخافتهم فكرة قضائنا الليلة في الصحراء، وبمجرد أن علم سكان الخشائية بأحوالنا من رسولنا، حتى قاموا بجمع حميرهم من المراعي وأرسلوها لنا لإحضارنا إلى القرية لقضاء الليلة. قررت ألا أغانر السيارة، مع شكري لدعوتهم هذه، وذهبت الحمير لتعود لنا بالماء والطعام. تمكنا الآن من قضاء الليلة، وتناولنا غداءً ممتازاً من سخاء القرية، متضمناً شاة وخبز الدخن. هبَّ نسيم جنوبي غربي وحمل الرمال بصورة غير مريحة في وقت متأخر من الظهر، غير أن الليلة كانت لا تزال باردة وهادئة، وكان الإحساس مثيراً أن ينام المرء مرة ثانية فوق رمال حقيقية. قام على العناية بنا وفد قروي كبير، ومعهم المؤن واقترحوا بكل الجدية أن تدفع الشاحنة بالأيدي إلى حيث الحماية لها داخل عششهم، كانوا جمهوراً لطيفاً، جذاباً، ارتدى الكبار منهم الطربوش الناعم النسيج الذي جلب من مكة ومدن تهامة فوق رؤوس مقصوصة الشعر، أما الشباب من الرجال فقد كانوا كاشفي الرؤوس، وبدت شعورهم المجدعة كثيفة الدهن^(١).

كنت نائماً حينما وصلت إمدادات البنزين على ظهور الحمير عند الساعة الرابعة صباحاً. كان هذا عرضاً مثيراً للدهشة للكفاءة من كل الأبعاد. لم تكن بداية رحلتنا مبكرة وذلك لأن الشاحنة تحتاج إلى صيانات أخرى. قمنا بإزالة كل الشمعات وغمرناها في البنزين ثم أشعلناها للتسخين، تناولنا خلال هذا الوقت طعام الإفطار تحت ستار من نسور، كانت تنتظر انصرافنا لتلتقط العظام العارية المتبقية من وجبة مساء أمس. واصلنا سفرنا خلال سحابة من دخان أسود

(١) إن الحياة الاجتماعية، وبخاصة العادات والتقاليد، ونمط العمران، واللباس والزينة، والطعام والشراب في منطقة جازان جذيرة بالدراسة العلمية الأكاديمية الجادة. ونحن نعول على المؤرخين والمتخصصين في العلوم الاجتماعية أن ينجزوا مثل هذه الدراسات العلمية القيمة. (ابن جريس).

ووصلنا القرية خلال خمس دقائق، لتتقدم بالشكر لمضيفينا ولنوزع عليهم بسخاء مقابل كل ما نلناه منهم.

نستطيع من هذا الموقع رؤية القلعة^(١) على رأس تل جازان. بينما حصرت وسجلت ما يصل عدده. إلى الدرزن (الدستة) من القرى كلها داخل نصف قطر طوله ميلين لهذه المستوطنة الرئيسة. كانت كلها تنتمي إلى قبيلة المسارحة^(٢) إلا أنه يوجد فيها عنصر أفريقي يعد داخل الكثافة السكانية. امتدت مساحات شاسعة للدخن من حولنا فيما يلي الحاجز الرملي الذي كنا قد تركناه من ورائنا، ولم يكن هنالك خيار آخر للشاحنة غير أن تشق طريقها داخل الحقول والنباتات الواقفة التي حجبت الطريق تماماً.

لا يمكن مقاومة المصاطب من الأمام، غير أن السائق مدرك للحيلة التي تجعله يدخل إلى المصاطب على نحو مائل دون تخفيف السرعة للدرجة التي تعرضنا خلالها لأكثر من مرة لخطر الانقلاب. أدت إحدى المصاطب إلى تعطلنا، غير أننا تمكنا من مواصلة السير عبرها، وسرعان ما وصلنا إلى قرية وسيلي وقد أحاطت بها توابع عديدة في حوض حفرتة السيول، ويمسك في بعض أجزائه ببرك مملوءة بالمياه. كنا الآن على ارتفاع (١٠٠) قدم فوق سطح البحر. وكانت المحاصيل وافرة كعادتها، متضمنة نسبة معقولة من الدخن الصغير. كان مسجد وسيلي جميلاً يقع بين عشش من القش وكانت نسبة سكانها من الأطفال هائلة وقد

(١) هذه القلعة معروفة عند أهل جازان بـ (قلعة الدوسرية)، نسبة إلى قائد جيش جاء إلى جازان عام (١٣٧٥هـ) وسمى (محمد الدسوقي الدوسري). (ابن جريس).

(٢) لمزيد من الإيضاح عن بلاد المسارحة، أو أحد المسارحة، انظر: عبدالرحمن الشريف. المرجع السابق، ج٢، ص ١٦٩. (ابن جريس).

خرجوا ليشاهدونا ونحن نعبر، ويحيوننا دون انتباه بأن سيارتنا -التي تنطلق بصورة جنونية لتحاشي المطبات- هي مصدر خطر حقيقي. كان كل الصبية عراة، وارتدت الفتيات -وهن في نفس الكثافة العددية- خرقاً حول خصورهن. كانت طيور بلشون البقر بوفرة داخل المحاصيل وقد أثارها ضجيج مرورنا فطارت لفترة في سرب ضخمة.

خرجنا بعد مسافة ميل واحد فيما يلي هذه المجموعة من المناطق المأهولة من منطقة الزراعة، ودخلنا صحراء ذات شجيرات خفيفة، متموجة الرمال، تتخللها أشجار الأراك إلى جانب المتاريس ونبات العلقاء، وهو عشب فاقع الخضرة وأزهاره صغيرة صفراء. وصلنا فيما يلي هذه إلى قرية عجيبية الصغيرة وبثرتها التي يبلغ عمقها ست قامات ذي الصهريج الدائري المبني بالأسمت وقد اشتركت في زراعة أرض متقطعة مع قرية بخشة على بعد. كانت القفار التي تعوي هي التالية، وقد تكسرت بلا نظام بالعديد من التلال الرملية التي تكسو قممها الأجمات ونبات السواد الداكن الخضرة في مجموعات كبيرة في الأرض المنخفضة. كانت قيادة السيارة هنا مرعبة ونحن نمضي إلى الأمام وندور لتحاشي كتل النبات وقد أطلق راديتور السيارة الذي يغلي سحابة من البخار. توقفنا مرة لتجديد مياه المكيئة، وتوقفنا مرة أخرى، لانغرازا في الرمل. لا نستطيع زحزحة السيارة، فذهبت سيراً على الأقدام ناحية مبانٍ ليست بالبعيدة على أمل أن أدبر نجدة بالحمير توصلنا إلى جازان.

وصلت إلى المكيئة وقد اكتسبت اسمها هذا من مضخة معطلة وبيت المكيئة تابع للنظام التركي بجوار البئر الذي غمرته الرمال. كانت الفكرة أصلاً هي أن يضخ الماء من هنا إلى جازان لتوفير العمل الضخم الذي يتطلبه نقل الماء بواسطة الجمال والحمير، إلا أن المشروع فشل لسبب ما، أكثره احتمالاً أن المضخة قد

أنضحت البئر حتى جفّ، وتم ترك المكينة لتواجه مصيرها. رفعنا أعيننا، ونحن جالسين نتوقع أن نسير على الأقدام إلى جازان. ورأينا ثلاث سيارات قادمة من ذلك الاتجاه اتضح أنها تتبع مجموعة عبدالله بن الوزير^(١) حاكم الحديدة وتهامة اليمن، الذي كما كنت قد سمعت في العارضة وأبو عريش أنه سيقوم بزيارة نظيره في جازان ليقنع نفسه وحكومته بأن السلطات السعودية تنفذ اتفاقية ١٩٣٤م متوقفاً أن كل القلاع التي تقع داخل مسافة (٥) كيلومترات من الحدود على الجانبين قد تم نزع السلاح منها. رأيته آخر مرة في الطائف في صيف عام ١٩٣٤م حينما كان ممثلاً لحكومة اليمن لمحادثات السلام التي نتجت عن حرب الأسابيع الستة. كان على علم -بلا شك- بنشاطاتي فيما يخص رحلتي لكل من شبوة ونجران ومسح الحدود. كان لدينا الكثير لنناقشه خلال الأيام المقبلة في جازان.

تبادلنا في هذه الأثناء التحايا الودية وصرح لي بأني قد كبرت كثيراً منذ آخر مرة رأيته فيها. ربما عزاءً منه بلا وعي لنوعية الحياة التي كنت أعيشها خلال الثماني أشهر الماضية. يرفرف العلم اليمني الأحمر فوق سيارته الجميلة فورد سيدان ذات الثمانية قطع سلندر وعلى غطاها السيف وخمس نجوم، كما عرض عليّ في كرم شديد أن استخدم إحدى الشاحنات لنقل شخصي وفرقتي والعفش، كلنا، إلى داخل جازان. قبلت العرض، وتركته ليقوم بحملته التفتيشية، وانطلقنا تجاه الوطن.

(١) قاد تمرداً عام (١٩٤٨م)، بعد خدمة سنوات طويلة واحترام للإمام يحيى، ضد سيده الذي اغتيل بصورة بشعة. نصب عبدالله نفسه ملكاً على اليمن، غير أنه لم يجد إلا القليل من الدعم من شعبه. سحق ولي العهد سيف الإسلام أحمد المؤامرة وألقى القبض على عبدالله بن الوزير ومعاونيه الرئيسيين وتم شنقهم جميعاً. (المؤلف).

لاحظت جمال جازان وهي قادمة متجهة إلى الآبار، أثناء سيرتي، عابرة الدلتا الملحية الواسعة، جاهدة أنفسها خلال السراب الذي انعكست صورتها مقلوبة فيه. لم يمض كثير وقت حتى مررنا بها لندخل مرة أخرى البوابات الكريمة لمنطقة ابن ماضي^(١). صرفت معظم أوقات اليوم، باستثناء تناول غداء متأخر في مقر سكني القديم وعشاء مع الأمير في المساء، في قراءة بريد الوطن الضخم. كان بريداً متأخراً، أرسل لي من جدة في الثالث من سبتمبر، لأستلمه في نجران، وأعيد إرساله من هناك ليعاد لي مرة أخرى هنا، بواسطة السيارة التي سأستقلها في وقت لاحق للسفر إلى جدة ومكة. انكسر المحور الخلفي للسيارة -للأسف- وكانت قليلة المنفعة لي، غير أن هذا كان في هذه اللحظة، من هموم المستقبل. يرجع تاريخ بريدي إلى شهري يوليو وأغسطس المنصرمين. ثمانون رسالة من أفراد أسرتي فقط، غير أنني حينما فرغت من قراءتها أصبحت على علم بأخبار الأسرة حتى منتصف نوفمبر.

استغرقت هذه الرحلة من المرتفعات إلى جازان (٢٣) يوماً، ورحال الزمن تمضي سريعاً، إذ كان عليّ أن أعود إلى مكة للحج. بقي لدي الكثير لأفعله قبل أن أبدأ رحلة العودة، ولا أستطيع إضاعة الوقت في جازان. كان لدى ابن ماضي توجيهات من الرياض بلا شك لتحاشي أي تأخير في إكمال عملي، وهو ليس بالرجل الذي يترك الأعشاب تنمو تحت قدميه. تعرض في ذلك المساء الذي وصلت فيه إلى موضوع مغادرتي، وأخبرته بأنني مستعد للبداية مرة أخرى بمجرد أن يعد لي الترتيبات الضرورية. كنت في هذه الأثناء مشغولاً بالرسائل وإعداد كل شيء للبريد الصادر.

(١) لمنطقة ابن ماضي: - يقصد بذلك (ابن ماضي) أمير منطقة جازان آنذاك. (ابن جريس).

أوضحت رغبتني في رؤية عبدالله بن الوزير الذي زرته ثلاث مرات لحديث طويل خلال الثلاثة أيام لإقامتي المؤقتة في جازان. كان أسلوب تعامله ودوداً وخفيفاً كالنسيم، يفكر ويتكلم بما يشبه القفز، ولم يكن لديه الرغبة لمناقشة أي موضوع ليصل لنهاية له. لا يزال يؤكد بأن شبوة جزء من اليمن، ومعلناً أن الأطلال التي كنت قد رأيتها عند بئر حمد كانت بقايا مدينة أسسها يمني اسمه أحمد بن حسن بن قاسم في القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي). كانت المتاعب الحقيقية أنه ليس للأهالي في شبوة أو المناطق المحيطة بها، أية رغبة أن يكونوا تحت حكم الزيود. كان بالطبع مهتماً جداً بنتائج رحلتي، إلا أنه تشكك في إدعائي بأنني زرت مأرب. لم أدخل بالطبع القرية -سيكون ذلك من المستحيل تحت الظروف السائدة- غير أنني قد رأيتها وبوضوح من إحدى الربوات المجاورة وسجلت كل التفاصيل بدقة كافية لوضعها في خريطة أفضل من المتوافرة الآن^(١). كان هو نفسه في مأرب عام ١٩٣١م للقضاء على تمرد محلي، وهو على علم بالبلاد. كان على عبدالله بن الوزير أن يظل مدة أطول في جازان إلا أنه دعاني بحرارة لزيارة بلاده. أجبته بأنني يسرني ذلك إذا جاءتني الدعوة من الإمام، غير أن الدعوة لم تتحقق مطلقاً كما لم تحن الفرصة لمثل هذه الزيارة إطلاقاً. كنت مسروراً بعد عام أو عامين، أن أرسل نسخاً من كتابي إلى عبدالله وسيد الملك، الخاص بجولاتي على الأطراف الشرقية لبلادهم إلى جانب الخريطة التي نتجت عنها، وقد شكرني على هذا الأمير اليمني سيف الإسلام حسين بن يحيى، الذي حضر مؤتمر فلسطين في لندن في ربيع عام ١٩٣٩م ممثلاً لوالده.

(١) عالج فيليبي هذه الجوانب بشكل جيد في كتابه: بنات سبأ - رحلة في جنوب الجزيرة العربية. (الرياض: مطبوعات العبيكان، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م) ص ٢٨٥ وما بعدها. (ابن جريس).

كان الاستحمام في البحر في جازان ممتعاً كعهدي به، غير أن المد كان منخفضاً جداً في الصباح الباكر وما بعد الظهر، وهما الوقتان الملائمان للاستحمام. أخبرني ابن ماضي عند وصولي أن اثنين من الجيولوجيين التابعين لشركة النفط العراقية قد قضيا الليلة الماضية هنا، وغادرا في الصباح عن طريق المركب الميكاني الحكومي إلى جزر فرسان^(١). توقفت الموجة المتوسطة في الراديو من قبل يوم أو يومين وقد سلمت الجهاز إلى رجل اللاسلكي في جازان، عبدالله قاضي، على أمل أن يقوم بعمل شيء تجاهه. لم يستطع إصلاحه. وقد أستطيع الحصول على إشارات التوقيت وعلى الأخبار باستخدام الموجة الطويلة، على الرغم من أن هذه ليست مقنعة، وحتى هذه توقفت بعد قليل. أصبحت بكل الأبعاد بلا راديو، وليست لدي إشارات توقيت زمنية مع أهميتها لي، ودام ذلك طيلة الشهر الأخير من جولاتي.

كانت معجزة أن يظل جهاز الراديو يخدمني طيلة الثمانية أشهر التي غطاها أصعب ترحال دون أي مراجعة له غير تلك التي قام بها اليهودي في نجران، والذي كان علاجه لمزواتي قد أمكنني أن استفيد من الراديو لأكثر من شهر كامل. لم يجد الراديو أي عناية إطلاقاً حتى ذهبت الموجة المتوسطة.

لاحظت ثلاثة من شيوخ فيفاء الثانويين وهم جلوس على الحصير، وذلك أثناء حضوري مجلس الحاكم الصباحي لهذا اليوم. لقد أمضوا الليلة في السجن

(١) للمزيد عن جزر فرسان، انظر: إبراهيم ففتاح. فرسان بين الجيولوجيا والتاريخ، ص ٥٣ وما بعدها. (ابن جريس).

المحلي، وقد أطلق سراحهم، شريطة حضورهم في الوقت المحدد لمقابلة أمير فيفاء وذلك فيما يتعلق بجريمة القتل التي تورطت فيها بعض أقسام قبائلهم. كان عليهم أن يدفعوا الدية ومقدارها (٥٠٠) ريالٍ وغرامة إضافية (نكال)^(١) بنفس المبلغ إذا لم يتمكنوا من تسديد الدية خلال الموعد المحدد لذلك.

تناولت طعام الغداء مع مدير الشرطة ووجدت عنده موظف الدخل الحكومي عبدالعزيز جميل، وبذلك تمكنت من مناقشة وترتيب احتياجاتي المالية. لقد نفذت النقود بالفعل خلال هذه الرحلة الأخيرة، في اليوم الذي يسبق وصولنا إلى العارضة. وقد اضطررنا إلى إسقاط اللحم من وجبة العشاء لتلك الليلة. أعدنا لنا عبدالعزيز جميل في اليوم الثالث (١٤ يناير) وجبة غداء لوداعنا وقد شارك فيها شقيق الأمير، مشاري بن ماضي، الذي ودعنا على جانب الرصيف لبداية المرحلة التالية من رحلتنا إلى الجنوب هذه المرة وعلى ظهر الشاحنة، والتي فحصها بعناية بعد مغامراتها الأخيرة. تجمع حشد كبير للمناسبة، وكان لدى معظمهم العديد من الأسباب للسفر إلى المضاي أو غيرها في الجنوب كان علينا أن نتجاهل توسلاتهم لنقله الطريق، كانت الشاحنة بالكاد تكفي لنقلنا وعفشنا.

استدرنا حول الجانب الداخلي للعرن أثناء قيادتنا عبر البلدة خارجين منها عن طريق عرن متلع كنا نسير في سرعة فوق الدلتا الطينية المسطحة المتينة، أسفل قلعة

(١) النكال: هو نوع من العقوبة المادية تفرضها القبيلة على أفرادها الذين يرتكبون بعض الجرائم أو الأخطاء المعينة. وهذه العادة تمارس منذ القدم، ومعظم القبائل في الجزيرة العربية تمارسها، وتدون بينها بعض العهود توضح طريقة الاتفاق على تلك الموائيق، ثم العقوبات التي تطبق على من يتجاوز ما تم الاتفاق عليه. وللأسف من الاطلاع على هذا النوع من العقوبات وتلك العهود، انظر العديد من النماذج في كتابنا: - صفحات من تاريخ عسير (الجزءان الأول والثاني) (الرياض: مطابع العبيكان، ١٤٢٥هـ /

العشيما فوق عرن تل جازان على ارتفاع (١٠٠) قدم من فوقنا. كنا نبحث في الطريق عن البديل لمصرف عميق توجد به السدود على الجانبين، أقامها الأدارسة منفذاً يحصر البحر بعيداً عن جازان نفسها حينما تغمر مسطح السبخة الماء بالمد العالي في مواسم السنة المختلفة.

انطلقنا بنشاط فيما يلي هذا المانع فوق أرض منخفضة رملية من كشبان تكسوها شجيرات خفيضة، تمتد إلى مسافة إلى الداخل من ساحل البحر، الذي كان يحفه شريط واسع من مستنقع المانجروف. أصبح المنظر كثيباً ونحن نتقدم بسرعة (٢٠) ميلاً في الساعة، وتخلي ما كان يوجد من غطاء نباتي من الموقع لأمواج الرمال تتدرج إلى البعيد ناحية البحر. تسمى هذه الأرض الرملية مغائر وقد تكسرت حافاتهما المواجهة لمستنقعات المانجروف (شورة) بالعديد من التشرخات لأسطح طينية عارية تكون أحياناً مبتلة جداً. لم تواجهنا مشاكل فوق هذه الرمال، إلا في موقع واحد، وبعد ساعة من مغادرتنا لجازان وصلنا إلى قرية المضايا الكبيرة الشبيهة بخلية النحل^(١)، والتي يوجد بها زوج من الأبنية الحجرية، وقلعة متوسطة الحجم، وسمات أخرى، لم نتوقف لفحصها في هذه المناسبة وذلك لأننا كنا نرغب في الوصول إلى منطقة الحدود قبل غروب الشمس. جذبت وقفنا القصيرة هناك لتجديد مياه الشاحنة حشداً ضخماً من القرويين، خاصة الأطفال، والتفوا من حولنا، ووجدنا صعوبة شديدة في التخلص منهم حينما رغبتنا في مواصلة الرحلة. جرى حشد الأطفال وهم يقفزون من جانب إلى آخر من ورائنا ونحن

(١) للمزيد عن قرية المضايا وما حولها من البلدان، انظر: عبدالرحمن الشريف. المرجع السابق، ج٢،

نطوف القرية فوق حفر خطرة، وسرعان ما تركناهم كلهم من ورائنا وانطلقنا فوق الصحراء الرملية التي تطعم هنا وهناك بأشجار الأراك واقفة فوق قمم الكثبان.

نقف الآن في منطقة الدلتا في مصرف أمّ ملح الذي انتشر على مراحل فوق الرمال وعبر مسارنا مع بروزات كالأصابع عريضة ومسطحة من الطين ممتدة إلى البحر. كان بعضها متيناً لقيادة السيارة من فوقه وذلك لوجود نبات خزامى البحر فوق سطحها، غير أن العارية منها كانت مبتلة وخطرة. كان أول متاعبنا هو توكلنا في مجاري آثار حركة سيارات سابقة غمرتها المياه. اقتربنا من الساحل للتخلص من هذه الموانع وكانت التلال الرملية على يسارنا فوق هضبة عالية وكانت مستنقعات المانجروف على يميننا. عبرنا سبخة وادي حمير، كما قيل لي إن هذا هو اسمه، فيه بعض الصعوبة ولكن بدون حوادث. غربت الشمس ونحن لا نزال نحاول السير ولا نزال بعيدين من محطة الوصول، وقد قررنا العمل لرخصة الحاجة والضرورة، بأن نعسكر لقضاء الليلة فوق مساحة لطيفة للكثبان الرملية، وقد جمعنا الكثير من أعواد الأشجار الخفيفة لإشعال النار، وجمعنا كذلك أجمل الرمل للنوم عليه. كنا نرى نيران معسكرات صيادي السمك طيلة الليل على حافة المانجروف، وكان مصدر قلقي الوحيد هو الراديو الذي فيما يبدو، قد رفض أن يعمل مطلقاً. استرخيت مع أَلغاز الكلمات المتقاطعة في جريدة التايمز ونمت عند الساعة الحادية عشرة ليلاً.

وصل إلى معسكرنا أثناء المساء أحد شيوخ قيس واسمه حسن بن سهل - من بني مروان - وقد أحضر معه أحد الأشخاص ويدعى أنه ملم بالكثير من المعلومات حول البلاد. لم يكن لدينا مرشدون في جازان وكان علينا أن نتحصل عليهم في الطريق، غير أنني قمت باستيعاب القادم الجديد، تحوطاً للحوادث، وقد

أفاد كثيراً بتعرفه بسرعة على الوادي الذي عبرنا قبل قليل بأنه الجزء الأسفل من وادي تعشر. خرجنا بذلك من حدود المخلاف السليمانى القديم. تجولت في الصباح بحثاً عن الطيور داخل وعلى امتداد المانجروف واستغربت أن أحد السطوح الطموية وقد تنقرت بأثار الغزلان. تذهب الغزلان في كل بلاد تهامة هذه وشمالاً حتى جدة إلى البحر للشرب. ربما ذهبت للملح أكثر منه للماء حيث لا توجد مواقع لعق محلية ترجع إليها عند الحاجة. لم يكن لدينا من الماء ما يكفي لطبخ العشاء ولذلك اكتفينا بشرب الشاي والقهوة وتناول الخبز والموز. تناولنا غداءنا في وقت متأخر في جازان ولم نكن في حاجة إلى وجبة ثقيلة. كان هنالك ندى خفيف أثناء الليل، يكفي لربط حبات الرمل. كانت هنالك كتل من الأعواد فوق السطح الطيني في صدر الشاطئ وبعض المواد الطافية التي جلبها المد، والذي تعلم أعلى مستوى له بشريط مستقيم من حطب طاف.

كان مستنقع المانجروف الذي كنت أخوض فيه إلى الركبة، مملوءاً بطيور الكروان، والزقزاق الكنتشي وطيور سواحل أخرى، وطائر هرار يبحث عن فريسته. كانت طيور الحدأة والغداف متوافرة بأعداد كبيرة تحلق فوق الأماكن التي باشر فيها الصيادون تقطيع حصيلة صيدهم من الأسماك، مخلفين وراءهم الفضلات وبقايا أخرى. بنى الصيادون لأنفسهم عششاً مؤقتة أثناء قيامهم بهذه العملية من أعواد من أشجار المانجروف ومسقوفة بالأعشاب البحرية. تكون من حولهم عادة حلقة من الأجزاء المرفوضة من الحبار طويل الذيل وغيره من الأسماك. وجدت حين عودتي إلى المعسكر أن كلاً من سعد وفرج لم يحاولا تنظيف البنادق، والتي لم يهتم بها أحد لعدة أيام، وتأخرنا تبعاً لذلك حتى يتم هذا. كانت الساعة تشير إلى التاسعة والنصف حينما ركب الجميع الشاحنة

وتحركت بنا فوق السبخة على الشريط الساحلي، والتي كانت جيدة للسير، برغم أنها كانت رخوة في بعض الأجزاء. كان مستنقع المانجروف على يميننا عبارة عن غابة من أغصان جافة ذات اتجاهات غريبة بارزة من داخل الماء، بينما يمكن رؤية بعض قرى صيادي السمك إلى البعيد على اليسار.

ابتعدنا تدريجياً عن ساحل البحر وقد حجبنا عنا شريط من تلال رملية. واصلنا السير مسافة بلا حوادث حتى بدأت، فجأة وبدون مقدمات، الشاحنة وكأنها قد انفلقت إلى جزأين. اتضح أن الأمر أقل خطورة مما اعتقدنا، ذلك لأن الجزء الخلفي من الشاحنة الذي كان مربوطاً بالحبال، قد انفصل عن الجسم العام وسقط في الطريق. كان علينا جمع الأجزاء المختلفة وشحنها فوق الجسم الرئيس للشاحنة وواصلنا رحلتنا وقد فقدنا فقط عشر دقائق. واصلنا قيادة الشاحنة فوق المسطح الطيني إلى أن وصلنا إلى فم وادٍ ينحدر من كئبان رملية مرتفعة شيئاً ما وتكسوها نباتات الأراك، والقضب والعراد.

لا أحد يعرف اسم هذا الوادي وقد أصابني الاشمزاز من هذه الجولات التي لا يصحبنى فيها مرشد مما دفعني للإعلان بأنني سوف أتوقف هنا إلى أن نعرف اسم الوادي. لم يكن هناك أحد على مد البصر، وبعد ساعة تقريباً جاء رجل وهو شبه عارٍ ويمشي مجهداً ويحمل رمحاً ومحفظة من الجلد. كان في اتجاهه من وادي ضمد إلى ميدي وأخبرنا بأن هذا المجرى ليس بالوادي وإنما هو مجرد منخفض بين الرمال. يسمى هذا المنخفض وفتحات مماثلة إلى الأمام في الحاجز الرملي خبت المغشوش من مجموعة من الثقوب المائية التي سنصلها إذا تقدمنا قليلاً. كافأت الرجل دون شعور مني بمبلغ أدهشه وواصلنا سيرنا لنصل خلال خمس دقائق إلى الثقوب المائية التي تجمع حولها عدد كبير من الرعاة يسقون قطعانهم. كانوا من

قرية الموسّم وهي محطة وصولنا، والتي كانت على مرمى حجر إلى الخلف في الرمال.

كان لدينا الكثير من الوقت صرفنا بعضه مع هؤلاء الناس الذين كشفوا لنا عن بعض تعقيدات المسميات المحلية. يطلق اسم الموسم على المحافظة، ويطلق مراراً على قريتها الرئيسة، والتي يكون اسمها الحقيقي هو ظاهر الجمل^(١). لم يكن خبت المغشوش بأكثر من الاسم الذي يطلق على فم وادي حررض الذي ينحدر من التل وقرية بالاسم نفسه على الجانب اليميني من الحدود، بينما يطلق على الثقوب المائية أمعتم (معتم). علمنا أيضاً أن مختلف الأودية التي عبرنا بها إلى هذا الموقع، كانت تسمى الأملح عند المضايا، وخب الذي وصلنا إليه، وأخيراً تعشر، الذي قضينا فيه الليلة. ويبدو كل ساحل تهامة في هذه المنطقة وكأنه دلنا متصلة. تكون مياه هذا المكان مالحة ويقوم الرعاة بتعبئتها في قرب الجلود أو أحواض جلدية ويستخدم القرع وقد تم تقطيعه إلى نصفين كأكواب واسعة. ذكروا أنه توجد مياه أفضل على الجانب الجنوبي من الموسم، وواصلنا تقدمنا بعد أن قمت برصد كل هذه المعلومات، فوق أرض واسعة لحقول ذات حواجز فوق رمال متدحرجة، ووصلنا القرية خلال عشر دقائق.

تختلف قرية الموسم (أو ظاهر الجمل) عن غيرها من قرى تهامة التي رأيناها في أن مساكنها دائرية ومبنية من الطين إلى ارتفاع ستة أقدام، ومسقوفة بالوتل على هيئة خلية النحل. كانت تبدو متينة برغم أن العمل كان بدائياً. ينتمي سكان

(١) لمزيد من الإيضاح عن الموسم، الذي يقع في وادي حررض على الحدود بين السعودية واليمن، انظر:

عبدالرحمن الشريف. المرجع السابق، ج٢، ص١٦٧. (ابن جريس).

القرية والمقاطعة إلى قبيلة بني مروان ومن أربعة أقسام منها هي: عريبي وعواجي وازيبي وقيس. يرأس نقطة الشرطة إبراهيم بن حمد النفيسي، وهو خال لمدير جازان ومن مواليد حائل، دمث الأخلاق يتحدث بكثرة وميال للمساعدة ويسر. اتضح لي أنه لن يمكنني أن أتقدم في عملي إن لم أحصل على مرشدين أكفاء لهم إلمام حقيقي بالبلاد. كانت خطوتي الأولى هي الاستغناء عن خدمات فرج الذي رجوته في جازان أن يحضر لي مرشدين حقيقيين، ولم يفعل شيئاً، وكانت النتائج كما قد وصفت. لقد وجدت شاباً مناسباً عند الآبار إلا أنني رأيت أن أتطلع إلى رجال تسندهم السلطات. رفضت كل عروض الكرم والضيافة وأعلنت أنني سأرجع إلى جازان لأرسل تلغراف احتجاجاً إلى الملك^(١). حركهم هذا القول كما يفور النحل في خليته، وسرعان ما تقدم رجالان طاعنان في السن ومحترمان ومعهم الأوامر لمرافقتنا. لم أقبلهم دون اختبار لحسن الحظ، وكشف الاختبار أن كليهما كان أعمى لا يستطيع أي منهما رؤية ما هو أبعد من القرية، وقد اختلفا في عفوية حول تعريف العلامات الأرضية التي أشرت إليهما نحوها.

كان هذا فوق احتمالي وأنا أحتج حيال غياب الجدية من جانب مدير الشرطة والرؤساء المحليين، وعليه فقد أصدرت الأوامر لإعادة كل شيء إلى الشاحنة لرحلة فورية ثم غادرنا الموسم بعد ساعتين من دخولنا لها، وخلال عشر دقائق كنا عند آبار أعتم لنسحب بعض الماء لليلة. رأيت بلدة ميدي من الموسم وهي على

(١) أن مساندة الملك عبدالعزيز ودعمه لإنجاح رحلة فيليبي كان له الأثر الكبير في جميع المناطق التي زارها. ونلاحظ على جميع صفحات هذا الكتاب أن أمراء المناطق ومشائخها وأعيانها كانوا على أهبة الاستعداد في تقديم العون والمساعدة لفيلبي، وهذا ناتج عن توجيهات الملك عبدالعزيز لهم وحثهم على فعل كل ما يسهل مهمته. (ابن جريس).

الساحل ليست بالبعيد ناحية الجنوب من موقعنا، وبها قلعتها الرئيسة التي تسمى المنصورية إلى الداخل قليلاً. كانت هنالك قلعة أخرى تقع قريباً من موقعنا تسمى قلعة الجوبا. رأيت كذلك تلال حرض على مسافة ناحية الشرق ومعها القرية والتلال التي تحمل الاسم نفسه وهي محتضنة في انطواءات عند رأس الوادي، الذي يدخل ماراً بالجانب الشمالي للموسم يروي حقولها. أصبحت لدي فكرة تطبيقية للحدود في الجوار المباشر. طفنا من عند الحافة حول التلال الرملية حتى وصلنا إلى مقبرة كبيرة قديمة على حافة مسطح سبخي واسع. تسمى النصاب والاسم مشتق من نتوء من قبابها المحطمة ويعزى وجودها لبني هلال. كان حجم بعض القبور فوق المألوف ومبني من بلكات كبيرة من صخر مرجاني ويتجه شرق-غرب، وكان طول أكبرها الذي قمت بفحصه يصل إلى عشرة أقدام وعرضه خمسة أقدام.

يمكننا رؤية الميناء الصغير الذي يسمى المرسى والعشش المهجورة. لقرية كميلة الصغيرة. يجري الطريق مباشرة إلى ميدي وبه عمود حدودي، وعلى الرغم من أنني قد تجولت في شكل دائري حول الساحل لفحص كميلة ونهاية الحدود الدولية البحرية، فإنه يكون من الأفضل أن احتفظ بالوصف لها للفصل التالي فوق حدود السهل. لقد فرغنا من مدن السهل على أي حال في الوقت الحاضر.



الفصل الواحد والثلاثون

حدود السهل

يقع أكثر الأقسام خطورة بين المملكة العربية السعودية واليمن ولكونه غير حصين بين ميناء كميلة الصغير للصيد والتلال الواقعة إلى الخارج من الحاجز الجبلي الرئيس حول قرية حرض اليمنية المحصنة. وقعت حرب الأسابيع الستة فوق هذا القسم من الحدود في عام ١٩٣٤م حين اندفعت القوات السعودية بقيادة الأمير فيصل داخل اليمن ومعهم بنادقهم وحركة نقلهم الآلية في طريقهم إلى ميناء الحديد، التي دخلوها دون صعوبة. كانت بقية الحدود، التي على جانبها الشرقي رمال الربع الخالي المهيب، صعبة الاختراق لأي من الطرفين، بينما كانت الجبال المركزية احتمال مئوس منه لكي يُحاول جانبه.

واجه جيش الأمير سعود في الشرق، فوق الطريق الصعب لوادي نجران وروافده، مأزقاً بسبب أن العدو كان متمكناً من المداخل القليلة الحيوية التي تقود إلى داخل البلاد. إلى جانب صعوبة إمداداته فوق هذه المناطق الصعبة، على الرغم من أن بعض السيارات قد وصلت حتى الحدود عبر طريق الفيل، لم أكن قد قمت برحليتي من نجران إلى شبوة ومقاطعة الجوف حينها، وكانوا يعتقدون خطأً أن محاولة عبور قوات محمولة على السيارات على امتداد شرق الجبال ستنتهي بالفشل. نعلم الآن أنه يمكن للأمير سعود أن يصل بسهولة إلى الجوف ومأرب وتسندة قوة آلية، إلا أن عمليات عام ١٩٣٤م وجدته قد وقع في شرك الجبال المستحيلة، بينما كان شقيقه الأصغر يكتسح السهل الساحلي بنصر سهل. كانت

مشكلته الوحيدة هي اختراق الحدود نفسها على شريط وادي ميدي وهو المجرى أقصى الجنوب بين المجرين الذي ينقسم داخله وادي حرص في الانبعاث من الجبال إلى السهل. يخترق المجرى الآخر أرض المملكة العربية السعودية، ويمر إلى الشمال من الموسم ويدخل البحر، كما سبق أن ذكر، عبر مصب المغشوش. ورد ذكر القلعة في حرص عند رأس هذا الوادي، وربما تعد عقبة كأداء، بينما وقفت عند النهاية البحرية للمجرى قلعة الجوبا، على بعد نصف الميل إلى الغرب من المنصورة، بالإضافة إلى أن بلدة ميدي تشمل على عدد من القصور يعود تاريخها إلى أيام حكم الإدريسي. يطلق عليها بصفة عامة اسم قلعة السيد لهذا السبب. توجد قرية محصنة في وسط مجرى وادي ميدي تسمى مشابهة تنتمي إلى قبيلة بني مروان، أو المراونة. عبر الأمير فيصل في الحقيقة، عن طريق جانبي، هذه النهايات المحصنة لخط الدفاع هذا واخترق قوات العدو التي كانت تحرس المجرى بعد معركة حادة. انعزلت قريتا حرص وميدي بهذه الطريقة، واستسلمتا بعد أيام قليلة.

يجري هذا الجانب الحساس من الحدود عبر السهل من البحر إلى التلال مسافة تقارب العشرين ميلاً، منها تسعة أميال تجاه الشرق، وخمسة أميال تجاه الشمال، وستة أميال إلى الحدود السهلية عند بنر، وخمسة أميال تجاه الشمال الشرقي من حرص. كان هذا الترتيب بناءً على المعاهدة المشروطة لعام ١٩٣٤م، التي تمنع إقامة تجهيزات عسكرية أو تحصينات داخل مسافة خمسة أميال من الحدود. تركت قرية ميدي في موقعها، على الرغم من أنها الأقرب إلى الحدود، وللحاجة إليها لأسباب أخرى، ولما كان من المستحيل الإصرار على تدمير حرص، وهي مركز إداري مهم، فقد نقلت الحدود حولها لتتوافق مع اتفاقية السلام.

يملك هذا الخط الحدودي، إلى جانب أنه متلوّ وفي بعض الأجزاء يصعب التعرف عليه، ضرراً آخر هو أنه يفصل أرض قبيلة واحدة بين دولتين، لم يكن ثمة مفر من هذا في حالة ميدي وواديها وقد تركنا لليمن. يتكون قسم قبيلة بني مروان الواقع داخل الجانب السعودي من الحدود في جهة الغرب، العجيبية (العجيبية) في الوسط، وقيس (جمع قيوس) بعيداً ناحية الشرق، بينما تقع على الجانب اليمني أقسام بني زيلع ومغفلي (مغافلة) بهذا الترتيب من الغرب إلى الشرق، ويكون قسم بني حدّاد بعيداً ناحية الشرق وفيما يليهم يكون قسم الجعادرة. توجد مجموعات مبعثرة في هذه الأجزاء الشرقية لتهامة عند مفرج حوض وادي حرّض هي: آل حوضان في حرّض نفسها مثلاً، وآل علي في قرية وعلان السعودية.

كما يوجد عنصر يسمى مخلوطة في بعض قرى الجانب الشرقي من أرض مروان على الجانب السعودي، غير أنني لست متأكداً إن كان هذا ولاء قسماً أم ولاء وصفي، يعني أناس من سلالات خليط^(١). يستخدم اللفظ حرّضي على الجانب اليمني ليعني أناس من حرّض ولا يعني القسم القبلي أو تحت القسم. يوجد عنصر آخر يسمى حبة جرح ويجاري الجعادرة على الجانب اليمني، قد يكون تحت قسم الجعادرة إن لم يكن قسماً مستقلاً. وأخيراً يبدو أن أقصى قسم شرقي لقبيلة بني مروان، على الجانب السعودي وإلى الجنوب من تعشر. إنه ينتمي إلى التنابكة والتي قد تكون تحت القسم الوحيد داخل قبيلة قيس. تكون قبيلة المروانيين على أساس الأرض، أهمية، ولما كان الدم أكثف من الماء، فمن الواضح

(١) يقصد بذلك: - أي أقوام خليط من عدة عشائر مختلفة، ولهذا سموها بهذا الاسم. (ابن جريس).

أن فصلها بناء على الولاءات، ربما يكون في بعض الحالات محرراً لواحدة أو الأخرى من الدولتين.

تحتل الجبانة^(١) التي ورد ذكرها في الفصل السابق مساحة كبيرة، مررت خلالها بأطلال بناء كبير، استخدمت في تشييده بلكات كبيرة من الصخور المرجانية. ربما كانت قلعة قديمة تسيطر على الطريق الساحلي الذي تحف صفحاته كتبان رملية متدحرجة، ويحفه على الجانب الغربي مسطح سبخي واسع، والتي لا بد أن يكون البحر قد شغلها في الأزمان القديمة.

يوضح كل ساحل نهامة هذا كيف أن البحر قد دُفع إلى الخلف بواسطة الطمي المتقدم الذي جلبته الأودية العديدة من الجبال، والتي سأقوم بزيارة مناطقها العليا في الأيام القادمة. يصعب التمييز بين القبور والمباني الأخرى، ما عدا القلعة الكبيرة، إلا أن كل المنطقة كانت مغطاة بالقطع المكسرة، ويتضح أن هذا الموقع كان موطناً لمجتمع كبير، ربما كان يعيش في عشش الوتل والأعواد المألوفة هذه الأيام. وقد تكون موقعاً مبكراً مهجوراً لقرية ميدي نفسها أو لقرية الموسم، عند حافة البحر، والتي تقع الآن على مسافة خمس دقائق سيراً على الأقدام من مرسى كميلى. وجدنا في هذا الموقع عششاً قليلة مبنية من الأعواد لقرية صيد صغيرة وكانت توجد بجوارها أكواماً من بلكات مربعة من الحجارة قد تم جمعها -ربما حديثاً- لأجل بناء حاجز للماء داخل المياه الضحلة للملاءمة الصيد وللقوارب الأخرى التي تتعامل مع الموسم.

يحتوى الميناء على مواقع رسو ملائمة للسنايك المحلية، وذلك لأنها محمية من البحر بواسطة جزيرة صغيرة يكسوها مانجروف مزدهر (شورة) إلى عمق

(١) الجبانة: يقصد بها المقبرة. (ابن جريس).

(٥٠٠) قدم. يفصل مجرى ضيق بين هذه الجزيرة وجزيرة الدويمّة ويصل طوله إلى ثلاثة أميال. تبعد نهايتها الشمالية إلى مسافة نصف الميل من قرية كميلة وينتمي نصف سطحها الرملي أو المغطى بالمناجروف إلى العربية السعودية والنصف الآخر إلى اليمن. تعلم نهايتها الجنوبية بقلعة قديمة تغطي المرسى النظير الذي يقع بين طرف الجزيرة والأرض الرئيسة. ويطلق عليه اسم المرسى، كما توجد قرية صيد صغيرة على الأرض الرئيسة في مواجهتها تسمى خور تمتد من الخليج الذي يجري إلى الشرق من جزيرة الدويمّة إلى أحد أحواض الموسم. يكون كل من هذا المنخفض والخليج الحدود الفعلية وبها أولى الأعمدة الحدودية على الشاطئ الشمالي. لا يوجد عمود حدودي على الجزيرة، والتي لا فائدة ترجى منها لأي أحد.

وصلنا سيراً على الأقدام من مرسى كميلة وعبر المسطح السبخي إلى الطريق عند الحدود الفعلية، ومعلّم دون وضوح كافٍ بحجر واحد شكله غير منتظم ويرتفع إلى تسع بوصات، موضوعاً فوق سطح السبخة بجوار الطريق. كان هذا هو العمود الحدودي (رقم ٢٣٨) ويطلق عليه اسم رزم دخلة بن زهير تكريماً له، وقد كرمناه بدورنا باختيارنا لموقعه لنعسكر فيه لقضاء الليلة، وذلك لأنني لازلت أحتاج لفحص العمود الوحيد الذي يقع ناحية الغرب على حافة مجرى الدويمّة. سأقوم بوضع أرقام تسلسلية فوق كل الأعمدة الحدودية من هذ الموقع وشرقاً إلى الخلف حتى يتوفر لدينا حساب لكل هذه العلامات من الرقم (١١٩) (نيد فضة) والتي من عندها أوقفت فحص الحدود لأقوم بزيارة جازان.

لم يكن الوصول سهلاً إلى العمود الحدودي إلى أقصى الغرب من الشريط وذلك لأن البحر كان قد غمر حديثاً لهذا الجانب من المسطح الملحي، والذي كان

مستنقعاً غاصت فيه أرجلنا إلى مستوى الركبة أثناء سيرنا فوقه على الأقدام. لتجنب خطورة التحول، فقد أفادني حسن الطيب، شيخ قبيلة عريبي، الذي كان مرشداً لي، أن الحجر الذي يوجد على جانب الطريق كان أول عمود حدودي يتم نصبه. لم أصدقه، وكان لديه من الإحساس بالخطر ما جعله يرافقني عبر المستنقع الملحي، واعترف بخطئه والشاهد يقف أمام حواسنا. أخبرني بعد ذلك، بأن هذه العلامة الحدودية تحمل الاسم الرسمي مقطع الرديف (رقم ٢٣٩) من فرع الخليج الذي تقف عند حافته مجموعة من حجارة كبيرة مرصوفة مع بعضها في كومة، كانت تقع تجاه الشمال من قلعة المرسى فوق الجزيرة، بينما تقف قلعتنا ميدي الرئستين في بروز ناحية الشمال الشرقي، وتقع البلدة نفسها قليلاً إلى يمينهما عند النهاية البحرية لسلسلة منخفضة تقف فوقها قرية المنصورية. يبدو أن البلدة تواجه البحر من فوق صخرة منخفضة، وكنا نستطيع رؤية أعمدة الأشرعة للسنايك تدخل المرسى في الميناء. ويقع حاجز البحر الطبيعي ناحية الشمال الغربي بينما يجري خط الحدود إلى العمود التالي، بالقرب من معسكرنا، قليلاً ناحية الشمال الشرقي. تمكنا الآن من الحصول على منظر أفضل لجزيرة الدويمية، وسلسلة مرتفعة من الرمل تجري من مرسى إلى نقطة المنتصف، بينما يمتد بين موقعنا وبين المجرى الذي تمتد فوقه مانجروف كثيف.

سرنا فوق الطين اللزج والمالح أثناء عودتنا للمعسكر الذي يبعد فقط مسافة (١٧٥) ياردة لم يكن لدينا لوجبة العشاء غير الأرز، وعلى غير عاداتي فقد تعشيت بمفردي تعبيراً عن عدم ارتياحي لحسن الطيب وزميله شيخ العريبيين واسمه إبراهيم، اللذين يبدوان وكأنهما يعوقان عملي بدلاً من دفعه إلى الأمام فوق الحدود إذا كان ذلك العمل يتضمن إجهاداً لهما. توقف جهاز اللاسلكي، ليزداد

الأمر تعقيداً، بعد خدمة طويلة ممتازة امتدت على مدى ثمانية أشهر، ولم أكن معتاداً على التحرك والانتقال دون الاستماع إلى الأخبار، كما افتقدت ملاحظاتي للنجوم. لم يكن هذا الاعتبار الأخير ذا أهمية الآن، وذلك لأن معظم النقاط المهمة على الساحل قد تم تثبيتها بصورة مقنعة في خرائط إمارة البحر، ومن هذه اللحظة وإلى نهاية رحلتي فلن نكون بعيدين عن البحر. كان أهم حدث قد وقع ظهر اليوم هو الاكتشاف المدهش لقطع من قشور بيض النعام وسط دبال من أصداف البحر، نتجت عن تجارة أسواق أم اللالئ في مصوع وهي صناعة محلية في هذه الأنحاء. كان أكثر أنواع الصدف شيوعاً هو الكوكيان، ويتم شحنه من الشمال عبر البحر بكامله وبداخله اللحم المتحلل. معرفة كيف وصلت بيوض النعام إلى هذا الموقع يظل سراً، ومن الواضح أن وجودها هنا كان بواسطة الإنسان، ربما من أفريقيا. لا تزال الشاحنة معنا وكذلك السائق الذي يسره أن ينادى باسمه شهرين.

وصلت في الخامس عشر من يناير إلى أقصى المواقع الجنوبية للحدود، وأحسست بأن رحلتي تقترب من نهايتها. وحينما يتم اتصالي مع النقطة الخارجية البعيدة للحدود من جانب الاتجاه المعاكس، أكون حينها في طريق العودة إلى جازان للمرة الأخيرة، ومنها إلى الوطن تجاه مكة. أشرق الصبح والسماء ملبدة بالسحب ناحية الجنوب والجنوب الشرقي، والغرب، مع نسيم بارد لطيف. كان هنالك ندى أثناء الليل، غير أن منخفض السبخة الذي كان علينا أن نعبره لنصل إلى العمود الحدودي التالي كان مبللاً ومستنعياً، وقد استفدت من تجربة أمس فخلعت حذائي ودخلت السبخة وأنا حافٍ يرافقني كل من حسن الطيب وإبراهيم، بينما سافرت بقية المجموعة بالسيارة على الطريق الذي يجري في موازاة الحدود.

وصلنا إلى عمود سديد الحدودي (رقم ٢٣٧) عند حافة تل رملي منخفض يجري من ناحية الشمال الغربي مسافة ميل واحد، ويدور على الجانب البعيد من المنخفض - لا يزال هو خور الرديف - ومن ثم إلى معسكرنا. كان العمود الحدودي عبارة عن كومة صغيرة من بلكات مرجانية كبيرة يكسوها ملح السبخة. أمكننا رؤية قرية الموسم الآن ناحية الشمال الشرقي، بينما انتشرت سلسلة رملية عالية تسمى الحافية ناحية الشرق بعد مسافة. ربما كان هذا هو «الثل الرملي» الذي ظهر في خريطة إمارة البحر. وتقع فيما يلي هذا مجموعة تلال حرض.

يتكون العمود الحدودي التالي واسمه السكين (رقم ٢٣٦) من أربعة أو خمسة بلكات من المرجان، مدفونة إلى وسطها في الرمل ويصعب العثور عليه بين شجيرات الصحراء يشار إليه أحياناً باسم المقاطعة «أضراع الحشية»، وتنتمي إلى منطقة كانت زراعية ذات يوم (دخن) فوق فرع مهجور منذ زمن طويل لوادي حرض المغشوش. أخبرني رفاقي من الموسم بأن الجبالية ويعنون بهم الحكومة اليمنية، أو بصفة عامة رعاياها قد أقاموا سداً في الوادي الرئيس إلى أعلى، وكانت النتيجة، أن المجاري في الأرض السعودية نادراً ما تتلقى مياه السيول. كان مواطنو الموسم، في المواسم الجافة، يهجرون مساكنهم وينتشرون بحثاً عن سبل الحياة في مكان آخر. يفيد نمو كثيف لنبات الغضا والعراد في مجرى حشية بوجود مياه، أو أثر رطوبة تحت التربة، غير أن هذه بطبعها نباتات صحراوية ولا تموت إلا بتعاقب سنوات متتالية من الجفاف. كان عرض هذا الوادي (٥٠٠) ياردة وقد سدّت سلسلة رمال الحافية جانبه الأيسر.

اتجهنا الآن ناحية الجنوب الشرقي في اتجاه الحافية، وقد علمها العمود الحدودي الذي يسمى الحافية اليمانية (رقم ٢٣٥) في وسط أرض رملية منخفضة

تسمى نشر وتنمو فوقها الكثير من حشائش الجليل والشمام على الحافة الجنوبية للسلسلة الرئيسة على بعد ميل ونصف الميل. تمكناً الآن من رؤية أفضل لقلعة المنصورية التابعة لميدي، على بعد ثلاثة أميال فقط ناحية الجنوب. كانت بناءً حجرياً متطاولاً وعلى زواياه حصون دائرية وبناء بارز مرتفع يرتفع عليه ساري العلم في وسط فنائه. يقف العمود الحدودي التالي في هذا الخبت الرملي نفسه، ويسمى رديف القراد (رقم ٢٣٤) وآخر بالاسم نفسه (رقم ٢٣٣) على بعد (٣٠٠) ياردة من الطريق الذي يناسب السيارات ويقود من طريق الساحل إلى داخل البلاد. نما إلى علمي أن لجنة الحدود قد جاءت بأشخاصها واجتمعت في هذا الموقع لتقرر الموقع الصحيح للعمود لأجل أن يكون الطريق داخل الأراضي السعودية تماماً. تم وضع الأعمدة الأخرى، عند ذلك الذي يقع بجوار معسكرنا وحتى هذا الموقع، بواسطة البدو بتوجيه من اللجنة، لربط العمودين الأساسيين دون إثارة مشاكل قضائية حول الطريق الذي يقود في نهاية الأمر إلى قرية صامطة^(١) الكبيرة على تعشر، رئاسة قبيلة بني شيبيل.

يتجه شريط الحدود حتى هذا الموقع ناحية الجنوب، غير أنه استدار الآن ناحية الشمال الشرقي، وبمتابعة هذا الاتجاه وصلنا سريعاً إلى طريق السيارات وسلكناه مسافة ميل واحد، إلى حيث منخفض واسع كثيف الشجيرات يسمى خبت تفرديد يمتد مسافة شمالاً وجنوباً عبر الطريق، يحتل شريطه العريض المغطى بشجيرات القضب والذي يبلغ عرضه (١٠٠٠) ياردة وسط السهل المنخفض أكثر من

(١) صامطة: - أحياناً تكتب وتلفظ بحرف (الصاد) وأحياناً أخرى بحرف السين (سامطة)، والأكثر شيوعاً واستخداماً هو لفظ (سامطة). للمزيد عن بلاد سامطة، انظر: عبدالرحمن الشريف، المرجع السابق،

منخفض، وبرز كشریط أخضر لطيف ثري ليكسر الملل الذي تجلبه الأرض العشبية المتقطعة على جانبيه. تعد هذه المنطقة منطقة مراعى جيدة خاصة بعد الأمطار، غير أنه تبدو من مظهرها أنها لم تصبها الأمطار لفترة زمنية طويلة. وقفت كومة حجارة حدود تفرديد (رقم ٢٣٢) في وسط هذا الشريط الأخضر وعلى مساحة تزيد قليلاً عن ميل واحد من جهة قرى عريبي الشمالية وحتى مشابية في وادي ميدي. توقفنا مدة ليست طويلة تحت ظل شجرة قضب لتناول الشاي وللتدخين ولنعطي الماكينة فرصة لتبرد وهي تحت شريط أخضر آخر مملوء بشجيرات تسمى قزي. وصلنا مباشرة بعد هذا إلى العمود الحدودي الذي يسمى يمني المجاحف وهي منطقة خبت عارية يكسوها عشب ميت. كان هذا هو العمود الحدودي (رقم ٣٣١) وأمكننا عنده رؤية خط الأشجار التي تعلّم مجرى الموسم أو المغشوش وبه قرينا غويرة^(١) (العريبية) ودخيلة (الازيبية) على جانبه القريب.

ذهب حسن الطيب على رجليه إلى دخيلة ليعلن عن اقترابنا من بلاد العريبي وإعداد المرشدين الضروريين وذلك لأن هذا العمود الحدودي هو آخر الأعمدة داخل أراضي الازيبين. استقر بي المقام في هذه الأثناء لإغفاء الظهيرة تحت شجيرة قضب، تلك التي جذبت نحوها ألوف الفراشات بيضاء عروق الأجنحة وقد تدلّت خادراتها في أعداد ضخمة أيضاً من الأوراق والأغصان. عبرت قافلة صغيرة الموقع أثناء استراحتنا وقد خاطبها بعض رفاقي، ويبدو أنهم كانوا يتساومون بشدة حول سعر شاة لوجبة المساء. مرّت بنا مجموعات صغيرة من الناس بعضهم

(١) غويرة: — يطلق عليها اليوم اسم قرية الغوره، وسكانها يطلق على الواحد منهم الغويري وليس العريبي أو الازيبى كما ذكر فيليبي. (ابن جريس).

على قدميه وبعضهم على ظهور الحمير وبعضهم على ظهور الجمال، وعلى فترات، سالكين على ما يبدو أنه طريق سريع حقيقي يربط بين دخيلة ومشابية. ولا يوجد ما يدعو إلى القول بأنهم لا يلتزمون بالشكليات الحدودية وهم في ترحالهم من وإلى، في مناسبات قانونية. وجدت قطعة أخرى من قشر بيض النعام، بالقرب من عمود تفريد الحدودي، وكنا نشاهد على مدار اليوم، خاصة في المساحات السبخية، آثار حوافر الغزلان مقبلة أو مدبرة من البحر حيث تشرب. يبدو أنها تعجب بالملح والسائل معاً، غير أن شرب مياه البحر هو خاصية ثابتة لغزلان تهامة. لقد شاهدنا قطعاً صغيراً منها في الخبت بعد بداية مسيرتنا بقليل.

كان هذا عند الساعة الرابعة مساءً، وهو الوقت الذي أدركنا فيه حسن السهل، شيخ القيسيين ومعه شخص آخر مشهور بأنه خبير للجغرافيا المحلية. على رغم من كل هذا، فقد طال بحثنا مدة ربع ساعة، عن العمود الحدودي التالي الذي يتألف من ثلاثة كتل من الحجارة ملقاة معاً ويصعب تحديد موقعها في قفر تزعق فيه الرياح ويكسوه عشب ميت. كانت بقعة كثيفة بحق ويسمى العمود الحدودي عضير الحب (رقم ٢٣٠). أمكننا رؤية قرية مشابية التابعة لبني زيلع إلى جنوب عضير الحب، وليست بالبعيدة، وهي على حافة شريط طويل من شجيرات تعلم مجرى وادي ميدي، وهو الفرع الجنوبي لوادي حررض، والذي يمكن أيضاً رؤية رأسه فوق السرج الذي يقع بين تليين مرتفعين إلا أننا لم نر قلعة القرية. أمكننا أيضاً رؤية قرية القمبور التابعة لقبيلة عزيبي وهي على يمين دخيلة، وكذلك قرية رمثة التابعة لقبيلة قيس، وهي عبارة عن عشش من الأعواد ليست بالبعيدة وإلى شمالنا. يطلق على تلي حرض اسما حرض وخوفار بالتوالي ويطلق على

السرج اسم أم فج . تعرفت على تلال طحنان وعاصم وعسلة بعيداً إلى الشمال، غير أن مرشدي لا علم لهما بأشياء بعيدة كهذه . استطاعا على أي حال التعرف على سلسلة بنر وتلال محمر وجحفان وشقدم التي سنصلها في وقت لاحق . تقع ميدي ناحية الجنوب الغربي وهي واضحة ومعها قلعتان باسم قلعات السيد مرتفعتان في بروز فوق مباني البلدة الأخرى .

كان العمود الحدودي التالي (رقم ٢٢٩) واسمه مثنع سهلاً، وما هو إلا جذع شجرة وضع على الجانب ليعلم الحدود . قررنا أن نقضي الليلة هنا، وفرشت سريري فوق الحدود لأنام في دولتين . خرجنا الآن من الأقفار العشبية إلى داخل سهل واسع من أرض طينية تنتشر فيه الشجيرات وبعض الأشجار ذات الحجم المتوسط، وكانت قطعة من البلاد جذابة ولا ترتفع عن ساحل البحر بأكثر من (١٠٠) قدم . وتتويجاً لارتياحنا العام بخروجنا من الأرض الميتة من ورائنا، فقد أرسل لنا أمير الموسم حملاً هديةً للسلم، بينما أرسل أمير الخوبة، على مسيرة بعض الأيام ناحية الشمال الشرقي، ممثلاً له؛ ليقابلنا ومعه مرشد ليوجه خطواتنا . وصلتنا إمدادات الماء من القمبور واجتمعنا كلنا في تناسق واضح لنفي لحم الضأن حقه .

لاحظت بعد فترة صوت خفقان في الجو، بينما كان الضجيج الذي جلبه أزيز الحصاد وحشرات أخرى مقدمة ملائمة لهذه البلاد الغربية الشكل . لقد ارتفعنا خطوة عن طرف الساحل، على الرغم من أننا لا نزال على مسافة من السفوح الجبلية، والتي فيما يليها، على أي حال التقطنا منظرًا لعدد من القمم لسلسلة الجبال الرئيسة متضمنة حرم والنظير وارتفاعان بلا اسم متصلان بمرتفع آخر، وحاجور وحماطة وجريز - كلها على ارتفاع (٧٠٠٠) قدم أو أكثر فوق سطح

البحر، وتمتد على شكل وتر من الشمال الشرقي إلى الشرق وفي الترتيب الذي ورد. تمتعت بمنظر عظيم لهذه البانوراما الرائعة حينما صحوت من نومي حوالي الساعة السابعة صباحاً، وكانت الليلة خالية من الندى، ولم يمض وقت طويل حتى حجب الضباب والسحاب معظم المنظر بقية اليوم، تاركة فقط السفوح الجبلية في مجال الرؤيا وتسمح من حين لآخر بلمحات من الجبال العملاقة من ورائها. كانت الدرجة الدنيا للحرارة أثناء الليل (٦٤) درجة، وسجل مقياس الحرارة الدرجة القصوى عند العصر وهي (٨٤) درجة. كانت الظروف مثالية لمثل هذا السفر.

حضر إلى معسكرنا أثناء الليل رجل شرطة يسمى حامد، كنت قد رفضت خدماته في جازان، حينما كان يقضي إجازته، وفي الموسم حينما سبقنا في طريق العودة إلى عمله في الخوبة، وألحق نفسه مع مجموعتنا شئنا أم أينا، تركت الأمر عند هذا الحد إعجاباً بمثابرتة. بعد أن دعمنا أنفسنا بإفطار جيد بما تبقى من لحم الحمل والأرز من عشاء الأمس، وبدأنا المسيرة بروح عالية للمرحلة التالية من استكشافاتنا، رفضت السيارة، على أي حال، أن تتحرك بسبب البرد وسرنا ببطء على الأقدام يسبقنا مرشدونا منتشرين بحثاً عن العمود الحدودي التالي. وصلنا إلى العمود خلال خمس عشرة دقيقة، ناحية الشرق من معسكر ليلتنا وفوق الشكل نفسه من البلاد ذات الشجرات الكبيرة وتبعثر طيب لأشجار السرح. كانت العلامة الحدودية تتكون من عدد تسعة حجارة صغيرة في كومة مسطحة، وهي علامة مثنى الثانية، (رقم ٢٢٨) بينما وصلنا العلامة الثالثة (رقم ٢٢٧) وكانت عموداً خشبياً مسطحاً على الأرض يعلم موقع اللقاء الثلاثي لقبيلة بني زيلع والمغفلي وهما قسمان من قبيلة بني مروان على الجانب اليمني، وقبيلة قيس على الجانب السعودي.

رفعنا العمود مؤقتاً في وضع قائم وزيناه بممثلي قسمي قيس وعريبي المحترمين وذلك لأجل أن أتمكن من التقاط صورة للمنظر. يبدو أن البلاد هنا، وكأنما بدأت تتكسر مرة أخرى بالأمواج المنخفضة للرمال وهي تتعدى تدريجياً السهل الطيني إلى جانب غطاء نباتي من قصب وعشب جاف وشجيرات قصيرة وبعض أشجار السرحة من حين لآخر. تقع قرية العويرض التابعة لبني زيلع على مسافة الميل الواحد، ناحية الجنوب الشرقي.

تنحني الحدود من هذا الموقع بعنف ناحية الشمال وتستمر كذلك لمسافة. وصلنا لما يدل على نشاط زراعي ونحن نقترّب من الوادي، حيث كانت هنالك حقول ذات متاريس عالية على جانبي الحدود دون فصل واضح بينهما. تم تصحيح هذا سريعاً بوضع علامة حدود تحتوي على حجرين صغيرين موضوعين على الأرض، إلى خارج حلقة الظل الذي ألقته شجرة سرح كبيرة، وقد استلقيت تحتها، على الرغم من أننا لم نسر مسافة طويلة، لأجل الإغفاءة والراحة. هبت رياح قوية علينا وقل مجال الرؤيا. اعترض شريط من غابات كثيفة بيننا وبين وادي الحفيرة أمامنا، والذي كان يعلمه شريط أكثر كثافة من أشجار وشجيرات ويحتوي على بئر جلبت لنا منها المياه.

توقفت الزراعة تماماً بالقرب من خط الحدود، وحينما وصلتنا الشاحنة أخيراً بعد الساعة الثالثة مساءً، كان سيرنا خلال طريق تنزهي. يعرف هذا الموقع الحدودي باسم خزن الحاج^(١) (رقم ٢٢٦) بينما يسمى التالي له الحفيرة (رقم ٢٢٥)، وما هو إلا جذع شجرة ميتة مغروس غير ثابت في كومة رمل على حافة

(١) خزان حج: هكذا ذكرها فيليب مع أن الاسم الصحيح هو (خزن الحاج)، انظر: القبا، المرجع السابق، ص ٤١٧. (ابن جريس).

الوادي. تقع قرية الحفيرة على مسافة (٢٠٠) ياردة إلى يسارنا، وأمكنا الآن رؤية قرية مثنع على مسافة نصف ميل ناحية الجنوب الغربي من موقعنا. وكانت أكثر القرى بروزاً ومنظرانية هي قرية رمثة، تقف على قمة سلسلة رملية إلى مسافة خلف الحفيرة. كانت أشجار الوادي، الذي يتواصل مع وادي حرض ويتصلان مع وادي المغشوش، مليئة بالطيور النساجة وأعشاشها المعلقة.

أرسلنا الشاحنة تبحث عن طريق أسهل ودخلنا إلى الوادي، وسرعان ما وصلنا إلى مجرى السيل الرملي الحقيقي، وكان عرضه حوالي خمسين ياردة وتحفه بكثافة أشجار الطلح والمرخ وغطاء نباتي آخر نموذجي. كَوْنٌ فيما يلي هذا، سهل رملي آخر يكسوه شجيرات خفيضة والكثير من المرخ، وهو لا يزال جزءاً من الوادي، والذي حمل أيضاً مجرى آخر يسمى خريم، وهو بارز جداً ويكسو أرضيته غطاء نباتي فاقع الخضرة، معظمه نبات السنّ ونبات العلقا وعدد كبير من أشجار الطلح. يتكون عمود خريم الحدودي (رقم ٢٢٤) من دسنة من الحصى الكبيرة ملقاه مع بعضها على المتراس حول شجرة قصب ميته في وسط المجرى. برزنا على الجانب الآخر فوق مرتفع ضئيل يكون عتبة الخبت الواسعة أو ما يشبه البراري تكسوها حشائش محتضرة. تسمى هذه الأرض طرف السر والتي فوق مرتفع آخر لها، ويسمى المطيريه، يقف ما يزعم أنه علامة حدودية، حجران صغيران موضوعان على كومة من الأعواد. سيطرنا من هذا العمود (رقم ٢٢٣) على منظر شمولي لأرض مراعي السر التي لا بد أن تكون منظراً جميلاً أثناء المواسم المطيرة، غير أنها الآن صورة للكآبة. قوبلنا هنا بوفد من قبيلة بني حمد، ويبدو أنه فرع مستقل من قبيلة بني شبيل في صامطة والذين يزعمون أنهم قد قدموا أصلاً من شهرة في اليمن. لا يدركون عن سلفهم غير أنهم يرفضون أي

علاقة لهم مع قبيلة بني مروان والتي يشارك قسمان منها - قيس على أحد جانبي الحدود والمغفلي على الجانب الآخر- معهم نقطة اللقاء الثلاثي عند العمود الحدودي التالي الذي يقع أمامنا، ويسمى الدنقور (رقم ٢٢٢). هبطنا قليلاً من سلسلة المطيرية لنصل إلى هذا الموقع، إلى سهل أكثر استواء من الطين والتربة الخفيفة، وقد غطاه الكثير من شجيرات القصب والسرّح مع عدد قليل من هذه، وقد بلغ حجمه حجم الأشجار الصغيرة. يسمى هذا السهل، أو قل منخفضاً فيه، مجحف^(١) إلا أنه جزء من أرض السرّ.

لم يصلنا شيخ قبيلة بني حمد، واسمه طاهر، حتى الساعة التاسعة مساءً غير أنه أقبل ومعه هدايا وقد رحبنا بها، كانت عبارة عن شاتين والكثير من الماء وأغراض أخرى. استأذن مباشرة بعد تناول العشاء معنا ليذهب لينام في منزله تحاشياً لبرودة الليل في هذا المكان المكشوف، غير أنه وعد بالحضور في الصباح. كانت قرية المجنة على بعد ثلاثة أميال فوق رافد أبوصول^(٢) لوادي تعشر، بينما يحتل جناحه القبلي المواقع العليا (في تهامة بالطبع) للوادي وروافده في مقابل التضاد مع قبيلة بني شبيّل الذين يقعون ناحية الشمال في المرتفعات الوسطى للمجرى نفسه ويمتدون إلى وادي لية إلى الشمال. كان عمود الدنقور الحدودي مضحكاً للدرجة التي لم أستطع مقاومة الإغراء بالتقاطه ووضعها في جيبي وأن أخذه معي تذكراً. كان العمود يشتمل على ثلاثة أحجار صغيرة جداً موضوعة

(١) مجحف: هكذا ذكره فيليبي مع أن بعض السكان المحليين يذكرونه باسم (محجف) أو (محجن)، وسوف

نستخدم في الصفحات التالية اسم (محجف) بدلاً من (محجف) و(محجن). (ابن جريس).

(٢) أبام صول:- هكذا ذكرها فيليبي مع أن الاسم الصحيح هو (أبو صول)، وهو ما سوف نستخدمه في

الصفحات التالية، انظر: القبايع، المرجع السابق، ص ٤١٨. (ابن جريس).

فوق تكوين تحتي كثيف الشجرات لشجرة سرحة، وأحسن أمر سرقتي هذه باستبدال الحجارة بعلبة أناناس فارغة مستوردة من اليابان. كانت هذه المعلبات تباع وتشتري هنا بأسعار منخفضة لدرجة مدهشة في سوق جازان، وأشهد بأن المحتويات كانت ممتازة.

كانت درجة الحرارة أثناء الليل كمثيلتها في المشعن ولم يكن هنالك ندى. أفسد الضباب والغمام المنظر الصباحي غير أنني استطعت أن أضيف عدداً من القرى الجديدة إلى قائمتي، وكلها كانت تقع شيئاً ما إلى الشمال من موقعنا، وهي الشمهانية وعنطوة^(١) والجزعة والطوال. كان آل بني حُمدٍ عصبين فما يخص معلوماتهم الجغرافية. وقد أرسلوا كشافهم في وقت مبكر من الصباح لجمع كل الأعمدة الحدودية التي كان علينا أن نقوم بزيارتها اليوم التالي. لا يهتم هؤلاء الناس بمثل هذه الأشياء ولا يستطيعون أن يفهموا لماذا يهتم بها الآخرون.

تتجه الحدود من الدنقور مرة أخرى ناحية الشرق، مع قليل من الانحراف للشمال، ثم يعبر منخفض محجف الضحل عند طرفه الجنوبي، الذي عنده نستطيع رؤية الأشجار التي تعلم منخفض السر الحقيقي إلى شماله والذي تأخذ كل أرض المراعي هذه اسمها منه. تتجمع المياه في كل هذه المنخفضات بعد الأمطار وتظل فيها حتى يتم امتصاصها غير أنها ليست خطوط صرف بأي شكل من الأشكال. استغنيت عن خدمات شيخي العريبيين والقيسيين دون أي مكرومة لهما لأنهما لم يقدموا لي شيئاً، وذهبنا نحن ومعنا مرشدانا الجدد من المعسكر

(١) عنطوة: تم تغيير اسمها أثناء إمارة محمد بن تركي السديري على منطقة جازان إلى اسم (الرحمانية).
(ابن جريس).

ووصلنا خلال عشر دقائق إلى عمود مفجر الضمار الحدودي (رقم ٢٢١) وكان عبارة عن حجرين كبيرين وحجرين صغيرين وهذه الأحجار ملقاة فوق كتلة عشب جاف. ووصلنا بعد عشر دقائق أيضاً إلى علامة القوباء^(١) الحدودية (رقم ٢٢٠) وقد اكتسبت اسمها هذا من المنخفض ذي الشجرات الكثيفة الذي يجري من ناحية الجنوب الشرقي لمسافة (٥٠٠) ياردة داخل أرض المغفلي (باليمن) ليتصل مع منخفض آخر أطول (يسمى أيضاً القوباء) يقطع الحدود على زاوية قائمة عند العمود الحدودي التالي واسمه المراويد^(٢) (رقم ٢١٩). يتكون هذا من عدد سبعة أحجار متوسطة الحجم على شكل كومة مسطحة، تعلم الخط الذي تعبر فيه الحدود المنخفضة، والذي يقع ثلثاه (حوالي الميل الواحد) في الجانب اليمني، وجدنا فيه جرادتان منعزلتان. كانت الشاحنة لا تزال معنا وهي تجاهد في ثقل فوق كتل الحشائش غير المريحة في الخبت وقد استفدنا من حين لآخر للإسراع بتقدمنا، برغم أن السير على الأقدام كان أفضل.

برز انحدار لطيف عند المرتفع الخفيف فيما يلي المنخفض وارتفاعه ٢٠٠ قدم فوق سطح البحر فوق سهل واسع بجوار السفوح الجبلية. وصلنا فيه بالتوالي إلى الأعمدة الحدودية. هم أبو الخطاب (رقم ٢١٨)، وخزوة عسلة^(٣) (رقم ٢١٧)

(١) قوبة الحدودية: - هكذا دونها فيليبي وذكرتها بعض المراجع التي تحدثت عن الحدود السعودية اليمنية، ولكن كثيراً من السكان المحليين ينطقونها (القوباء) وآخرين ينطقونها (القوبة)، ولهذا سوف نستخدم كلمة (القوباء). (ابن جريس).

(٢) المراويد: هذا ما ذكره فيليبي مع أن الاسم الصحيح في بعض المراجع والوثائق هو (كتف المراويد)، انظر: القباع، المرجع السابق، ص ٤١٨ (ابن جريس).

(٣) خزوة عسلة: هذا ما دونه فيليبي مع إن الاسم الصحيح هو (خزنة عسلة)، انظر: آل زلفه، عسير في عهد الملك عبدالعزيز، ص ٢٨٣ (ابن جريس).

وتقع هذه على الحافة البعيدة لحوض ضحل جداً يعترضه خطاً صرف رمليان يجريان شمالاً وجنوباً. يخترق الطريق من حرص إلى تعشر (صامطة) الحدود قريباً من هذه العلامة الحدودية، والتي بالكاد ترى وذلك لأنها تتكون من عدد ستة أحجار صغيرة بجوار جذع شجرة ميت وساقط. أعطت لجنة الحدود هذه الأراضي الموحشة بعداً واسعاً وتركت الأمر للقرويين المحليين والبدو لتعليمها بأي أسلوب يرغبون فيه حسب تقاليدهم. كنا لا نزال فوق الشريط الذي يفصل بني حُمد عن المغفلي، غير أننا أرسلنا رسلاً لتحذير التنابكة (بني مروان) وعناصر الأشراف، الذين يتقاسمون معهم القسم التالي من الأرض السعودية على امتداد الحدود. جلبت لنا المياه، في هذه الأثناء، من قرية مجاورة في جرار فخارية ضخمة تشبه القرع تحملها الجمال. يبدو أنه لا توجد قرى على الجانب اليميني للحدود، لم يثر ظهور سيارة (موتور) غير المتوقع أي صدى اهتمام به أو فضول على الجانب الآخر.

وصلنا سريعاً إلى مجرى الحوسية^(١) المليء بأشجار المرخ وعبرناه، وهو أول رافد لنظام تعشر يواجهنا. ينحدر بالقرب من وادي حرص، على اتجاه ناحية الشمال أكثر لتتواء التلال حول قرية حرص. ويقف قليلاً إلى الخلف منها حجر مربع جيد، ارتفاعه قدم، يمثل العمود الحدوي (رقم ٢١٦) الذي يطلق عليه اسم كدف^(٢) أم خوبة^(٣). لقد تم حمله بالفعل كل الطريق من بئر في مجرى تعشر

(١) مجرى الحوسية: يطلق عليه أيضاً اسم (مفجر الحوسية). (ابن جريس).

(٢) كدف هذا ما ذكره فيليبي مع أن بعض السكان المحليين ينطقونها (كتف). (ابن جريس).

(٣) أم خوبة أو أمخوبة هكذا ينطقها ويكتبها بعض السكان المحليين، في حين أن البعض الآخر ينطقها

(الخوبة)، وجميع الألفاظ وطريقة نطقها سليمة. (ابن جريس).

ليعلم موقع اللقاء لثلاثة أقسام قبلية هي: بنو حمد إلى الشمال والمغفلي وبنو حداد (التابعين لبني مروان) على الجانب اليمني. اشتق الاسم من منخفض على مسافة (٥٠٠) ياردة ناحية الشمال الغربي، والذي يحتوي على أيكة مرخ وشجيرات أخرى تتضاد بغرابة مع السهل الكئيب ذي الحشائش الجافة.

كان العمود الحدودي التالي مدهشاً أكثر من الذي سبقه، كان عبارة عن حجر رملي كبير مستدير، أشبه ما يكون بالقنبلة، وبجواره قطعة صغيرة من المادة نفسها، لا بد أن تكون هذه قد تم جلبها من موقع ترسب قريب للحجر الرملي، والذي تبرز بعض أجزاء منه من حين لآخر فوق المنطقة التي في معظمها من تركيب بركاني. كان هذا أيضاً موقع لقاء ثلاثي حيث تتصل قبيلة الجعادرة -ربما كانوا أيضاً بني مروان- مع بني حداد على الجانب اليمني لمواجهة بني حمد. يقف عمود خرشة الحوسية^(١) (رقم ٢١٥) فوق سهل لطيف ذي شجيرات ويحمل جزء كبير منه محصولاً جيداً للذرة (الدخن الكبير) وينتمي إلى قرية الخوجرة (بني حمّد) التي تقع على مسافة إلى البعيد ناحية الشمال.

واصلنا سيرنا فوق السهل نبحت عن العمود الحدودي التالي، وتوقفنا مؤقتاً عند عدد تسعة حجارة مبعثرة يصعب وصفها ولقد انتابني الخجل، حينما تردد مرشدي للتعرف عليها هدفاً لبحثنا، ولذلك تحركوا يبحثون عن مرشح آخر لهذا الشرف، بينما جلست أستغرب إلى متى ستستمر هذه اللعبة. كأن الأمر كمن يبحث عن المسامير في حقل تبّن، تمكنوا من العثور على الهدف على بعد (٣٠٠)

(١) خرشة الحوسية: كتبها ونطقها فيليب كالتالي (خرشة الحوسية) والاسم الصحيح هو ما دوناه. (ابن جريس).

ياردة على جانب الطريق الرئيسي الذي يقود من حرض عبر صامطة إلى (أبو عريش وصبيا) كان بلا شك طريقاً سريعاً من أيام الإدريسي . يطلق على العمود الحدودي هذا الاسم نفسه الذي أطلق على العمود السابق، وهو خرشة الحوسية (رقم ٢١٤) وكان يتألف من مجموعة حجارة مبعثرة فوق كتلة حشائش نبت من بينها نبات الطرفاء . لا بد وأن تكون الأمطار قد هطلت هنا وذلك لأن حشيشة الثمام انتجت أفرعاً خضراء جديدة بينما تناثرت أعواد من الصبار الصحراوي والتي تبدو وكأنها ميتة أكثر منها حية .

وصلنا الآن إلى نهاية أرض بني حَمْد وجلسنا بصبر ننتظر قدوم ممثلي قبيلة التنابكة الذين تأخروا حتى الآن . بدأت عاصفة رملية متوسطة تهب تدفعها الرياح الجنوبية الغربية لترفع من حماسنا، غير أننا لم ننتظر طويلاً، إلا أن الشخص الذي وصل أولاً لم يكن شيخ القبيلة . كان زائرنا هو الشريف محمد بن حمد الخلاص رئيس أشراف وعلان، وهي قرية في أعلى عشر تقارن من حيث الحجم والأهمية مع صامطة . كان مظهره رائعاً في ملابس عظيمة ورحب بنا إلى أرضه بكل سخاء . لم يعد هؤلاء البقايا من النبلاء القدماء يستمتعون بالشراء والمكانة التي كانت لديهم في الماضي، وأصبحوا في معظم الأحوال فقراء سادة ومزارعين يلتصقون بشراسة فوق أرضهم غير المضيافة . كانت أخلاقهم غاية في الحسن ونبيل تربيتهم يشع مع كل حركة .

كانت البلاد أمامنا كثيفة الأشجار بصورة أفضل مما قد رأينا منذ أن غادرنا الساحل، وقد مهدت لنا التربة الطينية قيادة سهلة للشاحنة بتتابع من فرجات بين مجموعات من أشجار الطلح (معظمها سمر) وقطف وبشام متناثر (بلسم) والذي يستخلص منه صمغ ذو رائحة حلوة معروف لدينا باسم بلسم مكة أو بلسم جليل .

لا يزال البشام واسع الانتشار في مكة وغيرها من مدن الحجاز كبخور ولبان يمضغ. وصلنا بعد خمس عشرة دقيقة من هذا التقدم الممتع، إلى منطقة صخرية مكسرة بالعديد من المجاري الصغيرة، ولما صعب على الشاحنة مواصلة السير، قررنا أن نعسكر في هذا الموقع لقضاء الليلة ونعيد ترتيب أسلوب مواصلتنا. ستعود الشاحنة إلى جازان وستقابلنا مرة أخرى عند نهاية فحص الحدود الذي سيتم بكامله سيراً على الأقدام.

وصل إلى المعسكر قبل غروب الشمس شيخ قبيلة التنابكة واسمه حسن الفقيه، وقد وجهه صوت شاحتنا من قرية المجروب في منطقة تعشر العليا خلف سلسلة سلال المنخفضة. كان رجلاً نحيلاً، متنسك المظهر، ثري اللبس ويبدو أنه يعرف الكثير عن البلاد أكثر من أي شخص آخر قابلناه من قبل. تمكنت عن طريقه من تخفيض نسبة تضارب أسماء المعالم الرئيسة للمنظر الطبيعي الريفية. والتي كنت أسجلها بصبر على مسؤولية مختلف المخبرين الذين ربما كانوا سعداء أن يقولوا لي مع السلامة بنفس الدرجة التي كنت أرغب أن أراهم يغادروننا. خذلني الشريف العظيم بذهابه لينام في منزله بعد تناول وجبة العشاء، غير أنه عاد في الصباح قبل الساعة الثامنة. واكتفيت ببعض الملاحظات الساخرة حول الكرم العربي. ظل حسن معنا، على أي حال، وقد استمتعت بحديثه وبرفقته.

يخدم هذا القسم من سهل تهامة، مثله مثل بقية بلاد عسير بالأسواق الأسبوعية في مواقع مختلفة وفي أيام مختلفة. تتمتع الخوبة^(١)، وهي مركز إداري

(١) لمزيد من الإيضاح عن منطقة الخوبة، انظر: عبدالرحمن الشريف، المرجع السابق، ج٢، ص ١٧٨ -

للمنطقة، والتي كنت قد زرتها في وقت لاحق، بالفخر بموقعها وبسوق الخميس. تأتي في المقام الثاني حرض، في اليمن، بسوق الثلاثاء، بينما يكون سوق الأربعاء وسوق السبت بالتوالي في كل من الجمال^(١) تقع خلف تل خطوة على الجانب اليمني، وحيران، أيضاً في اليمن، ويكون سوق الأحد في المرتفعات الوسطى لوادي خُلب أسفل الحوية وهو يكمل الحلقة التي تمد السكان في هذه الأرض بسوق في كل يوم من أيام الأسبوع. أمكننا رؤية وعلان على مسافة ثلاثة أميال ناحية الشمال، غير أننا لم نر مجروب بينما كانت هنالك قرى أخرى داخل مجال الرؤيا هي مكمبال (أو أمكمبال) وسكانها خليط مع بني مروان، وخلفة^(٢) - قرية صغيرة مخلوطة- ومصفق وهي قرية صغيرة سكانها متنوعون على الجانب القريب من المجنة.

كانت دنيا الطيور مثيرة للاهتمام في هذه البلاد الكثيرة الغابات، مقابل كآبة السهل الصحراوي. كانت طيور الشادي الأورفي متوافرة إلى جانب صنفين من الصرد والجشنة والقنابر النورفوكية. رأيت الزقراق الاجتماعي أثناء النهار حول مجرى حوسية. كما كان طائر العجلة الحزين أو (أبو معول) أكثر الطيور المقيمة في هذه المنطقة، كما استمعت لصوت طائر الوقواق التهامي إلا أنني لم أراه إلى جانب طائر آخر كان نداؤه «كو - كو - كو» وربما كان صائد ذباب الجنة. برزت عقرب من الصباح تحت فراشي ولم يمض وقت طويل إلا ونسمع ونرى أسراباً ضخمة من طيور القطة تهبط عند البرك في وادي أبو صول أمامنا. طار أمامنا سرب من واحد وعشرين من طيور اللقلق برشاقة ونحن نقرب من هذا المجرى،

(١) الجمال: تنطق أيضاً (أمجمال)، وكلاهما صحيح. (ابن جريس).

(٢) خلفه: تسمى أيضاً (أمخلفه) أو (خلفة وعلان). (ابن جريس).

واختفت إلى البعيد. كانت المسائل الصغيرة التي عسكرنا بجوارها مغذيات لأول جدول من بين ثلاثة جداول لصرف أبو صول، والتي تتحد فيما بعد لتكوّن وادي الملح^(١) وهو رافد لوادي تعشر. يرتفع أبو صول نفسه إلى ارتفاع مرتفعات الخطوة، وهو معلم تليّ لمجموعة حرص. كانت هنالك العديد من البرك المائية في بطنه الصخري المغطى بالرمل إلى أعلى وإلى أسفل منطقة عبورنا، ويعد هذا الموقع مكان شرب مستديم ويطلق عليه اسم الملح. توجد مجموعة أخرى من البرك على مسافة (٢٠٠) ياردة إلى أسفل تسمى مسبح الكلبة بينما يقع على مساحة نصف ميل مع اتجاه أسفل الوادي المشرب الرئيس ويسمى محفور.

تقف مجموعة صغيرة من الحجارة على جانب الفرع الثاني من أبو صول، تدل على العلامة الحدودية التي تسمى أبو صول (رقم ٢١٣). هذا المجرى أقل وضوحاً من الأول، وما هو إلاً انطواء في الأرض الصخرية التي يكسوها غطاء نباتي غني بينه نبات الرنفة أصفر الأزهار والطلح العادية والقطف وأشجار العلب. توجد بالقرب من هذا المجرى عشش قليلة مبنية من الأعواد لرعاة من قبيلة قيس تحت ظلال أشجار ضبر كثيرة. بدت هذه البلاد الصخرية المتدحرجة المكونه من البازلت والجرانيت والكوارتز وكأنها نهر جليدي يصب منحدرًا من الأودية المختلفة الساقطة من التلال. يجري وادي حرص - كما قيل لي - كنهر منساب يختفي ليظهر فوق السهل، غير أنه لا توجد مياه جارية في الحوسية ولا في أبو صول. كانت هنالك علامات لزراعة سابقة في المنطقة الأخيرة (أبو صول) تعزى إلى

(١) وادي الملح: يلتقي شمال الخوجرة مع وادي تعشر. أما وادي أمّح فيصب في وادي الخمس، وادي أمّحي يصب في وادي الدخن، ومن الدخن إلى وادي خلّب. (ابن جريس).

مزارعين من قبيلة قيس، وهي -بدون شك- ليست حديثة. يتبع شريط الحدود المجرى الأعلى لأباً صول الثاني إلى كومة دقيقة من حجارة صغيرة على الجانب الأيمن في وسط حقول ذات متاريس ويسمى أبو مشني^(١) (رقم ٢١٢). تنتمي هذه أيضاً إلى مزارعي قبيلة قيس وقد رأينا بعضاً منهم في المنطقة المجاورة لنا، يرتدون خرقة قماش حول خصورهم وقبعة عريضة من القش تحميهم من الشمس. وصل رجل على ظهر حمار أثناء وجودنا في هذا المكان ومعه جرة ماء ضخمة، واجتمع رفاقي، ما عدا الشريف الذي لم يكن ظمئاً، حول الجرة يشربون دون أن يدعوني لأشاركهم وحينما علقت على هذا التصرف مع الشريف، أجابني بلهجة مرحة: «نحن بدو كما تعلم». أرسلوا على أي حال أحد الرجال على الفور ليحضر لي بعض الماء، وكافأته على ذلك بريال، على الرغم من أنني لم أكن أرغب في الشرب أصلاً.

وصلنا إلى موقع يرتفع فيه الطريق في حدة إلى أرض منخفضة عارية، ونحن لا نزال فوق المجرى الكثيف الأشجار، وقد تجرحت بجداول ضحلة صرفية تتلاقى في أبي صول. تسمى هذه الأرض السفلى الدنديفة^(٢) وتحمل ما لا يقل عن أربعة أعمدة حدودية على الشريط الذي يتجه شرقاً إلى سفح التلال الحقيقية، التي تنحدر فجأة إلى العمود الرابع في طبقة بارزة تميل من جهة الشرق إلى الغرب على زاوية (٤٥) درجة.

(١) العمود الحدودي أبو مشني يطلق عليه أيضاً اسم (معمل أبو مشني)، انظر: القباع، المرجع السابق، ص ٤١٩. (ابن جريس).

(٢) الدنديفة: أوردها فيليبي (دنادف) والاسم الصحيح هو (الدنديفة). (ابن جريس)، انظر: القباع، المرجع السابق، ص ٤١٩. (ابن جريس).

كان ارتفاعنا عند العمود الحدودي الأول (رقم ٢١١) حوالي (٣٥٠) قدماً وتمكنا من رؤية قرية حسم اليمنية إلى الجنوب والتي يتكون سكانها من جزأين أحدهما من حرض والآخر من قيس من الجانب السعودي. كان العمود الحدودي الثاني (رقم ٢١٠) على ارتفاع (٥٠) قدماً، في خلفية أشجار الضبر يتخللها شجر السلم والسمر على مسافة (١٠٠) ياردة إلى الشرق من الممر الذي يقبل من ناحية حرض عبر حسم ويمر بطريق المجروب إلى الخوبة. كانت أشجار البشام في وفرة وتمد السكان المحليين بالمسواك. بدا لي الناس هنا وهم بائسون العديد منهم يكاد يكون أعمى بأمراض عيون مختلفة، وكلهم مريض، وكلهم آسف، ولهم اعتراض متأصل لأي ضرب من الإجهاد الجسدي أو الإرهاق. كانت دهشتهم مسلية حينما أخرجت الترمس وقدمت لهم أكواباً من الشاي الساخن. كانت العلامة الحدودية الثالثة (رقم ٢٠٩) على ارتفاع (١٠٠) قدم أعلى من السابقة، وكانت عبارة عن كومة من حجارة تم جمعها من السهل وبالكاد يمكن التعرف عليها بأنها من صنع الإنسان. أمكننا من هذا الموقع المرتفع نسبياً، أن ننظر إلى الخلف إلى سلسلة عداية الدغاسة المجاورة لمنخفض القوباء غير أن العلامة الرابعة الدنديفة (رقم ٢٠٨) كان أعلى أكثر، حوالي (٥٥٠) قدماً فوق سطح البحر. كانت تقريباً عند أسفل التلال، وذات حدود واضحة مع السهل، وتجري بالفعل شمالاً وجنوباً في هذا القطاع لمسافة (٥٠) ميلاً.

كان العمود التالي واسمه الدويحي (رقم ٢٠٧) على الارتفاع نفسه كما كان سابقه إلا أنه يقف على العرن الفعلي لسلسلة بئر التي منها كان هنالك هبوط خفيف إلى العلامة الحدودية التالية واسمها امعاين^(١) (رقم ٢٠٦) التي تقف على

(١) امعاين: هكذا ينطقها السكان المحليون، مع أنها تلفظ أيضاً (المعاين). (ابن جريس).

الشاطئ الأيسر لوادي تعشر على ارتفاع (٤٠٠) قدم فوق سطح البحر. قامت لجنة الحدود بزيارة الموقعين وأقرت موقع العمود، وكان سليمان الحمد، حفيد وزير المالية، أحد أعضائها وقد خدم المملكة العربية السعودية، بينما كان ممثل اليمن يسمى عبدالمطلب. لم يكن الخط المستقيم الموصل بين العمودين هو الحدود، والتي -حسب ما تم الاتفاق على ذلك - تعد ممتدة من الدويحي حتى امتداد سنام -سلسلة هجرة النمر^(١) وهي الامتداد الشمالي لبنر، ثم إلى أسفل إلى الجانب الأيسر لوادي تعشر في أمعين. عاد عضوا اللجنة، بعد أن أشرفا على حل هذه المعضلة دون أن يحسا بإرهاق التسلق لارتفاع (٨٠٠) قدم فوق الانحدار الشديد، إلى ضيافة وكرم الشريف في وعلان، وفي الصباح عن طريق المجروب، قاما بزيارة أمعين. طفنا حول السلسلة بعد رصد موقع المجروب، الذي بدأ ظاهراً للعيان لأول مرة على الجانب الأيمن لتعشر الذي يفصل أرض الأشراف عن أرض التنابكة. يقع على يساره في نفس المنطقة العامة، قرية أبو الضبرة وبها سكان قليلون من قبيلة قيس، والتي كانت تخضع لليمن قبل تثبيت الحدود، غير أنها الآن حولت ولاءها.

أشرت إلى الشريف، قبل مغادرتنا الدويحي بأن الوقت قد دخل لصلاة الظهر، وأفادني أنه ليس من الشرع أن يؤدي المرء الصلاة دون وضوء إذا كان الماء متوافراً. كنت أعتقد أن رغبته الحقيقية هي الوصول إلى حماية وكرم قرية أمعين بأسرع فرصة، وذلك لأن أقرب موقع للماء (وهو وادي تعشر) يقع على بعد ساعة ونصف الساعة إلى الأمام من موقعنا. استغربت أن أجد إجابته غير مستساغة لدى

(١) هجرة النمر: يطلق عليها اليوم اسم (جبال النار). (ابن جريس).

بقية المجموعة، بما في ذلك حسن الفقيه، وذلك لأنهم اصطفوا جميعاً للتميم بالرمل وأداء الصلاة قبل مغادرة الموقع. لم يشترك معنا الشريف في هذا.

تنشق سلسلة هجرة النمر إلى نصف طولها بممر جميل يسمى الغاوية والذي يدخله رافد مسيل لتعشر. كانت الزاوية المحصورة بينهما أرضاً زراعية كثيفة من أسفل السلسلة إلى أعلى السلسلتين الخارجتين وهما منود وصلال واللتان تبدوان على بعد وكأنهما من حجر رملي. تحمل معظم الحقول ذات المتاريس بقايا حصاد المحصول السابق، إلا أنه توجد مساحات للدخن الأخضر حول قرية الغاوية الصغيرة. هبت رياح جنوية متوسطة القوة عند الظهيرة وقد حجب الضباب العلامات الأرضية البعيدة أثناء ما كنا نقرب من معسكرنا في أمعين. كانت هذه القرية على الجانب الأيمن للوادي بالقرب من قرية أصغر تحمل الاسم نفسه والتي تقع على الجانب السعودي قريباً من خط الحدود الذي يخترق المعسكر.

أمضيت ساعة جميلة بجوار عمود أمعين الحدودي وذلك قبل أن نعبر الوادي، وقبل الغروب كنت خلالها أقوم بتسجيل ملاحظاتي حول المحيط المجاور. كانت العلامة الحدودية مخيبة للآمال، كالعادة، إلا أنها وقفت بجوار عينة ممتازة لشجرة العدن وردية الأزهار، التي يضيق ساقها عند قاعدته الدرنية إلى رأس رفيع يرتفع إلى (١٠) أو (١٢) قدماً، يتم نقش الساق لاستخراج صمغها العطري. تنحدر صخرة شبه شستية رهيبه عارية إلى أسفل وبلا مقدمات من نهاية هجرة النمر إلى موقع يدخل فيه الوادي إلى سهل تهامة.

يأتي هذا الوادي في اتساع من ناحية الشمال الشرقي وفي هذا الاتجاه يكون المجرى مرئياً مسافة ميل واحد.

كان الوادي محاطاً من الجانبين بصخور عالية وتكوّن تلك التي تقع على الجانب الأيمن جزءاً من التل الشديد الانحدار الذي يسمى مريح أمعابن، والتي إلى جانب ربوة مماثلة تسمى مريح الشام (إلى الشمال) وعلى بعد (٥٠٠) ياردة إلى الشمال منها، وهو موقع معترف به كمكان تعسكر فيه القروء. لقد رأيناها هذا اليوم، في أعداد لا بأس بها، وذلك لأول مرة منذ أن غادرنا الساحل، إنها تقضي الليالي في هذه التلال في تجمعات كبيرة، وتقضي النهار ترعى أوراق الغابات في المواقع الخلفية المنعزلة إلى ما وراء الطرف الخارجي للصفوح الجبلية، أو أحياناً، بين محاصيل القرية.

ينحدر الوادي، خارج مجال رؤيتنا المحدودة إلى أعلى، بين تلي جحير (الجانب الأيمن) ومبعوثة. يوجد جدول جارٍ أو غيل فوق ذلك الموقع، -كما جاء في الروايات المحلية- وعلى امتداد المجرى الذي نراه على جانب الحدود، وهو ينساب بين جانبيين تكسوهما الشجيرات ويقال إن انسياب الماء مستديم، على أي حال، حتى وعلان على جانبه الأيسر وقليلاً بعد ذلك إلى ما يليها. قدرت عرض هذا الجدول من موقعي على الحدود، ويجري الجدول الآن أسفل الجانب الأيمن فوق مجرى حصوي. مسافة (١٠٠) ياردة وعمق ستة أقدام في بطن الوادي الرئيس. وتوجد أعلى هذا الموقع في انبعاث كبير للجانب الأيسر حيث يدور المجرى في المنحنى، بركتان بارزتان يطلق عليهما اسم (حجلة أمعابن) ومنهما اشتق اسم العمود الحدودي واسم القرية الصغيرة. لقد أضفنا جاذبية للمنظر كما يرى من هذا الموقع بحلقات مياههما العميقة ذات اللون الأزرق التي يبلغ عمقها (٢٠) قدماً. استمتعت عند الغروب بحمام ممتع في إحدى البركيتين وقد وجدت الماء دافئاً بسبب أشعة شمس النهار.

تنحدر الصخور هنا على زاوية (٤٥) درجة فوق طبقات محطمة وملتوية، بينما تكسر جزء كبير من الصخور التي تربط بين جبلي القروود وجرفت السيول جزءاً منهما. كانت تنتشر كسر من الصخور في المجرى، بينما توجد على جانبه، وفوق المنحنى، أكوام كبيرة من صخور وحصى ربما كانت بقايا سد قديم في الأيام السعيدة الخوالي حينما كان عرب هذه المناطق الجبلية مهندسي مياه عظام، وقد وظفوا مهارتهم لري مساحات واسعة من الأرض التي هي الآن مهجورة وقد غطتها الرمال. لقد ذكرت سابقاً أن وادي حررض مجرى جارٍ داخل حواجزه الجبلية، غير أنه جاف جداً، عدا أيام السيول، على امتداد مجراه عبر السهل. ينطبق الأمر نفسه على تعشر، وهو أقصى الأودية السعودية ناحية الجنوب. تصل مياهه إلى البحر فقط في أزمان يكون فيها السيل عظيماً، ويفيض في مثل هذه الحالة الوادي فوق مساحات معتبرة من السهل ويخصبها كلها، والتي يزرع القرويون عليها الدخن ومساحات من القطن. تنتج الأجزاء العليا والوسطى محاصيل جيدة حتى في السنوات ذات السيل العادي، علماً بأن كل الماء يتم استغلاله في قضاء حوائجهم وبالتعامل غير الماهر أيضاً، وذلك قبل أن تصل إلى القطاع الساحلي الذي تبرز مياهه تحت السطحية في مواجهة البحر لتكون المسطحات الملحية التي ورد ذكرها. لن يكون الأمر صعباً بالتأكيد عدا تمويله، لإعادة تشغيل السدود القديمة التي حافظت ووزعت الماء على أسس علمية للصالح العام الذي يعود على البلاد التي تقع إلى أسفل.

ينطبق هذا على العديد من الأودية التي ستزورها في وقت لاحق، وكذلك ينطبق الأمر على مجارٍ مثل وادي جازان، ووادي ضمد، ووادي بيش^(١) وربما

(١) وادي جازان، وضمد، وبيش تعد من أهم الأودية في منطقة جازان، ومنابعها تأتي من منحدرات جبال السروات الغربية وتوجه غرباً حتى تصب في البحر الأحمر. (ابن جريس).

أودية أخرى، أعتقد أن مساحة قابلة للزراعة وبها خصوبة كامنة، وفي حجم الدلتا المصرية تنتظر رؤوس الأموال العربية ومهندسي الري في المستقبل. ربما تكون ثروة النفط في شرق الجزيرة العربية هي الوسيلة لإمداد الساحل الغربي بالمياه التي تذهب هباءً بسبب عدم الاستفادة منها حينما تأتي بها السيول. لقد أزعجتني، -بصفة عامة-، حالة الفقر التي يعاني منها الناس في هذه الأجزاء، ويحدوني الأمل بالإمكانات العظيمة التي ستضع حداً لذلك.

رأيت زوجاً من طيور (أبو مطرقة) أثناء تجوالي في المجرى، وكانت تعشش هناك، حيث كان أحد الزوجين جالساً فوق العشة الضخمة، وهي مبنية في مكان بارز على الشجرة. كما كانت تحلق طيور سنيرد وادي النيل في أزياء زفاف رائعة بينما هبط سرب من حمام الصخور إلى الماء قبل حلول الظلام. رأيت وسمعت طائر العجلة، غير أن هذا أصبح الآن شائعاً، ولم ينقص إعجابي به منقاره الكبير المقوس الذي يقف عند نهاية جسم دقيق نسبياً، ولم ينقص إعجابي بطيرانه الصامت وتشكيه المتوجع. كانت البلابل وطيور البلاكستارت متوافرة أيضاً في الوادي الكثيف الأشجار بجوار الأثل والأراك والسمر ذات الأزهار البيضاء. كما رأيت زوجاً من البط فوق الماء واستمعت إلى أصوات العديد من الدجاج الحبشي في السفوح الجبلية. كنت استحم في الصباح الباكر في واحدة من البرك حينما فوجئت بصوت كأنه أمطار غزيرة. نظرت إلى أعلى لاكتشف أنه كان يصدر من وقع أقدام مئات الماعز وهي تمشي فوق الحصى لتصل إلى موقع الشرب.

كانت درجة الحرارة في الليل كما في الليلة السابقة (أدناها كان ٦٤ درجة)، وكان الجو صافياً في الصباح مما سمح بإلقاء نظرة على الجبال العالية. وأيضاً مما

يدهش له، رؤية براكين قمتين بالقرب من (أبو عريش) حوالي (٢٠) ميلاً من هنا. وقف بناء حسن الفقيه بارزاً بين منازل المجروب^(١) على بعد يقل قليلاً عن الميل الواحد. ويعتقد أن بني زين وبني عواجي التابعين لقريتنا، والسرداح الرباح، التي تقع أمامنا وقرى أخرى صغيرة بجوار الحدود، ما هي إلا أقسام لقبيلة التنابكة. تمتد الحدود أمامنا ناحية الشمال وتطوف بالسفوح الجبلية، إلا أننا نستطيع رؤية قمم كل من النقارة^(٢) وجحفان (داخل الأرض سعودية) وبينهما تجري الحدود ناحية الشرق فوق مجرى المغيالة^(٣). كان كل ما أمكننا رؤيته من الجانب الأيسر لوادي تعشر، بما في ذلك الغاوية ووعلان تنتمي إلى الأشراف. بدأنا السير على الأقدام فوق مساحة صغيرة من الجذامة تنتمي إلى قريتنا، وسرعان ما وصلنا إلى العلامة الحدودية على الطرف الغربي لتل القروذ الشمالي واسمه مرباح الشام (رقم ٢٠٥). كان عبارة عن كومة كبيرة وكسارة لصخور ملقاة بإهمال وبالكاد يمكن تمييزها بأنها من عمل الإنسان.

أخذ الزمام على الجانب اليمني قبيلة بني السيل من قبيلة بني حداد، بينما ظل التنابكة في موقعهم غرب الشريط، والذي فوهه وبعد مسيرة (٢٠) دقيقة أو أقل وصلنا إلى بلكات كبيرة من الصخر موضوعة حول تجويف داخلي عند طرف ممر ضيق حجري بين السفوح الصخرية المنخفضة. أخذ هذا الممر اسمه من السلسلة - ضلع المرباح أو باختصار ضلع (رقم ٢٠٤). قُدِّم إليَّ حمار قزم في

(١) المجروب: ينطق عند السكان المحليين (أمجروب). (ابن جريس).

(٢) النقارة: يطلق عليها اليوم اسم (جبل النقارة). (ابن جريس).

(٣) المغيالة: ينطقها السكان المحليون باسم (أمغيالة) واللفظ صحيح للاسمين، وسوف نستخدم كلمة (المغيالة) في الصفحات التالية. (ابن جريس).

هذا الموقع ليأخذني فوق طريق على أرض ميتة، منخفضة، صخرية ينمو فوقها نبات خفيف شحيح وشجيرات القطن عديمة الورق. امتدت حقول الجذامة التابعة لمجروب إلى حافة الصخور ولا يبدو عليها أنها مزدهرة. وصلنا على فترات قصيرة إلى علامتين حدوديتين باسم ضلع (رقم ٢٠٣ ورقم ٢٠٢) وتوقفنا قليلاً عند كل منهما نستمتع بالمنظر. رأيت حسناً وهو يتقدم في تلصص ليضيف حجارة قليلة من القفار المجاور لجعل الحجارة الثلاثة لعموده الحدودي تبدو بشكل أفضل، أما غير ذلك، فإن النقطة المهمة هنا هي قرية حجاج الصغيرة على بعد ميلين وهي ذات بناء جميل يسود على عشب التوتل وعشب الأعواد.

واصلنا سيرنا فوق البلاد الكئيبة على امتداد قاعدة موجة الصخر الغاطسة ووصلنا إلى عمود ضلع رابع (رقم ٢٠١) ووصلنا فيما يليه إلى عمود حدودي له خلفيات تاريخية. كان اسمه مقتلة ناصر (رقم ٢٠٠) وواضح أنه كومة حجارة قبلية قديمة تم تضمينه داخل الحدود الرسمية ويقف تذكراً للأيام الخالية لمقتل رجل يسمى ناصر من قبيلة بني حمّد، وقد قتله رجال قبيلة بني مروان. يسمى هذا العمود وكذلك العمود التالي بالاسم نفسه (رقم ١٩٩) ويقفان فوق أرض مناسبة، كان أولهما في وسطها، وكان الثاني عند الطرف الشمالي لسهل كثير الشجر، خاصة أشجار السمر ذات الأزهار البيضاء، إلى جانب عدد كبير من أشجار العدن. كانت هنالك بعض حقول دخن على الأطراف الغربية لهذا السهل تتبع لأهل المجروب وسرداح الرياح، بينما بدت بالكاد وعلى بعد ملامح قرية القفل الكبيرة على الشاطئ الأيسر لوادي لية^(١) وهو رافد مهم لوادي خلب.

(١) وادي لية في منطقة جازان يختلف عن وادي لية القريب من مدينة الطائف ناحية الجنوب. ووادي لية جازان يطلق عليه أحياناً وادي سامطة. (ابن جريس).

عبرنا بعد قليل فيما يلي هذا السهل مجرى وادي المنجارة الصعب الضيق، الذي يهبط من سفوح جحير ويتصل في نهاية الأمر مع وادي تعشر أعلى صامطة. وصلنا فيما يلي جانبه الأيمن إلى عمود المنجارة الحدودي (رقم ١٩٨) وهو كومة من حجارة كبيرة. كنا نصعد تدريجياً دون أن نحس بذلك، ونحن الآن على ارتفاع (٦٠٠) قدم فوق سطح البحر. كان الوقت ظهراً وحاراً تحت الشمس وقد أحضروا لنا الماء من قرية عواجي التابعة لسرداح الرياح، وقد سرني أن أجدهم هذه المرة يقدمون لي أول كوب منها. يتصل مسيل من سفوح شقدام مع المنجارة على مسافة نصف ميل تجاه أعلى الوادي في أرض اليمن تحت سلسلة عشة سعيد التي تمتد عبر الحدود، التي تجري إلى مضيق منخفض في وسطها وبه علامة حدود توضيحية (رقم ١٩٧).

لم يكن حسن الفقيه -الذي كان نشطاً في حرب عام ١٩٣٤م يحارب مع قوات الإمام في السفوح الجبلية حول عنم، على مسافة عشرة أميال شرق موقعنا الحالي عند المضيق- سعيداً فيما يخص خط الحدود في هذا القطاع من بنر شمالاً. كان رأيه أن يعد الخط من أبي صول إلى الطرف الجنوبي لسلسلة بنر ومن هناك على امتداد سنام سلسلة السفوح الجبلية الخارجية حتى هذا المضيق، وألح إلى أن اللجنة الحدودية بشقيها قد تناولت الرشاوي من القبائل اليمنية لتضع الحدود قليلاً ناحية الغرب. لم يكن الأمر يهم كثيراً إلا أن لحسن أحزانه الشخصية. كان يمتلك عقاراً في وادي تعشر تجاه أعلى الوادي بالنسبة للحدود، ولكي ينهي علاقته في اليمن فقد باع هذه الأرض. تقع قرية المنجارة الصغيرة التي يمتلكها بني الجراح التابعون للمروانيين، أسفل من موقعنا في الوادي على بعد (٥٠٠) ياردة وتبدو أنها في الجانب اليمني، بينما تقع قرية حداد السعودية (أو رزم السوداء) التي

يسكنها بني حدّاد وتحتوي على بناء واحد بين عشش الوتل ، قليلاً على يسارنا على الرافد الصغير الأول والذي يسمى وادي المغيالة .

نقلتنا الحمير الآن إلى السفح العكسي لعشة سعيد إلى حيث العمود الحدودي عطيانة (رقم ١٩٦) وهو كومة صغيرة من حجارة على قاعدة مربعة من صخر طبيعي فوق مساحة من أرض صخرية تزينها العديد من أشجار العدن التي يبدو أنها تعيش على أدنى درجات من التربة . قبلنا بعد خمس دقائق أخرى ، عند نهاية حقول زراعتهم بوفد من قبيلة الحكامية يرأسه شيخهم محمد حسن ضكام . أخذنا طريقنا بتوجيه منهم عبر المتاريس والحفر داخل حقولهم التي يسمونها عطيانة على الرغم من أنها تنتمي إلى قرية (أبو الرديف) التابعة للحكامية على مسافة (٥٠٠) ياردة إلى أسفل المنخفض الضحل الذي يضم كل القرية . يخترق خط الحدود ، كما قد رأينا حينما وصلنا إلى عمود التذكار غير الطبيعي الحدودي الذي يسمى فشالية (رقم ١٩٥) الذي يطل على القرية ، المزارع دون كياسة ويترك ثلثها داخل الجانب اليميني ، وهو امتداد طولي بحوالي (٥٠٠) ياردة إلى قدم تل المحمر الذي ينتج عنه المنخفض . على الرغم من هذا الوضع الغريب لشريط الحدود ، والذي كان يمكن رسمه ليتضمن كل مساحة القرية في مملكة واحدة ، فإن الحصافة الدولية قد تدخلت لتصدر حكمها بأن الحقول التي على الجانب اليميني ستعامل بكل الطرق خاصة فيما يختص بالضرائب كأنما هي واقعة داخل أراض سعودية مثلها مثل غيرها . ويمر مسيل (أبو جريدة) الذي ينحدر من سفوح المحمر ، إلى أسفل مباشرة فيما يلي العمود الحدودي إلى ري الحقول الأبعد إلى أسفل .

تقع القرية الصغيرة ذات البناءين ، أحدهما مربع والآخر مستدير ، وعششها المنتشرة على جانبه الأيمن ، إلى مسافة فوق موقع التقائه مع وادي المغيالة . كانت

قرية تبدو مزدهرة مقارنة بمعظم القرى التي كنا قد رأيناها وترتفع إلى (٨٠٠) قدم فوق سطح البحر.

يقف العمود الحدودي التالي واسمه عشة زيادي (رقم ١٩٤) على السلسلة البعيدة للمنخفض وتطل على بعض الحقول الخارجية التابعة لأبي الرديف. أمكننا رؤية الموقع الذي يخرج منه وادي المغيالة، أمامنا، من السفوح الجبلية لسيبدأ جريه عبر السهل، والذي يتصل فيه مع وادي تعشر عند قرية مجر أسفل صامطة. أفصح حسن الذي سئم من المسيرة وتكاسل عن غروره ليخبرني أن مجر على بعد مسافة ميل واحد، علماً بأن موقع لقاء المغيالة وتعشر يجب أن يكون أبعد من ذلك. نستطيع -حقيقة- رؤية قرية أم السلام^(١)، على بعد تلك المسافة وأم أعمود في منتصف الطريق إليها، وهما على مجرى أبو النورة^(٢)، الذي يتصل مع أبي جريدة في طريقه إلى المغيالة. يبدو أن الحكامية^(٣) من أصل بني مروان وقد لاحظت أنهم وآل مخلوطة في هذه الأنحاء يشبهون البدو في حضرموت باستبدال الكلام بالإشارة. لم أستطع التعود على هذه العادة، برغم أنه ليست هنالك وقاحة متضمنة. لقد وجدتها على أي حال، مزعجة جداً في حالة محمد، شيخ الحكامية، الذي كان شاباً غير جذاب يتعب قبل أوانه. ساورني الإحساس أنه لربما أضاف العجرفة لمآخذة الأخرى إذا تجرأ، وقد أمتعني بصفة خاصة أن أحفظه إلى جانبي كل الوقت خلال تلك المسيرة الكثيرة.

(١) أم السلام: تنطق أيضاً عند السكان المحليين باسم (أم أمسلام). (ابن جريس).

(٢) أبو النورة: ذكر فيلبي هذا المصطلح باسم (أبانورة) وهذا لفظ يستخدمه السكان المحليون، والأفضل استخدام كلمة (أبو النورة). (ابن جريس).

(٣) الحكامية: قبيلة معروفة سكنت أرض المخلاف منذ عهود قديمة، وظهر منهم رجال مشاهير في السياسة والعلم والفكر والأدب. (ابن جريس).

بدأ حسن يضعف تحت الضغط، وقد اعترف لي خلال الظهرية بأنه لم يحس بمثل هذا الإرهاق طيلة حياته كما حدث خلال اليومين الآخرين. كانت معلوماته الجغرافية -على أي حال- مفيدة لي، وقد تجاهلت استعراضه للكسل ومحاولاته الأخرى ليكون فظاً وقد تضخمت هذه بهيئة فمه المزموم الذي يوحى بالميل للبصاق. أعطيته عشرة ريالات هدية حينما افترقنا في المغيالة صباح اليوم التالي. وقد قبلها مني -لدهشتي- علماً بأنه قد رفض بحزم أن أقوم بدفع ثمن الشاة التي أحضرها لنا لوجبة العشاء تلك الليلة. أبرز هذا الغريزة الحقيقية للكرم، شريطة ألا تتعدى حدودها، وقد أعطيت ثمن الشاة على أنه هدية للخادم الذي أحضرها لنا. كان سعرها ريالين أو ثلاثة بعملتنا!.

كانت الساعة الثالثة مساءً حينما غادرنا عشة زبادي، وقد هب علينا نسيم منعش لطيف ونحن نعبر مجرى (أبو النورة) لنصل إلى العمود الحدودي أمطعس (رقم ١٩٣)، وقد اكتسب اسمه من قرية صغيرة بهذا الاسم على مسافة (٥٠٠) ياردة، تتبع قسم بني علي التابع للحكامة. كان العمود صغيراً غير أنه جيد البناء، على الرغم من أنه محاط بتلال منخفضة حجبت منظر المحيط المجاور عنا ما عدا عدداً قليلاً من حقول القرية، لم تكن قد زرعت حديثاً. سرنا من هذا الموقع إلى قرية محجن في انطباق للتلال مع حقول مستوطنتها الصغيرة التي تسمى بني جراح (مروان). يقف بجواره عمود آخر صغير، من مخلفات حدود قبلية قديمة، إلا أنه لم يكن ضمن علامات الحدود الرسمية.

حاول العديد من رفاقي، عند هذا الموقع التهرب، مفضلين الراحة في القرية على السير الصعب للوصول إلى عمود محجن الحدودي الرسمي، على مسافة

دون عشر دقائق، غير أنني أصررت على أن يواصل الجميع المسيرة معي. يخترق خط الحدود مرة أخرى منخفضاً تمتد في أعلاه مزارع محجن إلى حوالي (٥٠٠) ياردة داخل اليمن - غير أن هذه المعضلة قد تم التغلب عليها بالاتفاق بمعاملة هذا الجانب في كل الأغراض العملية كأنه جزء من المملكة العربية السعودية. لاحظت أن الحقول التي بدأ بعضها وهو أخضر بمحصول الدخن الجديد، تنتشر فيها الأكوام الحجرية، ليس كمواقع حدودية، بل كفضائيات لطرد القروء المتلصصة. كان عمود محجن (الرقم ١٩٢) من تسلسل الحدود ويقع تجاه الشرق لعمود القرية. هبطنا من السلسلة المنخفضة فيما يليه، ناحية الشمال، لنعبر وادي القماري، وهو رافد آخر للمغيلة، ينبع في الأراضي العالية حول النقارة، ووصلنا إلى عمود عشة الكيال (رقم ١٩١) على الجانب الأيسر لمجرى آخر هو وادي ضيب، ينبع من المنطقة نفسها. بدت التلال الحدودية التي تنهض في خطوط كفاية دائرية هناك من السلاسل المنخفضة المتموجة على جانب السهل، وكأنها قطع من الدلافين تغطس في بحر هائج.

استرحنا هنا بعض الوقت لتناول بعض المنعشات، وقدمت بعض الخبز للمجموعة، وذهب بعضهم إلى داخل حقول الذرة وعاد معه أكواز للذرة غير مستوية. كانوا يشوون هذه الرؤوس فوق نيران أعواد الدخن القديمة، ثم يضربون الرأس على الصخر لاستخراج الحبوب ويأكلونه نيئاً. تقع قرية القلقل والمفجر^(١) الصغيرتان، ومعهما مساحتهما المزروعة الصغيرة، على بعد نصف ميل من موقعنا على امتداد ضيب الذي عبرناه الآن لنصعد السلسلة المنخفضة المتعاضة التي تسمى عشة السرير إلى حيث العمود الحدودي (رقم ١٩٠) عند طرفها الجنوبي الغربي.

(١) القلقل والمفجر: يطلق عليهما عند السكان المحليين لفظ (أمقلقل وأمفجر). (ابن جريس).

كان اسم العمود التالي هو دمنة السيد^(١) (بثرة السيد)، ويقع على الجانب الآخر لمجرى السيد فيما يلي السلسلة، وبعد مسيرة على الأقدام مدة خمس دقائق وصلنا إلى موقع المعسكر على الجانب البعيد من وادي المغيالة نفسه عند موقع خروجه من السفوح الجبلية. استقر حرسنا المتقدم فوق قطعة نظيفة من أرض مسطحة بجوار العمود الحدودي (رقم ١٨٨) على مسافة (٥٠٠) ياردة اتجاه أعلى الوادي من أمشم^(٢) وهي قرية صغيرة تتبع بني حداد (مروان)، وسرعان ما بدأت أستكشف المحيط المجاور. كان كلا جانبي المجرى مغطى بأشجار السمر والضبر والعدن بكثافة إلى جانب نموات أخرى أصغر، وكان بطن الوادي معلماً بشريط طويل من برك صخرية متصلة مع بعضها بواسطة جدول مناسب رفيع. كان ارتفاعنا هنا حوالي (٦٠٠) قدم فوق سطح البحر وكانت دنيا الطيور ثرية كما في وادي تعشر. أصبت بالرصاص طائر وقواق أثناء الليل.

كان يعشعش في أغصان كثيفة الورق لشجرة علب. كما تحصلت على درسة الصخور. وجدت إلى جانب هذين (أبو مطرقة) وهو يعشعش بينما كانت العجلة بالطبع متوافرة إلى جانب طيور أخرى منها البلابل والشادي الأورفين والبلاستارت وصنفين من السنيبرد. يلبس أكثر الناس ثراء في هذه الأثناء معطفاً صغيراً أسود (بلا قميص) فوق الجزء الأعلى من جسمهم إلى جانب الخرق العادية فوق العورة. ويلبسون فوق رؤوسهم قلنسوة ضيقة من القش أحياناً تلف بعمامة.

(١) دمنة السيد: أطلق عليها فيليبي اسم (دمنة أمسيد) واستخدام اللفظين صحيح، ولكن سوف نستخدم لفظ

(دمنة السيد) خلال الصفحات التالية. (ابن جريس).

(٢) أمشم: لفظ سليم عند السكان المحليين، وهناك من يطلق على هذا المكان اسم (قرية النشم). (ابن

جريس).

يكون وادي المغيالة من هذا الموقع وإلى الشرق حدود الدولة، بينما يفصل خط داخل الجانب السعودي، ينطلق شمالاً من العمود الحدودي قبيلة بني حداد تجاه الغرب عن بني الحرث، في بلاد ذات سفوح جبلية كثيفة الأشجار، كان السفر منها متعة، على الرغم من أن المسيرة كانت أحياناً مرهقة، وذلك بعد مسيرتنا الكثيرة على حافة السهل. لم يصل شيوخ بني الحرث إلى المعسكر حتى منتصف الليل، ولم نكن نحن في عجلة من أمرنا لنبدأ صباح اليوم التالي. أخذت حماماً جيداً في إحدى البرك ووجدتها مليئة بالسماك كان بعضه بأحجام معتبرة. تنحدر صخور الجوانب في طبقات تميل على درجة ٢٠، وكان بطن الوادي، وهو أيضاً من الصخر، ينحدر في مدرجات واضحة أملتتها حركة المياه المتواصلة. تكون سلسلة سرير الجانب الأيسر للوادي، وتكشف عن وجه جلمود يرتفع إلى (٣٠٠) قدم، وينحني بعنف تجاه الشمال مسافة نصف ميل تجاه أعلى الوادي من معسكرنا، على الرغم من أن الوادي يواصل مرة أخرى مجراه شرقاً ويتلقى على جانبه الأيمن مسيلاً رافداً لينحدر من السفوح الغربية لجحفان.

وجدت تذكاراتاً صغيراً في منحني المجرى، لعله قبر وجيه محلي ويتكون من كتلتين كبيرتين من صخر تفصلهما مسافة خمس خطوات وارتفاعهما ستة أقدام وثلاثة أقدام ونصف القدم. يملأ الفراغ بينهما صف مستقيم من فتات صخور صغيرة، بينما اتصل بهما من جهة الشمال خط مشابه إلا أنه مقوس وكانت المسافة بين الخطين عند الوسط قدمين أو أكثر بقليل. لم أستطع استنباط أي معلومات حول هذا الشكل، بالرجوع إلى مرشدي. وصلنا بالقرب منها حيث ينحني الوادي جهة الشرق إلى صخرة ارتفاعها (١٠٠) قدم من الطين السفحي على الجانب

الأيمن، ثم إلى العمود الحدودي المسمى مير علياً^(١) (رقم ١٨٧). اتسع الوادي من هذا الموقع وتسطح أثناء مغادرتنا للمركز الصلد الخارجي للسفوح الجبلية إلى الخلف، ودخلنا منطقة السفوح الجبلية نفسها، وهي أرض متدرجة تكسوها غابة كثيفة خضراء وشجيرات وأشجار صغيرة. يدخل إلى هذا المثلث الواسع، وادي ثميرة من الغابة ناحية الشمال عند موقع يعلمه العمود الحدودي (رقم ١٨٦) والذي يسمى أم لبدة وعلى ما يبدو فإنه يعلم النهاية اتجاه أعلى الوادي لوادي المغيالة الجاري بالفعل. لم تكن النهاية مع اتجاه التيار، حسب علمي، أسفل كثيراً من قرية أمنشم الصغيرة، إلا أن الجدول الجاري يعود للظهور على فترات في المجرى مع موقع التقائه مع تعشر.

واصلنا سيرنا فوق مجرى المغيالة، وقد تجمعت القروود من الجوانب من حولنا وهي تشفي غليلها على شجيرات الغابة التوتية الثمار، ووصلنا بعد (٢٠) دقيقة إلى العمود الحدودي جهر العبد (رقم ١٨٥)، على الجانب الأيمن داخل أجمة طلع كثيفة. تقابلنا هنا مع وفد شيوخ عواجي الذين كنا قد غادرنا أراضيهم وراءنا غير أنهم رأوا من الضرورة الاعتذار لنا حول فشلهم في الترحيب بنا أثناء مرورنا خلال أراضيهم. كانوا متغييبين في الخوبة، حيث جمعهم ضابط المنطقة لمناقشة أمور محلية مع شخصية مهمة هو عبدالله بن الوزير، حاكم الحديدة وتهامة اليمن، والذي كما ورد من قبل، كان في زيارة في هذا الوقت لحاكم جازان فيما يتعلق

(١) مير عليا: هذا العمود الحدودي بين السعودية واليمن ذكره فيليبي باسم (منبر عليا)، مع أن بعض الوثائق والمراجع التي ذكرت الحدود بين السعودية واليمن ذكرته باسم (مير عليا)، وهذا ما سوف نستخدم في هذا الكتاب، انظر. القباق، المرجع السابق، ص ٤٢١، آل زلفه، عسير في عهد الملك عبدالعزيز، ص ٢٨٧. (ابن جريس).

بأمر منبثقة من المعاهدة. لقد رافقونا الآن إلى معسكرنا التالي وأخبروني أن تل جحفان، الذي تكشف صخوره الصلبة على جانبه الشرقي عن توضيح ممتاز للتكوين الطبقي لهذه التلال الخارجية، يحمل على قمته أطلال قلاع قديمة تعزوها الروايات المحلية إلى قبيلة بني هلال.

كانت نقطة توقفنا التالية هي عمود جاضع أسفل آل أمرحاً^(١) (رقم ١٨٤)، والذي يدل اسمه الطويل أنه مشتق من قرية رحا إلى الأمام منا، وكان عبارة عن حصي قليل منتشر على هيئة النسر على الأرض، التي تكونه. كان العمود على الجانب الأيمن مثله مثل أعمدة المغيالة حتى الآن، للمجرى المتلوي الحصوي الذي كنا قد عبرناه، ثم أعدنا عبوره عدة مرات لتقويم خط مسيرتنا. أصبحت البلاد مزدهرة أكثر وأكثر ونحن نخترقها وهي الآن غابة من أثل ومظ وسمر وسلم وضبر وأراك ونباتات الغلظة الطفيلية الزاحفة - تجمع عظيم لغطاء نباتي وكثيف ويمكن العبور فقط على مجرى الوادي نفسه. وصلنا بعد (١٥) دقيقة إلى عمود متلع (رقم ١٨٣) أيضاً على الجانب الأيمن وقليلاً أسفل بركة كبيرة في المجرى، وفوقها ثقب مائي مستديم، ماؤه ممتاز. كانت هنالك راعية شابة وصبي صغير وهما ينعشان أنفسهما حين وصولنا، ورأيت في شجرة حمرة قريبة (تمر هندي) زوجاً من الحمام الأخضر.

تمكنا الآن من منظر ممتاز للتل الهرمي البارز الذي يسمى عنم، والذي كان قد أشير لي نحوه في معسكرنا في المثعن. أنه يشرف على كل هذه الأرض الكثيفة

(١) آل أمرحاً: يطلق عليها أيضاً عند بعض السكان المحليين اسم (آل الرحان)، مع أن المراجع والوثائق التي أشارت إلى حدود السعودية واليمن ذكرتها باسم (مفجر جاضع أم مرحاء)، انظر. القباع، المرجع السابق، ص ٤٢١، آل زلفة، المرجع السابق، ص ٢٨٧ (ابن جريس).

الغابات في عظمة منعزلة وقد ارتفعت سفوحه المغطاة بالأشجار إلى (٥٠٠) قدم فوق المستوى العام. كانت العلامة الحدودية التالية وهي المضه (رقم ١٨٢) مجموعة حجارة كثيفة عند قدم ربوة صغيرة تقف على مسافة (٢٠٠) ياردة إلى الوراء من الجانب الأيمن للمجرى، وأهم نقطة لافتة للانتباه هي أن بوصلتي بدأت تعمل بشكل غريب بتأثير البازلت الذي يتخلله الكوارتز الذي يتكون منه التل. عدنا فوراً إلى مجرى مغايلة، ووصلناه عند موقع ثقب ماء أنصار قليلاً أسفل موقع تدفق رافد صغير لشعيب إيحار من سلسلة تحمل الاسم نفسه على مسافة من الجانب الأيمن. رأيت وحاولت الإمساك بطائر الوقواق إلا أنه اختفى بهدوء داخل أجمة أشجار الغلظة. وصلنا إلى مسافة قليلة تجاه أعلى الوادي إلى بركة مياه راكدة عند قدم كوارتز ضيق والذي وقف فوقه العمود الحدودي التالي (رقم ١٨١) وهو كومة حجارة جيدة من كسارة الكوارتز ويسمى المحرم (أمحرم) أم صبايا^(١). انتشرت هذه الربوة وغيرها في الجوار وارتفعت إلى (١٠٠) قدم فوق مستوى السهل.

تقف على مسافة (٥٠٠) ياردة عشش قليلة من الأعواد تابعة لمستوطنة القيم التي يسكنها الرعاة الذين ينتمون إلى قسم بني الجراح التابعين لقبيلة بني مروان، على الجانب اليمني من خط الحدود. توجد هنا ثقب مائة عديدة في بطن المجرى الرملي مع أحواض طينية ضحلة لتشرب منها الحيوانات. يدخل مسيل شعيب عسمي الصغير إلى المجرى من الجانب اليمني، ويجري من هذا الموقع وإلى مسافة

(١) المحرم (أمحرم) أم صبايا: هكذا ذكرها فيليبي مع أن بعض المراجع والوثائق التي ناقشت الحدود بين السعودية واليمن ذكرتها باسم (خلقة محرم صبايا)، انظر: القباع، المرجع السابق، ص ٤٢١، آل زلفه، عسير في عهد الملك عبدالعزيز، ص ٢٨٧. (ابن جريس).

أعلى، جدول نحيل من مياه الغيل وهو يتقطع مع وجود برك صغيرة من حين لآخر. كان مجرى المغيالة مبطناً بجدران من الصخر على شكل الألواح (ربما شستية) ولونها بصفة عامة داكن مع شرائط بيضاء أو حمراء. توقفنا هنا لتناول المنعشات الاقتصادية المكونة من الخبز والشاي ولأداء صلاة الظهر. كانت بقعة جذابة وتفضلها، فيما يبدو طيور الدرسة الصخرية وإلى جانب هذه فقد رأيت بعض طيور الشقراق الحبشي. وقف عمود حدود حد الحميضة (رقم ١٨٠) في الجوار، وعلى مسيرة عشر دقائق على الأقدام إلى أعلى منه يوجد عمود حدودي آخر واسمه مفجر المحدق (رقم ١٧٩) عند موقع الانسياب الداخلي لمسيل أم باب الصغير^(١) الذي ينحدر من التلال التي تقع إلى الشمال. كان الجدول الجاري مناسباً، غير أنه استمر إلى ياردات قليلة فوق هذا الموقع.

كان مجرى الوادي منسداً تماماً بكثافة الأشجار والشجيرات، مما دفعنا للذهاب عن طريق شعيب محدق الدائري، وهو رافد ثانوي على الجانب السعودي والذي كان يوجد في مجراه كثير من الالتواء، مياه راكدة غير متحركة إطلاقاً. تركنا هذا المسيل لتسلك إلى أرض كثيفة الجنبات وشائكة إلى هضبات منخفضة والتي عن طريقها رجعنا مرة أخرى إلى الوادي الرئيس بجوار عمود الدهشيلة^(٢) الحدودي (رقم ١٧٩ أ) إلى الخلف قليلاً من الجانب الأيمن. كان المجرى لا يزال مختنقاً بالنمو التحتي للنباتات، ولزمننا الجانب المرتفع من الأرض، وهي أرض عارية، متدرجة، إلى أن عبرنا مسيل المفجر نشافة قليلاً أعلى موقع اتصاله مع المغيالة،

(١) أم باب الصغير: يطلق عليها عند بعض السكان المحليين أيضاً اسم (الباب الصغير). (ابن جريس).

(٢) الدهشيلة: هذا العمود الحدودي ذكره فيلبي (دهشيلة)، والاسم الصحيح ما ذكرنا. انظر: القباغ، المرجع

السابق، ص ٤٢١. (ابن جريس).

التي دخلنا إليها مرة أخرى فوراً فيما بعد لنسير فوق قسم آخر من المياه الجارية. كان المجرى هنا ضيقاً ويقع بين منحدرات سهلة تكسوها الحشائش والنمو التحتي وبعض الأشجار. رأينا بالفعل بعض الغزلان تنطلق بعيداً ونحن نقترّب، وسرعان ما تملكنا الحماس للبحث عن بومتين كبيرتين بنيتين - ربما البوم قصير الأذن - كنا قد أزعجناهما بدخولنا مخبأهما الهادئ. لم ننجح في ذلك. وكان علينا مغادرة الوادي مرة أخرى بسبب الموانع الطبيعية لنبحث عن العمود الحدودي التالي خلفه أم سبابة (رقم ١٧٨) وهو يقف على مسافة نصف ميل إلى الخلف من المجرى. يمكن رؤية عدد من القمم العالية من هذا الموقع داخل وتر واسع كانت قمة عنم أحد نهاياته. وقف إلى جواره محجم وسلسلة كبيرة حادة القمة تسمى شعاراً ولها قمة عند كل من الطرفين. يبدو أن هذا الشريط من الأراضي المرتفعة تكون نظيراً داخلياً في هيئة سلسلة التلال الخارجية، وتبدو البلاد بينهما كما تشاهد من هذا الموقع، وكأنها غابة.

انحرفنا عائدين إلى المغيالة، دخلنا المجرى مرة أخرى لنسلك مياهه الجارية مارين بتتابع من البرك ينحدر من خلالها. أوصلنا هذا المجرى إلى عمود عبادية الحدودي (رقم ١٧٧) وقد اكتسب اسمه هذا من حقول تتبع قرية صغيرة على الجانب اليميني من المجرى. يوجد ثقبان مائيان في بطن السيل الجاف لحياض أم سودة، ولما كان موعد غروب الشمس قد شارف، فقد قررنا أن ننتهز هذه الفرصة ونعسكر بجوارهما لفضاء الليلة. كانت الأرض على الجانب اليميني ملائمة أكثر لإقامة المعسكر، وعليه فقد قضينا ليلة مريحة في تلك الدولة. كان ارتفاعنا حوالي (٨٠٠) قدم فوق سطح البحر ولم يكن هنالك ندى، غير أن المرء يحس برطوبة

واضحة في ساعات الصباح الباكر، ويعزى ذلك بلا شك لوجود الغيل الجاري. تقع في مقابل قرية العبادية الصغيرة وعلى الجانب السعودي، قرينا الحضن والقائم وليستا بالبعيدتين، لا توجد آثار لحياة البشر فيما عدا ذلك، بينما توافرت القروذ ويبدو أنها تعيش في هذا الموسم بتناول ثمار المظ التوتية. كانت الحشرات نادرة بشكل مدهش في هذا الموقع كما في مغايلة إذا ما اعتبرنا كمية الغطاء النباتي، غير أن هذا قد يعزى لحقيقة أننا في الليالي ذات القمر المكتمل.

ذهب محمد بن طراد شيخ قبيلة (بني الحرث) بعد غروب الشمس إلى قرية يمنية وعاد معه قحف كبير مملوء باللبن خاصة لي ومصحوباً بتوكيد متشدد برغبته في خدمتي بكل وسيلة ممكنة. لقد كان وبكل تأكيد لطيفاً ودمناً أثناء النهار غير أن أخطر مآخذه أنه يجهل بدرجة مدهشة بلاده. لقد عوّض عن ذلك بأن أحضر معه رجلاً يعرف الأرض جيداً، وأشك أننا كنا نستطيع الوصول إلى كل الأعمدة الحدودية لولا مساعدته، أو حتى أن نستدل على طريقنا حول العقبات العديدة المختلفة التي واجهتنا. يعود أصل الحرث إلى حارث بن عباد. قيل لي إن هذه حقيقة يدركها كل حارثي منذ مولده، وهذا كان كل ما في الأمر. كانوا يجهلون تماماً أصلهم أو علاقاتهم مع سلفهم، فيما عدا روايات محلية غامضة بأن قبيلتهم قد جاءت إلى هذه الأنحاء من جهة الشمال وليس من اليمن. لذلك من المحتمل أن يكونوا من أصل قحطاني. تنتمي القرى الصغيرة على جانبي الخط الحدودي إلى آل بني مروان. فقبيلة بني جراح تقع على الجانب اليمني، وعبادل تقع على الجانب السعودي. وتشتهر قبيلة ابن جرح بكثرة اللصوص، غير أن الليلة مضت بسلام فيما يخصنا نحن. كانت كما أذكر هذه أولى ليالي الشهر التاسع لرحلاتي،

وأطول الرحلات العربية التي قمت بها، غير أنها تشارف نهايتها الآن^(١). كان اليوم هو ٢١ يناير، وبقي على الحج شهر واحد، أتمنى أن أدركه بالعودة إلى مكة. تتجه الحدود شمالاً مرة أخرى من هذا الموقع عبر بلاد الغابات عند قدم سلسلة شععار، التي تقع بكاملها في أرض يمنية على يميننا، وتجري سلسلة الجبل الرئيسة شمالاً وجنوباً من ورائه مع قمم أخرى من حين لآخر مثل ذويب الظاهر ومفتاح وقد وضحت شاحبة خلال الضباب.

بدأنا رحلتنا عند الساعة ٩ صباحاً وغادرننا قرية الحضن تاركينها على يسارنا لنصل إلى عمود بمعطب^(٢) الحدودي (رقم ١٧٦) في وسط أرض كثيفة الأشجار، والتي كانت صخورها المكشوفة من الشست المايكا مع وجود عروق متكررة وبروزات من الكوارتز. كان العمود الحدودي التالي مرئياً ناحية الشمال بين موقعنا فوق سلسلة مرتفعة إلى حد ما تفصل بين رافدي المغيالة - هما وادي ابن عبدالله من جهة الشرق^(٣)، ويتصل مع المجرى الرئيس فوق معسكرنا ووادي سمسري على الجانب الآخر، والذي لا بد أن يكون عمقاً عالياً لمفجر نشافه. يطلق على هذا العمود الحدودي اسم بمعطب الشام (رقم ١٧٥) لتمييزه عن العمود التالي واسمه بمعطب اليمن (رقم ١٧٤) فوق سلسلة مماثلة أمامنا. يجري مسيل المهد بين

(١) استغرق فيليبي قرابة تسعة شهور في رحلته منذ خرج من بلدة السليل ووادي الدواسر متجهاً إلى مكة المكرمة، ثم عودته إلى مناطق عسير، ونجران، وبلاد حضرموت، ثم عودته إلى نجران مرة أخرى، وواصل سيره إلى جازان وأخيراً عاد إلى مكة المكرمة مرة ثانية. (ابن جريس).

(٢) بمعطب: ذكر فيليبي هذا العمود الحدودي باسم (أبا معطب)، والصحيح ما ذكرنا، انظر: القباق. المرجع السابق، ص ٤٢١. (ابن جريس).

(٣) وادي عبدالله يسير ضمن وادي حررض، وفي موقع يسمى الفج أو (أمفج) ينفصل هذا الفرع حاملاً اسم (وادي عبدالله)، ويستمر وادي حررض نفسه جاريًا في البلادين السعودية اليمنية. (ابن جريس).

هاتين السلسلتين، والذي يجري إلى أسفل ناحية الغرب ليتصل مع سمسري، بينما تبدو سلسلة المسيل الآخر - لقد تسلقنا في هذا الموقع إلى (١٤٠٠) قدم فوق مستوى سطح البحر - مكونة مستجمع الأمطار الذي يقع بين نظام المغيالة وخط صرف وادي لية، الذي أمكننا رؤيته أمامنا وعلى مسافة معتبرة أسفل موقعنا. ينحدر شعيب إبحار وقد ورد أنه رافد المغيالة من هذه السلسلة وينساب ناحية الشمال الغربي حتى تغير اتجاهه انطواءات الغابة غرباً أو ناحية الجنوب الغربي إلى داخل الشريان الرئيس. ينبع شعيب المسيار أيضاً من هذا الموقع وينساب على امتداد قاعدة سلسلة قميره في طريقه ليتصل مع لية عند موقع خروجه من السفوح الجبلية. يقال إن وادي لية نفسه ينبع من جبل مران المرتفع في سلسلة السراة الأصلية ويدخل في نهاية المطاف في سهل تهامة، بين النهاية الشمالية لجحفان والنهاية الغربية للرميح، الذي تكون سلسلته الطويلة الجانب الأيمن للية إلى مسافة إلى الخلف.

من هذا الموقع تمكنت من التقاط منظر شمولي للتركيب الجغرافي لهذه البلاد -خط خارجي من تلال- يتراوح ارتفاعها في المتوسط إلى (١٥٠٠) قدم فوق سطح البحر عند قممها وتجري شمالاً من أسفل حرص، ثم داخل هذا الحاجز تكون التلال الكثيفة الأشجار أحواض الأودية الرئيسة -تعشر، والمغيالة ولية- وتصل إلى قاعدة الحاجز التالي الداخلي الذي يصل ارتفاعه في المتوسط إلى (٣٠٠٠) قدم فوق سطح البحر ويتضمن عنم وشعار وغفير. . إلخ، ومن خلف هذه تأتي كتوف والجدار الرئيس للسراة نفسه، والذي يسمونه هنا ساق الغراب^(١).

(١) ساق الغراب: يطلق هذا الاسم أيضاً على المرتفعات السروية الممتدة من نجران جنوباً حتى الطائف. (ابن جريس).

أمكننا التعرف على القمة أقصى الشمال وهي شدى، وبجوارها النظير وحرم على يمينها ثم مران وطلان^(١) مع بعض المرتفعات المماثلة والتي لا أذكر أسماءها، ثم إلى أسفل عبر الغولاء ومفتاح إلى ذويب وجريز إلى الشرق من حرص. كما أمكننا رؤية مجرى قصب فيما يلي سلسلة الريميح، وهو رافد للية وينحدر من تل مرتفع يسمى الحماطة على الجانب اليميني من الحدود. يواجه تل دخان الحماطة من الجانب السعودي ويطل على الخوبة.

رغب رفاقي في التوقف في الحضن للشرب بعد عشر دقائق من بداية الرحلة، وقد رفضت ذلك، برغم أن المياه قد أحضرت لنا عند هذا العمود الحدودي، حيث قضيت ساعة أستوعب كل تفاصيل المنظر العام، مع كوب من الشاي وجليون التبغ ككماليات تلائم هذه المناسبة. علمت، بالمناسبة، أن الحرث (أيضاً حوارثه) على الجانب السعودي للحدود يتبعون قبيلة الهزاهيز، بينما قبيلة أخرى منهم وهي أم عقارب^(٢) تحتل شعاراً والسفوح الملاسة على الجانب اليميني. كان العمود الحدودي بجوار معسكرنا، حقيقة، نقطة لقاء ثلاثي للقبائل. ويفصل بنو الحرث السعوديين من أخوالهم في اليمن ويفصل هؤلاء عن بني الجراح المروانية. كنت مندهشاً بأمر عمود عتبه الحدودي، لأنه ليس موضوعاً فوق القمة الفعلية للسلسلة، إذ إنه يقف على مساحة (٢٠) قدماً أسفلها. توضيحاً لهذا فقد

(١) طلان: اسم جبل في بلاد اليمن، وهو يختلف عن جبل طلان الذي يوجد في ديار بني مالك من أرض فيفاء. (ابن جريس).

(٢) أم عقارب، أو (أمعقارب) تلفظ وتكتب أيضاً (العقارب)، وجميع هذه الألفاظ صحيحة، ويستخدمها سكان تلك البلاد. (ابن جريس).

قيل لي إن لجنة الحدود لم تر أنه من الضرورة التسلق فوق هذه السلاسل العالية، وقد سلكوا الطريق المنخفض بمحاذاة الأودية الداخل إلى مسيار ومنه إلى لية. ترك أمر وضع العلامات الحدودية للبدو الذين رافقهم موظف ثانوي، اسمه عبدالله بن شرقة الذي كنا قد قابلناه في وظيفة ضابط منطقة في بلاد بني مالك.

استغرق وصولنا إلى نهاية السلسلة حوالي (٢٠) دقيقة لنفحص عمود الكامح^(١) الحدودي (رقم ١٧٣)، فوق هضبة منخفضة تطل على الغابة إلى أسفل، والتي هبطنا إليها بمقدار (٤٠٠) قدم. كان يوماً لطيفاً ذا سحب مع نسيم متقطع، غير أن الزحف أعلى وأسفل السفوح الشستية الصعبة في هذه التلال ذات الغابات إلى حيث عمود قائم بشير^(٢) الحدودي (رقم ١٧٢) كان مرهقاً. كان العمود يقف في وسط بلاد متدرجة منخفضة تخترقها خطوط صرف عديدة وتكسوها نموات أدغال مزدهرة متفياً نباتاً يسمى ظهية أو رنفة لم ألاحظه من قبل. كانت هذه الأرض أرض مراعي ممتازة وقد شاهدت مجموعات من الأبقار في الجوار خاصة في حوض شعيب الخويريم الضحل الذي ينحدر من قميرة ويمر إلى الشمال من هذا العمود ليتصل مع شعيب المسيار. يقع بالقرب من قبر أحد الرعاة، ويبدو كأنه تذكاري مبني من ألواح ضخمة من الشست. بادلتنا التحية، أثناء جلوسنا هنا، فتاة لا يزيد عمرها عن (١٢) أو (١٣) سنة ترافقها شقيقتها الصغرى، تركتا أبقارهما ليعاينا هؤلاء الدخلاء ولم تبديا أي علامة من خجل أو خوف. كانتا

(١) الكامح: يطلق عليه أيضاً اسم (الكامح أمروي)، انظر: القباع. المرجع السابق، ص ٤٢٢. (ابن جريس).

(٢) عمود قائم بشير: يسمى أيضاً (عمود نصف قائم بشير)، انظر: القباع، المرجع السابق، ص ٤٢٢. (ابن جريس).

تلبسان قبعات عريضة الحافة، عالية التاج من الخوص، وكانت ابتسامة الفتاة الكبرى جذابة، كاشفة عن طقم كامل لأسنان بيضاء، وأضافت طرفة عين ضاحكة. بدت في تناسقها وكأنها تمثال منغولي ذو نظرة محترمة بعيدة. لقد أقبلتا من قرية عرقين اليمانية وتتميان إلى قبيلة ابن حداد. أعطيناها خبزاً، وصببت كوب شاي لكل منهما دون تحذيرهما أنه ساخن، كانت دهشتها شيئاً جميلاً.

عبرنا منخفض برا العريض فيما يلي الخويريم، وهو أيضاً رافد لمسار الذي كما قالت الفتاتان، ينساب ليس إلى لية وإنما إلى إبحار ومنه إلى المغيالة. لم أقتنع تماماً بما ورد عن هذه النقطة المهمة جداً، واكتفيت بأن أورد كلا الروايتين. وصلنا إلى كومة من بلكات كوارتزية بعد سيرنا فوق سفح كثير الشجر، موضوع فوق بروز من الصخر نفسه، تمثل عمود ضُبيرة الحدودي (رقم ١٧١)، وقد اكتسب اسمه من قرية ضبيرة التابعة الهزاهيز على مسافة نصف الميل ناحية الجنوب الغربي بالقرب من الجانب الأيسر لوادي لية. نستطيع الآن رؤية الموقع الذي تم اختياره لمعسكرنا هذه الليلة وقد حدده رفاقنا الذين كانوا في صحبة العفش على الأودية السفلى. كان المعسكر يقع على الجانب الأيمن لوادي لية بالقرب من هضبة منخفضة تسمى جعوة ابن خضرة، ونستطيع رؤية المجرى وهو يدور ناحية الغرب من موقع قريب من ضبيرة، ليتصل مع وادي صامطة الذي يأتي من قدم سلسلة الريمح، قبل أن نعبر إلى السهل إلى الشمال من جحفان. تقع فيما يلي معسكرنا قرية الجراحيات بينما تقع قرية تسمى المعاین^(١) على مسافة الميل الواحد إلى الشمال. وصلنا بعد مسيرة (٢٠) دقيقة عبر الغابة إلى مجموعة من برك راكدة

(١) المعاین: فليبي يذكرها أحياناً (أمعاین)، وكل من اللفظين صحيحين. (ابن جريس).

عند موقع التقاء شعيب جلامين مع وادي لية، الذي كان به جدولاً جارياً. كان موقع الالتقاء الفعلي معلماً بنتوء يرتفع إلى (٢٠) قدماً من صخر طبيعي، والذي منه أُلقيت نظرة على المجريين ناحية الشمال الشرقي وناحية الشرق بالتوالي. كان بالقرب منه عمود حشيرو الحدودي (رقم ١٧٠) على قمة الربوة المسطحة الكثيرة الشجيرات والتي منها اشتق الاسم. يبعد معسكرنا حوالي (٢٠٠) ياردة وقد وصلناه عند الساعة الخامسة مساءً بعد نهار قصير ومثير. كان رفاقي، مثلهم مثل كل الناس في هذه البلاد الجبلية، مدمنين -عادة- مضغ البرتقال ويمكن متابعة طريقنا عبر الحدود بيسر بما بصقوه من قطع حمراء أثناء مضغهم.

امتلأت السماء بالسحب وقد تتابعت قطرات من المطر بالفعل في المساء، ثم تجمعت السحب أكثر في وقت لاحق وأصبحت مهددة لنا. لا بد وأن تكون التلال المرتفعة تحت المطر، غير أن ليلتنا قد عبرت دون هطول المطر، ولم يكن هنالك ندى. لم تكن هنالك حشرات، برغم السحاب، أو أن ضوء مصباحي الساطع لم يجذبها. عوضت حشرة واحدة عن غياب البقية. كانت تلك هي البعوض التي لم تكن موجودة كثيراً خلال هذه الليالي إلا أنها الآن ظهرت بأعداد خيالية وفي حالة شرسة بالفعل. كان من المستحيل الابتعاد عنها حتى بعد إطفاء الضوء وقد واصلت نهبها إلى ما بعد الفجر. تم تعريف العينات التي قمت بجمعها هنا فيما بعد على أساس أنها (*Anopheles gambiae*) التي كانت تعرف من قبل في جدة وفي محمية عدن بكونها حاملة للملاريا. ولما كان وادي لية يقع في منتصف الطريق بين هذه النقاط، فيمكن الافتراض أن هذا النوع يوجد حينما كانت الظروف مناسبة له، على امتداد الطريق إلى أسفل إلى منطقة الساحل.

وقع محمد بن طراد فريسة للحمى أثناء الليل، غير أن هذا لا يمكن أن يعزى إلى ظهور زواره الحاليين من البعوض، والتي لا بد أن تكون قد خلفت بعض سمومها داخلي كما سأروي في وقت لاحق. كانت الطيور متوافرة هنا وفي كل مكان وقد تضمنت حقيبة العينات طائر الدج الصخري، والحمامة الصحراوية، والجشنة ودرسة الصخور. كان هذا الأخير متوافراً كما لاحظت، غير أنني لم أستطع صيده، طائر صائد ذباب الجنة. لا تزال من حولنا بكميات كبيرة طيور أبو مطرقة والعجلة والشقراق الحبشي، كما اصطدنا طائر السمنة داخل محاصيل قرية صغيرة بالقرب منا.

أعدت قراءة بريدي الذي وصلني من الوطن أخيراً، وما استطعت الاطلاع عليه من الصحف المتراكمة معه، وذلك لاستحالة انشغالي بدراسة النجوم. صحوت من النوم لأجد منظراً طيباً للجبال وقد مرت العاصفة فيما يبدو، وما أن أكملت اختبار رفاقي فيما يخص تعريف القمم المختلفة حتى تجمع السحاب مرة أخرى وحجب الرؤيا. أرسل محمد بن طراد لجلب رجلين من رجال قبيلته مشهورين بأنهما يعرفان الكثير عن الجبال، غير أن المعلومات التي قدماها لي تشير إلى أن كل المعلومات التي كنت قد جمعتها في السابق خطأ، إذا كان ما قالوه صحيحاً. اتضح لي أن الأمر سيستغرق دراسة متأنية حذرة لتصنيف القمم من بين متاهة المعلومات المتضاربة، وقد سجلت في وقتها كما وردت لي، وكل ما أستطيع الإدلاء به أنني غير مقتنع بنتائج عمالي التي لم تجد طريقها بعد إلى أي خريطة منشورة^(١). سأسرد الآن الأسماء التي قيلت لي دون تعليق وهي: الغولاء، ومفتاح -نقطان فوق كتلة واحدة-، ومران -تل مزدوج القمة- وفوت، وبحري،

(١) تم طبع خريطة على مستوى المليون العالمي حديثاً. (المؤلف).

وغمر، وقفرة، وشدى، ورازح، والنظير، والحماطة، وذويب. تمثل هذه القائمة قمماً مشاهدة بالفعل في هذا اليوم بالذات من هذا الموقع بالذات، غير أن الشك يظل يرفرف فوق التسمية الفعلية.

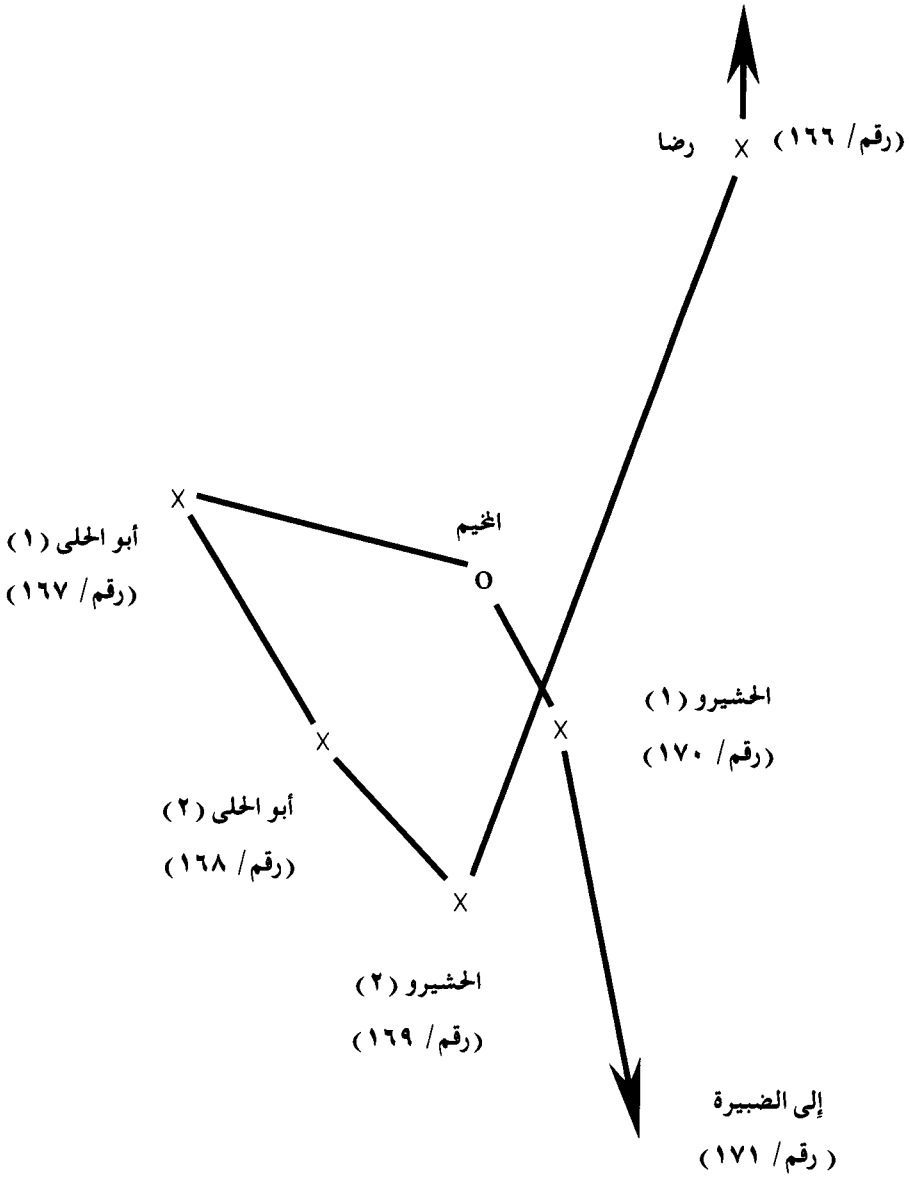
رافق بداية تحركنا من المعسكر على ظهور الحمير رذاذ خفيف توقف سريعاً. كانت الشمس تجاهد لتخترق السحب وكان الجو لا يزال متجهماً. كان ارتفاعنا عند الحشيرة حوالي (١٠٠٠) قدم فوق سطح البحر وواصلنا سيرنا على مستوى الارتفاع نفسه، أولاً عبر أرض ذات شجيرات، ثم فوق سهلٍ عارٍ مسطح به عدد من القرى الصغيرة تحيط بها حقولها ذات المتاريس. يقع عمود أبو الحلي الحدودي (رقم ١٦٧) وهو كومة حجارة بالقرب من جعوة أو مسطبة من حجر صغير كان يقف فوقه رجل المراقبة لتخويف القروء وطردها إلى خارج المحاصيل. كان من بين القرى الصغيرة، المكندرات^(١) ورضا إلى جانب الجراحيات التي ورد ذكرها. وصلنا إلى هذا الموقع وقد كان اتجاه سفرنا هو الشمال الغربي من المعسكر، غير أننا الآن عدنا القهقرى على شريط يتجه ناحية الشمال الشرقي على الجانب الآخر، وهو بروز ضيق جداً للحدود لا أرى مبرراً له. لربما كان التفسير له يعزى إلى وجود عمود حدودي ثانٍ باسم أبو الحلي^(٢) (رقم ١٦٨)، الذي وجدناه في القرية نفسها، التي تسكنها قبيلة العقارب (بني الحرث) الذي يجب أن يكون هو الأول والعكس بالعكس، مع الخط الذي يستمر من الأخير في اتجاه شرق الشمال الشرقي إلى عمود الحشيرة الثاني (رقم ١٦٩)، غير أننا كنا في هذا الموقع وتقريباً

(١) المكندرات: هذا الاسم الصحيح لهذه القرية، مع أن فيليبي ذكرها باسم (الكندرات). (ابن جريس).

(٢) أبو الحلي: هذا الاسم الصحيح لهذا العمود الحدودي بين السعودية واليمن، مع أن فيليبي ذكره باسم

(أبام هلي)، للمزيد انظر: القباغ، المرجع السابق، ص ٤٢٢. (ابن جريس).

عند موقع انطلاقة رحلتنا، وأميل للاعتقاد أن هنالك خلطاً نتج عن إقامة عدد لا ضرورة له من الأعمدة الحدودية فوق أرض ضئيلة. أستطيع فقط تسجيل الأعمدة الحدودية كما وجدتها وذلك لأنه ليس لدي أمر قضائي بتصحيح الحدود، غير أن الشكل المرافق ربما يوضح الوضع أكثر. ويبدو أن الترتيب الصحيح للأعمدة هو الضبيرة، والحشيرو(١)، والحشيرو(٢)، وأبو الحلبي(٢)، وأبو الحلبي(١) ثم الرضا. ويوضح الخط المتقطع خط سيرنا الفعلي، وأيضاً يوضح المسافة المتضمنة بأنها تابعة للسعودية ولليمن في آن واحد، وهذا مستحيل.



اتجهنا ناحية الشمال الشرقي من هذا العمود الحدودي، تاركين الخلط الذي حدث وشأنه، إلى قرية أم رضا^(١) الصغيرة التي تورطنا سريعاً في حقولها ذات المتاريس. تجمع السكان عند العمود الحدودي من حولنا، يزحفون على باطن ركبهم كحشد من القروء، دون أن يضيفوا شيئاً لمشكلة الحدود. كان من الواضح أن معسكرنا الليلة الماضية كان فوق أرض يمنية، وبالوضوح نفسه أن حقول الرضا امتدت عبر الحدود في الاتجاهين، بالرغم من أن القرية تقع داخل الحدود السعودية. يأخذ العمود الحدودي هنا الرقم ٦٦٦ من التسلسل، وظللنا داخل مزارع الرضا حتى العمود الحدودي التالي واسمه الموقد (رقم ٦٦٥). تعني كلمة موقد في هذه البلاد «فرن» مهياً بقواعد يقف عليها والذي فيما يبدو تحرق فيه كل أنواع الغطاء النباتي المحلي لأجل استخلاص الراتنج الذي يوظف كمرهم في علاج تقرحات الحيوانات والبشر.

مررنا إلى الشمال بقريتين صغيرتين تابعيتين قبيلة الجراحيات لنجد في الأبعد منهما عموداً حدودياً يسمى أسفل الجراحيات (رقم ٦٦٤) ولا شيء غيره ذا أهمية. وصلنا بعد ذلك إلى الجانب الأيسر لوادي صامطة الذي ورد ذكره رافداً لليلة ومحاط من الجانب الآخر بسلسلة الريميح الطويلة. يقف عمود مشباح أم رنف^(٢) الحدودي (رقم ٦٦٣) فوق ربوة من الصخور والتي من عندها استطعنا أن نرى قرية المنزلة - تابعة لقبيلة العقارب - على بعد ميلين من الحدود، وكذلك وأقرب إلينا

(١) أم رضا: تلفظ هذه الكلمة بهذه الطريق، وأحياناً تلفظ وتكتب (أمرضا) أو (الرضا)، وجميع هذه الألفاظ صحيحة. (ابن جريس).

(٢) مشباح أم رنف: هذا اسمه الصحيح، مع أن فيلبي ذكره باسم (مسيح أم رنف)، انظر: آل زلفه. عسير في عهد الملك عبدالعزيز، ص ٢٨٩، القبايع، المرجع السابق، ص ٤٢٢. (ابن جريس).

كثيراً قرية سيلان التابعة لقبيلة الهزاهيز السعودية. لم نعبر وادي صامطة الذي يقع بكامله في هذا المكان داخل أرض سعودية، إلا أننا تتبعنا جانبه الأيسر لنصل إلى جدول رافد يسمى أم لحي -ربما ضحى- والذي تجري فوقه الحدود إلى العمود التالي. ينتشر في هذا المجرى، قبل اتصاله مع صامطة، بالعديد من البرك الكبيرة التي تتربط بواسطة غيل جاري وينحدر الشاطآن يبسر في بساط من العشب الأخضر وهو منظر أخاذ في المنظر العام والذي أصبح كثيباً بعد مغادرتنا الغابة من خلفنا. يقف عمود جاضع أمحسن (رقم ١٦٢) فوق الجانب الأيمن للمجرى داخل الزاوية التي يكونها موقع تدفق مسيل صغير ينحدر ماراً بقرية سيلان التي تمتد حقول دخنها إلى أسفل إلى لحي.

يستمر هذا المجرى مؤدياً وظيفة الحدود ماراً بعمود مفجر سار جعله الحدودي (رقم ١٦١)، فوق ربوة على جانبه الأيسر ثم عبرنا بعد قليل إلى الجانب الأيمن، ثم خرجنا وقد أزعجت حركتنا سرباً كبيراً من الدجاج الحبشي. وجدنا أنفسنا مرة أخرى في أرض التلال كثيفة الأشجار ناحية الشرق من تل دخان البارز وليست بعيدة عنه، واستطالت المساحة تدريجياً من شريط وادي لحي، الذي نستطيع رؤيته من هذا الموقع وهو ينساب ناحية التلال اليمنية المرتفعة ناحية الشرق والجنوب الشرقي من موقعنا. وجدنا عمود أبومض (رقم ١٦٠) فوق ربوة منخفضة في هذه الأرض وبجوار قرية المعاین الكبيرة على مسافة نصف ميل إلى الشرق وقد انتشرت حقول دخنها المترسة إلى أسفل، ناحيتنا، فوق منخفض ضحل، يمتد خط الحدود على الجانب الشمالي منه. تتبعنا هذا شرقاً ووجدنا عند النهاية العليا للوادي بعض مزارع المعاین، وهي على الجانب الخطأ للخط، إلا أن مثل هذا أصبح الآن ظاهرة مألوفة. ويحدد موقع القرية، وليس حقولها، غاية ضرائبها. تكاثر الدجاج الحبشي بصورة كبيرة، لعله يقتات على ما يفيد في حقول الذرة.

كنا نرتفع تدريجياً حتى وصلنا إلى عمود خطوة نسرة^(١) الحدودي فوق مضيق يفصل بين مسيل روضة المعين المزروع، والذي كنا نسلكه، عند مسيل غاوية الزروع، ويمتد ناحية الشمال في أرض سعودية في اتجاه وادي خلب الذي نستطيع رؤيته الآن وهو ليس بالبعيد أثناء انسيابه غرباً مع صورة خلفية لكل من شدى والسفوح كثيفة الأشجار الملحمة. يقف تلاً واضحاً وأستطيع تمييز حصونه العديدة المنتشرة -مبان تشبه القلاع- بين سفوحه المترسة التي يزرع فيها الدخن والذرة والقمح والبن والقات والموز وأشياء أخرى عديدة مزروعة. كانت شدى ومواقع أخرى محصنة تابعة للسلسلة الرئيسية، أيضاً مترسة ومأهولة. يقف عمود نسرة الحدودي (رقم ١٥٩) عند ارتفاع (١٢٥٠) قدماً فوق سطح البحر، وتمتد الحدود ناحية الجنوب الشرقي على امتداد السلسلة التي تنهي مسيل المعين وبذلك تنغلق في نتوء بارز في أرض يمنية. أمكننا رؤية الخوبة من فوق قمة هذه السلسلة، ناحية الشمال، غير أن طريقنا لا يزال يتجه شرقاً ناحية خفينه، كما تُشاهد الآن، استقرت الجمال التي تحمل أمتعتنا في المعسكر. كانت قرية الغاوية مرئية لنا على مسافة ميل واحد، عند ملتقى مسيلها مع مسيل آخر يسمى أمجلة أو مرده، وهي تقع في خط واحد تقريباً مع الخوبة وفي سهل مزروع واسع يمتد إلى الخلف حتى مجرى خلب. لقد كان -حقيقة- هو كل جزء من الدلتا التي يتفرع داخلها خلب

(١) عمود خطوة نسرة: هذا الاسم الصحيح لهذا العمود الحدودي بين السعودية واليمن. مع أن فيليي ذكره باسم (خطوه النسرة)، وكل هذه المصطلحات صحيحة. للمزيد من التفصيلات عن الحدود بين السعودية واليمن في هذه النواحي، انظر: القبايع، المرجع السابق، ص ٤٢١ وما بعدها، محمد آل زلفه، عسير في عهد الملك عبدالعزيز، ص ٢٨٨ وما بعدها. (ابن جريس).

عند منفذه من بطن مجراه الضيق في الجبال. يقف عمود أبو لحي^(١) الحدودي (رقم ١٥٨) فوق عرن منخفض للسلسلة نفسها على سفح يواجه حقول مردح وعلى مسافة (٢٠٠) ياردة من قرية لحي الصغيرة ناحية الشمال الشرقي.

كنا لا نزال عند الارتفاع نفسه كما في مضيق نسرة، واستمتنا بمنظر خلابة للريف امتدت إلى الخلف حتى عنم في الجنوب، بالرغم من أن السحب قد تجمعت مرة أخرى فوق السلسلة الرئيسة ناحية الشرق وناحية الشمال. استطعنا كذلك رؤية المئات من المباني منتشرة فوق سفوح مرّان والغولاء المترسة إلى جانب سمات جبلية أخرى. بدت حقول لحي مزدهرة بصفة خاصة، وتضمنت محاصيلهم نسبة كبيرة من الذرة الشامي، وقد ظهرت أكوازه ولم تنضج بعد. يسمونها هنا «دخن» ويلحقون بهذا اللفظ كلمة «هندي» أو «رومي» أو «حبشي» لتأكيد أصله الأجنبي. دخل ونحن في هذا الموقع وقت صلاة الظهر، ولاحظت أن محمد بن طراد قد أدى صلاته - وتؤدى الصلوات في هذه البلاد فردية وليست في جماعة كما في نجد - ثم لمس الأرض بكلتا يديه، ثم قبل يديه وسحبهما فوق صدره، وبدأ بعد ذلك في تنظيف أنفه.

هبطنا قليلاً لنصل إلى عمود سرام حيحان الحدودي (رقم ١٥٧) داخل مساحة واسعة مزروعة، معظمها حقول ذرة صفراء في تجويف في التلال قليل الأشجار. بدأ رفاقي في جمع أكواز الذرة الشامية غير الناضجة ليأكلونها نيئة في الموقع، محتفظين ببعضها ليطمئناؤها على نار المعسكر. تنتمي هذه الحقول، على الأقل جزئياً، لقرية الموقد الصغيرة داخل أراض سعودية. ويسكنها الحرث التابعون لأحد

(١) أبو لحي: هذا الاسم الصحيح لهذا العمود، مع أن فيلبي ذكره باسم (أبو أمضحي). (ابن جريس).

أقسام الغاوية. عدنا مرة أخرى لخط وادي لحي، الذي كنا قد غادرناه منذ فترة ووجدناه قد تغير إلى حوض عميق كثيف الأشجار، يقع بين شاطئين يرتفعان إلى (٥٠) قدماً. تعبر الحدود هذا الوادي، وزحفنا إليه وخرجنا منه إلى حيث عمود سر مجدعة^(١) الحدودي (رقم ٥٦أ) وهو يقف على الجانب الأيسر على مسافة خمس دقائق سيراً على الأقدام من خفينة^(٢)، حيث وصلنا إليها قليلاً بعد الغروب، لنجد رسولاً يرحب بنا حاملاً معه الهدايا من أمير الخوبة بالإنازة. كانت هدايا رحبنا بها كثيراً. وهذه الهدايا هي: حزمتان كبيرتان من الموز المحلي اللذيذ، و(٤) حبات باباي، الذي يزرع في هذه البلاد التلية، وعلبتان من معجون الطماطم وعلبة لشرائح الأناناس. لقد احتفلنا بالوليمة هذه تلك الليلة، وكانت الفواكه الطازجة إضافة ممتعة لهذه المنطقة السفحية التي وصلنا الآن إلى عتبتها.

تقع قرية خفينة - وهي عبارة عن بناء واحد وعدد قليل من العيش المبنية من الأعواد- إلى جانب معظم أراضيها المزروعة داخل أراض يمنية حوالي (٤٠٠) أو (٥٠٠) ياردة إلى الجنوب الغربي من العمود الحدودي (رقم ٥٦ ب). كان معسكرنا قد نصب إلى الغرب منه داخل أرض سعودية. يقع مجرى وادي لحي على مسافة (٥٠٠) ياردة إلى الخلف ناحية الشمال الغربي من معسكرنا، وعليه يكون داخل أرض سعودية، بينما تمتد سلسلة منخفضة من ربوة دواد ثم تنحني بلطف لتكون شبه دائرة من حول القرية ومزارعها، التي يوجد الماء فيها في مسيل

(١) عشة سر المجدعة: هذا هو الاسم الصحيح لهذا العمود الحدودي، مع أن فيليبي ذكره باسم (سر أمجدع)، وهذا غير صحيح، انظر: القباع، المرجع السابق، ص ٤٢٢. (ابن جريس).

(٢) خفينة: اسم صحيح ولكن بعض الوثائق والمراجع ذكرتها كعمود حدودي بين السعودية واليمن باسم (عشاش خفينة)، انظر: القباع، المرجع السابق، ص ٤٢٢، (ابن جريس).

ضحل يمتد حوالي ربع مساحتها الزراعية داخل الأراضي السعودية. غير أن الترتيبات العادية كانت متبعة وهي أن تعالج أمورها وكأنها داخل أراض يمنية. كانت الليلة لطيفة وصافية ومضيئة بالقمر، ودافئة، وبعد القيام بدراساتي الفلكية، جلست فترة أطلع الصحف ورسائل الوطن، وقد جلبت آخر ما وصلني منها وهو ما لا يقل عن (١٨) خطاباً أسبوعياً من والدتي وكميات مماثلة من أفراد أسرتي الآخرين وبعدها استلقيت لأنام.

كان محمد بن طراد مرة أخرى طريح الفراش بالحمى، ولم يخرج لتناول العشاء، غير أنني بدأت أمله ورجال قبيلته، الذين -وبعد بداية طيبة معهم- انحط أمرهم تدريجياً تحت ضغط الترحال المتواصل وأسئلتني عن المواقع الكثيرة. كانت المشكلة الحقيقية معهم أنهم لا يعرفون الكثير عن محيطهم، ومثل هذا المرض لا يوجد علاج. كان حديثهم وكلامهم، إلى جانب ذلك، غير منطلق مقارنة مع كلام بعض جيرانهم. كانت الكلمات عندهم مضموغة وتطلق بلا وضوح، وكان عليّ أن أبذل جهداً كبيراً لأفهم أسماء الأماكن كما ينطقونها. اشتركوا مع جيرانهم في الكراهية الفطرية لأي صورة من صور الإجهاد أو الشدة، وكان من الضرورة أن يدفعوا دفعاً. أعتقد، مع ذلك، أن حياتهم كلها يجب أن تدور في فلك الفقر المدقع والكدح، ومثل هذه لا تقع على معظم الناس في أراضي أكثر ازدهاراً. تكون لدي الانطباع بأنهم قوم يذبلون تحت الشدة وفقدان الأمل في الوجود فوق أرض تجردت منذ أزمان بعيدة من أسباب الحياة. غير أن هذه الأرض نفسها -أرض تهامة عسير- كانت أفضل من ذلك كثيراً في الماضي، وربما تكون مرة أخرى، أفضل مما هي عليه الآن. يبقى -بالتأكيد- على الحكومتين اللتين تخترق حدودهما المشتركة هذه السهول والتلال، أن تفعل شيئاً لمصلحة رعاياهم سيئ الحظ.

كشفت لنا صباح اليوم التالي عن صورة واضحة لمجموعة من قمم للسلسلة الرئيسة حول كل من رازح، التي تقع ناحية الشمال من موقعنا، والنظير وحرم. كانت قممهما وسفوحهما العليا مبقعة بالمباني البرجية الخاصة بالمرتفعات، غير أن أجزاءها السفلى غاصت إلى أسفل تجاه سهل الجرف الرائع. تسمى حرماً أيضاً بني القم من اسم القبيلة التي تكوّن سكانها، والذين انتشرت مساكنهم فوق قممها الثلاث المنفصلة. واصلنا سيرنا على الأقدام عبر حقول خفينة إلى سلسلة غريب حرم المنخفضة على الجانب الأبعد. تسلقنا هذه إلى حيث عمودها الحدودي (رقم ١٥٥) فوق مضيق منخفض، ينحدر من مسيل صغير مناسباً إلى أسفل ناحية الشرق إلى داخل وادي لية، الذي ينحدر مجراه الأعلى في هذه الأرض المرتفعة من مرآن عبر غابة كثيفة الشجر.

نحن الآن إلى الشرق من خفينة ورتفع فوقها بمسافة (١٠٠) قدم -حوالي (١٣٠٠) قدم فوق سطح البحر- بينما يقع مجرى لية عند أقرب أجزاءه على بعد الميل الواحد. واصلنا سيرنا على مستوى الارتفاع نفسه إلى عمود مشيخ أمدغوي^(١) الحدودي على الجانب البعيد، حيث توجد حقول أمجدعة^(٢) بالقرب من قرية سعودية بالاسم نفسه على بعد ميلين ناحية الشمال، يعني هذا استدارة حادة في ذلك الاتجاه للحدود التي تخترق هذه الحقول، التي تمتد إلى الجانب الأيسر لخلب. يستمر خط الحدود إلى أسفل، ثم أعلى، مسيل أمدغوي الذي تغلبت عليه أجمة عظيمة من شجيرات المظ، وعاققت تقدمنا بعض الشيء. واصلنا

(١) مشيخ أمدغوي: هذا اسم صحيح، مع أن بعض المراجع ذكرته (با أمدغوي)، انظر: القبايع، المرجع السابق، ص ٤٢٣هـ (ابن جريس).

(٢) أمجدعة، أو (المجدعة)، أو (عشة سر المجدعة)، وجميع هذه الأسماء صحيحة. (ابن جريس).

فيما بعد إلى عمود سر أمدعاني^(١) الحدودي (رقم ١٥٣) على الجانب الأيسر للمسيل ومن ثم إلى عمود آخر بالاسم نفسه (رقم ١٥٢) على الجانب البعيد لحوض سر أمدعاني الضحل حيث أزعج وجودنا سرباً ضخماً من الدجاج الحبشي. كان هذا العمود الحدودي الأخير مجرد كومة من قطع كوارتزية فوق صخرة من المادة نفسها في مقابل المظهر الأفضل للأعمدة القليلة الأخيرة التي واجهتنا.

عبرنا أرض التل فيما يلي هذا الموقع عند قرية مقبص السعودية على يسارنا إلى قرية المشاف اليمنية على بعد ٥٠٠ ياردة على يميننا، ومن ثم إلى الملاحيط^(٢) وهي قرية معتبرة على الجانب اليمني. وصلنا بعد متابعة منحدر سهل إلى عمود مشبح الموقد الحدودي (رقم ١٥١) والذي نظرنا منه على الملاحيط نفسها، والتي يسكنها الحرث، قسم الجرو، وهم أنفسهم الذين يسكنون في المشاف. التحق بنا هنا شيخ شاب ودود يسكن المشاف، ومعه الماء لإنعاشنا ولاحظت أن أحد العبيد يحمل وشماً غريباً وعلامات للكبي على بطنه على الجانبين من السرة إلى مفاصل أضلاعه السفلى. كانت شقوق حمراء فوق جلده الأسود. تعد كل هذه البلاد المتدحرجة الغابية أرض مراعى جيدة للمواشي، ويقطعها العديد من دروب البقر غير أن الغطاء النباتي كان كثيفاً بالدرجة التي حجبت عنا رؤية الحيوانات نفسها.

أذكر تماماً، ما قالته لي امرأة قد تحررت من الرق، في مكة منذ وقت مضى، أن موطنها هو قرية الملاحيط حيث كانت تعيش في راحة مناسبة، مع والدها

(١) سر أمدعاني: هذا الاسم الصحيح الذي أوردته الوثائق والمراجع التي تحدثت عن الحدود بين السعودية واليمن، مع أن فيليبي أوردته باسم (سر أمودعاني)، انظر. آل زلفه. عسير في عهد الملك عبدالعزيز، ص ٢٨٩، القبايع، المرجع السابق، ص ٤٢٣. (ابن جريس).

(٢) الملاحيط: هم أقوام يعودون إلى العقارب، مع أن فيليبي ذكرهم باسم (الملاحيت) والاسم الصحيح هو ما أوردنا. (ابن جريس).

وأشقائها حتى زار طاعون الحرب ذات يوم بلادهم، وتم قتل كل رجال القرية وسلبت مواشيهم. كانت هي وشقيقتها طفلتين صغيرتين حينذاك وقد أرسلتهما والدتهما للرعي بماشية الجيران، حتى هجمت عليهما ذات يوم عصابة من خاطفي العبيد وهما غافلتان وأخذوهما للبيع في أسواق اليمن، وبمرور الوقت تم إرسالهما إلى مكة وأدخلتا القصر الملكي وكوفئتا على خدماتهما بأن أعتقتا وتم زواجهما إلى خدم الملك، وقد انتهت ذكرى الأيام القديمة التعيسة للمأساة الأسرية والعبودية بحلول سنوات أسعد. دفعتني قصتهما أن أتمنى دائماً زيارة الملاحيط، وها هي الآن أمامي، وأنا أنظر من الغابة نفسها التي شهدت بالتأكيد اغتصاب فتيات جارو، ربما قبل (١٥) أو (٢٠) سنة، أستطيع تصور المنظر في حيوية كافية، بعد أن رأيت حديثاً الفتاتين الصغيرتين في مثل هذه الأجواء المحيطة عند عمود قائم بشير الحدودي.

يطلقون على هذه الغابة الكثيفة الصعبة الاختراق المكونة من أشجار المظ والغلف اسم الوعش، وهي كلمة تدل على صوت يفيد بالصعوبة في هذا الموقع. كانت هنالك محاولات هنا وهناك لإزالة بعض أشجار الغابة لأجل الزراعة، غير أنني لم أر أي علامة لمحصول فعلي، على الرغم من أن الأفران ذات القواعد، التي كانت تحرق فيها الشجيرات لأجل الراتنج كانت تقابلنا من حين لآخر. كان هنالك واحد من هذه الأفران، أكثر بروزاً والذي اكتسب هذا العمود الحدودي اسمه منه، على السلسلة المقابلة فيما يلي مسيل بروت المتقاطع الذي يجد طريقه إلى أسفل إلى وادي لية. وصلنا في هذه السلسلة إلى عمود حدودي آخر اسمه مشباح الخريق (رقم ١٥٠) على بعد (٢٠٠) ياردة إلى جنوب غرب الفرن الذي كان في أعلى الموقع. تقع أمامنا الآن قرينا المجدعة ومقبص التابعتان للهاهيز عند

قدم سفح سهل يقود إلى الحقول. اتجهنا قليلاً ناحية الشمال الغربي في اتجاههما تاركين الملاحظ على مسافة تزيد عن الميل الواحد ناحية الشمال الشرقي. ملأ صياح القروود الجو، غير أننا نادراً ما كنا نلمحها وذلك لأنها قد حصرت زيارتها إلى المحاصيل التي في طور النضج، أثناء الليل.

عبرنا حوضاً ضحلاً يسمى حمرة أسفل السفح لنصل إلى عمود حمرة الحدودي (رقم ١٤٩) وعلى بعد مسافة (٥٠) ياردة كان هناك عمود المجدعة الحدودي (رقم ١٤٨) على الطريق الجنوبي لأرض زراعية واسعة، اخترقها الشريط الحدودي دون أي علامة خارجية تميز حقول الملاحظ إلى اليمين، وحقول المجدعة إلى اليسار. يقف عمود الفياح^(١) الحدودي (رقم ١٤٧) في وسط الحقول على مسافة (١٠٠) ياردة ناحية الشمال الغربي ثم يمتد الخط الحدودي مسافة (٣٠٠) ياردة ناحية الجنوب الغربي إلى علامة مغربي الحدودية (رقم ١٤٦). ثم تمتد الحدود مسافة (١٠٠) ياردة تجاه الشمال الغربي، إلى حيث مجموعة من حجارة صغيرة مختفية تحت المحاصيل النامية ويعتقد أنها العمود الحدودي (رقم ١٤٥) واسمه ضومان وهو موقع لقاء ثلاثي بين أراضي الملاحظ على أحد الجانبين، وأراضي المجدعة ومقبص على الجانب الآخر.

تقع المجدعة في مواجهة الحدود بحوالي (٣٠٠) ياردة، ويقدر عمقها إلى الداخل بضعف هذه المسافة، ولا تزيد مساحتها عن (٤٠) أكراً. تمتد مزارع قرية أمروي اليمنية، على الجانب الأيسر للخلب، إلى الحدود بالقرب من هذا الموقع،

(١) عمود الفياح، أو (أرض الفياح) هذا اسمه الصحيح في الوثائق والمراجع التي ناقشت الحدود السعودية اليمنية، مع أن فيليبي ذكره باسم (أمفياحة)، وما ذكرنا هو الصحيح، انظر: آل زلفه، والقباع، المرجعين السابقين، ص ٢٩، ٤٢٣. (ابن جريس).

غير أن مساحتها لا تزيد عن (٣٠) أكرأ، بينما مساحة ملاحيط تصل إلى (٤٠٠) أكر. تعادل مساحة مقبص مساحة المجعدة، بينما تكون مساحة بتول^(١)، التي تنفصل عن مقبص بسلسلة رفيعة منخفضة، بذات حجم مقبص. يبدو أن المساحة المزروعة في هذه المجموعة من القرى حوالي (٥٥٠) أكرأ. سرنا ناحية الشمال الغربي من ضومان، عبر المزارع حتى وصلنا إلى عمود أمليج^(٢) الحدودي (رقم ١٤٤) أيضاً ينطق (أملي)^(٣) عند الطرف البعيد للحقول، التي استدرنا حول حافتها الخارجية ناحية الشمال الشرقي إلى قدم السلسلة التي ورد ذكرها. تسمى أمزعين تقود إلى أرض بتول عبر ممر ضيق، بينما يوجد عند نهايتها الشرقية عمود أمزعين الحدودي (رقم ١٤٣) الذي يفصل بين بتول وأمروي بصورة ما. كان هذا العمود على مسافة مرمى حجر من الجانب الأيسر لوادي خلب نفسه الذي يعلمه عمود محول الحدودي (رقم ١٤٢) وقد حجبه الغطاء النباتي الزهر.

أقيم معسكرنا بالقرب من هذا العمود فوق مساحة مكشوفة على الجانب الأيسر لمجرى الوادي العريض المطعم بالصخور، والذي كان يجري منه جدول مهيب فوق بطن حصوي يحدث صوتاً أثناء انسيابه. أصبحنا قريبين جداً من الجبال الآن، وقد تحدد أمامنا المنظر الشمولي، غير أن قمم مران أكملت المشهد لوادي خلب الذي تحوطه الصخور، وينحدر من ناحية الشمال بالنسبة لها، من كتلة

(١) بتول: هو الاسم الصحيح، مع أن فيليبي ذكره بثول، وهذا غير سليم. (ابن جريس).

(٢) أمليج: هو اسم صحيح ويطلق عليه أيضاً اسم (خشم أمليج) (ابن جريس).

(٣) في بلاد تهامة والسراة كثيراً ما يقلب الناس حرف (الجيم) إلى حرف (الياء) فيقال مثلاً على الجمل (يمل) أو على الجبل (بيبل) وهكذا. وكما ذكرنا سابقاً، فإن دراسة اللهجات في هذه الأجزاء من الجزيرة العربية جدرة بالدراسة، ونتمنى أن نرى بعض طلاب الدراسات العليا والباحثين في المملكة يلتفتون لثل هذه الجوانب العلمية القيمة. (ابن جريس).

متوجة بقمتي كل من بحري وفت. يجري مسيل مض^(١)، مباشرة في مقابل معسكرنا، داخل الوادي عن طريق جانبه الأيمن من سلسلة أمحطيمي العالية الكثيفة الأشجار، والتي منها ينحدر أيضاً صدع أبو أمسيالة، الذي يدخل إلى المجرى على مسافة (٣٠٠) ياردة فوق مض. تكون الجانب الأيمن للوادي من صخر ارتفاعه (٥٠) قدماً، بينما مال السهل المزروع على جانبنا، والذي تحفه الغابات، في لطف إلى أسفل إلى مستوى الماء. وقفت قرية بتول الصغيرة على الجانب الأيمن على مسافة الميل الواحد إلى أسفل، غير أن معظم أراضيها الزراعية كانت على الجانب الآخر، وكان الاتجاه العام للمجرى المشاهد هو من الشرق إلى الغرب، وتخرقه الحدود باتجاه الشمال الغربي حتى سلسلة أمحطيمي.

احتفلت بوصولنا إلى هذا الموقع بأخذي حماماً طيباً في مياه الغيل، ثم استلقيت لأنال غفوة الظهيرة والتي تأخرت إلى الساعة (٤,٣٠) وحتى غروب الشمس. غطت السحب السماء وكان القمر -حين ظهوره- محاطاً بهالة تامة، غير أن كل السحب اختفت عند منتصف الليل واستطعت ملاحظة النجوم كالعادة. لم تمنعني حقيقة أن التوقيت الصحيح بواسطة اللاسلكي قد توقف، وأني كنت أعتمد على ساعات الكرونوميتر، التي لا يعتمد عليها، عند الاستمرار في هذا العمل، غير أنني لم أندعش لأكتشف في وقت لاحق أن الكثير من جهدي قد ضاع.

أضاف أمير الخوبة إلى كرمه السابق، زوجاً من الضأن للعشاء، غير أنه وعند منتصف الليل دبت حركة في المعسكر تفيد بوصول الشيخ إسماعيل، شيخ قسم

(١) مض: اسم صحيح ويطلق عليه أيضاً اسم (روس أبو مض). (ابن جريس).

الكعوب التابع لقبيلة الحرث، والذي سندخل منطقته غداً. كان وصوله علامة الانفجار لمحادثات مرتفعة الصوت تدور حول ثبوتية السمات المختلفة التي كان يحوطها الشك أثناء النهار، وبخاصة سلسلة عالية أمامنا ذات قمتين، والتي قد أسماها لي محمد بن أحمد بن طراد بأنها ملحمة. كنت متطلعاً لمعرفة الاسم الصحيح، بسبب أن الرأسين يقعان على جانبيين مختلفين للحدود، وأنه يوجد عمود حدودي في السرج الذي يصل بينهما، وقد راهنت محمداً بجنيه ذهبي أن هذا الاسم لا ينطبق عليهما معاً. تكمن هنا الإثارة. كانت الطلقة التي أرسلها الزائر الجديد أن الرأس اليمنى يسمى الملحمة العليا - ربما أم لحمة - والثاني الملحمة الواطية^(١) وحقيقة هي الملحمة العليا والمحممة السفلى بالتوالي. كان محمد مسروراً بالطبع لأن معلوماته صادقة، غير أنني أعتقد أنه كان مسروراً بالمستوى نفسه عندما افترقنا في الصباح التالي، حينما أضفت مبلغ (٢٠) ريالاً للمكافأة له ولأتباعه لما قدموه من خدمات.

تداخلت محادثاتهم مع أزيز. البعوض أثناء محاولتي النوم، غير أن للطبيعة مسارها أحياناً، غير أنني اضطررت إلى تغطية رأسي بالبطانية اتقاءً للحشرات الملحاحة الصغيرة. كان لدينا بعض البعوض في خفينة غير أنه لم تكن هذه الحشرات هناك، ولا حتى هنا بشراسة بعوض وادي لية. كانت بقية الحشرات نادرة وذلك لأنها خلال هذه الليالي تكون في التلال وأنا في حيرة تماماً من أمري لتفسير هذه الظاهرة. لا نزال في يناير، وهذه حقيقة، غير أنه في خط العرض هذا فإن الطقس كان دافئاً أكثر من أي فصل صيف في إنجلترا، وكانت الطيور معششة. لم تخذلني الطيور - بحق - أثناء النهار وقد تضمنت حقيقتي المتحفية طائر صائد ذباب

(١) الواطية: أي السفلى، وهذه لفظه محلية تستخدم في معظم بلاد تهامة والسراة. (ابن جريس).

الجنة، وطائر الوقواق التهامي، والحمامة الحبشية وهو آخر طائر شوهد في أسراب منتظمة حول المزارع في هذه القرى. لاحظت كذلك سرب قطة ونحن نقرب من وادي خلب.

لم يكن هنالك ما يدعو لبقائنا في خلب بعد أن تناولنا الإفطار وقمت بمسح البلاد من حولنا كعادتي، ولذا فقد ضربنا فوق الطريق عبر المجرى وتسلقنا عن مض إلى حيث العمود الحدودي (رقم ١٤١) الذي وصلناه خلال ست دقائق ويقع على ارتفاع (٥٠) قدماً فوق الوادي وحوالي (١١٥٠) قدماً فوق سطح البحر. التقطنا أفضل مشهد من هذا الموقع لقرية الملاحيط، التي تقع في قسمين إلى الخلف من مجرى خلب. كان الجزء الرئيس للقرية مميزاً بمقر إقامة الشيخ يحيى أم عمر المهيب المطلي باللون الأبيض، والشيخ يحيى هو رئيس قبيلة بني الجرو والحرت. توجد في القرية أيضاً منازل مبنية أخرى، غير أن معظم المساكن كانت عششاً من الأعواد، وهي التي تكون أيضاً القسم الآخر للقرية. لاحظت خلال وجودنا في المعسكر أن بعض بني الحرت يحملون إلى جانب المعطف الصغير الأسود القصير الأكام وخرقة القماش فوق العورة عدداً من الخرق مختلفة الأطوال، تتباين حسب ظروفهم الاقتصادية، إما ملفوفة حول خصورهم أو ملفوفة حول قبعاتهم الضيقة أو رؤوسهم العارية كعمامة منفردة أو مزدوجة. وإذا ما أحسوا بالبرد فإنهم ينزعون أحد هذه الأقمشة ويلفونها حول أكتافهم ويحدث هذا في الصباح الباكر وفي المساء المتأخر الذي يكون عادة بارداً، وحين يجلسون القرفصاء فإن واحداً أو أكثر من هذه الأقمشة يوظف كملاءة أو بطانية، مغطياً المرء كله من رأسه إلى أخصص قدميه، ضد البرد وضد البعوض. كان فراشي أكثر دفئاً من فراشهم غير أنهم لم يستوعبوا إطلاقاً كيف أنام ووجهي مكشوف تماماً.

يقع جرف أمحطيمي^(١) البارز ناحية الشمال الغربي من موقعنا مع سلسلة تصله مع المضيق، أمامنا تماماً على خط ينطلق من معسكرنا ومنه تجري سلسلة متعارضة إلى الخارج لتفصل مسيل مض عن مسيل السيالة^(٢). ينحدر مسيل مض من المضيق، وعلى الرغم من أن اتجاه العمود الحدودي التالي هو ناحية الشمال الشرقي، تجاه السلسلة المتعارضة، إلا أننا ظللنا نسير على الأرض المرتفعة لتحاشي الهبوط إلى أسفل المسيل ثم الصعود عليه مرة أخرى. وصلنا السلسلة المتعارضة، بهذا الأسلوب، على يمين المضيق عند ارتفاع (١٥٠٠) قدم فوق سطح البحر وتتبعنا سنامه إلى أقصى ارتفاعه - (١٧٠٠) قدم فوق سطح البحر-، وبذلك نكون قد استدرنا حول جرف أمسيالة إلى جانب سيطرتنا على منظر ممتاز. كان مجال الرؤيا جيداً برغم الضباب الخفيف، وقد قضيت نصف الساعة هنا وأنا استمتع بهذا المنظر البانورامي البديع بينما واصلت القروود صياحها الدائم من حولنا داخل السفوح الكثيفة الأشجار. لمحت الخوبة، وأنا أنظر ناحية الغرب، مباشرة فوق المضيق، وهي واضحة فوق السهل العظيم وعلى الجانب الأيمن لوادي خلب^(٣)، تسندها من الخلف على مسافة مجموعة من الربوات المرتفعة تشتمل على طحنان، والديك، وعاصم، وغراب، وغيرها. يقع جرف أمحطيمي إلى ناحية الجنوب الغربي في الخط نفسه مع جحفان البعيدة، بينما كان معسكرنا في وادي خلب ناحية الجنوب. وقف كل من مفتاح والغولاء في وتر من ناحية الشرق إلى الشمال الشرقي، وهما قمتا مران إلى جانب فوت وبحري وغمر. شمخت

(١) أمحطيمي: اسم صحيح ويلفظ أحياناً باسم (الحطيمي). (ابن جريس).

(٢) السيالة، أو (أمسيالة) أو (أبو أمسيالة) كلها أسماء صحيحة وتطلق على هذا المكان. (ابن جريس).

(٣) للمزيد من الإيضاح عن وادي خلب، انظر: عبدالرحمن الشريف. المرجع السابق، ج-٢، ص ١٦٩.

(ابن جريس).

قمة رازح من جهة الشمال كاشفة عن مبانيها البرجية العالية، ويقع النظير بقربها ناحية الشمال، بينما وقفت كل من الحماطة وشدى وتوجد في الأخير هذا قلعة الإدريسي عند القمة، وقرية خبته بارزة على العرن الأسفل - ناحية الشمال الغربي قبل أن نستدير لنصل إلى أسفلهما عن طريق بلاد جبلية والتي أراحتنا ونحن نتابع الحدود- وهي تويلق وذو نمر ومن خلفهما الملحمتان.

هكذا كان المنظر العام حول الخوبة. ويعد وادي خلب -بالطبع- الوادي السائد في هذه المنطقة ويخرج إلى داخل السهل فوق أرض طينية شاسعة منتشرة من الحافة الجنوبية لمزارع المجدعة وشمالاً حتى الخوبة، حيث يدخل مجرى آخر مهم هو وادي ذهبان، من الجانب القريب من سلسلتي تويلق وذو نمر من منابعه في الجبال العالية في مجموعة رازح - والحماطة. يوجد كذلك خط صرف مهم ثالث في وادي مجارف الذي ينبع من جوار كل من غمر وبحري ويتصل مع ذهبان عند موقع يبعد ثلاثة أميال من موقعنا في اتجاه الشمال الغربي. كانت هذه هي الشرايين الرئيسة الثلاثة للمنطقة، ولا بد أن تكون كمية المياه التي تحملها إبان السيول ضخمة. تتواصل حقول الخوبة مع اتجاه أسفل الوادي مع تلك في قو، التي تقع على الجانب الأيمن لخلب، والذي توجد في بطنه، قليلاً أسفل قوة ينابيع وغرة الحارة المشهورة، والتي سيرد عنها الكثير في وقت لاحق. كما توجد قائم على الجانب الأيسر لذهبان، الذي ينحني مجراه الغربي بعنف ناحية الشمال الغربي، وتقع قيمة على جانبه الأيمن قليلاً أسفل مدخل مجارف، الذي على جانبه الأيسر والأيمن تقف قريتا البرمية والقرقاعي بالتوالي. توجد بالطبع قرى أخرى سنذكرها حينما نصلها، غير أن مزارع منطقة الخوبة يبدو أنها تمتد معها مساحات غابية متقطعة إلى الخارج إلى محيط تلال الديك - والعاصم، التي

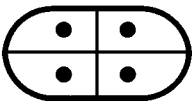
يتركها وادي خلب، الذي اتصل به ذهبان، على مسافة طويلة أسفل قوى، ليتجه إلى الشمال في طريقه عبر السهل.

واصلنا متابعتنا لسنام السلسلة من هذه القمة، متجهين شرقاً، تسبقنا بالفعل عائلة مزعجة من القروود التي لمحا بعضها بين الفينة والأخرى، حتى وصلنا إلى عمود مديع^(١) الحدودي (رقم ٤٠ أ) على ارتفاع القمة نفسها. كان هذا هو العمود المئة من الساحل، بمتوسط عشرة أعمدة نقوم بزيارتها في اليوم الواحد. كان اتجاه الخط المباشر بين عمود مض وهذا العمود هو ناحية الشمال الشرقي وقد سافرنا حول جانبي مثلث لنصل إلى هنا. علينا الآن أن نرجع إلى أسفل إلى الوادي شتاً ذلك أم أبنائه، ذلك لأن العمود الحدودي التالي يقع جهة الشمال، ويقع منخفض وادي شعبة الواسع المغطى بالغابات، وهو رافد ينساب من جهة الغرب لمجارف، بين النقطتين. وصلنا إلى أسفل قليلاً من القمة إلى صخرة مكشوفة والتي استغلت مستعمرات النحل شقوقها وتصدعاتها كبوابات للدخول إلى خلاياها بالداخل، كان النحل شديد النشاط قدوماً ورواحاً، ولم تكن هنالك مضايقات من جانبنا نحوها حينما توقفنا بجوار الصخرة ونفحص قلعتها الغربية الحصينة. كان الأسلوب الوحيد للحصول على العسل هو استخدام أعواد طويلة نحيلة، واتضح لنا أن اللصوص من بني البشر قد ارتادوا هذا الموقع؛ بسبب وجود علامات تدل على نيران الفحم عند المدخل لبعض هذه الخلايا لتخدير الحشرة بينما اللصوص منهمكون في العمل.

(١) عمود مديع: يطلق عليه أيضاً اسم (غارب مديع)، انظر: القباع، المرجع السابق، ص ٤٢٣ محمد آل زلفه، المرجع السابق، ص ٢٩٠. (ابن جريس).

وصلنا بعد هذا التحول إلى قاع الوادي زاحفين عبر الغابة وقد انغرز في رجلي عود خشبي حاد، أسفل الكعب. انبثق الدم حين نزعتهما، بكميات تدعو للقلق، غير أن رفاقي كانوا ذوي معرفة وأحضروا لي كمادة من ورق المظ الأخضر لإيقاف النزيف من الجرح. توقف النزيف تماماً بعد فترة وجيزة، واستطعت أن أواصل السير، بعد أن لففت قدمي بقوة بالمناديل من فوق الكمادة، فوق الطريق الصعب المنحدر على الجانب البعيد. أزعجت حركتنا سرباً من طيور الحجل في الطريق، غير أنني لم أتمكن من رؤيتها بوضوح لأننا أكد من النوع وغالباً ما يكون هو (A.melanocephala) عند هذا الارتفاع المنخفض.

وصلت إلى عمود غارب أمسوايد^(١) الحدودي (رقم ١٣٩) مع بعض الألم والصعوبة، فوق مضيق يطل على وادي مجارف على الجانب الآخر، اتجاه أعلى الوادي، بالنسبة لمدخل وادي شعبة. ويبدو أن كل الصخور في بلاد التلال هذه من مادة الشست المايكا الذي ورد ذكره، مع تكشف يزيد أو يقل للكوارتز، الذي كان قليل الظهور منذ أن غادرنا حلب. يحرق الشست محلياً لعمل الكلس لبناء المنازل في الجوار وأيضاً، وبدون شك للآبار، غير أن هذه الحقيقة برزت في ذهني عن طريق الصدفة. لم أكن أفهم لماذا لما كنا نتبع الطريق، ترافقنا على فترات حجارة أو قطع من الصخر عليها الرسم التالي:



(١) غارب أمسوايد: هذا هو الاسم الصحيح لهذا العمود الحدودي بين السعودية واليمن، مع أن فيلبي ذكره باسم (عمود سوايدي)، وهو اسم غير صحيح. (ابن جريس).

وهو معلم عليها وكأنه طلاء. صرف الشيخ إسماعيل تساؤلاتي بقوله إنَّ هذه العلامات ما هي إلا مجرد شخبطة لبدو عاطلين، على الرغم من أنها بدت لي وكأنها -على الأقل- تشير إلى الطريق، كما كانت وظيفة أكوام الحجارة في الصحراء. لقد أدركت أثناء سيرتي أن عمود مض الحدودي كان موقع لقاء ثلاثي، لكل من الكعوب والهزاهيز على الجانب السعودي، الجرو التابع للملاحيط والقري المجاورة في اليمن. كان السوق الرئيس في الظاهر، أيضاً قرية تابعة للجرو، التي هي أيضاً مركز الرئاسة الإداري للعامل أو ضابط المحافظة اليمني. أمكننا رؤيتها بارزة واقفة على التل الهرمي ويتوجها حصن الحكومة ناحية الجنوب الشرقي إلى يسار المروي والملاحيط. كان ارتفاع عمود أمساويد الحدودي، (١٦٠٠) قدم فوق سطح البحر، وكان علينا أن نهبط بمقدار (٣٥٠) قدماً لنصل إلى البطن الجاف الحصوي لوادي مجارف - ويبلغ عرضه هنا (٥٠) ياردة - والذي يقف على جانبه الأيمن عمود مفجر الوحش^(١) الحدودي، وقد اكتسب اسمه هذا من غابة المظ^(٢) التي تحيط به (رقم ١٣٨). يتجه الوادي ناحية الغرب، ويكون الحدود وكان العمود التالي ويسمى مهد العقم^(٣) (رقم ١٣٧) أيضاً على الجانب الأيمن، وقد وصلناه خلال عشرين دقيقة سيراً على الأقدام وكان سيراً صعباً.

(١) مفجر الوحش: هو الاسم الصحيح لهذا العمود الحدودي، مع أن فيليبي ذكره باسم «عمود الوعشة»، وهو اسم غير صحيح، انظر. القباع، المرجع السابق، ص ٤٢٣. آل زلفه، المرجع السابق، ص ٢٩٠. (ابن جريس).

(٢) المظ: هذا اسم لشجر، وربما يطلق على اسم مكان وهو (عمود مض)، واسم هذا العمود وجدناه يكتب بهذه الطريقة في المراجع والوثائق، انظر. القباع، المرجع السابق، ٤٢٣. (ابن جريس).

(٣) مهد العقم: هذا الاسم الصحيح، مع أن فيليبي ذكره باسم (أم عقم)، وما ذكرنا هو الصحيح. (ابن جريس).

قابلنا ثلاثة رجال أثناء هبوطنا يتبعون بلاد الجرو، كلهم مسلح بالبنادق والأحزمة العريضة. كانوا مسلمين وودودين غير أن منظر الأسلحة هذا يجعل المرء يتنبه لحقيقة أنه في كل البلاد التي عبرناها من مغادرتنا الساحل، فإن امتلاك ولبس مثل هذه التجهيزات ممنوع بأمر القانون في المملكة العربية السعودية. لا يوجد مثل هذا القانون على الجانب الآخر من الحدود، ومعظم رجال القبائل يمتلكون البنادق، غير أن المرة الوحيدة التي رأيتهم فيها كانت في معسكرنا في العبادية، حين قام بزيارتنا بعض الناس من قرية يمنية مجاورة.

أرسلت قافلة جمال العفش التي سلكت طريقاً سهلاً إلى موقع معسكر الليلة وفي إحساس صائب، شحنة من الماء إلينا عند عمود مفجر الوحش الحدودي، وقد انتهزت فرصة وصول الحمار الذي يحمل الماء، لأركب عليه من ذلك الموقع، لأن قدمي لا تزال تؤلني. لاحظت الكثير من رسوم الكلس على الصخور وعلى فترات على جوانب الوادي، بعضها للحيوانات، وبعضها بقايا من رسم للعلم الإنجليزي.

وعلامات أخرى، وكلها من نوع رديء. إنه لمن السعادة أن يجد المرء نفسه راكباً بعد التسلق المرهق في الأيام الأخيرة، وليزداد الأمر حسناً، فقد هبت رياح شمالية باردة عبر طريقنا تحت سماء ملبدة بالسحب بما فيه الكفاية، لتخفيف حرارة شمس الظهيرة.

تقف قرية مهد العقم الصغيرة على الجانب الأيسر مقابل كومة حجارة بسيطة تعلم الحدود، كما يوجد ثقب مائي ضحل في البطن الرملي للوادي الذي يفصل بين الاثنين، ومنه يقوم القرويون بسحب حاجتهم من الماء. كانت نسبة كبيرة من

سكان هذه المستوطنات أفريقية الأصل (ربما عبيد أصلاً) بينما كان البعض الآخر خليط من دم عربي وأفريقي بدرجات مختلفة. لا يخلو أحد منهم من أثر لذلك غير أن العديد منهم كان جميل المحيا. لقد رأيت فتاة صغيرة آية في الجمال، مكسوة بقماش مصبوغ بالأزرق -صبغة الأندقو- النيلة-، وهي توجه ثلاثة جمال بضربات عنيفة من سوط صغير. تجمع حشد كبير حولنا ونحن نتباطأ لفترة، غير أنهم جاؤوا للإلقاء نظرة هي بالنسبة لهم شيء جديد فعلوه. كانت مهنتهم المحبوبة -فيما يبدو- هي الجلوس، ولم أستطع مقاومة الإغراء بالتقاط صورة لمواطني مهد العقم وهم مشغولون بهذا النشاط المبهج. كانوا كلهم من قسم الهزاهيز وكلهم رعايا سعوديون. أمكننا رؤية قرى البرمية والقرقاعي إلى جانب مهد العقم، على جانب المجرى إلى أسفل، بينما تقع على بعد الميل الواحد فيما يليهما عند موقع التقاء مجيرح مع ذهبان، قرية القيمة كم^(١) الصيابة المزدوجة الكبيرة. توجد أيضاً قرية صغيرة تسمى رعشة بين مهد العقم والبرمية بينما تقع قريتا قمبورة ومتالع على الجانب الأيمن لوادي ذهبان أعلى الملتقى. وتقع قرية الحصامة مقابل متالع على الجانب الأيسر داخل أرض يمنية، وهي قرية كبيرة.

تحركنا باتجاه ذهبان ناحية الشمال الغربي على امتداد حافة مزارع القرقاعي، التي تندلق داخل أراض يمنية في أكثر من موقع.

وصلنا بعد ذلك إلى عمود قلة الخميس (رقم ١٣٦)، والذي منه أمكننا رؤية موقع التقاء المجريين قليلاً ناحية الجنوب الغربي، وكذلك قرية رحيم التابعة للهزاهيز عند أسفل سفح أمحطيمي ومباشرة أسفل المضيق الذي يقع ناحية الجنوب

(١) كلمة (كم) عند أهل جازان تساوي كلمة (مثل). (ابن جريس).

الشرقي من موقعنا ويكون الجرف العظيم قليلاً ناحية اليمين من موقعنا. وصلنا إلى الجانب الأيسر لوادي زهبان وعمود العجيبى^(١) الحدودي (رقم ١٣٥) خلال خمس دقائق.

يحمل المجرى جدولاً جارياً بطيئاً متجهاً إلى أسفل إلى ما يلي مدخل مجيرح، ثم يعود للظهور بشكل متقطع في المرتفعات السفلى للوادي، الذي يتصل مع خلب في جوار سوق الأحد إلى الخارج تماماً فوق السهل. تتشابك حقول القيمة^(٢) أسفل منا وحقول الحصامة إلى أعلى بطريقة مربكة على امتداد هذا القطاع من الحدود، ولربما كان أهم شيء في مثل هذه الحالات أن القرويين على جانب الحدود يعرفون حقولهم الخاصة بهم بأسلوب أفضل مما يعرفون به شريط الحدود الرسمي. تتبع الحدود خط المجرى إلى حيث موقع دخول شعيب مضس من الجانب الأيمن في مقابل الحصامة، ثم يمتد على شكل مسيل إلى عمود مضس الحدودي (رقم ١٣٤) على جانبه الأيمن، حيث سنفضي الليلة.

أخذت حاجتي من الراحة في المعسكر، ثم تجولت بين ضفاف زهبان المغطاة بالأشجار وعلى امتداد جدول، الذي كان بطنه يحمل مساحات من القصب المنخفض وعشب مروج غزير من حين لآخر. انتهى بحثي عن الطيور باكتشاف سرب ضخم من الطائر النساج أحمر المنقار، غير أنني مررت بمجموعة من فتيات القرية يقمن بتجهيز نبات من الصبار يسمى السلب، يشبه السيسال، لأجل عمل

(١) العجيبى: يطلق عليه أيضاً (رومة العجيبى). (ابن جريس).

(٢) القيمة: يطلق عليها أيضاً لفظ (أقيمة). (ابن جريس).

الحبال^(١). يشق غمد أو ساق النبات ويترك في أكوام تحت غطاء من الأعواد ليجف ويتحلل. تغمس الألياف - بعد أن يتم ذلك - في الماء ثم تضرب بالحجارة لإنتاج الخيوط الرفيعة التي يحتاج إليها لصنع الحبال.

يتبع سكان الحصامة وآل مهري الذين يسكنون الزاوية التي يكونها مسجى مضس ومجرى ذهبان على الجانب اليمني، إلى بني دهلي الحرث وتعيش مجموعة آل الحصامي في قريتين منفصلتين صغيرتين يكونان القرية. تلقيت التحية عند وصولي إلى المعسكر من أمير الخوبة بالوكالة، الذي جاء من مقر رئاسته وبصحبه مجموعة من تابعيه الأوفياء ليرى ما يمكن عمله من أجل راحتنا. يعد الأمير غريباً عن هذه الأنحاء كما أعدّ أنا هنا، ذلك لأن علي بن حسين النجيب هو من أبناء قرية شقراء^(٢) بالقرب من الرياض، ولكن ضرورات الخدمة المدنية هي التي أرسلته إلى هذا المنفى في جنوب تهامة. فعل حسن كل ما في وسعه دون التظاهر أنه يحب العمل ولما كان لا يزال شاباً، فقد كانت له رؤيا متفائلة لخدمة متميزة للملكه وبلاده. كان هو أول من شغل وظيفة بالإنابة، إلى جانب ذلك، كضابط منطقة. كان صاحب المنصب الدائم غائباً في إجازته ولم تكن الخوبة أسوأ مكان في العالم. أحضر علي معه الشاة التي لا مفر منها لأجل العشاء وقرعة كبيرة مملوءة بعسل الجبال اللذيذ، والكثير من الفاكهة، ذكر لي أن الباباي والموز جلبتا من مزارع شدى المسطبية في اليمن، غير أنه إذا كانت الفاكهة تأتي من الخارج، فإن

(١) لمزيد من الإيضاح عن الأشجار الصالحة لعمل أنواع الحبال، انظر: الدينوري، كتاب النبات، وبخاصة تحقيق (برنهارد لفين) بمدينة (بفسادن)، حيث ورد بهذا الجزء فصل مستقل يشرح الأشجار الصالحة لصنع أنواع الحبال. (ابن جريس).

(٢) بلدة شقراء: على مقربة من الرياض، أما فيلبي فقد أورد عبارة (قرية شعراء) وهذا الاسم غير سليم. (ابن جريس).

الوافدين أقبلوا بأعداد كبيرة أيضاً إلى الخوبة للاستمتاع بينابيعها الحارة. كان فخوراً جداً بهذه الخاصية لمنطقته وكذلك بإمكانياتها الزراعية الواسعة. بدأ رحلة عودته إلى الخوبة بعد مشاركتنا العشاء، وتبعد حوالي (٣) أو (٤) أميال عنا، وضوء القمر ساطع، مع وعد منه للحاق بنا في الصباح في جابري أو بالقرب منها، القرية التي يوجد بها أحد مراكز جمارك الحكومة.

لقد تعشيت جيداً تلك الليلة، والتهمت حوالي (١٢) أصبع موز شدي، كما ارتحت لما تأكدت بأن المسمار التانجستي لمزواتي لا يمكن إصلاحه. انتشر حزام عظيم من السحب، عندما كنت أعد نفسي للنوم تحت ضوء القمر الذي كاد أن يكتمل، عبر السماء من جهة الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي. كانت درجة الحرارة الدنيا هنا، كسابقتها في الليلة الماضية، في خلب أيضاً (٥٧) درجة وكان رفاقي يرتعشون من البرد في الصباح حينما انضممت إليهم حول نيران المعسكر لتناول فنجان قهوة.

التقطت مشهداً عظيماً من هذا الموقع، قبل شروق الشمس حينما كان الجو صافياً كالبُور، لسلسلة الجبال الحاجزة وبالذات كتلة رازح - والنظير، التي أصبحت الآن قريبة منا في وتر يمتد من الشمال إلى الشمال الشرقي. كانت رازح من بين الأقسام الفردية في هذه المجموعة، هي الأكثر تحدرًا، ووعورة وسكانها أقل. يرتفع النظير - مثله مثل رازح وحرم- إلى (٧٠٠٠) قدم فوق سطح البحر، ويبدو مهيباً جداً وعلى رأسه المسجد الأبيض البارز وقلاعه المحصنة منتشرة فوق سفوحه العريضة. يمتد ناحية اليمين صف نظامي للمنازل على امتداد الجرف الجبلي، الذي يصل جبل الحماطة العظيم حتى السنام التالي لمثلث حرم.

لا يظهر لنا في كل هذه الحالات الجزء الأكبر من المستوطنات، لانتشارها إلى أسفل على السفوح السهلة الشرقية لهذه الجبال، غير أن بركان، أقصى قمة ناحية الشمال، كانت هي الأجمل والأغرب إذ بها أربع مجموعات من المباني كل منها يكون قرية معتبرة الحجم، تنتشر على فترات على امتداد السلسلة، التي تقع قمته على ارتفاع (٥٠٠٠) قدم أو يزيد، ويبدو أن شدى، التي يعلوه حصنه، يقع على ارتفاع (٤٠٠٠) قدم ويتقدم على الحاجز الرئيس، كما كان حماطة، حوالي (٣٥٠٠) قدم وقد كانت سفوحه مغطاة بالفعل بالمباني. توجد في كل هذه الجبال، بالطبع زراعة مصطبية واسعة.

واجهتنا سلسلة تويلق^(١) وهي في الاتجاه العام لشدى (شمال غرب) وأكثر ناحية اليسار، على امتداد الحدود ونحن في سفرنا عبر غابة كثيفة من أشجار المظ والغلف والأراك وغيرها إلى هضبة منخفضة هبطنا منها في بلاد ممائلة، إلى عمود لحج أموعر الحدودي (رقم ١٣٣) على الجانب الأيسر لوادي أمجرع الذي يمتد عبر طريقنا من الشرق إلى الغرب عند ارتفاع منخفض على يمين قدم سلسلة تويلق التي تتبعها حتى اندلق في ذهبان. يأخذ العمود اسماً آخر بديلاً هو عقار بلا سبب ظاهر. ويقف عند ارتفاع (١٠٠٠) قدم.

تمضي الحدود من هنا مباشرة فوق تويلق على اتجاه الشمال الغربي بعرن يقع على يمين القمة الفعلية، غير أنه، ولأسباب لا يصعب تحزرها، لا يوجد عمود

(١) جبل تويلق: هذا الاسم الذي سمعت السكان المحليين يلفظونه، وكما ذكره فيليبي، ولكن في بعض المراجع والوثائق التي ناقشت حدود اليمن والسعودية ذكرته باسم (جبل تويريق) وأحياناً أوردته باسم (جبل تويرلق)، وأعتقد أن الاسم الصحيح هو ما أورده فيليبي وما ينطقه سكان أهل تلك البلاد. (ابن جريس).

حدودي هنا لا على العرن ولا على أي موقع آخر على أي من السفحين للسلسلة. كان رفاقي يتمنون أن أطوف حول التل في مثل هذه الحالات، غير أنني خذلتهم في هذا، بإصراري على متابعة الحدود كما هي. انتشر أمامنا قطيع من الغزلان، بمجرد دخولنا الوادي، كانت تستريح أو ترعى فيه. لم نتحصل على إصابة صيد منها، على الرغم من حاجتي إلى تضمين عينة لحيوانات المرتفعات هذه، ولا بد أنها من نوع مختلف من غزال الأدمي الشائع في السهل. كان هنالك العديد من القروود والدجاج الحبشي في هذا الوادي الكثيف الأشجار وفي السطح فيما يليه، وأظن أنه في هذا الموقع، رأيت شجرة الإبراه المنتشرة، التي وردت من قبل. سلكنا الطريق الذي يقود إلى وادي دهوان الذي يمضي حتى رأس أمجرع، وعلى جانبه الآخر يقود مسيل مماثل إلى الوادي الرئيس، الذي يوجد فيه عدد من القرى اليمنية وأيضاً الجابري حيث تعبر الحدود. ترحلنا عن الدواب في هذا الموقع لنسير على الأقدام إلى تويلق نفسه، مبتدئين من ارتفاع (١٢٥٠) قدماً، ووصلنا قمة العرن الأول واسمه مثن الصبب عند ارتفاع (١٩٠٠) قدم، بسهولة وخلال (٢٥) دقيقة. تمر الحدود القائمة مباشرة من لحج أموعر من خلال هذا الموقع إلى أبو النكرة^(١) عند ارتفاع (٢١٥٠) قدماً.

كان هذا الجزء يتطلب تسلقاً صعباً عبر بلاد كثيفة الأشجار وصعبة وقد استغرق وصولنا إليها ساعة كاملة، غير أن هذا يعزى أيضاً إلى حقيقة أنني شعرت فجأة بأني على غير طبيعتي. لم تكن البقعة التي نهدف إليها بعيدة عنا، فقط

(١) أبو النكرة: هذا الاسم الصحيح لهذا الموقع، مع أن فيليبي ذكره باسم (معو النكرة)، وهذا غير صحيح.

(ابن جريس).

على ارتفاع (٥٠) قدماً، كما تحققت من ذلك حينما عدت إلى الموقع في اليوم التالي، غير أنني لم أستطع فعل شيء فيما يلي هذه القمة الثانوية، وعليه فقد قررت أن أخلد إلى الراحة. أصابني القيء العنيف بعد دقائق قليلة وبدأت أحس بآلام الحمى الزاحفة. أعدت لي رفاقي -وقد انزعجوا لحالي- فراشاً من أوراق المظ وغيره من النبات، وعليه استلقيت بلا غطاء -ذلك لأن كل عفشنا قد تم نقله عن طريق الوادي إلى حيث مقرنا المتفق عليه- وقد تمكنت الحمى مني تماماً. كنت أتلوى وأرتعش وأتعرق من الساعة الحادية عشرة صباحاً وحتى العصر. خفت الحمى عند الساعة الخامسة مساءً وأحسست بأنني في حالة جيدة للحكم على الموضوع، وبلا شك لم أكن قادراً على مسيرة أخرى.

عزوت القبيء إلى إسرائي في أكل الموز، أما عن الحمى فيتعذر تفسيرها، غير أنني أدركت السبب في وقت لاحق، وهو أن بعوض وادي لية كان قد أدى مهمته بكفاءة عالية. كانت هذه هي أولى جرعات الملاريا التي أصابني بها البعوض، وسيكون هنالك الكثير من الأسابيع قبل أن أتناول الجرعة الأخيرة، وقد حبسني هذا على سرير المرض في مكة مدة عشرة أيام.

أرسل رفاقي، بعد تأكدهم من حالتي المرضية السيئة، رسولاً إلى رئاستنا لإطلاعهم على الوضع، وعاد الرسول عند الظهر ومعه ثلاث علب من دواء الكوينين. ابتلعت الحبوب وأكملت الشاي المتوافر في الترمس وكان من الواضح أنني لا أستطيع التحرك تجاه رفاقي المستريحين في المعسكر في قرية الجابري. ولما كان من المتوقع برودة الليل هنا، فقد كانت حاجتي للغطاء ماسة. وعليه كان من الواضح أن ينتقل رفاقي إلى موقعي، وبعد عقد مجلس حرب، أرسلنا رجلين يحملنا أوامر صارمة، بأن الفريق -عن بكرة أبيه- يجب عليه الحضور إلى موقعنا

على جناح السرعة. بدؤوا سفرهم تجاهنا حوالي الساعة الخامسة مساءً، وأقنعت نفسي بمحاولة النوم مقتنعاً بعدم إمكانية وصولهم قبل منتصف الليل. سمعنا صوت قافلة الحمير عند الساعة العاشرة مساءً وفرحنا، ولم يمض وقت طويل حتى وجدت نفسي مستريحاً تحت بطاطيني الخاصة وفوق فراشي الخاص. كنت أحس بالتحسن وكنت واعياً بالليلة الناعمة اللطيفة في تلك الغابة المنعزلة التي يضيئ سماءها قمر يسابق السحب القطنية. لا بد وأني قد استغرقت في النوم وأني في هذه الحالة القنوعة، غير أنهم أيقظوني من النوم عند الساعة الواحدة صباحاً لتناول العشاء، كنت سعيداً بذلك الآن، وأخلصت لطبق لحم الضأن والأرز، فقد كنت جائعاً، وقد أحضروه إلى جوار فراشي حسب طلبي. ثم نمت مرة أخرى، لم يزعجني غير كلب أقبل من أحد معسكرات الرعاة ليجد ما يكفيه مما أبقيته من عشائي تحت تصرفه.

تحسنت كثيراً غير أنني أشعر بالضعف صباح اليوم التالي، والذي كانت سماؤه كثيفة السحب وعمه ضباب لم يستمر وقتاً طويلاً.

بدأنا بعد الإفطار سيرنا إلى أسفل أولاً من هذه القمة، ثم إلى أعلى حيث قمه قلة الجفرة وهو بروز لصخر عارٍ فوق الغابة الكثيفة التي تغطي سفوحه. اصطدت حجلًا أثناء الطريق من بين سرب صغير، كنا قد أزعجناه خلال عبورنا الغطاء النباتي الكثيف. يقع أعلى موقع في تويلق، ويسمى قلة الحصن على مسافة (٥٠٠) ياردة تجاه الغرب من موقعنا عند ارتفاع (٢٢٥٠) قدماً وكانت تمثله هذه اللحظة كتبية من القروود يبدو أنها مهمة بأمرنا كما نحن مهتمون بأمرها.

كان المنظر للمرة الثانية عظيماً. رأيت قرية المضايا الكبيرة، ناحية الشمال، وأنا أنظر إلى أسفل إلى وادي دهوان، ولربما كانت على بعد أربعة أميال في

المرتفعات العليا للمجرى وعلى جانبه الأيسر. تقع على بعد الميل الواحد مع اتجاه الوادي مجموعة من القرى الصغيرة تسمى في مجموعها دهوان إلا أنها أقل أهمية من قرية المضايا، التي هي مركز السوق للمنطقة، وسوقها هو سوق الجمعة^(١). كما تشتهر بين كل هذه المنطقة بأنها المقر التجاري لتجارة الموز.

امتدت قرية ذي نمر، إلى الشمال الشرقي من موقعنا، بلا نظام فوق جزء من السلسلة بالاسم نفسه، بينما تقع قرية غايبة اليمينية ناحية الشمال الغربي داخل الزاوية التي يكونها وادي دهوان مع مسيله الرافد الحصر^(٢) الذي ينحدر من سلسلة ملحمة^(٣). يتصل مسيل حاسي القادم من تويلق، على الاتجاه نفسه، ومباشرة أسفل منا مع مسيل آخر يسمى شرانة يقبل من ناحية ذي نمر، في موقع يقف عنده عمود أم حاسي الحدودي (رقم ١٣٢). يمتد المجرى المشترك لهذه المسائل إلى دهوان بالقرب أو عند الجابري. استطعنا رؤية المسارات السفلى لذهبان وخب، ومعهما قرية الظهر المزدوجة على الجانب الأيمن لذهبان، وكذلك قرية كرس قليلاً فيما يلي موقع التقائهما. استطعنا أيضاً رؤية الكثير إلى البعيد في اتجاه طحنان وبالطبع، معظم القمم المألوفة لسلسلة الجبل الرئيسة. تجري الحدود -من وجهة نظرنا- إلى أسفل حيث مسيل حاسي إلى العمود الحدودي الذي ورد ذكره، وإلى قرية أبو أمعرق القريبة منه، ثم يتبع خط الحدود المجرى إلى أسفل إلى عمود كسير الحدودي (رقم ١٣١)، أو رزمة أمكسير اتجاه الجنوب الغربي.

(١) سوق الجمعة الأسبوع في المضايا من الأسواق الأسبوعية القديمة، وقد اندثر منذ زمن، وأصبح غير صالح للاستخدام. (ابن جريس).

(٢) الحصر: ربما يطلق عليه أيضاً اسم (رأس الحصر اليماني)، انظر: القبايع، المرجع السابق، ص ٤٢٤ (ابن جريس).

(٣) ملحمة: يطلق عليها أحياناً اسم الملحمتين. (ابن جريس).

استغرق بحثنا عن طريق يقود إلى حاسي حوالي خمسين دقيقة، وهو هبوط يقدر بـ (١٠٠٠) قدم. كان هنالك عدد من الثقوب المائية في بطنه الصخري المكسو بالرمل لتغذية القرية. امتطينا حميرنا الآن لنهبط إلى المجرى، وذلك لأن جانبيه كانا مغطيين بالأشجار التي يصعب اختراقها، كما كانت هنالك أشجار عالية ترفع رؤسها فوق الشجيرات الخضراء. تركنا الوادي عند علامة كسير الحدودية لنشق طريقنا عبر الحقول - وكان بعضها غير مزروع - وتتبع لقريتي الجابري والمشافين^(١) - الأخيرة هذه على الجانب اليميني، لنصل إلى عمود مشوف الحدودي (رقم ١٣٠) ومنه إلى كومة كأنما وضعها الأطفال من حجارة يقال إنها علامة الحسكول الحدودية (رقم ١٢٩)، وبعدها وصلنا إلى مجرى دهوان الذي يقع إلى أسفل في الالتقاء مع حاسي، ثم عبرناه لنترفع إلى سلسلة ملحمة عن طريق مسيل الحسكول. بدأت الحقول بين عمود كسر ومجرى دهوان، على الشريط الذي تم توضيحه، التابعة للقري على جانب الحدود تختلط مع بعضها في فوضى لا سبيل للخلاص منها، غير أن هذا أصبح ظاهرة أكثر من مألوفة لنا فلا تزعجنا. وكنت أتوقع أن تكون لجابري قرية متوسطة الحجم، إلا أنني وجدتها قرية بائسة صغيرة من عشش على هيئة خلية النحل مبنية من الأعواد، تقع إلى خارج خط سيرنا، ولم أتوقف لتفقد مكتب ضرائبها.

يستحق مجرى دهوان أن يزار ويُرى، وقد أويت إلى صخرة كبيرة على جانبه الأيمن أستمتع بالمنظر إلى ما يشبه المروج لجدوله المنساب الصامت. ألقّت أشجار

(١) المشافين: هكذا ذكرت في بعض المراجع والوثائق، مع أن فيليبي ذكرها باسم (المشف)، وبعض السكان المحليين ينطقونها باسم (أمشاف). (ابن جريس).

الإبراه ظلّالها هنا وهناك على مجموعات من الماشية أو الناس، كما كان انتشار المحاصيل النامية واسعاً، برغم اعتراض بعض الغابات له هنا وهناك.

كانت حياة الطيور زاخرة وقد انتشر صائد ذباب الجنة بصورة غير عادية، وبعضها يجرجر ذيله الطويل الأبيض وهو يخرج من بين الأجمات لصيد حشرة غافلة. أصبت ببندقيتي واحداً منها، ليرتاح الشيخ إسماعيل الذي حكى لي عن خرافة محلية تقول إن مشاهدة هذا الطائر واسمه مخيال وهو يحلق فوق ثور أو بقرة، فإن الحيوان المعني لا بد أن ينكسر ظهره ويموت^(١). لربما كان هذا القول يقصد به - مهما كان السبب - أن هذا الطائر لا يرفرف فوق الماشية.

يدور مجرى دهوان الذي ينحدر إلى هذا الموقع -حوالي (١٠٠٠) قدم فوق سطح البحر- من جهة الشمال الشرقي بزواوية حادة ناحية الجنوب. تقف الصخرة التي أجلس عليها عند الموقع الذي يدخل فيه مسيل الحسكول، ويجري خط الحدود على هذا الميل إلى المضيق الذي يفصل بين قسمي سلسلة ملحمة. كانت هنالك مبان قليلة في أجزائه السفلى، كان أحدها مدمراً ويعتقد أنه كان ضريح أحد الأسياد أو الصوفيين، لا يزال يحمل زخرفة لعابري سبيل وشرائح من قماش أبيض جلبب الحظ. يقف عمود الحسكول الحدودي (رقم ٢٢٨) عند قاع سفح الملحمة على مسافة (٨٠٠) ياردة من دهوان، غير أن المسيل يجري بانحدار شديد من هذا الموقع.

(١) هناك الكثير من الأساطير والخرافات المنتشرة بين الناس إلى اليوم، ورثوها من الأوائل، مع العلم أنه ليس لها دليل مبني على حقائق علمية. (ابن جريس).

كنا نطل إلى أسفل بعد مسيرة أربعين دقيقة من بقايا مساطب زراعية قديمة، على وادي دهوان من علو (٥٠٠) قدم، ثم وصلنا بعد دقائق قليلة إلى قمة المسيل على ضلع من السلسلة يقود على المستوى نفسه إلى مضيق يقع بين الملحمة العليا والملحمة السفلى. كان هذا موقع مهم للحدود برغم أنه غير معلّم رسمياً. من هنا وعلى أحد الجانبين مسيل حصر وبه قرية رحبان (اليمن) على مسافة (٥٠٠) ياردة إلى الشرق من موقعنا، وعلى جانبه الأيسر، بينما يستمر طريقنا على الجانب الآخر وفي اتجاه الشمال الغربي، إلى مسيل أمحيمحمان^(١)، بينما تمتد مزارع رحبان حتى رأسه ومن حوله. أمكننا الآن رؤية وادي الدحن، أمامنا، تسنده من الخلف سلسلة تسمى السوداء.

استغرق وصولنا إلى عمود مواضلامة الحدودي (رقم ١٢٧) نصف ساعة، برغم أن الطريق إلى أسفل كان سهلاً، ويقع في وسط مسيل عند قدم سلسلة، وهو هبوط بحوالي (٥٠٠) قدم. ويمكن القول حقيقة وبدقة إننا وصلنا إلى موقع العمود، الذي تم نصبه في مساحة لغابة كثيفة، وأنه لا يخدم غرضاً نافعاً. قام الجبليون وهم قاطنو المرتفعات اليمنية، بتحطيم العمود إلى قطع، ليس لهذا السبب، للدرجة التي لا يمكن جمعه منها مرة أخرى. كان هنالك الكثير من المتاعب والخلافات حول حدود القرى وحقوق الملكية في هذه الأرض من وادي الدحن، وكان الحكم بواسطة القَسَم هو الذي يتبع. أثبت القرويون السعوديون دعواهم بإحضار الأشخاص الخمسين المحترمين ليؤدوا القَسَم بترتيب الحدود، وفي

(١) أمحيمحمان: هذا الاسم الصحيح لهذا الموقع، مع أن فيلبي ذكره باسم (حميحه). (ابن جريس).

حالة حدوثة لنزاع حول تغلغل قرويي الدريديية^(١) فيما وراء خط الحدود، فإن الأمر قد تم رفعه لكل من أمير جازان والغازي عبدالله بن الوزير، حاكم تهامة اليمن، وكانت النتائج مريحة. كان السبب للإزعاج الغريب في حالتنا هذه في هذه الأرض هو تقلبات وادي الدحن أثناء زمن السيول. لا يجلب الوادي عادة، ما يكفي من المياه لإقامة أراض زراعية، كما أن امتداد الرقعة الزراعية ممنوع. غير أن كل التربة جيدة وحينما يندفع الوادي بسرعة إلى أسفل، فإن عملية التمديد والتغلغل تبدأ، ومعها كل المتاعب التي تتبعها. يؤمل الآن - وقد تم الاتفاق على خط الحدود أخيراً- ألا تقع مثل هذه المتاعب.

يمكن ترك عمود مواضلامة غير الموجود أصلاً، مهما كان الأمر، للأجيال القادمة كتذكارة لأزمان المتاعب، وأستطيع أن أرفع قصة الحدود من هذا الموقع وعبر وادي الدحن إلى أقصى حد ممكن في أبحاثي. يمكن رؤية القليل من بين الغابة المتشابهة عند قدم ملحمة، غير أن هنالك نقطة في غاية الأهمية فيما يخص المنظر العام، خاصة فيما يتعلق بعملية الجغرافي. كان أقصى موقع وصلته حينما تتبعت الحدود من الاتجاه المعاكس هو قرية العارضة، والتي من عندها اتجهت غرباً على امتداد طريق (أبو عريش). وعليه، فمن الأهمية لمسوحاتي الحالية أن أنهى بعض النقاط بالقرب من العارضة لتكملة الدائرة. كنت سعيداً بالتعرف على قمة بركان ثانوية تابعة لدغم أمامنا، ناحية الشمال الغربي. يتضح الآن أنه لم يبق أمامنا الكثير لنقوم به وبإحساس من القناعة خرجت لزيارة الأعمدة التي لا تزال موجودة.

(١) الدريديية: هذا الاسم الصحيح لهذا الموقع، مع أن فيليبي أخطأ في تسميته بـ (دريدييه). انظر: القباع، المرجع السابق، ص ٤٢٤، آل زلفه، المرجع السابق، ص ٢٩٢. (ابن جريس).

بدا وادي الدحن أمامنا وكأن لونه أسود بسبب أشجار الغابات - وهو منظر غير متوقع - واتضح لنا ونحن نقرب من عمود معقر الصيد^(١) (رقم ١٢٦)، وهو هدفنا المباشر، أن الرقعة الزراعية لقريه شرم اليمينية قد امتدت بكرم عبر الجانب السعودي للحدود. ربما كان هذا، هو السبب الرئيس لإزالة علامة مواضلامة الحدودية. يقف عمود معقر الصيد الحدودي في قطعة مكشوفة في الغابة، كانت قد زرعت في وقت ما في الماضي، وهي الآن مهجورة. وصلنا فيما يليه إلى وادي سلمان وعبرناه هابطين ناحية الدحن، من سفوح كل من خبته والملحمة العليا، من الجانب اليميني. تقع الغابة التي رأيناها أمامنا بين الجانب اليميني والدحن وهي غابة حقيقية ذات أشجار ضخمة منتشرة من أشجار أبراه ذات الجذوع السميقة الغليظة والأوراق التي تذكرني بأوراق أشجار كستناء الحصان.

يمر خط الحدود، فيما يلي منطقة كثيفة الغابات، وقبل أن نصل إلى مجرى الدحن، بين سلسلتين منخفضتين هما أمشاف الغربي وأمشاف الشرقي في أرض سعودية وأرض يمنية بالتوالي، داخل حدود عمود بين المشافين الحدودي (رقم ١٢٥) ويمر بينهما. كان هذا المعلم عبارة عن صف من كوم حجارة بين بعض الشجيرات في الحوض ولم يكن هنالك ما يؤخرنا عن الاستمرار في اتجاه الشمال لنصل إلى عمود البحصمة الحدودي (رقم ١٢٤) بالقرب من قرية يمنية بالاسم نفسه. وجدنا مزارع قرية شبرا، قبل أن نصل إلى العمود الحدودي هذا، وهي قرية تقع في منتصف المسافة إلى تل خبته، قد امتدت داخل الأراضي السعودية على امتداد الأجزاء السفلى من مجرى مسيل حيوان الذي ينحدر إلى الدحن. كان عمود

(١) معقر الصيد: هكذا ذكرته المراجع والوثائق التي أشارت إلى الحدود بين السعودية واليمن، أما فيلبي فذكره باسم (معقر أمصيد)، واللفظان صحيحان. (ابن جريس).

البحصة يتكون من حجر واحد ملقى فوق شجرة مظ منخفضة، وقد نمت شجرة صبار من أعلى. كان مجرى الدحن الآن على بعد نصف ميل أمامنا وفيما يليه تقع سلسلة قرنة السوداء، على مسافة ميل واحد.

وصلنا في ذلك الاتجاه (شمال غرب) إلى عمود الدرديدية الحدودي (رقم ١٢٣) وبه قسما القرية على يميننا على بعد (٢٠٠) و (١٠٠٠) ياردة بالتتالي، وتمتد مزارعهما إلى الجانب الأيسر للوادي. تقع قرية مطارق السعودية على مسافة نصف ميل على الجانب الأيمن في اتجاه الغرب بينما لا تقع قرينتا أضرار وملح على مسافة بعيدة من الجانب اليمني من الدحن. وصلنا إلى الجانب الأيسر للدحن في أقل من عشر دقائق والشمس تغيب وراء الأفق، ثم عبرنا بطنه العريض الضحل الرملي المزدهر بشجيرات الشار، والذي تتخلله بدائل مؤقتة للمتاريس، مكونة حقولاً مؤقتة في مساحات غطتها السيول الأخيرة. كانت هذه الحقول واضحة في اتجاه أعلى الوادي وعلى جانبه، حيث يبدو أن اليمنيين أكثر شراسة من جيرانهم السعوديين، الذين انصرفوا تماماً عن أي فكرة لمحاولة زراعة المحاصيل في هذا الوادي. وصلنا إلى عمود السوداء الحدودي (رقم ١٢٢) ويقع قريباً من الأكواخ الحجرية التي تكون قرية المطارق، واستقر بنا المقام بجواره لنعسكر هذه الليلة. لم أكن أعلم أننا سنمكث هنا مدة ثلاثة أيام.

أحسست بقدوم هجمة الحمى بمجرد استقرارنا في المعسكر. لقد وصل وفد شيوخ قبيلة العبادل وتقع أرضهم أمامنا، ومعهم هدية لا تقل عن سبع شياه، غير أن الحمى كانت أسرع ولم أستطع أن أقابلهم، وسرعان ما تمكنت مني هجمتها. كنت ضحيتها عديم الحيلة بقية الأيام التالية، وكانت الأحداث التي أعياها هي نقل فراشي في يوم وصولنا من العراء المكشوف إلى ظل شجرتين

كبيرتين من أشجار أبراه عند حافة الأرض الشبيهة بالمتزة، ثم نقله ثانية من هنا بسبب الأمطار في صباح اليوم التالي، إلى داخل إحدى العشش الصغيرة لما قصد به أن يكون قرية - لا يستطيع رفاقي عمل شيء غير مراقبتي بقلق، وقد أرسل أمير الخوبة مراسله مستعجلاً إلى جازان لطلب أي مساعدة يمكن الحصول عليها. استجابة لهذا، فإن أمير جازان، الذي لم يستطع عمل أي شيء، أطلع الملك باللاسلكي بأنه يبدو أنني أحتضر.

كنت طريح الفراش بلا حراك من الساعة السابعة صباحاً من يوم (٢٧) يناير وحتى الساعة الرابعة مساءً من يوم (٣٠) يناير، (مدة سبع وخمسين ساعة) وأنا لا أحس بما يدور حولي. ولم أتناول طعاماً في اليوم الأول، غير قليل من اللبن وقد تقيأته فوراً، ولم أتناول شيئاً في اليوم الثاني غير قليل من الأرز وحساء الدجاج الحبشي وقد شعرت بالتحسن. كنت مستمتعاً بأول غليون لي حينها، إلا أنني استغرقت سريعاً في إغفاءة الحمى، صحوت في الساعات البكرة وكان لم يكن هنالك شيء خطر أصابني.

لم أرغب في إزعاج رفاقي النائمين، ولم أستطع النوم أكثر، وكنت أراقب البعوض والفئران التي شاركتني خلوتي في هذه العشة، كانت دائرية مبنية من الحجارة، ترتفع إلى ستة أقدام، وكذلك كان قطرها، وبها باب شديد الصغر لا يرتفع لأكثر من ثلاثة أقدام. كانت نظيفة جداً ومضادة للماء غير أن بقعاً من المطر عبرت عن طريق منافذ التهوية على جانب البناء، كانت معدة لتكون جافة، وحتى بزوغ الفجر لم يكن لديّ ما أشغل نفسي به إلا مراجعة الموقف الذي نتج عن هذا الانقطاع السيئ الحظ للبرامج. تفصلنا الآن ثلاثة أسابيع عن موسم الحج والذي عزمتم النية على أن أعود من أجله إلى مكة، وكان أمامنا ما لا يقل عن (٣٠٠)

ميلا يجب تغطيتها. كان من الواضح تماماً لي، حتى دون الرجوع إلى رفاقي للتداول، والذين سيعترضون على أي قرار آخر، بأن فحص القسم الصغير المتبقي من الحدود يجب أن يصرف عنه النظر. كان هو القدر، وليس عزميتي، وهو الذي فرض هذا الحد لجولاتي.

انتظر شيوخ العبادل معنا بإخلاص، وكنت شديد الأسف أن أخذهم. لم أودعهم إلا بعد ما استخلصت منهم كل المعلومات التي لديهم عن خط الحدود بين هذا الموقع وعمود نيد فضة (رقم ١١٩ أ) الذي كنت قد حددته في طريقي إلى الأجزاء العليا من وادي جازان قبل أسابيع. كان ذلك يقع داخل أرض قيس التي يفصلنا عنها قسم صغير من الشريط الحدودي، يفصل بين قبيلة العبادل وبين جيرانهم اليمينين. يشار إلى عمود السودة الحدودي أحياناً باسم المطارق، غير أن شيوخ العبادل يعرفونه فقط باسم جبانة لسبب لم أتأكد منه. تمتد الحدود من هذا الموقع إلى مسافة (٥٠٠) ياردة تجاه الشمال الغربي ناحية النهاية اليسار لسلسلة السودة البازلتية، والتي تنحدر معها سلسلة قرنة إلى أسفل على الجانب البعيد لسهل العارضة.

كانت هذه النقطة وبالانفاق نقطة تحول في الحدود على الرغم من أنها غير معلمة بعمود، ومنها يمتد الخط إلى موقع يبعد (٨٠٠) ياردة إلى الشمال من معسكرنا على الجانب القريب من قمة قرنة. يقف هنا عمود قمعة أم جريبا (رقم ٢١ أ)، حيث يدور الخط لمجرى الدحن عند قرية غرنوقة^(١) السعودية على بعد

(١) غرنوقة: الاسم الصحيح لهذا المكان، مع أن فيلبي أورده تحت اسم (غرلوقة)، وهذا غير صحيح. (ابن جريس).

نصف ميل تجاه أعلى الوادي وقليلًا ناحية الشمال الشرقي. لا يوجد عمود هنا ولا في الوادي والذي اتفق على أن يكون خط وسطه مسافة ميل ونصف الميل تجاه أعلى الوادي ناحية الشمال هو الحدود. ثم يدور الوادي والحدود شرقاً إلى موقع دخول شعيب رحب من جانب الأرض اليمنية في ذلك الاتجاه. لا يوجد عمود حدودي حتى هنا، وذلك كما يقول محدثي، إن عبدالله بن شرقة قد أقنع نفسه بتسجيل النقاط المختلفة للشريط دون تعليمها لأجل الأجيال القادمة. يمتد الخط هنا -مهما كان الأمر- شمالاً إلى موقع آخر غير معلّم يسمى دوير أم حريق في مضيق يقع بين قمتي جلحان وحبرا، ومنهما إلى عمود عار أم جميلة (رقم ٢٠).
 لم أستطع استخلاص أي أخبار صحيحة فيما عدا هذا، فيما يخص الحدود، من العبادل الذين كانت حدود أرضهم -وهي متماشية مع قيس- تعلّم بهذا العمود الأخير. لم تكشف أبحاثي عن علامات حدودية معترضة بينه وبين عمود نيد فضة الحدودي، ولغرض الترقيم المتسلسل أستطيع فقط افتراض أنه ليست هنالك أعمدة وسطية. وعلى هذا الأساس فإن عمود عار أم جميلة يجب أن يمنح شرف أنه العمود المركزي لكل الشريط الحدودي إذ به (١١٩) علامة رسمية معترف بها على كل من الجانبين، بعدد إجمالي هو (٢٣٩)، منتشرة على مسافة عدد مماثل من الأميال من البداية للنهاية. كانت المسافة من الساحل إلى عار أم جميلة، على الحدود، حوالي (١٠٠) ميل لتصل إلى المستوى الأعلى لوادي جازان نفسه وهو الخط الذي يفصل بين قيس والعبادل.

بكل أسف، ومع تقديم مكافأتي لمثلي العبادل لكرمهم الأميري ولصبرهم خلال الإقامة المؤقتة الجبرية والطويلة والعديدة الفائدة في معسكرنا البائس، ألقيت نظرة وداع على هذا الجوار الوعر وهو أقصى ما تمكنا من الوصول إليه، وأدرت

ظهري إلى الحدود مع الإحساس بأن عملاً عظيماً قد انتهى . لقد تم وضع الحدود بين العربية السعودية واليمن على الخريطة أخيراً، وفي الساعة (٤٠ , ١٠) صباحاً، في اليوم الثلاثين من يناير بدأنا رحلة العودة إلى الوطن . عبرنا وادي الدحن بعد عشر دقائق بعد ذلك، قليلاً أسفل الموقع الذي عبرناه فيه قبل أيام سابقة . امتدت غابة أشجار الأبراة على جانبيه وتخللها مجموعات كبيرة من نبات الشار، إلى أسفل الوادي في اتجاه روابي العاصم، التي في نهاية الأمر تنحرف تجاه وادي دهوان . مررنا من حين لآخر بمجموعات من الرعاة في هذه الأرض الشبيهة بالمتنزه، ومعهم قطعان ضأنهم، وبعد حوالي ميلين من هذه المسيرة الممتعة خرجنا من منطقة الغابة إلى سهل عريض لنجد قرية الخشل أمامنا في حوض الشجيرات العادية، فوق سلسلة عارية من جلاميد بازلتية عظيمة . كنا نساغر في اتجاه الجنوب الآن، ومررنا بمقبرة من قبور صغيرة مغطاة بحجارة صغيرة سائبة، متجمعة حول ضريح من أبعاد أكبر ودائري الشكل بجوار شجرة على جانب الطريق، كانت أفرعها محملة بالزهور وأعلام صغيرة بيضاء ولعله المقر الأخير لأحد رجالات الدين .

دخلنا فيما يلي هذا إلى أرض واسعة ذات شجيرات، جرى الطريق خلالها عبر خطوط متعرجة عديدة وكأنها طريق سريع مطروق - كان هذا هو الطريق الذي يعبره الزوار اليمينيون إلى الينابيع الحارة وسوق الفواكه في الخوبة . كان هذا الإقليم الشجيري الذي يملأ الفراغ بين الدحن ودهوان ويمتد من قدم الملحمة إلى الخارج حتى جوار العاصم، من أفضل القطع الغابية التي رأيتها في سهل تهامة، وكان مليئاً بكل أنواع الطيور المألوفة، إلى جانب هذا، مررنا بمجموعة من النسور وهي ترتاح بعد وجبتها على جثة حيوان مات على الطريق، بجوار سمة صخرية

بارزة تعلم الطرف الجنوبي لسلسلة ملحمة. اتصل الطريق المطروق العادي الذي يقبل من ناحية الجابري، قليلاً فيما يلي هذا الموقع، مع طريقنا داخل مساحة مزروعة كبيرة تمتد مسافة ميل واحد من قدم الملحمة وتتمى إلى آل سريع وهو تحت قسم لقبيلة الكعوب.

وصلنا بعد عشر دقائق على الجانب الأيمن لوادي دهوان وتوقفنا للاستراحة مدة ساعة لطيفة وقد كان بطنه لا يزال محتفظاً بالمياه، فوق رماله وبين جانبيه المعشبين وبعض الجلاميد التي احترقتها السيول إلى هنا من الجبال. تحتل قرية العبادية في واجهتنا، وعلى مسافة مع اتجاه الوادي إلى أسفل، وتشتمل على عش مبنية من الأعواد، مسافة مكشوفة في الغابة مع مساحات واسعة للزراعة منتشرة في كل اتجاه. حيّاناً المزارعون هنا، كما يفعل الحرث بصفة عامة، أثناء مرورنا بهم، برفع أيديهم من بعيد، كما في نجد، غير أنهم لم يبدو أي اهتمام بما كنا نفعل. حضر رسول المبتعث من الخوبة ليقابلنا هنا ومعه شحنة كريمة من الباباي، وواصلنا رحلتنا في صحبته. تخففت الغابات الشجيرية شيئاً فشيئاً ونحن نتقدم حتى وصلنا إلى قرية دار النصر حيث كان الناس مشغولين بالحصاد فوق مساحات كبيرة للدخن (الذرة) والتي كان في وسطها بعض مساحات للفاصوليا تزحف فوق سطح الأرض. لاحظت أن أعواد الذرة كانت نحيلة جداً مقارنة مع تلك المحاصيل الغنية في نجران.

وصلنا إلى ذهبان بعد مسيرة أقل من الساعة الواحدة من دهوان، والذي كان في هذا الوقت جافاً على الرغم من أننا كنا نرى مياه الغيل الجارية المتقطعة تواصل انسيابها على بعد (١٠٠) ياردة مع اتجاه الوادي، في بطاء مع وجود طبقة زبد على سطحه. تقع إلى القريب من هنا قرية نمير الصغيرة والتي في دائرة غابتها تمكنت

من اصطيد طائر الباز. كانت الجبال العالية مغطاة بالسحب غير أن مسجد النظير الأبيض برز واضحاً، وهو من أفضل العلامات الأرضية في هذا المحيط. كان الاتجاه العام للمجرى إلى أسفل هو ناحية الشمال الغربي، متجهاً إلى هضبة طحنان البارزة، بعد عبورنا للوادي بين المحاصيل الشاسعة لقوى. بدأ محصول الذرة عند ضواحي هذه المنطقة فقيراً، إلا أنه أصبح أكثر كثافة حينما اقتربنا من مجرى وادي خلب، وكانت أكوازه غنية.

اتصلنا مع المجرى عند منحنى في مجراه على بعد (٢٥٠) ياردة إلى يسارنا في الزاوية الكثيفة الزراعة عند المنحنى. تتماشى حقول قوى مع الخوبة فوق عرض يصل إلى ميلين يمتد حتى حافة التلال، ولم يمض وقت طويل حتى عبرناها كلها لندخل الخوبة نفسها، حيث كان يوجد زوج من العشش مثبتة بالطين مبنية على قاعدة طينية كان قد تم تخصيصها لإيوائنا.

تقع الخوبة على ارتفاع (١٠٠٠) قدم فوق سطح البحر، فوق صخرة منخفضة على الجانب الأيمن للوادي، الذي كان ماؤه ينساب في هذا القسم، والذي قد انحدر من سيل عنيف مساء أمس نتيجة للعاصفة الرعدية التي دفعتني إلى داخل العشة الصغيرة في المطارق. لم يكن السيل ضخماً، على كل حال، ويبدو أنه لم يفعل أكثر من إحياء مياه الغيل التي يعتمد عليها أهل الخوبة للحصول على مياههم. كانوا في معظمهم من قبيلة الحرث، مع عدد كبير من الزوج، غير أنه توجد عائلتان أو أكثر من الأشراف مستقرون بصفة دائمة هنا. يزعمون أنهم قد هاجروا إلى هنا حينما كانت بلدة وطنهم وادي ضمد، التي هي الآن مدمرة ربما بسبب سيل، غير جاهزة للخدمة الفعلية. قام بزيارتي ثلاثة أشقاء من أسرة واحدة، هم علي وحسين ومحمد، كلهم ذو مظهر مميز مع أجمل شعر

على الرأس رأيته في هذه الأنحاء . كان شعراً مجعداً وكانوا لا يضعون غطاءً صناعياً فوق رؤوسهم .

عاد أكبرهم (محمد) من زيارة إلى جازان حين استدعاه الأمير لينضم إلى لجنة الحدود الدولية التي تكونت لمعالجة موضوع نزاع حدود السودة . أخبرني محمد أن القاضي عبدالله بن الوزير قد رجع إلى الحديدة، بعد انتهاء مهمته في جازان وأن جيولوجيو شركة النفط (شركة امتياز النفط المحدودة) قد وصلوا إلى جازان في طريقهم إلى جزر فرسان، حيث سيقومون بدراسة احتمالات النفط . أخبرني أيضاً أن الشاحنة التي قمنا بإرسالها من أبي صول، تتوجه بالعودة إلى الخوبة عن طريق صامطة، قد رجعت إلى جازان وتعطلت هناك على أمل رحلة ثانية داخل الصحراء . كان أسوأ أخباره أن سيارتي الخاصة التي أرسلتُ باللاسلكي بطلبها من جازان لهذه الرحلة، قد وصلت هناك من جدة وقد انكسر محورها الخلفي، وتعطل معها بريدي الخاص الذي كنت أتطلع إليه بشغف .

لم يكن أمامنا إلاّ القبول بفكرة عودتنا إلى جازان على ظهور الحمير . لم تكن فكرة مريحة بعد هجمات الحمى التي أصابتنني حديثاً، ولم أنصرف وكأني معاق عن تناول العشاء، حينما تناول الأمير العشاء معي وجهاً لوجه في عشتي . لم يحضر الأمير الطعام فقط، بل أحضر ثلاث علب كيروسين فاضية لتستخدم كمائدة، وكذلك ملاءة نظيفة بيضاء لتغطيتها . لم يكن يستطيع إحضار المقاعد للجلوس عليها، غير أن هذا لم يحرمني من الاستمتاع من تقديم هذا الطعام على المائدة، الذي يشتمل على لحم الضأن والأرز المتبّل، والدجاج المنكه بالكاري والبيض بأشكال مختلفة والخضراوات والفاكهة وغير ذلك من الأصناف . كانت كلها جيدة الطبخ ذلك لأن علياً قد اختار فتاة زوجاً له من تهامة لتشاركه منفاه .

أخبرني بأنه وعلى الرغم من أنه من مواطني شقراء، إلا أنه لم ير المكان وذلك لأنه - كما كان والده - قد ولد في مكة التي كانت أبداً موطنه .

كان من بين الزوار الآخرين الذين قابلتهم أثناء النهار، ضابط الدخل المحلي والجمارك، الذي جلب لي بعض المعلومات المفيدة حول عمله . كان أكثر المواد التجارية أهمية، ويعبر خلال هذا المركز هو البن اليمني وقشوره التي يصنعون منها شراباً يسمونه قشر، وشراباً ممتازاً يسمونه تسين، إذا أضيفت إليه القرفة . عبرت خلال الشهر المنصرم ما يقدر بـ (٣٠٠) قنطار من البن في طريقها إلى جازان ومكة، وكان متوسط العائد الدخلي للشهر خلال هذا المركز هو (١٠٠٠) ريال (حوالي (٧٥) جنيهًا استرلينيًا) . أخبرني بأن طريق ظهران لم يكن محبوباً للتجار اليمنيين ويفضلون هذا الطريق عبر تهامة، بسبب يعزى جزئياً إلى مشاكل العملة، وثانية إلى أن القافلة العائدة لا تجد بضائع تعود بها . أما في أسواق تهامة وبخاصة في جازان، فإنه يمكن شراء مختلف البضائع، بينما يمكن الحصول على الريال الضروري للدفع من البيع المحلي لبعض البضائع المستولاة . كانت (صامطة) مركزاً جمركياً آخر أقل أهمية من الخوبة التي تضمنت بالطبع المركز الخارجي في الجابري . توجد المكاتب الحكومية وثكنات الشرطة في قلعة مهيبة ورثت عن النظام الإدريسي إلا أنها جددت وصينت بدرجة واضحة .

كانت المالية في بناء مستقل، بينما كانت المراكز التجارية وميدان السوق واسعة دون شيء يميز بينها . كان المسجد الرئيس بناءً بسيطاً، بينما كانت كل المنازل العادية من الطين والعشش . لم أشاهد مزارع الأندقو (النيلة) أو مصانع الصبغة، إلا أن الصناعة المزدهرة المحلية كانت عصر الزيوت خاصة السمسم . رأيت معصرة أثناء أدائها العمل عند مدخل المعسكر الذي استضفت فيه - كان أمراً بدائياً جداً،

يقوم بتشغيلها جمل معصوب العينين يدور داخل دائرة مصغرة تحت غطاء سقف من الأعواد. يربط الجمل إلى عمود يحرك حجر الرحي الذي يدور فوق إناء حجري يستجمع الزيت أثناء سيلانه.

لم تكن الخوبة سوى قرية كبيرة على الرغم من أنها مركز إداري، ويبلغ عدد سكانها (٢٠٠٠) نسمة كما كانت جارتها قوة أيضاً صغيرة، أما بقية القرى في الجوار فهي ذات أهمية ضئيلة. لم يكن هنالك ما يتطلب تأخيرنا في هذه الأجزاء عدا ينابيع الوغرة الحارة، والتي توجهنا نحوها مبكرين في آخر أيام شهر يناير، ممتطين الحمير وتحت سماء بدأت تنذر بالعاصفة من جهة الغرب، على الرغم من أن الجبال العالية كانت مكشوفة من السحب. وصلنا بعد مرورنا بالمقبرة التي تفصل الطريق الرئيس عن قوة، وفي خلال (٢٥) دقيقة إلى الينابيع، وهي آخر أجزاء المر وتقع داخل أرض ذات شجيرات خفيضة أهمها العرد والترف والسنا والشار المتكبر، مع بعض أشجار الأثل الجيدة النمو. كان الوادي منساباً حين وصولنا بجداول مزدوج يفصل جزئيه شريط عريض جاف.

قادنا الانسياب الثانوي إلى بطن مسطح من ألواح صخرية تعترضها مساحات من بروزات غريبة ذات لون وردي تحف بالجانب الأيمن. ربما كان هذا الصخر من طبقة بركانية، وكان في هذا الترسب أن وجدنا بركة مشهورة قطرها ستة أقدام وعمقها (١٨) بوصة. هنا يسبح الزوار في مائها وقد سجل مقياس الحرارة الذي أحمله معي (٧، ١١٥) درجة، ويسيل إلى داخلها عدد من الجداول الضيقة تنبع من العيون الحقيقية.

سجل مقياس الحرارة (٥٠) درجة مئوية (١٢٢ درجة فهرنهايت)، ولكنه لم يستطع التعامل مع هذه العيون. كان الماء يغلي من عند المرجل أسفله، وكانت

شدة الحرارة لم تمكنني من أن أمد يدي فوقه لثوان قليلة، واقتنعت بأن درجة الحرارة لا بد أن تكون في نطاق الغليان. لا أعتقد أن هذه البركة تستحق أن أستحم فيها، واكتفيت بغسل يدي ووجهي وقدمي بمائها الدافئ.

واصلنا مسيرتنا عبر حقول للذرة تمتد من الجانب الأيسر لمجرى الوغرة مسافة معتبرة وتدخل إلى الصحراء النموذجية ذات الشجيرات القصيرة، والتي صنع منها المزارعون طرقاً داخلية متى ما وصل السيل إلى ما يلي حدودهم العادية. لاحظت أن المحاصيل التي تقع إلى البعيد من الجدول قد تم حصادها. يعزى هذا إلى أن الأراضي الجافة ليست واعدة لنضج لاحق، ولذلك تم الحصاد قبل أن تجف الطبيعة السنابل. دخل الطريق القادم من صامطة، بعد مسيرة (٢٠) دقيقة من الينابيع الحارة، إلى طريق جازان من جهة الجنوب الغربي في وسط غابة طلع كثيفة حيث تسود أشجار الوهط بأشواكها الشرسة.

كانت توجد مساحات زراعية منعزلة حتى في هذا الموقع النائي، بالقرب من قريتي أمزيرة ومشباح الرعيلى على الجانبين ونحن نتقدم في موازاة مع صفحة سلسلة دخان، على بعد ميل واحد على يسارنا. التقى الطريق سريعاً مع مجرى شعيب خمران^(١) الكثيف الشجيرات، وهو أحد روافد وادي لية ثم ابتعد سريعاً عنه ليتحاشى أرض صخرية متموجة من الشسست والكوارتز تمتد إلى الورا إلى شريط من تلال تشتمل على كل من دخان والريميح وجحفان. سرنا على امتداد الحافة لهذه الأرض وكانت غابة خبت على يميننا. انكشف أمامنا منظر عظيم لسهول تهامة، عبر الفجوة بين نهاية هذا البهو الطبيعي ومجموعة تلال معكم

(١) شعيب أو وادي (خمران)، هو الاسم الصحيح لهذا المكان، مع أن فيلبي ذكره باسم (ثمران)، وهي تسمية خاطئة. (ابن جريس).

(غراب). كان خلفنا منظر آخر جميل للسهل ذي الغابات السفحية الذي يمتد من الخوبة إلى العارضة من بين هذه التلال الخارجية والجبال العالية ناحية الشرق.

وصلنا إلى قرية أم الدُّبَا، على بعد مسافة ساعتين على ظهور الحمير (حوالي ١٠ أميال) من الخوبة، حيث كان استقبلنا حاراً من جهة الصديق القديم محمد ابن طراد، في منزله الكبير المبني من التل والأعواد. كانت القرية التي تتكون بكاملها من العشش ذات موقع لطيف. داخل انطباق لأرض صعبة وترتفع إلى (٧٠٠) قدم فوق سطح البحر. يمتد من عندها طريق فوق الصخور إلى صامطة، بينما يجري طريق آخر، والذي سلكناه، وهو الطريق الرئيس عبر سوق الأحد إلى جازان. سوق الأحد هذا هو المركز القبلي للمسارحة، الذين يملكون أرضاً واسعة شمال وادي خلب ورئيسهم هو الشيخ موسى السويدي.

واصلنا سيرنا بعد فترة استراحة استغرقت ساعة ونصف الساعة، ومررنا بأرض واسعة من حقول الذرة، جيدة المساطب للإمساك بمياه السيول، تعترضها أجمات هنا وهناك من شجيرات عنيدة مع العديد من أشجار الضبر التي ارتفعت سيقانها الغليظة من (١٢) إلى (١٥) قدماً إلى رؤوسها عديمة القرون. سيطرت الغابة سريعاً على ما يمكن أن يصبح أرضاً زراعية على جانبي وادي خمران، الذي عبرناه في وقت لاحق عند موقع كان بطنه الصخري قد اختنق ببرك الماء. وقف عش ضخّم لطائر (أبو منقار) عند تفرع شجرة صغيرة.

واصلنا السير فوق أرض متموجة، تنتشر فيها الشجيرات الشائكة وبعض المساحات الزراعية تابعة لقرية أم الدرق الصغيرة على يميننا وفعلياً على الجانب الأيسر لمجرى رزيع على مسافة نصف ميل على الجانب الآخر من طريقنا. مررنا

في وقت لاحق بقرية معران على يسارنا ثم إلى الوراى وعلى بعد ميل واحد، بقرية مصوآن على الجانب الأيمن لوادي لية، ويقع تل جحفان وراها مباشرة. كان السطح الذي نسير فوقه متخللاً بكتل من حجارة بازلتية مكونة سلسلة متعارضة على طريقتنا. وصلنا بعد ساعة من مغادرتنا أم الدُّبا إلى الجانب الأيمن لوادي لية، الذي يجري هنا في وادي كثيف الشجر في اتجاه الجنوب الغربي. سلكناه إلى فترة عبر مزارع كل من مصوآن ومحادف، وهي قرية متعرجة طويله تقع إلى يسارنا. ابتعدنا تدريجياً من المجرى فوق أرض تنتشر فوقها قطع البازلت، وفيها عبرنا بشجرة ذات حجم ضخم وقد انتزعت من جذورها بواسطة رياح شديدة. كانت أغصانها لا تزال خضراء. كما توجد هنا مساحات من مزارع، حتى خروجنا إلى سهل مسطح ينحدر بلطف من الحصى الكوارتزي مع بروزات من البازلت وبعض الشجيرات القليلة الشائكة ومعظمها من الوهط والسلم.

تقع قرية القفل^(١) التابعة للأشراف على بعد نصف الميل ناحية الجنوب من موقعنا على الجانب الأيسر للية. إلى جانب قرية تسمى أمقائم الأحمر ناحية الغرب، وقرية ثالثة تسمى منشية على بعد نصف الميل ناحية الشمال الغربي. تقع قرية أخرى من وراء هذه القرى وعلى طريقتنا وتسمى أم الكدش، وقرية الوتد على نفس البعد فيما يليها، ثم وصلنا بعد ذلك إلى قرية (أبو حجر) الكبيرة حيث توقفنا مدة نصف الساعة. كان الريف من حولنا ولمساحات الأميال مغطى ببساط أخضر من المحاصيل النامية التي تمتلكها هذه القرى. لم تكن المحاصيل واعدة. تمت زراعتها بعد انحسار مياه السيول على أمل أن يأتي سيل آخر لإنعاشها وإيصالها إلى مرحلة النضج، وإذا لم يحدث ذلك، فإن الدخن ينضج دون امتلاء

(١) قرية القفل: سميت بهذا الاسم نسبة إلى رجل يدعى قفل بن حيدر من الأشراف. (ابن جريس).

وتكون السنابل صغيرة. وجدنا على جانب الطريق في (أبو حجر) أن بعض المحسنين قد أقام سبيلاً للماء من جرة فخار ضخمة لعابري السبيل. كانت هذه القرية واحدة من المراكز الرئيسة لقبيلة بني شيبيل والذين تكون حدودهم مع المسارحة في مجرى خلب، بينما ينتشرون جنوباً إلى وادي تعشر المتماشي مع الحرث عند القفل.

حاولنا شراء بعض البيض، ولم نجده وتأكد لي أنه لا يوجد بيض ولا دجاج في القرية. يكره العرب الدواجن ومنتجاتها لكونها في رأيهم لحم رخيص، غير أنه وبصفة عامة، من الممكن الحصول عليها عند الحاجة في الجزيرة العربية بصفة عامة. ولكن في تهامة يبدو الأمر محرماً، ولعل هذه هي أول مرة أقابل بها هذا الأمر. استعدنا بعض النشاط بوقفنا القصيرة هذه والتي تناولنا فيها الشاي ثم واصلنا مسيرتنا. وكانت مؤلمة على ظهور الحمير، في مواجهة أشعة الشمس، التي تكون عادة حارة جداً عند الظهر في سهل تهامة. بدأت يداي تتقرح أيضاً بسببها.

تقع قرية أخرى كبيرة من قرى بني شيبيل تسمى مرح، على بعد ميل واحد إلى الجنوب الغربي من (أبو حجر)، بالقرب من وادي لية، كما أمكننا رؤية المنجارة على بعد ثلاثة أميال ناحية الشمال الغربي في اتجاه القمم البركانية لقمطين، -وبالفعل- فوق طريق بديل من الخوبة إلى جازان عن طريق تلال عقبة - غراب. كان ارتفاعنا العام في هذا الموقع حوالي (٥٠٠) قدم فوق سطح البحر. لاحظنا أهالي الريف وهم يعودون إلى منازلهم من سوق الأحد، أثناء تقدمنا من هذه القرى وقرى أخرى متشرة على جانبي وادي خلب، وقد كان اليوم هو يوم الأحد.

مررنا أولاً بقرية رمدة الكبيرة التي تتألف من مجموعات متلاصقة من عشش الوتل وعشش الأعواد، وتنتمي هذه القرية إلى الضوامة قسم من قبيلة المسارحة، على الرغم من أنهم داخل أراضي قبيلة بني شبيل. تقع هذه القرية على مسافة ميل واحد قبل الوصول إلى وادي خلب، التي يتكون حينما وصلنا إليه، من مجريين رملين يبلغ عرض كل منهما (١٠٠) ياردة، يفصل بينهما حزام عريض من أشجار الطرفاء. تزرع في كل من المجريين مساحات واسعة من الدخن على جانبي الطريق المائي الضيق، وهو الآن جاف. أزعج دخولنا إلى هذا المكان عدداً من الأرانب البرية - كما تكاثفت أشجار الطرفاء والترف والسنا والكثير من عشبة الثمان. تبدو كل هذه الأرض وكأنها دلتا ضخمة أكثر منها بطن وادٍ، كما يدل المجرى المزدوج على تغلب السيول الأخيرة، ربما هو الحفاظ على ذكرى تاريخ قديم كان وادي خلب ينطلق فيه من هنا إلى البحر.

وصلنا سريعاً إلى رف منخفض، وجدنا أنفسنا عنده على حافة المزارع الواسعة التي تملكها قرية القائم، تسمى عادة قائم الأحد، لتمييزها عن قرية بالاسم نفسه بالقرب من الخوبة-. كان أهلها يسحبون الماء من البئر ونحن نعبها في سرعة لنصل إلى قرية البيطارية الكبيرة حيث قررنا أن نعسكر فيها لقضاء الليلة. وصلنا إلى هناك بعد غروب الشمس بساعة، حوالي الساعة السابعة مساءً. وجدنا أجنحة قد خصصت لنا في فناء واسع ونظيف ومسور بالأعواد إلى ارتفاع الكتف. كان توجد فيها مساحة مربعة عريضة مرتفعة من الطين لعشة على شكل خلية النحل من الوتل والطين. ويكون الطين قاعدة ومثبتاً للجدران الداخلية لارتفاع قامة. كان الوتل منسوجاً من الأعواد على الجانب الخارجي لكي يصبح البناء صامداً للماء وصامداً للشمس. تتدلى من قمة البناء سلسلة من الحبال ممسكة بكل ما يتعلق بالبناء بقوة.

كان الشيخ المحلي وشقيقه يتسوقان في سوق الأحد، على بعد ميل ونصف الميل إلى الجنوب الشرقي من موقعنا وبعيداً عن الطريق الرئيس، إلاّ أنهما أسرعاً بعد عودتهما منه ليقدمنا لنا طراز كرمهما الواسع في وسع منزلهما العامر. اعتذرت لهما عن قبول عرضهما السخي الحسن النية، بعد أن استرحت في هدوء وكنت أحس بالتعب وبالوجوع، وبلا شك فقد استضافانا في هذا البناء الذي لا يقل مكانة عن دار الضيافة المحلية. استغرق وصول العشاء بعض الوقت، وسرني أنه اشتمل أساساً على الدجاج والبيض. كان هذا بالضبط هو ما أحتاج إليه في حالة إرهاقي هذه، وبعد مسيرة طويلة على ظهر حمار والتي كانت مباشرة بعد إصابتي بالحمى.

لقد أصبح معروفاً أنه لا حسن ولا إبراهيم، مضيفي الحاليين، كان هو الرئيس الإسمي للقرية. كان موسى السويدي، الشقيق الأكبر بين الأشقاء الثلاثة غائباً، إذ إنه قد غادر إلى مكة لأجل الحج وفي رفقته (١٠٠) من رجال المسارحة. كما عبرت كتيبة مماثلة من قبيلة بني شبيل من هذا الموقع لنفس الغرض. بدا واضحاً أنه لم يبق لدي كثير وقت. انطبع في ذهني أن حسين، الذي أكرم وفادتنا في غياب شقيقه، أنه متبلد الحس، ووجدت صعوبة شديدة في الحصول على المعلومات الجغرافية منه في صباح اليوم التالي حينما رافقتي بلطف في جولة حول القرية. سألته إن كان من الممكن أن تحصل على ماء أشربه. أعاد حسين كلمة «ماء»^(١) بصيغة السؤال. وأجبتة بالإثبات أنني أرغب في شرب الماء.

(١) أعتقد أن فيليبي لم يفهم ما قال حسين عندما طلب منه شربة ماء، وفي أغلب الظن أن حسين لم يفهم طلب فيليبي فقال: ما هو، أي يستفسر ماذا يريد، وهذه الكلمة (ما هو؟) دارجة عند سكان السهول التهامية وبخاصة منطقة جازان، وأحياناً ربما يذكرها البعض بالإدغام فيقول (ماء) والمقصود بذلك (ما هو؟) (ابن جريس).

وكرر ما قاله أول مرة «ماء»؟ لا أدري إن كان قد استوعب طلبي، غير أنني في النهاية ناديت على سعد ليحضر لي الماء.

كان القرويون فضوليين جداً من حولنا، يتوافدون في تتابع للإحاطة بمعسكرنا، وكان كل من حسن أو إبراهيم يقوم بطردهم. وجدت أن جولتي حول مجموعة العشش مثيرة للاهتمام. كان معظم السكان من أصل أفريقي وتتحرك النساء في المعسكر بلا غطاء يعلو الخصر. كانت أجساد بعض الشابات منهن جميلة جداً غير أنه لم يكن هنالك اتجاه استعراضي بينهن وهن يقفن بجوار أبواب عششهن أو يتحركن في فناء الدار. كن طبيعيات تماماً نصف عاريات بسبب الحرارة الشديدة - حرارة رطبة وقابضة- وكنَّ تماماً لا يشعرن بالخجل، لأنه لا يوجد ما يدعوهن للخجل.

جذب ضوء مصباحي في أثناء الليل آلاف الجراد، غير أن صرصار الليل لم يكن يمثل كثافته في الخوبة. كان ارتفاعنا هنا حوالي (٣٠٠) قدم فوق سطح البحر وكانت درجة الحرارة (٧٧) درجة عند الساعة السابعة صباحاً. يحصد الدخن مرة واحدة في العام في الأراضي المرتفعة التي تعتمد كلية على الأمطار، وبعيدة عن مدى السيول الموسمية، بينما في الأراضي التي يصلها السيل، وبناءً على نوعية السيول، فإن زراعة البذور مرة واحدة ينتج عنها حصاد (٣) أو (٤) محاصيل. يقطع كل محصول إلى ارتفاع بوصات قليلة من سطح التربة، فينمو بسرعة إلى حجمه الطبيعي خلال الحصاد وهكذا حتى يمتص آخر محصول يحصد كل الرطوبة. تقع كل من قرיתי المنجارة وسوق الليل -والأخيرة هذه مستعمرة للإشراف- على الجانب الأيمن لوادي خلب اتجاه أعلى الوادي عند عبورنا.

تقع قرى المسارحة ناحية الغرب من موقعنا، منها قرية العر وقرية طواحرة بينما تقع قرية الدغارير التابعة لبني شيبيل على مسافة ثلاثة أميال ناحية الجنوب. ربما يطلق على قرية سوق الأحد اسم الميزاب غير أن الاسم الأول هو الشائع^(١)، ولا يعرف الاسم الثاني غير الخبراء. تقع براكين قمتين ناحية الجنوب من موقعنا على بعد (٥) أو (٦) أميال.

بدأنا المسيرة تحت سماء ملبدة بالسحب، بعد أن تناولنا الإفطار المكون من الدجاج والبيض، وقد كان الجزء الأول من رحلتنا على ظهور الحمير لطيفاً وبارداً. يقع ممرنا عبر منطقة مزروعة على أرض أكثر ارتفاعاً عن الوادي، وكانت المحاصيل في معظمها تعيسة، وفي بعض الحالات، جافة تماماً قبل أن تصل إلى مرحلة النضج. توجد المتاريس في هذه المنطقة بصورة أخف، وفي مساحات صغيرة للإمساك بما يهطل من مطر، وكان من الواضح أنها خارج نطاق السيول. تركت بعض الحقول بلا زراعة، وبعضها تم تهيئته سطحه بالمحراث، على أمل هطول أمطار في وقت متأخر من الموسم، الذي يمتد من منتصف أكتوبر إلى نهاية أبريل وهي متقلبة وبلا أمل. مررنا بعد نصف ساعة ببئر الطالبية، على مسافة من الطريق ناحية اليسار، والتي يعتمد عليها أهل العر للحصول على حاجتهم من الماء للشرب. كنا لا نزال على ظهور حميرنا فوق أرض ذات محاصيل ميتة أو تحتضر، والتي أفسحت المجال تدريجياً لأعشاب ميتة وشجيرات خفيضة ميتة أيضاً. أزعجنا بدخولنا إلى قرية السر التابعة للمسارحة أربع غزلان من داخل حزمة من دخن جاف. يمكن رؤية عدد من القرى الصغيرة متشرة فوق أرض ذات تربة رملية،

(١) نعم أن أحد المسارحة يعرف أيضاً باسم (الميزاب). (ابن جريس).

التي يحاول القرويون زراعتها في جهد عظيم بالدخن، وتتحصل على حاجتها من الرطوبة من الندى الليلي في هذا الموسم.

كانت أكبر هذه القرى هي قرية المجامة على بعد أربعة أميال ناحية الشمال الغربي من السر. وكان من بين القرى الأخرى كل من الغويدية، وبيت ابن جبران، والسويدية أمغفقية، وكانت الأخيرة هذه على طريقنا. توقفنا مدة نصف ساعة تحت ظل مجموعة منعزلة من أشجار الطلح بالقرب من بئرها، وهو صهريج جيد البناء مبطن ببلاط من الحجر. شاركتنا في الظل مستعمرة من الطيور النساجة الصغيرة، بينما كان هنالك فريق من النساء يقمن بسحب المياه لقطعانهن من الضأن والبقر. تقع قرىتان صغيرتان على مسافة ليست بالبعيدة عن أمغفقية يسكنهما أسر السيد، ربما بقايا من عصر الإدريسي. يطلق عليهما اسم رعشة وبيت أحمد عبده.

واصلنا سيرنا من البئر وسرعان ما تركنا كل المزارع خلفنا، ودخلنا أرضاً من كثبان رملية متموجة. كنا نسير بقدر المستطاع على حافتها الشمالية، وكان يرافقنا بطن وادي مسكة الضحل الرملي، وهو يمتد موازياً لطريقنا على اليمين. ينبع هذا الوادي من مجموعة تلال مسلة - العقبة، وينحدر ماراً بقرية بيت أحمد عبده يدخل إلى أمواج الرمل التي نمت في وسطها شجرة طلح صغيرة شوكية بما لديها من رطوبة. كانت هنالك مساحات مزروعة على الجانبين على فترات، بعضها كان مزدهراً حول قرية العلولية وقرية الخمسية اللتين تتقاسمان مياه بئر مصنع على الطريق. انخفض ارتفاعنا في هذا الموقع إلى أقل من (٢٠٠) قدم فوق سطح البحر، ولكي يزداد الأمر سوءاً، فقد هب نسيم أثار الرمال فيما يمكن وصفه بأنه تقليد لعاصفة رملية. واصلنا سيرنا جاهدين عبر هذا وخلال شريط منقطع من

أشجار طلح بائسة، التي ربما علّمت المجرى الأصلي للوادي، على الرغم من أن أمواج الرمال قد محت تماماً مجراه. وصلنا بعد قليل إلى مجموعة أكبر من أشجار الطلح وشجيرات الأراك، والتي يجري الطريق خلالها مسافة نصف ميل ليظهر على السهل الرملي فيما يليها. مررنا بمجموعة من قطع الفخار المتناثر التي تشير إلى موقع قرى قد اندثرت، على فترات، على امتداد مجرى هذا الوادي الميت الذي يجري إلى البحر جنوب المضايا.

رحبنا في فرحة وارتياح لرؤية قرية المضايا، عندما عبرنا شريط كثبان الرمل المعترضة، وقد سيطرت مباني الحكومة على القرى الصغيرة المكونة للقرية. مررنا بالقرية الأولى، وتوقفنا عند البوابة الخاصة بالبناء المتطاوّل الكبير، الذي كان يضج بالنشاط في هذه اللحظة. كان موسم دفع الضرائب، وقد أقبل الرجال والحيوانات من القرى البعيدة والقرية، وقد أحضروا معهم مستحقات قيصر^(١) - جوانات كبيرة منتفخة تحتوي على نصيب العشر الخاص بالحكومة من محصول الدخن. لم يكن من الضرورة أن تضطرب هذه المراسيم، وعليه واصلنا سيرنا إلى الأقسام الرئيسة للقرية لننال بعض الراحة قبل آخر مرحلة لركوب الحمير إلى جازان.

جلست في ظل عشة حين لاحظت وجودي شابة جاءت إلى باب العشة المجاورة. عادت سريعاً إلى العشة، ليس بدافع من الخجل، ولكن لترتدي كل الزينة التي تمتلكها. جاءت بعد ذلك مباشرة ناحيتي وجلست دون أي إحساس بالإحراج تجاذبني الحديث، وقد شاركتها في المحادثة شابة أخرى أصغر منها سناً.

(١) إمبراطور روماني عاش في القرن الأول قبل الميلاد وبداية القرن الأول الميلادي، ويضرب هذا المثل كناية عن تحصيل مستحقات الدولة. (ابن جريس).

كانتا زوجاً جميلاً واثقاً وقد استمتعت بصحبتهما غير المتوقعة، عندما حضر بعض رجال القرية وعادت الفتاتان إلى منزلهما، ولكنهما بلا شك ستعاقبان على جرأتهما.

سافرنا فوق سهل خبت فيما يلي المضايا وقد غطته أشجار الأراك والعبال (أرطى) ويشبه دلتا وادي المعاین الذي كنت قد زرته خلال رحلتي من العارضة إلى جازان. تواصل سيرنا بعد أن قطعنا حوالي الميل على هذا الطريق، فوق صحراء ذات شجيرات خفيضة وعشب مسافة ثلاثة أميال ونصف الميل إلى حافة السبخة العظيمة التي تغلف جازان على جانب اليابسة.

لقد غربت الشمس قبل نصف ساعة وهبط الظلام علينا. بدت تلك الرحلة على الحمير وكأنها متطاولة بلا نهاية وكان علينا السير الحذر فوق أرض لزجة. انزلق أحد الحمير، لحسن الحظ ليس حماري، وسقط على جانبه، كان هذا هو الحادث الوحيد الذي وقع لنا. احتفظ الرجال الذين يسرون معنا على الأقدام بمواكبتهم لسير الحمير وبدون صعوبة، علماً بأننا كنا نسرع متى ما كان ذلك ممكناً. كانت الساعة تشير إلى التاسعة والنصف حينما ترحلنا عن حميرنا أمام بوابة منزل الأمير. قابلنا محمد بن ماضي بترحاب شديد على الرغم من الساعة الحرجة التي وصلنا فيها، وسرعان ما أعدت لنا زوجته طعام العشاء. كنا نحتاج لذلك بعد مسيرة (١٢) ساعة ولم يمض وقت طويل حتى كنت في فراشي. لقد استغرقت رحلتنا الدائرية (١٩) يوماً.



الفصل الثاني والثلاثون

الطريق الساحلي^(١)

منطقة جازان

لا أحتاج لذكر شيء عن جازان أكثر مما قد ورد في فصل سابق. قضيت اليومين التاليين هناك أعد العدة للمرحلة الأخيرة من رحلتنا، وأستوعب الكمية المهولة من البريد التي كانت في انتظاري حين وصلنا. أكد سائق سيارتي الأخبار التي وصلت من الخوبة فيما يخص العطل الذي أصاب سيارتي، وجمّدت الموضوع بأن قمت ببيع السيارة بحالتها الراهنة إلى ضابط الدخل الحكومي المحلي بمبلغ زهيد، إلا أنني اكتشفت في وقت لاحق أنها لم تكن ملكي إطلاقاً، إنما هي سيارة استعيرت بواسطة صديق في جدة لإرجاعي. كان عليّ الآن أن أعد العدة للسفر بواسطة الحمير والجمال للعودة، غير أن الأمير أشرف على هذا الأمر بكفاءة وكان كل شيء جاهزاً للبداية في الرابع من فبراير، الذي يوافق (٢٢) من ذي القعدة هجري. ويوافق (٩) من ذي الحجة، وهو يوم الحج، (٢٠) فبراير وعليه فبقي لديّ (١٧) يوماً أقطع فيها مسافة تقارب (٣٠٠) ميل. لقد غطيناها في (١٥) يوماً وذلك بمساعدة سيارة قابلتنا في الليث بأمر من الملك.

كان ممثلاً شركة النفط -اللذان ذكرا من قبل- في جازان حين وصلت إليها، وفات عليّ مقابلتها وذلك لأنهما انطلقا نحو جزر فرسان في الصباح على ظهر

(١) لمزيد من الإيضاح عن بلاد الساحل من منطقة جازان حتى مكة، انظر: عبدالرحمن الشريف، المرجع

السابق، ج٢، ص١٣٧ - ٢٦٥. (ابن جريس).

واحدة من أبراج (عبارة) حكومة الحجاز التي تعمل بالموتور، ذات القاع المسطح. كانت ملاحه الريان معطوبة وتعطلت البرجة بعناد في رمال الشاطئ. دهشت في الصباح التالي وأنا أهيمُ نفسي للسباحة على امتداد الحاجز المائي حين رأيت أوروبيين ينزلان إلى الحاجز المائي من مركب شراعي عربي. هكذا كانت مقابلي لكل من السيد بايك (Pike) والسيد والفورد (Walford)، يستطيع السيد بايك إصلاح مسمار التانجستين لمزواتي التي بدأت تعمل بصورة طبيعية، كانت كل معلوماتهم عن جيولوجيا البلاد واحتمالات النفط في فرسان -والتي كانت سلبية- ذات فائدة كبيرة لي، غير أنني كنت قد تناولت ذلك في فصل سابق فيما يخص جيولوجيا ملح جازان وترسبات الجبس. كان كلا الرجلين أمريكيين، عاداً حديثاً من أعمال في الأرجنتين وفنزويلا، وقد بدأ عليهما ضغط ظروف الجزيرة العربية. كانا يعملان بنشاط من شروق الشمس إلى غروبها يوماً لبعض الوقت، ولم يهربا من هجمات الملاريا من حين لآخر. انتهزت الفرصة لمراجعة ساعتني، إلى جانب التعرف عليهما، مع إشارات الوقت في محطة اللاسلكي. تأخرت أحسب ساعتني بمقدار (١٢١) ثانية في واحد وعشرين يوماً، معطية بذلك متوسط ضياع بمعدل (٥) ثوانٍ فاصل (٧٦) من المائة من الثانية في اليوم، وبالطبع، لا يستطيع المرء أن يفترض أن المعدل سيظل ثابتاً ومتناسقاً. يمكن للملاحظاتني أن توظف في حالة خطوط العرض ولكن ليس بالتوقيت المحلي وخطوط الطول في الأماكن البعيدة من البحر. تقع ميدي، -حسب خارطة الإمارة البحرية- عند خط (٣٤) دقيقة إلى الجنوب من جازان، أو بالتقريب (٣٤) ميلاً. كان هنالك فارقاً من (١٦) دقيقة لخط الطول، بحيث كانت ميدي هي الأبعد شرقاً لذلك الحد.

رأيت يحيى (أم شريف) من بين الأصدقاء القدامى، وهو الآن في زيارة إلى جازان في أعمال خاصة ببني مالك، كما قابلت موظفي الحكومة المحليين. لم يكن هنالك وقت كثير لأي شيء آخر غير الإعداد للرحلة. تناولنا الإفطار صباح اليوم الرابع من فبراير، مع الأمير ثم ودعناه عائدين إلى أجنحة سكننا بجوار الحاجز المائي، ثم بدأت قافلتنا السفر في الساعة (١١،٣٠). خرجنا سريعاً من المدينة إلى السبخة الضخمة المسطحة والتي صيرتها الأمطار الأخيرة لزجة ومبتلة. لم يؤثر ذلك على الجمال المحلية، غير أن الحمير وجدت صعوبة شديدة وتقدمت متعثرة حتى عراقبيها في الوحل. استغرق عبورنا لها (٤٠) دقيقة، وبعدها كان كل شيء ميسوراً على الطريق إلى صيبا، الذي وصفته من قبل. لم يكن حماري متميزاً، غير أننا سلكنا طريقنا في محاذة خط التلغراف الوحيد إلى صيبا. سرعان ما أدركنا جمال العفش وتقدمنا عليها، وكانت قد سبقتنا في البداية بوقت قليل، وبعد ذلك أصبح عددنا في المقدمة ثلاثة أشخاص - شخصي والحمار واثنين من العبيد أرسلهما الأمير لمرافقتنا وحراستنا. كانا يسيران على الأقدام يحملان بندقيتي، وكيس الزاد والترامس وأشياء أخرى، إلاّ أنهما حافظا على سرعتهما مع سرعة الحمار، التي قدرتها بأنها حوالي أربعة أميال في الساعة.

توقفنا عند بئر السلام، في وسط غابة طلع كانت تملأ أسفل وادي ضمد وذلك لمدة (٤٠) دقيقة لتسمح لجمال العفش أن تتقدمنا مرة أخرى. شاهدنا قبل الوصول إلى هذا الموقع قطعاً ضخماً جداً من الجمال ومعها أعداد كبيرة من صغارها تستمتع بالغطاء النباتي الطازج للربيع الجديد. كانت تنتمي إلى قبيلة الشاجري (أو شواجرة) الذين كانت لديهم قرية على مسافة من ضمد تبلغ ميلين ونصف الميل تجاه أعلى الوادي على الطريق الذي سلكناه، والذي كان في معظمه

يقع إلى الداخل بالنسبة لطريق السيارات، غير أنه يتصل به على فترات. مررنا بفرقة طوارئ شرطة صيبا في الصحراء الرملية فيما يلي دلتا الوادي، وتسمى فقرة، وقد تم تسريح واحد منها وهو يتهياً للعودة إلى جازان لإحضار احتياجات رحلة العودة إلى مكة. كانت كل الطيور المألوفة متوافرة خاصة في غابة أبي السلام، طيور العوسق تطارد الجراد، إلى جانب نوع أو نوعين غير معروفين للصقور، والعديد من الشقراق الحبشي، وطيور الغداف، وطيور النساج الصغير في أسراب ضخمة، والحمام، والقنابر من أصناف مختلفة، والعديد من طائر الأبلق، والبلابل، والبلاكستارتس، وطيور الصرد، والطيور آكلات النحل، وطيور القليعي المطوق، والعصافير، وغيرها، كانت جنة حقيقة للطيور. وكان العديد منها معشعشاً.

دخلنا إلى حقول الغراء المزروعة في وقت لاحق ومن حولنا منظر رائع للمحيط الشبيه بالمتنزه الذي يطوق صيبا أماناً. امتدت قمم العشش الشبيهة بالخلايا النحلية من فوق رؤوس أشجار الغابات، ولمحنا هنا وهناك بعض المباني ذات الطلاء الأبيض. كانت الشمس تميل نحو الغروب بسرعة، مسقطه وهجاً وريداً فوق قناعها من السحب، وقد غربت بالفعل قبل عشرين دقيقة من وصولنا إلى بئر في وادي صيبا لنجد حُسن ضيافة عبدالرحمن بن غنيم، الأمير النجدي، وهو رجل قصير جذاب، كان هو وحاشيته يتفقدون الوادي تطلعاً لقدمنا، وقدم لي تلغرافاً وصل الآن من الملك وتم استلامه في جازان. تمت الموافقة على خطتي للعودة إلى مكة لأجل الحج، كما توقعت، وأنهى جلالة الملك تلغرافه بالأمل ألاّ أكون مريضاً كما تنامت التقارير المحلية إليه.

كان هنالك ندى كثيف في الصباح على سفح الأرض حينما بدأنا الرحلة عند الساعة الثامنة تحت سماء ملبدة بالسحب، وصلنا خلال عشر دقائق إلى مفترق

الطريق، سلطنا جانبه الشمالي بينما يقود الآخر، ناحية البحر إلى قريتي الجاره والجمالة. امتدت الزراعة على جانبنا بعداً وعمقاً، وهي تروى بواسطة السيول من فرع شمالي لوادي صبيا، الذي -مثل كل أودية تهامة هذه- ينتشر فيما يشبه الدلتا. تقف صبيا نفسها فوق مسطبة مرتفعة بين الفرعين الرئيسين للوادي، لمحنا إلى البعيد وعلى يميننا بركاني عكوة، تكسوهما السحب كأنها كرة من الدخان. واصلنا سيرنا خلال محاصيل الدخن وبعضها قد تم ادخاره في حزم عالية تسمى مزوام (جمع مزويم) وتبدو تماماً مثل العشش الشبيهة بخلايا النحل التي يسكنها القرويون.

تقع قريتا العدايا وحلة العقيبي، بعيداً إلى اليسار من موقعنا فوق أرض مرتفعة قليلاً ومعهما منزل السيد مصطفى ذو القبة البيضاء وهو من الأسرة الإدريسية السابقة. مررنا في وقت لاحق على أرض عارية من الصحراء ذات الشجيرات القصيرة، حيث وصلنا فيها إلى وادي اللخبصية الكثير الشجر وبثره الجميلة التي تسمى أم البزابز في مساحة مكشوفة تحيط بها أشجار الأراك التي نمت فوق ربوات رملية مرتفعة. يعد هذا الوادي امتداداً لدلتا وادي نخلان الذي ينحدر ماراً بالحسينية ويمثله في هذه الأنحاء مجريان مسطحان، رمليان يشقان طريقهما عبر غابة الأراك إلى الداخل حيناً وإلى الخارج حيناً آخر.

كانت البئر عملاً جميلاً بلغت مساحة فمها خمسة أقدام مربعة ومبنية من بازلت جيد يمتد إلى عمق أربعة أقدام، يبدأ من نهاية ذلك صهريج ذو لون وردي - بني يمتد إلى أسفل إلى مستوى الماء على عمق ست قامات. تقع قرى تابعة لقرية اللخبصية بالقرب منها -التي اشتق من اسمها اسم منطقة الدلتا- وهذه القرى هي: حلة الحجازي، والشاخر، وباليس، وتبعد الأخيرة هذه على مسافة ميلين ونصف الميل وهي الأبعد تقع مخاريط عكوة البركانية ناحية الشمال الشرقي

من موقعنا وتكون سلسلة جبلين إلى يسارهما. أفادني دليلي الذي تم توظيفه في صيبا باسم القمتين الخاصتين لسلسلة جبلين وهما صنادل^(١) وكحل، كما أخبرني عن وادٍ صغير يسمى بزغ لينحدر من صنادل، غير أنني اكتشفت في وقت لاحق أن هنالك اختلافاً في الرأي حول هذه الأسماء من قرية إلى أخرى.

واصلنا مسيرتنا ناحية الشمال الغربي عبر غابة الأراك التي تخللتها مساحات عديدة للزراعة، خاصة على جانبي المجرى الشمالي الذي كانت به آثار أمطار حديثة. لقد تكسرت الحواجز التي تحيط ببعض المساحات المزروعة، حقيقة، في أكثر من موقع، ولا تزال الحقول نفسها مبللة. لا بد أن تكون الأمطار التي سقطت عندما كنا في السودة أكثر غزارة إلى الشمال، وسرى فيما بعد المساحات التي تأثرت بالسيول. يقع طريقنا جزئياً على قمة امتداد حاجز عريض، يبلغ ارتفاعه (١٢) قدماً، وكانت المحاصيل مزدهرة بصورة مذهلة على الجانبين تتخللها برك عديدة كبيرة مملوءة بالمياه.

لم يكن هنالك حد فاصل بين حقول القرى المختلفة من حولنا، ومررنا بلا شعور داخل دلتا وادي وساع ووادي شهدان، حيث توجد مزارع قرية الشاخر وقريتين أخريين صغيرتين، هما أبو السلع ودماري. توقفنا قليلاً في الشاخر، وهي قرية طويلة متعرجة، عششها كأنها خلايا النحل، وذلك لمسح المحيط المجاور. يتقابل الوديان اللذان ورد ذكرهما على مسافة ميلين ونصف الميل تجاه أعلى الوادي عند قرية أبو القعائد إلى الشمال الشرقي، بينما تقع قرية كبيرة أخرى أمامنا ناحية الشمال الغربي وتسمى الملحاء، تابعة لقبيلة الأشراف فرع آل الملحة، الذين

(١) صنادل: هو الاسم الصحيح لهذا المكان، مع أن فيليبي ذكره باسم (سنادر)، وهو اسم غير سليم. (ابن

يبدو أنهم يكونون العنصر الرئيس للسكان في كل هذه القرى. تقع قرية العشة الصغيرة على بعد ميلين ناحية الغرب، كما نستطيع رؤية منازل صبيا من بعيد من ورائنا ناحية الجنوب الشرقي. شمخت قمة جبل قورا البارزة في السلسلة الخارجية للتلال. كما بدت الجبال العالية المحيطة بجبل الريث شاحبة، على بعد. كانت كل هذه البلاد ثرية بالغابات كما امتلأت أشجار الطلح بأعشاش الطيور النساجة، وقد بنتها على الورق وليست متدللية كما هي العادة.

وجدنا مجرى شهدان الرئيس وهو يدور، عندما اقتربنا من الملحاء من جهة الجنوب، في ذلك الاتجاه بين أجمات أثل كثيفة. ينحدر الطريق إلى بطن الوادي العريض، الذي كان مبللاً جداً، وكان السير فوقه صعباً بسبب السيول الأخيرة. يسمى هذا الطريق محلياً باسم الفرشة، وهو اسم شائع في الجزيرة العربية لمناطق معرضة لسيول قوية، ويتصل به من أسفل فرع من وادي بيش ليطوق منطقة القرية داخل حلقة. لا يزال عدد من البرك ممسكاً بمياه السيل التي فيها ومن حولها تشاهد المئات من طيور البلشون البقرية تستمتع بالحياة. تنتشر بيوت القرية بلا نظام في مجموعات عديدة من المساكن عند قدم ربوة عالية عريضة وعلى سفوحها، مهيمنة على الوادي من ارتفاع أربعين قدماً.

توقفنا فوق هذه الهضبة بعد أن مررنا بالجزء الجنوبي للقرية، لننال ساعة من الراحة. قام بزيارتنا على الفور رئيس القرية الشيخ مكّي، من قبيلة الأشراف (أهل الملحاء) التي قد هاجرت أصلاً إلى هنا من قرية الدهناء إلى الغرب. أفادنا بأن السيل الأخير لم يكن له مثل من قبل من حيث قوته، وأنه لا يذكر مثيلاً لهذا

السييل طيلة حياته^(١). لقد جرف السيل بعض الرعاة أعلى الوادي وأغرقهم وكان هنالك خوف شديد على سلامة القرية، إلا أنها لم تصب بأذى. لم تتجاوز سيول كل من شهدان وساع - قرية أبو القعائد - إلا أن وادي بيش حين فيضانه وصل إلى الملحاء بأقصى سرعته ومضى يدوي حتى الفرشة. تمثل الربوة التي نقف عليها الآن بقايا جبل يمتد فوق ما أصبح الآن بطن وادٍ، ويأوي مستوطنة الملحاء الأصلية. لقد تدمرت هذه القرية وجرفها سيل عام (١٣٣٥) هجري (١٩٢٠ ميلادي) العظيم، والذي كوّن خلاله وادي بيش المجرى الذي نراه الآن أسفل منا. كانت هذه الربوة في هذه المناسبة، هي المتراس للقرية وقد استدار السيل من حولها بدلاً من أن يجرفها. يمكن رؤية الدهناء من هنا وهي فوق أرض مرتفعة، إلى البعيد، وناحية اليمين بينما إلى ناحية اليمين أكثر، وأكثر بعداً تُشاهد قرينتا قرية السلامة^(٢)، وهما عليا وسفلى.

توقفنا هنا لنسمح لقافلة جمال العفش أن تصلنا، ولنستمتع أيضاً بالمنظر. واصلنا سيرنا بمجرد ما لمحنا جمال العفش وهي قادمة نحونا، بدأنا أولاً بجولة في القرية، ثم ضربنا الطريق في اتجاه الشمال الغربي من الطرف الشمالي للقرية. كان موقع (قرية أبو السلع) أصلاً في هذا الموقع، لتكون جارة قريبة من الملحاء، إلا أنها جرفت في سيل (١٩٢٠م) وهاجر ساكنوها إلى الموقع الحالي فوق أرض أكثر

(١) كان الناس قديماً، ولا زال إلى اليوم بعض كبار السن، يورخون لبعض الأحداث بوقوع مرض أفنى كثيراً من الناس، مثل: - الجدري، والطاعون وغيرهما، أو هطول أمطار غزيرة نتج عنها دمار وهلاك للناس وأملاكهم، أو قحط وجوع أصاب الناس وأهلك الكثير منهم. (ابن جريس).

(٢) قرية السلامة: يطلق عليها أحياناً اسم (قرية السلامتين) أو (السلام العليا، والسلامة السفلى) (ابن جريس).

أماناً ناحية الجنوب الشرقي . يعلم قسم منعزل من الملحاء يقف على مسافة (٥٠٠) ياردة إلى يميننا ، الموقع الذي تراجع إليه السكان بعد أن فقدوا منازلهم في ذلك السيل . فضل البعض منهم أن يظلوا هناك بصفة دائمة بدلاً من العودة إلى الملحاء الجديدة . وصل وادي بيث إلى البحر ، خلال السيل الحديث ، عن طريق هذا المجرى ، الذي يقع الآن على يسار طريقنا على شكل حوض عريض وعميق بعض الشيء يبلغ عرضه (٢٠٠) ياردة . انطبع في ذهني لطف الشريف مكى وأهله ، لقد كانوا بسطاء يتمتعون بقدر عظيم من الكياسة . لم يكن هنالك أي عنصر كبير أفريقي - يطلق عليهم بصفة عامة لفظ عبيد في هذه الأنحاء ، علماً بأنهم ليسوا رقيقاً- داخل سكان الملحاء ، إلا أن العرب ، كانوا أصلاء النسب أو مختلطي الدماء ، يبدون وكأن ليس لهم ولاءات قبلية ما عدا -بالطبع- الأشراف .

يقع طريقنا أولاً خلال منطقة لأشجار الطرفاء والشجيرات الخفيضة مع أشجار الدوم سيئة الحال هنا وهناك ، ثم عبر تلال رملية منخفضة عليها شرائط من طين نهري تنمو عليه أشجار الأراك والطرفاء وعشب الثمام بكثافة . مررنا فيما يلي هذا عبر حقول الدخن التابعة لقرية المحلة الصغيرة ، التي توقفت بجوارها لحظة لإطلاق رصاصة على صقر يقف فوق شجرة ، غير أن بندقيتي لم تعمل أو أن الخرطوش كان معيباً . بدا مظهر كل هذه الأرض وكأنها داخل شريط السيل ، برغم أنه لا يوجد مجرى مميز ، وكان القرويون دائبي النشاط بتنظيف مساحات وإقامة حواجز في أرض بور للزراعة فوق البلل الذي ظل موجوداً عليها . كانت قطعان ماعزهم من سلالة جيدة ، وللذكور قرون طويلة أفضيه ملتوية وتبدو مكتملة الذكورة بصورة واضحة .

وصلنا مجرى سيل آخر، عريض سببه السيل في وادي بيش بعد ساعة من مغادرتنا الملحاء، وهو يمتد من جهة الجنوب الغربي ماراً بقريتي عاليًا ودهناء إلى البحر. كانت لا تزال به آثار السيل الأخير في طينه المبتل في الحفر الجافة التي كان من الواضح أنها قد امتلأت بالماء حديثاً. كان علينا أن نعبر حفرة واسعة عميقة لنصل إلى شاطئه البعيد، والذي فيما يليه يجري طريقنا فوق أعالي المتاريس التي تقي الحقول التابعة لقريتي السلامة وقد ورد ذكرهما. رحب بنا عند واحدة من هذه القرى الشيخ المحلي، واسمه محمد بن إبراهيم، غير أننا انتظرنا معه مدة ربع ساعة لنفحص ما لا يمكن وصفه من العشش الشبيهة بخلايا النحل والجامع المخرب الذي كان محمد فخوراً به. كما لاحظنا قريتي نجمة وسعدى في الجوار ومررنا بمجموعة من أشجار العلب اللطيفة، عند حافة غابة واسعة لأشجار الأراك، التي كانت بداخلها مساحات نظيفة لزراعة الدخن.

استمرت المزارع متقطعة عدداً من الأميال، حتى وصلنا إلى قرية أم الخشب الكبيرة، والتي يسمونها -عادة- بيش، وهي بالتأكيد أكبر قرية تواجهنا منذ صيبا. كان علينا أن نعبر مجرى سيل ضيق وضحل وحاجز بارز منخفض على جانبه البعيد لكي نصل إلى أم الخشب. دعينا إلى مقر الشريف المحلي - وهو عشة جميلة جداً على نمط خلية النحل، وقد طليت الجدران الداخلية بالطين حتى القمة. تتدلى كل الأغراض المنزلية من مشابك على الجدران - حصائر من القصب من أحجام مختلفة، وسلال من المادة نفسها، وجرار ومقالي وهكذا. وضعت على أرضية العشة سرائر منخفضة من الحبال للجلوس عليها أو الاضطجاع، وكان كل المكان نظيفاً إلى حد بعيد. كان الشريف الرئيس - واسمه قاسم - غائباً إذ ذهب لأداء الحج في مكة، إلا أن ابنه الجميل المحيا (حسن)، اكتسب شرف المناسبة

هذه، بمعاونة شقيقه الأكبر الأبله، ويسمى حُسيناً. تميز حسين بأن قدم لحماري أعواد الدخن وأدار الحديث بسرمد ممل لكراهية زوجته له. بالتأكيد لقد كان كاملاً جميلاً من زوجته، إذا كان حديثه صادقاً جلست خلال كل هذا بصبر، في انتظار الكرم المتوقع من أهل المنزل، وسرعان ما أحسست بأنه لن يكون هنالك ما سيقدم لنا، ولا حتى القهوة. استطعت أن أخرجهما من العشة بحجة أنني أرغب في الراحة، وحينها استمتعت بكوب شاي من ترمسي وقطعة خبز وعلبة شرائح أناناس. لقد أحضر لنا أمير صيبا، بالمناسبة، البرنجال والكوزة- وهي رفاهيات غير عادية- لعشائنا في الليلة الماضية.

دعيت لزيارة السوق بعد أن استرحت وأبدت رغبتى لرؤية البلدة، حيث اشترت فجلاً أبيض كبير الحجم لوجبتي التالية. يوجد في أم الخشب، كما في غيرها من القرى المجاورة، سوق يومي دائم، يقبل عليه كل الناس من مسافات بعيدة للبيع والشراء. دعاني تاجر يماني اسمه سيد عبدالله، -جاء أصلاً من تعز- للإقامة هنا، لزيارة منزله، وهو بناء حجري تحيط به مجموعة من العشش. اطلعت على منظر شمولي للقرية والجوار من فوق السطح، إلى البعيد حتى قرية مسلية حيث سنقضي الليلة. تقع قريباً منا قرى الزكرية، وشرية، وحلة الجلي. وتقع ناحية الشمال الغربي السلاسل البركانية المنخفضة لكل من صفصاف وآل السوّدَة، كلاهما يبدو لي من تكوين حديث نسبياً مثلهما مثل قمم عكوة. تقع أم الخشب على مسافة (٤٠٠) قدم فوق سطح البحر، وبها ما يكفيها من المياه التي يتم سحبها من آبار عديدة مبنية على عمق عشر قامات. كانت قرية كبيرة إلاّ أنها متشرة، غير أنني وجدتها مثبّطة تماماً برغم كل ما سمعته عنها فيما يخص حجمها وأهميتها. كان كل من حجمها وأهميتها أمراً نسبياً، وقد يصل عدد

سكانها إلى (٥٠٠٠) نسمة. كان سوقها هو مصدر قوتها الرئيس، كما أن بها صناعة أصباغ مزدهرة. يزرع نبات الأندقو هنا بكثافة لأجل صناعة الصبغة، وقد شاهدت في موقع واحد ما لا يقل عن عشر رافودات ممتلئة بالسائل اللزج الأزرق، الذي يقوم العاملون بتحريكه أو جسّه بواسطة أعمدة طويلة. يبدو أنهم يقومون بتحضير الصبغة استعداداً لاستلام الأقمشة التي ستعالج، غير أنني لم أر عملية الصبغ نفسها. شاهدت في موقع آخر كومة من نبات الأندقو تجفف تحت الشمس فوق أرض طينية، ربما استعداداً لخطوة تالية في عملية التصنيع.

لمحت جمال عفشنا تعبر خلال القرية أثناء ما كنت منشغلاً بهذه الفحوصات، إلا أنني تمكنت من اللحاق بهم بجوار البئر على جانب الطريق قليلاً فيما يلي العيش. كان العديد من السكان هناك يسحبون الماء لحيواناتهم ولأغراضهم المنزلية وكان جمعهم هذا منظراً يشع بالحياة، وقد استمتع برؤيته رفاقي وهم ينتظرون دورهم في الدلاء. تركتهم هنا وواصلت تقديمي خلال المنطقة المزروعة التي يجري فيها الطريق على امتداد بهو يقع بين متراسين متوازيين. كانت هنالك أسراب ضخمة من طيور الغداف من الصنفين وهي تحلق فوق وتهبط في الحقول مستمتعة بتناول وليمة الحبوب الساقطة. لا يبدو أن أحداً يزعجه ذلك، ولربما كان هنالك ما يكفي لكل قادم جديد، بشري أو من ذوات الريش.

تركنا قطار عفشنا عند البئر وواصلت سيرتي بأسلوب يرافقني مرشدي من صبيا والعبددين الاثنيين من جازان. اقتربنا خلال (٢٠) دقيقة من شرية، التي تقع إلى الخلف من الطريق، وفي ثلاث مجموعات من العيش، منتشرة على مسافة نصف الميل. انتشر قسم آخر عبر الطريق، بعد مسافة قليلة، حيث كانت هنالك أبقار تتناول شربتها المسائية من البئر، وعدد من الأطفال يحملون جرار الماء المنزلية

التي يقوم بتعبئتها - حسب الدور - زنجي قوي البنية، ويبدو أنه المسؤول عن توزيع الماء. تحمل الجرار بعد ملئها على ظهور الحمير فوق أسرجة بدائية يكون على كل جانب منها جرة واحدة. تأخر الوقت كثيراً عندما عبرنا خلال مزارع القرية، مساحة واسعة من حقول ذات متاريس ويبدو أنها انتفعت من السيول، برغم أنه لا يوجد ما يفيد بوجود مجرى. تسمى هذه الأرض الكدرة وقد امتلكها بالشراء تاجر حضرمي اسمه محمد بن يحيى العوض^(١). وهو الذي قام ببناء قرية خاصة به وبأسرته ويعماله اسمها الكدرة أو بيت العوضي^(٢)، يبدو أن محمد نفسه من ملاك الأراضي الغائبين على الدوام، ويقوم بإدارة اهتماماته وكيله أحمد بهكلي من مواطني صبيا. احتل مستأجر يميني وأسرته قرية أخرى صغيرة تسمى المطعن وتقع في جزء منعزل من هذه المنطقة^(٣).

تنتهي الأراضي الزراعية فيما يليها وتنتشر غابات الأراك، ويستمر الطريق فوق أرض ثابتة طينية كان ينتشر فوقها عشش يسكنها مستأجرون ورعاة. يفيد تعدد طرق الجمال بوجود طريق سريع ومهم، ربما كان طريقاً مساعداً لطريق الحج الذي يربط منطقة بيش العليا مع طريق الساحل. مررنا في هذا الطريق على القسم الرئيس لقرية المطعن الصغيرة التي لا توجد حولها مزارع. لم يكن الشيخ المحلي واسمه أحمد بن علي الفقيه من الأشراف، ولا من أي قبيلة عربية، بل كان مقيماً عابراً اهتم برعاية الأبقار والماعز في هذه الأراضي الواسعة ذات غابات الأراك.

(١، ٢) يحيى العوض: يطلق عليه بعض سكان منطقة بيش أيضاً اسم (العواض) أو (بيت العواضي). (ابن جريس).

(٣) هناك العديد من الحضارمة الذين نزحوا من بلادهم واستقروا في أجزاء عديدة من المملكة العربية السعودية، وعملوا في مهن عديدة من أهمها التجارة، حتى صار منهم بيوت كبيرة في عمل التجارة مثل: باخشب، باعشن، باوزير، بامخرمة، بامحفوظ وغيرهم. (ابن جريس).

وصلنا فيما يلي هذا الموقع إلى الحقول الخارجية، وكان معظمها بوراً، لقرية مسلية نفسها وقد فصلها طريق الجمال عن الغابة، التي تقع الآن على يميننا وتختفي تدريجياً ونحن نقرب إلى محيط نقطة الوصول. كانت ضواحي مسلية معلمة بظروف شبه المنتزه، بالعديد من أشجار العلب ومساحات متفرقة من أشجار الدوم. كانت الحقول على جانبي الطريق لا تزال بوراً. وقد وضح لي فيما بعد أن السيول الأخيرة لم تصلها مطلقاً. كانت طيور الغداف عائدة إلى أعشاشها في الغابة بأعداد كبيرة في هذا المنتزه بعد غروب الشمس، كان كلا صنفها ممثلاً هنا، علماً بأنني كنت أعتقد أن مروحية الذيل منها كانت هي السائدة. يوجد شريط عريض من محصول الذرة بين منطقة المنتزه والقرية، وقد ركبت الحمار خلالها مدة عشر دقائق.

دخلنا مسلية من طرفها الغربي من طولها ووقع اختيارنا على موقع مكشوف بين صفيين متباعدين من منازلها لإقامة معسكرنا المؤقت. كانت الشمس قد غربت قبل نصف ساعة حينما انتهينا من هذا، وهبط علينا ظلام الليل، ولم يظهر أي صوت أو حس أو علامة لقافلة العفش والجسم الرئيس. سيجدون صعوبة حقيقية في اكتشاف الطريق إن لم يكن معهم مرشد كفاء، ذلك لأن مسلية تقع بعيداً عن الطريق الرئيس والذي يمكنهم استمرار السير عليه دون ملاحظة المفقوت. أرسلت عَبْدِي جازان الاثنين لمساعدتهم وبقيت وحدي ومعني دليلي ولا شيء آخر، ذلك لأن كل العفش كان خلفنا ما عدا السلة التي تحتوي على غذائي اليومي والتي كنت أحملها معي. كنت محظوظاً إذ احتفظت بعباءتي معي تحذراً أن تمطر، وقد لففت السلة بمعطفي الكاكي، الذي خدمني كوسادة وأنا أنتظر. كان انتظاري بلا فائدة. لم أر العبيدين بعد ذلك، وذلك لأنه بعد فشلهما في الاستدلال على قافلة العفش

قررا قضاء الليلة في أم الخشب. لم يصل العفش كذلك، وظللت ومرشدي وحيدتين، دون أن يشرف على رعايتنا أحدٌ حتى القرويون. يبدو أننا دخلنا إلى أرض لا يعرف أهلها أعراف العرب الخاصة بالكرم، أو أنهم لا يحترمونها، وذلك لأنه لم يبدُ أي أثر للمحاولة من جانب القرية لإمدادنا بالضروريات - ولا حتى قطعة من خبز أو قحف من لبن - لقد نفذ مخزوني الخاص من المؤن بسبب عدم الكرم، وكان كل ما معنا هو الفجل الذي حصلت عليه من أم الخشب.

لم يكن هنالك ما أفعله غير أن أنام مبكراً، غير أنه يبدو أن في القرية حفل عرس أو شيئاً من هذا القبيل، وقد ظللنا مستيقظين نستمع إلى الغناء الجذاب الذي يذكرنا بأهل بني مالك، إلى وقت متأخر من الليل. استغرقت بعد ذلك في نوم عميق طويل، على أمل أن استقبل الصباح قد يصحبه حظ أفضل، غير أنه للآن لم يقترب منا أحد. قررت أن أبدأ بالمبادرة فأرسلت دليلي إلى القرية لطلب الطعام - خبز، وبيض، ولبن أو أي شيء. استجابة لذلك، عادا ومعهما بيضتان، مؤكدين أنهما لم يجدا غير ذلك، ولم يعرفا كيفية طبخهما، وذلك لأنهما لم يأكلا البيض أو الدجاج مطلقاً. ومن المؤسف أننا لم نستطع طبخهما حيث لم يحضرا معهما الحطب، غير أن سيدة طاعنة في السن، عطوفة، من منزل مجاور، أخذتها الشفقة علينا، وأحضرت معها قدرها المغلق الذي يعمل بالفحم وقدر ماء لنستعملهما. كان الأيسر لنا أن تقوم هي بطبخ البيض لنا في منزلها، وأعتقد أنها لن تقبل أن تفعل ذلك. قد يلي ذلك أكل المادة الممنوعة. لم أر في الجزيرة العربية أن الجائع المحتاج يعامل بمثل هذه المعاملة، وقبل أن أغادرهم انتهزت الفرصة لأخبر القرويين عن رأيي فيهم. صرفتهم بعد أن أسقطت عليهم اللعنة في كل ما

يقومون به من أسلوب مألوف لديهم، ثم شرعت في المغادرة. أرسلوا لي في آخر لحظة موفداً يقدم لي قحفة من اللبن وقد رفضتها بكل عجرفة مع تكرار اللعنات على القرية، وركبت مطيتي بكل احتمالات أن أظل جوعاناً طيلة بقية اليوم. كانت مسلية قرية منتشرة غير واضحة تمتد مسافة نصف ميل من الطرف إلى الآخر، ويبلغ عرضها (٣٠٠) ياردة، وبها قلعة جذابة غير أنها مخربة، ربما بناها الأدارسة عند طرفها الشرقي. يقام سوقها كل يوم سبت.

نفضنا تراب مسلية عن أقدامنا عند الساعة ٨ صباحاً دون أسف عليها، وتوجهنا إلى الأمام في انطلاقة للمرحلة التالية من الرحلة. ركبت الحمار بينما سار الرجل القادم من صيبا على رجليه. لقد شارف على نهاية نطاقه الجغرافي ويعرف القليل عن البلاد التي تقع أمامنا كما أعرف أنا عنها. كان هدفنا الأول هو العودة إلى الطريق الرئيس وأن نسلكه في اتجاه الشمال، كما كنا نتمنى أن نتصل مع رفاقنا المفقودين. لا ندري إذا كانوا بدورهم يبحثون عنا أو أنهم واصلوا السير على الطريق الذي كانوا عليه في آخر مرة رأيناهم فيها. ضربنا السير غرباً فوق أرض متموجة رملية ذات شجيرات قصيرة على امتداد الحافة الشمالية لدلتا بيش، التي تقع قريباً من يسارنا أول الأمر، ثم تباعدت عنا تدريجياً ناحية الجنوب. لم تكن أرض الشجيرات كثيفة جداً إلا أنها كانت مغطاة بنبات الثمام والحمض وشجيرات قصيرة أخرى، مع بعض مجموعات من المرخ. تكاثف هذا تدريجياً حتى صار غابة كثيفة تشتمل على السرح والطلح والقطف -بأزهاره الصفراء- وكلها سائدة. لقد أفزعت حركتنا أرنباً برياً داخل إحدى الشجيرات، كما أفزعنا غزالاً منعزلاً، كما كنا نعبر بمجموعات صغيرة من الجراد وكانت تتكاثر بوضوح إذ إن معظمها كان في حالة تزاوج.

وصلنا إلى طريق السيارات بعد نصف ساعة من بداية الرحلة إلا أنه كان يتجه غرباً، وقررنا أن نمضي ناحية الشمال الغربي تجاه السلاسل البركانية لأهل السودة. كان هذا يعني السفر بلا رؤيا وذلك لأن الغابة كانت كثيفة جداً، وقد تمت بأكثر جاذبية في القفار، وبدا لنا أننا نمتلكها لمصلحتنا فقط، فيما يخص البشر. كنا نفزح من حين لآخر الغزلان من مراعيها المنعزلة، كما كان طائر الشقراق الحبشي متوافراً وقد لاحظنا الحبارى العربي تتلصص إلى الاختباء. أصبح سطح الأرض صعباً ونحن نقرب لخط وادي سر، وأصبحت البلاد مكسرة برغم أنها جيدة الغابات. رفعت أشجار الدوم من حين لآخر رؤوسها فوق أشجار الغابة. كما بدأنا نلاحظ وجود الضأن وبعض الجمال وهي ترعى، بينما احتفى مالكوها بجوار البرك المائية للمجاري العديدة التي تعترض هذه الأرض. عبرنا واحداً من هذه الأحواض، كان عرضه حوالي (٢٠) ياردة وخرجنا منه إلى حزام حصوي كأنما هو سد نهري قديم، ونزلنا فيما يليه إلى وادي سر نفسه - وهو المجرى الرئيس. كانت أشجار الدوم هنا أكثر انتشاراً ومعها الأراك وعدد من أشجار الطلح والقطف وغيرها. وجدنا رجلاً طاعناً في السن داخل عشة منعزلة سقفها من القصب يقوم بعناية رجل مريض بمساعدة كلب مزمجر لثيم. كانت أغنامهم وماعزهم تستمتع هنا وهناك بالمراعي المزدهرة. يجري بطن السيل في هذا الوادي العريض في أكثر من شريط، تسلقنا فيما يليه السفح المرقط بالشجيرات القصيرة على جانبه الأيمن لنلقي نظرة من القمة على البحر البعيد.

لم يعد هنالك شك حول الأصل البركاني لسلسلتي صفصاف وآل السودة، وليستا بعيدتين، بينما على بعد ناحية الشمال الغربي، وهو الاتجاه العام لمسيرتنا، نستطيع رؤية القمم البارزة غير أنها منخفضة لسلسلة تسمى - كما تأكد لنا فيما

بعد- حرامين^(١). امتدَّ سهل واسع من طرف أرض مرتفعة إلى البعيد وعلى يميننا إلى حد ما قريباً من البحر، تكسوه شجيرات قصيرة وحشائش مع قليل من الأشجار والجنبات الكبيرة من حين لآخر. مررنا في هذا السهل بملاجئ للرعاة، وقد وجدنا رجلاً وثلاثاً من النسوة ومعهم قطع من الماعز. ارتفع السهل تدريجياً إلى سلسلة منخفضة، هبطنا منها قليلاً لنعبر ثلاثة مجارٍ منفصلة لوادي السوداء، وقد نمت على حافاتها أشجار الدوم بغزارة ويستمر على امتداد حافة الأرض البركانية التي انتشرت أمامنا على شكل ربوات خشنة ذات غطاء نباتي شحيح. أدى دخولنا هذا الموقع إلى نفور غزالتين وأرنب بري كما كانت هنالك جمال ترعى في الأودية. كان لكل واحد من هذه الأودية اسمه الخاص به، غير أنني جمعتها كلها معاً بكونها أجزاء من وادي السوداء وذلك لأننا لم نجد من الناس من يمكنه إعطاءنا معلومات دقيقة. عبرنا خمسة من هذه المجاري قبل أن ندخل إلى وادي الرضه ذي الشواطئ المنحدرة، العميق والضيق، وقد تحصلنا على اسمه من أحد الرعاة كنا قد ألقينا عليه التحية وسألناه عن الطريق. كما أخبرنا أن مشرب الرضه يقع على مسافة (٥٠٠) ياردة مع اتجاها الوادي عند العبور.

كنا نسير الآن فوق أرض عندها وقفات قصيرة خلال أربع ساعات، كان رفيقي ليس فقط ماشياً على رجليه، وإنما كان يحمل عني ممتلكاتي لأكون متحرر الحركة لأقوم بمسوحاتي - وقد بدا عليه الإرهاق، ولعل هذا سببه الجوع والعطش أكثر منه الجهد المضني، ثم شعر رفيقي بالتحسن بعد دقائق حينما وصلنا إلى الطريق السريع الذي كنا نبحت عنه، وهو يمتد فوق جبهة عريضة في الخطوط

(١) حرامين: ربما أطلق عليه أيضاً اسم (حرمان). (ابن جريس).

المألوفة عبر الحرة المتكسرة والسهل البازلتي. كان هذا واحداً من الطريقين الرئيسيين المتجهين من الجنوب إلى الشمال في تهامة، وهو الأكثر قرباً إلى البلاد الداخلية، ذلك لأن الطريق الآخر يحتضن الساحل كثيراً في القطاع. عبر الطريق ثلاثة مجاري لست متأكداً من أسمائها - تم تعريفها فيما بعد على أنها درب المعقر-، مررت في واحد منها برجلين واثنتي عشرة امرأة وبعض الجمال، متجهين جنوباً ربما للعمل في الحصاد في وادي بيش. كان أحد الرجال يرتدي ملابس مصبوغة بالأخضر. كان سير حماري الآن أفضل على طريق مطروق، وحاول الرجل القادم من صيبا أن يمشي سير الحمار. كان متخلفاً ورائنا إلى البعيد حينما وصلت إلى وادي سمرة، وهو مجرى جذاب جداً ينفرج عبر شريط عريض من بازلت مائل، تنتشر فيه العديد من البرك المائية في تجايف صخوره. كان أحد الرعاة يقوم بسقي قطعانه هنا إلا أنه نفسه لم يشرب من البرك خوفاً من الحمى. قام بدلاً من ذلك بحفر الرمل، وشرب الماء وهو ينبع من تحت التربة إلى سطحها. عملت مثل ما فعل ووجدت الماء بارداً ومنعشاً. وصل رفيقي أخيراً وهو مرهق واستلقى على يديه وركبته وأخذ يلحق الماء كما يفعل الحيوان.

يتجه الطريق فيما يلي هذا المجرى ناحية الشمال الغربي على السهل نفسه ذي الحصى الذي تعترضه خطوط صرف من حين لآخر. كانت أشجار الرنف مزهرة كما تكاثرت أعداد أشجار الدوم. بدأ السطح على بعد ينبسط ويصير أملس وقد كساه حصى خفيف ورمل وطمى، وانحدر بلطف إلى وادي بيض المهم، مع مجرى معتبر وبحيرة في موقع عبورنا. كشفت علامة مستوى الماء العالي على الشاطئ عن الإفادة بأنه قد كان هنالك سيل قوي وقع حديثاً، ويعزى وجود مسطح مائي واسع لهذا السبب أيضاً. يكون سداً من البازلت عبر الوادي في هذا

الموقع خزاناً طبيعياً لتنظيم مياه السيول، كما كانت هنالك طبقة سميكة من خليط بركاني تكون جزءاً من الجانب الأيمن. كما يوجد إلى جانب أشجار الدوم انتشار كبير لأشجار البالميتو (النخيل) على جانبي الوادي. استمر السهل الحصوي المتدرج فيما يلي هذه ومعه غطاؤه النباتي الشحيح وخطوط الصرف المتكررة. كان واحداً منها فقط، -ولا أعرف اسمه- يتمتع بأهمية خاصة وأخبروني في الدرب أنه وادي الدبر. ينحدر مرة أخرى المجرى عند عبورنا له فوق حاجز بازلتي، على أرض ذات تكوين خليط كحلوى البودنق وقد تخلله بعض الجلاميد، كما تكاثرت أشجار الدوم. مررنا فيه برجلين من الأعراب ومعهما حمل وحماران متجهين نحو الجنوب بحثاً عن العمل، لعلَّ الأخبار عن السيل العظيم هي التي دفعت الناس إلى التوجه إلى وادي بيش. كانت طيور الشادي الأورفيني وطيور العداء القشدية اللون مشاهدة في هذا الجوار وكذلك سرب صغير من طيور القطة على الطريق منتظرة فرصة شربها للماء. كانت الغزلان متكررة الظهور أيضاً كما كان هديل الحمام يسمع في كل وادٍ - تحولت البلاد تدريجياً وبلا شعور منا إلى أرض غابات وتطورت إلى غابة كثيفة نسبياً في أرض الدلتا لوادي رملان، على مسافة قليلة من سلسلتي حرامين والعكادين.

أدركنا أثناء سيرنا اثنين من الهنود في هذه المنطقة كان أحدهما من دلهي والآخر من كلكتا، سائرين على الأقدام إلى مكة لأداء الحج. نزلا في ميدي وسارا على الأقدام من هناك، تحاشيا للرسوم التي يجب دفعها بواسطة الحجاج الذين يهبطون في جدة وغيرها من المواني العربية. ويتسللون عبر الحدود أثناء الليل لتحاشي ملاحظة الموظفين المحليين. لم يبق أمامهم إلا وقت قليل جداً للوصول إلى مكة في الوقت المحدد، ولا أدري إن كانا قد نجحنا في ذلك أم لا. سنقابلهم مرة أخرى في الطريق.

كان منظر المجرى الرئيس لوادي رملان عظيماً، حيث نشاهد أفضل أشجار الدوم التي رأيناها متباعدة بتفرعات سيقانها في الوادي أعلى وأسفل الطريق. كان بطن المجرى مكسواً بالحصى كأنه ساحل البحر وكانت الجوانب المنخفضة من مادة مختلطة خشنة كونغلمراتية. كان علينا أن نعبر خطأً آخر لهذا الوادي قبل أن نصل إلى أرض الغابات على الجانب الآخر والذي يجري عبره طريق الحاج قريباً من سلسلتي حرامين والعكادين وموازياً لهما مكونة جزءاً من جزيرة بركانية تفصل وادي رملان عن الدلتا العريضة لوادي عتود. كانت الشمس معلقة عند الأفق كأنها برتقالة ضخمة وهي تضيء الصخور لهذه السلاسل بوهج قرمزي أثناء ما كنا نسرع في سيرنا. كان يحفنا إحساس بعدم الحقيقة حول هذا المشهد العام. وكان الصمت محسوساً لم يكن هنالك صوت عدا ضربات حوافر حماري وارتطام أقدام الهنديين، علماً بأننا كنا على عتبة منطقة زراعية واسعة ذات كثافة سكانية.

لم نر قرية رملان وهي قرية كبيرة عند ذيل الوادي وخلف السلسلة البركانية، كما لم نشاهد درب وما يجاورها وهي تقع إلى الأمام من موقعنا هذا. كان وقع اسم العكادين كوقع الموسيقى في أذني. كانت أرضاً لحادثة مشهورة في تاريخ الأحداث الحولية في تاريخ العصور الوسطى لليمن، ولم يكن موقعها الصحيح معروفاً. أكون بذلك قد اكتشفت وبمحض الصدفة حقيقة ذات مغزى تاريخي كبير. غربت الشمس وأنا على ظهر الحمار أسترجع المعركة التي وقعت في هذه الغابة بالذات في أزمان قديمة لإثراء الدخل الحكومي لمنطقة الدرب، التي كانت هدفي المباشر. وصلنا إلى أول المجاري بعد أن عبرنا طرف سلسلة أعكدين وخرجنا إلى دلتا واسعة ممتدة ذات مزارع منتشرة، وذلك خلال خمس عشرة دقيقة قبل هبوط الظلام. وصلنا إلى قرية الدرب نفسها بعد ساعة كاملة، بسبب الظلام

الدامس والمتاهة المعقدة للطرق والحقول والمتاريس، وكان ذلك قبل الساعة الثامنة مساءً بقليل، بعد مسيرة شارفت على الاثنتي عشرة ساعة، ولم يكن معنا طعام نأكله خلالها عدا البيضتين في مسلية.

تمكنا من التحرك عبر المتاهة بمساعدة بعض الناس، خلال شوارع تصطف على جوانبها العشب إلى حيث منزل الشيخ المحلي، حيث قوبلنا بكرم شديد. أحضرت لنا السرائر الخفيفة مع أغطية أكثر إلى داخل المعسكر والذي على أحد جوانبه كان منزل الشيخ يشرف على العشب الشبيهة بخلايا النحل في الجوار التي يسكنها وكلاؤه. كما تم إحضار مصباح إحصاري وأشعل ليضيء الموقع. وأحسست بهمس فهمت أنه يدور حول الرغبة في ذبح عجل سمين. وهذا يعني انتظاراً طويلاً، وقد كنت مرهقاً وجائعاً، وتجرات بالتدخل، برغم كل الحديث الذي يدور. شرحت موقفي ووجدت حالي تعاطفاً، وقد تخيلت أن تدخلني في تفضيل شاة على العجل لم يعجب مضيفنا. اقترحت أن قليلاً من الخبز وربما دجاجة وبعض البيض سيكفي لإبعاد جوعي، والذي بعده أحتاج إلى أن أنام. كان هنالك الكثير من الخبز - كما قالوا - واستغربوا طلبني الدجاج والبيض. كان هنالك الكثير من هذا أيضاً، غير أنهم استغربوا أن أقوم بأكل هذه الأشياء - لا يأكل أهل الدرب هذه الأشياء - إنها التقاليد القديمة! تغلبت على ارتيابهم وانطلق الرسل لجمع الطيور ومنتجاتها. عادوا خلال دقائق ومعهم دجاجتان حيتان ودسته من البيض، واقترب المتفرجون ليراقبوا تقديمها لي كما هي على طبق كبير. أدركوا تماماً أنني لا أستطيع أن أقوم ببلع الطيور وهي حية أو أن أكل البيض وهو نيء، أما ما سأفعله بكل منهما، فلا علم لهم به. استرجعت صورة السيدة في مسلية، وطلبت إحضار موقد وقدر ماء للغلي، وسرعان ما أعدوا لي ذلك. شرحت لهم

ما أحتاج إليه فيما يخص الدجاج أثناء ما كان الماء يغلي. إن أعناق الدجاج تقطع تماماً كما يفعلون بالضأن، ثم يزال كل الريش. ثم تنزع الأحشاء. ثم أقوم بتوضيح ما يمكنني أن افعله بعد ذلك^(١).

لقد أحدثت فيهم إثارة بلا شك، وكان اهتمامهم قد تضاعف وقد أصبح الماء يغلي وأسقطت من ستة البيض الواحدة تلو الأخرى. انتظاراً لما يلي، طلبت منهم إحضار الخبز وقليلاً من الملح وفعلوا ذلك على الفور، وكان الخبز لا يزال ساخناً من الفرن، انتهت فترة الخمس دقائق التي خصصتها للبيض. لكي أكون على الجانب الآمن إن كان بعضها غير طازج. وبدأت ألتهم أجمل أنواع خبز الدخن مع البيض المسلوق. لم يكن لرفيقي القادم من صيبا أي تقدير ليشاركني في تناول كليهما، وقد أزلنا الجوع عنا، تناول بعد ذلك سريره وذهب بعيداً إلى زاوية هادئة ليتردد متاعبه بالنوم. أحضروا الدجاج في هذه الأثناء، تماماً كما طلبت وأسقطتهما في الماء الذي يغلي والذي كان به البيض. ولما كنت قد تناولت كل ما أمكنتني، فقد تركت الدجاجتين تغليان في الماء حتى جاء وقت ذهابي للنوم، حينها أخرجتهما من الوعاء ووضعتهما في مكان آمن لتبردا حتى وقت الفطور.

جلست أحداث رفاقي وهم يتسللون تدريجياً مع تقدم الليل، وقد تمكنت من رد جميل كرمهم إليهم في اللحظة. كان القليل منهم من المدخنين، وقد استطعت أن أهديهم بعض التبغ من مستودعي المستورد ولم يعجبهم بالمرّة. أعجبهم الشاي ولهذا قصة. لم يكن معي شياً حينما وصلت، غير أنه اتضح أن قدومي لم يكن

(١) هذه مبالغة، فالطيور مثل: الحمام، والقماري، والدجاج موجودة في معظم بلاد تهامة والسراة، وهذا مما يدل على أنهم يعرفون هذه الأنواع من الطيور، وبالتالي لا بد أنهم يعرفون كيف يذبحونها ثم تطبخ أو تشوى بغرض الأكل. (ابن جريس).

غير متوقع. كانت المجموعة الرئيسة لفرقتي، بعد أن فقدوا كل أثر لي خلال الليلة السابقة، ولم يقابلوا رسلي، قد قرروا أن يعسكروا في الطريق وأن يسلكوا الطريق العادي الساحلي أثناء النهار حتى وصلوا إلى ذيل وادي بيض، في موقع ما أسفل مكان عبوري له. عسكروا هناك لقضاء الليلة إلا أنهم أرسلوا رسولاً إلى الدرب في حالة مروري بذلك الطريق، لإخبارهم بأنهم سيتوجهون في اليوم التالي إلى الشقيق، حيث يتلاقى الطريقان، وينتظروني هناك إن لم أكن قد سبقتهم. أرسل سعد ذو التفكير الثاقب مع الرسالة بعضاً من الشاي. لا أذكر إطلاقاً أنني استمتعت بأمسية مثل تلك. لقد نمت نوم العادل بكل تأكيد تحت النجوم، وأفطرت ومعني رفيقي صباح اليوم التالي على الدجاجتين وعدد كبير من البيض والخبز والشاي.

كان مضيفي الشيخ محمد بن هادي الشعبي^(١) واحداً من أسمن الرجال الذين قابلتهم، يزن ما لا يقل عن (١٨) حجراً وهو شخص متقدم في السن، لطيف، كثير الكلام، طيب. أخبرني أنه قد ورث الاتجاه نحو البدانة من والدته، وسألني ماذا يفعل بالنسبة لذلك؟ اعتقدت أنني قد تعرفت عليه بما فيه الكفاية في تلك اللحظة لأقترح عليه أن يتجنب لحم الضأن والدهون والسمن، ويعتمد إلى تناول الدجاج والبيض وشرب الشاي والقهوة بدون سكر! كان عليّ أن أمنع الأكل الشره للخبز الحار الذي هو غذاؤهم الرئيس مع اللبن والذي يعدونه في صنفين

(١) وقع فيلبي في خطأ عندما ذكر اسم الشيخ/ محمد بن هادي الشعبي، حيث أورده باسم (المنجحي) بدلاً من (الشعبي). مع أن محمد الشعبي هو شيخ قبائل درب بني شعبه، وهذا ما أثبتناه، كما يوجد في بلاد بني شعبة عشيرة أخرى تسمى المنجحي، وحياتهم تميل إلى حياة البادية، ويقطن أكثرهم في النواحي الواقعة إلى الشمال من بلدة الدرب، التي أصبح يطلق عليها اليوم مع بلدة الشقيق اسم. (محافظة القياس). (ابن جريس).

محلّي وحامض^(١). يخبز كلاهما بنفس الطريقة غير أنه في حالة الخبز الحامض فإنهم يعجنون العجينة ويتركونها مدة (٢٤) ساعة قبل إدخالها الفرن. لم تكن قبيلة المنجحي من أصل الأشراف^(٢)، بل من العرب الدينويين ويزعمون صلة مع بني تغلب وهؤلاء فرع من قحطان. سافر شقيق الشيخ، واسمه حمد، قبل أيام من زيارتي مع مجموعة محلية من ثلاثين حاجاً بما في ذلك أربع من النسوة، ولم تنسهم القرية أثناء غيابهم. وقد ظلت النسوة لعدد من الساعات أثناء الليل يتضرعن إلى الله تعالى في الدعاء لهم^(٣). عبرنا حقول الدرب صباح اليوم التالي، ومررنا بامرأة متقدمة في السن، تشد في طرب لابنها الذي كان ضمن المجموعة التي ذهبت إلى مكة. يتضح من هذا أن النظام الإدريسي قد طبع في كل هذه البلاد، احتراماً حيويّاً للأسس الإسلامية.

كان الشيخ وأبناؤه الثلاثة في وداعي، وكان عليّ أن أعترض على سلوك الابن الأصغر بسبب تحديقه غير المهذب. كانت المناسبة -عدا ذلك- جيدة كما

(١) الاسم الصحيح لهذه الأصناف من الخبز هو (الفطير) و(الخمير)؛ فالفطير: هو ما قصد به فيليي باسم (المحلي) والخمير (أي الحامض) (ابن جريس).

(٢) إذا كان فيليي يقصد هنا بالقبيلة التي يتولى شيختها محمد الشعبي، فلا يطلق عليها اسم قبيلة المنجحي، وإنما تسمى قبائل درب بني شعبة. (ابن جريس).

(٣) كان الدعاء للمسافرين قديماً من الأمور الضرورية والهامة، وبخاصة من أسرهم وأهل قراهم ومواطنهم وذلك لما يقابلون في أسفارهم من عقبات لا تعد ولا تحصى، ومن أعظمها السلب والنهب، والقتل، والغدر من قطاع الطرق والقبائل والبلاد التي يبرون عليها، والخوف من مجهول القدر في الأسفار، ومما يقابل المسافرين جعل المسافر يخرج من منزله وفي اعتقاده أنه لا يعود لما يواجه من مخاطر عديدة. (ابن جريس).

كانت الليلة السابقة، غير أن عَيْنِيَّ قد أزعجها كثرة البصاق الذي يقذفه ماضغو البردقان وكان من بينهم الشيخ نفسه^(١).

حضرت مجلس الشيخ بعد الإفطار الذي يستقبل فيه شكاوى والتماسات رعيته، كما يحكم في العديد من الخصومات، ولم يكن مكتبه عاطلاً عن العمل. كان أسلوبه القضائي لطيفاً. ويبدو أن الناس يدركون ما يودون قوله، وكان يدعم يدلون بما لديهم قبل أن يصدر الحكم، مختصراً ومحكماً، مع إحساس بأنه نهائي^(٢). كان يستطيع القراءة والكتابة بامتياز على عكس الكثير من العرب الذين من جيله. كان مقر سكنه بسيطاً وجيد البناء، كما لاحظت من فوق سطحه أنه توجد منازل مشابهة له في القرية، كانوا قد أحضروا حجارة بنائها من صخر بني أحمر من أصل بركاني - من مستخرجات الحجارة من ربوة صغيرة تسمى كد على بعد نصف ميل في اتجاه عكادين، والتي قد تُكوّن بروزاً خارجياً منعزلاً له. لا بد أن يكون عدد سكان الدرب نفسها مماثلاً لذلك في أم الخشب، وربما تضاعف لنقل (١٠٠,٠٠٠) نسمة باعتبار كل القرى في دلتا عتود.

ينساب الجانب الرئيس من الوادي ماراً بالجانب الشمالي من القرية فوق بطن عريض حصوي، ويرتفع الجانب الأيمن الصخري إلى (٢٠) قدماً، بينما تجد مساحة القرية المقابلة الحماية من متاريس من الطين تقيها أخطار السيول. ينبع كل من وادي عتود ووادي ضلع من موقع متجاور في جرف جبال السراة بالقرب من

(١) إن استخدام الددقة، أو النشفة التي يسميها فيلبي (البرتقال) لا تزال يعمل بها في بعض أجزاء تهامة،

وفي أجزاء عديدة من اليمن، وغالباً ما ينتج عن مستخدميها كثرة البصاق أثناء مضغها. (ابن جريس).

(٢) ما ذكره فيلبي هنا كان من مهام الشيوخ والأمراء في معظم شبه الجزيرة العربية، وبخاصة قبل ظهور المؤسسات الإدارية التي تفصل في قضايا الناس. (ابن جريس).

أبها، ثم يتحدان في نهاية الأمر في موقع يسمى المخاضة، حيث يوجد جدول من برك صخرية. إن كلاً من وادي رملان، ووادي حرمان^(١)، ومعهما مجاريهما المتعددة، ما هما إلا فروع جانبية من الجدول الرئيس بعد خروجه إلى السهل ليكون الدلتا، غير أنني لم أجد معلومات تؤكد هذه النقطة. نستطيع رؤية جرف جبل الريث وصخوره الخطرة ناحية الشرق من موقعنا على بعد، غير أننا لا نرى العكوتين الآن. نستطيع رؤية مجرى عتود وهو ينحدر من بين قريتي قرار والنغبي على مسافة ميلين، كما يلاحظ على البعد نفسه وجهة الغرب أبو السداد الذي سنعبه بعد قليل. تقع قرية عتود نفسها إلى جهة الشمال الغربي، غير أنها بعيدة وغير مرئية. كما لم يمكننا رؤية رملان -ربما معش رملان- خلف العكادين ناحية الجنوب الشرقي. لا توجد زراعة قمح أو شعير في هذه الدلتا، وهي مشهورة بإنتاج نوعي الدخن، التي تصدر منها كميات كبيرة في السنوات الجيدة، ويزرعون إلى جانب هذه المحاصيل الغذائية، أيضاً السمسم لزيتته والأندقو الذي يسمى حواراً. ينتج حوار محاصيل بلا انقطاع طالما وجد الماء، بينما تحصد زراعة الدخن عدة مرات، تصل إلى ثلاث أو أربع كما في بقية أنحاء تهامة.

كان سيل الأسبوع الماضي عالياً في وادي عتود أيضاً، ونفق العديد من الضأن إلا أن آثاره العامة كانت مفيدة إذ ظهر نشاط كبير في الحقول ذات المتاريس ونحن نعبر خلالها مواصلين مسيرتنا في الصباح. كان عمل المتاريس من بين كل العمليات الزراعية في دلتا تهامة هو الأكثر أهمية وهو الأصعب، وتقوم بعمله فرق من الثيران تحفر سطح التربة بمجرفة خشبية واسعة وثقيلة وتجمع التربة التي تم

(١) حرمان: والمقصود به (حرامين). (ابن جريس).

حفرها على منحدر. إن عملية الحرث هنا ما هي إلا تجريح فقط للسطح وتستخدم الثيران منفردة أو في أزواج لتجر المحراث الخشبي البدائي الخفيف الذي ركبت فيه قطعة محددة من الحديد. كان البذر هو البساطة بعينها، مجرد النثر باليد ويتم الحصاد بواسطة المنجل. تحفر آبار القرية عبر طبقات الطمي المتراكم إلى مستوى الماء، وقد لاحظت بجوار بئر عبرنا بها بعد مغادرتنا للقرية صفاً من الرواقيد الاندقو ممتلئة بالسائل الصبغي.

كانت الزراعة شاسعة في أبو السداد غير أن المحاصيل كانت فقيرة. عبرنا فيما يليها مجرى وادي حطب، وهو بلا شك شريط من الدلتا نفسها، لنصل إلى بئر الحشفة وهي آخر مشرب للماء يقابلنا حتى نصل إلى جوار الشقيق. كانت البلاد فيما يليها عبارة عن سهل قمبورة الطيني، العاري غير قليل من أراك مبعثر وشجيرات طلع ومن حين لآخر أشجار التنضب -يسمى محلياً سداداً-. كانت آثار جمال الحج واضحة وفي عمق على الطريق الصحراوي الذي لم تصله سيول عتود، ويزرع على مساحات خلال المواسم ذات الأمطار الجيدة، على الرغم من أنه ليس من الصعب إدخاله تحت نظام الري إذا أمكن السيطرة على وادي عتود في مجراه الأعلى. كان سفرنا على الدواب لطيفاً في هذا الجو البارد، إلا أنه ثقيل، لهذا اليوم الملبد بالسحب - لم يكن هنالك ندى، بالمناسبة، أثناء الليل في الدرب - وقد استغرق وصولنا إلى منخفض (المفش) الكثير الأشجار حوالي الساعة الواحدة. ليس هذا -بدون شك- جزءاً من نظام الدلتا، إنه فقط خط تصريف يبدأ من السلاسل الجبلية البركانية ويجري مباشرة إلى البحر، وهو عبارة عن شريط عريض لغابة مثالية تحفها الصحراء على الجانبين. ويعرف عند أجزائه العليا بوادي بركة وتحفه أشجار الدوم.

أرسل الشيخ محمد أحد عبّيده ليخدمني كمرشد ويرافقني حتى الشقيق، كما أمدنا بالحمير، بينما أنهيت خدمات رفيقي القادم من صيبا بعد تجاربه المرهقة لليوم السابق مع مكافأة مناسبة هي أن يعود راكباً الحمار الذي أحضرني من هناك. كان مثلاً ممتازاً للإنسان عديم العقل، وبلا قدرة على الاحتمال، إلا أنه كان مخلوقاً ودوداً وأحسست بالأسف كثيراً ناحيته. كان على حافة البكاء خلال المراحل الأخيرة من تلك المسيرة الطويلة. كان لحمير الدرب ميزة خاصة اكتشفتها سريعاً، وهي أنني ورفيقي الجديد كنا نسير بسرعة المسيرات الجنائزية.

واجهتنا بلاد صعبة ذات شجيرات قصيرة بها العديد من العلقاء ونبات الثمام نامية في كتل في الرمال بعد أن تركنا من ورائنا آخر آثار الغطاء النباتي لمفش. كانت قطعان الأغنام والأبقار ترعى من منطقة الشقيق كما مررنا بآثار السيارات هنا وهناك أثناء سيرنا الصعب. ظهر أمامنا على بعد الشريط الأخضر لوادي ريم مع بعض أشجار الدوم المتناثر، وبدأت تظهر قراه الصغيرة القليلة ونحن نقرب أكثر، منها قرينا القاع وحسام على جانبي الوادي ودملاج فيما يليها. ثم وصلنا إلى بئر ليست بالبعيدة من البئر الثانية في هذا الثالوث، حيث وجدنا حاجاً هندياً آخر يرتاح خلال حرارة النهار، جاء من حيدرآباد (السند)، وبدأ رحلة حجه مع شقيقه الذي كان مرضه سبباً لموته في ميدي. كان يجهد نفسه في السير الجاد الاضطراري على قدميه، يسافر طول الليل ومعظم النهار ويعتمد على الصدقة ليعيش أثناء الطريق.

أفسحت الصحراء تدريجياً المجال لغابة خفيضة، عبرنا داخلها بقرية صلب التي تم حصاد محصول الدخن فيها للمرة الأولى، وكان في اتجاهه للحصاد الثاني. كانت قنابر الصحراء تغرد بعيداً بمرح، بينما تجمعت مجموعة من النسور

فوق جثة حيوان على جانب الطريق، وتحيط بهذه حلقة خارجية من طيور الغداف تنتظر دورها في الوليمة. استمتعت برؤية زوج من الغداف، في حالة مناسبة، أثناء هذه المسيرة، وهي تهاجم وتطرد نسرًا منفرداً مختلفاً معه حول الموضوع. كان السطح في الجوار حول صلب ومن ورائها قوز مكسراً بالتلال الرملية ونحن نقرب من مجرى ريم. كان وادي ريم نفسه في هذا الموقع مقسماً إلى مجريين بربوة رملية طويلة منخفضة، وكان هنالك نمو كثيف للطرفاء والأثل على جانبي بطن الوادي الضحل.

تقع الشقيق على مسافة تقل عن نصف ميل فيما يليه وقد وجدناها في زحمة سوق الأحد. كان يوم السوق في الدرب هو الخميس. لقد سرنا الآن بقرب الساحل مرة أخرى، وتقف الشقيق إلى الخلف على بعد ميل واحد منه، على الذيل المنتشر لوادي ريم، وهي واحدة من المواقع التي تم اختيارها بواسطة الحكومة لإنشاء مركز شرطة صغير، الذي جمع بين مهمات الشرطة العادية ووظائف حرس الحدود. ذهبنا ناحية مبنى الشرطة فوق أرض مرتفعة قليلاً، تطل على القرية التي مررنا بها عند الوصول، لنجد الترحيب والضيافة والسكن الذي قدمه لنا علي الشاويش المسؤول، لم يصل بعد قطار عفشنا غير أنه وصل سالمًا مع الغروب، وهكذا اجتمع شملنا مرة أخرى في مكان مناسب هو موقع التقاء طريقين مختلفين، كلانا كان يتبع واحداً منهما. سيكون هنالك طريق واحد فقط من هنا إلى الشمال^(١).

(١) هناك العديد من الطرق التي تربط بين الحجاز واليمن عبر الساحل. للمزيد انظر: غيثان بن جريس.

دراسات في تاريخ تهامة والسراة، ج١، ص ٣٥٥ - ٣٦٠. (ابن جريس).

تقع الشقيق في جزأين يفصلهما أحد مجاري دلتا ريم^(١)، يقع مركز الشرطة في القسم الجنوبي ويقع السوق في القسم الشمالي. كانت الساعة تشير إلى الرابعة مساءً حينما وصلنا، وذهبت فوراً لتفقد السوق، الذي كان لا يزال يحفل بالمرتادين حتى عند تلك الساعة المتأخرة. كان الشارع الرئيس وأيضاً الوحيد في هذا القسم يتكون من خط مزدوج من المتاجر المبنية من التوتل والأعواد، والتي يدور فيها الكثير من البيع والشراء. إلى جانب أصحاب المتاجر، كان هنالك مدربو الصقور والباعة المتجولون، يحتلون مواقع أمام المتاجر أو في وسط الشارع، بينما كان سوق الحيوانات للأبقار والجمال وما شابه ذلك في أرض واسعة كأرض المعسكر تملأ الفراغ بين السوق والوادي. كان لسكان المكان المظهر المدني ولباس أهل المدن أكثر منه مظهر المزارعين وكانوا -في معظمهم- تجاراً بأسلوب صغير يستوردون سلعهم من بائعي الجملة في جازان. قابلت وتحادثت مع العديد منهم، بما في ذلك العمدة الشيخ هادي القربي الذي أراني العناصر الرئيسة لمناشطهم التجارية. لربما كان أكثر هذه إثارة هو جماعة من النسوة والفتيات يقمن بعجن كميات ضخمة من جبال الدخن لتقديمها إلى أفران تقف بالجوار لصنع الخبز.

إن الشقيق هي مركز مستعمرة من قرى صغيرة مبعثرة حول دلتا وادي ريم ووادي عرمم، على بعد ميل واحد أو أكثر ناحية الشمال. لقد ورد ذكر بعض هذه القرى من قبل. كانت قرية الساحل من بين القرى الأخرى، هي الأقرب إلى البحر داخل غابة أثل ونخيل تمور، تمتد حتى حافة مسطح أملاح الذي يفصل بين

(١) وادي ريم: هو وادي الشقيق الذي يصب بالقرب منه واد يأتي من الجبال القريبة من السراة إلى الشمال من عتود، ويسمى راسه (كيسان). وهو واد كثير القرى والزرع، يدخل في بلاد رجال المع، وأسفله لقبائل الشقيق، ووسطه قبائل مخلوطة. (ابن جريس).

الأرض الحقيقية والبحر، وكان البحر يبعد حوالي ميل ونصف الميل عن السوق. تقع قرية أم الشرافاء اتجاه أعلى الوادي على مسافة ميل واحد، بينما تقف قرية حجمير على الشاطئ الأيمن لعمرم، على بعد ميلين. تقع قرية نحوس على الجانب الأيسر لعمرم وعلى الطريق الأمامي، بينما تقع الشعوف اتجاه أعلى الوادي ومعها قرية بزاح وقرية زبارة. كانت قرية أم الدغابس، ومزارعها الواسعة لأشجار النخيل، أقرب إلى البحر وعلى يسار نحوس وبناء على المعلومات المحلية، فإن وادي ريم له مستجمع ماء مشترك مع وادي حليّ (أو وادي البرك)^(١) في سلسلة تقف عليها قرية الشعبين المهمة. بلا شك أن الواديين يعودان إلى تاريخ اليمن في العصور الوسطى. يجري ريم من هنا عبر قسمين من رجال ألمع وهي قرية مهمة أخرى داخل حزام التلال^(٢)، ليعبر إلى الأرض المرتفعة البركانية الخارجية، ومنها إلى السهل ثم البحر. يجب أن يعد عمرم في هذه الحالة، مصرف ثانوي للمنطقة البركانية، على الرغم من أننا عندما عبرناه بدأ لنا أكثر مهابة من ريم. لقد ذكرت الأرض البركانية في تعابير عامة وذلك على الرغم من أنها ذات نقاط بارزة، إلا أنها في معظمها مساحة منخفضة غير مميزة، تتقارب تدريجياً إلى طريقنا إلى الشمال وتصل إلى البحر داخل أرض رقبة المهيبة، التي يمكن رؤيتها من عند الشقيق، كما كانت هنالك بعض التلال في جوار البرك. تسمى الأرض الرملية على امتداد ساحل البحر إلى الجنوب من وادي ريم أبو

(١) لمزيد من الإيضاح عن بلاد البرك، انظر: عبدالرحمن بن عبدالرحيم بن عبده. من تاريخ برك الغمام (بين الماضي والحاضر) (د.ت/ ١٤٢٠هـ) ص ١٤ وما بعدها. (ابن جريس).

(٢) إذا أردنا ذكر (قرية رجال)، فإنه يكون إيرادها بهذه الطريقة، وليس كما ذكر فيليبي، ب (قرية رجال ألمع)، أما عموم رجال ألمع فإننا نقول: (بلاد رجال ألمع) وهي أرض واسعة تتكون من عشرات القرى والعشائر. (ابن جريس).

المرو. توجد بها بئر واحدة جيدة، ولا يوجد سكان. لقد انحدر وادي ريم أثناء السيل الكبير الأخير من الجبال وقد هجرت كل العشش التي على مستوى الوادي، غير أنه لم يحدث ضرر كبير.

أكرم العسكري على مجموعتنا بما فيه الكفاية من اللحم والأرز، غير أن طيخه لم يكن جيداً ولم تكن الوجبة مثيرة للشهية. شاركنا الحاج القادم من حيدرآباد في الوقت المناسب لتناول الطعام، وقد ناولته مبلغاً صغيراً يساعده في الطريق، ذلك أنه ينوي السير أثناء الليل على قدميه. لم نر بعد ذلك الهنديين الآخرين ولا بد أنهما قد عبرا إلى ما يلي هذا الموقع. أخذنا زوجاً جديداً من الحمير من هذا المكان ومرشداً جديداً. إلا أن بداية الرحلة قد تأخرت قليلاً بسبب أن حماري له قطعة رفيعة جداً يقولون إنها لجام^(١). رأيت أن هذا ليس بالأمر الآمن ولا اللائق مع كرامتي، ولم يجد ضابط الشرطة الذي يجلب الغم بدأً من إرسال أحد إلى السوق لإحضار قطعة من الحبل تحل مكان اللجام، وكان هذا هو أحسن ما أمكنه عمله. بدأنا السير وسرعان ما كنا نخوض بدلاً من أن نسير فوق غابة طرفاء مبلّلةً بمياه السيول، استمرت حتى طرف مزارع قرية أم الدغابس. كانت مزارع نخيل التمور ومزرعة منها صغيرة في بئر مقدم جنوب وادي ريم هي أولى المساحات لهذه الشجرة النبيلة التي نراها في كل هذا الجزء الجنوبي من تهامة. كانت مساحتها أكرأً واحداً فقط وكانت منتجة، إلا أنها بالمعيار المحلي فإن أجود التمر في كل هذه المنطقة هو ما تنتجه ذهبان، إلى مسافة ناحية الشمال. شاهدنا على طرف القرية وعلى جانب الطريق مشهداً غير عادي لاثنين من مدافع

(١) اللجام: قطعة من الحديد مربوطة بحبل يوضع من خلف رأس الحمار، في حين أن هذه القطعة الحديدية تكون في فم الحمار أثناء ركوبه كي - يُزجر ويحد من الانطلاق وإيذاء راكبه. (ابن جريس).

قديمة كبيرة مفككة، لا يُعرف شيء عن تاريخها^(١). ربما كانت بقايا من أزمان نابليون أنزلها هنا الأتراك لحملة ضد الإدريسي أو ضد اليمن. كان نبات الرين الأصفر الأزهار متوافراً في كل هذه المنطقة الغدقة، ويبدو أنه عشب ضار تصعب إزالته ولا فائدة منه لأي أحد أو لأي شيء. كما كان هنالك الكثير من عشب نجيلي قصير يسمى نجمة، وبالطبع كتل من الطرفاء في كل مكان، وبعض العلقى، بينما كان محصول الصيف للدخن الذي يزرع مع السيل الأخير، قد برز إلى السطح في مجموعات خضراء جذابة.

تتابعت مزارع نحوس مع تلك لأم الدغابس ومررنا فوق دلتا عرمرم الذي ينشق مجراه على مسافة ناحية الشمال الشرقي، تاركاً مياه سيوله تنتشر بلا ترشيد وتندمج مع دلتا ريم. تغطي هذه المنطقة كتل ضخمة من نبات السواد الذي يسمونه محلياً «حمض» وهو ضرب من جنس الفربيون يصنعون منه نوعاً بدائياً من مسحوق الصابون. أضافت شجرة الدوم واحدة، وثلاث أو أربع شجرات نخيل التمور تنويعاً إلى المنظر، كما كانت طيور القنابر المتوجة تغني بلا توقف أثناء مرورنا. أكلت الحمير ومضغت نبات السواد وهي تتعثر في جهد حتى عبرنا خارج الدلتا إلى أرض كثبان رملية فوق أرضية طينية، سيطرت الرمال سريعاً على المنظر. تقع أمامنا أرض رقة ومعها سلسلة محاليل عسير^(٢) على يمينها والتي عليها يتعرج

(١) هذه المدافع من بقايا الأتراك أثناء خروجهم من بلاد عسير عام (١٣٣٧هـ / ١٩١٨م). مقابلة مع

عبدالرحمن بن عبدالرحيم بن عبده ببلدة البرك في (٢٠ / ١ / ١٤٢٥هـ). (ابن جريس).

(٢) محائل عسير: هو الاسم الصحيح لهذه البلاد التي تبعد عن مدينة أبها ناحية الشمال الغربي بحوالي

(٨٠ كم)، وهي واحدة من محافظة منطقة عسير الرئيسة. وليس اسمها (حائل) كما ذكر فيليبي. (ابن

جريس).

طريق الحاج فوق سهل البرك^(١). تمتد الكثبان الرملية أحياناً في موجات منتظمة ذات ارتفاع، وبصفة عامة فقد كان المنظر غير مثير ومضجر حتى وصلنا إلى مجرى وادي نهب، كان جنباه المسطحان ممتلئين بأشجار البالميتو والشجيرات الصحراوية الخفيضة مع بعض الدوم، بينما لمحننا على مسافة نصف ميل مع اتجاه الوادي، بحيرة تربط المجرى مع البحر، ينطلق هذا المصرف من الأراضي البركانية المرتفعة في جوار سلسلة عبيبة على بعد بعض الأميال ناحية الشمال الشرقي من موقعنا. أشار دليلي عند نقطة قريبة من هذه الأرض المرتفعة والتي تسمى حصن العوادي إلى أطلال لقلعة قديمة، ربما تعود إلى العصر الإدريسي. مرَّ بجوارنا اثنان من الهنود في طريقهما إلى مكة، رجل طاعن في السن يسير على مسافة (٣٠٠) ياردة خلف شاب قوي، والذي ربما كان ابناً له، وكان يحاول جاهداً أن يلحق بخطاه حسب ضروريات الحالة.

عبرنا الامتداد الرملي للوادي بعد وقفة قصيرة لاستيعاب المنظر، أدركتنا خلالها قاطرة عفشنا وتقدمت علينا، لنواصل سيرنا داخل بهو يضيق دائماً بين أرض الحمم البركانية والبحر، مع شريط عريض من أشجار البالميتو على الجانب الأرضي الداخلي للممر، وكثير من نبات الثمام والحلفاء في كل مكان. كانت بلاداً صعبة غير أنه كانت تشاهد فيها آثار لحركة السيارات هنا وهناك حيث يمكن اختراق السطح. لقد كان هو الطريق الوحيد المتوفر لأي نوع من الحركة، وحتى للسير على الأقدام فقد كان طريق الحمم مستحيلاً. لقد طوقتنا الآن ناحية البحر

(١) هذه المنطقة التي يذكرها فيلبي في هذه السطور القليلة أصبحت تتبع إدارياً لمنطقة عسير، في حين أنها إلى عام (١٤٢٠هـ) كان الطرف الشمالي منها (بلاد البرك وما حولها) تتبع إدارياً لإمارة مكة، أما طرفها الجنوبي (بلاد الرقبة والقحمة وغيرها) فكانت تتبع إدارياً لمنطقة جازان. (ابن جريس).

في شريط شبه دائري يمتد من هضبة حصن العوادي، عبر سلاسل خبرية ومحائل إلى الرقبة والذي غسلت أقدامه الأمواج، ينحدر خلال هذه البلاد الصعبة مسيل مدع لينتهي في مسطح سبخة واسع، والتي يقال إنه لا يمكن السير فيها تحت ظروف البلل لأي ضرب من الحركة، كان المار يختار طريقه على حافة الحمم البركانية، أما السيارات فعليها أن تنتظر حتى يجف المسطح.

يوجد ثقبان مائيان في زاوية حقل الحمم البركانية، حيث يدخل المسيل إلى المسطح، تسميان المعيان في مجموعة صغيرة من أشجار الدوم والنخيل مع انتشار كبير لأشجار البالميتو. الماء صالح للشرب، بالرغم من أنها تبدو منقرة داخل ثقب ضيقة عمقها حوالي القدم الواحد، متماسة مع حافة الحمم البركانية، التي اختلطت هنا مع حجر مرجاني مملوء بالحفريات الإسفنجية. قمت بفحص المنطقة بعناية وتوصلت إلى الاستنتاج بأن الشعاب المرجانية لا بد وأن تكون قد تكونت قبل انفجار البركان، الذي دفع بالحمم البركانية عبر سطح الشعاب المرجانية والتي قاومت جزئياً تغلغل اختراق الحمم لها وتم رفعها كاملة إلى أعلى. تغطي الشعاب المرجانية في بعض الأجزاء الحمم البركانية عند ارتفاع معتبر فوق سطح البحر. يتضح أن هذا المسطح المحلي كان جزءاً من أرض انحسر عنها البحر إلى مسافة ميل واحد على الأطراف الحالية لخليج صغير، ينتهي إلى انبعاث جميل تحفه غابة المانجروف. يطوف ممرنا الخارجي مع الحافة الداخلية لهذا، مسافة فوق طريق معبد صناعي من كتل حمم صعبة. أصبحت الصورة العامة للأرض البركانية واضحة الآن، وكل النقاط البارزة المختلفة كانت مخاريط بركانية قديمة بعضها تكسر بعوامل طبيعية. كان هنالك الكثير من نبات خزامى البحر في الخليج الذي يقع بين الحمم البركانية وحزام غابة المانجروف، وإلى جانب حشيشة شائكة خشنة، بينما

كانت غابة المانجروف نفسها والخليج فيما يليها مصدر وجبة سمك لمستعمرات من طيور البلشون، التي طارت حينما مررنا بجوارها. رأيت أيضاً طائر بجع منفرد يخوض في الخليج بعيداً عن مدى بندقيتي.

كانت مسيرتنا صعبة جداً فوق الصخور، ونحن نمر من البهو إلى ساحل تكسوه الحمم البركانية وخليج يمتد إلى (٢٠٠) أو (٣٠٠) ياردة على جانبنا الأيسر، وساحل مرجاني قديم قريب منا على اليمين، وقد ارتفع فوق سطح البحر في مواجهة صخرة من الحمم البركانية تقع خلفه. عبرنا خليجاً كبيراً من السبخة بعد أن ابتعدنا عن الخليج المائي على حافة الحمم البركانية، كانت تنمو عليه أعشاب خزامى البحر وغابة منظمة من المانجروف على جانب البحر.

اتسعت المسافة بين البحر والحمم البركانية في هذا الموقع إلى مدى الميل الواحد، بينما مررنا في أحد المواقع بمساحة معتبرة من مسطح الماء على يميننا، وقد انعزل من الخليج المائي. كان عرض الساحل لا يقل عن الميل الواحد عندما اقتربنا من صعود الحقل الحممي البركاني الحقيقي، وكان طريقنا يقع أولاً فوق الشعاب المرجانية ثم فوق خليط من شعاب مرجانية وحمم بركانية، ثم فوق انتشار خفيف لحمم بركانية مندلفة فوق الحقل الرئيس. وقف مخروط رغبة من فوقنا وينحدر منه مسيل يجري إلى أسفل من الحافة الشرقية المكسرة لفوهة البركان. تجري قاعدة البركان تجاه الجنوب الغربي من الموقع الذي يبدأ فيه الطريق إلى الصعود، وحتى حافة البحر على بعد ثلاثة أرباع الميل، والذي منه تصعد مرة أخرى إلى جدار من الحجارة المتخلفة من رماد البراكين وحمم بركانية على ارتفاع (٥٠٠) قدم. كان طريقنا ضيقاً جداً يخترق بركة الجلاميد البركانية، متكومة في أكوام غريبة الشكل الطبقي فوق أرض من الحجارة البركانية، أو ربما شعاب مرجانية وقد حرقها

الانفجار البركاني، تمتد شرقاً في حزام عريض من سفوح رغبة، والذي تجري قاعدته في هذا الموقع في اتجاه مواز لنا على مسافة ثلاثمئة ياردة. كانت قافلة عفشنا ترزح مجهدة أمامنا، وكان خلفها أحد الأعراب تصحبه امرأتان وجمل وبعض الأغنام، -أيضاً مثلهم في الجهد-. أمكننا رؤية حاج هندي عند نهاية الطريق يسير وحده، بينما إلى مسافة من ورائنا، وعلى مستوى الساحل، يمكن رؤية ثلاثة هنود آخرين وهم مسرعون.

استغرق وصولنا إلى قمة الطريق حوالي عشرين دقيقة، ولم تكن بأكثر من مئتي قدم فوق سطح البحر، إلا أن الوصول إلى هناك كان عملية مرهقة أثناء أدائها. يصعب التصديق بأن السيارات يمكنها أن تقطع هذه المسافة من لسان الحمم البركانية في أي موقع منها، إلا أنه وبلا شك قد تم ذلك في المناطق المكشوفة إلى الداخل والتي لا يعرف دليلي عنها شيئاً، ولعلها تكون على شريط يربط بين مشرب المعيان ووادي بشير على الجانب الشمالي للحمم. لاحظت هنا أن الصخر البركاني الأبيض كان مختلطاً مع الأصداف وسجلت الاستنتاج المبدي بأنه إما أن يكون قد تم سحقه وتحول إلى مرجان أو هو خليط من المرجان مع رماد بركاني. كان المنظر من قمة الطريق مؤثراً، وكانت جزيرة كتنبيل هي السمة الأساسية لها- وهي تركيب مخروطي هرمي من صخر أسود يسبح في البحر كأنه جبل جليدي ضخماً إلى البعيد خارج الساحل.

كانت واحدة من بين العديد من المخاريط البركانية التي تنتشر في المنطقة كلها التي تقع داخل نطاق الرؤيا، إلا أنها كانت الوحيدة التي يمكن ملاحظتها داخل البحر بالفعل. كانت رغبة نفسها مؤثرة باتساعها إلا أنها مكسرة على القمة وأطرافها الداخلية كذلك، بينما تحتل وسم، وهي علامة أرضية مهمة بارزة في

القحمة، المركز الثاني من الناحية الجمالية بعد كتمبل. تقف وسم على حافة الماء على الجانب البعيد من ميناء القحمة التي تشرف عليها تماماً. يرتفع رقعته - وهو شبيه بالجبل الجليدي أيضاً- على الجانب القريب من وسم، بينما كان المنظر الداخلي من القحمة وجنوباً منقطعاً بعدد من المخاريط وكتل بركانية أقل حدة. كان من أبرز هذه كل من الخرمي والحمة ومحائل، بينما علم مجرى وادي الحمضة شريط من الروابي، من أولى هذه إلى البحر أمام القحمة. نستطيع رؤية حصن العوض ناحية الشرق من موقعنا وعلى قمته القلعة المدمرة. ألقينا نظرة، مباشرة أسفل موقعنا وعند النهاية بطريق سهل يقود إلى أسفل لسهل النميش الذي يكثر فيه شجر الدوم على امتداد مجرى ضحل صرفي، يجري بدوره على امتداد الطريق البعيد لحوال الحم البركانية تجاه البحر على الجانب الشمالي لرغبة، والذي تغطي كتلتها المرئية لنا حوالي ثلاثين درجة على مسافة ثلاثمائة ياردة من موقعنا.

وصلنا إلى السهل خلال عشر دقائق متجهين ناحية الشمال الغربي، على الجانب الأيمن لخط الصرف، الذي نحفه وتوجد بداخله أشجار طلع بينما اكتسى السهل بينه وبين الساحل بأشجار خفيضة جافة، وحشائش مع بعض شجر التنضب من حين لآخر. كان السير هنا جيداً فوق أرض ثابتة طينية ووصلنا بعد مسيرة نصف ساعة إلى رأس خط الصرف الذي يوجد فيه على مسافة نصف ميل إلى اليمين مجموعة من الثقوب المائية (ملازم) تسمى نميشاً، ينحدر خط الصرف هذا من مخروط وسلسلة محائل التي منها ينحدر مجرى صرف آخر يتجه إلى الشمال مع طريقنا ليتصل مع وادي بشير الضحل أمانا. وجدنا أحد روافده يتفكك داخل الطريق، إلى روابٍ رملية ينمو عليها الدوم، وفيما يلي هذه لا يوجد ماء إلا في مواسم جيدة السيول. خرجنا إلى سهل سبخة واسع فيما يلي

هذه المجموعة من أشجار الدوم تكسوه حشائش شحيحة وشجيرات حمض خفيضة، وتحفه على أحد الجانبين سلسلة رملية خفيضة قريبة من الساحل وعلى الآخر كثبان تمتد إلى الخلف إلى حافة حقل الحمم البركانية من حول الخرمى. توجد فجوة واسعة بين هذا القسم لحقل الحمم واندلاقه براكين الحمّة، ينحدر خلالها وادي بشير الذي يأتي من سلسلة السوداء إلى الخلف من بعيد. تقف سلسلة جب المنخفضة التي -كما قيل لي- يوجد فيها بقايا المقبرة الهلالية، ويربطه الأهالي بالأساطير المحلية لقبيلة بني هلال.

ليس لوادي بشير نفسه أهمية كبيرة، فهو منخفض واسع رملي وضحل، وبه العديد من البرك المالحة في مجراه. يمتد الوادي على مسافة نصف ميل مع اتجاه أسفل الوادي من موقع عبورنا على امتداد قدم رقعة على جانبه الجنوبي ليصل إلى البحر، على بعد ميل ونصف الميل، بالقرب من ثقوب ماء الحفائر. تقع هذه داخل مجموعة من التلال الرملية عند حافة الماء، ويقال إن مياهها ممتازة وحلوة.

سرنا فوق أرض رملية فيما يلي وادي بشير مغطاة بكثبان مكسوة بالحشائش تنتهي بجوار البحر في منطقة كثبان سنامية جميلة. قابلنا فيها الحاج الهندي وقد عمد إلى الراحة بعد سيره على الأقدام مسافة طويلة، وكان ينتظر صلاة المغرب، غير أن قافلة عفشنا لم تصل بعد، والتي كانت قد استفادت من توقي في حقل الحمم البركانية لزيادة سرعتها، لإصرارها على الوصول إلى قدور لحم القمحة لعشاء الليلة. إنه لمن المدهش أن نجد أن الجمال المرهقة يمكن أن تفعل العجائب إذا كان سائقوها بين خيارين إما أن يتناولوا عشاءً فاخراً أو أن يتناولوا عشاء مسافر في الصحراء. بدا لي أن طاقة الجمال في هذه الحالة بالذات قد وضعت في غير مكانها، أخبرتهم بمتى انتهى الوضوح حينما قابلتهم في اليوم التالي، لأن ذلك قد

تسبب في تورطي في مسيرة مدة ثلاث ساعات في الظلام. فقدت بذلك ملاحظة تفاصيل مساحة صغيرة لهذه البلاد الساحلية، بما أنها لم تكن تستحق ذلك. غطينا فيما تبقى لدينا من ضوء النهار وضوء الشفق منطقة الصحراء، ذات الأشجار الخفيضة فيما يلي وادي بشير، وكذلك حزام سبخي عريض فيما يلي الوادي يمتد من حمم الحممة البركانية إلى مسافة ميلين على يميننا، ثم إلى البحر.

دخلنا إلى دلنا وادي حمضة العريضة في وسط كل ذلك، مع انطباق الظلام عند الساعة (٦,٣٠). كنت أتعثر في الظلام ولم أكن قادراً على تسجيل مذكراتي، ولم أصل إلى القمحة حتى الساعة (٩,١٥). وأنا غضبان ومرهق. ضخم الظلام - بالطبع - كثافة عرض حزام الغابة التي ملأت الدلتا، غير أنها في بعض الأجزاء بدأت صعبة الاختراق. كان علينا أن نبحث عن المجرى الرئيس في منتصف الطريق عبرها، وكذلك الطريق الصعب لسلسلة حمضة فيما يليها، والغابة الأكثر كثافة فيما بعدها. كنت أود رؤية هذه البلاد نهاراً، ولا بد أنها كانت جنة للطيور، غير أننا لا بد أن نواصل السير جادين لندرك رفاقنا، الذين كان في حوزتهم كل طعامنا وعفشنا. قيل لي إنه في مكان ما في مجرى حمضة توجد قرية بحر^(١) بينما تقع قرية الخسعة الصغيرة لصيد الأسماك وبها مرسى صغير لقواربها، على الساحل عند طرف الدلتا على الجانب الشمالي.

خرجنا أخيراً من الغابة إلى سبخة واسعة مسطحة، تعترض طريقنا من حقل الحمم البركانية إلى الساحل وتندمج في نهاية الأمر مع منطقة رملية يصعب وصفها والتي وصلنا فيها إلى أول مجموعة من أشجار النخيل التابعة لجوار القمحة. لا

(١) قرية بحر: يطلق عليها أيضاً اسم (بحر أبو سكينه). (ابن جريس).

تتأثر أشجار النخيل بالترب والمياه المالحة، وتتلقى هذه الأشجار ذات التوزيع الخارجي كميات وافرة من كليهما. كانت الأولى منها هي المسبخية مزرعة نخيل وبها عدد قليل من عشش المستأجرين.

يجري طريقنا فيما يلي هذه مدة نصف ساعة خلال مزارع مهملة واسعة، منقطعة، ومتعرجة، تابعة لقرية مغزل. تفصل مسافة بين هذه وبين قرية بريطان، ذات الحمم المتوسطة، تليها مشقور التي تقف فوق تربة أفضل، وتبدو مزدهرة بخطوط أشجار نخيلها العالية الممتدة على جانب الطريق إلى عمق (١٠٠) ياردة على الجانب. لم يبق علينا الكثير لتغطيته، غير أن حماري مشجه الميت قد سقط مرتين في هذه المرحلة الأخيرة، كانت الثانية منهما حينما كنا نعبّر الخليج (أو القنال) الضيق. خضت طريقني إلى الساحل وغطيت بقية المسافة مشياً على الأقدام.

أعترف أنني وصلت إلى القحمة وأنا في مزاج متعكر، وسيان لو كنت مخطئاً أو مصيباً، فإنني أعتقد أن الحاكم المحلي لم يكن لبقاً حينما أرسل رسولاً عنه لتحيتي بدلاً من أن يأتي هو بنفسه. أخبرني الرسول أن الأمير ينتظرنني في منزله وذلك لوجود ضيوف معه. كانت إجابتي أنني لن أتحرّك من هذا الموقع. ظهر الحاكم بعد ذلك أمام مدخل الجناح المخصص لي ولمجموعتي ومعه كل ضيوفه وكل حاشيته، ودخلنا فوراً في تبادل للاعتذارات وفي هذه الأثناء دارت فناجين القهوة. أدركت في حينها أن عبدالله بن عيسى، حاكم القحمة وهو من مواطني الرسّ في القصيم كان رجلاً ذا جاذبية كبيرة. كان في منتصف العقد الثالث وكان يتأتى في حديثه. لم ينقصه شيء من النبل المدني الذي يميز أهل المدن في محافظته هذه. كانت الرس، بالرغم من أنها أصغر من بريدة وعنيزة فهي مميزة

مثلهما بوجود الأمراء التجار الذين أضافوا الكثير لقيادة القصيم وللحياة الاجتماعية في الجزيرة العربية. تحسنت علاقتنا سريعاً، وذلك لأنني كنت أعرف أسرته والعديد من أهل الرس.

كان من بين رفاقه ابن نشوان، ضابط جمارك محلي. أخبرني الحاكم أنه أخذ المبادرة ليدعوني لتناول العشاء، ثم نهض جمعنا كله وتمشينا في الظلام، كلنا في مسيرة جلييلة إلى المركز أو المبنى الحكومي. جلسنا عند الساعة الحادية عشرة مساءً حول عشاء ممتاز، عدت بعده إلى عشتي لأنال راحة ضرورية بالمستوى نفسه، ونمت عميقاً لأصحو وقد انتعشت كثيراً. لم تزعجني حتى قطرات المطر القليلة التي تساقطت أثناء الليل، غير أن السماء في الصباح كانت ملبدة بالسحب مع احتمالات لأمطار متوقعة.

كان علينا استبدال جمال العفش التي استأجرناها من صيبا بأخرى تأخذنا من هنا إلى القنفذة^(١). كانت المسيرة من صيبا إلى القحمة على أربع مراحل، وكان الإيجار المتفق عليه هو نصف ريال لكل مرحلة، أي ريالاً واحداً (سدس) لكل جمل لرحلة تستغرق حوالي (٧٠) أو (٨٠) ميلاً. يبدو الأمر رخيصاً جداً، وقد أضفت مكافأة من عندي للرجال الذين اصطحبوا الجمال والذين كانت خدماتهم متضمنة داخل الإيجار بلا مقابل. تركت رفاقي، بعد أن قمت بذلك، لترتيب المواصلات الأخرى وذهبت للقيام برحلة استكشافية، يرافقتي الحاكم وضابط الجمارك وحشد من مرافقيهم. تقع القحمة على خط عرض (١٨) شمالاً، وتعلم

(١) لمزيد من التفاصيل عن بلاد القنفذة، انظر: عاتق البلادي. بين مكة واليمن، ص ١٠٧ وما بعدها، شرف البركاتي، الرحلة اليمانية، ص ١٣٣. (ابن جريس).

الحدود الشمالية لمحافظة جازان الإدارية، بالرغم من أن وضعها الطبيعي قد جعلها جزءاً من محافظة القنفذة ممتدة إلى الشمال^(١). تفصل القنفذة عن جازان بواسطة حاجز الحمم البركانية الذي يمتد من حافة البحر في رغبة، وتتميز عنه بوضوح بحقيقة أن نخيلها هو نخيل التمور وليس نخيل الدوم. لا أستطيع تفسير لماذا لا تنتج جازان نخيل التمور - باستثناء مساحات صغيرة في الشقيق - على الرغم من أنها من أخصب أقسام تهامة العربية السعودية، وتستطيع أن تنتج القطن والأندوق والسمن والدخن وربما القمح والشعير، وبكميات كبيرة إذا استخدمت مياهها بالطريقة الصحيحة. لم يكن الأمر متعلقاً بخطوط العرض، وذلك لأن تهامة اليمن إلى الجنوب منها، وتهامة السعودية إلى الشمال منها، تنتج التمور. لا بد أن يكون الأمر متعلقاً بالتربة، وهو أمر يستحق الدراسة.

مهما كان الأمر، فإن أشجار نخيل التمور تؤدي دوراً حيوياً في تمييز التركيب الاجتماعي لقسمين متجاورين من تهامة. يعيش الناس في معظم الأجزاء في عش في القحمة مثلاً والدرب في درب، إلا أن العش هنا مبنية من سعف النخيل وليس من الوتل والأعواد بينما تسور الزرائب بحاجز من سعف النخيل بدلاً من بناء جدار من الأعواد^(٢). توحى سعفات النخيل هذه بعدم النظام، وبالتأكيد فهي لا تبدو نظيفة، مثل غيرها، إلا أنها مقاومة لعوامل الطقس وتؤمن خصوصية كاملة بينما ينصرف مواطنو القحمة لحاجة الحمام الداخلي. تلحق

(١) أصبحت البلاد الممتدة من شمال بلدة الشقيق إلى قرية الصوالحة جنوب بلدة حلي تتبع إدارياً إلى منطقة عسير بعد أن كانت موزعة على إمارتي مكة المكرمة وجازان. (ابن جريس).

(٢) لمزيد من التوضيحات عن بناء العش في مناطق تهامة الممتدة من البرك والقحمة شمالاً إلى أقصى بلاد جازان جنوباً، انظر: غيثان بن جريس. عسير (١١٠٠ - ١٤٠٠هـ)، ص ٤٩ - ٥٢. (ابن جريس).

بالعشة التي أعدت لي، مثلاً عشة صغيرة من المادة نفسها، مجهزة بمرحاض من البازلت المثبت بالجبس والأسمنت، أو أحجار الحمم البركانية موضوعة حول الجزء الأعلى من الحفرة التي تصل إلى المياه المالحة تحت السطحية، والتي تقوم بإتلاف كل شيء يصلها وتقضي بذلك على كل ما تنفر منه الأنف. توجد في القحمة مبان حجرية مبنية بصفة عامة من أحجار الحمم البركانية ومطلية بطبقة من الجبس، غير أن الأمير ورفاقه الضباط يفضلون الحياة في العشش، التي يعدونها أكثر برودة وصحية، لعلهم مصيبيون في هذا في مثل هذا الطقس الحار الرطب في الجزء الأوسط من ساحل البحر الأحمر. كان مقر الجمارك بناء من الحجارة يتكون من طابقين كما كانت كذلك أماكن الأعمال الخاصة بالتجار، وقد فضل بعض هؤلاء والنبلاء المحليون البناء الحجري سكناً لهم.

تمكنت من التقاط منظر ممتاز من سطح منزل الجمارك للمدينة وما جاورها، وما يلفت نظر المرء لأول وهلة هو أن القرية ليست قائمة على مجرى وادٍ، ولكنها تنتشر فوق حافة مسطح سبخي يتجه ناحية البحر، يملأ الفراغ من وادي حمضة، وقد ورد ذكره، ووادي نجل إلى الشمال، الذي هو الحدود الفعلية للمحافظة. يمتد لسان من البحر داخل هذا المسطح بين فجوة ضيقة من قرنين من السبخة، لتكوين الميناء، الذي ينقسم إلى قسم شمالي وقسم جنوبي، كل منهما يؤمن مرسى محمياً للمراكب الشراعية التي تزور المكان. يرتفع مخروط وسم فيما يلي القسم الشمالي، وتقريباً ناحية الغرب من منزل الجمارك، على بعد الميل الواحد على لسان من الأرض يبرز إلى داخل البحر ويحمي ذلك الجانب من المرسى.

تنحني الحافة الداخلية لحزام النخيل من موقع يقع قريباً من القرن الجنوبي للميناء، على وتر لطيف يمر على مسافة ثلاثمائة ياردة من منزل الجمارك على الجانب الشرقي، ويتهي على بعد نصف الميل إلى الشمال منه.

يبلغ متوسط عمق هذا الحزام حوالي مئة ياردة، بينما في صدر الساحل وبين النخيل والميناء تنتشر مناطق السكن الأربع، وهي حشوة الجربا إلى الجنوب منها، وإلى شرق منزل الجمارك، عنقة إلى جنوب وغرب حشوة الجربا وتكون المركز الإداري والتجاري بما في ذلك منزل الجمارك ودعامة الجسر ومقر سكن الأمير، وأخيراً العرق وهي مجموعة صغيرة من العشش بها مسجد بارز على لسان الأرض الذي يفصل بين قسمي الميناء، التي يقع مدخلها على مسافة ميل ونصف الميل إلى الجنوب الغربي من منزل الجمارك.

تقع قرية المقشور التي تفصل مزارع نخيلها عن تلك التابعة للقحمة بفجوة مقدارها ثلاثمائة ياردة، ناحية الجنوب من موقعنا على جانب البحر لحزامها النخيلي على بعد ميل واحد.

تحتل قرية صيد صغيرة تسمى حرفاً لساناً من الشبكة يمتد داخل القسم الشمالي للميناء إلى مسافة ثلاثة أرباع الميل ناحية الشمال الغربي من موقعنا، بينما تقع قرية الحشافة ومزارع نخيلها ناحية الشمال على امتداد سلسلة قدم على الجانب الأيمن لوادي نجل. يمكن ملاحظة عدد من المخاريط البركانية التي لم تشاهد من قبل -ليس أي منها مهماً- بينما إلى وراء حقل الحمم البركانية، تمكنت من رؤية ثلاث قمم للسلسلة الجبلية الرئيسة -لم أجد لها أسماء-.

هكذا كان ذلك المنظر الذي رأيته من سطوح منزل الجمارك. ينتمي أهل القحمة إلى قبيلة تسمى المنجحة، غير أنني لم أستطع الحصول على أي معلومات

حول علاقاتهم القبلية، والتي يبدو أنه قد طواها النسيان منذ زمن بعيد من أذهان القرويين الذين انصرفوا لزراعة نخيلهم وصيدهم وتجارتهم الساحلية الثانوية. لم ينسوا إلى زمن قريب أن مناشطهم التجارية كانت أكثر ازدهاراً مما هي عليه الآن. يقال: إن الطريق من القحمة إلى محایل في التلال، وهو أفضل طريق إلى أبها، هو أيضاً الأقصر والأسهل مقارنة بذلك من القنفذة^(١)، ويتعامل الناس هنا بنسبة تجارية عالية مع أبها والمنطقة التابعة لها^(٢).

لقد تحسنت ظروفهم كثيراً حينما وسعت الحكومة السعودية مجالات فوائد التطور إلى محافظة القنفذة مع كل الممتلكات للتعريف المرتفعة والانضباط القوي. أصبحت القنفذة قبلة الأنظار للتجارة مع أبها، غير أن الحكومة قررت، وقبل ستة أشهر من زيارتي، أن تمد منافع الحضارة إلى هذه المنطقة أيضاً. تم تطبيق نظام تعريف جدة وأنشئ مكتب للجمارك ليتحقق من تسديد كل الرسوم. ولا تستطيع القحمة أن تنافس القنفذة الثرية، وماتت تجارتها لتتكيد الناس^(٣).



- (١) للمزيد عن الطرق التي تربط بلاد الساحل بالمرتفعات الجبلية وبخاصة في منطقة عسير خلال القرن الهجري الماضي. السير كيناهان كورنواليس. Carnwalls. Asir Befere World War I pp. 107 - 155. (ابن جريس).
- (٢) كانت البلاد الممتدة من القحمة جنوباً حتى بلاد القنفذة شمالاً هي المنافذ البحرية الرئيسة لبلاد السروات الممتدة من الباحة شمالاً حتى بلاد قحطان ونجران جنوباً. (ابن جريس).
- (٣) من يدرس تاريخ وحضارة القنفذة خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين (التاسع عشر والعشرين الميلاديين)، فإنه يجدها الميناء الرئيس لبلاد السروات. بل هناك مئات الوثائق الموجودة في تركيا، وفي دارة الملك عبدالعزيز، وفي مكتبة الملك فهد الوطنية، وفي وزارة المالية السعودية، وجميعها تشير إلى الصلات الحضارية (الاقتصادية، والاجتماعية، والفكرية) التي كانت سائدة بين مواني البحر الأحمر مثل: القنفذة، والبرك، والقحمة وبين حواضر بلاد السراة مثل: أبها والنماص، والباحة وغيرها. (ابن جريس).

الفصل الثالث والثلاثون

الطريق الساحلي (محافظة القنفذة)^(١)

كان الوقت متأخراً في الصباح عندما قمنا بزيارة مقر سكن الأمير لتناول طعام الإفطار. غير أن ارتياحي لهذا قد تكافأ مع اكتشافي بأننا لن نكون مستعدين لمواصلة رحلتنا. دار جدل كبير حول مساعي كل من يهمهم الأمر للحصول على الحمير، والجمال والمرشدين.

لعل مضيفينا يرغبون أن نتمكث عندهم حتى نتناول وجبة الغداء، غير أنني قاومت كل محاولة تؤدي إلى تأخيرنا، وعند الساعة الحادية عشرة والربع، وبعد أن مثل أمامي المرشدان اللذان أوصى عليهما الأمير نفسه بأنهما كاملا العلم بالمواقع، وبعض الحمير التي يفطر منظرها القلب إلى درجة بعيدة باعتبار طول الرحلة التي تنتظرها، ركبت على أحد الحمير، وتحركنا وأنا أرفع يدي بالوداع والشكر الجزيل للأمير وحاشيته المجتمعمة. سيتبعني الموكب حينما يجهز، كما أن عملي في الطريق سيعطلني بما فيه الكفاية ليجعلهم يلحقون بي ويسبقونني.

اكتشفت سريعاً أن مرشديّ الجديدين العالمين ببواطن الأمور يجهلان كل شيء عن البلاد من حولنا. لقد عرفوا الطريق، هذه حقيقة، غير أن الحمير قد عرفت ذلك أيضاً، ويمكنها أن تقودنا عليه بمجرد أن تلتقط مفهوم السير إلى الأمام بدلاً

(١) لمزيد من الإيضاح عن الطريق الساحلي بين مكة المكرمة ونهامة عسير، انظر: عاتق البلادي، بين مكة واليمن، ص ٥ - ٢٣٥. (ابن جريس).

من توقف في مراعي بلادها. لقد نثرت أعواد الدخن فوق السبخة المبللة فيما يلي حدود المنطقة لكي يصبح الطريق أقل خطورة للحركة. عبرنا آخر عشة تابعة للقمحة خلال خمس دقائق داخل بهو طوله (٥٠) ياردة من البحر وحزام النخيل، ثم اتجهنا سريعاً ناحية الشمال الغربي من حول طرف الميناء، نسير في اتجاه قمة قرين فيما يلي وادي نجل. عبرنا ذراعين ضحلين ممتدين من البحر إلى الأرض على سهل السبخة وكنا نمر على مسافة (٣٠٠) ياردة من قرية الحرف الصغيرة، وقد امتدا من قاعدة وسم مسافة إلى الداخل في اتجاه مخروطي أسلة ومحرق. كانت وسم تبعد على مسافة ميل ونصف الميل إلى يسارنا مع حزام من المانجروف على الجانب القريب على امتداد الطرف الغربي للميناء. تقع مزارع نخيل الحشافة على بعد ميل واحد إلى يميننا فوق وادي نجل الذي يتوزع مجراه فوق سهل السبخة ولم نعبه بالفعل.

سرنا على حافة حقل الحمم البركانية بعد أن عبرنا السبخة، ويقع البحر وغابات المانجروف على مسافة ميل واحد إلى يسارنا عبر الساحل السبخي. يمتد وادي الشقيق على بعد مسافة قليلة عبر ممر في وادٍ سبخي ضحل واسع حيث أصبحت غابات المانجروف غابات حقيقية تلاحقت مع الطريق، بينما تباعدت الحمم البركانية. انتشرت في وادي الشقيق أشجار الدوم في كلا مجريه وكنا نستطع رؤية وادي ذهبان قليلاً وراء المجرى الثاني وقراه الصغيرة المبعثرة وأراضيه الغنية بنخيل التمور. كانت بعض مزارع النخيل ممتازة بدرجة باهرة كما لاحظتها حينما وصلنا إلى الوادي وتوقفنا لإجراء مسح عام للمنظر بجوار قرية الحباك الصغيرة عند النهاية مع اتجاه الوادي لمزارع النخيل والمحاصيل. تقع قرية طرق الأكبر على مسافة ميل واحد تجاه أعلى الوادي بين مزارع نخيل كثيفة، بينما يمكن

اعتبار مجموعة صغيرة من عيش مبنية من كتل الحمم البركانية عند طرف الحرة على الجانب الأيمن للوادي من ضمن مكونات الواحة . تسمى هذه القرية قرية الشيخ ، ولا يبدو أنها مأهولة ، ذلك لأنها تستخدم فقط كموقع لنوم المستأجرين أثناء عمليات الزراعة والحصاد الخاصة بالدخن ، والذي كانت مساحة زراعته واسعة في كل من المساحات المتناثرة حول الوادي ، وخاصة فوق الأراضي المرتفعة على جانبيه حيث تكون الزراعة محمية بالحواجز العالية ضد كل من السيول ومد البحر .

لقد أشرت إلى امتياز تومر ذهبان محلياً على امتداد هذا الشريط من الساحل . لا بد أن يكون المحصول السنوي كبيراً نسبياً كما كانت المساحة المخصصة لزراعة الدخن مثيرة للدهشة ، بل المدهش فوق كل هذا أن كل الوادي الذي يبدو وكأنه منخفض ضحل بدلاً عن وادٍ وذلك لأنني لم أجد ما يدل على وجود مجرى فعلي . كان الوادي تحت صورة من صور الزراعة . كما كان يحتوي على آبار عديدة ، غير أن أشجار النخيل تحتاج للري في حداثتها . حتى إذا ثبتت أشجار النخيل فإن عروقها تضرب إلى الأعماق إلى النطاق المائي الذي يكون عند عمق (١٠) أو (١٢) قدماً تحت السطح في كل هذه المنطقة المزروعة . ربما كان هذا هو سر ازدهار زراعة ذهبان ، ذلك لأن السيول نادرة هنا .

يمثل آل ذهبان تجمعات خارجية من آل بني هلال التابعين للبرك ، وقد رأينا ربوتهم وقلعتهم ناحية الشمال الغربي من موقعنا قبل أن نخرج من آخر حقول الدخن فيما يلي الوادي . تتمتع كل من البرك وذهبان - بالرغم من أنهما متضمنتين داخل محافظة القنفذة فيما يخص الأغراض الأميرية الخاصة بخزانة الدولة وغيرها - بدرجة من الاستقلالية المحلية كجيب قبلي تحت سيطرة رؤساء بني هلال

في البرك^(١). توجد غابة طرفاء قصيرة النمو وغطاء نباتي آخر في المسافات بين مزارع النخيل، بينما كانت الخلفية العامة للقريبة من حقول حمم بركانية كثبية، تنحدر إلى الخلف إلى مخاريط عديدة وفوهات براكين وتشاهد من ورائها من القحمة الجبال العالية. قيل لي إن أحد هذه الجبال يسمى زرقان. لم أشاهد حتى الآن الطيور النموذجية لجنوب تهامة وكنت أعجب لأننا لم نكن قد خرجنا تماماً من نطاق تواجدها. لقد كانت الإجابة عن هذا السؤال جزئية، إذ ظهر طائر الشقراق الحبشي داخل حقول الدخن، لا بد أن يكون هنالك الكثير منه غير أنني لم أر غيره.

استمر سفرنا، باستثناء التوقفات، حوالي ثلاث ساعات ونصف الساعة، عندما قررنا التوقف لأداء صلاة العصر، والقيام بمسح عام عند الساعة (٤, ٢٠) لسهل ناعم من دبال وأصداف إلى مسافة خمسمئة ياردة من ساحل البحر. تقع جزيرة الجبل فيما يلي هذا، وتنفصل عن الأرض الرئيسة بالمجرى الرئيس مسافة ثلاثمئة ياردة، وهي مسطحة النهايتين، وترتفع في الوسط إلى مخروط لطيف يبدو أنه بركاني وكانت بعض نباتات خزامى البحر تتخلل الساحل بينما كانت صفحة الطريق على اليمين عبارة عن حاجز صلب من الحمم البركانية مع العديد من المخاريط التي ترتفع إلى مجال الرؤيا ونحن نسير شمالاً.

دخلنا إلى أرض مسطحة تكسوها جلاميد ضخمة من الكتل البركانية عدا ممر ضيق تم كشفه لحركة السير، وذلك بعد أن طال انتظارنا لقافلة العفش التي لم

(١) لمزيد من الإيضاح عن بلدة البرك وعن رؤوساء بني هلال في هذه المنطقة، انظر: عبدالرحمن بن عبده، من تاريخ برك الغمام، ص ٤٢ وما بعدها. (ابن جريس).

تظهر في الأفق، ويسمح الطريق لحركة السيارات أيضاً. عبرنا فيما يلي هذا إلى فم وادي موضيية^(١) الذي يوجد على جانبه البعيد لسان بحري عبرناه ويقع فوق طريق مرتفع من صخور الحمم البركانية. واجهنا على الفور وادي الداهن وفمه الواسع الذي يندمج مع مجرى موضيية ويغطيه أيضاً ذراع من البحر ودرنا حوله بجوار مجموعة صغيرة من أشجار النخيل. لا بد وأن يكون عرض هذا الوادي المزدوج الفم حوالي ميل واحد وكان سرّاً عليّ أن أدرك أن السيارات قد عبرت هذه المواقع. سارت رحلتنا الآن فوق شريط من السبخة على امتداد حافة رف منخفض من حمم بركانية متشابكة وشعاب مرجانية على يميننا. كانت السبخة لزجة جداً في بعض أجزائها، غير أننا وصلنا إلى فم وادي اللصيب دون حوادث.

لقد سرنا مدة ساعة أخرى وكادت الشمس أن تغرب، ولم نر أثراً لرفاقنا الذين نتوقع لحاقهم بنا. لذا فقد قررت أن نتوقف لقضاء الليلة فوق كتل بجوار مجموعة من أشجار النخيل تسمى «نخل زايد» على الجانب الأيسر للوادي، الذي امتلأ جانبه الأسفل بلسان من البحر. أزعجت حركتنا طائر بجع منعزلاً وهو يصطاد في موقع صيده المسائي، بينما طار من أشجار النخيل زوج من طيور الغداف كانت قد قررت مثلنا أن تقضي الليلة هنا قبل أن نقدم نحن، وقد رافق طيرانها احتجاج بصوت أجش، لتهبط فوق غابة مانجروف على جزيرة أخرى مسطحة وطويلة على بعد ميل ونصف الميل من الساحل. وصل قطار غفشنا أخيراً بعد نصف ساعة من استقرارنا في هذا الموقع، وتناولنا جميعاً وجبة العشاء المكونة من اللحم المقلي مع شرائح أناناس كحلوى. كانت الليلة ذات سحب وكانت

(١) فم وادي موضيية: هو مصب وادي الداهن. (ابن جريس).

مطرة وقد لاحظت للمرة الثانية الغياب التام للحشرات برغم سطوع ضوء مصباحي. لم يكن هنالك ندى خلال الليل غير أن الجو كان رطباً لقرب المكان من البحر. كان المد ممتداً إلى الوادي في المساء، غير أنني لاحظته ينحسر بسرعة، وعند حلول الصباح كان اللسان المائي مكشوفاً، إلا أن الموقع كان مبتلاً يصعب اختراقه إلاً بتحول خفيف مع الوادي لاختيار مجراه الحصبائي فيما يلي علامة أقصر موقع له.

أمضينا فقط ساعتين في معسكر البرك وكانت المسيرة إلى هنا فوق طريق يجري على ساحل ضيق وكان البحر يبعد عنا بنفس بعد الحمم البركانية منا. كانت الشعاب المرجانية مختلطة مع الحمم البركانية أو كانت الحمم البركانية تعلوها، وقد عبرنا على فترات أفواه عدد من المساليل الثانوية التي تنحدر من حقل الحمم البركانية.

سرت على قدمي إلى ناحية أول هذه المساليل، ويسمى وادي المطلع وقليلًا إلى ما يليه. كان المسيل التالي يسمى وادي مرة والذي اخترقت طريقنا فيه مزرعة نخيل صغيرة تابعة لقرية مكمان الصغيرة الشبيهة أعشاشها بخلايا النحل، وتقف على الجانب الأيمن بجوار البحر، الذي كان يبعد حوالي خمسمئة ياردة على يسارنا. توجد هنا حقول قليلة لدخن نام حديثاً، والتي فيما يليها يخترق الطريق حافة حقل للحمم البركانية وقد شُقَّ فوقه طريق سيارات يقع بيننا وبين البحر. أوصلنا هذا الطريق إلى مسيل وادي منيخر الضيق الذي كان فمه يبعد عنا مسافة مئتي ياردة إلى يسارنا، وقد سده حزام غابة مانجروف. وصلت الحمم البركانية فيما يلي هذا إلى حافة البحر وبالفعل أصبحت الشعاب المرجانية من فوق ومن تحت الجلاميد البركانية وفي فوضى شديدة، بينما قبل أن نصل إلى البرك كانت

الحمم البركانية، ممتدة عبر طريقنا في لسان طويل ضيق يصل إلى البحر. مررنا بالقرب من هذا الموقع على المقبرة المحلية فوق مساحة أرض رملية على حافة الحمم البركانية، ودخلنا بعد دقيقتين قرية البرك^(١).

يتكون جزؤها الرئيس من حوالي مئة من العشش التي تشبه خلايا النحل، إلى جانب البناء المركزي للحكومة بلونه الأبيض، ويقع في وسطها عدد من المنازل المبنية البيضاء من حولها. يقف هذا القسم من القرية فوق سلسلة حمم بركانية منخفضة تطل على البحر، وعلى حافتها حقول قليلة تم إعدادها للزراعة ولم تزرع حديثاً. يقع قسم آخر، وهو قرية صغيرة تشتمل على بعض المباني المطلة بالجبس عند سفح ربوة على يميننا. كان هنالك -إلى جانب هذين القسمين للقرية- القلعة التي كنا قد رأيناها من زهبان، تقف بارزة فوق قمة ربوة منخفضة. يقع خليج خور البرك على يسار القرية، وهو مرسى طويل محمي أكثر منه ميناء، وبه سبخة عريضة تنحني على الجانب البعيد ناحية المدخل العريض.

يدخل مجرى وادي حلي إلى هذا الميناء، وقد وردت الإشارة إليه بأنه يشترك في مستجمع الماء مع وادي ريم، التابع للشقيق، وقد اكتسب اسمه هذا بسبب احتوائه على كمية وافرة من المياه العذبة قريباً من السطح^(٢). تحف أشجار النخيل

(١) لمزيد من التفاصيل عن بلاد البرك (جغرافيتها وتاريخها)، انظر: عبدالرحمن عبده. من تاريخ برك

الغماد، ص ١٤ وما بعدها. (ابن جريس).

(٢) ولمزيد من التفاصيل عن وادي حلي تاريخياً وآثارياً وجغرافياً، انظر: أحمد عمر الزيلعي «المواقع

الإسلامية المندثرة في وادي حلي (ق ٣ - ٩٩ هـ / ٩ - ١٥ م)» حوليات كلية الآداب جامعة الكويت.

الرسالة (٣٩) (١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م) ص ١١ وما بعدها، عبدالرحمن الشريف. المرجع السابق، ح ٢،

ص ٢٠٨. (ابن جريس).

هذا المجرى مسافة ستمائة أو سبعمائة ياردة من الميناء، قليلاً إلى الداخل من السور القديم، الذي يعود تاريخه إلى (٢٠٠) أو (٣٠٠) سنة^(١)، والذي كان يحمي هذا الموقع المحلي المهم ضد الأعداء. يجري هذا مسافة ألف ياردة ناحية الشرق من الساحل على امتداد الجانب الأيسر لوادي حلي ثم يتجه جنوباً، مع تتابع أبراج على مسافات على امتداد سلسلة منخفضة تعبر من خلف القرية إلى حيث القلعة القديمة ثم إلى أسفل إلى البحر عند الموقع الذي كنا قد عبرناه عند عنق اللسان. وبذلك يؤمن حماية تامة للقرية من جانب اليابسة. يمر الطريق إلى القنفذة خلال هذا الجدار عن طريق ما لا بد أن يكون بوابة عظيمة على حافة الوادي، غير أن القليل قد تبقى منها عدا الركام الذي بنيت منه. كانت البرك تزار من حين لآخر بالبواخر الصغيرة التي تتحرك على امتداد الساحل، غير أن مرساها لا يصلح لجعلها ميناءً منتظماً يتجه إليه، كما كانت تجارتها غير مهمة مقارنة مع القحمة قبل تدميرها بالتعريف الجديدة^(٢).

لم يكن مرعي^(٣) -شيخ قبيلة بني هلال- موجوداً في مسكنه عندما مررنا بقرية البرك، ذلك لأنه قد قام بإرسال زوجاته الثلاث اللاتي كنَّ يعشن معه في القرية إلى أداء الحج ضمن مجموعة محلية من (٣٢) شخصاً وعدد مماثل من

(١) بعض الروايات تذكر أن بناء السور كان خلال عام (٦٢٩هـ / ١٢٣١م)، ثم رُم عام (٧٠٤هـ / ١٣٠٤م). (ابن جريس).

(٢) انظر توضيحات أكثر عن بعض الموانئ الرئيسية على ساحل البحر الأحمر. محمد أحمد الرويثي. التطور المكاني والتاريخي لموانئ شبة الجزيرة العربية دراسة تاريخية جغرافية تحليلية. (القاهرة: مطابع الطوبجي التجارية ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م)، ص ١٠١ وما بعدها. (ابن جريس).

(٣) هو مرعي بن عبده بن إبراهيم آل عبده الهلالي، كان أميراً للبرك من عام (١٣٥٤ - ١٣٦٣هـ) (مقابلة مع عبدالرحمن عبدالرحيم بن علي بن عبده في بلدة البرك خلال شهر المحرم عام ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م). (ابن جريس).

الجمال. ذهب إلى الجبال ليعزي نفسه بغيابهن وذلك بقضاء الفترة مع زوجته الرابعة، وهي شابة تفضل الحياة في الصحراء مع قبيلتها على بهرجة جمال الحضارة. أشرف على الترحيب بنا وكيله^(١)، وهو مثال جيد للشباب الغامض، الذي كان يفتقر لكل مقدره على الحديث ويبدو مندهشاً ناحية كل شخص يقوم بأداء عمل يتطلب جهداً جسدياً.

كنا أحسن حالاً مع ضابط الجمارك المحلي، الشيخ محمد من مواطني الوجه الذي ظل يعمل في الحكومة ويبدو أنه معجب به، غير أنه وبعد قضاء خمسة أشهر في البرك بدأ عليه الملل لعدم مقدرته أداء أي عمل في موقع بهذه الكآبة. يقاسمه في وظيفته العاطلة هذه أدميرال الميناء (أمير البحر) الذي يبدو أن لديه القليل من العمل، ولكل منهما مجموعة موظفين من الكتبة والمساعدين ليعاونوهم على أداء أعمالهم. كانت زيارتنا لهذه القرية الرسمية الصغيرة هدية لهم من السماء، وقد كان الترحيب بنا خلال الساعة التي مكثناها بتقديم البلح المحلي والأناناس المستورد والشاي والقهوة.

وحيثما حان وقت سفرنا، وذلك بعد أن تم استبدال المرشدين القادمين من الفحمة بثلاثة مرشدين من بني هلال تم إحضارهم من القرية، فإن كل القرية رافقتني وأنا أسير ناحية البوابة القديمة ويبدو أنهم كانوا كارهين رحيلي. رافقتنا بعد أن تحررنا من الحشد شاة وسلّة بيض وبعض الخبز الذي صنع من الدخن، كانت هذه هي هدية الوداع من ضابط البرك.

(١) وكيل الأمير آنذاك هو: شامحي بن محمد عبده الهلالي. (ابن جريس).

على الرغم من أن كلاً من البرك وذهبان قد ضمتا الآن إلى محافظة القنفذة في الحجاز، إلا أنهما كانتا جزءاً من المخلاف السليمانى في الماضي، أيام حكم الإدريسي، الذي كان يضع ضابط الجمارك في البرك ليقوم بجمع الرسوم له. لا بد أن تكون الحدود الجنوبية للحجاز في تلك الأيام، جارية على امتداد وادي عمق، وهو حدود بني هلال، إلى مسافة (٢٠) أو (٢٥) ميلاً إلى الشمال. لقد استغرق وصولنا إلى ذلك الموقع حوالي ست ساعات، وقد نصبنا معسكرنا هناك بعد نصف ساعة من غروب الشمس لقضاء الليلة في الوادي. سار المرشدون الجدد كل الطريق على أقدامهم دون تعب وهم يمشون البرتقال ويبصقون في الطريق. كانت مسيرة كثيفة وكذلك كان الطريق نفسه إذ إنه يقع على شريط ضيق للساحل بين الحمم البركانية المستديمة أبداً وبين البحر، نادراً ما يصل اتساع الشريط إلى الميل الواحد، وكثيراً ما يكون أقل من ذلك.

كان التغيير الوحيد لكسر رتابة المنظر هو ذبول المسائل التي عبرت طريقنا والمخاريط غير الواضحة المعالم التي تناثرت فوق ساحة الحمم البركانية الواسعة، وبعض القمم العالية أو السلاسل على مسافة إلى الورا. كان وادي الحشافة^(١)، الذي ينحدر من سلسلة العرك، خلال رف من الشعاب المرجانية، هو أول هذه المسائل، إلى جانب وادي الصحين - وتنتشر فوقه صخور الحمم البركانية -، ووادي العرك ووادي مجعرة ويأتیان متتابعين بعد وادي الصحين، وكلها تنحدر من سلسلة العرك التي يسيطر عليها مخروطان على كل طرف منها مخروط واحد. لاحظنا وعلى فترات القليل من طيور الفلامنكو وهي تصطاد داخل مجرى ضيق

(١) هذا الوادي يطلق عليه أيضاً اسم (وادي أبو السمر). (ابن جريس).

يحفه المانجروف يتجه شمالاً لمسافة وموازياً لطريقنا، بينما وجدنا في أحد المواقع سرباً ضخماً من طيور النورس والخرشنة يطوف ويغطس داخل المجرى. أخبرني مرشديّ الهالليون أن الجمال البائسة في هذه المقاطعة لا تأنف من أكل أوراق المانجروف طعاماً لها إذا لم يتوافر لها ما تتغذى به على الأرض.

كان لون الماء في هذا المجرى، أو الخور كما يطلقون على هذه الألسنة، في زرقة السماء يتحرك ناحية الساحل بأمواج لطيفة. يجري داخل نهايتها الشمالية مسيل وادي العين الذي يعبر طريقنا من الناحية البعيدة لسلسلة العرك بينما يخرج وادي دبسا مباشرة فيما يليه إلى شريط سبخة واسع ليضيع داخل حزام المانجروف السميك. وعلى الرغم من أن الطريق يحتضن في هذا الموقع حافة الحمم البركانية مسافة إلى الخلف من البحر، فإن السير كان صعباً فوق السبخة المبتلة اللزجة التي أدركنا فيها جمال العفش وهي تلتقط خطواتها في صبر وعناء عبر المستنقع. أسرعنا ناحية مخروط منخفض من الحمم البركانية هو جبل الصاقعة - بارز فوق الطريق - لكي نقوم بمسح البلاد المجاورة من قمته. تقع بئر الغضفاء عند قدمه وماؤها مالح غير أنه يمكن شربه، وحوله مجموعة من أشجار النخيل والتي فيما يليها توجد ست عيش مبنية من سعف النخل، وتكوّن قرية الحشافة الصغيرة لصيد الأسماك وتقوم فوق ربوة مزدانة بغابة المانجروف. توجد قرية كبيرة تقع على بعد ميل واحد أو أقل ناحية الشمال الشرقي، تحتوي على حوالي خمسين عشة ومساحة لا بأس بها من أشجار النخيل. هذه هي قرية قامة وهي مشهورة بأحلى مياه في المنطقة كلها. توجد مساحات منعزلة للنخيل مبعثرة في هذه المنطقة. كان المنظر من فوق قمة جبل الصاقعة واسعاً ولكنه لا يثير إحساساً.

يتكون الزوج التالي من المسائل من كل من وادبي شربين ووادي برمة^(١)، وهما متقاربان ويخرجان من خليجين عميقين من الحمم البركانية، وقد رأيناها بعد أن عبرنا طريق الشعاب المرجانية المطعم بالحمم البركانية. لحقنا في هذا الموقع بمجموعة من الحجاج التكروينيين الأفارقة وهم ثلاثة رجال وامرأة، يضربون الطريق على الأقدام نحو مكة.

تركنا لهم بعض ما لدينا من خبز وواصلنا سيرنا فوق ساحل ضيق حتى وصلنا إلى لسان عريض من الحمم البركانية يصل إلى حافة الماء. طريق ضيق فوق هذا اللسان، غير أن النهاية القريبة منا لهذا الممر كانت مغلقة في أزمان سابقة بجدار لا تزال بقاياه يمكن ملاحظتها خلال مسافة على الجانبين. وقف كوم من الحجارة يسمى المحاجي^(٢) وهو يؤرخ بلا شك لمعركة قبلية طواها النسيان حول ملكية هذا الطريق السريع الاستراتيجي^(٣). كانت هنالك مجموعة من طيور البجع تستمتع بالهواء الطلق باسترخاء فوق بعض الصخور إلى البعيد على يسارنا وقد بدت جادة ومحترمة. وصلنا إلى عمود مطلي بالجبس على مسافة قليلة وراء الحمم البركانية والذي قال عنه مرشدي إنه نصب لتعليم موقع بئر أزعقة، وهي بئر قديمة يوجد ماؤها عند عمق ثلاث قامات وتقع على بعد خمسمئة ياردة داخل حقل الحمم البركانية، وقد تم حفرها لمنفعة عابري السبيل منذ سنتين.

(١) وادي برمة: سماه فيليبي وادي ضربة وهذا غير صحيح. (ابن جريس).

(٢) المحاجي: هو الاسم الصحيح لهذا الكوم، مع أن فيليبي أطلق عليه اسم (القحم)، وهو اسم غير سليم. (ابن جريس).

(٣) هذه الطريق التي سلكها فيليبي في أوائل النصف الثاني من القرن الهجري الماضي، كانت إحدى الطرق الرئيسة التي كان يسلكها التجار والحجاج ما بين اليمن والحجاز عبر العصور الإسلامية المختلفة. (ابن جريس).

وصلنا بعد وقت وجيز إلى وادي جيّة الذي ينحدر من حقل الحمم البركانية عبر حزام من حشائش، ويندفع من الجانب الآخر لطريقنا داخل حافة مانجروف ويطوق لساناً بحرياً. توجد عشة واحدة وسط مجموعة من أشجار النخيل على الجانب البعيد، ربما كانت محطة مؤقتة لبائع متجول يشتري ويبيع ضروريات الحياة للحجاج أو غيرهم من عابري السبيل. كانت العشة فارغة ولا أثر لأصحابها^(١). غابت الشمس خلف شريط من السحب إلّا أننا رحبنا بأولى لمحات نخيل وادي عمق. واصلنا بنشاط سيرنا فوق أرض ذات كتل من أعشاب وحشائش فوق رمال، وهي بلا شك بداية لدلتا الوادي العريضة، ثم عبرنا بطن مجرى جاف، ربما مجرى مساعد للوادي. لنصل إلى المجرى الرئيس الذي تحفه مزارع النخيل على الجانبين. وجدنا مجموعة كبيرة من الحجاج التكارنة وقد استقروا في معسكر لهم حول نار لطيفة عند وصولنا، ربما كانت المجموعة القليلة العدد التي مررنا بها، هي المتأخرة عن هذا الجمع الرئيس.

تجولنا في الوادي نبحث عن موقع ملائم لنعسكر فيه لفضاء الليلة وتمكنا من العثور على مساحة رملية عند الطرف البعيد من النخيل على الجانب الأيمن. يوجد إلى جانب النخيل الكثير من أشجار الدوم ومجموعات من البالميتو المنخفض الارتفاع (حش). كان النطاق المائي لهذا الوادي قريباً جداً من السطح الذي انتشر فيه عدد من البرك المائية إلّا أن ماءها كان مالحاً. أفادني مرشدي بأن الماء العذب يوجد على مسافة بعد مزارع النخيل، وقد أفادتنا معلوماتهم هذه، بينما اقتنع التكرونيون أسفل من موقعنا هذا بما لديهم. أزعج وصولنا إلى هذا الموقع

(١) كانت هذه العشة لمن يقوم بجمع الملح في فصل الصيف، ومرور فيليبي من هذا المكان كان خلال الشتاء، ولهذا فلم يكن بها أحد في أثناء مروره بها. (ابن جريس).

مجموعة من طيور الغداف . كانت تعشش فوق أشجار النخيل بينما وجدت طيور القطة متقاربة الشرائط، التي وصلت إلى الماء بعد الشفق كما هي عاداتها، إن مأواها المفضل قد وقع في أيدي البشر المتطفلين.

كان استقرارنا في هذا المكان سريعاً لنتناول وجبة من البيض والخبز والشاي، في انتظار قافلة العفش، التي وصلت بعد نصف ساعة. أخبرني مرشدي أن طائرة الاستطلاع التابعة لشركة التعدين السعودية العربية قد حلقت فوق السماء إلى حدود البرك قبل فترة سبقت زيارتي، ولكنها لم تهبط.

تحركت جمال العفش صباح اليوم التالي في وقت مبكر عند الساعة السابعة صباحاً وتخلفت ومعني المرشدون مدة ساعة أخرى لدراسة المنطقة. ينحدر وادي عمق عبر الحرة - حقل حمم بركانية - في اتجاه غربي بصفة عامة من كتلة بازلتية عالية أو كتلة شست تسمى حمران على مسافة خمسة عشر ميلاً إلى داخل اليابسة. كان منفذها من عند الحمم البركانية يبعد بحوالي ثلاثة أميال عن البحر، غير أن الحمم البركانية تكوّن في هذا الموقع خليجاً تقف عند حافته الشمالية ربوتان هما جلا وجليلة، وتقومان بتحويل المجرى الرئيس للوادي المنتشر الآن في اتجاه جنوب شرق ماراً بمعسكرنا إلى البحر. تكوّن هاتان الربوتان مفصلاً تتحرك فوقه الحمم البركانية إلى البعيد ناحية الشمال الشرقي وتتباعد عن طريقنا تدريجياً وبلطف ناحية أرض منخفضة تسمى حينئذ على بعد عشرة أميال أو أكثر إلى الشرق من حلي، وهي القرية التالية ذات الحجم المعتبر التي تقع على طريقنا وعلى مسافة (١٢) ميلاً إلى الشمال أو الشمال الغربي من موقعنا. لم يكن هنالك ندى أثناء الليل وكانت درجة، الحرارة الدنيا (٦٤) درجة إلا أنه يوجد إحساس بالرطوبة في

الهواء. كانت السماء لا تزال ملبدة بالسحب وكانت الرياح ساكنة ومختنقة على الرغم من أن الجو بدا بارداً.

استغرق خروجنا من الدلتا مدة عشر دقائق مررنا بعدها بمجرى ثالث للوادي، ومررنا فوق حقول ذات متاريس صعبة تابعة لبني هلال، الذين قاموا بزراعة هذه الأراضي بطريقة لا هدف لها. كما لم تكن لهم قرى في الوادي. تبادلنا مساحات من عشب الحلفاء مع مساحات من هذه المزارع كما كانت هنالك مجموعات قليلة لأشجار الدوم.

دخلنا فيما يلي حافة الدلتا إلى إقليم قبيلة الصوالحة^(١)، الذي يمتد حتى وادي شفقة على بعد (٥) أو (٦) أميال فقط إلى الشمال، والذي تقع فيما يلي أراضي حلي. كان شريط المانجروف، بين الحمم البركانية المتراجعة وساحل البحر، والتي كان الطريق يتبعها عن قرب إلى حلي، يتداخل على أرض عامة من أودية رملية تتبادل الموقع مع شرائط من سبخات حيث يدخل عدد من خطوط الصرف من الحمم البركانية. كان سيرنا من حين لآخر فوق رمل ثقيل وسهل بما فيه الكفاية فوق أرض ميته يكسوها عشب جاف. عبرنا منخفضات كل من القزيعات وشعب الضبر ووادي الحلفة^(٢) في تتابع سريع. كان ساحل البحر مليئاً بالسرطانات، مسرعة إلى أجحارها أو إلى البحر حين اقتربنا إلى أرض استعراضاتها. دخلنا فيما يلي وادي اللهمان - المنخفض التالي - إلى أرض رملية

(١) الصوالحة: هي آخر الحدود التهامة لمنطقة عسير من الناحية الشمالية في الوقت الحاضر، وكانت إلى عام

١٤٢٠هـ تتبع إمارة منطقة مكة المكرمة. (ابن جريس).

(٢) وادي الحلفة: ينطق ويكتب أيضاً باسم (وادي الحلفاء). (ابن جريس).

ذات كثبان شبيهة بالأمواج تسمى دقدقة^(١)، مررنا بعدها إلى داخل دلتا وادي شفقة الذي يجري من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي عبر طريقنا، وقد غطته غابة طرفاء وأراك، يتخللها نبات الحلفاء وعشب الثمام بمساحات كبيرة، خاصة على الجانب البعيد لمجرى السيل الرملي الضيق. لم تكن الصوالحة مأهولة بالمرّة كما لم ألاحظ أي علامات للزراعة في منطقتهم، وكانت من أكثر المناطق التي عبرناها كآبة وبؤساً^(٢).

واصلنا سيرنا على شريط من أرض رملية إلى وادي مروان، كان واسعاً ويكسوه الكثير من نباتات الحلفاء والطرفاء. كانت به سيارة مهجورة مدفونة بكاملها تقريباً في الرمال، كما تُوجد في أجزائه السفلى وقريباً من البحر بئر اكتسب الوادي اسمه منها. أمكن رؤية وادي حلي وشريط أشجاره الطويل الكثيف ودلتاه المنتشرة. ينتهي حزام طوله ميلان من أشجار صحراوية خفيفة مع روابٍ رملية على جانبي الممر، إلى سبخة عريضة تنمو على جانبها البعيد شجيرات السواد التي تتنامى تدريجياً لتصبح غابة كثيفة للنبات ذي المنظر المؤذي. تمت إزالة مساحات من الغابة للزراعة البديلة بينما توجد هنا وهناك مساحات من نبات الحلفاء والعديد من شجيرات الشار مع قليل من شجر الأثل الجيد النمو. توقفت للراحة بالقرب من واحدة من هذه الروابي الرملية الجميلة في وسط الغابة إلى جانب عدد قليل من عشب بائسة بجوار مجموعة صغيرة من أشجار النخيل، ولنمنح جمال العفش التي كنا قد مررنا بها في آخر شريط للسبخة، فرصة للحاق بنا. لقد

(١) وهذه الكثبان الرملية يطلق عليها أيضاً اسم (الجويف). (ابن جريس).

(٢) وهذه المنطقة أرض رملية لا تصلح للزراعة، وهي الآن في طورها للنمو، حيث صارت بها العديد من المؤسسات الإدارية التابعة لبلدة البرك، التي تراجع جميعها أنها كونها حاضرة منطقة عسير. (ابن جريس).

فعلت ذلك خلال ساعة وتقدمت علينا. تحركتُ بعدهم بساعة. كان من المريح جداً الجلوس هنا في الغابة بلا عمل، وبلا شيء يلفت النظر، وذلك لأن الشجيرات كانت عالية بما فيه الكفاية لتحجب الرؤيا من كل الاتجاهات. توصلت إلى الاستنتاج بأن كل هذه الأراضي الغابية وكل ما سبقها بما في ذلك شريط السبخة يكونُ جزءاً من الدلتا واسعة الفم لوادي حلي. واصلنا سيرنا وعبرنا أول مجرى رملي ضحل، والذي كان بداخله على يسارنا، بئر ماؤها صالح للشرب. بدأت الغابة فيما يلي هذا تختفي ببطء، بينما اتسعت منطقة الزراعة سريعاً ونحن نقرب من قرية حلي نفسها. تتابعت حقول الدخن على جانبي طريقنا مدة (٢٠) دقيقة، مع ظهور عشب مبنية من كتل الحمم البركانية من حين لآخر لإيواء المزارعين أثناء موسم العمل. دخلنا بعد هذه مباشرة إلى القرية وقررنا قضاء الليلة بها، بالرغم من أن الوقت كان مبكراً عند الساعة الرابعة مساءً.

كانت كل العيون ترقب السماء من جهة الغرب بحثاً عن الهلال الجديد لشهر الحج. لقد مضى من أيام ذي القعدة تسعة وعشرون يوماً، غير أن رؤية الهلال الجديد -أو الفشل في رؤيته- سيحدد إن كان الغد هو الثلاثين من ذي القعدة أو اليوم الأول من ذي الحجة. بحثنا بلا فائدة وافترضنا أن الشهر قد أرجى ليوم آخر، وهذا يوفر لنا يوماً إضافياً للوصول إلى مكة. غير أن المفكرة الرسمية، التي كنت قد قمت بإعداد مادتها بنفسي، تشير إلى أن اليوم التالي (١٢ فبراير) هو اليوم الأول من ذي الحجة وباحتمال الخطأ في جانب الاحتراس فقد علمت ذلك في مفكرتي الخاصة (مع استفهام) تنبيهاً لنا بأنه سيكون تحت تصرفنا فقط ثمانية أيام أخرى. ثبت أن هذا هو الصحيح، وذلك بالرغم من أننا لم نر الهلال في حلي، فقد شوهد في الشمال، وعليه فإن يوم الحج الفعلي، يوم عرفات، قد تم

تثبيته بيوم السبت الموافق عشرين فبراير، وهو اليوم نفسه الذي توفي فيه رئيسي المسن (السير بيرسي كوكس) في حقل صيد في إنجلترا، كما علمت في وقت لاحق. وكانت رحلتي هذه التي أكاد أن أنتهي منها قد استغرقت تسعة أشهر، قد أشار إليها السير بيرسي كوكس في خطابه الرئاسي للجمعية الملكية الجغرافية بأنها أعظم عمل ينتظره مكتشفو العالم. لقد علم -على الأقل- قبل وفاته، أنها قد تمت عن طريق الشخص الذي قام هو بنفسه بإرساله إلى الجزيرة العربية قبل عشرين عاماً.

كان أحد أسباب توقفي هنا، هو إحساسي بالتعب الشديد. كان كل هذا الركوب على ظهر الحمار وقد قطعت مسافة لا تقل عن مئتي ميل بهذه الوسيلة، مع فترات راحة قليلة خلال الأسبوعين الماضيين منذ أن هجمت الحمى عليّ بأقصى حد ممكن لها وقد كادت أن تكسر ظهري. أجد من الصعب على سلسلتي الفقرية أن تقوم بحملي واقفاً. وتضغط على ظهري الذي يؤلمني بحق، وكان الأمر أسوأ من ذلك.

لقد عاودتني الحمى مرة أخرى. لقد رجوت أن أترك وشأني لبعض الراحة بعد أن أحسست بكرم وفادة الشيخ المحلي إبراهيم وعشته الشبيهة بخلية النحل. قدم إبراهيم لي الشاي الذي أعاد إليّ استقراراي شيئاً ما، غير أن الحمى عادت مع غروب الشمس بلا ألم أو أي أعراض، غير ارتفاع طفيف للحرارة -الساعة تلو الساعة- عبر الليل يتبعها تعرق هادئ. شعرت بالتأكد بتحسن في الصباح غير أن فراشي وملابسي التي كنت أرتديها أثناء نومي قد تبللت. قمت بتغيير ملابسني كلها وأحسست أنني على أحسن حال، ولكي نغطي ما ضاع من وقت فقد بدأنا الرحلة عند الساعة (٧،٣٠) صباحاً، لم يكن في جوفي من الغذاء غير الشاي،

لقد طلبت بعض اللبن، ولم يكن ذلك لسبب ما متوفراً. وقد أحضروا لي قحفاً من اللبن في اللحظة التي كنا نمتطي فيها الحمير، إلا أنني وقفت إلى جانب كرامتي ورفضت اللبن مع تعليق ساخر على كرم وضيافة أهل القرية.

كانت قرية مخشوش - ويسمونها بصفة عامة حلبي^(١)، غير أن هذا الاسم منحصر فقط بالنسبة للوادي - قرية كبيرة ذات عدد من العشش المبنية من سعف النخيل وشبيهة بخلايا النحل منتشرة فوق مساحة كبيرة وفي قسمين على جانبي مجرى السيل. يعيش مضيفي إبراهيم، وهو من قبيلة كنانة، في القسم الشمالي، وليس بعيد من موقع البئر الرئيسة، التي تتمتع بسمعة محلية لما بها من مياه عذبة تضارع كل مياه الآبار، في الجوار لعدة أميال يعيش بنو هذيل والعناصر المتنوعة الأخرى ذات الدرجة المتدنية اجتماعياً في القسم الجنوبي، ويقع مرسى عزب أو الميناء حلبي على بعد ثلاثة أميال ناحية الجنوب الغربي من القرية، وعند فم الوادي الذي تقع فيه على مسافة (٥) أو (٦) أميال قرية منجية وتعد مهمة بما فيه الكفاية بالنسبة لضباط الدخل الحكومي للحكومة السعودية ليكون مركزه فيها. لا يوجد موظفون في مخشوش ويتمتع إبراهيم فيها بمكانة الرجل الرئيس وممثل الحكومة للقرية والميناء. رأيت في المساء أربعة من طيور اللقلق محلقة فوق الوادي تجاه البحر وفي الصباح عبرت خمسة منها فوق القرية في الاتجاه المعاكس، غير أنني لم أر أثراً لأعشاشها في هذا الجوار. تكثر الزراعة في القسم الشمالي لهذا الوادي كما كانت كثيرة في قسمه الجنوبي وتقع في هذه المساحة قرية جلة على بعد ميل واحد أو أزيد. يمكن الإشارة إلى قرية ساحل بأنها صغيرة - وللصيادين فقط - وتبعد المسافة نفسها في اتجاه الميناء.

(١) للمزيد عن بلاد حلبي، انظر: أحمد الزيلعي. المرجع السابق، ص ١١ وما بعدها. (ابن جريس).

تكوّن هذه المجموعة الصغيرة من القرى جزءاً مما يسمى حلي. لقد أشرت إلى أن الدلتا تمتد إلى موقع يبعد حوالي ثلاثة أميال أو أكثر إلى الجنوب من مخشوش. وتمتد شمالاً إلى ثلاثة أضعاف تلك المسافة حتى حدود وادي يبه^(١). تخترق الدلتا في هذا الجانب جداول سيول عديدة داخل الوادي، وتغطي المنطقة كلها زراعة مقطعة يقوم بتمويلها عدد من القرى المبعثرة. تعزى شهرة مخشوش إلى شهرة بئرها التي جذبت المقيمين، غير أن قرية كنانة الأصلية، وتسمى حلي قديم، تقع على بعد ميلين ونصف الميل إلى الشمال منها وإلى الشرق من الطريق، بينما تقع سلب، على بعد الميل الواحد أو يزيد فيما يليها على الطريق نفسه وفوق جوار جذاب شبيه بالمنتزه. تقع قرية شيع بين حلي قديم ومخشوش إلى يسار طريقنا داخل حقول واسعة. لم تكن لوادي حلي الذي يأتي من السلاسل المرتفعة لكل من حنين ولني من خلف حقل الحمم البركانية سيول هذا الموسم، غير أن الناس يتحدثون بإعجاب حسود عن السيل العظيم الذي أصاب وادي قنونه حديثاً^(٢)، كان هذا هو وادي القنفذة الذي ينحدر من الجرف الرئيس في موقع ما في بلاد ضافر وينحدر ماراً بجبل برق، وقد ذكروا كذلك أن هنالك سيولاً حدثت في الأودية إلى الشمال من ذلك.

يصعب تفسير شح وجود أشجار النخيل في حوض حلي، وتبقى الحقيقة بأن هذه الأشجار لا تكون سمة بارزة، برغم أنه توجد مجموعات مبعثرة منها. لهذا السبب فإن عشش المنطقة تبنى من الحبال التي تتوافر مادتها داخل غابة الطلح في

(١) للمزيد عن وادي يبه، انظر: عبدالرحمن الشريف، المرجع السابق، ٢، ص ٢٠٩ - ٢١٠. (ابن

جريس).

(٢) وادي قنونة، يلفظ ويكتب أيضاً باسم (وادي قنونا)، والاسمان صحيحان. (ابن جريس).

الدلتا، وتبنى المساكن الأقل مكانة من سعف النخيل. كانت عشة إبراهيم الكبيرة مثلاً جيداً لما يمكن أن يكون عليه بناء الوتل. كان كل الداخل الدائري من الطين إلى أقدام قليلة من قمة القبة، وكانت بها فتحة تهوية صغيرة لإخراج الدخان. يتدلى على هذا الجدار الطيني ومن مشابكها الخشبية العديد من الحصائر المصنوعة من أعواد التبن من كل الأحجام ومختلطة الألوان، والسلال، والزجاجات الفارغة، وغيرها من الأواني المنزلية، بينما توزعت سرائر خشبية خالية من المفارش والوسائد، ومصنوعة من الحبال للجلوس عليها أو للنوم فوقها. لا ينام أهل تهامة إطلاقاً على الأرض. انطبع في ذهني أن الناس الذين أراهم فقراء، ينتمون لمجتمع بائس يفتقر إلى الإحساس العربي بالكرم. أمر إبراهيم بالشاي حين وصولنا أول مرة، أو قل شراب القشر، الذي يعد من قشور ثمار البن وهو بديل لطيف للشاي، وعندما أحضره الخادم قام إبراهيم بصب ثلاثة أكواب من السائل متتابعة وقدمها لي وهو يقف بجوارني وأنا أشربها، وذلك قبل أن يتقدم بذلك لبقية الضيوف، وبكوب واحد لكل واحد منهم. كان هذا تبايناً خفيفاً للتقليد في حضرموت، حيث يضعون ثلاثة أكواب من الشاي أو القهوة على الأرض أمام الضيف الرئيس قبل القيام بخدمة بقية الضيوف^(١).

غادرت حيوانات الأحمال المعسكر قبل ساعة من انطلاقة المسيرة الجديدة، وقد قمت باستبدال المرشدين الهالبيين، مع مكافأة مقابل رفقتهم اللطيفة أكثر منها

(١) تشابه العادات في منطقة القنفذة مع بعض عادات وأعراف حضرموت ربما بسبب الهجرة، حيث هاجر العديد من الأسر الحضرمية واستوطنت أرض القنفذة والحجاز عموماً، ولا زالوا يعيشون بها حتى اليوم. (ابن جريس).

مقابل ما أدوه لي من خدمات مفيدة، ووظفت مكانهم رجالاً جدداً أحضرهم إبراهيم. كنت أظن أن الحمى ستعاودني ولكنني تحسنت وأنا على ظهر الحمار، مع إهمالي لارتفاع طفيف في درجة حرارة جسمي وبعض العرق الذي صاحب ذلك. بدأت الحقول وكأنها لم تنتج محصولاً لبعض الوقت، غير أنه كانت هنالك بعض الأكرات ذات محصول دخن فقير، لاحظت بداخلها مجموعات متكررة من طيور الثرثار، وكذلك لفرحتي طائر آخر من طيور الشقراق الحبشي الذي لاحظت امتداداً متواصلًا لمداه الشمالي. لم تكن الطيور الجنوبية الحقيقية مثل (أبو مطرقة)، والعجلة، ووقواق تهامة، وصائد ذباب الجنة والحمامة الحبشية وغيرها، كثيرة إلى الشمال من وادي بيش. كما لاحظت ثعلباً على الطريق بالقرب من قرية شيع.

عبرنا هذه ومررنا بشريط من أرض تنمو عليه غابة نبات السواد فوق أرض رملية متدحرجة شاهدنا فيما يليها عدداً قليلاً من عشش الوتل وأشجار الجوجوبا (العلب) في حالة حلي القديمة. كان هذا هو الحد الجنوبي للأرض الشبيهة بالمتزه التي ورد ذكرها، والتي يتعرج فوقها الطريق لمسافات بعيدة تحت ظلال أشجار العلب الكبيرة، وكانت مزرعة هذه الأشجار جميلة بدرجة لم أر مثلها في الجزيرة العربية. كيف قاومت هذه الأشجار اعتداء الإنسان والماعز عليها، لا أعلم لي بذلك، وذلك لأن أشجار العلب هذه تزدهر في أي موقع آخر كأشجار زيتة للمقابر العربية، حيث تكون عليها حماية من جانب الدين أو جانب الخرافة. لا يرفع العربي يده لينال من شجرة العلب فوق قبر لا لأجل حطبها ولا لأجل خشبها.

مررنا بقرية سلب في وسط إحدى المنتزهات هذه، وهي عبارة عن مجموعة من عشش الوتل المتناثرة، لا تزيد المجموعة الواحدة عن (٥) أو (٦) عشش وربما

بلغ العدد الكلي للقرية (١٠٠) عشة أو أقل مع مجموعات قليلة من أشجار النخيل . لا بد أن يكون عرض هذا المنتزه في حدود ثلاثة أميال على امتداد الطريق وضعف هذه المسافة عبر الطريق ومعظمها على الجانب الشرقي . نستطيع رؤية السلسلة العالية، إلى البعيد ناحية الشمال الشرقي، التي تقع خلف الحمم البركانية وبها قمم كل من بكرتين وثربان، ويقال إنهما داخل أرض قبيلة حرب . ومنهما ينحدر وادي بية الذي يقع أمامنا . تعارض شريط من صحراء ذات شجيرات خفيضة بين أرض المنتزهات وبين حزام عرضه ميل واحد من أشجار طلع عادية وغابة سواد، وقد رأيت بداخلها زوجاً من طيور الشقراق الحبشي، ووصلنا مباشرة فيما يليها إلى بئر ضحلة عذبة المياه تسمى منزانية . وصلنا أخيراً إلى نهاية الدلتا في حزام شبه سبخي مبرقع بكتل من عشب منخفض كانت لا تزال مبللة السطح، بسبب أمطار حديثة فيما يبدو .

ارتفعنا عند حافة هذه السبخة قليلاً إلى خط يفصل بين دلتا كل من حلي وبية، وقد ظهرت أمامنا الأشجار التي تكسو المجرى الرئيس . طار زوج من طيور الغداف من فوق شجرة نخيل منعزلة كانت بجوار الطريق أثناء مرورنا، ثم مررنا بمسطح طيني يلعب ببلورات الملح وتنتشر فيه الحشائش وخزامى البحر . كانت السبخة مستنقعية جداً في هذا المكان وقد ارتفع الطريق تبعاً لذلك إلى أرض مسطحة رملية تنمو عليها نباتات الجرم الخفيضة، كما توجد شجرتان من النخيل وكان علينا العودة إلى السطح الطيني مرة أخرى بعد أن انتهى هذا المسطح الرملي . شاهدت جمال عفشنا وهي ترعى خزامى البحر وهي تشق طريقها عبر نزور لماء أسود ملاً آثار عجلات السيارات .

أدى ظهور شجرة النخيل هنا وهناك إلى كسر رتابة المنظر الكئيب حيث تتبادل فيه الرمال الموقع مع السبخات، وتمتدان مسافة أميال إلى داخل اليابسة ثم البحر الذي يقع الآن على مسافة ميلين إلى يسارنا. جمّلت قرية سجفة المنظر، بما فيها من أشجار نخيل بائسة، إلى اليسار من موقعنا، بينما تفرع طريقنا إلى اليسار من طريق السيارات الذي عبر الوادي الرئيس في موقع أكثر ارتفاعاً من طريقنا. اخترق طريقنا غابة طلح ونحن نقترّب من المجرى، كانت كثيفة في بعض أجزائها وقد أزيلت مساحات منها هنا وهناك لمحاولة الزراعة، ووصلنا فيما يليها إلى بئر وإلى قرية دار السوداء. كان يستريح هناك حاج حضرمي من حجرين حين وصولنا، ومعه خادمه، وقد توقفت أيضاً لأمنح مرشدي من حلي فرصة لالتقاط الأنفاس لأنهم كانوا مرهقين. كانوا عبيداً لإبراهيم غير أنهم لم يكونوا راضين بالسير بسرعة هذه الحمير البطيئة، كما كان حال المرشدين الهلاليين في البرك، الذين وصلوا معي إلى حلي عصر أمس وقد أرهقوا تماماً. يجب عليّ أن أعتز بأنهم لم يكن من الضروري من جانبي أن أهتم بجانب هذه المسيرات التي أقطعها مشياً على الأقدام. كان الحضرمي ورفيقه قد سارا على الأقدام كل الطريق من ميدي، حوالي مئتي ميل، ولا يزال الطريق أمامهما طويلاً - كل هذا لأجل توفير جنهين استرلنيين ذهبين، بالرغم من أنهما قد سافرا بحراً من المكلا إلى ميدي، وكان بالطبع عليهما دفع أجرة ذلك. كان معظم سيرهم على الأقدام يتم ليلاً، ويرتاحان أثناء فترة حر النهار.

كانت دار السوداء واحدة من مجموعة القرى الصغيرة على الحافة الجنوبية لوادي بية الرئيس وهو وادٍ ضيق جداً وغير ذي أهمية كخط صرف. تتكون بقية القرى الصغيرة من دبه - (٥٠٠) ياردة إلى الغرب - وحويرث - تقع إلى البعيد

ناحية الشمال الشرقي - وقريات القُدَّة - وهذه مجموعة من ست عشش على الجانب الأيسر للمجرى - . تسيطر هذه القرى فيما بينها على مساحة حقول كبيرة ، غير أن محاصيل الدخن قد فشلت في هذه المنطقة هذا الموسم وكل ما شاهدته كان أعواداً وأكوازاً جافة وميته .

وصلنا إلى العرجا فيما يلي المجرى ، وحزام سميك من السواد والطرفاء وبعض الأثل ، وهي قرية بائسة من عشش من الوتل وأعواد التبن في وسط محاصيل دخن محتضرة ، كانت أبقار القرية ترعى داخلها بارتياح مع مئات من طيور بلشون البقر المتفرج . رأيت هنا ثلاثة من طيور الشقراق الأثيوبي ، مضيئة بذلك أميلاً إضافة للمدى الشمالي لها .

على الرغم من بؤس مظهر عرجة إلا أنها فيما يبدو تعد عاصمة مقاطعة دلنا ييه ، التي ينتمي ساكنوها إلى قبيلة بني يعلا ، التي ربما كانت لها علاقة مع حرب قبيلة البدو العظيمة ، وعلى الرغم من أنني لم أتمكن من الحصول على معلومات كثيرة حول هذا الموضوع من الشيخ محمد ، الرئيس المحلي ، الذي وجدته مشغولاً مع القاضي في إعداد قائمة جرد محلية للكتب القديمة ، التي كان يمتلكها يمانى متدين توفي حديثاً في القرية^(١) .

صدرت الأوامر بأن ممتلكات المتوفي يجب إرسالها إلى القنفذة للتخلص منها^(٢) . كان الشيخ محمد لطيفاً بأن ينظر في احتياجاتي أثناء قيامه بهذا العمل ،

(١) هذا مما يدل على أن هناك نشاطاً علمياً ، ونحن لا نستبعد وجود مثل ذلك ؛ لأن هذه البلاد دائماً مطروقة بالحجاج والعلماء الذاهبين والأيبين بين الحجاز واليمن . (ابن جريس) .

(٢) من المؤسف حقاً أن كثيراً من الناس قديماً لا يقدرّون أهمية الكتب والمخطوطات فتراهم لا يحافظون عليها وسريعاً ما يتخلصون منها بالحرق والإهمال . (ابن جريس) .

ونتيجة لذلك فقد أمكنني أن أواصل رحلتي خلال أقل من ساعة ومعني مرشدان جديدان محليان، كان أحدهما يمتلك حماراً ليركبه وكان أصلاً عازماً على القيام برحلة لأجل المتعة إلى القنفذة. كان أصدقائي المرشدون القادمون من حلي سعداء جداً بعودتهم إلى أوطانهم وقد دفعت لهم أجورهم. تقدم الشيخ محمد بقحفة ماء طلبتها منه، غير أنه لم يبذل أي مجهود آخر بدافع الضيافة والكرم، وقد عزيت ذلك للفقر المدقع إذ إنه رجل لطيف محبوب.

تقع معظم الأراضي الخصبة من العرجا وشمالاً مسافة ميلين، التابعة لدلتا يبه، وقد انتشرت في المنطقة الزراعية العديد من القرى الصغيرة الفقيرة، بينما تقع بلدة السوق المحلي على الطريق على بعد نصف ميل من العاصمة، ويسمى سوق الربوع (سوق الأربعاء). تقع قرى أم النور وسوادة وكياد^(١)، على يسار الطريق من العرجا إلى السوق، الذي يتكون، من ساحة مربعة واسعة وبه أكشاك مستطيلة تعيسة مسقوفة بالتبن ولا توجد مساكن. تقع قرية (أبو قرين) فيما يلي مجرى سيل نحيل على يميننا، وتكون قرينا (أبو رخم وأم الصرة) على اليسار.

كانت هذه هي القصة الكاملة لقرى بني يعلا التابعة ليا، غير أن المساحات المزروعة التي تسيطر عليها هذه القرى الصغيرة تمتد إلى أكثر من الميل الواحد شمالاً من أم الصرة ويعترضها ما لا يقل عن ستة جداول لمجرى السيل. كانت المحاصيل هنا محتضرة غير أنه توجد بعض الحقول الجيدة من الذرة والدخن وبعض مساحات السمسم، والمدهش تماماً تلك المساحات المزدهرة المتباعدة

(١) أم النور، وسوادة، وكياد، والفقهاء هذه قرى متقاربه بعضها مع بعض في منطقة القنفذة، مع أن فيليي ذكر بعضها بصورة غير سليمة فأورد قرية أم النور باسم (منصور)، وسوادة باسم (سواد). (ابن جريس).

والمنقطعة للقطن وقد ظهرت أزهاره الصفراء الآن. يسمون النبات عتب ويجنون اللوزات الطازجة في موسم الحصاد بالطريقة العادية للاستخدام المحلي، غير أن النبات معمر ولا يقتلع من جذوره كما يفعلون في مصر. وقد ينمو النبات في بعض المواقع الجيدة حيث توجد طبقات من السلت والطين قريبة من مدى تأثير السيل، إلى حجم الشجرة، وينتج السنة بعد الأخرى منتجات ذات قيمة مع جهد بسيط - عبارة عن عمل حاجز صغير ليحجز الماء وربما أيضاً عمل جداول صغيرة ليجري عليها الماء حين سيلانه. كان لابد أن يكون أهل هذه المنطقة في حالة أحسن ازدهاراً عما يبدو عليها إلا أنهم وبالتأكيد لا يصرفون الكثير من العمل أو المال في تحسين ظروف حياتهم المنزلية.

يجري الطريق إلى مسافة فيما يلي آخر آثار هذه الدلتا المزروعة، فوق كثيب رملي طويل متعارض يمتد إلى مسافة نصف الميل إلى اليمين وإلى اليسار. توقفت قليلاً فوق قمته لأطل على مباني القنفذة التي لا تزال على البعد ناحية الشمال الغربي عند حافة انبعاث غربي لشريط الساحل. تقع جزيرة صغيرة مسطحة مباشرة إلى القرب من موقعنا وقليلاً إلى خارج الساحل، وكان بقية المنظر هو مساحة الدلتا من حولي وهي تتحلل شمالاً داخل غابة السوادة التي تتخللها شرائط من شجيرات صحراوية خفيفة، وتتغلغل فيها تربة سبخية من جهة البحر. يجري في هذا القسم الشمالي ما لا يقل عن أربعة مجاري سيول، كلها ضحلة وضيقة وتعرض طريقنا في اتجاه البحر، الذي يبعد الآن مسافة ميل واحد. تقع مساحة عارية من كثبان رملية فيما يلي آخر هذه المجاري والتي قررت - وقد كادت الشمس أن تغرب - التوقف عندها لفضاء الليلة حتى نكون على درجة من النشاط والحيوية ونحن ندخل في الصباح إلى عاصمة المحافظة، التي تبعد عنا الآن بمسافة (٥) أو

(٦) أميال. كان هذا قراراً جيداً وذلك لأن جمال الأمتعة لم تصل إلاً عند الساعة السابعة والنصف مساءً، وقد استلقيت على الرمال الدافئة الناعمة لأرتاح حتى وصولهم، وقد عاودتني الحمى مرة أخرى.

تغلبت على الحمى بالنوم، وصحوت وأنا على أحسن حال وبدأنا الرحلة الساعة السابعة والرابع صباحاً فوق أمواج الكثبان الرملية، وكان مجرى السبخة موازياً لطريقنا وعلى يميننا، وبدأت الصحراء ذات الشجيرات الخفيضة فيما يلي السبخة وحتى شريط التلال. كنا مرة أخرى قرييين جداً، ونحن على حافة الانبعاث لشريط الساحل، من البحر نسير فوق رف صعب من الشعاب المرجانية التي يوجد على امتدادها وعلى حافة البحر، خط رفيع من شجر النخيل يسمى القنع ولعله واحة بائسة صغيرة مهملة بلا سكان في ما حولها من الجوار. كانت هنالك حدأة في عرشها فوق واحدة من أشجار النخيل، كما كان هنالك بعض طيور الكروان فوق الخليج والمئات من طيور البحر وهي مشغولة بصيد الصباح. كان هنالك الكثير من نبات الحلفاء في مزارع النخيل وعلى امتداد شريط الساحل، كما كانت توجد مجموعة صغيرة من أشجار النخيل على يميننا ونحن ندور لتتجه مباشرة إلى القنفذة فوق الدلتا النموذجية لوادي قنونة وبه خطوط الصرف العادية تسيل إلى أسفل فوق السهل الرملي الذي تكسر هنا وهناك بمساحات من السبخة والبرك العديدة ذات المياه المالحة أو ذات مياه البحر.

عبرنا ما لا يقل عن ستة من هذه المجاري المعترضة قبل أن نصل إلى أولى حقول الدخن، وتقع قرية نسلي الصغيرة خارج الطريق وعلى يميننا. اتسع نطاق الزراعة بعد أن مررنا بقرية القاع وقد عبرنا جدولين للمجرى تفصلهما غابة طرفاء. ضربنا فيما يلي هذا على الطريق المطروق الذي يقود من القنفذة إلى نسلي

مع قوافل ضخمة من الجمال والحمير وهي مقبلة ومدبرة وعليها صفائح الماء الفارغة التي تملأ من أفضل آبار المنطقة في وادي هارون، كما يسمون مجرى السيل الذي يجري ماراً بالقرية. يقود هذا الطريق السريع عبر غابة طرفاء أخرى ثم إلى مساحة واسعة لزراعة الدخن تمتد حتى حدود البلدة. مررنا بقطعان ضخمة -ونحن نسير إلى الداخل- من الجمال والضأن والماعز، متجهة ناحية مراعي الدلتا. عبرنا -أخيراً- مجرى السبخة الضيق لندخل إلى بلدة القنفذة خلال شارع متعرج من العشش.

وصلنا إلى الجبهة البحرية خلال خمس دقائق وسرعان ما ترجلنا عن الدواب عند مداخل منزل الحكومة. كان عبدالله بن مبارك -بعون الله ثم بإذن ابن سعود- أمير القنفذة، يرأس المجلس حين وصولنا، غير أنه أمر بانصراف حشد موكله وخصومه وانصرف لقضاء حاجاتنا وتلبية مطالبنا، وقد نصحه بذلك الملك عن طريق برقية وصلت إليه يوجهه إلى ذلك، مع توجيه بالإسراع لرحلتنا لأقصى حد ممكن. تطلب هذا تدبير المرشدين والمواصلات، غير أنه يوجد الوقت الكافي لهذا كما قررت، علماً بأن الوقت كان العاشرة صباحاً عندما وصلنا، لتتمكن من قضاء بقية اليوم وكذلك الليلة هنا لنرى أكثر ما يمكننا رؤيته من هذا الموقع المهم نسبياً.

أعد منزل لضيافتنا أثناء ما كنا نحتسي القهوة مع الحاكم ونأكل التمر، وجدت نفسي عند الظهر داخل بناء إضافي من الخشب فوق سطح أحد المباني المبنية من الشعاب المرجانية وهو أحد المباني التي تقع على امتداد الجبهة البحرية التي هي متنزّه القنفذة، بينما شغل رفاقي الغرف في الطابقين أسفل مني. كان المنزل واحداً من بين العديد التي تكون الجناح الإداري والتجاري ومقر سكن الطبقة الراقية ويقع عند الطرف الشمالي للبلدة، وبخاصة على امتداد الجبهة البحرية، مكشوفة للرياح الشمالية الباردة القادمة من البحر الأحمر.

كان هذا الجناح كثير الشبه مع جدة، ولكن على مقياس صغير، وكانت المنازل مبنية من بلكات شعاب مرجانية مربعة أصغر حجماً من تلك التي تستخدم في جدة. تعرجت البلدة وانتشرت من هذا التحصين من ناحية الشمال واتسعت جنوباً إلى مسافة (٨٠٠) أو (٩٠٠) ياردة في مجموعات من العشش المبنية من الوتل أو من سعف النخيل، مما يوحي بالانطباع بأنها قرية كبيرة غير منتظمة أكثر منها بلدة. كانت عشش القسم الأكثر فقراً من السكان، على ضواحي القرية مهجورة وبائسة بما يفوق الوصف. وعلى عكس هذه فإن أحسن المنازل كانت في الحي التجاري ذات واجهات فخمة مطلية بالجبس، وتدل على درجة عالية من الازدهار والتطور. توجد مساحة كبيرة خارج مباني الرئاسة الحكومية، تؤدي وظيفة المستودع للبضائع التجارية التي تترحل من البحر مع حاجز للماء معوج يمتد من الساحة إلى جزيرة صغيرة تنمو عليها غابة المانجروف لتلقي حماية أكثر للميناء الداخلي للبواخر الشراعية الخفيفة التي تقوم بنقل مثل هذه البضائع من بواخر ترسو بعيداً عن الساحل. يوجد المرسى الواسع على الجانب الجنوبي للتوء البحري الذي تقف فوقه البلدة، والذي يمكن أن ترسو فيه مراكب الدهو والسنايك في أمان^(١).

كان السوق في قمة نشاطه عندما مررنا به ويبدو أنه غني بالبضائع المحلية والمستوردة. يختلط هنا الحرير مع الأناناس الياباني المعب، مع البضائع التي تباع

(١) بلدة القنفذة جمعت بين العمارة المبنية من القش والأشجار، أو الطين والجبس البحري، وكانت خلال القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) في وضع اقتصادي وحضاري جيد مقارنة بالبلاد المجاورة لها من الشمال والجنوب على الشريط الساحلي للبحر الأحمر، والممتد من الليث شمالاً إلى جازان جنوباً. (ابن جريس).

بالقطاعي والمستوردة من مانشستر، والخردوات المستوردة من برمنجهام وشفيلد، دون ذكر شيء عن المنتجات الألمانية والإيطالية وغيرهما من البلاد الأوروبية. كانت تجارة البلدة في أيدي الهنود والحضارمة، وقد قيل لي إن هنالك حوالي ثلاثين أسرة هندية وخمسين أسرة حضرية مقيمة في البلدة وتعتمد على التجارة. الغريب في الأمر، أنه لا يوجد أثر للإغريق ولا اليهود ولا أي عنصر أوروبي آخر، ويمثل البيوت التجارية الأوروبية القائمة في جدة مندوبون محليون لها هنا. كان بقية السكان من العرب معظمهم مقيمون جاؤوا من قرى مقاطعة وادي قنونة، وبلا شك تتخللهم عناصر من مناطق أبعد من ذلك. تكون قبيلة بني زيد حرب القبيلة الرئيسية في وادي قنونة^(١)، وهو شريان الحياة الرئيس في المقاطعة، بينما يتبع وادي لومة إلى الشمال، قبيلة بني زبيد، أيضاً يتبعون حرب.

يقع وادي غمم بين هذين الشريانين، ويتبع قبيلة الزيالعة وهي تحت قسم لبني زيد، بينما يتبع وادي الأحسبة^(٢)، إلى الشمال من لومة، أرض شريفان التابعة لقبيلة العبادلة، أشرف. تمد هذه الأودية بلدة القنفذة بكل ما تقوم بتصديره مقابل استيراد كل الكماليات والعديد من ضروريات الحياة، بالاسم، الأصواف والجلود والزبدة، ونوعي الدخن والسمسم. تنقل هذه البضائع بمراكب الدهو الشراعية أو بالباخرة إلى جدة، والحديدة، وعدن، حيث يتداولها تجار أكثر تأثيراً لإرسالها إلى محطات وصول أخرى. أخبرني الأمير أيضاً عن جبل يسمى شضعة في مرتفعات ضافر إلى الشمال من القنفذة عند رأس وادي لومة، حيث توجد

(٢،١) للمزيد عن وادي قنونة والأحسبة، انظر: عبدالرحمن الشريف، المرجع السابق، ج٢، ص ٢١٠ (ابن جريس).

قرى عديدة تقوم بإنتاج البن والتين والعسل إلى جانب الدخن، ومن غير المحتمل أن ثلاث المواد الأولى تدخل السوق على مستوى تجاري.

يوجد في القنفذة ثلاثة مساجد ولا توجد بها مبانٍ أخرى عامة ذات مغزى، وكان من أبرز قاطنيها في هذا الوقت من حيث الأهمية الدينية في شمال أفريقيا هو الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، رجل دين، لجأ إلى الجزيرة العربية أثناء الحملات الإيطالية في ليبيا وعاش بعض الوقت في مكة. وظف خطبه الدينية هناك على خطوط سياسية ضد الأوروبيين وقد دعاه الملك للحضور والبقاء في القنفذة لتجنيبه تبعات هذا الاتجاه، بصفته ضيفاً محترماً على الحكومة^(١). كان من ضمن الحضور لمجلس الأمير الصباحي، الذي اعترضه وصولنا ولربما كان فض المجلس إذعائاً لرغبته، فإن الأمير، لفت أنظار الحضور إلى الحالة البائسة التي بدت عليها مساجد القنفذة في الأيام الأخيرة وأن الحضور لأداء الصلاة فيها كان غير كاف وأن على الناس أداء الصلاة جماعة.

وصل إلى القنفذة بحراً الفرنسيان اللذان ورد ذكرهما من قبل فيما يتعلق بجازان، وهما (إي كومبس وم. تاميزيه) قادمان من جدة في السابع عشر من فبراير ١٨٣٥م، وقد وجدها مكاناً ذا أهمية ضئيلة، تتاجر فقط مع جدة. كانت

(١) الشيخ محمد الأمين الشنقيطي جاء إلى بلدة البرك مع ولديه مصطفى وطه وزوجته قادماً من جازان في عام (١٣٤٣هـ)، وقد نزل في ضيافة أمير البرك، الحسن بن علي بن عبده، ومكث بها حوالي ثمان سنوات يقيم الجمع والجماعات ويعلم الناس أمور دينهم، ثم ذهب إلى جازان مع الأمير ابن زعير أثناء محاصرتها من قبل الإدرسي، وأخيراً عاد إلى منطقة القنفذة ليعمل بها قاضياً في عهد الملك عبدالعزيز حتى توفاه الله، وكان من علماء المالكية. مقابلة مع عبدالرحمن بن عبدالرحيم بن عبده في بلدة البرك خلال شهر المحرم عام (١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م). (ابن جريس).

مياها جيدة إلى حد ما، غير أن مناخها، خاصة في الشتاء، كان ثقیلاً وغير صحي، يؤدي إلى أوجاع كثيرة منها الحميات، والدستاريا، والأسقربوط وكانت الكوليرا منتشرة في ذلك الوقت. علق تاميزيه فيما سجله عن جدة أنها أفضل موقع على الساحل الشرقي للبحر الأحمر، وأن القنفذة هي الأسوأ. ويعزى هذا إلى الرياح الجنوبية التي تهب باستمرار. كانت المنازل من الطين وكان يطوق البلدة سوار من الحجر. كانت هنالك حملة عسكرية يعد لها العدة ضد عسير أثناء فترة وصولهما، وقد غطت خيام الجيش مساحة رملية شاسعة مسافة نصف ساعة. تم اختيار محمد باشا للقيادة وكان يتوقع وصوله يومياً، كما اختار نائب الملك المصري إبراهيم باشا، شقيقه، لقيادة الحملة ضد صنعاء بعد انتهاء حملة عسير، وقد كان على رأس قيادة مؤقتة مع العديد من الأوروبيين الذين كانوا في خدمة الجيش على وظائف أطباء وكيميائيين وموجهين. تم تنفيذ الإعدام على جندي مصري هارب تم القبض عليه بجوار المعسكر متهماً بمحاولة الاعتداء على حياة إبراهيم باشا وقد أعدم بواسطة الخازوق، حيث ظل مدة ثلاثة أيام يعاني الآلام الشديدة ويسمع ويرى سخرية الحشد وإهاناته له. غادر المسافران القنفذة في اليوم الثاني من مارس بعد أن أقاما بها مدة أسبوعين.

ارتفع صباح الديوك عند الفجر الذي غمته السحب عندما صحوت من نومي الساعة السادسة صباحاً لأجد رفاقي وهم عاكفون على الإعداد لرحيل حيوانات قافلة العفش. يصحب هذا الاحتفال بالضجيج المعتاد حول الحصول على المرشدين الضروريين وحتى إذا تم الحصول على مرشد مناسب لمرافقتي فإنهم يكتشفون أنه ليس له حمار يركبه ولا بد من إيجاد الحمار. تحركت مجموعتنا في هذه الأثناء، وذهبت إلى الأمير لوداعه وقد دعاني إلى وجبة إفطار دسمة. تحركت عند الساعة

الثامنة صباحاً على ظهر الحمار نشق الطريق عبر ضاحية من الوتل تابعة للقرية تحيط بالجانبين الشمالي والشرقي للبلدة، لأخرج إلى أرض رملية تنتشر فيها شجيرات السواد ومساحات من محاصيل خفيضة. كنت أسافر فوق الطريق الأفضل من بين طريقتين يقودان لليث^(١)، بينما يخترق الطريق الآخر السبخة الساحلية ويحتضن الساحل. وصلنا إلى المجرى الرئيس لدلتا قنونة بعد أن عبرنا مجرى سيل صغير فيما يلي المساحة الصحراوية، وهي دلتا ذات بطن رملي واسع مزروع بالدخن بكثافة، وقد بدأ المحصول يظهر فوق السطح، بعد السيل الأخير، الذي وصل إلى البحر في هذا المجرى وفي غيره من المجاري الدلتاوية. قابلتنا في طريقنا قوافل منتظمة من الجمال والحمير وهي تحمل الماء من بئر أم الجرم التي وصلناها بعد (٤٠) دقيقة من السير المتواصل. كانت مياهها مشهورة كمياه نسلي إلا أنها أبعد. مررنا بقريتين صغيرتين هما ربيعة ودار الوادي قبل أن نصل إلى البئر، وكانت كلتاهما تقع بالقرب من الطريق في وسط مزارع كثيفة.

تقع مجموعة من القرى فيما يلي البئر، منها قريتا رجبان وفقحه على يميننا ويسكنهما أناس من شمال إفريقيا وقرية سفاسف على الجانب الآخر، ولربما كانت قرية خارجية لبني زبيد. كانت كل هذه البلاد من رمال خفيفة تصلح فقط لزراعة الدخن وتخرقها بعض مساحات من غابة السواد أو مساحات من الصحراء تنمو فوقها نباتات العلقى. يجري الطريق فوق أرض رملية ثابتة، غير أنه يوجد ضباب غباري فوق الأرض وفوق التلال البعيدة التي أصبحت غير واضحة. تكسرت

(١) للمزيد من التفاصيل عن بلاد الليث انظر: عبدالرحمن الشريف، المرجع السابق، ج٢، ص ٢٤٤،

البلاد إلى عدد من الكثبان الرملية فيما يلي آخر جداول وادي قنونة، وحتى هذه الكثبان قد وصلها المحراث وبذر عليها الدخن على أمل هطول أمطار متأخرة لإنضاج الحبوب. حددت سلسلة رملية متعارضة الحدود بين دلتا قنونة ودلتا الغميم. كانت الدلتا الأخيرة هذه صحراء ذات شجيرات خفيضة مع بعض أشجار الطلح المظلية الشكل وشريط مركزي من الدخن حول قرى كل من جدعان ومنزا وآل بنخيت وشعال. وتعتمد الزراعة هنا على الأمطار وذلك لعدم وصول السيول إلى هذه المنطقة.

دخلنا إلى دلتا لومة وأرض بني زبيد فيما يلي شعال، كان الجزء الأول منها سهلاً جذاباً معشياً، تكسوه أزهار الربيع الصحراوية بما في ذلك نبات المداد ذو الأزهار البيضاء. رأينا هنا غزالة حمراء اللون شديدة بحمرة مقارنة بغزلان الصحراء وهي أشبه ما تكون بالإيل السمراء. كما كانت هنالك طيور الهدهد تبحث في التربة عن الديدان بينما كانت تشاهد كل من الحمامة الصحراوية وأبي الحناء وأصناف أخرى من القنابر. كانت طيور العوسق متوافرة أيضاً، تبحث عن الجراد، كما شاهدت طائر الشقراق الحبشي مرة ثانية في وادي الأحسبة. كان هذا هو أقصى مدى شمالي - ما عدا وادي دوقة حيث رأيت به زوجاً منها - رأيت فيه هذا الطائر، وهو بلا شك يصل نطاقه إلى وادي الليث وليس فيما يليه، لم أشاهده إطلاقاً حول جدة ومكة. أدركتُ جمال قافلة عفشنا في هذا السهل، وكانت تسير مدة أربع ساعات غطت خلالها مسافة عشرة أميال. غطيت ومرشدي المسافة نفسها في ساعتين وربع الساعة وأعتقد أن حميرنا كانت تسير بسرعة تقل عن خمسة أميال في الساعة.

لم يكن مجرى وادي لومة ولا حتى روافده المساعدة لافتاً للنظر، وذلك لأنه كان مخفياً داخل النموات الكثيفة للطرفاء التي تغطي مركز الدلتا، غير أن الوادي قد فاض وأن المساحات المزروعة فوق هذه المنطقة بدأت أكثر ازدهاراً مقارنة بحقول وادي الغميم. توجد قريتان صغيرتان في هذه المنطقة كلها، هما عبيدة وسليمة. استمرَّ السهل المعشب فيما يلي الوادي ويطلق عليه اسم مثن ويتتهي في سلسلة متعازضة منخفضة يعلم حدود دلتا وادي الأحسبة. شاهدت ثعباناً ميتاً على الطريق، لا بد أن يكون قد تم قتله بواسطة أحد عابري السبيل، كما كان السهل مغطى بالجمال الراعية التابعة لبني زيد^(١). استمرَّ السهل لمسافة فيما يلي السلسلة، وتحول إلى غابة طلع خفيفة تلاها حزام من سواد وطرفاء قريباً من المجرى الفعلي لوادي الأحسبة. تقع قريتان صغيرتان على مسافة ميلين إلى يسار طريقنا هما عقرة وفواز، أولاهما قرية كبيرة بشكل لافت للنظر في مثل هذه الأنحاء، والأخرى تتميز ببناء شبه القلعة لإقامة الشريف الرئيس لقبيلة العبادلة واسمه عبدالمنعم، يبلغ عرض المجرى الرئيس لوادي الأحسبة مئتي ياردة وفي وسطه بطن وادي عرضه عشرين ياردة، وبه جدول جار. يشتمل هذا الوادي على غيل جاري، غير أن ماءه الآن هو ماء السيل وكان بداخله مجموعة من الرجال والنسوة يشرفون على سقي مواشيهم.

(١) نبوزيد: هم أكثر قبائل حرب في هذه النواحي عدداً، وأكثرهم فروعاً، وكانت فيهم مشيخة كافة حرب إلى القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) ومن فروعهم ما يلي: العصلان، والرواشد، والجدعان، والمزاريع، واللبدة، والكوامل، والمرعية، والزواهر، والاحامدة، والتومان، والملاوحة، والسرحة. (ابن جريس).

تقع قرية الثالثة تسمى الشعيرة^(١) إلى الخلف بعيداً عن الطريق، وعلى يسارنا على الجانب البعيد للوادي، ومررنا فيما يليها مباشرة إلى داخل غابة طلع كثيفة ترتفع أشجارها إلى (١٠) أو (١٢) قدماً. تمثل هذه الغابة والسهل المعشب الضيق الذي يليها مقدمة لوادي شغاض، الذي يُكوّن مع وادي نصيري الذي يليه مباشرة عدداً قليلاً من المجاري الصرفية، تنحدر فقط من التلال وهي جافة تماماً الآن. كانت هنالك زراعة خفيفة حول قرية الحدبة التابعة للعبادلة وكذلك حول قرية الرواشد التابعة للمحبة على وادي نصيري. يتبع قبيلة الرواشد لبني زيد ويحتلون الوادي التالي، واسمه وادي نخوان، على بعد الميل الواحد من نصيري، توجد هناك قريتان هما العقدة والخربة على جانب المجرى وبعيداً عنه قليلاً، ينحدر هذا الوادي من سفوح شذعة إلى الخلف ويضارع في أهميته الأودية الكبيرة إلى الجنوب وكذلك مع وادي قرماء^(٢) على بعد ميلين ناحية الشمال الذي ينحدر أيضاً من المناطق العالية لسفوح قرماء. يصب في هذا الوادي سيول منتظمة بالتأكيد، وظهر تأثيرها بوجود تلك المساحات الواسعة المزروعة بالقطن حول قرية العقدة إلى جانب محاصيل ممتازة للدخن، دون ذكر شيء عن غابة القصب والطرفاء حول المجاري الفعلية، كانت في أولها مزارع مزدهرة للذرة وبعض حقول السمسم. يقع المجرى الرئيس بين جانبيين على ارتفاع عشرة أقدام من الرمال، غير أن المزارع فيما يليه أصبحت خفيفة حول قرية خربة وأفسحت المجال إلى غابة طلع خفيفة. ظهر القطن مرة أخرى فيما يلي الغابة في مزارع صغيرة جذابة حول قرية عقبين المنتشرة.

(١) قرية الشعيرة: تسمى أيضاً (قرية الحرف)، وهي قرية لبني شهاب الشامي لبلدة دوقة. (ابن جريس).

(٢) وادي قرماء: هو واد صغير بالنسبة إلى ما يجاوره من أودية، فهو قصير المدى، تنظر إلى مسائله من الساحل. (ابن جريس).

كنا لا نزال داخل أراضي الرواشد، وكان في إحدى قرأها مقر الشيخ الرئيس واسمه عبدالرحمن. كان بحكم المنصب رئيساً للسوق المحلي في المضيلف - وتسمى أيضاً سوق الأحد أو سوق قرماء على اسم الوادي الذي يليها. كان اليوم هو يوم الأحد، وعليه توقفنا قليلاً هنا لإلقاء التحية على الشيخ ولرؤية السوق إبان نشاطه. لم يكن أياً من التجريبتين مبهجاً، وذلك لأن الشيخ كان يحصر في أوقات فراغه أرباحه في المبيعات التي جرت أثناء اليوم، بينما بدأ السوق يضمحل ليسمح للبايعين والمشتريين بالعودة إلى قرأهم الصغيرة لأداء صلاة المغرب. كانت الساعة تشير إلى الخامسة مساءً حينما وصلنا إلى هذا الموقع، ولم يبق في السوق شيء، غير قليل من الضأن ينتظر به لحظة البيع الأخيرة، غير أنني قد علمت أن الدخن بنوعيه قد عرض للبيع في السوق بمقابل (٥, ٥) أصوع للريال الواحد - أي (٤٥) رطلاً مقابل سدس من نقودنا.

لم يصر الشيخ على بقائنا بعض الوقت ليقوم نحونا بما نعلمه عليه الكرم والضيافة، وواصلنا سيرنا إلى المعسكر في وادي قرماء. مررنا بقري شنانيع المبعثرة وتقع قرية بحرة إلى الخلف على يميننا، وفعلياً داخل الوادي أو على جانبه الأيسر. كانت هنالك حقول عديدة مزدهرة في كل هذه المنطقة مع الكثير من الذرة، وكانت بلاداً لطيفة كما يتمناها المرء. وصلنا وادي قرماء بعد غروب الشمس، لنعسكر فوق حاجز عريض من الرمل يطل على حقل قطن كبير. لم تصل قافلة الأمتعة إلّا بعد ساعتين. استرحت في هذه الأثناء وقد هجمت عليّ فورة من الحمى خفيفة، وقد تخلصت منها عند الساعة التاسعة مساءً بما فيه الكفاية لأستمع ببعض طعام العشاء، عمدت بعد ذلك لدراسة الفلك، ولبعض القراءة. ثبت لي أن القراءة مستحيلة. لقد أحاطت مئات الحشرات بمصباحي وكان عليّ أن أقوم

بإطفائه في نهاية الأمر، لأريح نفسي من هذا الإزعاج. كانت كل مسيرتنا من القنفذة ملوثة بأسراب الذباب الصغير، ومررنا بالتجربة نفسها في اليوم التالي، غير أنها لم تكن ضارة لإنسان أو حيوان، فقط إزعاج ثانوي.

وجدت كل شيء مبتلاً في الصباح بسبب الندى، كما كان اليوم ذا سحب وعملاً، غير أن الرؤية كانت أفضل وقد تمكنت من رؤية سلسلة الجبال الرئيسة من المعسكر، قبل بداية السير، وقد بدت أكثر قرباً لنا مما سبق. لقد تمكنت من أن أضم إلى خدمتي خدمات أحد المرشدين، وذلك باستغلال مقابلي للشيخ عبدالرحمن في المضيف^(١)، من بين مواطني قبيلة بني زيد المحليين (الرواشد)^(٢) وقد كان أكثر علماء من مرشدي الذي رافقني من القنفذة، الذي أصبح جاهلاً بكل شيء بمجرد أن خرجنا من منطقة بلاده، لقد طردته، وقد بذلت قافلة الأمتعة جهودها لتتحرك عند الساعة الرابعة صباحاً. وقد كان رفاقي قلقين للوصول إلى مكة في الوقت المناسب للحج. وجدت علي بن أحمد ومعه الحمير في وادي قرماء ذلك الصباح، وامتطيناها عند الساعة الثامنة صباحاً وتحركنا في متابعة قافلة الأمتعة. تمكنا من إدراك قافلة الأمتعة عند الساعة الثانية ظهراً، وقد كانت تسير في اتزان مدة عشر ساعات، وأعتقد أنهم غطوا مسافة أربعة وعشرين ميلاً. استغرقت المسافة بالنسبة لي ومرشدي ست ساعات، بما في ذلك التوقفات للملاحظات، لنغطي المسافة نفسها، وهذا يعطي حميرنا سرعة سير تقدر بـ (٥، ٤)

(١) اسم المضيف: يكتب ويلفظ أحياناً بهذه الطريقة، وأحياناً أخرى يكتب ويلفظ باسم (المضيف). (ابن جريس).

(٢) الرواشد: ومفردهم راشدي، وهم فرع من قبيلة زيد الحربية، ويسكنون منطقة ناوان قرب المضيف، غرب الطريق الساحلي. (ابن جريس).

أميال ونصف الميل في الساعة. لقد جمعت من علي معلومات مفيدة إلى جانب تسجيل معالم الجوار، وذلك قبل مغادرتنا للمعسكر.

إن قرماء -منبع وادي قرماء- هي كتلة صخرية ضخمة في التلال العالية على الجانب القريب من السلسلة الرئيسية التي يمكن رؤية خطها العام وسماتها البارزة بالرغم من أن علياً لم يستطع تعريف هذه السمات، غير أنه أعطاني فكرة جيدة عن المقاطعات القبلية التي تقع فيها. ينتمي الجزء الأسفل (تهامة) من السلسلة الذي يتألف من قرماء عند طرفها الجنوبي، ونخرة عند نهايتها الشمالية، إلى جانب سمات بارزة أخرى مثل مسيلة وربعة في الوسط، بكاملها إلى عناصر متباينة من قبيلة زهران^(١)، التي يقع مركزها في السلسلة الرئيسية إلى شمال قبيلتي بللسمر وبللحمر^(١).

كنت قد رأيت هذه المقاطعات القبلية الأخيرة وهي تمتد شمالاً من ممر شعار الذي يصعد طريقه طريقي القنفذة والقحمة اللذين يلتقيان في محایل، إلى الجرف الرئيس في الطريق إلى أبها. تزعم القبيلتان أنهما مستقلتان عن أي قبيلة أخرى، على الرغم من أن احتمال كونهما فرعين ثانويين لقبيلة زهران أمر وارد. إن قرماء نفسها أرض تابعة لقبيلة حرب، وتنتمي إلى بني زبيد، غير أن الدحو، وهي القمة التالية إلى الشمال، تتبع لآل فلاح قسم بللسمر^(٢). نجد آل حسن (زهران) إلى

(١) هذه المعلومات غير صحيحة؛ لأن بلاد زهران تبعد إلى الشمال من بلاد بللحمر وبللسمر بحوالي (٣٠٠) كيل، وتوجد بينها عدد من القبائل الكبار مثل: (من الشمال إلى الجنوب) غامد، وشمرا، وخنعم، وبلقرن، وبنو عمرو، وبنو شهر، وكل واحدة من هذه البائل تساوي قبيلة زهران أو بللحمر أو بللسمر في المساحة وعدد السكان. (ابن جريس).

(٢) آل فلاح: يتبعون لقبائل زهران وليس بللسمر كما ذكر فيليبي. (ابن جريس).

الشمال من الدحو، وداخل المرتفعات السفلى، عند مسيدة ونجد كلاً من آل سويدي وبدين بالتتابع على نخرة وربعة وكلاهما تحت قسم لبني سليم، الذين يكونون قسماً آخر من قبيلة زهران^(١). لا أستطيع تعريف موقع شضعة بالتحديد المؤكد، بالرغم من أنه قد أشير لي ناحيتها أكثر من مرة، وأعتقد أنها تل مزدوج القمة إلى الشمال من قرماء وقريب من السلسلة الرئيسة، إلا إذا كانت قمة عالية إلى البعيد ناحية الشمال، والتي ذكر لي علي أن اسمها حضا، والتي توجد قرية كبيرة على سفحها تسمى الهجرة. لا بد أن تكون هذه القرية قريبة جداً من السلسلة الرئيسة إن لم تكن كتفاً فعلياً لها.

امتطينا حميرنا، بعد أن قمنا بدراسة الجغرافيا المحلية، وسرنا عبر حقول القطن التي وجدت في بعضها خليطاً مع الذرة. تقع أرض رملية متموجة فيما يلي الحقول مع بعض المساحات للذرة، زرعت على احتمال سقوط المطر وحواجز من حين لآخر من كثبان منخفضة تعترض طريقنا. عبرنا في وسطها -وهي تمتد مسافة ثلاثة أميال شمالاً وجنوباً- منخفضةً يسمى خبت الدوايا وبه انتشرت شجيرات القضب وأشجار العلب، غير أننا لم نجد أثراً للمجرى صرف، حتى وصلنا إلى ربوات لطيفة مكسوة بالعشب تمتد إلى حافة وادي دوقة الجيد الأشجار. مررنا في خبت بثقوب سراجع المائة وسط مجموعة من أشجار الطلح عند موقع يتفرع فيه طريق جانبي شمالاً من الطريق الرئيس ليقود إلى أرض بني صحاف^(٢) (بني زبيد)

(١) هنا خلط شديد في تدوين المعلومات، ونسبة بعض القبائل إلى غير أنسابها، ومواطنها الرئيسة، وأعتقد أن فيليبي اعتمد على بعض مشاهداته في تدوين هذه المعلومات، أو أنه أخذها من راوية جاهل لا يدرك ولا يعرف الخطوط الرئيسة لمواقع وأنساب هذه البلاد التي يتحدث عنها فيليبي. (ابن جريس).

(٢) بني صحاف: هم فرع من قبائل بني زبيد، وهذا الاسم الصحيح لهم، مع أن فيليبي ذكرهم باسم (بني صحاب). (ابن جريس).

عند رأس وادي دوقة، الذي ينحدر من ممر داخل الجرف الرئيس يقود إلى مقاطعة ضافر. كان البحر مرئياً لنا على فترات إلى اليسار على مسافة تقدر بميلين، وليست قرية أبو حنش (الرواشد) الصغيرة ببعيدة منه. تقع قرية مشرف الكبيرة إلى الشمال عن فم دوقة ويسكنها آل أمشيخ^(١) التابعون لبني صحاف أو على أكثر الاحتمالات فهم فروع من القسم القبلي الرئيس الذي يبدو أنه يمتلك الوادي كله. تفصل سلسلة منخفضة من الروابي أراضي القسمين، بينما يقع فيما يلي سلسلة ثنية المشابهة وادي دوقة نفسه^(٢). احتوت كل هذه البلاد على مساحات تحت الزراعة وتعتمد في ذلك على الأمطار بالرغم من أنها قد تمت زراعتها فوق أرض قد تلقت مياه السيول. لا يحرق مثل هذه المساحات إنما تعزق فقط بعمود طوله ثمانية أقدام أو ستة أقدام، ملحق به لسان ضيق من الحديد.

كانت مياه السيول لا تزال جارية في وادي دوقة على هيئة جدول ضحل عرضه عشر ياردات على امتداد الجانب الرملي الأيسر، وتوقفنا هنا قليلاً لنسمح للحمير المجهد بالشرب ولنفحص الموقع. يحتضن المجرى الفيضي الثاني الجانب الأيمن للوادي. كان بطنه مبللاً أيضاً إلا أن الماء توقف عن الانسياب فوقه، وأصبح على هيئة برك متقطعة عاطلة على امتداد مجراه. تفصل المجرين مسافة رملية عريضة ومقطعة إلى جزر بقوة السيول وتكسوها في بعض الأجزاء أشجار الطرفاء جيدة النمو.

(١) آل أمشيخ: يطلق عليه أيضاً اسم (آل الشيخ) وهي أسماء صحيحة. (ابن جريس).

(٢) وادي دوقة: يأخذ مساقط مياهه من سرورات بلاد زهران، وترفده العديد من الأودية الصغار، وتقع عليه قرية دوقة، التي أصبحت مشهورة أكثر من الوادي، فالناس هناك لا يقولون (وادي دوقة) وإنما يقولون (دوقة، أو، بلدة دوقة، أو، قرية دوقه) وهكذا. للمزيد، انظر: عاتق البلداي. بين مكة واليمن، ص

تقع قرية شناصره وذوي حرض على مسافة نصف ميل مع اتجاه الوادي من موقعنا وعلى الجانبين، بينما تقع بئر حميضة المهمة على مسافة ميلين أمامنا وعلى مسافة إلى الشرق من الطريق، وهي تغذي مساحة كبيرة، إضافة إلى القطعان والأسراب، بالماء في الأوقات العادية. يتخلل حزام من بلاد شبيهة بالمروج ومعشبة حقول الدخن العفوية التي تعترض بين وادي دوقه وأرض واسعة شبيهة بالمتزه يكسوها الأثل والطرفاء، كل هذا كان فوق منطقة الدلتا ويهيئ مرعى ضخماً لقطيع كبير من الأبقار الصغيرة ذات الظهر المحمر اللون وترافقها طيور بلشون البقر مشرفة عليها. أقام تاجر حضرمي كشكاً على جانب الطريق في وسط مجموعة من أشجار الطرفاء للاستفادة من حركة الحجاج، غير أنه لم يكن في مقره حين مررنا بالكشك وذلك لأنه، قد بقيت أيام قليلة على الحج، فإن مرور الحجاج قد أصبح ضعيفاً. ولمحت امرأة من بين الراعيات وهي تقف محدقة أثناء مرورنا. كانت متنقبة، وكان غطاء رأسها عبارة عن مقلاة حديدية، لا بد أنها كانت تستخدمها لحلب الماشية عندما تحتاج لذلك. كشفت كل هذه البلاد عن آثار سيل حديث، ولقد لاحظنا على المجرى الضيق الذي تعترضه كثرة الأعواد والمخلفات التي حملها السيل وألقاها على الجانبين إلى مسافة معتبرة.

ارتفعنا قليلاً فيما يلي هذه الدلتا إلى سهل رملي يكسوه نبات الطفوان النجيلي وتنتشر فيه بعض أشجار الطلح. اندمج هذا مع ما بدا وكأنه مرعى سهوب ويسمى قرا بني صحاف وهي أرض مراع عظيمة، ذات غابة من الطلح والأراك. أمكننا رؤية جزيرة جبل الملح الكبيرة إلى البعيد على يسارنا - أو جبل المساعيد- ويفصلهما عن الساحل الفعلي مجرى عريض. توقفنا بعد فترة لأجل تناول وجبة الغداء فوق سلسلة متعارضة تفصل قرا بني صحاف عن سهل ممائل

يسمى حيثار ويكوّن الحدود الإدارية بين محافظتي الليث والقنفذة.

تقع قرية الخيرة الصغيرة على النهاية المواجهة للبحر لهذه السلسلة على بعد ميل ونصف الميل، وهي قرية للصيد ولكنها تقوم أيضاً ببعض الزراعة العفوية في وسط مراعي حيثار، والتي كانت تنتشر فيها معسكرات بائسة لبدو بلا خيام. كانت قطعان الضأن والجمال ترعى في كل مكان. تسقى هذه القطعان عادة من بئر حميضة غير أنها وجدت الماء في كل مكان هذا الموسم بين وادي دوقة والشعب اليماني^(١)، وهو الوادي التالي ذو الحجم المعتبر الذي يقع في طريقنا. يقع خطان للصرف بيننا وبين وادي الشعب اليماني ولهما أهمية محلية. يقع أولهما عند نهاية سهل حيثار إلى الشمال ويسمى وادي الأغر ويحتله بنو حسن من قبيلة الأشراف، الذين كنا قد رأينا قطعانهم ترعى في مراعي حيثار. تسيطر هذه القبيلة -بحق- على كل الساحل لمحافظة الليث والأودية التي تخترقه. ينحدر وادي الأعز من سلسلة نخرة والتي عند فحصها عن قرب بدت لي وكأنها من تكوين جرانيتي، وفي هذه الحالة، فمن المحتمل أن الجرانيت يستمر جنوباً إلى كل من مصيدة وقرماء. لم يكن الوادي نفسه سوى منخفض ضحل، تنمو عليه الشجيرات بكثافة غير أنه ليس به مجرى فيض واضح ولا يبدو عليه أنه تلقى أي مياه قريباً، سواء كان سيلاً أو أمطاراً.

(١) واديان يسمى أحدهما الشعب اليماني، والآخر الشعب الشامي. وهذا هو الاسم الصحيح لهذين الواديين، مع أن فيليبي ذكرهما باسم (الشقة اليمانية والشقة الشامية) وهذا اسم غير صحيح، لهذا التزمنا في المتن بالاسم الصحيح وبدّلنا ما ذكر فيليبي في هذه الصفحة والصفحة التالية. للمزيد انظر: البلادي. بين مكة واليمن، ص ٦٩. (ابن جريس).

تمتد إلى ما يلي هذه أراضي براري بلا سمات واضحة مكسوة بحشائش صحراوية، إلى حافة أرض مشابهة يخترقها منخفض لسلم الصمدان. بدت الأرض وكأنها حقل شعير ضخمة وبلا شك، فهي تمهد لمراعي عظيمة خاصة في المواسم الملائمة مثل موسم هذا الربيع. تلالآت كل البلاد بلمعان اللون الأخضر المصفر، للنباتات التي تتحرك كالأمواج إلى أميال بعيدة مع لمسات خفيفة للهواء، وكانت طيور العوسق وطيور الهار الشاحبة وصقور أخرى في نشاط دائم تطارد فرائسها من جراد وفئران الصحراء وغير ذلك. لا يشتق اسم هذه الأرض الواسعة من اسم لوادٍ - لأنه لا يوجد وادٍ - ولكن من اسم غابة ضخمة للسلم، وهي واحدة من أميز سميتها البارزتين. كانت السمة الثانية هي أرض السبخة، وتسمى سراجية تُفْتَح على الساحل من جبهة عرضها ميل واحد في مقابل جزيرة كبيرة تسمى جبل الملح وعدد من الجزر الصغيرة إلى الشمال والتي تحمي هذا الجانب من الساحل من أسوأ الطقوس. تقع قرية نخلة الصغيرة على الجانب الجنوبي من السبخة ويسكنها أناس يقومون بصناعة الملح المحلية. ينتج الملح في العديد من الأحواض الضحلة التي تبخر فيها مياه البحر. ويوجد في نخلة مركز خفر سواحل، ربما للتأكد من أن الملح لن يصدر قبل تسديد الرسوم.

وصلنا إلى أرض من كثبان رملية متدرجة فيما يلي سلم الصمدان، يغطيها نبات العلقاء على السفوح ونبات الثمام في المنخفضات. يتحلل هذا تدريجياً إلى سهل رملي به كتل من نبات الثمام، وقد انتشرت فيه أشجار السلم. كانت هنالك مساحة واسعة تجاه البحر إلا أنها منقطعة، تروى بمياه الأمطار، وتسمى شبرا ولعلها تعلم بداية دلتا الشعب اليماني، التي وصلناها بعد الغروب بقليل، بعد أن مررنا بقرية الحمرة الصغيرة عند طرف المنطقة المزروعة وقرية جداً من البحر.

عسكرنا لقضاء الليلة، بعد أن عبرنا المجرى إلى الجانب الأيمن، بجوار بئر حمدانة، التي وقفت بجوارها عشتان لتاجر حضرمي آخر يحاول أن يزيد من دخله العادي بالاهتمام بحاجات الحجاج العابرين. كان بدوره غائباً - للأسف - ولعله في إجازة مع أسرته في الليث أو القنفذة، وترك ممتلكاته وراءه تحت عناية المحافظة^(١). سيعود في الوقت المناسب لخدمة الحجاج العائدين بعد أداء الفريضة في خلال عشرة أيام أو قريباً من ذلك. كانت بئر حمدانه، التي تبعد حوالي خمسين ياردة من الطريق، معطلة، حيث طغى عليه الركام والأوساخ التي جلبها السيل ولا علم لي إذا كان حديثاً هذا أم قديماً. كانت الليلة شنيعة للمرة الثانية بسبب أسراب الحشرات التي ربما أدت إلى الظهور المفاجئ لطائر البوم البني الذي لمحتة على مدى انتشار ضوء مصباحي. كنت أسمعه ينبغ طيلة الليل حتى غلبني النوم، ولعله يعشعش في الجوار.

يكون كل من الشعب اليماني والشعب الشامي^(٢) معاً أرضاً تسمى الشواق. كان كلاهما شريان صرف مهم، يهبطان من جرف الحجاز الرئيس ينحدر أولهما من بلاد زهران والآخر من عند بلاد بني مالك إلى الشمال أكثر. يتباعد مجراهما عند اقترابهما من البحر مسافة ميلين، غير أن منبعيهما يتباعدان مسافة خمسين ميلاً. ينحدر الشعب اليماني عبر سلسلة التلال إلى الشمال من سلسلة نخرة، بينما يمر الشعب الشامي خلال انحداره بتتوء بريم، الذي تقع تحته أو بجواره قرية

(١) في القديم يكثر مثل هذا النوع من التجار الذين كانوا يقفون على الطرقات لخدمة الحجاج، أما اليوم

فأصبحت معظم الطرقات تشمل على الخدمات الضرورية للمسافرين بوجه عام. (ابن جريس).

(٢) الشعب اليماني والشعب الشامي اللذان هما عبارة عن وادين حول قرية الشواق، ربما يطلق عليه أيضاً

(الشاقاتان اليمانية والشامية) وبخاصة إذا قصد بذلك (قرية الشواق) أو (قرية الصهوة) كما كانت تعرف

قديماً. انظر: البلادي، بين مكة واليمن، ص ٦٥. (ابن جريس).

ابن عساف وهي مركز خارجي للأشراف. تقع قرية الصفصفا بالقرب من ذيل الشعب اليماني وعلى جانبها الأيمن على مسافة نصف ميل أسفل معسكرنا غير أنه لا يوجد دليل لنشاط غير الزراعة العفوية في هذه المنطقة. كان الوادي قد فاض حديثاً ذلك لأن بطنه الرملي كان رطباً في بعض أجزائه وكذلك قاع الجانبين الطمويين المرتفعين إلى خمسة أقدام. يبدو أن مسار السيل الرئيس كان على الجانب الشاطئ الأيمن. ووقف تل جبل عمر إلى البعيد ناحية الشمال في بروز، وفيما عدا ذلك فإن المنظر بصفة عامة كان مماثلاً لما قد شاهدناه طيلة اليوم. لم نستطع رؤية البحر، أو جزره الخارجية من المعسكر، غير أن الساحل لم يكن أبعد من ميل واحد.

انبثق فجر اليوم الخامس من ذي الحجة ونحن في هذا الموقع، وبقي على الحج أربعة أيام وطريق طويل ينتظرنا أن نقطعه، غير أن جمال العفش المرهقة وصلت متأخرة ليلة أمس، مما يؤكد عدم احتمال بداية مبكرة للسفر. تحركنا تبعاً لذلك -كلنا معاً- بعد الساعة الثامنة صباحاً -بقليل- وسرعان ما تقدمت ومعني علي على بقية الرفاق. كانت البلاد فيما يلي الوادي بلاد كئبان رملية وبها الكثير من الأراك والتي تجول فيها طريقنا على غير هدى ولم نتحرك بعيداً حتى اكتشفت أن أعواد الكبريت الروسية الصنع^(١) التي اشتريتها في القنفذة أصابها بلل الندى أثناء الليل ولم تعد تشعل غليونني. قررت تبعاً لهذا أن أتوقف وأن أرسل علي - على وجه السرعة- لإحضار أعواد الكبريت الجافة. تجولت في هذه الأثناء أراقب الطيور وقد وجدت قرية لطبور الدراسة الأرطولونية، ولعلها وصلت للتو في

(١) لا يستغرب أن تكون أعواد الكبريت الروسية في القنفذة في منتصف القرن الهجري الماضي، بل كان يرد إليها معظم سلع العالم آنذاك؛ لأنها كانت من المواني الهامة الرئيسة في الجزيرة العربية. (ابن جريس).

هجرتها وهي بين أشجار الأراك. كانت طيور الغداف الصحراوية متوافرة أيضاً، أما غير هذا فلا تبدو للمكان حياة. دخلنا فيما يلي مجرى عميقاً وضيقاً للفيضان إلى أرض النفود النظامية، ذات الكثبان العالية التي تغطيها النباتات الصحراوية ونبات زاحف يشبه نبات الغلفى الطفيلي الذي وجدناه في جنوب تهامة، تسمى هذه المقاطعة الحواتم وتكون مدخلاً للشعب الشامي، الذي وصلناه بعد أن عبرنا مسافة نصف ميل من قرية الشرقية على يسارنا.

لم يكن هنالك ما يثير في شقة الشامية والتي تسمى أيضاً وادي الحواتم أو شعب الشراقية. يقع مجراها الرملي الفيضي بين جانين من الطمي ارتفاعهما خمسة أقدام، ولم أر أثراً لسيل حديث فيه. دخلنا إلى أرض على الجانب البعيد لحقول الدخن، تنتشر فيها نباتات القطن وتمتد حتى قرية عمران الصغيرة التي تقوم مقام العاصمة لهذه المنطقة التي تتكون من حوالي اثنتي عشرة عشة بائسة متناثرة على الجانب الشرقي للطريق، وتقع بئر حشيف على بعد ميل واحد ناحية الشرق. لم يكن هنالك شيء يبرر تأخرنا هنا، وعليه فقد واصلنا سيرنا فوق أرض متدحرجة رملية، كان سير الحمير فوقها صعباً والتي تقع فيها وعلى بعد ميل واحد إلى يميننا قرية أم البساس الصغيرة أو بسيسية. كما تقع على يسارنا قرية مشابهة تسمى حديثة، كما كان علينا عبور مجرى أو مجريين وقد انتشرت حولهما مزارع دخن عشوائية، قبل أن نمر إلى داخل غابة واسعة من شجيرات السواد المنخفضة. استمرت هذه الغابة بعض المسافة، وبها مجارٍ عديدة ثانوية، تعترض طريقنا وبعض المساحات المكشوفة للزراعة على فترات زمنية مختلفة. كان كل هذا جزء من دلتا شقة الشامية المنتشرة، التي كنا قد عبرناها عند بئر قديمة مهجورة بلا اسم وقد وقف إلى جوارها متجر على جانب الطريق، فارغ كما كان حال المتاجر التي مررنا بها من قبل.

دخلنا الآن إلى منطقة تسمى خبت نجيع، تغطي غابة السواد جزءاً منها والجزء الآخر صحراء تنمو فيها كتل من نبات الثمام. سرنا فوق ممر كالبهو عبر الغابة شقة الإنسان، وقد تكاثفت الغابة أثناء اختراقنا لها. أدى ظهور بعض الكثبان الرملية إلى تخفيف كآبة المنظر، غير أن السفر كان لطيفاً وقد هب نسيم بارد وكانت السماء خفيفة السحب. ازدادت سرعة النسيم تدريجياً وبدأ يدفع بالرمال مما أدى إلى تكوين ضباب خفيف وقد تكاثف ليحجب الرؤيا عند الظهر خاصة للأشياء البعيدة. وصلنا إلى ما يقدر عدده بست آبار في نجيع على حافة غابة طلع صغيرة، ووقفنا قليلاً لإلقاء التحية على رجل طاعن في السن، شرس المنظر، وقد كان في صحبته امرأة طاعنة في السن، وابنته الجذابة وعمرها ثمانية عشر عاماً، يقومون بسقي أبقار أسرتهم، يصل عمق الماء إلى ثلاث قامات في آبار غير مبطنة تم حفرها عبر الرمل الطموي إلى طبقة الحصى السفلية، ويغطي فمه إطار خشبي للوقاية. كان هؤلاء القوم على الرغم من فقرهم من الأشراف، من أكثر الأسر نبلاً في الجزيرة العربية، وكانت السيدات يلبسن ثياباً فضفاضة طويلة، والتي بدت لا تتناسب مع ما يؤديه من أعمال، إلى جانب ارتدائهن للخمار. لا يستطع المرء أن يرى منهن غير العيون.

أدركنا ونحن نسير فوق الصحراء المعشبة، وعلى مسافة فيما يلي هذه الآبار، قطعاناً قليلة من الخرفان والتيوس تقاد في اتجاه مكة لأجل شعائر الحج^(١). كانت عظام الفك والأفخاذ لأحد الجمال الميتة تنصب في الطريق كعلامة تدل الحجاج

(١) كانت بلاد تهامة والسراة الواقعة إلى جنوب مكة المكرمة، من أكثر البلدان التي تصدر إلى أهل مكة المواشي والحبوب بأنواعها، وقد أكدت على ذلك العديد من المصادر والمراجع المبكرة والمتأخرة. للمزيد انظر: غيثان بن جريس. دراسات في تاريخ تهامة السراة، ج١، ص ٣٧٥ وما بعدها. (ابن جريس).

على طريقهم. وذلك على فترات في هذه المنطقة التي تقوم فيها الرمال بإزالة معالم الطريق. يمكن للمرء أن يرى هذه العظام على بعد تلمع فيه بيضاء مع ضوء الشمس. هبط طريقنا الآن، ثم صعد، إلى خارج المنخفض الذي يبلغ عرضه ميلاً واحداً والذي يسمى الوسقة^(١) وفي مركزه حزام سبخة عريض، والذي يبدو وكأنه بطن خليج صغير بدلاً من بطن واد، وقد حفته على الجانبين مساحات مطعمة بشجيرات الجرم الخفيضة. كانت توجد فيه أيضاً مجموعات من أشجار التنضب، وكان من بين الطيور التي شاهدها، البلشون وطيائر الصرد وطيائر الأبلق وطيائر الحشنة. كما شاهدت عدداً من الصقور تحلق عالية فوق رؤوسنا في أكثر من موقع كما كانت طيور القطة المرقطة متوافرة.

واصلت الصحراء امتدادها فيما يلي المنخفض، وعلى يميننا شريط طويل من كثبان رملية تجري موازيةً لطريقنا على امتداد الساحل على مسافة ميل ونصف الميل، ويبدو أنها تفصل السبخة عن الساحل. يسمى هذا القفر خبت حبة وينفصل بواسطة منخفض سبخة غليظ العريضة عن غابة مدرج. يعترض السبخة خط صرف يجري إلى السلسلة الرملية الساحلية التي ورد ذكرها وينتشر شمالاً وجنوباً على امتداد جانبها الأرضي الداخلي على هيئة شريط طويل عريض. نستطيع رؤية ظلال التلال حول الليث إلى البعيد فيما يلي أرض مدرج الخضراء وعبر الضباب المتزايد. توجد بركة مياه أمطار كبيرة في حوض السبخة، غير أننا كنا سعداء جداً بالخروج من منطقة غليظ إلى غابة السواد الكثيفة التابعة لمدرج.

(١) الوسقة: يطلق عليها في العصور الإسلامية المبكرة والوسيطه اسم (البزواء) وهي التي يقول فيها أبو دهب الجمحي.

وجازت على البزواء والليل كاسراً جناحيه بالبزواء ورداً وأدهما

انظر: البلادي، بين مكة واليمن، ص ٥٤. (ابن جريس).

كانت هنالك بعض المساحات العشوائية المعدّة لزراعة الدخن غير أن أهم سمة في هذه الأرض هي سلسلة الكثبان الرملية الشبيهة بالنفود التي تنحني في بعض المناطق إلى تجايف، تذكرني بتكوينات حدوة الحصان^(١) في الربع الخالي ومناطق أخرى من صحراء الجزيرة العربية الحقيقية.

لاحظنا أثناء سيرنا باستعجال سرباً من طائر الزقراق، أما غير هذا فقد كان المنظر العام لغابة السواد مملاً ما عدا ظهور عشة من الأعواد من حين لآخر على حافة أرض زراعية غير قائمة. كانت الزراعة بصفة عامة فقيرة على الرغم من أنني قد شاهدت بعض حقول الدخن الجيدة. اختلفت كثافة الغابة من موقع لآخر. إلا أن ممرنا قد اخترق مواقع في الغابة ترتفع أسوارها إلى اثني عشر قدماً وقد تعرج بداخلها، ولم يكن أماننا ما يمكن رؤيته غير الطريق. وصلنا في أحد المواقع إلى عدد من الثقوب المائية ويطلق عليها اسم رشيف في مساحة مكشوفة داخل الغابة، التي بدأت تخف فيما يلي ذلك في اتجاهها ناحية مجموعة أخرى من الثقوب المائية يطلق عليها اسم حصرة، على بعد نصف ميل إلى يمين الطريق في منطقة مكشوفة بالقرب من سلسلة رملية. يطلق الأهالي المحليون اسم حمض على السواد. استمرت الغابة في تخفيف كثافتها إلا أننا لا نزال بعيدين تماماً عن نهايتها، وقد أصابنا الملل برتابة السفر خلالها، لذلك قررت أن نتوقف مدة نصف الساعة فوق ربوة رملية تظللها شجيرة سواد ضخمة عن أشعة شمس الظهرية. أزعج وجودنا هنا طائر كروان كما شاهدت عدداً كبيراً من الحمام طويل الذيل وهو يطوف حول حقول الدخن المحتضرة لالتقاط الحبوب الساقطة. كما أمكننا رؤية البحر على

(١) حدوة الحصان: أي نعل الحصان التي توضع في رجليه كي تقيه الأذى أثناء السير. (ابن جريس).

مسافة ميل ونصف الميل إلى الجنوب من موقعنا، بينما كان يقع شمالنا نخيل غميقة^(١) في المناطق العليا من وادي الليث.

كان سبب توقفنا هو التعب إلى جانب الملل من رتابة السير. لقد كنت مرهقاً بحق، إلا أن فترة راحة قصيرة أعادت لي نشاطي لبذل مجهود آخر، وقد لحقت برفاقي عند الساعة الخامسة مساءً، الذين كانوا جادين في سيرهم للوصول إلى الليث نفسها. كانت الغابة أكثر انكشافاً الآن وكان بها الكثير من عشب الثمام وتوزع السواد فوق سطحها الرملي المتموج. كانت هنالك مساحة كبيرة مزروعة بالقطن على يميننا، كما كانت الرمال في بعض الأجزاء مختلطة بالظمي وقد تشبعت الأرض بآثار لمياه السيول. بدأت مساحات من مزارع الدخن تظهر على الجانبين، وكان من الواضح أن الغابة تمر بمرحلة تحوُّل. ينعكس هذا التحول في الاسم المحلي إذ يطلق على هذا الشريط الشمالي للغابة اسم مجيشة، وقد توصلت إلى الاستنتاج في وقت لاحق أن هذه الغابة كانت جزءاً خارجياً ولكن من صميم دلتا الليث، وتنفصل عن بقية الدلتا بحزام من كثبان رملية يكسوها نبات السواد. أدركتنا قافلة العفش في هذا الموقع عند غروب الشمس، ثم أقمنا معسكرنا بعد عشرين دقيقة لاحقه على الجانب البعيد من الرمال فوق ربوة ينمو عليها نبات تباع الشمس البري^(٢) (أزهاره بيضاء) وتطل على بعض المساحات المزروعة بالدخن حول ثقب الماء في مجابر والعشش القليلة التي تكون القرية الصغيرة. توجد ربوة أخرى صغيرة على يمين الطريق أمامنا تنمو عليها أجمة كثيفة

(١) غميقة: عبارة عن قرية كبيرة على وادي الليث، تكثر فيها ومن حولها أشجار النخيل والأراك، وهذا ما يجعل المكان ذا خضرة دائمة جميلة. (ابن جريس).

(٢) يعرف هذا النبات محلياً بعباد الشمس، ولعل الاسم الصحيح هو تباع الشمس. (ابن جريس).

لنبات التنضب وتسمى تنضبات القرامطة. يبدو أن هذه الأجمة تعلم الطرف الفعلي لغابة مدرج وملحقها مجيشة، وذلك لأنهما معاً يحتويان على حقول الدخن الواسعة الانتشار في منطقة الدلتا الحقيقية. يقع الميناء البحري لليث على بعد ميلين أو أكثر ويتميز ببناء الجمرک الأبيض اللون، وهو يقف بارزاً عند طرفها الغربي على لسان يبرز من البحر.

ناقشنا الخطط بعد تناولنا لعشاء اقتصادي. تبعد الليث عنا مسافة خمسة أميال، ومئة ميل عن الطريق إلى جدة، وعلى المسافة نفسها من مكة على طريق الحاج المباشر على وادي يلملم^(١). بقي أمامنا يومان كاملان، ولدى الضرورة، نصف يوم آخر لتغطية هذه المسافة، كما نعرف أنه لا بد لنا من أن نتأخر في الليث للاستمتاع بضيافة الحاكم وللحصول على حيوانات مواصلات جديدة بدلاً من تلك التي أوصلتنا من القنفذة. قررنا أن نسلك الطريق المباشر إلى مكة على أساس القناعة التامة بأننا مع حظ مواتٍ لنا سنغطي المسافة في الوقت المناسب. غطى ضباب رملي كثيف في ساعات الصباح كل المنطقة من حولنا، وبدأنا الرحلة الساعة الثامنة صباحاً. دخلنا المنطقة المزروعة للدلتا خلال عشر دقائق، وجرى طريقنا الواسع خلال حقول دخن متموجة كانت أكواظها قد ارتفعت إلى مستوى رؤوسنا ونحن نقود الحمير عبر الحقول. لا نستطيع إلاً رؤية اليسير القصير من الطريق، يحدد ذلك انحناءاته إلى مسافة مئة ياردة في كل مرة. ثم مررنا عبر قرية صغيرة، ثم ظهر أمامنا، بما لا يمكن أن يتصوره المرء من غرابة وما هو غير متوقع

(١) وادي يلملم: واد فصل من أودية الحجاز التهامية، يأخذ أعلى مساقط مياهه من شفاء بني سفيان على مقربة (٣٠) كياً جنوب غرب الطائف، ثم يندفع غرباً في انحدار عميق، فيمر بالسعدية ميقات أهل اليمن على الطريق التهامي، ثم يصب في البحر الأحمر جنوب جدة. (ابن جريس).

في مثل هذا الجوار. كانت أمامنا عربة ركاب أجرة ضخمة. كان البساط السحري أقل ترحيباً منها، وفي لحظات كنا نتبادل التحايا والأخبار مع اثنين من راكبيها: السائق ورسول عن أمير الليث. كان هذا بأمر الملك نفسه، أن ترسل إلينا السيارة من جدة لتستقبلنا، حتى نصل في الوقت المناسب للحج.

لم يستغرق نقل عفشنا الضروري وقتاً كثيراً إلى جانب شخصي وسعد واثنين من رفاقنا الذين صحبوا قافلة الجمال والحمير للركوب داخل السيارة الواسعة. توقفنا بعد عشر دقائق من قيادة عبر ما لا نهاية له من حقول الدخن، عند بوابة قلعة الليث العظيمة لتتلقى التحية من الأمير نفسه عبدالله الهزاني. لم يترك كرم نجد شيئاً للمرء يتمناه، ووقعت فريسة مطاوعة لهذا الكرم مدة (٥، ٤) ساعات ونصف الساعة ما عدا فترة قصيرة تجولت فيها في البلدة وجوارها. انتهت رحلتي بكل أغراضها العلمية، وستحملنا سيارة الأجرة الكبيرة إلى جدة في ثلاث ساعات بإضافة وقت أصرفه في دراسة المنطقة. لم أكن في عجلة من أمري، كما كان عليّ أن أتأكد من الترتيبات التي تم إعدادها لرفاقي وللعفش الثقيل للتوجه مباشرة، وبأسرع فرصة إلى مكة عن الطريق المباشر، وربما كنت أسبق الأحداث إن قلت إنهم قد يصلون إلى مكة قبلي، وقد اضطروا إلى السفر القهري أثناء الليل.

كانت الليث ميثبة^(١)، ما عدا مكتب جماركها الأبيض، الذي ورد ذكره ومسطبة الإنزال (الأسلكي) التي يبرز خارج الميناء الضحل والقصر العربي الذي

(١) الليث ليثان، واد وبلدة. فأما الوادي فهو من كبار أودية الحجاز التهامية، يأخذ أعلى مساقط مياهه من السراة الواقعة جنوب الطائف، ثم يسير غرباً حتى يصب في البحر، ويرفده العديد من الأودية الشمالية واليمانية مثل: أودية ذهب، وتانه، وفرضان، ومستنقع، وتثيل، وسلبه، وذرا، والسادة، وقرضان، وعظمان، والمطرق وفلح، ومقسا، ورقية. أما البلدة فتقع في وادي الليث، تبعد عن مكة المكرمة حوالي (١٨٥) كيلاً، وتوجد بها معظم وسائل الحياة المعيشية، بالإضافة إلى أنها ميناء صغير ترد إليه بعض القوارب والسفن الصغيرة، كما أن بها حركة لصيادي الأسماك. لمزيد من الإيضاح، انظر: شرف البركاتي، الرحلة اليمانية، ص ٣٧ - ٣٨، عاتق البلادي. بين مكة واليمن، ص ٣٠ - ٣٦. (ابن جريس).

يرجع تاريخه إلى العصور الوسطى، وكان يستخدم مقراً للرئاسة الإدارية، بالرغم من حجمها الكبير. لم يكن حول الليث سور يطوقها وكانت المنازل مبعثرة، وبنسبة متساوية من الطين وسعف النخيل، كانت المساكن الطينية من طابق واحد، بالرغم من أن هنالك عدداً منها يتكون من طابقين، أما العشش المبنية من أعواد النخيل أو حظائرها فلم يكن هنالك ما يميزها. كان القصر بناءً مربعاً جميلاً من الطين، وكانت جدرانه سميكة ويصل طول الجدار إلى خمسين ياردة من كل جانب، كما كانت عليها حصون منخفضة دائرية.

كان الجانب الداخلي للقصر مرتباً بالأسلوب النجدي، وكانت غرفة الاستقبال الكبيرة مفروشة بالسجاجيد ومؤثثة بالأرائك والوسائد حول جوانبها. كانت وجبة الغداء عظيمة مكونة من عدد من الشياه فوق أكوام الأرز وقد جلسنا أنا ورفاقي مع الأمير وموظفيه الكبار حولها. لم أقم بزيارة الميناء ولا منزل الجمارك، وهما يقعان على مسافة تزيد عن الميل الواحد من القصر، غير أنني جمعت ما أحتاج إليه من معلومات من سطح القصر.

امتلاً الشريط الرئيس لوادي الليث الذي ينحدر من المرتفعات البركانية لخرة الصواملة على الجانب الجنوبي لجبل يللم، وهو استمرار لبلاد الحمم البركانية التي ترتبت على جانبي طريقنا على امتداد كل الرحلة بحزام عريض من أشجار النخيل يمتد إلى ميلين ويقع على محور الشمال الشرقي - جنوب غرب. تصطدم شجيرات السواد من كل الجهات مع الوادي الفعلي بأعداد كبيرة، بينما تمتد حقول الدخن من جانب إلى آخر على الدلتا على امتداد الطريق وكان عرضها لا يقل عن

خمسة أميال. يقف المسجد الرئيس للبلدة بجوار القصر، وكان من الطين أيضاً، ولا شيء آخر يميزه.

كانت الساعة تشير إلى الواحدة والنصف ظهراً حينما قمنا بوداع الأمير ودخلنا إلى السيارة للمرحلة الأخيرة للرحلة، مررنا خارج آخر حقول الدخن، على مسافة أقل من ميل واحد من القصر، القائم على دلتا الليث، ودخلنا إلى سهل سبخي واسع تنتشر فيه كتل معشبة من الرمل جعلت الحركة فوقها صعبة أول الأمر غير أننا سرعان ما وصلنا إلى أرض ثابتة لسبخة مسطحة ناعمة والتي قاد السائق السيارة فوقها بسرعة جيدة. كان كل هذا لا يزال جزءاً من منطقة دلتا السيول، واضطررنا بعد مسافة قصيرة أن ندور حول لسان للبحر دفعته الرياح الجنوبية السائدة هذه الأيام عبر الطريق.

تقع فيما يلي هذا أرض صحراوية يكسوها نبات الثمام الذي يغطي سطحاً تتبادل فيه الرمال مع الطمي والحصى الخفيف. لمعت تلال بريمة ودبرة على يميننا من خلال الضباب، وأشار دليلي ناحية اليسار من الدبرة إلى موقع بئر الخضراء وهي أول محطة يعسكر فيها الحجاج القادمون من الليث. لا تزيد المسافة بين الموقعين عن خمسة عشر ميلاً، غير أن قوافل الحجاج تسير ببطء، والمهم هو التوقف عند موقع شرب ماء مناسب. كانت المحطة الثانية هي السعدية^(١)، علماً بأنه توجد بئر وسطى في قرية بئر عيثة ويناسب أولئك الذين لديهم ما يكفي من الوقت لتغطية الرحلة. كانت المحطة الثالثة هي بيضة، وفيما يليها مرحلة واحدة إلى مكة.

(١) السعدية: هي ميقات أهل اليمن على الطريق التهامي، وتقع في وادي يلملم، الذي تأتي مصبات مياهه من أعالي السروات جنوب الطائف، وتبعد السعدية عن مكة المكرمة حوالي (١١٠) كم. (ابن جريس).

كانت الرحلة من الليث إلى مكة على أربع مراحل لقوافل الحجاج، غير أن المسافر الأكثر نشاطاً يمكنه أن يغطيها في مرحلتين، وقد غطتها الجمال السريعة في يوم واحد.

يعترض طريق جدة، على مسافة ثلاثة عشر ميلاً من الليث، المجرى الرئيس الضحل لوادي غلا، الذي ينحدر من سلسلة الدبرة، في مكان ما أسفل آبار غمرة والعبدية. يمتد الوادي هنا في مسطح طيني، غير أنه توجد على يمين طريقنا بعض مزارع الذرة والدخن تابعة لسكان الليث. لحقنا هنا بالفعل بأحد الحجاج الهنود الذين كنا قد قابلناهم على الطريق، وأشار إلينا متفائلاً أن نسمح له بالركوب معنا، غير أننا لم نستجب لطلبه، أولاً لأن السيارة كانت ممتلئة بدرجة غير مريحة، وثانياً أننا سنكون متغاضين عن انتهاكنا للقانون. تواصلت التلال على يميننا فيما يلي الدبرة باتصالها مع تل مرتفع يسمى النقعة، وقمتين بارزتين لرزام، والتي فيما يليها تجري سلسلة طويرف موازية للطريق على بعد ميلين. أسرعنا فوق الطريق الذي يقع بين حافة الصحراء المعشبة التي تفصلنا عن السلسلة وعن جبهة بحرية سبخية تمتد إلى البحر إلى مسافة.

ظهر الآن الرأس المزدوج لقمة السودة إلى يسار رزام، على بعد، بينما وجدنا الطريق وقد تقطع على فترات بواسطة المد العالي الذي دفعته الرياح الجنوبية. يعني هذا العديد من التحولات وأخيراً خرج الطريق من الساحل ليخترق روابي جيعة الرملية التي تحف الوادي ودلتا وادي السعدية على الجانب الجنوبي. لقد غطينا مسافة خمسين ميلاً من الليث حينما وصلنا إلى الأرض العريضة المسطحة ذات الشجيرات التابعة لوادي السعدية ومشرب الماء الذي يسمى مجيرمة في وسطه.

كان هذا المشرب مهماً ويعتقد أنه يشتمل على حوالي ستين ثقباً مائياً ذات كمية كافية من المياه إلا أنها مالحة بعض الشيء وعمقها يصل إلى قامتين فقط. كان عرض الوادي عند شريط عبورنا له حوالي أربعة أميال ويتشر أكثر إلى الخارج أثناء اقترابه من السبخة والبحر. اكتسب وادي السعدية اسمه من بئر بالاسم نفسه -سبق أن أشير إليه- مكوناً محطة للحجاج، وينحدر من سفوح جبل يللم الذي يفصله عن وادي الليث. يكوّن الموقع السفلي من الوادي نفسه الحدود الإدارية بين محافظتي الليث وجدة^(١).

يوجد فيما يلي ذلك وادٍ عريض معشب، جميل المنظر غير أنه يتحلل تدريجياً إلى صحراء ذات شجيرات خفيضة تسمى عيثة. سافرنا فوق هذه الأرض الصحراوية الميل تلو الآخر حتى أدركنا غروب الشمس، وقد توقفنا لفترة وجيزة لأداء الصلاة ولتناول الشاي. كانت البلاد التي تقع أمامي الآن مألوفة لديّ من رحلات سابقة من جدة ومكة، وكنت قد وصلت خلالها إلى حافة صحراء عيثة هذه. لم يكن هنالك مبرراً -بناءً على ذلك- للانتظار هنا ليوم الغد، وعليه فقد قررنا مواصلة السير ليلاً.

كان السائق على معرفة بالطريق، وكنا ننتقل على الطريق الصحراوي الرملي حتى كشفت لنا الأنوار الرئيسة للسيارة وادي السوادية المشجر المظلم أمامنا. كنت كثيراً ما أقدم إلى هنا من جدة مع مجموعات من هواة الصيد، وكنت أعلم أن بطن هذه السبخة حتى أثناء النهار وحتى في الموسم الجاف، تحتاج إلى الحذر لتحاشي حفرها العديدة. لم أكن متوقفاً ومستعداً لما قد حدث الآن.

(١) للمزيد عن وادي يللم، انظر: عاتق البلادي. بين مكة واليمن، ص ٢٧ - ٢٩. (ابن جريس).

لقد فاض وادي السوادية كغيره من أودية تهامة، وقد خلف السيل مساحات مستنقعية قبيحة فوق مجراه العريض. كانت واحدة من هذه المستنقعات تعترض الطريق. وكان يمكن الدوران حولها نهاراً، غير أن السائق وجد نفسه أمامها فجأة وقرر أن يقتحمها بسرعة وكاد أن ينجح في ذلك. غير أن السيارة توقفت، ثم تحركت، ثم توقفت مرة أخرى وتعطلت آخر الأمر. كنا في منتصف الوحل، على بعد ثمانية وأربعين ميلاً من الليث، وخمسين ميلاً من جدة، لم يكن لدينا من التجهيزات ما يسمح لقضاء ليلة في الصحراء، فضلاً عن كونها مستنقعاً، غير أنه لم يكن هنالك بديل. غير أن رفاقي نظروا للأمر من زاوية أخرى واجتهدوا برجولة أن يخرجوا السيارة من هذا الوحل، بينما جلست أنا في تكاسل أطلع الصحف التي بقيت معي من بريدي الأخير، على ضوء الأنوار الرئيسة. تم صرف النظر عند منتصف الليل عن محاولة إخراج السيارة من المستنقع، وتجمعنا كلنا في أكثر المواقع جفافاً في هذا القفر المستنقعي. ولكي يكون الأمر أكثر لطفاً، فقد هطلت أمطار قليلة أثناء الليل.

صحونا عند الفجر نستكشف موقع البلية وبدأنا العمل بلا توقف لقلع الشجيرات الصحراوية لنصنع طريقاً مرصوفاً للسيارة بهذه الشجيرات. كانت العجلات غاطسة تماماً وقد تضررت الشجيرات بضغطها وعندما كان كل شيء جاهزاً، استغل السائق السيارة وتحركت السيارة، وكأنما كانت في حاجة إلى فترة الراحة المسائية التي نالتها. كان كل شيء على ما يرام أخيراً.

ركبنا السيارة كلنا، ولم يمض وقت طويل حتى بدأت قصور جدة تلمع في الضباب. كنت داخل منزلي في تمام الساعة العاشرة وسافرت عند الظهر إلى مكة.

ذهبت من هناك ظهر اليوم التالي إلى منى مع مجموعة الملك، وأديت حجتي حسب شعائر الحج. كان كل شيء على ما يرام حتى اليوم الأخير من عطلة ثلاثة الأيام بمنى، حينما هاجمتني الحمى اللعينة^(١) وظللت طريح الفراش في بؤس داخل خيمتي حتى وقت العصر، حينما استجمعت بعض قوتي لقيادة السيارة إلى مكة. كان انهيارني تاماً عندما وصلت إلى مكة وكنت أعاني من خليط من الأنفلونزا والحمى، اللتين سيطرتا عليّ تماماً مدة أحد عشر يوماً - نهاية غير طيبة لأعظم رحلاتي في الجزيرة العربية^(٢).



-
- (١) من السنة في الإسلام عدم لعن أو سب المرض إذا أصاب الإنسان؛ لأن الذي أوجده هو الله عز وجل، والذي يشفي المريض منه هو الله عز وجل. (ابن جريس).
- (٢) نعم من يستقرئ رحلات فيليب في الجزيرة العربية على مدار (٤٠) سنة، بل من ينظر إلى جميع دراساته (كتباً ومقالات) سواء ما ترجم منها إلى العربية، وما لا زال بلغته الأصلية (اللغة الإنجليزية) فإنه يجد أن هذه الرحلة التي استغرق فيها حوالي عشرة شهور من أطول ومن أصعب رحلاته التي قام بها خلال حياته العلمية. (ابن جريس).

الفهارس

أ - فهرس الأعلام

ب - فهرس القبائل والعشائر والأفخاذ

ج - فهرس الأماكن

أ - فهرس الأعلام

ابن جابر، ٣٣٢، ٣٤٢
 ابن جلايس، ١١٦٣
 ابن جهامان، ١٣٥
 ابن الحارث (ملك النبطيين)، ٤٩٨
 ابن حسون، ٥٤
 ابن حوقل، ٧٣٤
 ابن حيدر، ٥٧٤
 ابن حيفان، ٣٠٠
 ابن خرداذية، ٧٣٤
 ابن داهش (رئيس شعيب آل فروان)،
 ٧٣٢-٧٣٣، ٧٤٥، ٧٥٦-٧٥٧، ٧٦٢،
 ٧٧٩-٧٨٠، ٨٠٩
 ابن رخير، ٦١١
 ابن رشيد، ٤٦٢
 ابن زبغان، ٥٤٦، ٦١٠
 ابن زعير، ١٢٩٤
 ابن سعود = الملك عبد العزيز، ١٤، ٣٩،
 ٥٠، ١١١، ١٣٥، ١٥٣، ١٦٠-١٦١، ١٦٣،
 ١٦٦-١٦٧، ١٧٦، ١٨٧، ٢١٤، ٢١٧،
 ٢٦٢، ٢٧٩، ٢٨٩، ٣٠٠، ٣٥١، ٣٩٤،
 ٤٠٤، ٤٢٩، ٤٣٩، ٤٦٢-٤٦٣، ٤٦٤،
 ٤٦٧-٤٦٨، ٥١٩، ٥٢٩، ٥٤٠، ٦٦٠،
 ٦٧٩، ٧١٠، ٧٣١، ٧٥٨، ٨٧١، ٨٧٩،
 ٨٨٠، ١٠٨٣، ١٠٨٥
 ابن سلفان، ٤٩٨
 ابن شفلوت، ٥٤

(أ)

إليوس جاليوس، ٤٩٥-٤٩٦، ٤٩٨
 الأبت، ٧٢٢
 إبراهيم (عليه الصلاة والسلام)، ٤١٧
 إبراهيم، ٣٥٧، ٦٨٠، ١١٠٨، ١١٠٩
 إبراهيم (شيخ قرية حلي)، ١٢٨٠
 إبراهيم النشمي، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣٢، ٨٩٤
 إبراهيم باشا، ١٢٩٥
 إبراهيم بن حمد النفيسي، ١١٠٠
 إبراهيم بن داود، ١٧٧
 إبراهيم بن عبدالله الرفيدي، ٣٠٩
 إبراهيم بن عبدالرحمن النشمي (حاكم
 نجران)، ٣٩٤
 إبراهيم بن فرج، ١٨٤، ١٨٧، ٢٢٨، ٣٣١
 إبراهيم بن محمد بن فهد بن صالح بن
 داؤد التامر بن محمد بن عبد الله بن
 عمر بن علي بن صباح، ٦٨٤-٦٨٥
 إبراهيم بن محمد بن فهد بن صلاح
 المكرمي، ٦٨٣-٦٨٤
 إبراهيم بن معمر، ٤٠
 إبراهيم عبد الله مفتاح، ٨٨١
 إبراهيم مفتاح، ١٠٩٣
 ابرهة الأشرم، ١١٢، ٢٣١، ٥٠٠، ٥٠٦-
 ٥٠٨، ٧٠٤
 ابن الأزهر، ٨٨
 ابن بطحان، ١٩٤

- ابن شنتوف، ١٠٧١
ابن صامل، ٢٨٨
ابن صبحان، ٧٦٥
ابن ضاوي، ٢٨٧، ٢٨٩، ٢٩٢
ابن عادي، ٥٤، ٢٤٦
ابن عايض، ٣٠٠
ابن عبود، ٥٤
ابن عرير (رئيس قرية المجزعة)، ٧٤٠
ابن عزوة، ٦١٠
ابن عفتان، ٣٢٥، ٣٣٠
ابن عيسى، ٤٧٥
ابن غريفان، ٨٦
ابن فراح، ١٧٣
ابن فرح، ٢٠٤، ٢٠٥
ابن الفقيه، ٧٣٤
ابن قرملة، (أحد مشائخ قحطان نجد)،
٦٣١
ابن كعبان (رئيس قرية العر)، ٧٤٠
ابن ماضي، ١٠٩١، ١٠٩٣
ابن محفوظ، ١٨٤
ابن مدعر، ٥٧٢
ابن مذكر القحطاني، ٤٣٢
ابن مرعي، ٨١٦
ابن مسفر، ٧٦١-٧٦٢
ابن معدي، ٤٢، ٧٥، ٨٥، ٩١، ١٠١
ابن الملك كريب، ٥٠٠
ابن مناع، ٧٨٩
ابن منيف، ٤٦٢، ٤٦٧
ابن نشمي، ٨٧
ابن نشوان، ١٢٥٧
ابن نصيب، ٦٣٢
ابن نعمان، ٢٩٤
ابن نويصر، ١٤٧
ابن حقة (لآل مزهر)، ٧٠٤
ابن هنديل، ٨٤٠، ٩٠٦، ٩٢٢، ١٠٤٨
ابن هشبل، ٣٠٢
أبو أمسيالة، ١١٧٠
أبو الحلبي، ١١٥٦-١١٥٨
أبو جعشة، ٩١
أبو القاسم الاصطخري، ٤٣١
أبو خيال، ٢٩٣
أبو زيد، ٦٣٠
أبو فاضل، ٦٠٩
أبو كرب أسعد، ٥٠٠، ٥٠٢
أبو لحي، ١١٦٢
أبو مسمار، ١٠٤٣
أبو مشنى، ١١٢٧
أبو مض، ١١٦٠
أبو معين الدين ناصر خسرو، ٢٩١
أبو همدان، ٦٠٢، ٧٦٦
أبو وقفة، ٦١٠
إحسان، ٥٢٨
إحسان بن سلطان بن منيف، ٤٦٣، ٤٦٨
إحسان بن هاشم، ٦٥٨، ٦٧٥، ٦٨٠
الأحسن، ٦٥٥
أحمد الإدريسي، ت ١٨٥٠م، ٨٨٢-٨٨٤
أحمد بن إسماعيل (الداعية الثالث عشر)،
٦٨٦-٦٨٧
أحمد بن حسن بن قاسم، ١٠٩٢
أحمد بن عايض، ٦٦٧-٦٦٨، ٦٧٠-٦٧١

أحمد بن علي الفقيه، ١٢٢٧
 أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم
 ابن محمد بن فهد، ٦٨٤
 أحمد بن محمد بن فهد بن صالح بن داؤد
 التامر بن محمد بن عبدالله بن عمر بن
 علي بن صابح، ٦٨٤
 أحمد بن نصيب، ٤٧٤
 أحمد بن هليل، ٢٧٤، ٢٧٧-٢٨٠، ٢٩٢،
 ٣٠١
 أحمد حزين، ٤٤٠
 أحمد حيدر، ٣٤٤
 أحمد البهكلي، ٨٧٠، ٨٧٨، ١٢٢٧
 أحمد عمر الزيلعي، ١٢٦٩، ١٢٨١
 أحمد محمد الحيدر، ٣٣٥
 الإدريسي، ٧٣٤، ٨٥٩، ٨٦١، ٨٦٣-٨٦٤،
 ٨٦٨، ٨٧١، ٨٨١-٨٨٢، ٩١٠، ٩٢٦، ٩٩٩،
 ١٠٦٦، ١١٠٤، ١١٢٣، ١٢٤٨، ١٢٧٢،
 ١٢٩٤
 الإدريسي الأول، ٨٨٤
 إدوارد = الملك إدوارد، ٥٦٤، ٨١٣، ٨٥٥-
 ٩٤٦، ٨٦٥
 إدوارد جلاسر، ٤٩٠، ٦٠٤
 ار. إي. شيزمان، ٢٣
 ازيببي، ١١٠٠
 أسامة بن عبدالرحمن، ٤٢٥
 أسعد بن حسن، ٩٥٦
 أسعد سالم، ٧٥٦
 أسعد كامل (التبع)، ٢٣١
 إسماعيل (حفيد حسن بن هبة الله)
 (الداعي العاشر)، ٦٨٦

(ب)

إسماعيل (شيخ الكعوب)، ١١٧٠، ١١٧٧،
 ١١٨٩
 إسماعيل بن إبراهيم بن محمد بن فهد بن
 صالح بن داؤد التامر بن محمد بن
 عبدالله بن عمر بن علي بن صابح، ٦٨٤
 إسماعيل بن هبة الله بن إبراهيم، ت
 ١٧٦٠ م، ٦٨٦
 أشقر عجلان، ٦٦
 الاصطخري، ٧٣٤
 ألبرت فاندين براندين، ٣٤٠
 إلياس يوسف، ٥٠٦
 ألييب، ٦٧٤
 إليزوس = آيل العز (ملك بلاد البخور)،
 ٤٩٦-٤٩٧
 إليوس جالوس، ٥٠٧
 أم كلثوم، ٥٦٢
 أي كوميس، ٨٩٦-٨٩٧، ١٢٩٤

برترام توماس، ٢٣
 بكر صدقي، ٥٨٨، ٦٢٦
 البلادي، ٦٢٣
 بول = السيد بول، ٢٩٩
 بيرسي كوكس، ١٢٨٠
 بيرري لاماري، ٢٣
 بيشة ابن سالم، ٢٥٨
 بيل = اللورد بيل، ٥٦٣، ٥٧٣
 بيلي ويندر، ١٧

جعفر العسكري، ٦٨٢

جمال الدين يوسف بن المجار، ٢٩١

جميل بن سعيد (اليهودي)، ٤٢٧، ٥٤٠،

٧٤٣، ٧٥٢، ٧٩٨-٧٩٩

جميلا، ٧٣٩

جورج رنتز، ١٠، ١٧، ٢٠

جورج كامب كيسر، ١٩

جي. ل. بتز، ٩٩٢

جين لندي، ٢٠

(ح)

حارث بن عباد، ١١٤٨

حامد، ١١١٥

حامر، ٤١٣

حاميم حبشوش، ٦٠٤-٦٠٨

حاروش بن سلمان، ٩٤٠، ٩٤٩، ٩٥٦-٩٥٧،

٩٦٧، ٩٧٩، ٩٨٢، ٩٨٤، ٩٨٨، ٩٩٦،

٩٩٨-٩٩٩، ١٠٠٧، ١٠١٩، ١٠٢٣،

١٠٤٦، ١٠٤٩

حجر، ٧٦٠، ٧٦٤

حجر بن لهنوء الأزدي، ٨٤١

حردان، ١٠٤٦

حردان الزيداني، ١٠١٧-١٠١٩

حسان بن عبد كلال الحميري، ٥٠١

الحسن الادريسي، ٨٧٢

حسن (خر الذيب)، ١٢٣

حسن (حفيد حسن بن هبة الله) (الداعي

الحادي عشر)، ٦٨٦

حسن، ٤١٩، ٤٢٢، ٦٥٧

حسن = الشريف حسن، ٩٧٤

(ت)

تاميزيه، ٢٩، ٧٣

تركي السديري، ٢٧١، ٢٧٣، ٣٠١، ٣٣١

تركي بن ماضي، ٢٢٢، ٨٩٣

تشارلز داوتي، ١٤٣، ١٤٥-١٤٦

توم بارقر، ٢٠

تيم لات وتر، ٥٢٣

(ج)

جابر، ٤٨٥، ٤٨٢، ٥٥٥، ٥٥٨، ٥٦٧، ٨٣٤-

٨٣٦، ٨٤٠، ٨٤٢، ٨٤٦

جابر (شيخ قبيلة آل عطا)، ٩٣٤

جابر (شيخ قبيلة العليلي)، ٩٣٩، ٩٥٦،

٩٦٣

جابر (شيخ مركز الإمارة)، ٩٢٠، ٩٢٦

جابر بن جبران بن حتلان، ١٠٥٩-١٠٦٠

جابر بن نصيب = أبو الساق، ٢٨٧، ٤٣٣،

٤٣٥، ٤٣٧، ٤٤٠، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٥، ٤٦٦،

٤٦٨، ٤٧٣-٤٧٦، ٥٤٢، ٥٤٥، ٥٧٤-٥٧٥،

٥٩٣، ٦٠٠، ٦٠٢-٦٠٣، ٦٣٢، ٦٣٦

جابر بن يحيى آل سلمى، ٩٤٠

جابر فاضل، ٤٧٩

جابر المري، ١٤٧

جار الله بن جمعان، ١٠٤٤

جار الطويلة، ٦٢٥

جاك ريكرمان، ٣٩٥

جبران بن فرحان بن جبار أمداهمة، ٩٥٦

جعفر، ٦٢٦

جعفر باشا، ٥٨٧

جعفر بن سليمان حسن الهندي، ٦٨٢

حسين (من الأشراف)، ١١٩٩
 حسين = الشريف حسين، ٨٨٣، ٩٧٤
 حسين = الملك حسين (ملك الحجاز)،
 ١٧٦-١٧٧، ٢٧٥
 حسين أبو الفتح، ٣٤٤
 حسين أحمد، ٦٧٩، ٦٨٠-٦٨١، ٦٨٤
 حسين بن أحمد الداعي (رئيس قطاع
 المكارمة)، ٦٥٨، ٦٨٢
 حسين بن حسن (الداعي التاسع)، ٦٨٦
 حسين بن حسن بن اسماعيل، ٦٨٥
 حسين بن رويشد، ٣٩٤
 حسين بن سالم، ١٠٤٤
 حسين بن سلمان بن أحمد، ٥٢٦
 حسين بن صمان بن سالم، ٢٥٨
 حسين بن علي بن حيدر، ١٠٨٤
 حسين بن قاسم، ١٢٢٥
 حسين بن قيثية، ٤٥٩
 حسين بن كردام، ١٠٦٠
 حسين بن محسن، ٨٠١
 حسين بن مشيط، ٢٦٢-٢٦٣
 حسين بن منيع بن جابر بن همدان، ٤٧٤
 حسين الفاطمي، ٧٧٩
 حمد، ٥٨٣، ٥٨٥-٥٨٦
 حمد (حفيد سلطان بن منيف)، ٤٦٣، ٤٦٨
 حمد بن حسين بن نصيب، ٢٨٧
 حمد بن زيد، ١٢٤
 حمد بن شقات، ٤٦٧، ٤٧٢، ٤٨٣-٤٨٤
 حمد بن منيف، ٤٦٩
 حمد بن نصيب، ٥٩٩
 حمد بن هادي الشعبي، ١٢٣٩

حسن بن أحمد بن متعالي، ٣٠٩
 الحسن بن أحمد عاكش، ١٠٨٣
 الحسن بن أحمد الهمداني، ٣٩٠
 حسن بن إسماعيل، ت ١٨٧٢ م، ٦٨٥، ٦٨٧
 حسن بن حسين المتابع، ٤٠٦
 حسن بن حسين بن علي بن حيدر، ١٠٨٤-
 ١٠٨٥
 حسن بن دغيثر، ١٨٧
 حسن بن سهل، ١٠٩٦
 حسن بن عائض، ٢٧٧، ٢٧٨
 الحسن بن علي بن عبده، ١٢٩٤
 حسن بن علي بن محمد بن احمد
 الإدريسي، ٨٨٤
 حسن بن قاسم، ١٢٢٤
 حسن بن محمد بن علي، ١٠٨٥
 حسن بن مكرم بن صبا، ٦٨٤
 حسن بن مهدي القحطاني، ٩١
 حسن بن هبة الله (رئيس نجران)، ٥٤٧
 حسن بن هبة الله بن إبراهيم، ت ١٧٧٤ م،
 ٦٨٦
 حسن البهكلي، ٨٧٨، ٨٨٩
 حسن حسين، ٩٩٦، ١٠٠٤-١٠٠٥، ١٠٠٧-
 ١٠٠٨
 حسن الطيب، ١١٠٨-١١٠٩، ١١١٢
 حسن علي بن هبة الله المكري، ٥٢٦
 حسن الفقيه، ١١٢٤، ١١٣٠، ١١٣٤، ١١٣٦،
 ١١٣٩-١١٣٨
 حسن القحطاني، ٦٤
 حسن المكري، ٦٨٦
 حسين (من رعاة آل فاطمة)، ٧٧٣

دخش بن صقر، ٦١٠
 دريب بن مهاوش الخواجي، ٨٦١، ٨٦٧
 دليم بن محمد بن دليم (شيخ قحطان
 ووادة)، ٧٠٨، ٧١٠-٧١٢، ٧١٥، ٧٤٠-
 ٧٤١، ٨١٢-٨١٣، ٨١٥، ٨١٩، ٨٤١
 الدويحي، ١١٢٨-١١٢٩
 دي . جي . هوجارث، ٥٠٣، ٥٠٤
 الدوشي، ٩٤١
 الديلمي، ٢١٩
 الدينوري، ٥٩٨، ٧٢٧، ٧٦٦، ٩١٥

(ذ)

ذو ريدان = سابوس، ٤٩٦، ٤٩٩
 ذو نواس (ملك اليمن)، ٤٦١، ٥٠٢، ٥٠٤-
 ٥٠٦، ٥٠٩
 ذويب، ١١٥١
 ذي حامي، ٦٠٣

(ر)

رايم بن كثير، ١٠١٩-١٠٢٠
 رزق، ٤٧٤
 رشدي ملحس، ١٥٣، ١٦٤
 رشيد، ١٢١
 رشيدة، ١٠٤
 الرصيفي، ٩٧٧
 الرضا، ١١٥٧-١١٥٨
 رمحيس ظييمان، ٥٠٧
 روزفلت (الرئيس الأمريكي)، ٦٢٦
 روزيتا فوريز، ٨٩٥
 ريزان حبي، ٦٠
 ريكانز، ٥١١

حمد الجاسر، ١٠، ٢٢١
 حمد الخثيلي، ٤٠٥
 حمد الشويعر، ٩٨٩
 حمد القرزعي، ٥٧٨
 حمزة غوث، ١٥٨، ١٦٠، ١٦٤
 حمود، ٣٣١، ١٠٨٣
 حمود بن محمد أبو مسمار = الشريف
 حمود بن محمد أبو مسمار، ٨٩٦
 حمود بن محمد أحمد آل خيرات، ١٠٨٤
 حيدر باشار، ٢٩٩

(خ)

خالد = الأمير خالد، ٢٨١، ٣٣١
 خالد بن حشر، ٣٧٢
 خالد بن فيصل بن حشر، ٤٦، ٣٥١
 خالد بن لؤي، ٩٣، ٩٣، ١٢٤، ١٧٦، ٢٧٧
 خالد بن محمد، ٧٥٩
 خالد بن محمد بن حثلين، ١٦١
 خالد بن مفاقر بن مالك، ١٠١٩
 خالد السديري، ٢٧١، ٣٠١
 خالد الفيصل، ٢٩٤
 خالد القرقي، ٨٧٩
 خليل بن قرملة، ٣٧٢
 خليل بن ناصر بن عمر، ٥٥

(د)

داؤد التامر بن محمد بن عبدالله بن عمر
 ابن علي بن صابح، ٦٨٤
 داؤد بن عجب، ٦٨٣
 داكينوس، ٦٥٧

سعد، ١٠١، ١٠٥، ١٣٣، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤،
 ٣٠٧، ٣٧٩، ٣٩٢، ٤٠٨، ٥٩٦-٥٩٧،
 ٧٣٨، ٨٤٠، ٩٤٤، ١٠٣٠، ١٠٩٧،
 سعد = الأمير سعد، ١٧٦،
 سعد بن عتيق، ٤٠، ٤٢،
 سعد بن عثمان، ١٨٣، ٣٣٢، ٦٢٧،
 سعد بن لؤي، ١٧٤، ١٧٨،
 سعد بن ناصر بن معمر، ٣٩،
 سعد القحطاني، ٦٦،
 سعدان = سعد، ٤٠، ٧٥، ٨٥،
 سعود الأول = الامام سعود بن عبد العزيز
 ابن محمد بن سعود، ٧٦٠، ٨٠١، ١٠٨٤،
 ١١٠٣،
 سعيد، ٧٨٩، ١٠٠٤،
 سعيد بن جميل بن هارون بن داود، ٥٤١،
 سعيد بن حسين، ١٦٤، ١٧١-١٧٢،
 سعيد بن جفشر، ٢٥٧، ٢٥٨،
 سعيد بن داود بن يحيى بن يوسف، ٥٣٨،
 سعيد بن سعود بن كدسة، ٨٦، ٨٩، ٩٠،
 ٩٦، ١٢٨، ١٢٩،
 سعيد بن عبدالوهاب أبو ملحمة، ٢٥٠،
 سعيد بن عفرم بن عواذ الشرعبي، ٥٤٠،
 سعيد بن عفيضان، ٣٠٠،
 سعيد بن كدسة، ٢٢١-٢٢٣،
 سعيد بن مشيط، ٢٣٩، ٢٥٠، ٢٦١، ٢٦٣،
 ٢٨٣،
 سعيد بن مغامر بن مالك، ١٠١٩،
 سعيد بن يحيى بن داود بن سليمان، ٥٤١،
 سعيدة، ٦٠٩-٦١٠،
 سعدي، ١٠٢٨،

(ز)

زامل (شقيق الأمير)، ١٧٦،
 زايد، ١٠٥، ١٣٥،
 الزايد، ٤٧٥،
 زهرة، ٢٤٥، ٦٦٥،
 زياد بن سنوسي بن عبد المتعال بن أحمد
 الإدريسي، ٨٨٤،
 زيد بن علي بن زين العابدين بن علي بن
 أبي طالب، ٥٣٠،
 زيد الهلالي، ٧٧٠،
 زيدان، ١٠١٥-١٠١٦،
 زيدان بن رايم بن كثير، ١٠٢٠،
 زيداني = الشيخ زيداني، ١٠٤٦،

(س)

س. د. قوتين، ٦٠٤،
 سالم، ٤٨٣، ٥٥٩، ٥٧٠،
 سالم أفندي، ٥٦٥-٥٦٦، ٥٧٠،
 سالم بن سلطان بن منيف، ٤٦٣، ٤٦٩،
 سالم بن شريف، ٩٤٢،
 سالم بن عبدالله بن نادر، ٣٢،
 سالم بن منيف، ٤٣٣، ٤٣٦، ٤٤٠، ٤٦٠،
 ٥٥٩،
 سترابو، ٤٩٧،
 سحر، ١٠٤٤، ١٠٦٠،
 سرجوح، ١٨٥،
 سرجون = الملك سرجون، ٤٩٢،
 سرداح الرياح، ١١٣٦،
 سرو، ٥٨٥،
 سرواح، ٦٠٨،

(ش)

- شامحي بن محمد عبده الهلالي، ١٢٧١
 شراحبيل يعفر، ٥٠١
 شرحب آل ياكف، ٥٠٢، ٥٠١
 شرحب آيل يعفر، ٥٠١
 شرف، ٣٤٥
 شرف البركاتي، ٦٨٥، ١٣١٦
 شركة أرامكو، ١٨، ٢٠
 شريح، ١٠٢٠
 شريف، ٧٤٠
 شريف بن جبران بن دخان، ١٠٦٠
 الشريف عبدالله = الشريف عبد الله،
 ١٢٣-١٢٤، ١٤٤، ١٧٤
 شعبان (من العبيد)، ٧١١
 شعيل، ١٣٢
 شعيل بن مرزوق، ١٢٨
 شفاء بني سفيان، ١٣١٥
 شفييد، ١٢٩٣
 الشلاوي، ١٣٢-١٣٣
 شمريهرعش، ٤٩٩
 شهر يجيل يهرجب، ٤٩١
 شويش بن ضويحي، ٢٧٨، ٣٠٠
 شويعر = حمد الشويعر، ٨٩٣

(ص)

- صايح بن حسن بن مكرم، ٦٨٤
 صاغر، ٥٤٥، ٦٠٩
 صالح، ٤٨٣-٤٨٢، ٤٦١، ١١٧، ١١٥، ١١٤
 ٥٥٨-٥٥٧، ٥٥٥، ٤٨٥
 صالح أحمد العلي، ٤٩٠

- سلطان، ١٦١، ٥٦٧
 سلطان بن جبر = الأمير سلطان بن جبر، ١٦٠
 سلطان بن عبدالعزيز، ٢٦٧
 سلطان بن منيف، ٢٨٧، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٥
 ٤٦٨-٤٧١، ٤٧٣، ٤٢٨، ٥٤٦، ٥٧٤-٥٧٥
 سلف، ٦١١
 سلف بن نصيب، ٤٧٤
 سلاح الفرسان السعودي، ١٢٥
 سلطان = علهان، ٤٩٥
 سلمان بن محمد بن اسماعيل بن ابراهيم
 المكرمي، ٥٢٦
 سليمان، ٢٣١، ٥٣٨
 سليمان بن إبراهيم الرواف، ٢١٧
 سليمان بن حسن الهندي، ٦٨٣
 سليمان الحمد، ١١٢٩
 سليمان الرواف، ٢٢٥، ٢٢٧-٢٢٨
 سليمان شفيق باشا، ٢٧٦، ٢٩٩، ٣٠٠
 سليمان قابل، ١٥٣
 سليمانني، ٩٤١
 سمة علي ينف، ٤٩٢
 سنحريب = الملك سنحريب، ٤٩٢
 سنوسي بن عبد المتعال بن أحمد الإدريسي،
 ٨٨٤
 السنيور برسيكو، ١٦١، ١٦٢
 سهيل صابان، ٦٨٥
 سيد العابد، ٨٨٣
 سيف بن أحمد بن هليل، ٢٧٩
 سيف الإسلام أحمد، ١٠٩٠
 سيف الإسلام حسين بن يحيى، ١٠٩٢
 سيلوس، ٤٩٧

١٢٥٧، ١٢٦٣، ١٣٠٤، ١٣٠٦، ١٣٠٨،

١٣١١، ١٣١٦، ١٣٢٠

عامر، ٥٢٩

عايض، ٨٢٥، ٨٢٨، ٨٣٤

عايض بن شري، ٨١٥

عباس حلمي باشا، ٩١

عبد الله (ملك الأردن)، ٥٧٣

عبد الله، ٥٣٣، ١٢٢٥

عبد الله = الأمير عبد الله، ١٧٦

عبد الله آل مسفر، ٣٧١، ٣٧٣

عبد الله البسام، ٨٧٨

عبد الله البشري، ١٠٧٣

عبد الله الجفالي، ٦٥١

عبد الله الدويش، ٣١٢

عبد الله العثيمين، ٥٤٧

عبد الله الفضل، ١٥٨

عبد الله الفيصل، ١٥٣

عبد الله القباع، ٥٥٤، ٥٥٧-٥٥٨، ٥٨٢،

٩٤٩، ٩٥٩، ٩٨٠، ١٠٠٥-١٠٠٦، ١٠٠٨،

١٠٢٣، ١٠٢٥، ١٠٣٤-١٠٣٥، ١٠٤٠-

١٠٤١، ١١١٦، ١١١٨، ١١٢٠، ١١٢٧،

١١٤٤-١١٤٦، ١١٥٢، ١١٥٦، ١١٦١،

١١٦٣، ١١٦٨، ١١٧٥، ١١٧٧، ١١٨٧،

١١٩١

عبد الله النفيسي، ٨٨٠، ٩٥٥، ٩٥٧،

٩٧٨-٩٧٩، ٩٩٢، ١٠١٩، ١٠٣٠، ١٠٤٩،

عبد الله بن ثامر، ٥١٦

عبد الله بن جلوي، ١٤٢

عبد الله بن الحارث، ٥٠٤، ٥٠٥

عبد الله بن حسن، ١٥٧

صالح بن إبراهيم النفيسي، ٨٧٨-٨٨٠،

٨٨٨

صالح بن حاذق، ٥٧٨

صالح بن داؤد التامر بن محمد بن عبد

الله بن عمر بن علي بن صابح، ٦٨٤

صالح بن ربوع، ٦٥٦

صالح مريح، ٤٩٥

صامويل هور، ١٥٥

صبري باشا، ١٢٤

الصبيحي، ٨٤

صديق آيل = الملك صديق آيل، ٤٩١

صلاح العقاد، ٦٢٦

الصيعر بن اشמוש بن مالك، ٥٣٥،

(ض)

ضافر، ١٢٨٢، ١٣٠٤

ضاوي (أحد رجال الأمير)، ٦٩٢-٦٩٣،

(ط)

طاهر، ١١١٨

طاهر سيف الدين، ٦٨٢

الطبري، ٨٨٤

طلعت وفاء مكي، ٢٨٩

طه محمد الأمين الشنقيطي، ١٢٩٤

(ظ)

ظاهر الجمل، ١٠٩٩

(ع)

عاتق بن غيث البلادي، ٢٨٧، ٣٢٧، ٣٣١،

٥٧٦، ٦٠٣، ٦٠٧، ٦٤٩، ٦٨٥، ٧٠١، ٧٣٣،

- عبد الله بن حسين، ٢٧٥
عبد الله بن راشد، ٣٠٢
عبد الله بن رشيد، ٣١٧، ٣٢٢
عبد الله بن زاحم، ١٥٧
عبد الله بن سعيد أبو راس، ٣٠٠
عبد الله بن سليمان، ١٦٣
عبد الله بن سويلم، ٣٠٠
عبد الله بن شرقة، ٩٣٧-٩٣٨، ١١٥٢، ١١٩٦
عبد الله بن عبد الوهاب أبو ملحمة، ٢٥٠،
٢٥١، ٢٦١
عبد الله بن عثمان، ٧١٠، ٧٤٠
عبد الله بن عسكر، ٣٠١
عبد الله بن علي (الداعي الرابع عشر)، ت
١٩٠٥ م، ٦٨٧
عبد الله بن علي بن عفتان، ٢٩٠
عبد الله بن علي بن هبة الله (الداعي
السايع)، ٦٨٦
عبد الله بن عمر بن علي بن صايح بن
حسن بن مكرم، ٦٨٤
عبد الله بن عيسى، ١٢٥٦
عبد الله بن قطنان، ١٩٤
عبد الله بن مبارك، ١٢٩١
عبد الله بن محمد بن عائض الزهراني،
٥٧١
عبد الله بن معمر = الأمير عبد الله بن
معمر، ٨٥، ٨٧، ١٠١، ٢١٦، ٢١٨
عبد الله بن منيف، ٤٦٩
عبد الله بن هويج لسلوم اليامي، ٦٥١
عبد الله بن الوزير، ١٠٩٠، ١٠٩٢، ١١٤٣،
١١٩١، ١٢٠٠
- عبد الله خباش، ٩٠٥
عبد الله سعد الحضبي السبيعي، ١٦٩
عبد الله قاضي، ١٠٩٣
عبد الله الهزاني، ١٣١٦
عبد الله الوهبي، ٢٤٤
عبد الحميد، ٢٨٤، ٢٨٦
عبد الرحمن (شيخ الرواشد)، ١٣٠٠-
١٣٠١
عبد الرحمن الأنصاري، ٤٩٥
عبد الرحمن بن أحمد البهكلي، ١٠٨٣
عبد الرحمن بن عبد الرحيم الشريف،
١٢٩٤
عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن عبده،
١٢٤٦، ١٢٤٨، ١٢٦٦، ١٢٦٩-١٢٧٠
عبد الرحمن بن غنيم، ١٢١٨
عبد الرحمن بن قعوان، ٦٥١
عبد الرحمن البهكلي، ١٠٨٤
عبد الرحمن البواردي، ٨٥٤-٨٥٥
عبد الرحمن السبييت، ٣٩٤، ٨٩٣
عبد الرحمن الشامخ، ١٧٧
عبد الرحمن الشريف، ٣٠٩، ٣٩٠، ٥٧٦،
٦٠٧، ٦٢٤، ٦٤٦، ٦٤٩، ٦٩٥-٦٩٦
٧٢٢، ٧٢٥، ٧٢٩، ٨١٨، ٨٣٢-٨٣٣،
٨٤٩، ٨٧٣، ٩٠١، ٩٠٥، ٩١١، ٩١٤
٩٢٤، ٩٣١، ٩٥٥، ١٠١٥، ١٠٦٩، ١٠٧٤،
١٠٧٦، ١٠٨٠، ١٠٨٨، ١٠٩٥، ١٠٩٩
١١١١، ١١٢٤، ١١٧٣، ١٢١٥، ١٢٦٩،
١٢٨٢، ١٢٩٣، ١٢٩٦
عبد الرحمن صادق الشريف، ٣٠٨
عبد الرحمن العسيري، ١٠٥٤

عبد الرحمن الغنيم، ٨٦٥-٨٦٦
 عبد الرحمن القويز، ١٥٤
 عبد العزيز بن إبراهيم، ٣٠٠
 عبد العزيز بن عبدالرحمن آل سعود، ١٠-
 ١١، ١٤، ٣٦، ١٤٧، ١٥١-١٥٤، ١٥٦-
 ١٥٧، ١٦١، ١٦٢-١٦٥، ١٦٧، ١٧٧، ١٨٧،
 ١٩٠، ٢٥٠، ٢٦٢، ٢٧١، ٢٧٤، ٢٧٦، ٢٧٨،
 ٥٥٤، ٥٥٨، ٥٦١، ٥٦٧-٥٦٨، ٥٧٣،
 ٥٧٧-٥٧٨، ٥٩٩، ٧١٠، ٧٣٤، ٧٥٦، ٨٠١،
 ٨٠٤، ٨٠٧، ٨٩٣-٨٩٤، ٩٢٩، ٩٥٥، ٩٥٩،
 ١٠٠٦، ١٠٢٥، ١٠٤٠
 عبد العزيز بن عبدالوهاب أبو ملحمة، ٢٥٠
 عبد العزيز بن مساعد، ٢٧٧
 عبد العزيز جميل، ١٠٩٤
 عبد العزيز سالم، ٤٩٣، ٥٠٧، ٧٥٤
 عبد العزيز الضميري، ٨٧٨
 عبد العلي، ٦٨٦
 عبد القادر، ١٥٤
 عبد الكريم عائض آل طالع، ٢٤٣
 عبد المتعال بن أحمد الإدريسي، ٨٨٤
 عبد المحسن (قاضي)، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٤٠
 عبد المحسن بن سليمان بن محمد
 الخريدي، ٥٧١
 عبد المطلب، ١١٢٩
 عبد الملك بن هشام، ٥٠٤
 عبد المنعم (شيخ العبادلة)، ١٢٩٨
 عبد المنعم الجميبي، ٨٥٠، ٨٨٢
 عبد المنعم عبدالعزيز رسلان، ٢٧٥
 عبد الهادي، ٩٢٢-٩٢٣، ٩٢٥-٩٢٦،
 ٩٣٣-٩٣٤

عبد الوهاب، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٨٣، ٢٨٩، ٣٣١،
 ٩٨٩
 عبد الوهاب أبو ملحمة، ٢٥٠-٢٥٢، ٢٥٥،
 ٢٧٠
 عبد الوهاب بن محمد بن علي بن محمد
 ابن أحمد الإدريسي، ٨٨٤، ٩٢٦
 عبد الوهاب يحيى، ٥٠٢
 عيود، ٧٦٢
 عبيد الإدريسي، ٨٩٥
 عبيد بن جرش، ١٨٩
 عبيد بن سنوسي بن عبد المتعال بن أحمد
 الأدرسي، ٨٨٤
 العبيد السوداء، ٤٧
 عثمان بن بشر، ٢٦٦
 عثمان بن عثمان، ٢٤٦، ٢٥٠-٢٥١، ٢٨٨
 عذار بن مسفر بن سعدان، ٣٧٢
 عصام، ٦٠٩
 عضر آيل (ملك مهامر)، ٤٩٤
 علي، ٩٦٥
 علي (من الأشراف)، ١١٩٩
 علي أحمد عسيري، ٣٠٨
 علي الجنيدي ٤٣٠-٤٣٢، ٤٣٤، ٤٤٠-
 ٤٤١، ٥٥٩، ٥٦٢، ٥٦٦-٥٦٧، ٥٧٠
 علي الحربي، ٦٩٥
 علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، ٩
 علي بن أحمد، ١٣٠١
 علي بن أحمد بن حزم، ٧٧١٠
 علي بن حسن، ٤٧٤
 علي بن حسن أبو طاقة، ١٠٤٤
 علي بن حسن علي الصميلي، ١٠٨٥

علي بن حسين النجيب، ١١٨١
 علي بن حسين بن علي المكرمي، ٥٢٦
 علي بن حسين بن هيف، ٢٨٦
 علي بن حيدر، ١٠٨٤
 علي بن سلمان، ١٠٢٠، ١٠٤٦
 علي بن شنتوف، ١٠٥٧، ١٠٦٦
 علي بن شويل، ٥٧٩
 علي بن صايح بن حسن بن مكرم، ٦٨٤
 علي بن فرحان، ٩٤٠، ٩٤٩، ٩٥٦-٩٧٥،
 ٩٦٧، ٩٨٢، ٩٩٨، ١٠٠٤، ١٠٢٨، ١٠٤٣،
 ١٠٤٩
 علي بن كثير، ١٠١٩
 علي بن محسن بن حسين بن حسن بن
 إسماعيل، ٦٨٤-٦٨٥، ٦٨٧
 علي بن محمد الحياني، ٣٠٩
 علي بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد
 الإدريسي، ٨٧٢، ٨٨٣-٨٨٤
 علي بن مفرح بن حسين بن شنتوف، ١٠٦٠
 علي بن منيف، ٤٦٩
 علي بن نجيب، ٩٧٣
 علي بن نصيب، ٤٧٤
 علي بن هبة الله (الداعي الخامس عشر)،
 ت ١٩١٢ م، ٦٨٦-٦٨٧
 علي بن يحيى بن شريف بن جابر بن علي،
 ٩٢١، ٩٢٥، ٩٣٣-٩٣٦، ٩٤٥
 علي بن يحيى (ابن يحيى أم شريف)،
 ١٠٤٤
 علي جابر أبو ساق، ٦٢٨
 علي سلمان، ١٠١٩
 علي السنوسي، ٨٧٨

علي في مروح، ٩٦٥
 علي محسن، ٦٧٩، ٦٨١، ٦٨٤
 عماد الدين إسماعيل أبو الفداء، ٤٣١
 عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، ٥٠٥،
 ٥١٠
 عمر بن علي بن صايح بن حسن بن مكرم،
 ٦٨٤
 عمر بن غرامة العمروي، ٣٣١
 عوض، ٦٩٧
 عوض بن ناجي العسيري، ٣٢٤
 عيسى الخبيزي، ٣٢

(غ)
 غازي (ملك العراق)، ٥٧٣
 غانم بن مفرح، ٨٥٤
 غاوي، ٩٢٠
 غرس بن ضفر، ١٩٣
 غيثان بن علي بن جريس، ٢١، ٢٥، ٢٩-
 ٣٠، ٣٢-٣٤، ٣٦-٣٩، ٤١، ٤٣، ٤٥-٤٨،
 ٥١-٥٢، ٥٤-٥٥، ٥٧، ٦٥، ٦٧-٦٨، ٧٠،
 ٧٢، ٧٦، ٨١-٨٢، ٨٥، ٨٧، ٨٩-٩٠، ٩٢-
 ٩٣، ٩٥، ٩٨-١٠١، ١٠٨-١١١، ١١٥-
 ١١٧، ١١٩، ١٢٢-١٢٣، ١٢٦-١٣٠،
 ١٣٢، ١٣٦، ١٣٨، ١٤٠-١٤٣، ١٤٧-
 ١٤٨، ١٥٣-١٥٤، ١٥٦، ١٥٨، ١٦٤-
 ١٦٥، ١٦٧، ١٦٩-١٧١، ١٧٣، ١٧٥-
 ١٧٨، ١٨٤، ١٨٦-١٨٩، ١٩٢، ١٩٤-
 ١٩٥، ١٩٨-٢٠٢، ٢١٢، ٢١٤-٢١٦،
 ٢١٨-٢٢٣، ٢٢٦-٢٢٨، ٢٣٠، ٢٣٢،
 ٢٤١-٢٤٦، ٢٤٨-٢٥٤، ٢٥٧-٢٦٣،

علي بن حسين النجيب، ١١٨١
 علي بن حسين بن علي المكرمي، ٥٢٦
 علي بن حسين بن هيف، ٢٨٦
 علي بن حيدر، ١٠٨٤
 علي بن سلمان، ١٠٢٠، ١٠٤٦
 علي بن شنتوف، ١٠٥٧، ١٠٦٦
 علي بن شويل، ٥٧٩
 علي بن صايح بن حسن بن مكرم، ٦٨٤
 علي بن فرحان، ٩٤٠، ٩٤٩، ٩٥٦-٩٧٥،
 ٩٦٧، ٩٨٢، ٩٩٨، ١٠٠٤، ١٠٢٨، ١٠٤٣،
 ١٠٤٩
 علي بن كثير، ١٠١٩
 علي بن محسن بن حسين بن حسن بن
 إسماعيل، ٦٨٤-٦٨٥، ٦٨٧
 علي بن محمد الحياني، ٣٠٩
 علي بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد
 الإدريسي، ٨٧٢، ٨٨٣-٨٨٤
 علي بن مفرح بن حسين بن شنتوف، ١٠٦٠
 علي بن منيف، ٤٦٩
 علي بن نجيب، ٩٧٣
 علي بن نصيب، ٤٧٤
 علي بن هبة الله (الداعي الخامس عشر)،
 ت ١٩١٢ م، ٦٨٦-٦٨٧
 علي بن يحيى بن شريف بن جابر بن علي،
 ٩٢١، ٩٢٥، ٩٣٣-٩٣٦، ٩٤٥
 علي بن يحيى (ابن يحيى أم شريف)،
 ١٠٤٤
 علي جابر أبو ساق، ٦٢٨
 علي سلمان، ١٠١٩
 علي السنوسي، ٨٧٨

،٩٠٧ ،٩٠٥-٩٠٤ ،٨٩٧-٨٩٥ ،٨٩٤-٨٩٠
 ،٩٢٧-٩٢٢ ،٩١٨-٩١٤ ،٩١١ ،٩٠٩
 -٩٣٨ ،٩٣٦ ،٩٣٤ ،٩٣٢-٩٣١ ،٩٢٩
 ،٩٥٠ ،٩٤٩ ،٩٤٦ ،٩٤٤ ،٩٤٢ ،٩٣٩
 ،٩٨٥ ،٩٨٠ ،٩٧٨ ،٩٥٩ ،٩٥٦-٩٥٤
 ،١٠٠٩-١٠٠٥ ،١٠٠١-١٠٠٠ ،٩٩٦ ،٩٨٩
 ،١٠٢٣ ،١٠٢١-١٠١٧ ،١٠١٥ ،١٠١١
 -١٠٤٠ ،١٠٣٧ ،١٠٣٥-١٠٣٣ ،١٠٢٥
 ،١٠٥٥ ،١٠٥٣-١٠٥١ ،١٠٤٣ ،١٠٤١
 ،١٠٧٦-١٠٧٤ ،١٠٦٩ ،١٠٦٦ ،١٠٦٠
 -١٠٩٣ ،١٠٩٢-١٠٩١ ،١٠٨٨-١٠٧٨
 ،١١٠٦-١١٠٥ ،١١٠٠ ،١٠٩٩ ،١٠٩٥
 ،١١٢١-١١١٨ ،١١١٦ ،١١١٢-١١١١
 ،١١٢١-١١٣٤ ،١١٢١ ،١١٢١-١١٢٤
 ،١١٤٦-١١٤٤ ،١١٤١-١١٤٠ ،١١٣٨
 -١١٦١ ،١١٥٩ ،١١٥٦ ،١١٥٢-١١٤٩
 ،١١٧٣ ،١١٦٩-١١٦٨ ،١١٦٦ ،١١٦٢
 -١١٨٣ ،١١٨١-١١٨٠ ،١١٧٧-١١٧٥
 ،١١٩١-١١٩٠ ،١١٨٨-١١٨٧ ،١١٨٤
 ،١٢٠٠ ،١٢٠٨ ،١٢٠٥ ،١٢٠٣ ،١١٩٥
 ،١٢٢١ ،١٢٢٢ ،١٢٢٠ ،١٢١٥ ،١٢١٢
 -١٢٤٨ ،١٢٤٦-١٢٤٤ ،١٢٣٩-١٢٣٧
 ،١٢٦١ ،١٢٥٨-١٢٥٧ ،١٢٥٥ ،١٢٤٩
 -١٢٧٤ ،١٢٧١ ،١٢٦٩ ،١٢٦٦ ،١٢٦٣
 ،١٢٨٣-١٢٨١ ،١٢٧٨-١٢٧٧ ،١٢٧٥
 ،١٢٩٦ ،١٢٩٤-١٢٩٢ ،١٢٨٨-١٢٨٧
 ،١٣٠٦ ،١٣٠٤-١٣٠١ ،١٢٩٩-١٢٩٨
 ،١٣١٦-١٣١٤ ،١٣١١ ،١٣٠٩-١٣٠٨
 ١٣٢٢ ،١٣٢٠ ،١٣١٨

،٢٨٠ ،٢٧٨-٢٧٤ ،٢٧١-٢٧٠ ،٢٦٨-٢٦٦
 ،٣٠٦ ،٣٠٣-٣٠٢ ،٣٠٠-٢٩٧ ،٢٩٥-٢٨٢
 ،٣٢٨-٣٢١ ،٣١٧-٣١٦ ،٣١٤ ،٣١٢-٣٠٨
 ،٣٤٥-٣٤٤ ،٣٤٠-٣٣٨ ،٣٣٥ ،٣٣١-٣٢٠
 ،٣٢٣ ،٣٦٧ ،٣٦٥ ،٣٥٩ ،٣٥٥ ،٣٤٧
 ،٣٩٧ ،٣٩٥-٣٩٤ ،٣٩٢ ،٣٩٠ ،٣٨٤-٣٨٢
 ،٤١٦-٤١١ ،٤٠٩-٤٠٦ ،٤٠٤ ،٤٠١ ،٣٩٩
 ،٤٣٥-٤٣٢ ،٤٣٠ ،٤٢٨-٤٢٧ ،٤٢١
 -٤٧٠ ،٤٦٧-٤٦٥ ،٤٦٢-٤٥٩ ،٤٣٨-٤٣٧
 ،٥٠١-٤٩٥ ،٤٩٣ ،٤٩٠ ،٤٨٨ ،٤٧٥ ،٤٧٢
 ،٥٢٣ ،٥١٨-٥١٧ ،٥١٤ ،٥١١-٥٠٣
 ،٥٢٨ ،٥٢٥ ،٥٢٣-٥٢٩ ،٥٢٧-٥٢٦
 ،٥٥٥-٥٥٢ ،٥٤٧ ،٥٤٥-٥٤٤ ،٥٤٢-٥٤٠
 ،٥٧١ ،٥٦٩-٥٦٧ ،٥٦٤ ،٥٦١ ،٥٥٨-٥٥٧
 ،٥٩٨ ،٥٩٦ ،٥٨٤-٥٨٢ ،٥٧٨ ،٥٧٦ ،٥٧٤
 ،٦٢٦-٦٢٣ ،٦١٢-٦٠٩ ،٦٠٧ ،٦٠٣ ،٦٠١
 ،٦٤٩ ،٦٤٣ ،٦٣٦-٦٣٥ ،٦٣٢-٦٣١
 ،٦٦٧ ،٦٦٤ ،٦٦١ ،٦٥٦-٦٥٥ ،٦٥٢-٦٥١
 ،٦٨٩-٦٨٨ ،٦٨٥ ،٦٧٦-٦٧٥ ،٦٦٨-
 ،٧٠٤ ،٧٠١-٧٠٠ ،٦٩٧-٦٩٥ ،٦٩١
 ،٧١٨-٧١٦ ،٧١٥ ،٧١٣ ،٧١١-٧٠٨
 ،٧٣٤ ،٧٣٢ ،٧٢٩ ،٧٢٧ ،٧٢٥ ،٧٢٣-٧٢٢
 ،٧٦٠ ،٧٥٤ ،٧٤٩-٧٤٧ ،٧٤٠ ،٧٣٧-٧٣٦
 ،٧٧٩ ،٧٧٧ ،٧٧٠-٧٦٩ ،٧٦٧ ،٧٦٣
 ،٧٩٩ ،٧٩٧ ،٧٩٥ ،٧٩٤-٧٩٣ ،٧٩١-٧٨٩
 ،٨١٩-٨١٨ ،٨١٦ ،٨١٣-٨٠٨ ،٨٠٥ ،٨٠١
 ،٨٣٨ ،٨٣٣-٨٣١ ،٨٢٧-٨٢٥ ،٨٢٣
 ،٨٥٥ ،٨٥٣ ،٨٥٠-٨٤٩ ،٨٤٤ ،٨٤٢-٨٤٠
 ،٨٦٨-٨٦٧ ،٨٦٥ ،٨٦٣-٨٦١ ،٨٥٩ ،٨٥٧
 ،٨٨٩ ،٨٨٦-٨٨١ ،٨٧٨-٨٧٦ ،٨٧٤-٨٧١

فيصل = الأمير فيصل، ٣٢، ٩٤، ١٢٦،

١٤٧، ١٥٣، ١٨٩، ٢١٧، ٢٤٦، ٢٧٧،

٣٠٠، ٨٩٣

فيصل بن تركي بن عبد الله، ٢٧٤

فيصل بن حسين، ٢٧٥

فيصل بن حشر، ٤٦، ٥٥، ٣٥١

فيصل بن سعد، ٧٥٨

فيصل بن عبد العزيز، ٥٧٠، ١١٠٣

فيصل بن مسعود، ٢٦٢

فيصل الدويش، ٤٢٩،

فيليب لينز، ٣٩٥، ٥١١

(ق)

قاروتي، ٥٣٠، ٥٧٤، ٥٧٧، ٥٩٦ - ٥٩٧

قاري أون، ٢٠

قاسم (الشريف)، ١٢٢٤

قتمان (نائب القائد لقوة الإمارة)، ٩٤٥

قس بن ساعدة الأيادي، ٥٠٥، ٥٠٨

قيصر، ١٢١٢

(ك)

ك. س. توتشل، ٥٩٣

كارل راثيانز، ٥١٩

كالب الأصبحة (ملك الأكسوم)، ٤٩٩،

٥٠٠، ٥٠٦، ٥٠٧

كثير بن مالك، ١٠١٩

كديسي بن سلطان بن منيف، ٤٦٣، ٤٦٨،

٤٦٩

كسرى، ٥٠٨

كونزالك ريكان، ٣٩٥

(ف)

فارس بن راجس = الأمير فارس بن راجس،

٣٧

فاروق = الملك فاروق، ١٥٧

فاطمة، ٤٧٤

فرج، ٣٣٧، ٣٤٥، ٣٥٩، ٣٩٢، ٤٠٦، ٤٣٧،

٤٥٩، ٤٨٤، ٤٨٨، ٥٣٦، ٥٤٢، ٥٦٠،

٥٨٧-٥٨٨، ٦٠١، ٧٠٥، ٧١١، ٧٤٨، ٧٦٢،

٧٧٣، ٧٧٩، ٨٤٠، ٨٤٦، ٩٩١، ١٠٣٠،

١٠٩٧، ١١٠٠

فرج بن قرقح، ٦٢٧

فرج بن قرقة، ٣٢٢، ٣٢٢، ٣٥٤، ٣٦٧،

٣٧٦، ٣٧٩، ٣٩٠، ٣٩١

فرج، ٣٤٩

فرحان بن جبار أمداهمة، ٩٥٦

فرحان بن داهمة، ٩٣٩-٩٤٠

فرحان بن عياش، ١٠٤٤

فرحان الروية، ٣٢

فرومنتيس، ٤٩٩

فريا ستارك، ٢٣

فريدة بنت محمد بن حسين قدح، ٣٠٣

فريدة قدح، ٣٤٤

فميون، ٥٠٤

فهد بن صالح بن داؤد التامر بن محمد بن

عبد الله بن عمر بن علي بن صابح، ٦٨٤

فهد بن عبد الكريم العقيلي، ٣٠٠

فؤاد = الملك فؤاد، ١٥٧

فؤاد حمزة، ٤٦٢، ٥٦٤، ٥٦٩، ٦٠٩-٦١٠،

٦٣٢، ٦٥٥، ٦٨١، ٨٤٢، ٦٨٤-٦٨٣،

٦٩٥-٦٩٦

- محمد أبو علي، ٨٣٠، ٨٣٤
 محمد أحمد العقيلي، ٨١٩، ٨٤٩، ٨٥٠،
 ٨٦١، ٨٦٧، ٨٧٣-٨٧٤، ٨٧٧، ٨٨١-
 ٨٨٢، ٨٩٣، ٨٩٦، ٩٢٦، ٩١٧، ١٠٨٣،
 ١٠٨٠-١٠٨٤-١٠٨٥
 محمد الإدريسي، ٢٧٥، ٢٧٦، ٤٣١، ٨٧٢،
 ٨٩٥
 محمد الأثرى، ٣٠٩
 محمد الأمين الشنقبطي، ١٢٩٤
 محمد باشا، ١٢٩٥
 محمد البسام، ٢٨٩، ٢٩٢
 محمد بن إبراهيم، ١٢٢٤
 محمد بن إبراهيم النشمي، ٣٩٤، ٤٠٤-
 ٤٠٥، ٥٦٦، ٦٣٣، ٦٤٠، ٦٧٦-٦٧٨
 محمد بن أحمد آل خيرات، ١٠٨٤
 محمد بن أحمد الإدريسي، ٨٨٤
 محمد بن أحمد بن طراد، ١١٧١
 محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن محمد
 ابن فهد بن صالح بن داؤد التامر
 (الداعي المكرمي الثاني)، ٦٨٣-٦٨٦،
 محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق،
 ٦٨٢
 محمد بن إسماعيل المكرمي، ٤٣٨
 محمد بن بريكان، ٧٤١-٧٤٢، ٧٩٩
 محمد بن تركي السديري، ١١١٩
 محمد بن جابر، ٤٠٨
 محمد بن جار الله، ٨٦
 محمد بن جبران، ١٠٤٩
 محمد بن جبرين، ٢١٦
 محمد بن جبير، ٢٩١

(ل)

- لاركن، ٢٢١
 ليبيد بن ربيعة العامري، ٢٠٠
 لورنس، ١٢٦
 ليوبولد فايس = محمد أسد، ٢٩، ٧٣-٧٤،
 ١٩٠

(م)

- م. تاميزية، ٨٩٦-٨٩٧، ١٢٩٤-١٢٩٥
 ماريا تريزا، ٣١، ٥٦١-٥٦٢
 ماكسويل دارلنج، ٨٩٥
 مالك (مؤسس بني مالك)، ١٠١٩
 مالك الإدريسي التقليدي، ٨٥٠
 مبارك المعبدي، ٤٣٣، ٥٦١، ٩٢٩
 مترك بن عشق بن شفلوت = الأمير مترك
 ابن عشق بن شفلوت، ٤٦
 متعب، ٩٦٧
 متعب (رئيس آل ثابت)، ٩٧٨
 متعب بن جابر، ٩٥٧
 محبوب، ٢٥١
 محسن بن حسين بن حسن بن إسماعيل،
 ٦٨٥
 محسن جلال، ٥٧٠، ٥٦١، ٥٦٦
 محفوظ بن سعيد بن مسفر الزهراني،
 ٢٧٥، ٢٩٢
 محمد، ٤٨٥، ٥٣٦
 محمد = الأمير محمد، ٤٢٩، ٤٣١، ٤٣٣-
 ٤٣٤، ٤٣٩، ٤٤٠
 محمد آل زلفة، ٥٥٨، ٩٥٩، ١٠٠٦، ١١٦١،
 ١١٧٥، ١١٨٥

محمد بن فهد بن صالح بن داؤد التامر بن
 محمد بن عبدالله بن عمر بن علي بن صابح،
 ٦٨٤
 محمد بن لبدان، ٣٢٥، ٣٣٠
 محمد بن ماضي، ٨٩٣-٨٩٤، ٩٠١، ٩٢٢،
 ١٢١٢
 محمد بن مسفر، ٧٨٧
 محمد بن منيف، ٤٦٩
 محمد بن مهدي، ٨٧٤، ٨٧٨-٨٧٩، ١٠٧٦
 محمد بن ناصر، ٦٥١
 محمد بن النشمي،
 ٥٣٢، ٥٣٥، ٥٧٠، ٥٧٨، ٥٩٩، ٦٥١
 محمد بن هادي الشعبي، ١٢٣٨، ١٢٤٠، ١٢٤٣
 محمد بن هذيل، ٦٢٧
 محمد بن يحيى العوض، ١٢٢٧
 محمد بهجت الأثري، ٤٩٩
 محمد البيومي، ٥٥٩، ٥٦٣، ٥٧٠، ٥٧٧
 محمد بيومي مهران، ٤٩٣، ٧٥٤
 محمد الجرب، ٦٢٤
 محمد حسن ضكام، ١١٣٧
 محمد حسن بن محمد بن علي بن محمد
 ابن أحمد الإدريسي، ٨٨٤
 محمد الدسوقي الدوسري، ١٠٨٨
 محمد شريف بن عبد المتعال بن أحمد
 الإدريسي، ٨٨٤
 محمد الشقيير، ٣٠٩
 محمد (شيخ العرجا)، ١٢٨٧-١٢٨٨
 محمد صبري محسوب، ٨٦٧
 محمد ﷺ، ٩٥، ٢٣١، ٤٥٩، ٥٠٨-٥١٠،
 ٥٣٨، ٦٥٧، ٦٨٢، ٧١٦، ٩٩٦

محمد بن حمد الخلاص، ١١٢٣
 محمد بن خليف، ٦٢٧
 محمد بن داهش، ٧٣٩-٧٤٠
 محمد بن دليم، ٧٤٠
 محمد بن سبيع، ٢٠٤
 محمد بن سحمي، ٥٥
 محمد بن سعود = الامام محمد بن سعود،
 ٥١٧، ٨٠١
 محمد بن سعود بن كدسة، ٨٦
 محمد بن سلطان، ٣٠٩
 محمد بن سنوسي بن عبد المتعال بن أحمد
 الإدريسي، ٨٨٤
 محمد بن شهيل، ١٢٦
 محمد بن شويل، ٥٧٩
 محمد بن الشيخ، ٢١٧، ٧٨٦
 محمد بن طراد، ١١٤٨، ١١٥، ١١٦٢، ١١٦٤،
 ١٢٠٤
 محمد بن عائض، ٢٧٧، ٢٧٨، ٩٣٤، ١٠٨٥
 محمد بن عبد الله، ١٩٧
 محمد بن عبد الله بن بطوطة، ٢٩١
 محمد بن عبد الله بن عمر بن علي بن صابح،
 ٦٨٤
 محمد بن عبد الرحمن البهكلي، ١٠٨٣
 محمد بن عبد الوهاب، ٢١٧، ٥١٧، ٨٠١
 محمد بن عبيكان، ٢١٦، ٢١٧
 محمد بن علي، ١٠٥٥، ١٠٥٧
 محمد بن علي الأكوغ، ٣٩٠
 محمد بن علي بن محمد بن أحمد الإدريسي،
 ٨٨٣-٨٨٤
 محمد بن قالح البرقي، ١٨٧

- مطيع، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧٣، ٣٧٥، ٣٧٩
 معاهدة الطائف، ٥٥٨
 معد يكر ب يعفر = الملك معد يكر ب يعفر،
 ٥٠٢
 معسكر بن منيف، ٤٦٨، ٤٧٢
 معمر، ٢٣٣
 مغامر بن مالك، ١٠١٩
 مغربي، ١١٦٨
 مفرح أم جرو، ٩٠٩-٩١٠
 مفرح بن سليمان، ١٠٤٤
 مقبولة (زوجة فرج)، ٣٦٣
 مكرم بن صبا بن حمير الأصغر، ٦٨٤
 ملفي العرام (رئيس قرية الطلحة)، ٧٣٢، ٧٣٥
 ملك الأميذة، ٤٩٩
 ملك كرب آيل وتر، ٤٩٢-٤٩٤
 ملك كرب يهمن، ٤٩٩-٥٠٠
 منصور بن تبان، ٥٨٠
 منصور بن عماد الدين، ١٠٨١
 مهدي بن مصطفى بن عبد المتعال بن
 أحمد الإدريسي، ٨٨٤
 مهدي، ٦٥٢-٦٥٣
 مهدي بن جعفر بن هبة الله، ٥٢٦
 مهدي بن قعوان، ٦٥٢
 مهدي بن مصطفى بن عبد المتعال بن
 أحمد الإدريسي، ٨٨٤
 مؤسسة تشائم هاوس، ١٨
 المؤسسة الخيرية لدراسة الإنسان، ١٨-١٩
 موسى، ١٠٦٦
 موسى بن حمدان (شيخ آل حسن)، ٨٤١-
 ٨٤٢، ٨٤٥، ٨٤٨
- محمد العساف، ٦٥١
 محمد العسيري، ٣٣١، ٣٥٦، ٣٥٩، ٣٧٩
 محمد علي باشا، ٨٩٦
 محمد علي مغربي، ٥٦١
 محمد القدسي، ٧٤١-٧٤٤
 محمد محمد الحناش، ٥١١
 محمد (من الأشراف)، ١١٩٩-١٢٠٠
 محمد مهران، ٥٠١
 محمد يحيى الباصهي، ٨٧١
 محمد (شيخ الحكامية)، ١١٣٨
 محمود حمودة، ١٥٣
 محمود شاكر، ٧٠٨، ٧٢٥، ٧٣٣، ٨٤٢
 محمود شكري الالوسي، ٤٩٩
 محيي الدين باشا، ٢٩٩، ٣٠٠
 مداوي، ٨٢٥، ٨٢٨
 مدحت باشا، ٢٧٥
 مرسي كميلة، ١١٠٦-١١٠٧
 مرعي بن إبراهيم آل عبده الهلالي، ١٢٧٠
 مرعي الوادعي، ٧٧٣، ٧٧٩
 مريم العذراء، ٥٠٣
 مسفر، ٤٣٥، ٤٧٦، ٦٢١، ٦٢٧، ٦٤١، ٧٥٦
 مصطفى، ٨٨٤
 مصطفى الإدريسي، ١٢١٩
 مصطفى بن عبد المتعال بن أحمد
 الإدريسي، ٨٨٤
 مصطفى محمد الأمين الشنقيطي، ١٢٩٤
 المطلق، ٤٧٥
 مطلق بن زايد، ١٦١
 مطلق بن شلفوت، ٣٥١
 مطير، ١٨٠

هارون الرشيد، ٨٨٤

هارون اليهودي، ٥٣٨، ٥٣٩

هاري سانت جون فيلبي، ٩، ١٠، ١١، ١٢-

١٥، ١٥٦، ١٧١، ١٧٥، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢١٥،

٢٢٦-٢٢٧، ٢٤٨، ٢٥٠-٢٥١، ٢٦٦،

٢٧٠، ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٨٨، ٢٩١، ٣٠٨،

٣١٢، ٣٥٩، ٣٦٥، ٣٧٣، ٣٩٢، ٣٩٤-

٣٩٥، ٣٩٩، ٤٣٢، ٤٦٢، ٤٦٥-٤٦٦،

٤٩٠، ٤٩٧، ٥٠٨، ٥١١، ٥٢٧، ٥٥٥،

٥٥٧، ٥٦٤، ٥٦٧-٥٦٨، ٥٨٣-٥٨٤،

٥٩٦، ٦٠٩-٦١٠، ٦٢٦، ٧٠٩، ٧١٦،

٧٣٧، ٧٦٠، ٧٦٣، ٧٧٠، ٧٩٩، ٨١٦،

٨١٩، ٨٤١، ٨٥٥، ٨٦٧، ٨٩٠، ٨٩٦،

٩٠٤، ٩٠٧، ٩٢٢، ٩٢٧، ٩٥٥، ٩٧٨،

١٠٠٠، ١٠٠٧-١٠٠٨، ١٠١١، ١٠١٧،

١٠٤٠، ١٠٥٢، ١٠٥٥، ١٠٦٠، ١٠٧٥،

١٠٩٢، ١١٠٠، ١١١٢، ١١١٦، ١١٢٠،

١١٥٦، ١١٦١-١١٦٣، ١١٦٦، ١١٦٨،

١١٧٦-١١٧٧، ١١٨١، ١١٨٣، ١١٨٨،

١١٩٠-١١٩١، ١١٩٥، ١٢٠٣، ١٢٠٨،

١٢٢٠، ١٢٤٨، ١٢٧٤، ١٢٨٨، ١٣٠٢-

١٣٠٣، ١٣٠٦، ١٣٢٢

هاشم بن سعيد النعمي، ٢٧٦

هبة الله بن إبراهيم (خال محمد بن

إسماعيل)، ٥٢٦، ٦٨٦

الهمداني، ٧٠١، ٧٣٤

هنود بن حمود الحيسوني، ٦٣٢

هنيدي، ٥٧٠

هوج سكوت، ٢٣

هيروانتباس، ٤٩٨

هيفاء بنت محمد آل رزق الياامي، ٤٧٠، ٥٢٩

موسى بن مفرح بن علي العمري، ١٠٥٥،

١٠٥٧، ١٠٦٠

موسى السويدي، ١٢٠٤، ١٢٠٨

موسى العلي، ١٠٥٨-١٠٥٩

موسى الكاظمي، ٦٨٢

(ن)

نابليون، ١٢٤٨

ناحي، ٥٤١، ٥٩٣-٥٩٤

نادر بن عبدالله بن نادر، ٣٢

ناشر بن راضي، ١٢٨،

ناصر، ١٠٥، ١٠٨، ١١٠، ١١٤-١١٦، ١١٨-

١١٩، ٤٠٨-٤٠٩

ناصر بن سحمي البقمي، ٩٧، ١١١، ١١٥،

١١٧

ناصر بن شماخ النهدي، ٤٠٨، ٥٣٥، ٥٧٢

نافع بن فضلية، ١٦١

نجم الدين عمارة، ١٠٠١

نخيف بن رايم بن كثير، ١٠٢٠

نصيفة بن خولان، ٩٨٥

نعمان، ٤٨٨، ٦١١

نوري السعيد، ٥٨٧

(هـ)

الهادي، ٨٨٤

هادي سعيد، ١٠٨٢

هادي القريني، ١٢٤٥

هارفي. بي. هال، ١٩

هارولد انجرامز، ٢٣

هارون بن سعيد بن سالم بن سعيد اللالوي، ٥٤١

يحيى بن رايم بن كثير، ١٠٢٠
 يحيى بن شريف بن كيبش الخالدي، ٩٤٠،
 ٩٨٤
 يحيى بن مسرع (شيخ آل خزيم)، ٨٤١
 يحيى بن نصيب، ٤٠٥، ٥٣٣، ٥٥٩-٥٦٠،
 ٦٠٠
 يحيى الخالدي، ٩٥٦-٩٥٧، ٩٨٢، ٩٨٤
 يزيد (رئيس بلغازي)، ٩٠٥-٩٠٧، ٩١٣
 يعلي بن كثير، ١٠١٩
 يعوض، ٧١١-٧١٢
 يلال عقبة غراب، ١٢٠٦
 يوسف، ٤٣٤، ٥٦٤، ٥٩٥، ٩٢٥
 يوسف بن داود، ٥٤٠
 يوسف بن علي بن هبة الله (الداعي
 الثامن)، ٦٨٦
 يوسف هالفي، ٤٨٩، ٥١٨، ٥٢٠، ٥٢٤
 ٦٠٣-٦٠٦، ٦٠٨
 يوسف ياسين، ١٦٢-١٦٣، ١٦٦-١٦٧
 يوسف اليهودي، ٤٦٤، ٥٣٦-٥٣٨، ٥٤٦

(و)

واتش فون فيمسان، ٥١٩
 واخوب = الكولونيل واخوب، ٢٩، ٧٣
 والفرود، ١٢١٦، ٨٩٥
 وايمان بري، ٩٩٢
 ولفرد شيجر، ٢١

(ي)

ياسين الهاشمي، ٥٨٧
 ياقوت الحموي، ٨١٩
 يحيى، ٩٦٧، ٩٩٨، ١٠٨١، ١٠٩٠
 يحيى = الامام يحيى، ٨٨٣
 يحيى أم شريف (يحيى الشريف)، ٩٦٦،
 ١٠١٩، ١٠٣٧، ١٠٤٥، ١٠٤٩، ١٠٥٩،
 ١٢١٧
 يحيى أم عمر، ١١٧٢
 يحيى باصهي، ٨٧١
 يحيى بن الحسين بن القاسم، ٥٣٠
 يحيى بن جبران، ١٠٣٧، ١٠٤٤-١٠٤٥،
 ١٠٥٢، ١٠٤٩



ب - فهرس القبائل والعشائر والأفخاذ

آل ثعلب، ٣٠٩
 آل ثعلبة، ٥٥٣
 آل ثقفان (أسرة)، ٨٢٧
 آل جابر (قبيلة)، ٦٢٢، ١٠٧٠، ١٠٦٠
 آل جاهل، ٢٢٤
 آل جبرة، ٦٩٦، ٧٠٠
 آل جثيمة (آل قثيمة)، ٦٦٤
 آل جحلان، ٧١٧
 آل جحيش، ٦٩٩
 آل جرجر، ٣٢٥
 آل جشم، ٤٦٩، ٤٧٣
 آل جشمة، ٧٠٢-٧٠٣
 آل جعفر، ٦٠٩
 آل جلاء، ١٠٠٨-١٠٠٩
 آل جماعة، ٩٣٢، ٩٩٥، ١٠٦٠
 آل جمعة، ٣٢٥، ٩٧٧، ٩٨٥
 آل جملة، ١٠٦٤
 آل جنادة، ٩٤١
 آل الجندي، ٣٢٥
 آل جوب، ٨٣٤-٨٣٥، ٨٣١
 آل حابس، ٦١٠
 آل الحارث، ٥٤٨
 آل حامد، ٦١١، ٧٠٤
 آل حبس، ٩٥٦، ١٠١٩
 آل حبش، ٩٣٩

(أ)

آل أبا الطحين (قبيلة) (قسم لمواجد)،
 ٦٥٦
 آل أبو عريش، ١٠٧٩
 آل الأشعث، ٧١٧
 آل أم شيخ، ١٠٤٤
 آل أمدوشة (آل دوشة)، ١٠٦٠
 آل أمزرعة، ٩٤١
 آل أمشيخ، ١٣٠٤، ١٠٤٣-١٠٤١، ١٠٥٣،
 ١٠٥٧، ١٠٥٩، ١٠٦١-١٠٦٣
 آل بحري، ٦٥٥
 آل بران، ٥٣٣
 آل بريد، ٢٥٧
 آل بلغازي، ٩٠٤-٩٠٥
 آل بلكباش، ٣٢٥
 آل بن نعمان، ٣٢٥
 آل بني حمد (قبيلة)، ١١١٩
 آل بني معن، ١٠٦٤
 آل بني هلال (قبيلة)، ١٢٦٥
 آل البهكلي (أسرة)، ٨٦٨
 آل بو زيدة، ٦٠٩
 آل بو غبار، ٦١٠
 آل ببيشة، ٣٢٤
 آل تليد، ٩٣٢، ٩٥٢، ٩٥٧-٩٥٩، ١٠٦٠
 آل ثابت، ٧٢٦، ٩٧٧

آل رزق (قبيلة)، ٤٢٢، ٤٦٩، ٦٣٢	آل حجاج، ٣٣٦
آل رشيد (قبيلة)، ٢٥٠، ٣٣٤، ٤٧٥	آل حران، ٦٩٦، ٧٠٠
آل زاهر، ٧٠٤	آل حرث (قبيلة)، ٦٠٩-٦١٠، ١٠٨٣
آل زلفة، ٥٥٤-٥٥٥، ٥٥٧، ١٠٢٥، ١٠٤٠-	آل الحرشف، ٦٥٦
١٠٤١، ١١٢٠، ١١٤٤-١١٤٥، ١١٦٦،	آل حريص (قبيلة)، ٩٤٠، ١٠٧٠
١١٦٨، ١١٧٧، ١١٩١،	آل حسن (قبيلة)، ٤٧٥، ٨٣٤، ٨٤١، ١٣٠٢
آل زيدان المالكيين، ٩٨٤، ١٠١٠، ١٠١٩-	آل حسني، ٧٦٧
١٠٢٠، ١٠٢٢-١٠٢٣،	آل حشيش، ٧٧٣، ٧٦٤
الزيديون (اليمن)، ٦٨٥، ٧٥٨	آل الحصامي (قبيلة)، ١١٨١
آل ساري، ٧٠٢	آل الحماس، ٣٣٦
آل السحار (قبيلة)، ٧٧٢، ٧٧٥	آل الحمال، ٧١٣
آل سدر، ٣٤٦	آل حمد بن فضل، ٤٧٥
آل سرع، ٨٣١	آل حمري (من الأسلوم)، ٦٥٢
آل سرفان، ٧٠٧	آل حميدان، ٨٠٢
آل سريع (قحطان)، ٨١٥، ٨٢٨، ٨٣٥،	آل حوضان، ١١٠٥
١١٩٨	آل حوير، ٨٢٨
آل سعيد (قبيلة)، ٩٤٠، ٩٤٩، ٩٥٦، ١٠٢٣،	آل حيان (عشيرة)، ٧٠٠، ٨١٥، ٨٢١، ٨٢٨
١٠٢٥-١٠٢٦، ١٠٣١، ١٠٤٤	آل خالد (قبيلة)، ٩٤٠، ٩٤٩، ١٠٣١،
آل سلا (قبيلة)، ١٠٦٠، ١٠٦٤، ١٠٧٠-	١٠٣٤، ١٠٤١، ١٠٤٣
١٠٧١، ١٠٧٥	آل خريم، ٦١٠
آل سلح، ١٠٦٤	آل خزيم، ٨٤١
آل سلمى (قبيلة)، ٩٤٠، ١٠١٩	آل دحث، ٢٥٨
آل سليم، ٦٢٩	آل دشان، ٧١٥
آل سليمان، ٣٤٦، ٣٥٣	آل دواخ، ٦٦٤
آل سوار، ٦٠٠، ١٠٦٠	آل دوكر، ٦٦٩
آل السويد، ٧٠٧	آل ذهبان (قبيلة)، ١٢٦٥
آل سويدي (قبيلة)، ١٣٠٣	آل راسي، ٧٠٨
آل شافي، ٦١٠	آل ربعة (قبيلة)، ٦٠٩
آل الشام، ٨٤٠	آل رحمة، ٣١٨

- آل شرمة، ٦١٠
 آل شرية (قبيلة)، ٦٠٩
 آل شريف، ٧١٥
 آل الشعب، ٧١٧
 آل شماخ، ٧١٣
 آل صبا، ٧١٥
 آل الصبح، ٣٢٤
 آل صليح، ٦٥١
 آل ضاعي، ٢٥٨، ٢٥٩
 آل ضب، ٣٣٦-٣٣٧، ٣٣٤
 آل ضمد، ٩٤٠
 آل الطلحة، ٨٠٩
 آل الطويل، ٧١٣
 آل ظفيرة (قبيلة)، ٦٠٩
 آل عائض (عشيرة)، ٢٧٤، ٢٧٦، ٢٧٨، ٣٠٨
 آل عاصم، ٣٢٩
 آل عامر، ٦٥١، ٧٦٥، ١٠٦٠
 آل عبيد، ٩٢٤-٩٢٥، ٩٢٩
 آل عجير، ٣٣٦
 آل العرجاء (قبيلة)، ٦٣٢، ٤٧٥
 آل عزة، ١٠٣١، ١٠٣٤، ١٠٣٩، ١٠٤١-
 ١٠٤٣، ١٠٤٩
 آل عسكر، ٨٤٩
 آل عطا، ٩٢٤-٩٢٥، ٩٢٩
 آل علي (آل بن علي، أو علي بن علي)،
 ٧١٧، ١٠٦٠، ١١٠٥
 آل العليلي، ٩٥٥
 آل عمر (قبيلة)، ١٠٥٥
 آل عمرو، ١٠٦٠
 آل عواد (من الأسلوم)، ٦٥٢
 آل عياش، ١٠٢٥-١٠٢٦، ١٠٣١-١٠٣٤،
 ١٠٣٧
 آل عيدان، ٦١٠
 آل عيفة، ٧٢٢، ٨٠٩
 آل غازي، ٨٠٩
 آل غزة، ١٠٤٤
 آل الغليظ، ٣٢٥
 آل غمر، ١٠٦٠
 آل فاطمة، ٢٨٧، ٤٢٢، ٤٦٣، ٤٦٦، ٤٦٩،
 ٤٧٤، ٤٧٥، ٥٤٤-٥٤٥، ٦٠٨، ٦٢٢-
 ٦٢٣، ٦٢٧، ٦٢٩، ٦٣٢، ٦٣٦، ٦٥٦،
 ٦٦٠، ٦٦٤، ٦٦٩، ٦٨١
 آل فايد، ٦٦٥، ٦٧١، ٦٧٨
 آل فرج (قبيلة)، ٦٠٩
 آل فلاح (قبيلة)، ١٣٠٢
 آل فهاد، ٤٧٥
 آل فيضة، ١٠٦٠
 آل قرملة (أسرة)، ٦٣١
 آل قريشة، ٦١١
 آل قريع (من الأسلوم)، ٦٥١-٦٥٢
 آل قصال، ٢٥٤
 آل قطران (من الأسلوم)، ٦٥٢
 آل قطيل، ١٠٤٤
 آل قفيح = ضاعي رفيده، ٢٥٧
 آل قنة، ٦٦٤
 آل قوير (القور) (قبيلة)، ٦٠٩
 آل كثير، ٩٣٩، ١٠١٩-١٠٢٠
 آل كدسة، ٨٩

آل مملح، ٦١٢	آل اللهب، ١٠٦٠
آل منجم، ٤٢٥، ٤٢٧-٤٢٨، ٤٣٨، ٤٤٠،	آل لؤي، ٧٢٠
٤٦٥، ٤٧٧، ٥٣٦، ٥٤٠، ٥٤٢-٥٤٤،	آل مجدة، ٣١٣
٦٠٥-٦٠٦، ٦٠٩، ٦٢١	آل مجمل، ٣٢٤، ٣٢٦
آل منصور اليامية (عشيرة)، ٦١٠، ٧٣٢	آل محتّم، ١٠٦٠
آل مهري (قبيلة)، ١١٨١	آل محمد، ١٩٢، ١٩٤
آل ميسرة، ٢٥٧	آل محمد بن علي، ٣٢٤
آل نجيب، ٧٠٦	آل محمدي، ٧٦٧
آل نخيف، ١٠٢٠	آل محميد (قبيلة)، ٦١٠
آل النقعاء، ٦٥٥	آل مخلص، ٦٣٦
آل نمران، ٨٨	آل مخلوطة (قبيلة)، ١١٣٨
آل هادي، ٧٠٣	آل مرة (قبيلة)، ٤٢٢
آل هتان، ٣٢٤	آل مرزوق (قبيلة)، ٦٠٩
آل هشام، ٧٧٧	آل مرقب، ٦٦٤
آل الهندي (قبيلة)، ٦٠٨، ٤٢٢، ٤٦٠، ٤٦٩،	آل مستير، ٣٣٦، ٥٤٥
٤٧٣، ٥٤٤-٥٤٦	آل مسعد (قبيلة)، ٦٠٩
آل هيف، ٢٥٧	آل مسعود، ٣٦٥، ٨٢٨
آل يحيى (قبيلة)، ٩٤٠، ٩٤٩، ٩٥٦، ٩٨٤،	آل مسفر، ٣٦٥
٩٩٣-٩٩٤، ١٠٠٨-١٠١٠، ١٠٠٤	آل مسلت (قبيلة)، ٣٢٤، ٣٢٦
آل يزيد (قبيلة)، ٨٢٨-٨٢٩، ٩٤٨، ١٠٣٦،	آل مسلم (من غامد)، ١١٠
١٠٤٧	آل مشرف، ٦٠٩
آل يصبأ، ٧١٧	آل مضر، ٢٥٧، ٢٥٨
ابن حداد (قبيلة)، ١١٥٣	آل مطير، ٦١٠
أبو ساق (من آل فاطمة)، ٤٠٦، ٦٩٢	آل مظهر، ١٠٥١
أبو شملة، ١٠٨٣	آل معمر، ٣٤٦
أبو صول، ١١٣٦، ١٢٠٠	آل معني (بلدة)، ٤٣
أبو عوجه، ٣٠٩	آل مفرح، ٣٠٨
الأتراك، ٣٠١-٣٠٢، ٢٦٥، ٢٧١، ٢٧٣-	آل مقاتل (قبيلة)، ٦٠٩
٢٧٦، ٢٧٨، ٢٨١، ٢٩٢-٢٩٣، ٢٩٨،	آل الملحّة (قبيلة)، ١٢٢٠

- بايك، ٨٩٥، ١٢١٦
 بثان، ١٠٧٦
 بجيلة (قبيلة)، ٢٦٦
 بدين (قبيلة)، ١٣٠٣
 بربر، ٧٧٥-٧٧٦، ٧٩٢
 برقا، ١٦٥
 برقا العتيبية (قبيلة)، ١٣٩
 بريدي، ٥٦٣
 البقوم (قبيلة)، ٩٧، ١١٠، ١١٢، ١٢٨،
 ١٣٢، ١٧١
 بكيل (قبيلة)، ٧٦٧، ٧٦٩، ٧٧٠
 بكيل (ذو محمد)، ٦٠٦
 بكيل المشهور، ٧٤٦
 بلغازي، ٨٨٠، ٩١٤، ٩٤١، ١٠٦٠
 بلقرن، ٨١
 بللحمر (قبيلة)، ٣٠٩، ٣١٦، ٧١٤، ١٣٠٢
 بللسمر (قبيلة)، ٣٠٩، ٧٤١، ١٣٠٢
 بنت البثة، ٣٩٢
 بنو أكلب = بنو كلب، ٧٦، ٧٩، ٨٠، ٨١،
 ١٠٥، ٢١٣، ٢١٦، ٢٢٣
 بنو آل أمشيخ، ١٠٦٠
 بنو الجراح (قبيلة)، ١١٣٦، ١١٤٥، ١١٥١
 بنو الجرو (قبيلة)، ١١٧٢
 بنو الحارث (قبيلة)، ١٣٢، ١١٤٢
 بنو الحرث (قبيلة)، ١١٤٨، ١١٥٦
 بنو بجاد الشهرانية (قبيلة)، ٣٠٢
 بنو بشر، ٨٢٧، ٨٢٩
 بنو تغلب (قبيلة)، ٣٤، ١٢٣٩
 بنو تميم، ٢٥٧
- ٣٢٧-٣٢٦، ٣٢٩، ٦٥٩-٦٦٠، ٦٧٩-٦٨٠،
 ٨٨١، ٨٨٣، ١٠٥٤، ١٠٨٥، ١٢٤٨
 الأحامدة (قبيلة)، ١٢٩٨
 الأدارسة، ٨٥٠، ٨٦٧-٨٧٠، ٨٧٨، ٨٨٢-
 ٨٨٣، ٩٨٩، ١٠٨٥، ١٠٩٥
 الأزييين، ١١١٢
 الأساورس، ٤٩٦
 أسرة ابن مشيبة، ٣٠٨
 الأسلوم (قبيلة)، ٤٢٢، ٤٦٩، ٦٥١
 الإسماعيليون، ٦٠٧، ٦٨١-٦٨٢
 أشر، ٩٤١
 الأشراف، ٦٠٥، ١٢٢، ١٧٦، ٥٤٧، ٦١٠،
 ٨٧٠، ٨٨١-٨٨٢، ٩٧٣، ١٠٧٩، ١٠٨٠-
 ١٠٨١، ١١٣٤، ١١٣٩، ١١٩٩
 ١٢٠٥، ١٢٢٠، ١٢٢٣، ١٢٣٩، ١٣٠٦،
 ١٣٠٩، ١٣١١
 أشراف صنعاء، ٦١٠
 أشقة، ٩٨٥-٩٨٦
 أم شيخ (قبيلة)، ١٠٥٣-١٠٥٤، ١٠٥٥،
 ١٠٥٧
 أم عقارب (قبيلة)، ١١٥١
- (ب)
- باخشب، ١٢٢٧
 بادريق، ١٨٤
 باعشن، ١٨٤، ١٢٢٧
 بامحفوظ، ١٢٢٧
 بامخرمة، ١٢٢٧
 باوزير، ١٢٢٧

- بنو زيد (قبيلة)، ٣٠٩، ١٢٩٣، ١٣٩٦،
١٢٩٩
- بنو زيلع (قبيلة)، ١١٠٥، ١١١٣، ١١١٥-
١١١٦
- بنو زين، ١١٣٤
- بنو سحار، ٧٨٩
- بنو سران، ٤٤
- بنو سعد، ٦٧
- بنو سفيان، ١٠٨٣
- بنو سلمان (قبيلة)، ٥٤٤، ٦١٠،
بنو سلول، ٧٧، ٢٢٣
- بنو سليم (قبيلة)، ١٣٠٣
- بنو السيل (قبيلة)، ١١٣٤
- بنوشيل (قبيلة)، ١١١١، ١١١٧-١١١٨،
١٢٠٦-١٢٠٨، ١٢١٠
- بنو شحب، ٣٠٩
- بنو شميخ، ٤٨٩
- بنو شهاب الشامي (قبيلة)، ١٢٩٩
- بنو شهر (قبيلة)، ٢٣٤، ٣٠٩، ٧٤١، ٨٤١،
١٣٠٢
- بنو صحاف (قبيلة)، ١٣٠٣، ١٣٠٤
- بنو ضلعان، ٥٣
- بنو ظالم، ٣٠٩
- بنو عبد، ٩٤١
- بنو علي (قبيلة)، ٦١٠، ١١٣٩
- بنو عمر، ٧٤١
- بنو عمرو (قبيلة)، ١٣٠٢
- بنو عواجي، ١١٣٤
- بنو عيسى، ٧٩
- بنو الغازي (قبيلة)، ١٥٥، ٩٠٩، ٩٣٢
- بنو جراح، ١١٣٩، ١١٤٨
- بنو جماعة، ٩٢٤، ٩٤٠، ٩٩٠
- بنو جمعة (وادعة) (قبيلة)، ٧٧٠، ٧٨٩
- بنو جنفور، ٦٤٦
- بنو جونة، ٣٠٩
- بنو حبس، ٩٥٢
- بنو حداد (قبيلة)، ١١٠٥، ١١٣٤، ١١٣٧،
١١٤٢-١١٤٢، ١١٢٢
- بنو حرب، ٦٦٩
- بنو حريص (قبيلة)، ٩٠٩، ٩٢٤، ٩٣١-٩٣٢،
٩٤١، ١٠١٩، ١٠٤١، ١٠٤٦-١٠٤٧،
١٠٥٠، ١٠٥٣-١٠٥٨، ١٠٦٠-١٠٦٦،
١٠٧٠-١٠٧١، ١٠٧٤
- بنو حسن (قبيلة)، ١٣٠٦
- بنو حكم، ٩٢٥
- بنو حليفة (خولان) (قبيلة)، ٧٦٩-٧٧٠،
٧٧٢
- بنو حمد (قبيلة)، ١١١٧-١١١٨، ١١٢١،
١١٢٣، ١١٣٥، ١١٢٢
- بنو حموض شهران، ٢٦٧
- بنو حنية، ٩٩٠
- بنو حنيفة، ٧٦٧
- بنو خولي (قبيلة)، ٩٩٩، ١٠٠٤، ١٠٠٨،
١٠١٠، ١٠١٧-١٠١٨، ١٠٢٠-١٠٢٣،
١٠٢٥، ١٠٦٠
- بنو داحر، ٧٦٣
- بنو دهلي (قبيلة)، ١١٨١
- بنو رزام، ٣٢٥-٣٢٦، ٣٣٠
- بنو زبيد (قبيلة)، ١٢٩٣، ١٢٩٧-١٢٩٨،
١٣٠١-١٣٠٣

٨٠١، ١١٠١، ١١٤٤، ١٢٥٤، ١٢٧٠-	بنو غسان، ٥٠٤
١٢٧١، ١٢٧٧، ١٢٧٢	بنو القم (قبيلة)، ١١٦٥
بنو هميم (قبيلة)، ٦٥٠-٦٥١، ٦٥٤	بنو قطبة، ٣٠٩
بنو واهب، ٢٣٧، ٢٣٩	بنو قيس، ٣٠٩
بنو يعلا (قبيلة)، ١٢٨٧-١٢٨٨	بنو كثير، ١٠٦٠
بنو قدامة، ٥٤٥، ٦٠٩	بنو مأجور، ٨٤٠، ٨٤٩
بنو النكرة، ١١٨٤	بنو مالك (قبيلة)، ٢٥٥، ٢٦٨، ٢٩٠، ٣٠٢،
بوادة، ٩٣٢	٣٠٨-٣٢٤، ٨٨٠، ٩٠٩، ٩٢١، ٩٢٤،
البوال، ٦٦٧	٩٢٨، ٩٣٣-٩٣٤، ٩٣٦-٩٤١، ٩٤٣-٩٤٤،
بولة، ٦١١	٩٤٨، ٩٥٢، ٩٥٤، ٩٥٦، ٩٥٩، ٩٦٥، ٩٨٩،
البيزنطيين، ٥٠٠، ٥١٠	١٠٠٨، ١٠١٧، ١٠١٩-١٠٢٠، ١٠٢٥،
	١٠٢٨، ١٠٤٣، ١٠٤٩، ١٠٥٧، ١٠٦٠،
(ت)	١٠٦٦، ١٢١٧، ١٢٢٩، ١٣٠٨، ١١٥١-
تغلب (قبيلة)، ٢١٤-٢١٥	١١٥٢
التتابكة (قبيلة)، ١١٠٥، ١١٢١، ١١٢٣-	بنو مروان (قبيلة)، ١٠٥٥، ١٠٦٩، ١١٠٠،
١١٢٤، ١١٢٩، ١١٣٤	١١٠٤-١١٠٥، ١١١٥، ١١١٨، ١١٢١-
التومان (قبيلة)، ١٢٩٨	١١٢٢، ١١٢٥، ١١٣٥، ١١٣٨، ١١٤١،
(ج)	١١٤٥، ١١٤٨، ١١٥١
جارمة (قبيلة)، ٢٥٧	بنو مصيقرة، ٤٤، ٤٧
جاش، ٥٤، ٣٤٦، ٣٦٧	بنو معاوية، ٢٢٣، ٢٢٦
الجرايع (فخذ)، ٣٤٥-٣٤٦	بنو معراج، ٨٤٠، ٨٤٩
جشم يام (قبيلة)، ٤٣٣	بنو مفيد، ٣٠٣، ٣٠٨، ٣١٤، ٣١٨، ٣٢٢-
الجراحيات (قبيلة)، ١١٥٩	٣٢٣
الجرو (قبيلة)، ١١٦٦، ١١٧٧، ١١٧٨	بنو مفيد (قبيلة)، ٣٦٨
الجعادرة (قبيلة)، ١١٠٥، ١١٢٢	بنو منبة، ٢٣٠، ٢٥٥، ٩٤١، ١٠٣٩-١٠٤٢،
الجمعاج، ٣٢٥	١٠٤٤، ١٠٥٠-١٠٥١، ١٠٦٠
الجمبة، ٤٧	بنو هاجر، ٧٧
جنبه، ١٠٠٥	بنو هذيل (قبيلة)، ١٢٨١
الجنفور، ٣٢٤	بنو هلال (قبيلة)، ١٠٨، ٢٠١، ٢٠٤، ٢٢٦،
	٢٣٠، ٣٥٥، ٥٢٦، ٥٣٤، ٦٣٠، ٦٥٣، ٦٥٦،

(د)

داود (قبيلة)، ٥٢٨، ١٠٥٦

الداودية (فرقة)، ٦٠٧

دبيلة، ١٨٠

الدحامس، ٦١٠

دحيم (قبيلة)، ٨١

درب بني شعبة (قبيلة)، ١٢٣٨

الدعيجي، ٥٦٤-٥٦٦، ٥٧٠

الدغالبية، ١٦٥

دهم (قبيلة)، ٤٢٢، ٧٣٣

الدواسر (قبيلة)، ٤٩

(ذ)

ذو خشا (قبيلة)، ٢١٢

(ر)

ريج، ٦٤٠

ريعة، ١٣٠٣

ربيعة (قبيلة)، ٢٦٨، ٣٠٨، ٣٢٨-٣٢٩، ٦٥٧

الرجمان (قبيلة)، ١٢٨

الرحميين، ٤٩٧

الرحيلين، ٣٦

رفيدة (قبيلة)، ٢٥٧-٢٥٨، ٢٦٢، ٢٦٨،

٢٧٦، ٢٨٦، ٢٩٠، ٣٠٨، ٣٢٨-٣٢٩

الرميح، ٥٨٧، ٧١٩، ٧٢٦، ١١٥٠

رنده، ٨٢٤

الرواشد (قبيلة)، ١٢٩٨-١٣٠١

روحام، ٩٦٧

روحان، ٩٣٤، ١٠٣٨

الربع، ١٩١

جو آل النجيم، ٣١١

الجوابرة، ١٠٧٢

(ح)

الحارث (قبيلة)، ٤٦٩، ٤٧٤، ١١٨

حاشد (قبيلة)، ٧٤٦، ٧٧٠

الحياب، ٨٠٩

حيشوش، ٦٥٩-٦٦٠

حرب (قبيلة)، ٦٣٢، ١٢٨٥، ١٢٨٧، ١٢٩٣،

١٢٩٨، ١٣٠٢

حريرب، ١٠٣٧، ١٠٣٩، ١٠٤٦

الحرث (قبيلة)، ٦٧٠، ١١٧٠، ١١٥١،

١١٦٢، ١١٦٦، ١١٧٢، ١١٨١، ١١٩٨-

١١٩٩، ١٢٠٦

الحرقان، ٥٤

الحشاشون، ٦٧٩، ٦٨٧، ٦٩٣

الحكامية (قبيلة)، ١١٣٧-١١٣٩

حمود (عشيرة)، ٢٣٠، ٢٣٢

الحواتم، ١٣١٠

الحوط (قبيلة)، ٧١٤-٧١٥، ٨١٢، ٨١٤،

٨٤٠، ٨١٩

(خ)

الخالديون، ١٠٢٨، ١٠٣١-١٠٣٧، ١٠٣٩،

١٠٤١-١٠٤٢، ١٠٤٤، ١٠٤٦، ١٠٤٩،

١٠٥٨، ١٠٥٠

خثعم (قبيلة)، ٢٦٦، ٨٤١، ١٣٠٢

الخضرة (من الأسلوم)، ٦٥١-٦٥٢، ٦٦٩،

٦٨٩، ٧١٩

خولان، ٥٣٨، ٧٦٥، ٧٦٩، ٧٩٠، ٨٣٥، ٩٠٥،

٩٠٩-٩٢٣، ٩٢٥، ٩٣٩، ٩٤١، ٩٤٨، ٩٨٥،

١٠٦٠-١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٩

سنامكة، ١٣٠

سنحان (قبيلة)، ٣٤٢، ٦٧٥، ٦٩٦-٦٩٩،

٧٠٨، ٧١٠، ٧١٥، ٧١٨، ٧٢٤، ٧٣٣،

٧٣٥، ٧٤٠، ٨٠٩، ٨١٥، ٨١٩، ٩٢٥

السنوسي (أسرة)، ٨٧٨

(ش)

شريف (قبيلة)، ٦٩٧، ٧٠٨، ٧١٤، ٧٣٣،

٧٣٥، ٧٤٠، ٨٣١، ٩٩٨

شريفان (قبيلة)، ١٢٩٣

شعار (قبيلة)، ٢٨١، ٢٩٠، ٢٩٣، ٣٠١،

٣٣٣، ٣٠٩

شعثمي، ٩٩٠

شعف شهران، ٧٢٠

شقبان، ٨٥١

شمران (قبيلة)، ٨١، ١٣٠٢

شمسان، ٢٩٣

شنانيع، ١٣٠٠

شهدان، ١٠١٠، ١٠١٥

شهران (قبيلة)، ٧٧، ٨٨، ٢١٤-٢١٥، ٢٣٤،

٢٣٩، ٢٤٣، ٢٥٠، ٢٦١، ٢٣٠، ٢٥٦، ٢٥٨،

٢٩٠، ٣٠٩، ٣٣٩، ٣٤٣، ٣٤٨، ٧٠٤،

٧٣٥، ٧٤١، ٨١٣، ٨٤١، ٨٤٩، ٨٥٣،

٨٥٦، ١١١٧

الشواجرة (قبيلة)، ١٢١٧

شيت (قبيلة)، ٦٧

الشيخى، ٩٤١

(ص)

صبغة آل شنيبة، ٥٥٧

الصنادلة، ١٩٢

(ز)

زبلع (قبيلة)، ٦٠٩

زبيد (قبيلة)، ٤٢٥، ٤٣٢، ٥٩٧، ٦٠٩،

١٠٠١

الزرادشتية، ٥٠٣

الزرائيق (قبيلة)، ١٠٠٤

الزرقان، ٧٠٣

زهران (قبيلة)، ١٣٠٢-١٣٠٣، ١٣٠٨،

الزواهر (قبيلة)، ١٢٩٨

زور آل الحارث، ٥٤٨، ٦١٢

زور آل سوار، ٦١٠

زور العماري، ٦١٢

زور منظور، ٦١١

زور وداعة، ٦١٢

الزيالعة (قبيلة)، ١٢٩٣

زيتة، ٥٩٣

الزديون، ٥٣٠

الزيود (قبيلة)، ٥٦١، ٥٦٤، ١٠٩٢، ١٠٨٣-

١٠٨٤

(س)

سبيع (قبيلة)، ١٠٥، ١١٠، ١٩٣، ٢٠٠،

٢٠٤، ٢٠٦، ٢١١

سحار (قبيلة)، ٧٦٥، ٧٦٩، ٧٩٠

السرحة (قبيلة)، ١٢٩٨

السفيانيين، ١٠٦٠

السلوم (عشيرة)، ٢٣

سليحة، ٦٦٥

سمهر، ٦٠٩

السميان (عشيرة)، ١٢٨، ١٧١

العثران، ٣٠٢
 عشوان، ٩٥١، ٩٥٤، ٩٥٦، ١٠٢٣
 العجمان، ٤٧٥
 العجيبى، ١١٨٠
 عدوان، ٣٢٥
 العذار، ٦٩٨
 عراب، ٩٥٢
 عريبي (قبيلة)، ١١٠٠، ١١٠٨، ١١١٢، ١١١٦
 عرير، ٦٢١، ٦٢٤
 العزة، ٩٣١، ١٠٢٠
 عزيبي (قبيلة)، ١١١٣
 عسكر، ٨٤٠
 عشيرة، ٢٣٤، ٢٦٠، ٣٣٢-٣٣٣
 العصلان (قبيلة)، ١٢٩٨
 العقارب (قبيلة)، ١١٥٦، ١١٥٩
 عقيلان، ١٠٠
 علب (قبيلة)، ٧٦٩
 علكم (قبيلة)، ٣١٤، ٣٠٨، ٣٠٢، ٢٦٨
 ٣٣١، ٣٢٩، ٣٢٤-٣٢٣، ٣١٨
 العليلي (آل علي)، ٩٣٩، ١٠١٩
 العماير، ١٨٨، ١٩٤
 عمران، ٥٦٢
 العمور، ٣٤، ٣٥
 عمير، ٦١٠، ٨٧٤
 عواجي (قبيلة)، ١١٠٠، ١١٤٣
 عوفة، ٦٦٥
 عوكلة، ٥٢٨، ٥٤٠، ٥٤٦
 عويرة (أشراف عويرة)، ٦١٠
 عياش، ٩٤١، ٩٤٩، ٩٦٩، ٩٨٠، ٩٨٤، ٩٩٠
 ١٠٢٨، ١٠٣١، ١٠٤٧، ١٠٥١، ١٠٦٠

الصهائيل، ١٠٦٠
 الصوالحة (قبيلة)، ١٢٧٧-١٢٧٨
 صوفع، ٩٩٤
 الصيابة، ٩٣٢
 صيحان، ٦٦٠-٦٦٢، ٦٦٩، ٦٧١
 الصيعر (قبيلة)، ٥٣٥

(ض)

الضوامرة (قبيلة)، ١٢٠٧

(ط)

الطحل، ٣٢٤
 طحنان، ١١٨٧
 الطوال، ١٠١٦

(ع)

العبادل (قبيلة)، ١٠٥١، ١٠٦٠، ١١٤٨
 ١١٩٣، ١١٩٥-١١٩٦، ١٢٩٣، ١٢٩٨-١٢٩٩
 ١٢٩٩
 العبادية، ١١٧٨
 عبس، ٨٥٣-٨٥٤، ٨٥٦، ٩٠٦
 العبسية، ٩٢٠، ٩٢٥-٩٢٧، ٩٣١، ٩٣٣-٩٣٤
 العبلاء، ٤٧٩، ٦٢٤
 عبيدة (قبيلة)، ٥٤-٥٥، ٣٤٣، ٣٤٥-٣٤٦
 ٣٥٣، ٨٣١، ٦٧٨، ٧١٥
 عتامة، ٢٠٢
 عتبة، ١١٥١
 عتبة الخبت، ١١١٧
 العتران، ٦١٠
 عتم، ٧٦٧
 عتيبة (قبيلة)، ١٣٢، ١٣٦، ١٦٥

القزيعات، ١٢٧٧

قوز بالغير (قبيلة)، ٢٧٦

قيس (قبيلة)، ١٠٥١، ١٠٥٧، ١٠٥٩،

١٠٦٠-١٠٦٤، ١٠٧٤، ١٠٩٦، ١١٠٠،

١١٠٥، ١١١٣، ١١١٥-١١١٦، ١١١٨،

١١٢٦-١١٢٩، ١١٩٥-١١٩٦، ١١١٣

(ك)

الكامح، ١١٥٢

كدات-كندة (قبيلة)، ٥٠٧

كعب بن الحارث (قبيلة)، ٤٧٨

الكموب (قبيلة)، ١١٧١، ١١٧٧، ١١٩٨

الكلبة (قبيلة)، ١٢٨

الكميتاء (غدران)، ١١٩

كنانة (قبيلة)، ١٢٨١

الكوامل (قبيلة)، ١٢٩٨

كود (قبيلة)، ٢٣٤، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٣٧

(ل)

لاوي العبرانية (قبيلة)، ٥٤١

اللبدة (قبيلة)، ١٢٩٨

(م)

محشرة (قبيلة)، ١٠٥٦

محضب، ١٩٥

محول، ١١٦٩

محيريشة، ٧٧٢

محيش، ٥٨٥

مذحج (القحطانية)، ٧٠١

المراعية (قبيلة)، ١٢٩٨

عيان، ٦٤٠

العيدابي، ٩١٣، ١٠٧٣

عيذة، ٦٢٣

(غ)

غامد (قبيلة)، ٨٦، ١٠٥، ١٠٩-١١٠، ١٩٠،

٢٢٢-٢٢٣، ٨٧٦، ١٣٠٢

الغاوية (قبيلة)، ١١٣٤، ١١٦٣

غرلوقة، ١١٩٥

(ف)

الفارسية، ٤٩٩

فرسان، ٧٦٠، ١٢١٦

فريض أسعر، ٧٨٢-٧٨٣

فريق، ٤٠٦

الفرع (قبيلة)، ٨١

فشالية، ١١٣٧

فضة، ١٠٥٥، ١٠٦١

الفياح، ١١٦٨

(ق)

قبيبات ابن ثامر، ٦١١

قحطان، ١٢، ١٣-١٤، ٤٢، ٤٦، ٥٤، ٥٥،

٦١، ٧٦، ٢١٢-٢١٥، ٢٤٤، ٢٥٦-٢٥٨،

٢٦٢، ٢٥٧، ٣٠٩، ٣٣٢، ٣٣٩-٣٤٠، ٣٤٣،

٣٤٦-٣٤٨، ٣٥١، ٣٦٣، ٣٧٢، ٣٨٢-٣٨٣،

٣٩٠، ٤٠٤، ٥٥٢، ٦٠١، ٦٢٤، ٦٣١، ٦٧٥،

٦٨٣، ٦٩٣، ٦٩٦-٦٩٨، ٧٠٠، ٧٠٤،

٧٠٨-٧٠٩، ٧١٥، ٧١٨، ٧٢٧، ٧٣٢-٧٣٣،

٧٣٥، ٧٣٧، ٧٤٠-٧٤١، ٧٦٣، ٧٩٤، ٨٠٨،

٨١٣، ٨١٨، ٨٢٧، ٨٣١، ٩٠٦، ٩٢٧، ٩٣٢،

١٢٣٩، ١١٤٨

مفتاح، ١١٥١، ١١٧٣	مران، ١١٥١، ١١٦٥
المفش، ١٢٤٢	المراويد، ١١٢٠
مفلح، ٣٤٥	مردعة (عشيرة)، ٤٠٨،
مفلوك، ٧٧٥، ٧٤٦	المروانيين (قبيلة)، ١١٠٥، ١١٣٦
مقابل، ٣٢	مريفك، ٦٣٧
المكاحلة، ١٩٢	المزارقة، ٣٣٦
المكارمة، ٥٣٣، ٥٤٦-٥٤٨، ٦٠٥، ٦٠٧،	المزاريع (قبيلة)، ١٢٩٨
٦١١، ٦٥٨، ٦٧٣، ٦٧٦، ٦٧٩، ٦٨٠-	منذج (قبيلة)، ٤٧٨
٦٨١، ٦٨٣، ٦٨٥-٦٨٧، ٦٨٩، ٦٩٧،	المزيرعة، ٧٨٥
٦٩٩-٧٠٠	المسارحة (قبيلة)، ١٠٧٠-١٠٧١، ١٠٨٢-
مكثر، ٥٤	١٠٨٣، ١٠٨٨، ١٢٠٤، ١٢٠٦-١٢٠٨،
مكرمانة، ٦١١	١٢١٠
المكرمي (أسرة)، ٦٨٤	المساردة، ٥٤
مكي، ١٢٢١، ١٢٢٣	المصارير، ٣٤
المكينة، ١٠٨٩	المصرمة، ٣٢٥
الملاوحة (قبيلة)، ١٢٩٨	مصوع، ١١٠٩
ملغوب، ١٠٦٢	المضايأ، ١٠٩٤
ملكة سبأ، ٢٣١	المضة، ١١٤٥
المنجحة (قبيلة)، ١٢٦٠، ١٢٣٨-١٢٣٩	المطارق، ١١٩٥
منيعه (قبيلة)، ٤٦٩	المطلع، ٨٧٤
منيفس، ٦٠٩	المعبدي، ٥٩٨
المواجد (قبيلة)، ٥٤٥، ٥٤٨، ٥٨٠، ٦٠٨،	المعنين، ١٠٦٠
٦١١-٦١٢، ٦٣٢، ٦٥٥	معيض، ٥٧٢
موارد، ١٠٤٧	معين، ٤٩٠-٤٩٤
مواضلامة، ١١٩٠-١١٩٢	المعينة، ٩٨٧، ٩٨١
الموسطة، ٣٢٥	المعنيين، ٤٩١، ٤٩٢، ٥١٠
الموسم، ٨٠، ١١١٥	مغاظة، ١١٠٥
الموفجة (ابن الحزوير)، ٤٢٦، ٤٣٨، ٥٤٢،	المغفلي (قبيلة)، ١١١٥، ١١١٨، ١١٢١-
٥٤٧-٥٥٠، ٥٥٦-٥٥٥، ٥٦٩، ٥٨٨-٥٨٩،	١١٢٢
٥٩٤-٥٩٦، ٦٠٣، ٦١٢، ٦٧٠	المفالحة (قبيلة)، ١٠٨، ١٩٢

الوزران، ١٩٤

وسق عقيلة = وسقان عقيلة، ١٣٤، ١٣٥

وعلان، ١١٢٥، ١١٢٩، ١١٣١، ١١٣٤

وعلة (قبيلة)، ٤٧٥، ٥٥٣، ٦٣٦، ٦٦٤، ٦٨١

وعيلة (قبيلة)، ٧٦٩، ٧٧٧، ٥٨٢-٥٨٣،

٥٨٦

الويباني، ١٩٤

(ي)

يأم النجرانية، ٣٨٢، ٤٠٦

يأم (قبيلة)، ٣٧٣، ٣٩٠، ٣٩٧، ٤٢٢، ٤٦٣،

٤٦٩، ٤٧٤-٤٧٥، ٤٧٨، ٥٧٨، ٦٠٥-

٦٠٦، ٦٥٢، ٦٧٥، ٦٧٩، ٦٩٧، ٧٠٩، ٧٦٤،

٦٨٥، ٦٩٣، ٧٣٣، ٧٦٩-٧٧٠

يأم بالحارث، ٧٥٩

الياميون، ٧٦٢

يحياوي (قبيلة)، ١٠١٩-١٠٢٠، ١٠٢٣

يدع آل بين، ٤٩٣

اليزيدي، ٩٤١

يلقرن (قبيلة)، ١٣٠٢

اليهانية، ٩٠٥، ٩٠٩، ٩٢٤، ٩٣٩-٩٤١،

١٠١٩، ١٠٣٤، ١٠٦٠

اليهود، ٥٦٣، ٥٩٥، ٦٠٥-٦٠٦، ٧٣٥-٧٣٦،

٧٥٠

يهود بني النضير، ٥١٠

يهود بني ققينقاع، ٥١٠

(ن)

الناصفة، ١٨٥

ناهس (قبيلة)، ٢٤٧

نحي (ناحي)، ٦١٢

نشر، ١١١١

النشمة، ٩٦٧، ٩٩١

النصايب، ١١٠١

نعو (رافد)، ٦٢٥

نفيسة، ٩٤١

نهد (قبيلة)، ٤٠٨-٤٠٩

(هـ)

هتيم (قبيلة)، ٤٨٩

هرجاب، ٢٣٠-٢٣٧

الهزاهيز (قبيلة)، ١١٥١، ١١٥٣، ١١٦٠،

١١٦٧، ١١٧٧، ١١٧٩

همدان بن زيد (قبيلة)، ٤٢٢، ٤٦٩، ٤٧٣-

٤٧٤، ٦٥٨، ٧٣٣، ٧٦٩-٧٧٠

الهندي (عشيرة)، ٣٣

الهنود، ٦٨٢-٦٨٣، ١٢٩٣

(و)

وادعة (قبيلة)، ٣٤٧، ٥٥٢، ٧٠٨، ٧١٥،

٧٣٣-٧٣٢، ٧٤٠-٧٤١، ٧٦٩-٧٧٠، ٧٧٢-

٧٧٣، ٧٧٧، ٧٨٦، ٨١٨، ١٠٤٣

الوداعيين، ١٠٦٠

ج - فهرس الأماكن

أبرق، ١٣٧
 أبرق المقاريب (بلدة)، ٤٥، ٤٦، ٤٨
 ابن ثامر (منطقة)، ٥٢٤
 ابن نعمان، ٢٨٢
 أبيها، ١٢، ٥٥، ٨٣، ٩٢، ١٦٦، ٢١٨، ٢٢١-
 ، ٢٢٢، ٢٤٤، ٢٤٦-٢٤٧، ٢٥٠، ٢٥٥
 ، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٦٤-٢٦٥، ٢٦٧-٢٦٨
 ، ٢٧٠-٢٧١، ٢٧٣-٢٨٥، ٢٨٨-٢٩٠
 ، ٢٩٢-٢٩٣، ٢٩٥، ٢٩٧، ٢٩٩، ٣٠١
 ، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٥-٣٢٧
 ، ٣٣٠-٣٣٢، ٣٣٤، ٣٤١، ٣٦٤، ٣٩٠
 ، ٤٢٨، ٤٣٣، ٤٣٩، ٤٣٩، ٥٩٩، ٦٩٥، ٧١٤
 ، ٧٢٠، ٧٢٤-٧٢٥، ٧٣١، ٧٤١، ٧٦١
 ، ٧٩٤، ٨٠٨، ٨١٢-٨١٣، ٨١٧، ٨١٩
 ، ٨٤١، ٨٥٦، ٨٧٦، ٨٨٣، ٨٨٧، ٨٩٤
 ١٠٤٣، ١٢٤١، ١٢٤٨، ١٢٦١، ١٣٠٢
 أبو الخطاب (عمود حدودي)، ١١٢٠
 أبوظبي، ١٣٥
 أبو عريش، ١٢، ٤٣٠، ٨٦٣-٨٦٤، ٨٨٠
 ، ٨٨٥، ٨٨٧، ٨٩٥-٨٩٦، ٩٧٢، ١٠٧٦
 ، ١٠٧٩، ١٠٨٥، ١٠٨٠، ١٠٨٢-١٠٨٤
 ، ١٠٨٦، ١٠٩٠، ١١٢٣، ١١٣٤، ١١٩١
 أبو قنزعة (فوهة بركان)، ١١٧-١١٨
 أبواب الحديد، ٧٧٨
 أبيار ابن غنام، ١١٠
 الأتم، ٧٥٩، ٧٦٣-٧٦٦، ٧٧٥

(أ)

آبار أعتم، ١١٠٠
 آبار الأمواه، ٣٧٠-٣٧٢، ٣٨٩
 آبار بریم، ١٢٨، ١٧١
 آبار بني سلمان، ٥٤٦
 آبار الجاهلية، ٢٠٤
 آبار الجفر، ١٣٩
 آبار حزيم، ١٨١
 آبار الحمى، ٢٨٩، ٣٩٤، ٤٠٠
 الآبار السبعة، ٤٩٦
 آبار سليطينية، ١٤٠
 آبار القنصلية، ١٨١
 آبار صدمة، ١٣٨
 آبار طلحة، ٧٤٤
 آبار ظهران، ٧٤٤
 آبار عمير، ٨٨٩
 آبار مبعوث، ١٣٩
 آبار ملح، ٦١، ٦٤
 آل أمرح (آل الرحا)، ١١٤٤
 آل عويمر (بلدة)، ٤٣
 آيل، ٤٩٢
 آيل سمع ذبيان، ٤٩٣
 آيل العزيط، ٤٩٥
 آيل يفع يثع، ٤٩١
 آبات دواسر، ٣٤
 أبرد، ٥٧٨

أضرع الحشية، ١١١٠	الإثبية، ٦٠٣
أضكر، ٦٩٦	إثبية، ٣٨١
إفريقيا، ٨٨١-٨٨٢، ٨٨٤، ٨٨٦، ١١٠٩	أثيوبيا، ١٥٦
الأفلاج، ٣٠٠	أجبة، ١٠٥٦، ١٠٥٩، ١٠٦٦
أكاوين، ١٠٥٧، ١٠٦٠	أجمة، ٨٥٢، ٨٧٠
أكرا، ٤٩٦	أجمع، ٥٤١
أكلب ٤١٣	أحد رفيدة، ٢٤٤، ٢٩٥
أم اشداد، ١٧٣	أحد المسارحة، ١٢، ٨٨٥، ١٠٨٨، ١٢١٠
أم البزابز، ١٢١٩	الأحساء، ٧٧، ١٢٧، ١٢٩، ٤٧٥، ٥٤٧
أم جرة، ٤٠٧	أحمد بن حسين (خط صرف)، ٨٦٠
أم جوة (الجوة)، ٧٩٠-٧٩١	الأخدود، ٤٢٥، ٥٤١، ٤٥٩، ٥١١-٥٠٩، ٥١٨
أم حاسي، ١١٨٧	٦٠٤، ٦٠٢، ٥٧٦، ٥٢٩، ٥١٩، ٥١٨
أم الحوض، ٦٦١	٦٠٨-٦٠٧
أم خرق، ٤٧٩-٤٨١، ٤٨٣، ٥٥٧، ٥٨٦	أخدود خنق نفسه، ٦٩٣
٦٠٢، ٦٢٤، ٦٤٦	أخدود نهيقه، ٤٨٥، ٤٨٦
أم خزام، ٦٠٩	أخلة، ٦٤٣
أم الخشب، ٨٦٤، ٩٧٤	الأخضر، ١٣٩
أم خضا، ٤٠٧	أدبا (الخزانات الجميلة)، ١٠٢١
أم دوشة (الدوشة)، ١٠١٨	أدن، ٨٢٥
أم الركب، ٦٦٥، ٦٦٩	الأردن، ٤٢٩
أم سريحه، ٢٠٢	أرفجة، ٦١١
أم سودة، ١١٤٧	إسبانيا، ١٥٥، ٧٩٩
أم شقرة (أمشقرة)، ١٠٢١	أستراليا، ٩٢٧
أم عبادة، ١٠٤٢	أسعر، ٩٩٣
أم عقريان، ٦٠٩	أسفل الجراحيات، ١١٥٩
أم الغيبة، ٦١١	الأسقفية أدا، ٥٠٣-٥٠٤
أم فرحة (الفرحة)، ١٠٣٣	الإسكندرية، ٤٩٠
أم الكوم، ٧٩٥	الإصدار (منطقة)، ٧٩٣
أم اللآئي، ١١٠٩	أصلب، ٦١١
أم لبدة، ١١٤٣	أضرا السيال، ١٠١٠

إيطاليا، ١٥١، ١٥٥، ١٦١-١٦٢، ٦٧٨
 الأيكة، ٨٢٢
 (ب)
 الباحة، ٢٨٠، ١٢٦١
 بأقم، ٥٥٦، ٦٠٦، ٧٢٤، ٧٥٨-٧٥٩، ٧٦٥،
 ٧٦٧، ٧٧٨، ٧٨٧، ٧٨٩
 البالوعة، ٦٠٩
 البتلية، ١٧٠
 بتوعة، ٦٠٩
 البحر الأبيض المتوسط، ٤٩١
 البحر الأحمر، ٢٤، ٢٤٧، ٢٩٥، ٣١٢-٣١٣،
 ٣١٥، ٣٢٧، ٣٢٩، ٤٧٧، ٥٠٣، ٦٦٨،
 ٧٢٢، ٧٢٥، ٨٧٥، ٨٧٩، ٨٨١، ٨٨٧،
 ٩٠٩، ١١٣٢
 بحرة، ١٠٨٦
 البحصنة، ١١٩٢
 بحيثة، ١٤٨
 بحيرة ابن زليق، ٤٨٤
 بحيرة سري، ٤٨٨
 بحيرة مجبر، ٤٨٣
 بحيرة مجبر سري (سعدا)، ٤٧٧، ٥٧٦
 بداح، ٩١
 بدر، ٥٣٣، ٦٠٧، ٦٥٦-٦٥٨، ٦٧١، ٦٧٤-
 ٦٧٦، ٦٧٨-٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٥، ٦٨٧-
 ٦٨٩، ٦٩٠-٦٩٢، ٦٩٥-٦٩٦، ٧١٨،
 ٧٢٦، ٧٤٨
 بدر باغ، ٦٨٢، ٦٨٧
 بدوة (القرعة) (موقع)، ١٠٢٤، ١٠٢٦
 بدوه، ٤٠٦

أم لجة، ٨٣٦-٨٣٧
 أم الناس، ٦٠٩
 إمارة البحر، ١١١٠
 أمبحا (البحجة)، ١٠٣٣
 الإمبراطورية البيزنطية، ٤٩٩
 الإمبراطورية الرومانية، ٥٠٠
 الإمبراطورية العربية الأولى، ٥٠٨
 الإمبراطورية العربية الثانية، ٥٠٨
 الإمبراطورية الفارسية، ٤٩٩
 أمثميلة (تري أمثميلة)، ١٠٤١
 أمجدعة، ١١٦٥
 أمحطيمي، ١١٧٩
 أمخالفة، ١٠١٠
 أمريكا، ١٧-١٨، ٢٠، ١٦٧
 أمزعين، ١١٦٩
 أمسوايد، ١١٧٧
 أمشينة، ١٠٠٦
 أمطس، ١١٣٩
 المعارين، ١٠٧٨
 أمعتم (معتم)، ١٠٩٩
 أملج، ١١٦٩
 أملج (مصرف)، ١٠٩٦، ١٠٩٩
 أملج، ٥٣٨
 الأمواه (منطقة)، ٦٢٤، ٧٣١
 إنجلترا، ١٨، ٦٠٢، ٨٥٥، ٩٢٧
 أنم، ٦٤٢
 أورسبي، ٣٧٣
 أورمسي قور، ٥٦٣
 أوروبا، ١٦٧، ٧٦٣
 أوكان، ١٠٧٠

- البيديع، ٥٨٠، ٥٩٩، ٦١١
 برات (سوف عنان)، ٦٠٦
 براش، ٧٧٥
 برج آل القنا، ٣٣٧
 برج تربة عوف الصغيرة، ٦٦٤
 برج ذرة، ٢٩٣
 برج طويل، ٦٥٤
 البرج العظيم الأبيض، ٢٨١
 برج القلعة العظيم، ٣٠٢
 برد (ثقوب مائية)، ٨٣٠
 برد، ٧٧٠، ٧٧٥، ٧٨٢
 برقا القطف، ٥١
 برك، ١٢، ٤٢٤، ٦٠٢، ٨٦٤، ١٢٦١، ١٢٦٥-١٢٦٦
 برك أم خرق، ١٠١٠
 برك شوامي، ١٠٥٧
 برك لكة، ٨١٤
 برك الوغرة، ٩٣٠
 برك الوقران، ٣٣٩
 برك وقرة، ٣٣٨
 بركان أبي الريات، ١١٤
 بركان أعلى فاس، ١٣٠
 بركان برام، ١٨١
 بركان الحرة، ١١٥
 البركان الشمالي، ٨٦٠
 بركان عفرأ، ١١٥، ١١٧
 بركان العكوتين، ٨٥٩-٨٦٠
 بركان عكوة، ٩٣٢، ٩٤٥
 بركان غديق، ١١٦
 بركان القرن، ٢٥٧
 بركان قرن سبط، ٦٩٢
 بركان قرن القاعة، ٦٩٥
 بركان لسان، ١١٥
 بركان نعمى، ١٨٢
 بركة حصر، ١٠٥٩
 بركة الرضا، ١٠٢٠
 بركة سوقان، ١١٨
 بركة غليغل، ٤٨٤
 بركة مجبر بن زليق، ٤٨٨
 بركة ملح، ٨٢٥
 برمة، ١٧٠-١٧٢، ١٠٨
 برمنجهام، ٥٦١، ١٢٩٣
 بريدة، ١٠٢، ٧٦١، ٨٨٠، ١٢٥٦
 بريطانيا، ١٠، ١٤٨، ١٦٢، ١٦٥
 بريكة، ١٠٢٨
 بريم، ١٢٩، ١٣١، ١٤٠، ١٧٢-١٧٤
 البطين، ٩٤٨، ١٠٣٤، ١٠٣٩
 بغداد، ٥٨٧
 بقع، ٧٦٦
 بقعان، ٧٢٠
 بقعة، ٦٢٣
 بل فريض الراكاة، ٧٧٨
 بللحمر (منطقة)، ٣٢٨
 بنر، ١١٠٤، ١١٢٩
 بنو مالك (منطقة)، ١٢-١٣، ٩٥٥
 بومبي، ٦٨٢
 بياض، ٦٩٩-٧٠١
 بياضة (ثقب ماء)، ٨٢٠
 بولدون، ٨٥٥
 بيبان جازان (كثبان رملي)، ٨٧٤

- بيت لحم، ٩٤٢
بيجان، ٤٧٣، ٥٧٨، ٥٩٦، ٦١١
بئر آل حسين، ٦١٠
بئر أبا النعام، ٦٠٩
بئر ابن ثامر، ٤٦١
بئر ابن رزقة، ٧٠٢
بئر ابن سرار، ٢٣٠، ٢٣٤-٢٣٥
بئر ابن عويرة، ٣٤٨
بئر ابن قدرى، ٦١٠
بئر أبي الديرمان، ١٠٧
بئر أبي الريات، ١١٢، ١١٤
بئر أثيلة، ٦٠٩
بئر أم الدويح، ٢٥٤
بئر أم سبع (بئر الجن)، ٨٠١
بئر أم شرح (بئر أمشرح)، ١٠١٦، ١٠٢١-١٠٢٢
بئر أم الغرين، ٦٥٧
بئر أم قطرة، ٧٠٧
بئر بحير، ١٩٥
بئر البديعة، ١٧٣
بئر البرصاء، ٦٥٧، ٦٥٩
بئر برق الدرة، ٤١٢، ٤٢١
بئر برمة، ١٧١، ١٧٣
بئر بروك، ٦٦٥
بئر بريدة، ١٠٢
بئر بزيز، ٥٤
بئر البصرة، ٦٦١
بئر البغدادي، ٧٠١
بئر بويان، ٦١٢
بئر ثليقة، ٤٠٧
بئر شمالا، ٧٧-٧٨
بئر الجبل، ٦١٠
بئر جرير، ٤٩
بئر جعلة، ٦٣٧
بئر جلا، ٦٩٩
بئر الجنينة، ٧٨
بئر جهران، ٦١٠
بئر جهلان، ٦١٠
بئر جوييف، ١٩١
بئر حاسي، ١٠٧-١٠٨
بئر حجب، ١٠٨
بئر حبيبة، ٥٧-٥٨، ٦١، ٦٤
بئر حسين، ٦٠٩
بئر الحصينية، ٤٠٣-٤٠٤، ٤٠٧
بئر الحفائر، ٨٧٤، ٨٨٠، ٨٨٢
بئر الحفيرة، ١٧٢، ٥٧٩، ٥٨٢
بئر الحقو، ٨٥٢، ٨٥٦
بئر حمد، ١٠٩٢
بئر حميضة، ١٣٠٥-١٣٠٦
بئر خثيمة، ٦٦٣-٦٦٤
بئر خرمة، ٦٣٧، ٦٤٢
بئر خريت، ٩٦
بئر الخضراء، ٤١٢، ٤٢٣، ٤٣٨، ٥٢٧،
١٣١٨
بئر خورقان، ٧٨
بئر درعة، ٣٤٩
بئر دولة، ٦١١
بئر ذهبان، ٣٣٤
بئر ربيع، ٥٤٥، ٦١٠
بئر رديجة، ٥٣

بئر العريسة، ٤٢٣	بئر الروشن، ٧٨
بئر العصبة، ٨٥٦	بئر الرين، ٥٤
بئر العمار، ٦٠٩	بئر زاعب، ٦٠٩
بئر الفاوية، ٩٠٩	بئر زبيد، ٦١١
بئر عزيزة، ٦٨٩	بئر زبيدة، ٦٥٢
بئر عقيلان، ١٠٢	بئر زيتة، ٦٦٥، ٦١٢، ٦١٠
بئر علي، ٦٠٩-٦١٠	بئر زيد، ٤٧٩
بئر عليان، ٢٣١	بئر سارة، ٥٨٠
بئر عمير (العميرية)، ٨٧٤، ٨٨٠، ٨٨٢	بئر سالم، ٦١٠، ٥٤٥
بئر عنبات، ١٤٢	بئر سبكة (سبجة)، ٦٩٣
بئر عوقة، ١٣٤	بئر سرى، ٦١١
بئر عياض، ٦١٢	بئر سلطانة، ٦١١، ٤٦١
بئر عين المليحة، ٣٥	بئر سلمة، ٨٧٣
بئر الغراء، ٨٧٠	بئر سلوة، ٤٠٥
بئر غريش، ٦١١	بئر سليمة، ٦١٢
بئر غزالة، ٤٨	بئر سهلوج، ١٤٠
بئر غمرة، ١٣١٩	بئر الشرح، ١٠٢٠، ١٠٢٤
بئر الفاس، ٤٧٩	بئر شقق، ٥٨١
بئر فريجة، ٥٨١، ٦١١	بئر الشنيفية، ١٠٢
بئر الفضل، ٦٠٩	بئر شويطر، ٧٠١
بئر فقوة قلحة، ٩٤٢	بئر الشيع، ٦١٢
بئر قبيبات، ٥١٦	بئر صالح، ٦٨٩
بئر قحطان، ٦٠٩	بئر صبا، ١٠٢
بئر قدام، ٦٠٩	بئر العبدلية، ١٣١٩
بئر قرى، ٨٥٦	بئر عبله، ٦٦٥
بئر قطان، ١٧١	بئر عتيق، ٦١١
بئر قلب الحسا، ١٩٢	بئر عجمان، ٦٦٣
بئر قيس، ٦٨٩	بئر عجيريديّة، ١٠٣
بئر كعب، ٤٨٨، ٦١١	بئر العرجان، ٥٣
بئر كوماخه، ٢٣٣، ٢٣٦	بئر عرق، ٦٣٥-٦٣٧

١٩٠-١٩١، ٢٠٥-٢٠٦، ٢١١، ٢١٣-٢١٤،
 ٢١٨-٢١٩، ٢٢١-٢٢٣، ٢٢٧، ٢٢٩،
 ٢٣٠-٢٣١، ٢٣٤-٢٣٥، ٢٣٨، ٢٤١-٢٤٢،
 ٢٤٦-٢٤٧، ٢٤٩، ٢٦٣، ٢٦٦، ٢٧٦،
 ٢٨٤-٢٣٦، ٢٣٧، ٣٦٤، ٧٤١، ٨٠٢،
 ٨٥٧، ٨٧٦
 بيض، ٨٤٢-٨٤٣، ٨٤٧

(ت)

تبع، ٦٠٧
 تبوك، ١٢٦، ٣٠١
 تثليث، ١٢، ٢٧٩، ٤٥، ٤٧-، ٥٠، ٥٢-٥٦،
 ٦٤، ٦٦، ٧٧، ٨٨، ١٦٦، ٢٣٦، ٣٣٧،
 ٣٣٩، ٣٥٥، ٦٧١، ٦٩٥-٦٩٦، ٧٢٣، ٧٢٧
 ترية، ٣٠، ١٠٠، ١١١-١١٢، ١١٦، ١١٩،
 ١٢٢-١٢٣، ١٢٥-١٢٦، ١٢٨-١٣١، ١٣٣،
 ١٣٥، ١٧٣-١٧٤، ١٧٩، ١٩١، ٥٧٨، ٩٤٥
 ترية شعيل، ١١٥
 تربية، ٧٦٧
 تركيا، ٦٨١، ٦٨٥
 تريمة، ٦٥٣
 تلال، ٥٢٠
 تعز، ١٢٢٥
 تعزة، ٤٢٨
 تعشر، ١١٠٥، ١١١١، ١١٢١، ١١٢٣-
 ١١٢٤، ١١٣٠
 تعلم، ٧٥٩، ٦٧٦
 تغذوه، ١٩٩
 تفاريد، ١١١٢-١١١٣
 التفة، ١٠٠٩

بئر لذكري، ٨٧٠
 بئر ماجد، ٤٧٧
 بئر مبارك، ٦١٠
 بئر متلع، ٥٥٠، ٥٥٦، ٦١٢
 بئر مجيد، ٦١١
 بئر محدثة، ١٦٤
 بئر المدينة، ٥٨١، ٦١١
 بئر مرشد، ٦١٠
 بئر مروخة، ١٠٨٦
 بئر مريغان، ٤٩
 بئر المستجد، ٥٣
 بئر مغيرة، ٤٣
 بئر المنهل، ٤٦١، ٦١١
 بئر نحى، ٥٥٠
 بئر نزقة، ٦٦١-٦٦٢
 بئر النسير، ١٣٤
 بئر نهر، ٢٢٧
 بئر هتيم، ٥٣
 بئر الوادي، ٦٩٩
 بئر وورخة، ٧٠٢
 بئر وسيطة، ٦٦٥
 بئر وشيجة، ٦٥٧
 بئر يحيى، ٦١٢
 بير آل مطر، ٦١٠
 بير قعير، ٦٠٩
 بيش، ١٢، ٧٢٠، ٨٣٦، ٨٤٥، ٨٤٨، ٨٥٠،
 ٨٥٢، ٨٥٧، ١٢٢٧
 بيشة، ١٢، ٢٩، ٤٢، ٤٦-٤٧، ٦٢، ٦٤، ٦٧-
 ٧٠، ٧٣، ٧٦، ٧٩، ٨٤، ٩٠، ٩٤، ٩٦-٩٨،
 ١٠٠-١٠٥، ١٠٩، ١٢٠، ١٢٩، ١٣٣، ١٦٦،

تل أبرق، ٥٢	تل جيث، ٨٠٢
تل أبرق مرومة، ١٩٥	تل حرب، ٢٣٤
تل أبو عرفة، ٦٧	تل حرص، ١١١٣
تل أسعر (جبل فريض أسعر)، ٥٥٧، ٥٥٤	تل حرم، ١١٨٢
تل أم خرق، ٥٢٠، ٥٢٥، ٦٧٠	تل حصن شعيب العاقبة، ٧٥٩
تل أم الطريقين، ١٧١	تل حصيبة، ٩٣٣
تل أم فرق، ٤٧٦-٤٧٧	تل الحضا، ٥٤، ٥٦
تل أم القصص، ٣٥٥	تل الحماطة، ١١٥١، ١١٥٦
تل بتار، ٧٩٤	تل حمومة، ٢٥٧-٢٥٩
تل بجاد، ٥٤	تل الحميراء، ٣٧٢
تل بجيد، ٥٤	تل الحوي، ٢١١
تل بحري، ١١٥٥	تل خاشر، ٩٣٣
تل برير، ٧٤٦، ٧٦٠، ٧٦٩	تل خبته، ١١٩٢
تل البرث، ١٣٧	تل الخرسة، ٧٩
تل برمة، ١٧١	تل خشرم، ١٩٢
تل بريمة، ١٣١٨	تل خشيم الذيب، ٢٢٧
تل بقعاء، ٥٨٦	تل خطوة، ١١٢٥
تل بكة، ٨٢٩	تل خوفار، ١١١٣
تل بني رنقان، ٢٠٧	تل دبرة، ١٣١٨
تل بني سليم، ٧٠، ٧٨، ٧٩	تل دخان، ١١٦٠، ١٢٠٣
تل بني شاحطة، ٥٧	تل دخان الحماطة، ١١٥١
تل تصلال، ٤١٥-٤١٧، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٣٠	تل دغم، ١١٩١
تل تنصب، ٤١٣	تل دننان، ٧٧٤
تل الثاهر، ٩٣٣	تل الديك، ١١٧٤
تل ثروة، ٨٢٤	تل ذراع، ٩٣٣
تل جازان، ٨٧٤، ١٠٨٨، ١٠٩٥	تل ذروة، ٤٧٥
تل جبل عمر، ١٣٠٩	تل ذويب، ١١٥٦
تل جحفان، ١١١٤، ١١٤٤، ١٢٠٣، ١٢٠٥	تل رازح، ١١٥٦، ١١٨٢
تل جحير، ١١٣١	تل رجيفة، ١٤٢
تل الجفر، ٢٠٧	تل الرميح، ١٢٠٣

تل ضربعان، ٣٥٥	تل رنية، ١١٦
تل ضلع الشري، ٤٨٠	تل ريان، ١٨١
تل ضمك، ٢٤٦	تل الربيع، ١٩٧
تل طحنان، ١٠٧٥، ١١١٤	تل زب الخثمي، ٢٠٠
تل طوالة، ١٠٤٤	تل زعبل، ٣٦٢
تل العار، ٣٤٦	تل زهوة، ٢٠٧
تل العاصم، ١١١٤، ١١٧٤	تل زيدي، ٣٥٥
تل العبل، ٦٦	تل ساق حضن، ١٣٣
تل العر، ٣٥٥، ٩٤٧	تل ساق عن = ساق، ١٣٢، ١٣٣
تل العرق، ٥٦	تل سعد، ٣٢٨
تل العرين، ٤٠٨	تل سليطينية، ١٤٢
تل عريقات البجاد، ٥٦	تل السوداء، ٣٠٣
تل عديمة، ٢٠٧	تل شثا، ٧٣٦
تل عسلة، ١١١٤	تل شذع، ١٠٧٥
تل عشيرة، ٣٦٧	تل شدى، ١١٥٦
تل العقبة، ١٢١١	تل شضية، ٣٦٢
تل علب، ٧٧٥، ٧٦٥	تل شعار، ١١٥٠
تل عنم، ١١٤٤، ١١٥٠	تل الشعثاء، ٤٢٢-٤٢١
تل غاوة، ٣٢٠	تل شقدم، ١١١٤
تل غتيت، ٣٥٥	تل شمت العرضة، ٢٠٩
تل الغذوة، ١٨٦	تل شمييط فيمان، ٢٠٧
تل غفلة، ٣٢٩	تل الشهيلا، ٢٢٨
تل غفير، ١١٥٠	تل شوحةطة، ٥٧
تل غمرة، ١١٥٦	تل صبحطل، ٧٨٤
تل الغولاء، ١١٥٥	تل الصبر، ٧٤٦
تل غويفر، ١٠٢٠	تل صلة، ٣٣٦
تل فوت، ١١٥٥	تل الصلوخ، ٣٥٥
تل قرة الطريق، ٦٧١	تل الصماء، ٣٨٦
تل القروء، ١١٣٤	تل ضداعين، ٣٤٠
تل قروء، ٤٨١	تل ضره، ٢٤٦

تل الهضيب، ٥٣	تل القرين، ٣٢٧-٣٢٨
تل هضبية، ٢٢٦، ٢٣٠	تل قطن، ٣٩٩
تل ورك منيرة، ٢٠٠	تل قفزة، ١١٥٦
تل وسيم، ١٩٢	تل قوز أبو الدفوف = الحمان، ١٩٥
تل يفيخ، ٥٣	تل كبد النقة، ٦٠٢
تلأل أبرقين، ٤٧٨	تل كتف مساد، ٣٤١
تلأل أبي الريات، ١١٢، ١١٨	تل كهفي، ٤٧٦، ٤٧٨
تلأل الأريبان، ٩٧-٩٨	تل الكوكب، ٣٩٠، ٤٨٠-٤٨١
تلأل الأشفين، ١٧٢	تل لقمة، ٨٤٩
تلأل أدمان، ٢٣٥	تل مبدا النعام، ٢٠٧
تلأل أكلب، ٤١١، ٤١٢	تل مبعوثة، ١١٣١
تلأل أم فرقين، ٢١١	تل مثو، ٢٤٤
تلأل أم القصص، ٦٩٥	تل مجيبة، ٣٣٦
تلأل أمعاصم (العاصم)، ١٠٧٥	تل المحمر، ١١١٤، ١١٣٧
تلأل الأهليل، ١١٢-١١٣	تل مدورا، ٢٠٧
تلأل برقة، ٤٠٦	تل المذراع، ٧٥٧
تلأل بسقان، ٦٥	تل مرآن، ١١٥٥
تلأل البطين، ١٠٢٧	تل مريح امعين، ١١٣١
تلأل بني عياش، ٩٤٨	تل المزدوج، ٤٧
تلأل بني مالك، ٩٤١	تل المشرق، ١٠٥٦
تلأل بني منبه، ٢٢٩	تل المصلولة، ٨٠٤
تلأل تنصاب، ٤٧٨	تل مطوي، ٣٥٥
تلأل تهامة، ١٠٠٢	تل مفتاح، ١١٥٥
تلأل ثهران، ٩٥٦	تل مفلك، ٧٤٦
تلأل الجاهلية، ٢٠٧	تل ملته، ٣٥٥
تلأل الجلحاء، ٩٩٤، ٩٩٧، ١٠٠٢	تل مهد، ٧٧٨-٧٧٩
تلأل حرص، ١١٠١، ١١١٠	تل ميحار، ٤٦٦، ٤٧٩
تلأل الحرف، ٧٩٠	تل النظير، ١١٥٦، ١١٨٢
تلأل خشم الكور، ٢٠٧	تل النقة، ١٣١٩
تلأل خصيعين، ١٧٢	تل هضاض، ٦٧١، ٨١٢

- تلال قوز، ٨٩٢-٨٩٣
 تلال كور البيريه، ٢١١
 تلال معيش، ٥٨٤
 تلال مطوقة، ٢٢٧-٢٢٨
 تلال معكم (غراب)، ١٢٠٣
 تلال ملح، ٢٢٧
 تلال الميثب، ٦٥-٦٦
 تلال نعمي، ٩٨
 تلال نويدرة، ٤١٢
 تلال هكران، ١٧٣
 تلال واحة طريب، ٣٥٥
 تلال وادي العرين، ٣٤٢
 تلال وجر الحمر، ٥٤
 تلال وريك، ٤٠٠
 تلال وضبان، ٣٥٠
 تلي (حوض)، ٦٢٤
 تلين، ١٠٦٢
 تمرة، ٣٤
 تمنية، ٢٩٧، ٧٢٠، ٧٢٤، ٨٣٥، ٨٣٨، ٨٤٠-
 ٨٤١، ٨٤٣، ٨٥٠
 تندحة، ٢٤٥
 تنصاب، ٤١٣
 تهامة، ٢٤، ١٦٦، ٢٤٤، ٢٤٦، ٢٧٨، ٢٨٥،
 ٢٩٥، ٣٠٨-٣٠٩، ٣١٦، ٣٢٢، ٤٣٠،
 ٤٩٩، ٥٠٦، ٥٩٨، ٦٤٠، ٦٦٠، ٦٦٨،
 ٦٨٥، ٧٠٩، ٧١٤، ٧٢٥، ٧٣٥، ٧٤٩،
 ٧٥٩، ٧٦٦، ٧٨٦، ٧٩٠، ٧٩٣-٧٩٥،
 ٨١٢-٨١٣، ٨١٥، ٨١٨، ٨٢٩، ٨٣٢-
 ٨٣٣، ٨٣٨، ٨٤١، ٨٤٤-٨٤٦، ٨٤٨-
 ٨٥٠، ٨٥٥، ٨٥٩، ٨٦١-٨٦٤، ٨٦٩
- تلال خيمة، ٧٩٠
 تلال ديمة ضور النقعة، ٣٦٠
 تلال روضان، ٢٤٢
 تلال رويك، ٤٠٨، ٥٨٤
 تلال رويكبة، ٤١٢
 تلال سابل، ٤٠٠
 تلال سحمان، ٦٧١
 تلال سر بن حامد، ٣٢٣
 تلال سلوخ، ٣٤٨
 تلال سهل صعدة، ٥٥٢
 تلال السيدان، ٦٧-٦٨
 تلال شرا، ٤٠٦، ٤٢٣
 تلال شعار، ٢٤٧
 تلال صدعه، ٢١١
 تلال صروم، ٦٧١
 تلال الصواير، ٨٣، ٩٥، ١٧١، ٢٢٦
 تلال ضحى، ٦٢٦
 تلال الضريعان، ٣٤٨
 تلال ضمك، ٢٥٦
 تلال طيب، ٣٦١، ٣٦٧
 تلال العار، ٦٩٥، ٦٩٨، ٧٠٨، ٧٥٨، ٧٧٠،
 ٨٠٦
 تلال عبيدة، ٦٩٦
 تلال عمث، ٨٣١
 تلال العميد، ٧٩
 تلال غار، ٢٣٧
 تلال غاوة، ٢٩٨
 تلال القعمة، ٢٥٧
 تلال قعوان، ٣٦٩، ٣٧١
 تلال قنا، ٣٦١، ٣٦٧

٨٥٣، ٨٦٤-٨٦١، ٨٦٨-٨٦٧، ٨٧٠-٨٧٦، ٨٧٨، ٨٨٠-٨٨٧، ٨٩١-٨٩٧، ٩٠١، ٩٠٩، ٩٢٢، ٩٣٤، ٩٤٤، ٩٥٥، ٩٦٢، ٩٧٢، ٩٨٩، ٩٩٩، ١٠١٥، ١٠٣٣، ١٠٦٦، ١٠٧٠، ١٠٧٣، ١٠٧٦، ١٠٨٢، ١٠٨٣-١٠٨٣، ١٠٨٦، ١٠٩٣-١٠٩٥، ١٠٩٧-١١٠٠، ١١٠٧، ١١٠٩، ١١١٥، ١١١٩، ١١٢٤، ١١٣٥، ١١٤٣، ١١٤٩، ١١٩١، ١١٩٤، ١٢٠٠-١٢٠١، ١٢٠٣-١٢٠٤، ١٢٠٦، ١٢١٢-١٢١٣، ١٢١٥، ١٢١٧-١٢١٨، ١٢٤٥، ١٢٤٩، ١٢٥٨، ١٢٩٢، ١٢٩٤
 جاضع، ١١٤٤
 جاضع أمحسن، ١١٦٠
 جاوى (مدينة)، ١٠١٦، ١٠٢٥
 جبال آل الغلفقة، ٣٣٨
 جبال أبا الغريان، ٢١٠
 جبال أبط، ٢٢٧-٢٢٨
 جبال أحد، ٢٤٤، ٢٤٦، ٢٧٥، ٢٩٧، ٣٣٦
 جبال أم القصص، ٣٤٣
 جبال بروزات، ١٦٤
 جبال بنو بسقان، ٦٣، ٦٥، ٦٦
 جبال بنو بشر، ٨٣١
 جبال بنو مالك، ٩٣١-٩٣٢، ٩٣٤، ٩٨٩، ١٠١١
 جبال بنو مينه، ٣٦١
 جبال بني سنامة، ٤٧، ٤٩، ٥٠
 جبال تمنية، ٣٠٩
 جبال تهامة، ٢٧٦، ٣١٢-٣١٤، ٧٤٧، ٧٦٦، ٧٧٠، ٧٨٧، ٧٩٣، ٧٩٥، ٧٩٧، ٨١٤-٨١٤، ٨١٦، ٨٣١، ٨٨٠، ٩٠١

٨٧٢، ٨٨٠، ٨٩٧، ٩١٤-٩١٥، ٩١٦، ٩٢٣، ٩٢٧، ٩٢٩، ٩٣٢، ٩٣٨، ٩٤٤، ١٠١١، ١٠٣٣، ١٠٥٢، ١٠٦٦، ١٠٧٩-١٠٨٠، ١٠٨٣، ١٠٨٧، ١٠٩٧، ١١٠٥، ١١١٣، ١١١٨، ١١٦٤، ١١٦٩، ١١٨١، ١٢٠٠-١٢٠١، ١٢٠٦، ١٢٣٣، ١٢٣٧، ١٢٤١، ١٢٤٧، ١٢٥٨، ١٢٦٣، ١٢٦٦، ١٢٨٣، ١٣٠٢، ١٣١٠-١٣١١، ١٣٢١
 تهامة اليمن، ٨٨٣، ١٠٩٠، ١١٤٣، ١١٩١
 توم بارقر، ٢٠
 تونس، ٦٨٤
 توليق، ١١٧٤، ١١٨٦-١١٨٧
 توليقة، ١٠٠٠

(ث)

الثاهر، ٩٦٧
 ثاهرة (أمزم)، ١٠٠١
 ثروة، ٨٢٦، ١٠٦١، ١٠٦٣
 ثروع، ٧١٩
 ثريان، ٨٣٧
 ثقل، ٢٩٣
 ثميلة = ثميلا، ٦٤٣
 ثهران، ٧٩٤، ٩٥٢-٩٥٣، ٩٥٧-٩٥٩، ٩٦١، ٧٨٧، ١٠٠٢
 ثيحو، ٨٣١

(ج)

جار (حوض)، ٦٢٥
 جازان، ١٢، ١٣، ٢١، ١٦٦، ٢٢٢، ٢٨٠، ٣١٠، ٤٠٤، ٦٨٥، ٨١٢، ٨١٩، ٨٤٩-٨٥٠

- جبال خولان، ٥٥٢، ٧١٩، ٨٣٢
 جبال الدلاء، ٦٥٤
 جبال ديمة، ٣٧١
 جبال رخمة، ٢٩٦
 جبال رفيذة، ٢٨٧
 جبال الرهوة، ١١٤
 جبال الريث، ٩٣٢
 جبال زيد (زيدي)، ٣٤٦، ٣٤٨
 جبال السراة، ٢٤٤، ٢٥٩، ٣٤١-٣٤٢،
 ١٢٤٠، ٨٤١، ٧٦٧، ٥٥٦
 جبال السروات، ٨٢٦، ٨٣٣
 جبال السروات الغربية، ٩٠٤، ٩٠٧، ٩٠٩،
 ١١٣٢، ٩١٤
 جبال سفح، ٣١٢-٣١٣، ٣١٥
 جبال سواده، ٣٨٠
 جبال السوداء، ٢٩٧
 جبال الشايل، ٢٠٤، ٢٠٧
 جبال شدر، ٣٧١
 جبال الشرفة، ٣١٢-٣١٣
 جبال شعار، ٣٢٦
 جبال الشعف، ٢٥٨
 جبال شمران، ٢٣٨، ٢٤١
 جبال الشنخاب، ٥٧
 جبال الصنعة، ٢٤٦-٢٤٧
 جبال الصواير، ٢٢٧
 جبال ضبع، ٤١١
 جبال ضبير، ١٠٧٥
 جبال الضعة، ١١٠
 جبال ضلفر، ١٢٩٣
 جبال ضلفع، ١٩٥
- جبال تهلل، ٣١٧
 جبال تيه، ٢٤٦
 جبال ثمذ، ٢٣٥
 جبال ثملا، ٢١١
 جبال جداير الحشيشي، ١٩٥
 جبال الجرشة، ٣٦٨
 جبال الجزيرة العربية، ٧٨٧
 جبال الجفر، ٧٨
 جبال جمعمور، ٧٩
 جبال حبر، ٣٤٨
 جبال حبي، ٥٧
 جبال الحجاز، ٣٠، ٨٩، ٩٢، ٩٩، ١٠٥،
 ١١٤، ١١٨، ١٦٤، ١٧٠، ١٧٩، ٢١٠، ٢٦٦،
 ٣٢٨، ٩٥٠
 جبال حجر، ٣٧١
 جبال الحجف، ٣٦٢، ٣٦٨
 جبال حدج، ١٠٧٠
 جبال الحرجة، ٣٤٧
 جبال حرم، ١١١٤
 جبال حسة، ٣٥٥
 جبال حسير، ٣٦١
 جبال الحشر، ٩٣١-٩٣٢
 جبال حضا، ٣٨٠
 جبال حضن، ١١٨، ١٣١-١٣٢، ١٦٩
 جبال حقيقة، ٢١٠
 جبال حليث، ٤١١
 جبال حليفة، ٢٩٦
 جبال حمات السواده، ٣٤٩
 جبال خشرم، ٢٠٤
 جبال الخطوة، ١١٢٦

جبال منجد، ٩٣٢	جبال ضمرو، ٢٩٦
جبال النار، ١١٢٩	جبال طريب، ٣٤٩
جبال نبشة، ٢٩٦	جبال طويق، ٣٣
جبال نجران، ٧٦٣	جبال ظهران، ٣٧١
جبال النظير، ١١١٤	جبال ظور النقعة، ٣٧١
جبال الهضب، ٤٥-٤٦	جبال العاقر، ١٨٢
جبال هلابيهو، ١٠٧٥	جبال عال، ٣٤٦
جبال الهملايا، ٩١٤	جبال عداد، ٣٧١
جبال وادعة، ٥٠	جبال عرفة، ٣١٢-٣١٣، ٣١٥
جبال واغدا، ٧٨	جبال العرق، ٦٢
جبال وعل، ٣٤٦	جبال عرو، ٧٤٦
جبجب، ٤٩، ٥٣	جبال العريف (أمعريف)، ١٠١٥-١٠١٦
الجبجبة، ٦١	جبال عسير، ٢٥٧، ٢٦٢، ٢٩٣، ١٠٨٥
جبل الأجمعين، ٧٧٧	جبال عكوة، ٨٦١، ٨٦٤، ٨٦٦، ٩٠٢، ٩٣٣
جبل آل السوداء، ١٢٢٥، ١٢٣١	جبال علم، ٣٨٩، ٣٩١
جبل آل يحيى، ٩٨٠	جبال عياش، ١٠١٦
جبل أيلة، ١٣٩	جبال فيفا، ٧٤٧، ٨٧٨، ٩١٢
جبل أبو دريع، ٢٠٠	جبال القرنة، ٩٣٢
جبل أبو الدقوف، ٢٠٠-٢٠١، ٢١٠	جبال القعم، ٣٣٣، ٣٣٧
جبل أبو سنون، ١٨٥	جبال القعمة، ٢٤٦-٢٤٧
جبل أبو القمعان مخيرف، ٨٤٣	جبال القهر، ٩٥٨، ٩٩٥
جبل أبو كلان، ١٩٥	جبال كتادة، ٣٧١
جبل أبو نعيمة، ٥٧، ٦٠	جبال كلان، ٢٠١
جبل أبو همدان، ٤٣٤-٤٣٦، ٤٣٨، ٤٦٠،	جبال الكوثري، ٢٩٦
٥٧٣، ٥٨١	جبال كور البرهة، ١٠٢، ١٠٤، ١٠٦، ١٠٨
جبل الأتم، ٥٥٧	جبال كوكب، ٣٨٠، ٣٨١
جبل أحد، ٦٩٥	جبال لهو، ٣٧٠-٣٧١، ٣٧٤
الجبل الأحمر، ٤٦٧، ٤٨٤، ٥٢٠، ٥٢٥	جبال مصيدة، ٩٣٢
جبل أدن، ٨٢٤	جبال مضحور، ١٨٦
جبل أسلة، ١٢٦٤	جبال المطيرية، ١١١٧

- الجبل الأسود، ٧٢٠، ٧٦٥، ٧٦٧، ٧٧٥،
 ٧٩٢، ٩٢٨، ٩٣٢
 جبل أضرس، ٦٨
 جبل أم خرق، ٤٧
 جبل أم فرقين، ٩٩
 جبل أم القصص، ٣٤٢
 جبل أم فرحة (الفرحة)، ١٠٣٦
 جبل أم ومر، ٢٣١-٢٣٢
 جبل الأخضرين، ٢٣٢
 جبل امحطيمي، ١١٧٠
 جبل أمشاف، ١١٩٢
 جبل أنبك، ٦٨-٦٩
 جبل ايحار، ١١٤٥
 جبل باح، ٢٣٢، ٢٣٤
 جبل براش، ٧٦٧، ٧٤٦
 جبل برير، ٧٦٧
 جبل برد (برط)، ٧٦٧
 جبل البرص، ٩٩
 جبل برق، ٧٩١، ١٢٨٢
 جبل برق الأباير، ٤٠٧
 جبل برك، ٤١٢-٤١٣
 جبل البطين، ١٠٠٢، ١٠١٦، ١٠٣٢، ١٠٣٧،
 ١٠٤٤، ١٠٤٧، ١٠٥١
 جبل بعرو، ٣٢٨
 جبل بعو، ٨٤٣
 جبل البقيع، ٣٥٥، ٣٤٨
 جبل بنر، ١١١٤، ١١٢٨، ١١٣٦
 جبل بنو مالك، ٩٣١، ٩٤٠-٩٤١، ٩٤٦،
 ٩٥١-٩٤٩
 جبل بني جمعو، ٧٠
 جبل بني مريم، ٣٦٢
 جبل بياح (المبرج)، ٧٣٤
 جبل بيد، ٨٢٨
 جبل بيض، ٨٤٠
 جبل البيضاء، ٧٩١
 جبل بيضان، ١١٨
 جبل تب، ٣٦١
 جبل تدوم، ١٩٩
 جبل تصلال، ٤١٢
 جبل تلعة تربة، ٩٠٤-٩٠٥
 جبل تمتية، ٨١٧، ٨٤٣، ٨٤٧-٨٤٨، ٨٥٦
 جبل تنور (تلال صخرية)، ٦٨٨، ٦٩١
 جبل تهامة، ٩٣٢
 جبل توليق، ١١٨٣
 جبل ثاهرة، ١٠٧٥-١٠٧٦
 جبل ثنية، ١٣٠٤
 جبل ثهران، ٧٩١، ٩٣٢، ٩٥٢، ٩٧٧
 جبل جب، ١٢٥٤
 جبل الجرف، ٨١٦، ٩٥١، ٩٥٣
 جبل الجزلاء، ٤٨-٤٩، ٥١
 جبل جمعين، ٨٥٦
 جبل جفا، ٧٦٥
 جبل الجلحاء، ٩٩٠، ١٠٠٩
 جبل جلحة، ١٠١٥
 جبل جمرة، ٢٣٧، ٢٣٩
 جبل جمعو، ٢١٠
 جبل جنعان، ٧٠٦
 جبل جور الودافة، ١٠٤٦، ١٠٥٢
 جبل جويل، ٤٧، ٤٩
 جبل حاضن، ١٨٦، ١٩٦

جبل الحمرة، ٧٥٣	جبل الحافية، ١١١٠
جبل حمة، ٣٨١	جبل الحاوي، ٢١٠
جبل حمير، ٤١١	جبل الحباطة، ٩٠٥
جبل حميقة، ٤١١	جبل حبر، ٣٥٥
جبل حنبة، ٩٨١	جبل الحبشية، ٦٣٤
جبل حنين، ١٢٨٢	جبل حبله، ١٦٤
جبل حيران، ١٠٥٠	جبل حبيجان، ٦٣٥-٦٣٤
جبل خيرية، ١٢٥٠	جبل الحجاز، ٢٣٤
جبل خدور، ٩١٢	جبل الحدبة، ٨٥٦
جبل الخريان، ٦٤٣	جبل حدج، ١٠٧٨-١٠٧٧، ١٠٧٥
جبل خسا، ٢٣٦	جبل حرامين، ١٢٣٢، ١٢٣٤-١٢٣٥
جبل خشرم، ٢٠٧	جبل الحرف، ٧٩١، ٩٠٩
جبل خشم أشقر، ٣٣	جبل حرملة، ٥٠
جبل خشم العمور، ٣٣	جبل حرة ألبس، ١٦٤
جبل خشيم الذيب، ٣٦١	جبل حريثة، ٨٤٣
جبل الخضار، ٧٨٥، ٧٨٧	جبل حريص، ٨٨٠
جبل خطا، ٧٧٤	جبل حزوة، ١٨٦
جبل خولان، ٥٥٦، ٥٠	جبل الحزيم، ١٩٥
جبل خيمة، ٧٩١	جبل حسارة، ٨٤٣
جبل الدبرة، ١٣١٩	جبل الحشر، ٩٣١
جبل دحو، ٦٦٣-٦٦٢	جبل الحشر (حريص الشمال)، ٩٤٠
جبل دخان، ٢٦٦، ١٢٠٣	جبل الحشرج، ٣٧٨
جبل دخفة، ٦٦٣، ٦٦٥، ٦٦٧-٦٦٨	جبل حضب، ٤١٢
جبل دفا، ٨٣٢	جبل حضن، ٣٠، ١٢١، ١٢٤-١٢٥، ١٢٨
جبل الدهو، ٦٦٢	١٣٣
جبل ديمة، ٦٣٢	جبل حظوة القرية، ١٠٢٦
جبل ذرة، ٢٩٢	جبل حفايلة، ٢٣٢
جبل الذياب، ١٨٢	جبل حفيت، ١٣٥
جبل الربوعة، ٩٣٢	جبل الحلة، ٨٥١-٨٥٠
جبل رثبا، ٣١٦	جبل الحماطة، ١١٨٢-١١٨٣

- جبل سهلة، ٦٧٣
 جبل سويد، ٩٨٧
 جبل سياح، ٦٣٠-٦٣١
 جبل السراة، ٣٢٨، ٤٠٣، ٧١٦، ٧٢٧، ٧٣٧
 ٧٤٦، ٧٥٣، ٧٧٥، ١١٥٠
 جبل السليل، ٢٤٢
 جبل السود، ٣٤٩، ٣٥٥، ٣٦١
 جبل السوداء، ٤٦٧، ٤٧٥، ٤٧٧، ٥٢٠، ٥٢٥
 ١١٩٠، ١٢٥٤
 جبل السيدان، ٦٧، ٦٩
 جبل الشايل، ١٩٢
 جبل شثي، ٦٦٣
 جبل شثيان، ٧٦٢-٧٦٤
 جبل شحاط، ٧٦٥، ٧٦٧، ٧٦٧
 جبل شرا، ٤٠٧
 جبل الشرفة، ٣١٢
 جبل شرقان، ٦٥٢
 جبل شريم، ٦٢٢
 جبل الشستية، ٦٤٩
 جبل شضعة، ١٢٩٣
 جبل شعار، ١١٤٩
 جبل شعبة، ٦٣٧
 جبل شعثمي (شعثمن)، ١٠٠١
 جبل شعير، ٧٨٢
 جبل شعير، ٧٨٣
 جبل شمزان، ٢٣٦
 جبل شهرين، ١٠٧١
 جبل شيبية، ٧١٤، ٧٤٧
 جبل الصاقعة، ١٢٧٣
 جبل صبيحاء، ٤٧
- جبل رثمة، ٨٤٣
 جبل رجال ألمع، ٣١٢، ٣١٣
 جبل رجة، ٨٤٣
 جبل رخ، ٣٧٢
 جبل رغبة، ١٢٥١، ١٢٥٣
 جبل ركان، ٨٤٣
 جبل ركية، ٣٠
 جبل الرميح، ٩٤٠، ١١٥١، ١١٥٣، ١١٥٩
 جبل الرهوة، ٢٣٢
 جبل الريث، ٨١٧، ٨٣٢، ٨٣٩، ٨٣٨-٨٣٥
 ٨٤٢، ٨٤٥-٨٤٦، ٨٥٦-٨٥٧، ٨٦٩، ٨٧٤
 ٩٠٤، ١٢٤١
 جبل الريث شاحبة، ١٢٢١
 جبل الربيع، ١٩٨
 جبل ريدان، ٨٢١-٨٢٢، ٨٢٤-٨٢٥، ٨٢٨
 جبل زرقان، ١٢٦٦
 جبل سابل، ٤٠٠
 جبل سحي، ٢٢٩
 جبل سرير، ١١٤٢
 جبل سعدي، ٨١٤-٨١٥
 جبل سفيرة، ٥٥٠
 جبل سلا، ٩٣٢، ١٠٦٩-١٠٧٠
 جبل سلال، ١١٢٤
 جبل سلة، ٤١٣
 جبل سلحات، ١٠٦١
 جبل سلي، ٧٧
 جبل سمبك، ٣٥٥، ٣٦١، ٣٦٣، ٣٦٧
 جبل سنبلية، ٣٤٩، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٨، ٣٦٠
 ٣٦٢، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٧٣
 جبل سنبلية، ٣٤٩، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٨، ٣٦٠

جبل عان الجمل، ٤٠٧	جبل صخا، ٤٠٧
جبل عبل، ٣٢٩	جبل الصخرة، ٥٧
جبل عبيبة، ١٢٤٩	جبل صدعة، ٢١١-٢١٠
جبل عبيدة، ٨١٦	جبل صريث، ٨٤٣
جبل عثيث، ٨٢٤-٨٢٢، ٨٢٤	جبل صنفاف، ١٢٣١
جبل عداية الدغاسة، ١١٢٨	جبل صقبان، ١٠٧٨
جبل العر، ٩٣٢، ١٠١، ٩٠٦، ١٠٣٦، ١٠٥١	جبل صلال، ١١٣٠
١٠٥٦	جبل صماد، ٨٤٢
جبل العرف، ٦٩٢، ٧١٨، ٩٤٩، ٩٨١، ٩٩٦	جبل صنادل، ١٢٢٠
جبل عرفجان، ٦٨	جبل الصفا، ٣٦٢
جبل عرق الضعاف، ١٠٢٤	جبل الصنقة، ٢٣٢
جبل العرك، ١٢٧٢-١٢٧٣	جبل الصهاليل، ٨١٧
جبل العريض، ٣١٣	جبل ضبع، ٤٠٦
جبل العشة، ٣٧٤، ٣٦٠، ٥٥٦، ٥٨٣	جبل ضحه، ٥٥٦
جبل عشة سعيد، ١١٣٦	جبل الضحي، ٦٤٦، ٦٢٥
جبل عضد، ٧٨٢-٧٨١	جبل ضراوية، ٧٨٠، ٧٧٨، ٧٤٧
جبل عفرة، ١٠٣٨، ١٠٤١، ١٠٥٠، ١٠٥٢-	جبل ضرية، ٧٧٣
١٠٧٠، ١٠٥٨، ١٠٥٦، ١٠٥٤	جبل الضرك، ٥٥٧، ٥٥٤
جبل عقبة، ٣١٢	جبل ضمك، ٣١٥
جبل عقبة قفلة، ٦٤٤	جبل ضهره، ٨٤٨
جبل عقبية، ٩٩٠، ٩٩٥، ١٠٠١	جبل ضور ابن سرار، ٢٣٣
جبل العكادين، ١٢٣٤-١٢٣٥، ١٢٤٠-١٢٤١	جبل طب، ٣٥٣-٣٥٢، ٣٥٠، ٣٤٩-٣٤٨
جبل العكوة الجنوبية، ٨٥٠	جبل طور موباد، ١٠٢٦-١٠٢٧
جبل العكوة الشامية، ٨٥٠	جبل طويرف، ١٣١٩
جبل عكوة الشمالية، ٨٥٩	جبل ظهر جرده، ٢٩٦
جبل العكوتين، ١٠٧٩	جبل ظهر موباد، ١٠٢٦
جبل علب، ٧٨٧	جبل ظهران، ٩٣٢
جبل علم، ٣٧٤، ٣٧٧-٣٧٨، ٣٨٠-٣٨١	جبل ظور الشعرة، ٣٤٩
جبل عمة آل قعود، ٧٤٦	جبل ظور الكعبة، ٣٤٩، ٣٥٥، ٤١٦
جبل عمث، ٨٢٧	جبل عارف، ٩٥٨، ٩٨٤

جبل القرية، ١٠٢٧، ١٠٣٢
 جبل القعم، ٣٤٠، ٧٠٨
 جبل القعمة، ٣٣٩، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٦، ٧٠٤
 جبل قعمة آل أبا الشيخ، ٧٤٧، ٧٥٣
 جبل قعمة الحمرة، ٨٠٩
 جبل قعمة عراية، ٧٥٣
 جبل قعمة القلح، ٧٠٦
 جبل القلحة (جبل أمقلحة)، ٩٥٧-٩٥٨
 جبل قمة همدان، ٥٤٨، ٥٥٥
 جبل قميرة، ١١٥٠
 جبل قنا، ٣٤٩-٣٥٠، ٣٥٢-٣٥٣
 جبل القهبة، ٩٤٥
 جبل القهر، ٨٤٧، ٩٨٠
 جبل قهر آل احمد، ٦٧١
 جبل قهر الغول، ٥٨٣
 جبل قهر القعم، ٦٦٨
 جبل القهرة، ٧٣٤
 جبل قهرة العبل، ٦٣٤
 جبل القهري، ٩٥١
 جبل قورا، ١٢٢١
 جبل قوز، قيزان، ٨٧٣-٨٧٤
 جبل قيري، ٥٥٤-٥٥٥
 جبل كتفة، ٩٤٩، ٩٥١، ٩٩٠-٩٩١، ٩٩٦-
 ٩٩٧، ١٠٠٢-١٠٠٣
 جبل كحل، ١٢٢٠
 جبل الكرمة، ٩٣٦
 جبل كفر، ٦٧٠
 جبل كفة السور، ٣٧٢-٣٧٤
 جبل كلاب، ٤٩، ٦٧، ٣٥٦، ٣٦٢
 جبل الكواكب، ٣٧٨

جبل عمود الصاقب، ١٩٦
 جبل العميد، ٧٠
 جبل العود، ٨٠٩
 جبل عويج، ٦٥٥
 جبل عوير، ٧٤٦
 جبل عياش، ١٠٣٦
 جبل العير الأسود، ١٨٦
 جبل عيفة، ٧٢٣
 جبل غاوة، ٣٠٢-٣٠٤، ٣٠٧، ٣١٩
 جبل غبر، ٨٥٦
 جبل غراب، ١٠٧١
 جبل غريب حرم، ١١٦٥
 جبل فحقة، ٦٣٣-٦٣٤
 جبل فخر العظم، ٣١٣
 جبل فرد، ٥٥٢، ٧٦٣
 جبل الفرعة، ٢٠٩
 جبل فسوة، ١٠٥٠
 جبل فيفاء، ٧٩٢، ٨٦٤، ٧٢٥، ٧٨٧، ٩٢٤،
 ٩١٦، ٩٢٥، ١٠١٧، ١٠٢٤، ١٠٧٠
 جبل القبضة، ٧٥٠
 جبل قدم، ١٢٦٠
 جبل قدم منصور، ٧٥٤
 جبل القرارة العليا، ٧٣١
 جبل قراتين، ٣٥٤
 جبل قرشو، ٨٢٨
 جبل القرعة، ١٠٢٥، ١٠٧٩
 جبل قرماء، ١٣٠٢
 جبل القرن، ٣٤١
 جبل قرنة السوداء، ١١٩٣، ١١٩٥
 جبل قرنيت، ١٦٤

جبل مشرق، ١٠٥٠، ١٠٦٦
 جبل المشوي، ١٠٥٠
 جبل مصلوخ، ١٨٢، ١٨٦-١٨٧
 جبل المصلولة، ٧٣٤
 جبل مصيدة، ٩١٢، ٩١٤
 جبل مضرع، ٦٧٠
 جبل المطيرية، ١١١٨
 جبل معو، ٢٤٣-٢٤٤
 جبل مفلك، ٧٤٦
 جبل مفلوك، ٧٦٧
 جبل مكتف، ١٠٧٠
 جبل الملحمة، ١١٩٠، ١١٩٧
 جبل ملحة، ٢٢٣، ٦٤٤، ٦٤٦، ٨٤٣
 ١١٨٧-١١٨٩، ١١٩١، ١١٩٨
 جبل منارة، ٧٦٤-٧٦٥
 جبل مناظر، ٦٧٠
 جبل المنبجعة، ٦٦٢
 جبل منبه، ٩٣٢
 جبل المنجارة، ٨٧٤
 جبل منجد، ٧٩١
 جبل منجد الفرعات، ٧٩٤
 جبل منخرة، ١٩٦
 جبل منعا، ٢٣٤
 جبل منود، ١١٣٠
 جبل نبعه، ٦٣٢
 جبل نخرة، ٣٦٤، ١٣٠٢، ١٣٠٦، ١٣٠٨
 جبل نزوح، ٧٥٤
 جبل النشمة، ٩٩٢-٩٩٣
 جبل نصيب، ١٠٥٣
 جبل نطفة، ٦٩٦

جبل كور، ١٨٢، ١٩٢، ٢١٠
 جبل لب السعدة، ٣٨١
 جبل لبقهرة، ٧٢٠
 جبل لنبي، ١٢٨٢
 جبل مارة، ٧٦٣
 جبل مبنى البيت، ٦٦٢، ٦٦٩-٦٧٠، ٦٩٢
 ٧٤٨، ٧١٨
 جبل مجاريض، ٣٢٩
 جبل المجدار العليا، ١٠٠٨
 جبل محاسل، ٨٥٦، ٨٥١
 جبل محاليل = محائل، ١٢٤٨، ١٢٥٠
 ١٢٥٣، ١٣٠٢
 جبل محرق، ١٢٦٤
 جبل المخاوية، ٣١١، ٣١٣
 جبل المختلف، ٤٠٦
 جبل المدبغ، ٣٧٢-٣٧٣
 جبل مدبق، ٣٧٤
 جبل المذراع، ٧٥٣
 جبل مران، ١١٥٠
 جبل مرتمة، ٣٠٤
 جبل مرخص، ٧٢٦
 جبل مرع، ٧٤٦
 جبل مرعة، ٧٢٤، ٧٦٥، ٧٩٢
 جبل مرعود، ٧٩٦
 جبل مرقان، ٦٩٢، ٧١٨
 جبل مرياش، ٢٢٩
 جبل مسابل، ٩٠٨
 جبل مسيلخ، ٣٤١
 جبل المشاف، ٩٠٤
 جبل مشرفة، ٦٩٦

- جحدال قحطان، ٣٧٠، ٣٧٢
 جحاف ثروة، ١٠٦١
 جحام، ١٠٢٧
 جحفان، ١١٤٢، ١١٥٠، ١١٥٣، ١١٧٣
 جحير، ٦٥٣
 الجحيرة، ١٠٧١
 الجحيفة، ٢٢١
 الجخيرة، ٩٠٥
 جداوة، ٦١٠
 الجدعان (قبيلة)، ١٢٩٨
 جدلية، ٧٦٩، ٧٧١، ٧٧٣-٧٧٤
 الجدلية السفلى، ٧٧٢
 جدمت الحاشي، ١٧٣
 جدة، ١٢، ٢٣، ٤٤، ١٢٥، ١٦١، ١٦٣، ١٦٤،
 ١٦٩، ٢٧٨، ٢٨٣، ٢٩٩-٣٠٠، ٣٢١،
 ٣٣٣، ٤٣٩، ٥٥٩، ٥٧٩، ٥٨٨، ٦٠٢،
 ٦٥١، ٧٩٨، ١٠٩١، ١٠٩٧، ١١٥٤،
 ١٢٠٠، ١٢١٥، ١٢٩٢-١٢٩٥، ١٢٩٧،
 ١٣١٥-١٣١٦، ١٣٢١-١٣١٥
 جدول جحفا، ١٠٣٨
 جديسات ابن حمران، ٦١١
 جديسات جريب، ٦١١
 جديسات الشيبان، ٦١١
 جديسات القرذ، ٦١١
 الجرية، ٥٧٥، ٦١١
 الجربوع (مجموعة منازل)، ٣٤٦
 الجرجة، ٨١٣
 جرش (مدينة)، ٢٥٩
 جرف أمحطيمي، ١١٧٣
 جرف أمسيالة، ١١٧٣
- جبل النظير، ٩٤٨
 جبل النقارة، ١١٣٤
 جبل نمرة، ٣٢٩، ٣٢٢
 جبل نهد، ٧٨٠
 جبل النور، ١٤٨
 جبل نيد الكحل، ٧٩١
 جبل نيس، ٣٣٦
 جبل هجرة النمر، ١١٢٩-١١٣٠
 جبل هرة زبيدة، ٦٩٣
 جبل هرمون، ٩١٥
 جبل هضاض، ٥٥٤-٥٥٥، ٥٥٧، ٧٤٥-
 ٧٤٧، ٧٥٩، ٧٦٣، ٧٦٧
 جبل الهضبة، ٣٥٥، ٣٦١
 جبل واصلة صعبة، ٧٨٢
 جبل واعر، ٨٤٣، ٨٤٧-٨٤٨
 جبل واعر، ٣٤٢
 جبل وثران، ٨٣٠
 جبل ودكة، ١٦٤
 جبل ورشة، ١٩٦
 جبل ورك منيرة، ٢١٠
 جبل وريك، ٤٠٠
 جبل وسم، ١٢٥٩، ١٢٦٤
 جبل وعل، ٣٤٢
 جبل ووع، ٧٤٧، ٧٦٩، ٧٧٤، ٧٨٠
 جبل يدا، ٨٤٣، ٨٤٧
 جبل يسرة، ٨٤٣
 جبل يفيخ، ٥١
 جبل يلا، ٦٨، ٨١، ٩٥
 جبل يلملم، ١٣١٧، ١٣٢٠
 الجحادرة، ٥٥

١٣٢٢، ١٢٨٠، ١٠٨٥	جرف راجل، ٩٩٣
الجزيرة العربية السعيدة، ٣٣٠	جرف السراة، ٨١٦
جزيرة كتمبل، ١٢٥٢	جرف فاغر، ٧٤٧
جسر القابل، ٣٢٢	جرف مرعة، ٩٣٢
جعدة، ٣١٤	جرف موفار، ٩٩٧
جمران (حدائق)، ٦٨٩	جريز، ١١١٤، ١١٥١
الجفة، ٦٦٢، ٦٦٠، ٦٥٦	جزر فرسان، ٨٨٠-٨٨١، ٨٩٥، ١٠٩٣،
الجلحاء، ٩٨٤، ١٠١٠، ١٠١٥-١٠١٦،	١٢٠٠، ١٢١٥
١٠٢١	جزومة، ١٠٢٩
جلحة، ٩٥١	جزيرة أمقدة، ٩٩٣-٩٩٤
الجما، ١١٢٥	جزيرة برك - الرجا، ٥٤٣
جميمة، ٢٩٣	جزيرة الجبل، ١٢٦٦
جنب (سراة قحطان)، ٧٠٢-٧٠١	جزيرة جبل الملح، ١٣٠٥، ١٣٠٧
جنوب بدر، ٧٧٧	جزيرة حريمة تعلم، ٧٠٠
جنوب بلاد بني سعد، ٧١٦	جزيرة الدويمية، ١١٠٧-١١٠٨
جنوب تهامة، ٨٨٣	جزيرة العرب، ٥٦١، ٦٨٦، ٧٠١
جنوب جازان، ٨٨٥	جزيرة العرب القديمة، ٢٤٩
جنوب الجزيرة العربية، ٧٣٦، ٨٠٥، ٨٨١،	الجزيرة العربية، ٩-١١، ١٧-١٨، ٢٠-٢٥،
٩٣٨، ٨٩٧	٢٣، ٢٨، ٥٠، ٥٢، ٥٥، ٧٤، ٧٦، ٨٧،
جنوب شرق ظهران، ٧٧٧	١١٠، ١٢٩، ١٦٧، ١٧٧، ١٩٨، ٢٠٠-٢٠١،
جنوب غرب الجزيرة العربية، ٦٨٢-٦٨٣	٢١٤، ٢١٧، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٣١، ٢٤١، ٢٤٨،
جنوب فيفاء، ٩٤٠	٢٥١-٢٥٢، ٢٦٠، ٢٧٤، ٣١٧، ٣٦٣، ٣٧٤،
جنوب السعودية، ٥٦٨، ٦٢٦، ٦٩١، ٧١١،	٤٢٩ - ٤٣٠، ٤٦٦، ٤٨٩ - ٤٩١، ٤٩٥،
٧٢٧، ٧٣٦، ٧٨٩، ٧٩٠، ٨١٣، ٨١٩،	٤٩٩، ٥٠١، ٥٠٤، ٥٠٦، ٥٠٩، ٥١٧، ٥٢٧،
٨٢٥، ٨٤٢، ٨٦٢، ٨٦٤، ٨٧٦-٨٧٧،	٥٣١، ٥٣٦-٥٣٧، ٥٤٧، ٥٦٦، ٥٧٤، ٦٠٠،
٨٩٤-٨٩٥، ٩١٦، ٩١٨، ٩٢٢، ٩٢٤،	٦٠٧، ٦٣٢، ٦٥١، ٦٦٠، ٦٧٨، ٦٨٢،
٩٢٧، ٩٢٩، ٩٤٢، ٩٧٨	٦٨٥-٦٨٧، ٦٩٠، ٧٢٢، ٧٢٥، ٧٣٢، ٧٥٤،
جنوب اليمن، ٦٥٩	٧٦٣، ٧٧٠، ٧٩٤، ٨٠٠-٨٠١، ٨٢٢،
جهر العبد، ١١٤٣	٨٨٢-٨٨٤، ٨٨٦، ٨٩٣، ٨٩٥، ٨٩٧، ٩٠٥،
جو أمعين (برك صخرية)، ١٠٠٠	٩١٦، ٩٢٤، ٩٩٦، ٩٩٩، ١٠٠٧، ١٠٤٨،

الحجاز، ٩، ١٢، ٢٢٣ - ٢٢٤، ٢٣٠، ٢٤٤،
 ٢٤٧، ٢٧١، ٢٨٠، ٣٠٨، ٤٣٧، ٥٦١،
 ٧٠٤، ٧١١، ٧١٥، ٧٣١، ٧٦٦، ٨٠٢،
 ٨٨٣، ٨٨٧، ٩٢٢، ١٠٨٣، ١١٢٤، ١٢٤٤،
 ١٢٧٢، ١٢٧٤، ١٢٨٣، ١٢٨٧، ١٣١٥ -
 ١٢١٦
 حجلا، ٢٧٧
 حجلة، ٣٢٥
 حجلة امعاين، ١١٣١
 حجلة المختمية (حوض)، ١٨٦، ١٩٥
 حجلة المختمية = هجلة المختمية، ٤٦، ٥٢،
 ٧٧، ٣٦٧
 حديبة جحفان، ١٠٧٥
 الحدجة، ٩٦٧
 الحديدية، ٢٩٩، ٨٨٣، ٨٩٧، ١٠٩٠، ١١٤٣،
 ١٢٠٠، ١٢٩٣
 حديقة الحكومة، ٢٨١
 حديقة خشوية، ٤٣٨
 الحرب العالمية الأولى، ٢٢٨
 الحرب العالمية الثانية، ٢١، ٢٢٤
 الحرب العظمى، ٧٣، ٤٢٩
 حرب اليمن، ٤٢٨، ٤٢٩، ٨٩٣، ٩٢٦، ٩٨٨
 الحرجة (بلدة)، ٣٤٧
 الحرشف، ٦٣٤
 حرض، ١١٢١، ١١٢٣، ١١٢٥-١١٢٦،
 ١١٢٨، ١١٥٠-١١٥١
 الحرف، ١٩٧، ١١٧
 حرم، ١٠٥١، ١٠٦٩، ١١٥١، ١١٦٥
 الحرة، ١١٦، ١١٧، ١٢١، ١٦٥، ١٩١
 حرة البقوم، ١٠٩، ١١٣

جوب، ٨٤٠
 جور الودافة، ١٠٤٤، ١٠٥٠-١٠٥١
 الجوزاء، ٩٤٢، ٩٥١-٩٥٢، ٩٥٦
 الجوزاء، ٩٤٢
 الجوف، ٦٠٣، ٦٠٦، ٣٣١، ٤٠٨-٤٠٩،
 ٤٦٩، ١١٠٣
 الجوة، ٩٥١
 جيسان الغربية، ٧٢٠

(ح)

حابل، ١٠٧٣
 حاجور، ١١١٤
 الحاضنة، ٦١٠
 الحامض، ٢٣٨
 حامية الواحة، ٣٣
 حائل، ٢١٧، ٤٦٣، ٥٧٠، ١١٠٠، ١٢٤٨
 الحباطة، ٩٠٥-٩٠٦
 حبان، ٥٩٦
 حبر، ٣٤١
 حبرة، ١٠٦٢
 حبس، ٩٥٦-٩٥٧
 الحبشة، ١٥١، ١٥٥، ١٦١، ٢٤٦، ٦٧٨،
 ٩٩٢
 حبوشة، ٦٠٩
 حبونا، ٤١٣، ٤٢٢، ٥٣٣، ٥٧٩، ٥٨٥، ٦٠٠،
 ٦٢١، ٦٣٢، ٦٤٢، ٦٦٣، ٦٦٤-٦٦٩،
 ٦٨١، ٦٩٠، ٦٩٦، ٦٩٨، ٧١٩، ٧٢٧، ٧٢٩،
 ٧٥٣-٧٥٤، ٧٩٥، ٨٠٤
 حبي، ٦٠، ٦٣
 حبيل، ١٣٤، ٨٥٦

- الحصينية، ٥٥، ٣٩٠، ٤٠٥، ٤١٢، ٤١٩،
 ٤٢٣، ٤٢٥، ٤٢٨، ٥٣٣، ٥٣٥، ٥٧٩،
 ٦٦٩، ٦٣٢
 الحضار، ٧٩٥
- حضر موت، ١٢، ١٨٤، ٣٣١، ٤٠٨، ٤٥٩،
 ٤٩١-٤٩٣، ٤٩٥، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٦،
 ٥٣٥، ٥٦٣، ٥٧١، ٥٧٤، ٥٧٦، ٥٩٦،
 ٦٢٣، ٦٤٩، ٦٥٩، ٦٧٥، ٦٨٥-٦٨٦،
 ٧٠١، ٧٣٣، ٧٨٠، ٨٨٧، ١١٣٨، ١١٤٩،
 ١٢٨٣
- الحضن، ١٧٠-١٧٢، ٥٨٠-٥٨١، ٦١١،
 ١٧٢-١٧٣، ٤٢٥، ٤٥٩، ٥٥٩، ١١٥١
- حضن الجرذان، ٧٩٦
 حضنة، ٤٧٧
- حضيّب (فوهة بركان)، ١٨٢
 حفلة جبلبرت وسليفان، ٣٨٠
 حفيد نوح، ٦٨٤
 الحفير، ٣١٤
 الحفيرة، ١١١٦
 الحقبان، ٣٤
 حقف، ٦٤٣
- حقل ألبس البركاني، ١٧٠
 حقل حرة النواصف، ١١٥
 حقل قيشا، ٢٩٨
- الحقو، ١٢، ٨٥٤-٨٥٦، ٨٥٨، ٨٨٠، ٩٠٤،
 ٩٠٦، ٩٧٩، ٨٥٢-٨٣٥
- حقول آل عيفة، ٧٢٧، ٧٢٩
 حقول الجذامة، ٢٣٩
 حقول مخض، ٣٠٣، ٣١٤
 الحقي، ٦٦٩
- حرة الصواملة، ١٣١٧
 حرة الناصفة، ١٨٥، ١٨٢
 حرة النواصف، ١٧٣
 الحريرة، ٨٤، ٢١٦
- الحريري (قصر سلطان)، ٥٤٦، ٦١٠
 حريص بن كثير، ١٠١٩
 حريص الجنوب، ٩٤٠
 حريص الحشر، ٩٤٠
 حرين، ١٠٧٠
 حزازان، ٦٠٩
 الحزمة، ٦٤٠-٦٤١
 الحزوير، ٥٤٨
 حزيمة، ٦٩٢
 حزيميات، ١٣٤
 الحزيمية، ٤٨٩، ٦١٠
 الحساب، ١٠٦٠
 الحسرج، ٨٠٩
 الحسكول، ١١٨٨
- الحسينية، ٦٨٦، ٨٦٣، ٨٦٦، ٩٣٢، ٩٦٢
 حشا (ضاحية)، ٦٨٠، ٦٨٨-٦٨٩
 حشر، ٧٢٥، ٩٢٨، ٩٤٠-٩٤١، ٩٤٦
 حشوة الجريا، ١٢٦٠
 حشيرو، ١١٥٤، ١١٥٦-١١٥٨
 حصر أم غيشانية، ١٠٥٣
 الحصن، ٦١٢
- الحصن (واحة في حبونا)، ٦٥٥
 حصن الحماد، ٧٥٧
 حصن العوادي، ١٢٤٩-١٢٥٠
 حصن العوض، ١٢٥٣
 حصن القهبة، ٩٢٠

(خ)

الخارجة، ٢٢٥
 خاشر، ٩٢٧، ٩٤٦، ٩٤١، ٩٣٧
 الخانق، ٦٦٩-٦٧١، ٦٨٩، ٧٢٦، ٨١٢
 خب، ٤٠٨-٤٠٩، ٦٠٥
 الخبت، ٨٤٨، ١٢٠٣
 خبت تفاريد، ١١١١
 خبت حبوة، ١٣١١
 خبت المغشوش، ١٠٩٨
 خبت الدوايا، ١٣٠٣
 خبت نجيع، ١٣١١
 خبير الحدود، ٩٥٧
 خبية، ٦١٠
 الخبية، ٩٣٣-٩٣٤
 الخثعمي، ١٨٦
 الخثيقان (منطقة)، ٣٤-٣٥
 خراب شريم، ٦٥٣
 خرابة خزام، ٦١١
 خرابة عمر، ٦١١
 خرت، ٢٩٢
 الخرج، ٥٥، ٣٥١، ٤٣٠
 خرشة الحوسية، ١١٢٢-١١٢٣
 الخرق، ١٠٤٤
 الخرمة، ١٢، ٩٦، ١١٣، ١١٥، ١٢٢، ١٢٤
 ١٢٩، ١٣١، ١٤٠، ١٦١، ١٦٩-١٧٠
 ١٧٢-١٧٧، ١٧٩-١٨٣، ١٨٥، ١٨٧-١٨٨
 ١٩٠-١٩١، ١٩٧، ٢٢٤، ٣٣٣، ٥٦٤
 ٩٧٥، ١٠٠١، ١٠٠٤-١٠٠٥
 خرمة الحاد، ١٠٠٤
 الخرمي، ١٢٥٣

حلاحل (صدع)، ٩٨٤-٩٨٥
 حلال، ٦٥٦-٦٥٧
 حلقوم، ٧٧٤، ٩٩٠، ٩٩٣
 حله، ٨٢١
 حلة الروش، ٢١٦
 حلة مسعود (حوض)، ٨١١
 حلي، ٨٩٧، ١٢٧٧
 الحماد، ٧٦٩، ٧٨٠
 حماطة، ١١١٤، ١١٧٤
 الحمرة، ٧٣١-٧٣٣، ٧٩٢، ٧٩٤، ٨٠٦
 ٨٠٩، ٩٥٩، ٩٦٦، ٩٧٧
 حمرة (حوض)، ١١٦٨
 الحمضة، ٣٦٨-٣٧٢، ٣٧٥، ٣٧٩، ٦٨٩
 الحمة، ١٢٥٣
 الحمى (المرعى المحمي)، ١١٩
 الحمى، ٣٩٠، ٣٩٥، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠٤
 الحمية، ٦٠٩
 الحميضة، ١١٤٦
 حنبة، ٩٨٦، ٩٩٣-٩٩٤، ٩٩٧، ٩٩٩، ١٠٠٤
 حنبوك، ٦٠٦
 الحنجور، ٢٤٨، ٢٥٠، ٢٦٧
 الحنكر، ١٠٣٤، ١٠٤٠
 الحنكة، ٧٢٣-٧٦١، ٧٦٨، ٧٩٠-٧٩١
 الحوسية، ١١٢٦
 الحوض العظيم، ٧٠٦
 الحوطة، ٧٦٠
 حياض أم رضا (حيد رضا)، ١٠١٨
 حيجان، ٣٧٨
 حيران، ١١٢٥
 الحيرة، ٥٠٧
 حيفة (مزارع)، ٩٥٠

الخليج العربي، ٢٣، ٣٢، ٤٩١، ٧١١، ٧٢٢،
٧٥٤
خليج العرقة، ٧٥٦
خليج العقبة، ٧٥٤
خليج قوز الجعافر، ٨٧٤
خميس مشيط، ١٢، ٢١٨، ٢٤٢-٢٤٤،
٢٤٨-٢٥٠، ٢٥٢-٢٥٧، ٢٦١، ٢٦٣-٢٦٤،
٢٦٦-٢٦٧، ٢٧٦-٢٧٧، ٢٨٠، ٢٨٢،
٢٨٥-٢٨٧، ٢٩٠، ٢٩٤-٢٩٥، ٣٠١،
٣٢١، ٣٢٥، ٣٣١-٣٣٣، ٣٣٦، ٣٤١،
٣٤٤، ٣٩٠، ٤١٦، ٤٩٦، ٥٩٥، ٦٩٥، ٧٥١
الخناق، ٦٧٤
خنق، ١٩٧، ٣٢٥، ٦٦٩
الخواجية، ٩٠١
الخور، ٦٠٩
خوارج، ٩٩٠
الخوية، ٨٨٠، ٩٧٣، ١٠٧٥، ١١١٥، ١١٢٤،
١١٢٨، ١١٤٣، ١١٥١، ١١٦١، ١١٦٣،
١١٧٠، ١١٧٣-١١٧٤، ١١٨١-١١٨٢،
١١٩٤، ١١٩٧-١٢٠٢، ١٢٠٤، ١٢٠٦،
١٢٠٩، ١٢١٥
الخوجرة، ١١٢٦
الخور، ٤٠٠
خور البرك، ١٢٦٩
خور الرديف، ١١١٠
خوقان، ١٧٨
الخوية، ١١٢٥
خبير، ٢٤١-٢٤٤، ٢٤٨-٢٤٩، ٢٦٣، ٣٣٣،
٣٣٨، ٣٤٤، ٣٤٧، ٦١٢
الخيالات، ٣٤

الخروجة، ٩٠٢
خزن الحاج، ١١١٦
خزنة عسلة، ١١٢٠
خزوة عسلة، ١١٢٠
الخشائية، ١٠٨٧
خشم الضميان = أرض العطش، ٣٨٠، ٣٨٢
خشم خشخاش، ٤٠٦
خشم شامان، ١٢٨
خشم الكور، ٢٠٢، ٢٠٤
خشيم الذيب، ٦٧-٦٩، ٧٥، ٧٨
خشيم زيد، ٣٤٢
خشيوة، ٥٤٦، ٦١١
خضام، ٦١٢
الخضراء، ٥٩٢
خضران (حديقة)، ٦٨٩
الخضيراء، ٦١١
الخضيرة، ٦٧١
خط صرف نجد التات، ٣٥٠
خطوة حماحة (ثقب مائي)، ٩٣٦
خطوة القفلة، ١٠٥٣
خطوة نسرة، ١١٦١
خطيبة، ٩٦٧، ١١٦١، ١١٦٣، ١١٦٥، ١١٧١
خلب، ١١٦٨، ١١٧٦، ١١٨٢
الخلصا، ٢٥٥
خلف، ٣٥٤، ٣٥٦-٣٥٧، ٣٥٩، ٣٦٣، ٣٦٥
خلوة، ١٠٧٠
خليج الجلاميد، ٦٠٠
خليج الخضرة، ٦٥٢
خليج سقام، ٤٧٧
خليج طعزة، ٦٠٢

الدقيقة (رأس الدقيقة)، ١٠٥٥

دلابغ، ١٠٧٠

دلتا بيش، ٨٦٦

دلتا الحباية، ٦٤٩

دلتا الحمة، ٨٢٨

دلتا قناة الجامع، ٣٣

دلتا المدخال، ١٠٧٠-١٠٦٩

الدلتا المصرية، ٩١٦

دلتا وادي جازان، ٨٧٤

دمشق، ٢٩٩

دمنة السيد (بثرة السيد)، ١١٤١

الدنديفة، ١١٢٧-١١٢٨

الدنقور، ١١١٨-١١١٩

الدهشيلة، ١١٤٦

الدهناء، ١٢٢٢

الدهو، ٦٧٠

الدوادمي، ٥٧

دوس، ٢٦٦

الدوشة، ١٠١٦

دوقة، ١٢٩٩

الدولة السعودية الاولى، ٥٤٧

دوير أم حريق، ١١٩٦

الديرة، ٧٠٤

(ذ)

ذات انشان، ٧٥٩

الذاري الأغبر (الذاري أمغير)، ٩٤٠

الذراع، ٧٢٦

ذراع أمسودة، ٩٦٧

الذرة، ٦٥٠

(د)

دار العرق، ٨٠٣، ٨٠٥

الدارة، ٧٣٧، ٨٠٦

دحضة، ٤٦٢، ٤٨٩، ٦٠٦، ٦١٠

دحنة (موقع شرب)، ٦٢٦

دخفة، ٦٦٩، ٦٧١، ٧١٧، ٧١٨

دخول (موقع)، ٦٥٥، ٦٧٣

دخيلة، ١١١٢-١١١٣

الدرب، ١٢

درب البثة، ٦١٠

درب الجبل، ٦١٢

درب الحج، ١٢٧

درب الحلة، ٨٥٠

درب الفيل، ٩٥، ١١٢، ٢٣٠-٢٣١، ٢٣٣

٢٣٦، ٣٤٦، ٥٠٠، ٦٢١، ٦٣٠، ٧٠٣-٧٠٤

٧٣١، ٧٣٤-٧٣٥، ٧٧٢، ٧٧٤، ٨٠٤

٨٠٧-٨٠٨

درب مطروق، ٥٥٢

درب المعصر، ١٢٣٣

الدرعية، ٥٤٧، ٦٨٦

الدريب، ٦٢١

الدريدية، ١١٩٣

الدعاجين، ١٦٥

الدغيمية، ١٨٠

دفا، ٧٩٠، ٩٥٢، ٩٧٧، ٩٧٩-٩٨٠، ٩٨٥

٩٩٥، ١٠٢٥

دقدقة (الجويف)، ١٢٧٨

دقل، ٢٩٣

دقم، ١٠٧٧

دقيق، ١٠٦١

رافد نواهي، ١٣٧
 رافد هرجاب، ٢٢٩
 رافد يخرف، ٨٤٩
 الربع الجنوبي الغربي، ٦٨٨
 الربع الخالي، ٢١، ٢٣، ٢٩-٣١، ٤٠، ٤٤،
 ٥٦، ٦١، ٦٥، ٩١، ١٢٩، ١٣٤، ٢٠٢-
 ٢٠٣، ٣٩٠، ٣٩٣، ٣٩٩، ٧٢٢، ١١٠٣،
 ١٣١٢
 الربع الشمالي الغربي، ٦٧٨
 الربوعة، ٩٣٢
 الربوة، ٧٥٨
 ربوة الديك، ١١٧٣
 ربوة جلا، ١٢٧٦
 ربوة جليلة، ١٢٧٦
 ربوة داود، ١١٦٣
 ربوة طحنان، ١١٧٣
 ربوة عاصم، ١١٧٣
 ربوة غراب، ١١٧٣
 ربوة مريح الشام، ١١٣١
 رثا، ١٠٧، ١٠٩
 رجال ألمع، ٨٨٧، ١٢٤٥-١٢٤٦
 رجال الحجر، ٧٤١
 رجلا، ٤٢٥، ٦١٠
 رجوزة، ٦٠٦
 رجيفة، ١١٠
 رح، ٦٥٧
 رحا (منطقة)، ٨٣١
 الرحمانية، ١١١٩
 رخمة، ٢٩٧
 رخيني، ٢٩٧

ذس نمر، ١١٧٤
 ذهبان، ٢٦٥، ٢٨٣، ١٢٤٧
 ذو القرنين، ٢٨٦
 (ر)
 رأس العار، ٧٦٩
 رأس غرية = رأس عرية، ٥٥٧-٥٥٨، ٥٨٣-
 ٥٨٤
 رأس نجد سهي، ٣٨٩
 رأس نقب الخيرة (موقع)، ٦٧٤
 رابية أبرق تثليث، ٥٢
 رابية الجلحاء، ١٢٨
 رابية قرن سبط البركانية، ٦٧١
 رابية قليب ربحان، ١٣٠
 رابية المحرق، ١٢٨
 راحة، ٧٠٧-٧٠٨، ٧١٣-٧١٥، ٧١٧-٧١٨،
 ٧٢٠-٧٢١، ٧٢٣، ٧٢٩، ٨١٢
 راحة سنحان، ٧١٣
 رازح (اليمن)، ١٠١
 رازح، ١٠٥١، ١٠٦٠، ١٠٦٢، ١١٦٥
 رافد أبو راکة، ١٣٧
 رافد أبو صول، ١١١٨
 رافد أم لحي، ١١٦٠
 رافد الحصر، ١١٨٧
 الرافد عطيفة، ٢٣٥
 رافد غليفة، ٨٤٦
 رافد قرا، ١٠٠١
 رافد القرارة، ٨٠٧
 رافد لحجة، ٨٣٠
 رافد محدثي، ٨٠٧

روابي حمورة، ١٨٣
 الروسان، ١٦٥
 الروشن (بلدة)، ٢١٣، ٢١٦، ٢١٩، ٢٢١،
 ٢٢٢-٢٢٦، ٢٣٠، ٢٤٢، ٢٤٨، ٣٣٣
 روشن آل مهدي، ٨٧
 روشن بني سلول، ٨٧
 روضة، ١٠٧، ١٨٨-١٨٩، ٩٢٢
 روضة ابن غنام، ١١٢
 روما، ٤٩٧
 الرون، ٦٠٩
 الرويضة، ٥٥
 الريا، ٢٧٨
 الرياض، ٢٣، ٤٣، ٧٣، ١١٥، ١٣٥، ١٥٢،
 ١٦٤-١٦٦، ١٦٩-١٧٠، ١٨٧، ٢١٦-٢١٧،
 ٤٠٤، ٥٠٣، ٥٢٩، ٥٤٧، ٥٩٩، ٦٨٠،
 ٦٨٦، ٧١٠، ٧٤٠، ٧٨٩، ٨٨٤، ٨٩٤
 ١٠٩١، ١١٨١
 رباعين الشعمران (فوهة بركان)، ١٨٢
 الريث، ٧٩٠-٧٩١، ٨٢٨، ٨٣٥، ٨٤١،
 ٨٤٩-٨٥٢، ١٠٦٠
 ريدان، ٤٤٩، ٥٠٦
 ريذة، ٩٦٧
 ريذة تهامة عسير، ٩٣٤
 ريذة العزة، ١٠٣٧
 رير وقروه (كهف)، ٥٢٥
 الرين (هجرة)، ٥٥

(ز)
 زب واردة، ٧٥٧
 زيادة، ٤٠٧

ردوم سرو، ٥٢٠، ٥٨٤، ٦٠٧
 رديف القراد، ١١١١
 رزمة أم حرة، ٩٧٩
 رزمة أم فرحة، ٩٨٠
 رزمة الرقبة، ٩٨٠
 رزمة الكتفة = ثهرات الكتفة، ١٠٠٣
 الرس، ١٢٥٦-١٢٥٧
 رضية، ٦٦٩
 رضيمات، ١٣٥
 رضيمة، ١٣٥
 الرعن، ٦٩٨
 رعن مسلة، ١٠٥٠
 رغبة، ١٢٥٨
 رغوان، ٣٦٧
 رغوة، ٦٠٩
 رفة، ٧٦٩
 رقبة، ٩٥١-٩٥٢، ١٢٤٦، ١٢٤٨، ١٢٥٠
 رقبة مسيحلة، ٩٠٣
 رققات (العاصمة) = الأخدود، ٤٩٥
 الرقيبات (فوهة بركان)، ١١٥
 ركان، ٨٤٩
 ركاية، ٨٠٥
 رنية، ١٢، ٤٧، ٦٤، ٧٣، ٧٧، ٨٢، ٩٦، ١٠٤،
 ١٠٧، ١١٣، ١١٦، ١٢٩، ١٦٦، ١٨٠، ١٨٢،
 ١٨٥، ١٨٧-١٩١، ١٩٨، ٢٠٢، ٢٠٥، ٢١٦،
 ٢٢١، ٢٢٤، ٢٤٦، ٣٣٣
 الرهوة، ٧٦٦
 روابي أمهات حمار، ١٣٠
 روابي العاصم، ١١٩٧
 روابي جيعرة، ١٣١٩

سد الجلاذ، ٥٢٠
 سد حبض، ٤٩٢
 سد رحب، ٤٩٢
 سد الصعب، ٢٥٩
 سد مأرب، ٤٩٠، ٥٠١، ٥٠٧
 سد نجران، ٥٩٩
 سددة، ٨٢٤
 سديد، ١١١٠
 سددير، ٢٢٣، ٨٩٣، ٩٢٢
 السر (مجموعة شعيبات)، ٦٥
 السر، ١١١٨-١١١٩
 سر أم القرع، ٩١١
 سر أمدعاني، ١١٦٦
 سر الفلج، ٣٥٤، ٣٥٧
 سر مجدعة، ١١٦٣
 سرام حيحان، ١١٦٢
 السراة، ٢٤٤، ٣٠٩، ٣١٦، ٥٩٨، ٦٨٥
 ٧٠٩، ٧٢٥-٧٢٦، ٧٢٩، ٧٤١، ٧٤٧
 ٧٤٩، ٧٦٥، ٧٦٦، ٨٢٢، ٨٢٨، ٨٥٥
 ٩١٥، ٩٢٧، ٩٣١، ١١٦٩، ١٢٣٧، ١٢٤٥
 سراة عبيدة، ٢١٨، ٣٤٧، ٥٣٢، ٧١٠
 سراة قحطان، ٦٢٤
 السرية، ٩١٩-٩٢٠
 السروات، ١٩٩، ٢٦٦، ٦٩٥، ٧٠٤، ٧١٥
 ٧٢٥، ٧٩٠، ٧٩٣، ٨٠١، ٨٠٨، ٨٥٥
 ٩٠٩، ٩٣٢، ٩٤٤، ١٢٦١، ١٣١٨
 سروات بلاد زهران، ١٣٠٤
 السعدية، ١٣١٥، ١٣١٨
 السعودية، ١٠، ١٢-١٤، ١٧، ٢٤، ٨٧
 ١٥٧، ٢٠٠، ٥٤٧، ٥٥٢-٥٥٥، ٥٥٧-

زبدة فرسان، ٧٠٩

زبرة، ٥٥٦

الزغبة، ١٠٧١، ١٠٧٥

زنهار (فوهة بركان)، ١١٥

زهوان، ٧٢٥، ٧٩٤

الزيمة، ١٤٨

(س)

ساحل البحر الأحمر، ١٤، ٢٤، ٧٣، ٦٨٥،

٧١١، ٨٥٣، ٨٦١، ٨٧٦، ٨٨٠، ٨٩٢، ٨٩٧،

٩٠٤، ١٠١١

ساحل تهامة، ١٠٩٩، ١١٠٦

ساحل الحجاز، ٦٨٥

ساحل الحجاز الشمالي، ٨٩٣

ساحل الخليج العربي، ٢٣

ساحل القنفذة، ٨٢٨

ساحة آل مستير، ٦١٠

السافانا، ٨٥٠

ساق الغراب، ١١٥٠

سامطة، ١٢، ٨٦٣-٨٦٤

سبأ، ٢٣، ٢٥، ٤٩٠، ٤٩١-٤٩٣، ١٠٩٢

سبائة (شبوة)، ٤٩٨

سباق الدربي، ١٤٨، ٢٢٨

السيخة، ١١٠٩

سيخة وادي حمير، ١٠٩٦

السبعانة (قمتان)، ١٩٤

سيفة آل شنيينة، ٤٨١

سبل المحالة، ٣٢٥

سبيرو، ٢٩٩

سد، ٦٤٢

٩٦، ٢٢٣، ٦٢٤٩	٥٥٨، ٥٦١، ٥٦٧، ٥٦٩، ٥٧٦، ٥٩٣، ٦٤٩
سند (ضاحية)، ٦٨٨	٦٩٥، ٧٢٢، ٧٢٥، ٧٤٢، ٧٦٤، ٧٦٩
السهل، ٨٤٧، ٨٥١، ٨٥٦	٨١٨-٨١٩، ٨٤١، ٨٤٩-٨٥٠، ٨٥٤، ٨٦١
سهل آل سعيد، ٧٤٦	٨٦٦، ٨٦٧-٨٦٨، ٨٧٢، ٨٧٤، ٨٩٥، ٩٠١
سهل أم سليم، ٣٤٨	٩٣٩، ٩٤٩، ٩٥٩، ٩٨٤، ٩٨٩، ٩٩٣، ٩٩٧
سهل بحرة، ١٩٢	٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠٤-١٠٠٥، ١٠٠٨
سهل البرك، ١٢٤٩	١٠١٠، ١٠١٧، ١٠٢٠، ١٠٢٣، ١٠٢٥
سهل بسطة، ١٢٨	١٠٢٨، ١٠٣١-١٠٣٤، ١٠٣٦-١٠٣٧
سهل بني سحار، ٧٤٦	١٠٤٠-١٠٤١، ١٠٤٣، ١٠٤٥، ١٠٥٣
سهل تهامة، ٢٤، ١٧٦، ٢٧٧، ٢٩٥، ٣٠٨	١٠٥٤، ١٠٥٨، ١٠٦١-١٠٦٣، ١٠٩٩
٣١١، ٣١٣، ٧١٩، ٨٤٠، ٨٤٣، ٨٥٦	١١٠٣-١١٠٤، ١١٠٧، ١١٢٩، ١١٤٠
٩٠٤، ٩٠٧، ٩٣١، ٩٥٣-٩٥٤، ٩٩٤	١١٥٦-١١٥٧، ١١٦١، ١١٦٣، ١١٦٦
١٠٠٢، ١٠٢٤، ١٠٢٨، ١٠٤٣-١٠٤٤	١١٧٦، ١١٧٨، ١١٩٧
١٠٥٧، ١٠٦٦، ١٠٦٩، ١٠٧١، ١١٢٤	سفح الفولاء المترسة، ١١٦٢
١١٣٠، ١١٥٠، ١١٩٧، ١٢٠٣	سفح مران، ١١٦٢
سهل الجحر، ٣٧٤، ٣٨١	سفلى فاس (فوهة بركان)، ١٣٠
سهل جذيم، ٤١٢، ٤١٣، ٤٢٢	سفوح بنو مالك، ٩٥٨
سهل جزعة، ١٨٦	سفوح جحير، ١١٣٦
سهل الجماد، ٧٥٨، ٧٦٨	سفوح حدج، ١٠٧٨
سهل حذبة سيلان، ٣٤٣	سفوح شقدام، ١١٣٦
سهل حزم، ٤٤، ١٢٤، ١٢٨، ٣٦٠، ٣٦٢-	سفوح المحمر، ١١٣٧
٣٦٣	السقاء، ٩٤٩
السهل الحصوي، ٦٣٢-٦٣٣	سلي، ٢٠٢
سهل الحضرة، ٣٧١	سلوان (أودية)، ١٣٨
سهل الحماد، ٧٠٣، ٧٣٤، ٧٦٠-٧٦١	سلوة، ٤٦٠
٧٧٠، ٧٧٣	سلا، ١٠٧٠-١٠٧١، ١٠٦٥
سهل حيثار، ١٣٠٦	سلوان، ١٣٦
سهل خبت، ٧٣٥، ١٢١٣	سلوى، ٥٤٨، ٦١١، ٦٣٠-٦٣٢، ٦٣٤، ٦٥٢
سهل خشرم، ٢١٠-٢١١	٦٦٥
سهل درة الداخلي، ٤١٢-٤١٣	السليل، ٢٩-٣٠، ٣٢-٣٧، ٤٠، ٤٢، ٩٠

سوق بني حرب، ٦٦٩	سهل ركببة، ٦٧، ١١٨، ١٢٧، ١٣٢-١٣٤،
سوق بني رزام، ٢٩٠	١٣٦-١٣٧، ١٣٩، ١٦٩-١٧٠
سوق الحرجة، ٦٩٩	سهل سافانا، ٨٥٧
سوق الربوع، ٢١٩	سهل سعيد، ٤٢٥، ٤٣٣، ٤٦٥، ٥٤٢، ٥٦٧،
سوق الروشن، ٢٢٠	٦٠٢-٦٠٣، ٦٢١-٦٢٣، ٦٢٧
سوق طلحة (سوق الأربعاء)، ٧٣٠	سهل سيلا = سائلة عن، ١٣٢
سوق ظهران، ٧٨٧	سهل سيلان، ٣٤٧
سوق عنان (بلدة)، ٧٦٧	سهل صفا، ٥٤٧
سوق عيبان، ٩٠٨، ٩١١-٩١٤، ٩١٩، ٩٣٣،	سهل الطمي، ٣٧٠
٩٣٧، ٩٤١، ٩٨٩، ١٠٥٦	السهل العريض، ٦٤٦
سوق قتبة، ١٠٠١	السهل العظيم، ٥٥٢
سوق اللؤلؤ العالمي، ٢٢٨	سهل العمق، ٣٦٠
سوق مشرف، ٤٢	سهل عميشة، ٧٤٦
سوق مضنب باحة، ١٠١٦	سهل قمبورة، ١٢٤٢
سوق نمران، ٩٣، ٢٢٠	سهل مثن، ١٢٩٨
سويد، ٧٤٦، ٩٨٦	سهل مجحف، ١١١٨
السييل العظيم (١٩١٧م)، ٥٠، ٥٣، ٥٦	سهل محات، ١٠٠
سيل غريان، ١٤٣	سهل المزدوج، ٤٧
سيل الليلة، ٣٦٦	سهل المسير، ٣٨١
سيلام، ١٠٠٥	سهل معشر، ١٨١، ١٨٣، ١٨٥
(ش)	سهل المنقع، ٤٣٠
شاطئ وادي جازان، ٩٣٢	سهل المنقعة، ٤٠٠
الشافعي، ١٠٨٤	سهل الميثب، ٦٧
شاكرا، ١٢٤	سهل النميش، ١٢٥٣
الشام، ٥٤١، ٩٢٤، ٩٤٦	سهل وادي بحرة، ١٩١-١٩٤
الشيام، ٤٣٩، ٦٨٤، ٦٨٦	السوادة، ٦٢٢
شبة الجزيرة العربية، ٩، ٢٣، ٢٥، ٦٨٨،	السودان، ٦٦٠، ٨٢٧، ٨٦٣، ٨٩٥
٧٠٨، ٨٥٧	السودة (منطقة)، ١٩٤، ١٩٧، ٢٨١، ٢٩٣،
الشيهان، ٦١١	٣٠١-٣٠٢، ٣٠٤، ١٠٧٣، ١١٩٥، ١٢٠٠
	سوريا، ٤٢٩، ٥٠٧

- شبو، ٤٠٨-٤٠٩، ٤٤٠، ٥٣٥، ٥٧٢، ٥٧٨،
 ١٠٩٠، ١٠٩٢، ١١٠٣
- شتات، ٦٦٨، ٦٧٠-٦٧١، ٦٩٦، ٧٢٦، ٧٣٤،
 ٧٣٧، ٧٤٤، ٧٤٧-٧٤٩، ٧٥٩، ٧٦٧، ٧٧٥،
 ٧٨٢، ١٠٠٢
- شتران (فوهة بركان)، ١٨٢
- شثيان، ٧٦٣-٧٦٤، ٧٦٩، ٧٧٤-٧٧٥
- شحات الغميرة، ٥٥٧، ٧٦٣-٧٦٤
- شحران، ٨٤٠
- شدر، ١٠٧٥
- شدى، ١١٦١، ١١٧٤، ١١٨١
- شرا، ٣٤
- شراييل، ٤٩٨
- شراقب (طريق عقبة)، ٧٩٣
- الشرايح، ١٤٨
- شربة البغدادى، ٦٧٤
- الشرحاء، ١٠٣٨
- الشرحة، ١٠٧٠
- الشرف (حوض)، ٢٤٨
- الشرق الاوسط، ١٩
- شرقان، ٦٥٣-٦٥٤
- الشرقية العثيى، ١٩٤
- شطبية، ٧٥٤
- شعار (حوض)، ٣٢٦
- شعب آل برن، ٦١١
- شعب بران، ٤٢٦، ٤٣٩، ٥٤٦
- شعب خوى، ١٧٨
- شعب السهوه، ٧٢٠
- شعب سيل غريان، ١٤٥
- شعب السيل الكبير، ١٤٥
- الشعب الشامى، ١٣٠٦، ١٣٠٨، ١٣١٠
- شعب الضبر، ١٢٧٧
- شعب القوم، ٩٨٨
- شعب مويتيه، ٣٥٧
- الشعب اليمانى، ١٣٠٧-١٣٠٩
- الشعبه، ٧٧٦-٧٧٧
- الشعب (منطقة)، ٢٩٥
- شعب آل بحير، ٨١٢
- شعب آل عيفة، ٧٢١
- شعب آل فروان، ٧٢٦، ٧٣٩
- شعب آل قاسم، ٣١٧
- شعب آل وازع، ٨١١
- شعب الأبتى، ٧٢١
- شعب أبو جميدة، ١٨٠
- شعب الأثاييه، ٤٢٤
- شعب أثب، ٢٣٧
- شعب أثريه، ١٤٤
- شعب أجبال، ٢٥٦
- شعب أفضه، ٦٢٩
- شعب الأصادين، ٧٣١، ٧٣٣
- شعب أصدع، ٢٤٨
- شعب أعرب، ٦٧٥
- شعب أقتان، ١٣٢
- شعب أم سرب، ٧٩٦
- شعب أم الصعب، ٦٦٠
- شعب أمتره، ٦٩٨
- شعب أملىح، ٦٠٦
- شعب أهراين، ٩٣٧
- شعب أبحار، ١١٤٥، ١١٥٠
- شعب البحيثه، ١٠٧

- شعيب الجفر، ١٣٨
شعيب جلال، ٩٧٧-٩٧٨، ٩٨٠
شعيب جلامين، ١١٥٤
شعيب جليل، ١٣٢
شعيب الجمر، ٣٧٨، ٣٨١، ٣٩٤، ٣٧٥
شعيب جنب، ٧٠٣
شعيب جوحان، ٢٦٩، ٢٩٨
شعيب الجيرة، ٧٠١
شعيب جيسان، ٧١٥
شعيب الحاوي، ٢٠٩-٢١٠
شعيب الحباب، ٧٠٢
شعيب الحبابة، ٦٤٦
شعيب حثاق، ١٧٩، ١٩١
شعيب الحج، ٦٠٣
شعيب حجر، ٧٥٩، ٧٨١
شعيب حجلا، ٣٠١
شعيب حجمة، ٢٥٣
شعيب حرير، ٨٢٤-٨٢٥
شعيب الحسرج، ٨٠٨
شعيب حسوة، ٣١٢، ٣٢٢
شعيب الحضار، ٧٩٥
شعيب حقب، ٦٣٧
شعيب حلال، ٦٥٥-٦٥٦، ٦٧٠-٦٧١، ٧٥٣
شعيب حلحلة، ٦٥٦
شعيب حلقوم، ٦٤٣
شعيب حلیم قضض، ٧٩٥
شعيب الحماطة، ٧٠٣
شعيب الحمرة، ٧٢٩-٧٣٠
شعيب حموض، ٢٦٧
شعيب الحمى، ٣٨٩، ٣٩٩
شعيب بران، ٥٢٦، ٥٤٨، ٦٥٦، ٧٥٣
شعيب بساطة، ١٢٨، ١٣٠، ١٣٣
شعيب البطيخ، ٧٨١
شعيب البغث، ٢٥٧-٢٥٨
شعيب البقعة، ١٠٥٦
شعيب بني مفيد، ٣٢٣
شعيب بيح، ٨٠٥-٨٠٦
شعيب البير = خريق، ١٠٩-١١٠، ١١٦
شعيب تكتمه، ٤٧٦
شعيب تلح، ٢٣٧
شعيب تلغ، ٢٣١
شعيب تندحة، ٢٤٧
شعيب تندحي، ٣٣٦، ٣٣٧
شعيب تهال، ٣١٧
شعيب الثعالب، ١٣٨-١٣٩
شعيب ثليم، ١٠٩
شعيب ثنيان، ٧٧٦، ٧٨٠
شعيب ثوع، ٤٨١
شعيب الجاره، ٦٩
شعيب الجحف، ٢٤٤-٢٤٥
شعيب الجدلية، ٧٦٠
شعيب جراف، ٣٤
شعيب الجريه، ٨١٤
شعيب جرثم، ٦٢٤
شعيب جرعة، ١٠٢٨
شعيب جريدة، ٧٠٧
شعيب جع، ٨٢٦
شعيب جعر، ٧٥٤
شعيب الجف، ٢٤٤
شعيب الجفار، ٨٢٨

شعيب حميته، ٢٣٧	شعيب رشيدة، ٢٠٩
شعيب الحنجور، ٢٣٩، ٢٤٦-٢٤٧، ٢٤٩	شعيب الرغام، ٦٢٣
شعيب الخانق، ٦٧٨، ٦٤١	شعيب رفيدة، ٥٥٢، ٣٢٩
شعيب خبيبي، ٣١٧-٣١٨	شعيب ركك، ١٤٥
شعيب ختلان، ٦٠	شعيب رمرم، ٣٤٩
شعيب الخرايق، ١٣٤، ١٣٦	شعيب رنوم، ٢٢٩
شعيب الخرق، ١٠٤٣	شعيب الرهوة، ٣٧٣
شعيب خرمة، ٩٩٧	شعيب ريحان، ١٢٥، ١٢٧-١٢٨، ١٣١
شعيب الخليفة، ٩٩	شعيب ريضة، ٦٥
شعيب الخليفة، ٣٣٨، ٣٤٠	شعيب الزج (الدج)، ٧٩٥
شعيب خمران، ١٢٠٣	شعيب زعل، ٣٦٣
شعيب الخويريم، ١٠٦٢، ١١٥٢-١١٥٣	شعيب زعزع، ٣٣٩-٣٤٠
شعيب دخس، ٧٣٠	شعيب سارة، ٧٩٧
شعيب دخل، ٥٤٣	شعيب السحوية، ١٢٢
شعيب دخول، ٤٢٣-٤٢٤	شعيب سحي، ٢٢٩
شعيب درب بني شعبة، ٣١٢	شعيب السد، ٧٣٧
شعيب الدرة، ٧٢٦	شعيب السر، ٣٢٣
شعيب الدهابنة، ٢٣٥-٢٣٧	شعيب السراة، ٣٢٧
شعيب دومة، ١٠٧٣	شعيب سفيرة، ٥٥٠
شعيب دويرة، ٦٠، ٦٢-٦٣	شعيب سلمى، ١٢٧
شعيب ذات حمد، ٦٥٥	شعيب السليل، ٢٢٨
شعيب ذهبان، ٢٥٦، ٢٣٣	شعيب السليم، ٦٤٢، ١٧٣
شعيب ذي خشا، ٢١١	شعيب سمر، ١٠٨
شعيب راك، ٦٦٢-٦٦٣	شعيب السمكة، ٦٩٨-٦٩٩، ٧٠١
شعيب راية، ٧٣٧	شعيب سهى، ٣٨٩، ٦٣٠
شعيب رجعال، ٢٣٣	شعيب سوع، ٥٥٣
شعيب رحا، ٦٣٥، ٨٢٠-٨٢١	شعيب سيلا، ٣٨٩، ٣٩٩، ٦٢٢
شعيب رحب، ١١٩٦	شعيب شبرك، ٦٢٨
شعيب رحبة، ٣٤٩، ٣٥٤	شعيب شبينة، ١٣٦
شعيب رخم، ٤٨١	شعيب شجع، ٧٧١

شعيب طلحة، ١٤٤، ١٨٠	شعيب شدا، ٢٤٣-٢٤٤
شعيب الظريفة، ٧٧٥	شعيب شرح، ١٠١٨
شعيب الظفارة، ٧١٤	شعيب شرحان، ٨٣٧
شعيب عانت، ١٢٧	شعيب الشرف، ٢٦٩، ٢٩٧
شعيب عبيرة، ٤٧٩، ٤٨٠	شعيب الشعبة، ١٧٣، ٧٧٦
شعيب عثريان، ٣١٨	شعيب شعف، ٧٠٧
شعيب عربية، ٥٨٦	شعيب الشقرة، ٩٨٠
شعيب عرجان، ٦٢٥-٦٢٦، ٦٣٠	شعيب شكمان، ٦٤٩
شعيب العرض، ٥٥٢، ٥٥٤-٥٥٥، ٧٤٧	شعيب شوامي، ١٠٥٤
شعيب العرضة، ٣٤٨	شعيب شوقبة، ٧٢١-٧٢٢
شعيب عرفطة، ٦٤٤	شعيب شوك، ٥٥٤
شعيب عرقان، ٦٢٤-٦٢٥، ٦٢٧-٦٢٨،	شعيب شيشع، ٣٨٦
٦٣٠، ٦٣٢	شعيب صرة، ٤٧٦
شعيب العرقة، ٧٥٥	شعيب صروم، ٧٠٣-٧٠٤
شعيب عسمي، ١١٤٥	شعيب صغيرة، ٥٩٣
شعيب عشاش، ١٨١	شعيب الصماء، ٣٨٦
شعيب عشران، ٣٠٢، ٣٠٨-٣٠٩، ٣١٩-	شعيب صناخة، ٦٣٥-٦٣٦
٣٢٠	شعيب صيحان، ٦٥٥-٦٥٦، ٦٦٩
شعيب العطف، ٨١١	شعيب الضبع، ٨٢١-٨٢٢
شعيب العقيد، ٨٥١	شعيب الضحضاح، ٧٥٣
شعيب عقيقة، ٧١٣	شعيب الضرس، ٣٢٨-٣٤٠
شعيب العكاس، ٣٠٤	شعيب ضروة، ٨٣١
شعيب العليب، ٤٧٨	شعيب الضعة، ١٠٩، ١١٦
شعيب عنقة، ٢٥٧-٢٥٩	شعيب ضفرة، ٨١٤
شعيب عورا، ١٠٥٦	شعيب ضلع، ٧٢٥
شعيب العين، ٦٧٣	شعيب ضمن، ٣٠٢
شعيب غاوة، ٣١٩	شعيب الضور، ٢٣٠-٢٣١
شعيب غريان، ٧٠٥، ٧٠٧	شعيب ضيدة، ٦٠٦
شعيب غريه، ٥٨٢	شعيب الضيقة، ٦٦٠
شعيب الغول، ٣٤٠	شعيب الطلاح، ٣٢٩، ٣٤٠

- شعيب فاس، ١٣٠
شعيب فت، ٦٦٢
شعيب فدعر، ٣٥٠
شعيب الفرشة، ٩٣٢
شعيب الفيض، ٦٤٦
شعيب قاب، ٦٧٤، ٦٦٩
شعيب قاوية، ٨٠٥-٨٠٤
شعيب القبر، ٣٤
شعيب قحيث، ٧٢٦
شعيب القحيف، ٧٣٦، ٧٣٤
شعيب القرارة، ٣٣٦، ٣٣٤
شعيب قرضة، ٢٩٦
شعيب القرن، ٣٤٢، ٣٤٠-٣٣٩
شعيب قرى، ٨٥٧-٨٥٦
شعيب القضة، ١٠٤
شعيب قطن، ٤٠٣
شعيب قعيتمان، ٩٥٢
شعيب قفل، ٨٤٧
شعيب قفلة، ٦٤٥-٦٤٤
شعيب قليطة، ٧٠٧، ٧٠٥
شعيب القمحة، ١٠٤١
شعيب القمقم، ٧٩٦
شعيب القوم، ٧٨٦
شعيب قيرى، ٦٤١
شعيب كتنة، ٦٥٤، ٢٣٣
شعيب كحلة = قرن مكحلة، ١٠٣٥
شعيب كرا = وادي الكراء، ١١٦
شعيب كربه، ٦٩
شعيب الكرمة، ٩٣٦
شعيب كنر، ١٠٤٠
شعيب كلبة، ٦٢٩
شعيب كهلان، ٦٦٨
شعيب اللجاج، ٩٩٤، ٩٩٠
شعيب لحج، ٨٣٩
شعيب لحج بن جعار، ١٠٧٣
شعيب لحف، ٨٥٧
شعيب لسان، ٣٦٩
شعيب لعصان، ٢٦٩
شعيب اللهب، ١٠٣٩
شعيب لهو، ٣٦٩
شعيب مجازة، ٧٨٢-٧٨١
شعيب مجزع القرض، ٨١٩
شعيب المجزعة، ٦٧٥-٦٧٤
شعيب مجنة، ١٠٤٣، ١٠٤١
شعيب محد، ١٠٣٦-١٠٣٥
شعيب محدق، ١١٤٦
شعيب محله، ٧٠٧
شعيب المختلف، ٨٠٨
شعيب مخشى، ٣٩٩، ٢٥٨
شعيب مخلفة، ٨٢٩
شعيب مربع، ٣٦٤
شعيب مرية، ٣١٢-٣١١
شعيب مرزا، ٦٣١-٦٣٠
شعيب مرع، ٦٢٨
شعيب مرقوع، ١٠٦٥
شعيب مروان، ٥٥٧، ٥٥٤-٥٥٢
شعيب مروة، ٦٤١
شعيب المزرعة، ٧٨٥، ٧٨٣
شعيب المسيار، ١١٥٣-١١٥٢، ١١٥٠
شعيب المشريف، ١٧٢

- شعيب المضرب، ١٠٧٠
شعيب مضس، ١١٨٠-١١٨١
شعيب المعارض، ٨٢٥
شعيب معروك، ٩٠٨
شعيب معس، ٧٩٥
شعيب معو = شعيب خذام، ٢٤٢
شعيب مقسن، ١٧٩، ١٨١
شعيب مقصر، ٧٠٢
شعيب مقم، ٦٩٨، ٧٢٦
شعيب الملاح، ٨٥١
شعيب ملح، ٦٣، ٦٥، ٦٩
شعيب الملحة، ١٧٢، ٦٤٢-٦٤٣
شعيب ملصة، ١٠٣٦
شعيب ملطي، ٦٧٦
شعيب منقل، ٥٨٢-٥٨٣
شعيب المهجر، ٦٧٨
شعيب موتان، ٧٩٠، ٩٥٨
شعيب ميضر، ٢٢٩
شعيب نبع، ٦٤٦
شعيب النقعة، ٧٦٤
شعيب نطاطة، ٦٢٩
شعيب نعوان، ٣٩٩-٤٠٠
شعيب نفر، ٦٦٠
شعيب نفض، ٨٢٥
شعيب الثقيل، ٧٣١
شعيب نهر، ٢٣٧
شعيب نهيقة، ٤٨١
شعيب الهيجة (أمهيجة)، ٩٣٢
شعيب وجخة، ١٠٦١
شعيب وساع، ٨٥٨، ٨٦١
- شعيب وطاق، ٣٣٨-٣٣٩، ٣٤٠
شعيب الوقيرة، ٦٩٩
شعيب ولج، ٧٠٦
شعيب يسن، ٦٤٢
شعراء، ٨٥٤، ١٢٠١
الشقرة، ٩٧٨
الشقوق، ٦١١
الشقيق، ١٢، ٢٩٥، ٨٨٠
شلال الوغرة، ٩١٧-٩١٩
شلالات نياجرا، ٩١٧
الشلفاء، ٣٢٤
شله ملوشس، ٤٩٦-٤٩٧
الشماسات، ١٩٤
شمان، ١٣٠
شهرة، ١١١٧
شهرين، ١١٠٩
شوحطة (اقليم)، ٦٠، ٦٣
شوقبة، ٧٢٩
الشيابين، ١٦٥
شيرا، ١٣٠٧
- (ص)
صامطة، ٨٨٠، ١١١٧، ١١٢١، ١١٢٣،
١١٣٦، ١١٣٨، ١٢٠٠-١٢٠١، ١٢٠٣-١٢٠٤
١٢٠٤
الصايرة، ٢٢٧
صبا، ١٠٦١، ١٠٦٥
صبحتل (سبحتل)، ٧٨٢، ٧٨٥، ٩٨٨
صبيا، ١٢، ٢٧٧، ٨٢١، ٨٤٩-٨٥٠، ٨٥٩،
٨٦١، ٨٦٣-٨٦٨، ٨٧٠-٨٧٣، ٨٧٨

الصدر (طريق)، ٦٧٣
 صدر (قمة)، ٦٧٤
 صرمان، ٩٥٨
 صرة، ٤٧٦
 صريق صمعة، ١٠٠٠
 صعبان، ٣٢٤
 صعدة (ثقب مائي)، ٨١٤
 صعدة، ٤٤١، ٤٧٨، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٣٠، ٥٣٨،
 ٥٥٦، ٥٦٩، ٥٨٢-٥٨٣، ٥٨٥-٥٨٦،
 ٥٩٥، ٦٠٦، ٦١٠، ٧٣٤، ٧٤٦، ٧٥٠،
 ٧٦٢، ٧٦٥، ٧٦٧، ٧٧٢، ٧٧٥، ٧٨٩،
 ٩٢٣، ٩٣٨، ٩٩٣، ١٠٠١، ١٠٢٠، ١٠٥٦
 الصفا، ٥٤٢-٥٤٣، ٥٨٩، ٥٩٥، ٦١١
 الصفراء (فوهة بركان)، ١٨٢، ١٩١، ٦٠٩،
 ١٠١٦
 صقبان، ١٠٧٠، ١٠٧٧
 الصقور، ٦١٠
 صلوبة، ٨٧٠
 صماد، ٩١٢
 صمعة، ٧١٤، ١٠٠٥
 صميدة، ٦٠٩
 صنعاء، ٤٩٨، ٥٣٠، ٥٣٦، ٥٦٢، ٥٩٥،
 ٦٠٤، ٦٨٢، ٧٣٤، ٨٢٦، ٨٩٧، ٩٠٩،
 ٩٢٣، ١٠٠١، ١٢٩٥
 الصين، ٩٢٤

(ض)

ضبا، ٨١٢، ٨٩٣
 الضير، ١٠٧١
 ضيرة (ثيرات) أمضس، ١٠٤٤-١٠٤٥، ١٠٥٠

٨٨٠-٨٨٢، ٨٨٧، ٨٨٩، ٨٩٥، ٩٠١، ٩٠٥،
 ٩٣٢، ١٠٦٦، ١٠٨١، ١٠٨٤، ١١٢٣،
 ١٢١٧-١٢١٨، ١٢٢٠-١٢٢١، ١٢٢٤،
 ١٢٢٧، ١٢٣٠، ١٢٥٧
 صيبا الجديدة، ٨٦٨-٨٧٠، ٩٠١
 صيبا القديمة، ٨٦٧، ٨٦٩
 الصبيخة (منطقة)، ٥٤، ٣٤٦، ٣٤٩، ٣٥٠-
 ٣٥١، ٣٥٣، ٣٦٤، ٣٦٧
 صحراء الجزيرة العربية، ٧٩٢
 الصحراء العربية، ٧٥٤
 الصحراء العظيمة، ٦٦٩
 صحراء عيثة، ١٣٢٠
 صحراء المهمل، ٤٤، ٥١، ٥٣
 صحراء نجد، ٣٧٤
 صحيان، ٦٥٧، ٦٥٩
 صخر، ٧٦١
 صخرة الامير، ٤٨٥
 صخر برق الأبايعر، ٤٠٠، ٤٠٣
 صخرة اتصال، ٤١٣
 صخرة تنصاب، ٤٨٠
 صخرة تنما، ٦٧٦
 صخرة الحضن، ١٧١
 صخرة عيبان، ٥٥٦
 صخرة الفاس، ٣١١، ٣١٣
 صخرة قمع شفيان، ٩٣٥
 صخرة مروح (قلة أمروة)، ٩٩٦
 صخرة مفر، ٧٢٩
 صخور تضكر، ٦٩٩
 صخور ريع المياني، ٣٨٩
 صخور الظهر، ٥٥٥

طربية، ٥٥٢
 طرف الذراع، ٧٣٦
 طرف السر، ١١١٧
 الطرفان، ١٠٣٧
 طرب، ١٢-١٣، ٥٤-٥٥، ٦٩٥-٦٩٦، ٧٠٣،
 ٧٣٥، ٧٠٨
 طريق باقم، ٧٨٩
 طريق ببشة - تربة، ١٩١
 طريق جازان، ٨٧٣
 طريق الحج، ١١٧، ٦٣٠، ٨٧٢
 طريق الحسينية، ٩٠١
 طريق خولي - شهدان، ١٠١٥
 طريق درب البن، ٧٩٤-٧٩٥
 طريق الذهب القديم، ١٦٩
 طريق الفييل، ٧٣٧، ٧٥٥، ٧٥٧، ٧٦٠،
 ٨٠٤-٨٠٥، ١١٠٣
 طريق الفييل أسعد كمال، ٧٧٥
 طريق قتبة، ١٠٠٣
 طريق محایل (شعار)، ٢٩٨
 طريق مكة - الرياض، ١٣٨
 الطريق الموكبي، ٤١٥
 طريق نجران، ٢٤٤، ٢٤٦
 طريق نجران - صعدة، ٥٥٨
 طريق نجران - ظهران، ٦٢٥، ٧٥٣
 طريق اليمن، ٨٨٢
 طعزة، ٦١٠، ٦٢١
 طفشة، ٨٥٦
 الطففة، ٩٧٥
 طلان، ١١٥١
 الطلحة، ٧٠٣، ٧٢٦، ٧٢٩، ٧٣٢، ٧٣٥-

ضبع، ٤١٣، ٧٧٤
 الضبيعة، ٣٥١، ٧٧٣
 ضبير، ١٠٧٥
 الضبيرة، ٨٥٦، ١١٥٣، ١١٥٧-١١٥٨
 ضحا، ٦٧٠
 ضراوية، ٧٧٦-٧٧٧
 ضربة، ٩٥٠
 ضررة، ٣١٢
 ضرم (دروم)، ١٩٣، ٦٠٧
 ضريعان، ٣٤١، ٣٤٨
 ضلع المرباح، ١١٣٤-١١٣٥
 ضمد (حوض)، ١٠٢٥
 ضمد، ٩٥٧، ٩٧٩
 ضند، ٦٤٠
 ضهبة، ٧٧٧
 ضومان، ١١٦٨-١١٦٩
 ضيدة، ٥٨٥
 الضيفان، ٦١١
 ضيلة، ٦٠٩

(ط)

الطائف، ١٢، ١٠١، ١١٥، ١٢٥، ١٣٣، ١٣٨،
 ١٤٠، ١٤٢، ١٤٤، ١٥٢، ١٦٢، ١٦٤-١٦٦،
 ١٧٠، ١٧٦، ١٨٩، ١٩٩، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٤٤،
 ٢٤٧، ٢٦٠، ٢٧٣، ٢٨٠، ٣٠٠، ٣١٠، ٣٤٠،
 ٤١٤، ٦٢٣، ٦٥٨، ٦٦٧، ٧٠٨، ٧١٦،
 ٧١٨، ٧٣٠، ٧٤١، ٧٩٣، ٨٠٨، ٨٢٦، ٨٩٧،
 ٩٠٩، ٩٢٧، ٩٥٠، ١٠٩٠، ١١٣٥، ١١٥٠،
 ١٣١٥-١٣١٦، ١٣١٨
 طرابلس، ٨٧٩

العان (بلدة)، ٥٣٣
 عان الدريب، ٦٠٢، ٥٦٥، ٧٦٦
 عان المكارمة، ٦١١
 عيب (حوض)، ٧٠٣
 عبيدة (سراة عبيدة)، ٧٠٠
 العجيبية، ١١٠٥
 عدن، ٨٩، ٥٦٣، ٥٧٨، ٥٩٧، ٨٧٥، ٨٧٨،
 ١٢٩٣، ١١٥٤
 عنبة، ٦١٠
 العر، ٩٤٨-٩٤٩، ٩٨٠، ٩٨٤، ١٠٢٤-
 ١٠٢٥، ١٠٣٤، ١٠٣٦، ١٠٣٨-١٠٣٩،
 ١٠٤١-١٠٤٢، ١٠٤٤، ١٠٤٧، ١٠٥٠-
 ١٠٥٣، ١٠٦٩
 العراق، ٢١٧، ٥٤١، ٥٨٨، ٦٢٦، ٦٧٤، ٨٥٥
 العربية السعودية، ٢٥، ٧٥٤
 عرفة = ابن فهيد (نخيل وقصور)، ٣٤٦
 العرق، ١٨٦، ١٢٦٠
 عرق سبيع، ١٣١، ١٩٥-١٩٦
 عرق سبيع (رمال)، ١٨٣، ١٨٥
 عرقد، ١٠٧١
 عرقين، ٩٤٠
 عرم، ٥٤١
 العرن، ٦٦٧، ٧٢٦، ٧٧٣، ١٠٢٠، ١٠٧٠
 العرن الجنوبي، ٧٩٤
 عرن قعمة، ٧١٧
 عرن متلع، ١٠٩٤
 عرن مض، ١١٧٢
 عرنين، ١٠٣٨
 العري (القهري)، ٩٤١
 عريشية، ١٠٧٩

٧٣٦، ٧٣٨-٧٣٩، ٧٤٨، ٧٥٧، ٧٩٣، ٨٠٥
 طنجة، ١٥٥
 طور آل مرة، ١٠٢١
 طور أم لبيدة، ١٠٢٥
 طويق، ٥٧٩
 طيبة (بلدة)، ٦٨٢، ٦٨٥
 طيبة (اليمن)، ٤٣٨

(ظ)

الظريفة، ٧٧٦
 الظفير، ٨٧٦
 ظهرات (ثهرات) أمقشعة، ٩٨١
 ظهران، ٢٦٨، ٢٩٠، ٣٤٦، ٥٠٠، ٥٠٢، ٥٠٧،
 ٥١١، ٥٣٢، ٥٣٥، ٥٩٧، ٦٠٦، ٦٣٠، ٦٥٦،
 ٦٦٨، ٦٧٠، ٦٩٦، ٧٠٣، ٧١١، ٧٢٩، ٧٣٤،
 ٧٣٦-٧٤٠، ٧٤٢-٧٤٣، ٧٤٨، ٧٥٠-
 ٧٥٣، ٧٥٧، ٧٥٩، ٧٦٢، ٧٦٩، ٧٨٧،
 ٧٩٣-٧٩٤، ٧٩٧-٧٩٨، ٨٠٠-٨٠٢، ٨٠٤،
 ٨١٩، ١٠٢٦، ١٢٠١
 ظهران الجنوب، ١٢-١٣، ٥٥٢، ٥٥٥، ٦٢٥،
 ٧١٠، ٧٩٣-٧٩٤، ٨٠١، ٨٠٨، ٩٣٢،
 ١٠٤٣
 ظهرة سنحان، ٦٢٤

(ع)

عار أم جميلة، ١١٩٦
 العارضة، ٨٨٠، ٩٤٠، ١٠٤٦-١٠٤٧، ١٠٥٤،
 ١٠٥٩، ١٠٧٣-١٠٧٤، ١٠٧٦، ١٠٩٠،
 ١٠٩٤
 عان بريم، ٦٢١

عقبة رفيدة، ٥٥٢	عريق الوزران، ٢٠١
عقبة سيلة، ٦٣٠	العرين، ١٢-١٣، ٥٤
عقبة شراقب، ١٢-١٣	العرين (رافد)، ٦٩٦
عقبة علب، ٧٨٩، ٩٥٣، ٩٥٨، ٩٦١	عسير، ٢٩، ٩٢، ٩٤، ١٢٧، ٢١٨، ٢٣٤
عقبة نهوقة، ٦٠٧	٢٤٤، ٢٥٥، ٢٥٩، ٢٦٠-٢٦١، ٢٦٤-٢٦٥
عقلة، ٦٠٩	٢٦٨، ٢٧٥، ٢٧٩-٢٨٠، ٢٨٠، ٢٩٠، ٢٩٢، ٣٠٦
العقيد، ٨٥٦	٣٠٨، ٣١٠، ٣٢١، ٤٠٤، ٥٥٢، ٥٥٤، ٥٥٨
عقيلة، ١٣٥	٥٦١، ٥٦٤، ٥٩٦، ٦٠٩، ٦٢٥، ٦٦١، ٦٨٣
عكام، ٦١٠	٦٩٥-٦٩٦، ٧٠٠، ٧٠٨، ٧٢٠، ٧٣٥، ٧٤١
العلا، ٤٥، ٤٣٠	٨٤٢، ٨٥٠، ٨٦٢، ٨٧٦-٨٧٧، ٨٨١-٨٨٣
علب، ٧٨٢، ٧٨٦، ٧٩٢، ٧٩٤، ٨١٦، ٩٨٨	٨٩٤، ٩١٥، ٩٢٢، ٩٢٤، ٩٢٩، ٩٣٤، ٩٥٩
علبين، ٩٧٧	١٠٠٦، ١٠١٧، ١٠٢٥، ١٠٤٠، ١٠٤٣
علقى، ٥٦٠	١٠٨١، ١٠٨٥، ١٠٩٤، ١١٢٠، ١١٢٤
علم الرأسية، ٣٧٦	١١٤٥، ١١٤٩، ١٢٥٨، ١٢٦١، ١٢٧٧
علو المخلاف، ٦١١	١٢٩٥
عليب، ٧٧٤-٧٧٥	العشة، ٣١٤، ٥٨٦
عليل، ١٠١٩	عشة السرير، ١١٤٠
العليلي (مقاطعة)، ٩٤٠	عشة الكيال، ١١٤٠
عمان، ١٣٥، ٥٧٩	عشة زيادي، ١١٢٨-١١٣٩
عمث، ٨٢٩	عشة سعيد، ١١٢٧
عمود الحمرة (عمود حمرة دفاء)، ٧٩١	العشش، ١٤٧
عمود الرمض، ٤٠٦	العصمة، ١٦٥
عنا، ١٠٦٤	العصيمية، ٦١١
عنب، ٦٤٦	عضير الحب، ١١١٢
عنقة، ١٢٦٠	العطف، ٨٤، ١٩٤، ٣٢٤-٣٢٥
عنم، ١١٣٦، ١١٦٢	عطيانة، ١١٣٧
عنيزة، ٧٤١، ١٢٥٦	العفجة، ٣٠، ٣٣-٣٤
العود، ٨٠٨	عفرة، ١٠٥٦
العوراء، ٨٢٨-٨٣٩	عضية، ٦١٠
العوص، ٣٠٩	العقبة، ٦٢٢-٦٢٣، ٧٨٦-٧٨٧

الفولاء، ١١٥١، ١١٧٣

الفويممضة، ٦٠٩

غوية، ١٠٧١

غيلة، ٦١١، ٩٤١

الغبين، ٦١٠

(ف)

فت، ٦٥٧

الفتيح، ٤٧٥

فجة البيضاء (حوض)، ٧٨٣-٧٨٥

الفجوة، ٢٠٩

فجوة الدريب، ٥٤٣

فجوة عان أزم، ٤٢٤

فرثة، ٩٩٦

فرثية (أمفرثية)، ٩٩٤-٩٩٦

الفرجة، ٧٦٣

الفرح (حوض)، ١٠٨

الفرحة (موقع)، ٦٠٩، ٩٥٠، ١٠٣٦

فرد (قهر فرد)، ٥٥٤، ٥٥٧-٥٥٨، ٧٦٤

الفرشة، ٨١٨

الفرع، ٥٦٩، ٥٨٣، ٥٨٥

فرع جليل، ٧٧٦

فرع جنوب نجران، ٦٧١

الفرعة، ٤٤

فرنسا، ١٥٥، ٥٣٠، ٦٨١

فروود، ٩٤١، ٩٤٨، ٩٨٥، ١٠٣٤، ١٠٤٥

١٠٦٠

فرية الطلحة، ٧٣٣-٧٣٤

فصر أبي السعود، ٥٥٥

فقحة، ٦٣٤

العويدية، ٥٨٦

العين، ٨٢١-٨٢٢، ١٠٢٠

عين البقرة، ٧٣٠

عين سودان، ٨٣٠

عين موسى، ٦١٠

عين الوعل (معبر)، ٧١٣

العينة، ٨٢١، ٨٢٥، ٨٣٤، ٨٣٩

العبينة، ٨٦، ٢١٦

(غ)

غابة البشام، ١٠٧٨

غابة السافانا، ٨٥٧-٨٥٨

غابة السواد، ١٣١٣

الغارب، ٩٢٠

غارب أمساويد، ١١٧٦

الغارس، ٧٣٥

غباس، ١٠٤٣، ١٠٤٤

غثمة، ٦٢٤

غدير ذو اعتبار، ٩١٠

غدير سوقان، ١١٨

غرا، ٧٨٧

الغرابية، ٢٥٤

الغراميل، ١٨٥

الغريزي، ٦١١

الغريف، ١٧٩

غصاب، ١٦١

غليط، ١٣١١

غليفة، ٨٥١

غمر الطلاح، ٨٠٧

غنيمة، ٦٥٥-٦٥٨

قرية الدرب، ١٢٥٨
 قرضة، ٦١١
 قرعة، ١٠٦٦
 القرعة الشامية، ١٠٧٨
 القرعة اليمانية، ١٠٧٨
 قرن آل الحارث، ٦٠٢، ٧٦٦، ٧٧٨-٧٧٩
 قرن آل حرث، ٧٨٣
 قرن الخبط، ٧٠٧
 قرن سبط، ٦٧١، ٦٧٥، ٦٧٨، ٦٩٣، ٦٩٥-
 ٦٩٦، ٦٩٨، ٧٠٠، ٧٠٤، ٧١٦، ٧٢٤،
 ٧٢٦، ٧٤٨، ٧٧٥، ٧٨٢-٧٨٣، ٨١٢
 قرن مكحلة، ١٠٣٩-١٠٤٠
 قروات، ٧١٤
 قروة، ٤٨٥-٤٨٦
 القريات، ٣٢٤
 قرين، ٣٤٢
 قرينان الطبة، ١٢٧
 قرية آل بالفلاح، ٢٩٨
 قرية آل باهر، ٧١٤
 قرية آل بحير، ٧٠٦، ٧٠٨، ٧١٣، ٨١٢
 قرية آل بخيت، ١٢٩٧
 قرية آل التوم = آل جميل، ٢٤٥
 قرية آل التيس، ٧٠٧-٧٠٨، ٧١٨
 قرية آل ثابت، ٧٣٦، ٩٧٨
 قرية آل جبير، ٧٣٧
 قرية آل جرف، ٢٣٦
 قرية آل جهيم (آل جعدنة)، ٧١٣-٧١٤
 قرية آل حاجب، ٦٩٩
 قرية آل حجاج، ٢٤٥، ٢٤٧
 قرية آل حجر، ٧٠٧

الفقوة، ٩٥٣، ٩٥٦، ٩٧٨
 فلسطين، ٢١، ١٦٢، ٤٣٤، ٥٣٦، ٥٤١،
 ٥٦٣-٥٦٤، ٥٧٣، ٥٨٨، ٥٩٥، ٦٢٧، ٦٧٨،
 ٧٩٩، ٨٥٥، ١٠٠٨، ١٠٩٢
 الفيض، ٧٠٧، ٧١٨، ٧٣١، ٧٣٥
 فيفاء، ١٢-١٣، ٧٨٣، ٧٩٣-٧٩٤، ٨١٧،
 ٨٦١، ٨٧١، ٨٧٣، ٨٨٠، ٨٩٥، ٩٠١،
 ٩٠٥-٩٠٦، ٩٠٨-٩١٠، ٩١٢-٩١٤،
 ٩١٥، ٩١٨، ٩٢٠-٩٢١، ٩٢٣-٩٢٦،
 ٩٢٩-٩٣٣، ٩٣٥-٩٣٨، ٩٤٠-٩٤٣، ٩٤٨،
 ٩٦٣-٩٦٥، ٩٨٠، ٩٨٩-٩٩٠، ٩٩٤،
 ١٠٠٢، ١٠٠٧-١٠٠٨، ١٠٢٤-١٠٢٥،
 ١٠٣٦، ١٠٣٨، ١٠٥١، ١٠٥٦-١٠٥٧،
 ١٠٦٠، ١٠٩٣-١٠٩٤، ١١٥١

(ق)

القابل، ٤٧٩، ٦١١
 قابل منيف المواجه، ٦٥١-٦٥٢
 قائم بشير، ١١٥٢، ١١٦٧، ١١٧٤
 القبانة، ٣٥-٣٦
 قتبة، ١٠٠١
 القثمة، ١٦٥، ٦٣٤-٦٣٥
 القحمة، ١٢، ٨٨٠، ١٢٤٩، ١٢٥٣، ١٢٥٦-
 ١٢٦١، ١٢٧٠-١٢٧١
 القحيف، ٨٠٦
 القدس، ٣٧٣، ٣٨٠، ٥٧٣، ٦٠٤، ٦٢٧،
 ٧٤١-٧٤٣، ٧٩٩، ٨٦٥، ٩٤٦، ١٠٠٨،
 ١٠٤٨
 قرا، ٣٨٩
 قرا بني صحاف، ١٣٠٥-١٣٠٦

- قرية آل حريج، ٧١٤
 قرية آل حنيش، ٣٢
 قرية آل الخرج، ٨١١
 قرية آل دبابه، ٢٤٥
 قرية آل دليم (أو الكولة)، ٧٠٨، ٧١٠
 قرية آل الذيب، ٢٤٥
 قرية آل رشيد، ٧٤٨
 قرية آل زاحمة، ٢٤٥
 قرية آل زاهر، ٧٠٧، ٧٤٧
 قرية آل الزعالك، ٢٥٥
 قرية آل الزلال، ٢٤٥، ٢٤٧
 قرية آل زبيدي، ٣٢٠
 قرية آل الزين، ٨١١
 قرية آل السحامي (آل أمسحامي، أو قلة
 أمسحامي)، ٧٤٨
 قرية آل سويد، ٧٠٧، ٧١٣
 قرية آل سويلم، ٣٢
 قرية آل سيار، ٧٤٨
 قرية آل شارذ، ٧١٨
 قرية آل صالح بن رافع، ٨١١
 قرية آل الصدر، ٢٤٥
 قرية آل صعب، ٣٢٤-٣٢٥، ٧٠٨
 قرية آل الصيت، ٧١٨
 قرية آل ضويان، ٣٢
 قرية آل طراد، ٨١١
 قرية آل طوق، ٧٥١
 قرية آل الطويل، ٧٠٦
 قرية آل عاطف، ٨١٣
 قرية آل العباس، ٧١٨
 قرية آل عبد الله، ٧١٤
 قرية آل عجير، ٢٤٥
 قرية آل عزيز، ٢٥٤
 قرية آل علي، ٧١٧
 قرية آل عياش، ٢٤٥
 قرية آل عيفة، ٧١٨
 قرية آل غليظ، ٢٦٩
 قرية آل غمر، ٣٣٤
 قرية آل فاضل، ٧١٥
 قرية آل فايد، ٦٦٤
 قرية آل قبس، ٧١٨
 قرية آل قطير، ٣٣٦
 قرية آل قفيل، ٣١٣
 قرية آل قناع، ٦٩٩
 قرية آل لؤي، ٧١٧-٧١٨، ٧٢٣
 قرية آل محسن، ٣١٨
 قرية آل محض، ٧٤٨
 قرية آل محمد، ٣٢
 قرية آل محيرث، ٧٠٧
 قرية آل مخروقة، ٧١٥
 قرية آل مستنير، ٢٤٥، ٢٤٧
 قرية آل مسعود، ٨١١
 قرية آل مسلم، ٣٣٤
 قرية آل مفرح، ٨١١
 قرية آل ملجم، ٨١١
 قرية آل ملعب، ٧١٧
 قرية آل منسم، ٢٩٨
 قرية آل مؤنس، ٧١٣
 قرية آل نجيب، ٧٠٨
 قرية آل نزيه، ٧٠٢
 قرية آل هملية، ٢٥٤

قرية آل وازع، ٨١١
 قرية آل يحيى (عثيمة)، ٩٨٧، ٩٩٠
 قرية آل يصبأ، ٨١٣
 قرية آل يعلا، ٢٤٥
 قرية أبا ثول، ٧١٢
 قرية أبا الصبر، ٧١٢
 قرية أبله، ١٣٧
 قرية ابن داهش (آل فروان)، ٧٢٦
 قرية ابن عساف، ١٣٠٩
 قرية أبو أمعرق، ١١٨٧
 قرية أبو حجر، ١٢٠٥-١٢٠٦
 قرية أبو حنش، ١٣٠٤
 قرية أبو رخم، ١٢٨٨
 قرية أبو الرديف، ١١٣٧-١١٣٨
 قرية أبو السلع، ١٢٢٠، ١٢٢٢
 قرية أبو شوك، ٢٢٦
 قرية أبو الضبرة، ١١٢٩
 قرية أبو عريش، ١٢، ١٠١، ٢٧٧
 قرية أبو قرين، ١٢٨٨
 قرية أبو القعائد، ١٢٢٠، ١٢٢٢
 قرية الأثبة، ٩٥١
 قرية أحد المسارحة، ١٢
 قرية الأحمي، ٣٤٦
 قرية الإخيضر، ١٣٩
 قرية أسعر، ٩٩١
 قرية الأشراف، ١٢٥
 قرية أضار، ١١٩٣
 قرية الأعلى (الحصن الأعلى)، ٦٤٩، ٦٥١
 قرية ألبة = بني قيس، ٢٥٨
 قرية أم أمعود، ١١٣٨

قرية أم البساس (بسيسية)، ١٣١٠
 قرية أم الجرم، ١٢٩٦
 قرية أم حمار، ٢٩٤
 قرية أم الخشب (بيش)، ٨٥٦-٨٥٧،
 ١٢٢٤-١٢٢٦، ١٢٢٩، ١٢٤٠
 قرية أم الدبا، ١٢٠٤-١٢٠٥
 قرية أم الدرق، ١٢٠٤
 قرية أم الدغابس، ١٢٤٦-١٢٤٨
 قرية أم رضا، ١١٥٩
 قرية أم الرقع، ٨٦١
 قرية أم الركب، ٢٩٨
 قرية أم السلام، ١١٣٨
 قرية أم الشرافاء، ١٢٤٦
 قرية أم الصرة، ١٢٨٨
 قرية أم الغلف، ٩٠٣
 قرية أم الكدش، ١٢٠٥
 قرية أم نقييل، ٩٦٣
 قرية أم النور، ١٢٨٨
 قرية امتويلقة، ١٠٠٠
 قرية امروي، ١١٦٨
 قرية امزيرة، ١٢٠٣
 قرية امقائم الأحمر، ١٢٠٥
 قرية امقرية، ٩٩٥
 قرية الأملاح، ١٩٢
 قرية امنشم، ١١٤١، ١١٤٣
 قرية امهلة، ٩٩٥
 قرية أهل بثور، ٢٥٥
 قرية أهل بقعان، ٧١٧
 قرية أهل الشال، ٢٥٥
 قرية ايحام، ٩٤٩

- قرية إيسان، ١٠٧٠
 قرية باقم، ٧٤٦
 قرية بالبيس، ١٢١٩
 قرية بتول، ١١٦٩-١١٧٠
 قرية بح (بحر أبو سكينه)، ١٢٥٥
 قرية بحره، ١٣٠٠
 قرية بخشة، ١٠٨٩
 قرية بدر، ٥٣٢
 قرية البديع، ٥٤٣
 قرية البرك، ١٢، ١٢٤٦، ١٢٤٨، ١٢٦٨-
 ١٢٧٢، ١٢٧٦، ١٢٨٦، ١٢٩٤
 قرية البرمية، ١١٧٤، ١١٧٩
 قرية بريطان، ١٢٥٦
 قرية بزاخ، ١٢٤٦
 قرية بسل، ١٣٦
 قرية البصرة، ٢٩٤، ٧٠٨، ٧١٣
 قرية البطارية، ٩٧٤، ١٢٠٧
 قرية بطين، ١٠١٦
 قرية البقوم، ١٣١
 قرية بن نعمان، ٢٦٩، ٢٨١-٢٨٢، ٢٨٦-
 ٢٨٧
 قرية بنو حليفة، ٧٦٥
 قرية بني بجاد شهران، ٢٥٥
 قرية بني مالك، ١٢-١٣
 قرية بيباد، ٧٨١، ٧٨٩
 قرية بياضة، ١٠٧٠
 قرية بيت ابن جبران، ١٢١١
 قرية بيت احمد عبده، ١٢١١
 قرية بيت السيد، ٨٦٧
 قرية بئر عيثة، ١٣١٨
 قرية بيش، ١٢
 قرية بيضان، ٩١٤
 قرية بيضة، ١٣١٨
 قرية تبالة، ٩٨
 قرية تثليث، ١٢
 قرية ترح، ٨٨
 قرية تندحة، ٢٤٧، ٢٥٠، ٣٣٧
 قرية تهلل، ٣١٦
 قرية تولقة، ١٠٠٧
 قرية ثاهر، ٩٨١
 قرية ثاهر الغدير، ٩٠٨
 قرية ثبته، ٢٩٤
 قرية الثغر، ٧٠٠-٧٠١، ٨٠٣-٨٠٤
 قرية ثهرات، ٩٨٥
 قرية الجابري، ١١٨٢، ١١٨٥، ١١٨٧-
 ١١٨٨، ١١٩٨، ١٢٠١
 قرية الجارة، ١٢١٩
 قرية جاش، ٣٤٩، ٣٥٣
 قرية جاوى، ٩٤٨
 قرية الجبرة، ٢١٤-٢١٥
 قرية الجخيرة، ٩٠٢
 قرية جدعان، ١٢٩٧
 قرية جديدة (الشييان)، ٤٦٠
 قرية جر مسعود، ٩٠٢
 قرية الجراحيات، ١١٥٣، ١١٥٦
 قرية الجران، ٩٤٤
 قرية الجربة، ٩١٩
 قرية الجرثمية، ١٩٢
 قرية الجزعة، ٧١٥، ١١١٩
 قرية جلة، ١٢٨١

قرية حريرة، ٢١٣	قرية الجمالة، ١٢١٩
قرية حزقة، ٦٥٦	قرية الجنفور، ٢٦٧
قرية حزم، ٣١٦	قرية الجنية، ٧٠، ٧٤-٧٩، ٨٣-٨٥، ٨٨،
قرية الحزيميات، ١٩٣-١٩٤	١٠٢، ٢١٥، ٩٣٤
قرية حسام، ١٢٤٢	قرية جوعان، ٧٠٧، ٧١٢، ٨١٤
قرية حسم، ١١٢٨	قرية جوف بن فردان، ٣٤١، ٣٤٤
قرية الحسي، ٩٥٧	قرية الجوه، ٧١٩
قرية الحسيني، ٨٦٦، ٨٧٠، ٩٠٢	قرية جيسان، ٧١٥
قرية الحسينية، ٨٥٠، ٨٥٨-٨٦١	قرية حاسي، ١١٨٨
قرية الحشافة، ١٢٦٠، ١٢٦٤، ١٢٧٣	قرية الحباك، ١٢٦٤
قرية الحصامة، ١١٧٩-١١٨١	قرية حبونا، ٦٥١
قرية الحصن، ٢٩٨، ٧٩٧	قرية حبيل الرزم، ٩٣٦
قرية حصن الأعلى، ٢٩٨	قرية حبيل النقعة، ٩٤٧
قرية حصن جارن، ٣٠٤	قرية حجاج، ١١٣٥
قرية الحضن، ٥٤٣، ١٠١٧، ١١٤٨-١١٤٩	قرية حجراف، ٧٠٧
قرية الحفير، ٧٠٢	قرية حجة، ١٠٦٥
قرية الحفيرة، ١١١٧	قرية حجمير، ١٢٤٦
قرية الحقو (حقو ماغص)، ١٢، ٨١٢	قرية حداد (رزم السوداء)، ١١٣٦
٨٤٧، ٨٤١-٨٤٠	قرية الحدبة، ٣٤٦، ٩٨٠، ١٢٩٩
قرية حلة الجلي، ١٢٢٥	قرية الحدفة (الحجفة)، ٩٥١
قرية حلة الحجازي، ١٢١٩	قرية حديثة، ١٣١٠
قرية حلة العقبيي، ١٢١٩	قرية الحرجة، ٣٧٣، ٦٤١، ٦٧١، ٦٩٦،
قرية حلي، ١٢٥٨، ١٢٧٩، ١٢٨٨	٧٠٥-٧١٠، ٧١٢-٧١٣، ٧١٧، ٧٢٩، ٧٤٠،
قرية الحمرة، ٣١٧، ١٣٠٧	٧٩٤، ٨١٢، ٨٧٦
قرية الحمضة، ٥٤-٥٥، ٣٦٠	قرية الحرشف، ٦٧٠
قرية حمل، ٧١٣	قرية حرض، ١١٠١، ١١٠٣-١١٠٤
قرية الحمى، ٩٠٦	قرية الحرف، ٢١٣، ٢٢٦، ٣٤٦، ٨٦١، ٩٠٨،
قرية الحناية، ٩٠٥، ٩٠٨-٩١٠، ٩١٣	١٢٦٤
قرية حنبة، ١٠٠٠	قرية حرفا، ١٢٦٠
قرية الحنكة، ٧٥١	قرية الحرملة، ٣١٤

قرية الخيرة، ١٣٠٦	قرية الحوط، ٧٩٣
قرية خية شوكان، ١٠٦٢	قرية الحوطه، ٢٤٧، ٢٤٥
قرية داخس، ١٠٤٤	قرية حويد، ٦٥٤
قرية دار السوداء، ١٢٨٦	قرية حويرث، ١٢٨٦
قرية دار الناصر، ١١٩٨	قرية حويره، ٦٦٥
قرية دار الوادي، ١٢٩٦	قرية حيد أمحمر، ٩٤٢
قرية الدارة، ٩٨١	قرية الحيفة، ٨٨
قرية دبه، ١٢٨٦	قرية خاشر، ٩٤٠، ٩٤٣
قرية دحبه، ٩٢٠	قرية خبته، ١١٧٤
قرية الدحو، ٨٣-٨٤، ٢١٣-٢١٤	قرية خبيبي، ٣١٨
قرية دخيلة (الازبيبية)، ١١١٢	قرية ختم، ٩٦٦
قرية درب، ١٢، ٢٥٤، ٢٦١، ١٢٣٥-	قرية ختيبة، ٩٢١
١٢٣٦، ١٢٣٨-١٢٤٠، ١٢٤٢	قرية الخربة، ١٢٩٩
قرية درب العقيلة = بني قيس، ٢٥٨	قرية الخرمة، ٩٩٧-١٠٠٠
قرية درب بني شعبة، ٢٩٥	قرية الخسعة، ١٢٥٥
قرية الدرديدية، ١١٩١	قرية الخشائية، ١٠٨٦
قرية الدغارير، ١٢١٠	قرية الخشع، ٢٧١، ٢٨١
قرية الدفين، ٩٤٧	قرية الخشل، ١١٩٧
قرية دماري، ١٢٢٠	قرية خشيوه، ٥٣٣
قرية دملاج، ١٢٤٣	قرية الخضراء، ٨٨٠
قرية الدهناء، ١٢٢١، ١٢٢٤	قرية الخضيرة، ٦٦٤-٦٦٥
قرية دهيلة، ٣٠٤	قرية خطوة، ٩١١
قرية الدواره، ٢١٣	قرية خطوة الحجوة، ٩٠٨
قرية دوح، ٦٥٦	قرية خلفه، ١١٢٥
قرية دوقه، ١٣٠٤	قرية الخمسية، ١٢١١
قرية دويح، ٢٥٤	قرية الخواجية، ٨٦٧
قرية الديلمي، ٢١٢-٢١٦، ٨٢-٨٤	قرية الخوجرة، ١١٢٢
قرية ذات انشان، ٧٦٧	قرية خور، ١١٠٧
قرية ذرة، ٢٩٦-٢٩٨، ٣٠٢	قرية خولي، ١٠٠٩
قرية ذمالة، ٣٢٤، ٣٢٥	قرية خيبر، ٢٣٨، ٢٣٩

قرية الروشن، ٦٨، ٧٦-٧٨، ٨٢-٨٥، ٨٧-
 ٨٨، ٩٢، ٩٥، ٩٨، ١٠٠، ١٠٧، ١٢٢
 قرية الروضة، ١٩٣-١٩٤، ٨٩٣
 قرية ريدان العزة، ٩٣٣، ٩٩٠
 قرية زاوية، ٧٤٧
 قرية زبيد، ٤٢٥
 قرية الزكريّة، ١٢٢٥
 قرية زيارة، ١٢٤٦
 قرية ساحل، ١٢٤٥، ١٢٨١
 قرية سارة، ٧٩٧
 قرية ساقين، ٧٤٦، ٧٧٥
 قرية سامطة، ١٢
 قرية سحفة، ١٢٨٦
 قرية السحراء، ٣٠٣
 قرية السر، ١٢١٠-١٢١١
 قرية السربة، ٩١٨
 قرية السرداح الرياح، ١١٣٤-١١٣٥
 قرية سعدي، ١٢٢٤
 قرية السعدي، ٧١٣-٧١٤، ٧٩٢
 قرية سعرا، ٧٤٨
 قرية سفاسف، ١٢٩٦
 قرية السقيفة، ٢١٣، ٢١٥
 قرية السلامة، ١٢٢٢
 قرية سلب، ١٢٨٢، ١٢٨٤
 قرية سلعان، ٧٠٧
 قرية سلعي، ٩٢٠
 قرية سلوى، ٥٤٨
 قرية السليمة، ٦٤٠-٦٤١، ٦٥٦، ١٢٩٨
 قرية سمرة، ٩٠٣
 قرية سند، ٦٤٩، ٨٠٤

قرية ذنب غاوة، ٣١٩، ٣٢٠
 قرية زهبان، ٢٥٠، ٢٥٤-٢٥٦، ٢٦٣، ٣٣٣،
 ١٢٧٢
 قرية ذوي حرض، ١٣٠٥
 قرية ذي نمر، ١١٨٧
 قرية رأس السر، ٣١٨
 قرية راح، ١٠٧٩
 قرية راحة، ٧٢٠، ٧٢٩
 قرية ربيعة، ٣٢٤، ١٠٣٧، ١٢٩٦
 قرية رجال ألمع، ٣١٢
 قرية رجبان، ١٢٩٦
 قرية رجلا، ٥٤٣
 قرية رجبان، ٩٣٣، ١١٩٠
 قرية الرحمة، ٣١٤
 قرية رحيم، ١١٧٩
 قرية رزقة، ٧٠٢
 قرية رشيدة، ٢٥٥
 قرية رضا، ١١٥٦
 قرية رظف، ٣٢٢
 قرية رعشة، ١١٧٩، ١٢١١
 قرية رغدان، ١١٤
 قرية رفيده، ٣٢٤
 قرية الرقية، ٩٥١، ٩٨٠، ٩٩٠
 قرية الرقيطاء، ٢١٣
 قرية رمادان، ١٢٢-١٢٦، ١٣٤
 قرية رمثة، ١١١٣، ١١١٧
 قرية رمدة، ١٢٠٧
 قرية رملان، ١٢٣٥
 قرية الرهوة، ٧٥١، ٧٩٠-٧٩١
 قرية الرواشد، ١٢٩٩

- قرية السنوسية، ١٦١
 قرية سهلة، ٥٣٣
 قرية السهوة، ٣١٤
 قرية سواده، ١٢٨٨
 قرية السوداء، ٣٠٤، ٣١٠، ٣١٤، ٣١٦،
 ٣١٨، ٣٢١، ٩٨١، ٩٩٨-١٠٠٠
 قرية سورم، ١٠١٦
 قرية سوق، ١٨٠، ١٩٣-١٩٤، ٣١٨
 قرية سوق الأحد (الميزاب)، ١٢١٠
 قرية سوق الفرحة، ٩٥١
 قرية سوق الليل، ١٢٠٩
 قرية سويدة، ١٩٣
 قرية السويدية أمغضية، ١٢١١
 قرية سيلان، ١١٦٠
 قرية الشاخر، ١٢١٩-١٢٢٠
 قرية الشباب، ١٠١٧، ١٠٢٠
 قرية شباة، ٢٥٤
 قرية شبرا، ١١٩٢
 قرية الشحاك، ٨٠٣
 قرية شديق الجديد، ٩٨
 قرية شديق القديم، ٩٨
 قرية الشرافاء، ٣٩
 قرية الشرح، ١٠٢١
 قرية الشرف، ٣١٦
 قرية شرقة، ٢٥٥
 قرية الشرقية، ١٣١٠
 قرية شرم، ١١٩٢
 قرية الشرممان، ٧١٨
 قرية شرية، ١٢٢٥-١٢٢٧
 قرية شط، ٧٥١
 قرية شط آل خضران، ٣١٨
 قرية شط الخضرة (الشطين، أو الخضرة،
 قابل الطليل)، ٦٤٩-٦٥٢، ٦٥٤
 قرية شع، ٢٣٨
 قرية شعابة، ٢٥٥
 قرية شعال، ١٢٩٧
 قرية الشعبين، ١٢٤٦
 قرية الشعثاء، ٧٩٠
 قرية الشعوف، ١٢٤٦
 قرية الشعيث، ٩٤٣
 قرية الشعيرة (الحرف)، ١٢٩٩
 قرية شقراء، ١١٨١
 قرية الشقرة، ٩٧٧
 قرية الشقيق، ١٢، ١٢٣٨، ١٢٤٢-١٢٤٦،
 ١٢٥٨
 قرية الشقيقة، ٨٠
 قرية الشملاء، ٩٤٧
 قرية الشمهانية، ١١١٩
 قرية شناصرة، ١٣٠٥
 قرية شنقل، ١٢١
 قرية شهدان، ٩٤٩، ٩٨٠
 قرية شهران، ٩٠٨
 قرية الشواق (الصهوة)، ١٣٠٨
 قرية شوكان، ٣١٥
 قرية الشويكة، ٧٠١
 قرية شيبة، ٧١٣، ٧١٥-٧١٧، ٧٢٠، ٧٢٤،
 ٧٢٧
 قرية الشيخ، ١٢٦٥
 قرية شيع، ١٢٨٢، ١٢٨٤
 قرية صامطة، ١١١١

قرية طارق، ١٢٦٤	قرية صبران، ١٠٥٤
قرية طريب، ١٢-١٣	قرية صبيا، ١٢
قرية الطفيفة، ٢٨١	قرية صبيا البالية، ٨٦٧
قرية الطلحة، ٧٢٧، ٧٣٧، ٨٠٦-٨٠٧	قرية صبيا الجديدة، ٨٦٧
قرية ظليل، ٦٤٩	قرية الصبيحي، ٢١٢
قرية طواحرة، ١٢١٠	قرية الصحيف، ٩٦٨، ٩٧٨، ٩٨٢
قرية الطوال، ١١١٩	قرية الصدر أو الرأس، ٧٠٤
قرية الظاهر، ١١٧٧	قرية صروم، ٦٩٢، ٦٩٩
قرية ظرافة، ٢٥٥	قرية صفا، ٥٤٨-٥٤٩
قرية ظهر، ١٠٠، ١١٨٧	قرية الصفر، ٨٨
قرية طور عجير، ٣٣٣	قرية الصفراء، ٧١٨
قرية العارضة، ١١٩١، ١٢٠٤، ١٢١٣	قرية النصفصفا، ١٣٠٩
قرية العاصمة، ٢٧١	قرية الصفاق، ٢٥٤
قرية عالياء، ١٢٢٤	قرية الصفيح، ٢٩٤
قرية العان، ٤٦٢	قرية صلب، ١٢٤٣-١٢٤٤
قرية العبادية، ١١٤٧-١١٤٨، ١١٩٨	قرية الصلة، ٣٣٦-٣٣٧
قرية عبيدة، ١٢٩٨	قرية صلوبة، ٨٦٧
قرية عتود، ١٢٤١، ١٢٤٥	قرية الصمدة، ٢٥٤
قرية عتيبة، ١٣١	قرية صمعة، ٨١٢، ١٠٠٩
قرية عثريان، ٣١٨	قرية الصوالحة، ١٢٥٨
قرية عثوان، ٩٤٩	قرية صوفان، ٨٨
قرية عجيبية، ١٠٨٩	قرية ضباة، ٢٩٤
قرية العدايي، ٩٠٤-٩٠٥	قرية ضبعة، ٧١٨
قرية العدايا، ٨٧٠، ١٢١٩	قرية الضحية، ٣١٤، ٣١٦
قرية العر ١٠١٦، ١٠١٨، ١٢١٠	قرية ضرية (ثرية)، ١٠٢٧
قرية عرب، ٩٥٢	قرية ضرحبه، ٣٣٦
قرية العرجا، ١٢٨٧-١٢٨٨	قرية ضير، ٧٠٧
قرية العرف، ٧٠٢	قرية الضيور، ١٠٠١
قرية عرفة، ١٣٩	قرية الطالبية، ١٢١٠
قرية العرق، ٢٥٢، ٢٥٤-٢٥٥، ٧٠٢، ٧٤٨	قرية طرف الذراع، ٨٠٦

- قرية عواجي، ١١٣٦
 قرية عوراء، ١٠٥٦
 قرية العوران، ٧١٧
 قرية العويرض، ١١١٦
 قرية عويزج الخلا، ١٢٥
 قرية عياش، ١٠١٦
 قرية العيدابي، ٩٣٣، ٩٠١
 قرية العين، ٣٧٢، ٣٢٥، ٣٢٣
 قرية عين قحطان، ٣٨٠
 قرية عين مبراه، ٩٢٠
 قرية عينة، ٧٦٥
 قرية غابية، ١١٨٧
 قرية الغالة، ٩٣٥
 قرية الغاوية، ١١٣٠، ١١٦١
 قرية غثمة، ٥٣٤
 قرية الغراء، ٨٧٠
 قرية الغرس = هجرة زهير، ٣٤٩، ٣٤٢
 قرية غرنوقة، ١١٩٥
 قرية غلف، ٩٠٨
 قرية غميقة، ١٣١٤
 قرية الغويدية، ١٢١١
 قرية غويرة (العربية)، ١١١٢
 قرية غيثان، ٣٣٦، ٢٤٧
 قرية غينة القيسية، ١٠٦٣
 قرية الفاو، ٣٩٠
 قرية الفدنه، ١٠١٧
 قرية فطيس، ٧٠٠٨
 قرية فقحة، ١٢٩٦
 قرية الفقوة، ٩٥٦
 قرية فلة، ٧٦٥
 قرية عرق بن مسلم، ٦٩٩
 قرية العرقوب، ١٠١٧
 قرية عرقين، ١١٥٣
 قرية عربيي، ١١١٢
 قرية العرين، ١٢-١٣، ٢٩٤
 قرية العزم، ٦٥٦
 قرية عسيلة، ١٠٨٦
 قرية عشش، ٨٥٦
 قرية العشة، ١٢٢١
 قرية عشيرة، ١٥٣، ١٦١-١٦٣، ١٦٥-١٦٦،
 ١٦٩، ١٧٠، ١٧٢، ١٧٦
 قرية العصبة، ٨٥٧
 قرية عصلان، ٧٦، ٧٨، ٢١٥
 قرية العصيمة، ٩٨٧، ٩٨٠
 قرية العطف، ٧٤٨
 قرية عطف بن حامد، ٣٢٣
 قرية العطفة، ٨٠٣، ٢٥٥
 قرية العظيمة، ٣٣٦
 قرية العقبة، ٨٦١
 قرية عقبين، ١٢٩٩
 قرية العقدة، ١٢٩٩
 قرية عقرة، ١٢٩٨
 قرية عقلة (الزرقان)، ٧١٨
 قرية عقيق، ١١٤
 قرية العلولية، ١٢١١
 قرية العمارات، ٢٩٨
 قرية العمدة، ٧٥١
 قرية عمران، ١٣١٠
 قرية عمير، ٤٧٩
 قرية عنطوطة، ١١١٩

- قرية قليلة، ٩٩٥
 قرية قمبر، ٢٥٤
 قرية القمبور، ١١١٣-١١١٤-
 قرية قمبورة، ١١٧٩
 قرية القمعة، ٨١٣
 قرية قنيح، ٢١٣
 قرية القهبة، ٩٣٧، ٩٦٦
 قرية القوز، ٣٥٠
 قرية قوى، ١١٩٩، ١٢٠٢
 قرية القويد، ٩٩٥
 قرية القيمة كم الصيابة، ١١٧٩-١١٨٠
 القرية الكبرى، ٢٦٩
 قرية كتف الرمادي، ٣١٦
 قرية الكدرة (بيت العوضي)، ١٢٢٧
 قرية كدرة عافية، ٩٠٨
 قرية كرس، ١١٨٧
 قرية كضية، ٣١٨
 قرية كلاخ، ١٣٦
 قرية كميأة، ١١٠١، ١١٠٧
 قرية كنانة (حلي قديم)، ١٢٨٢
 قرية الكهيف، ٥٤، ٣٤٢، ٣٦٧
 قرية كياد، ١٢٨٨
 قرية اللحاج، ٩٩١، ٩٩٣
 قرية لحج حنبي، ٩٩٣
 قرية لحي، ١١٦٢
 قرية اللدام، ٣٩-٤١، ٤٤، ٦٨، ٧٠
 قرية لزمة = آل الشواط، ٢٥٨
 قرية لفلت، ٢٦٩
 قرية الليث، ١٢، ١٣١٤
 قرية ليطان، ٧١٣
 قرية فواز، ١٢٩٨
 قرية الفيض، ٢٤٥
 قرية فيفا، ١٢
 قرية القابل، ٥٤٣
 قرية قابل منيف = آل قطران، ٦٥٠، ٦٥٢-
 ٦٥٣
 قرية القاع، ١٢٤٣، ١٢٩٠
 قرية القاعية، ١٩٣
 قرية قامة، ١٢٧٣
 قرية القائم (قائم الأحد)، ١١٤٨، ١٢٠٧
 قرية قنزية، ٩٨
 قرية القحمة، ١٢، ٩٧٥، ١٣٠٢
 قرية القدة، ١٢٨٧
 قرية قرار، ١٢٤١
 قرية القرارة، ٢٤٧-٢٤٨
 قرية القرحاء، ٢٥٧
 قرية قرض، ٧٥٦
 قرية القرقاعي، ١١٧٤، ١١٧٩
 قرية القرن، ٣١٨، ٦٥٧، ٧٠٢، ٨٠٤
 قرية قرن سبط، ٧١٨
 قرية القروات، ٧١٣
 قرية القرى، ٢٨١
 قرية قريرة، ٢٥٥
 قرية القصب، ٦٩٦
 قرية قصبه ابن حيان (آل السحامي)، ٧٩٧
 قرية قضان، ٦٨٩
 قرية قعم الصبر، ٧٦٥
 قرية قلح، ٧١٢
 قرية القلعة، ٧٠٨
 قرية القلقل، ١١٤٠

قرية المشافين، ١١٨٨، ١١٩٢
 قرية مشباح الرعيلى، ١٢٠٣
 قرية مشرف، ٤٠، ٤٢، ٢٥٥، ٧٠٧، ٧١٢،
 ١٣٠٤
 قرية مشروفة، ٣٤٣، ٣٥١، ٣٦٤، ٣٦٦
 قرية مشقور، ١٢٥٦
 قرية مصفق، ١١٢٥
 قرية مصلوم، ٢٥٤
 قرية المصنعة، ١٠٦٤
 قرية مصوان، ١٢٠٥
 قرية المضايا، ٨٨٢، ١٠٩٥، ١١٨٦-١١٨٧،
 ١٢١٢-١٢١٣
 قرية المضللة، ١٣٦
 قرية المضيق، ٢٥٧
 قرية المضيلىف، ١٣٠٠-١٣٠١
 قرية المطارق، ١١٩٣، ١١٩٩
 قرية المطعن، ١٢٢٧
 قرية مطه، ٩٩٣
 قرية المعين، ١١٥٣، ١١٦٠
 قرية المعجزة، ٣١٨
 قرية معران، ١٢٠٥
 قرية المعزب، ٧٠٢، ٨٠٣
 قرية المعلق، ٧٣٤، ٧٣٦
 قرية معينة، ٩٧٩، ٩٨٣-٩٨٥
 قرية مغزل، ١٢٥٦
 قرية المغمر، ٣٢٣
 قرية المفتاحة، ٢٩١
 قرية المفجر، ١١٤٠
 قرية مقابل، ١٩٩
 قرية مقام، ١٠٥٤

قرية متالع، ١١٧٩
 قرية مثنعن، ١١١٧
 قرية المثاة، ٢٥٤، ٦٦٠-٦٦١
 قرية المجامة، ١٢١١
 قرية المجدعة، ١١٦٧، ١١٦٩، ١١٧٤
 قرية مجر، ١١٣٨
 قرية المجروب، ١١٢٤، ١١٣٤-١١٣٥
 قرية المجزعة، ٣٢٦، ٧٣٤، ٧٤٠
 قرية مجنة، ١٠٤٣-١٠٤٢، ١١١٨
 قرية محادف، ١٢٠٥
 قرية محاري (المهاجرة)، ٧٣٦
 قرية محجر القضا، ٧١٣
 قرية محجن، ١١٣٩-١١٤٠
 قرية محشف، ١٠٢١
 قرية المحلة، ١٢٢٣
 قرية مخاضرة، ١٠٨٦
 قرية مخشوش (حلى)، ١٢٨١-١٢٨٢
 قرية المخض، ٣١٤
 قرية مخلبة، ٨٠٤
 قرية المدراء، ٨٨
 قرية المذنب، ٥٧١، ٦٠٩، ٦٦٠-٦٦١
 قرية مرج، ١٢٠٦
 قرية المروي، ١١٧٧
 قرية المريسقية (اليمينية)، ٧٨٦، ٧٩٠، ٧٩٤
 قرية مسلح، ١١٩٣
 قرية مسلية، ٨٥٥، ١٢٢٥، ١٢٢٨، ١٢٣٠
 قرية المسورة، ٧١٩
 قرية مشابية، ١١٠٤، ١١١٢
 قرية المشاعلة، ٥٤-٥٥
 قرية المشاف، ١١٦٦

قرية مقبص، ١١٦٦-١١٦٩	قرية ميسرة، ٢٥٧
قرية مقره، ٩٩٠	قرية ميين، ٧٥٢
قرية مقشبة، ٤٦٠	قرية نجمة، ١٢٢٤
قرية المقشور، ١٢٦٠	قرية نحوس، ١٢٤٦، ١٢٤٨
قرية مكرم، ٩٨	قرية نخلة، ١٣٠٧
قرية مكمآن، ١٢٦٨	قرية نخيل الحرشف، ٦٥٦
قرية المكدرات، ١١٥٦	قرية نريسة - بيضان، ١٣٢
قرية الملاحة، ٣٢٤-٣٢٥	قرية نسلة، ٧٠٢
قرية الملاحيظ، ١١٦٦-١١٦٩، ١١٧٢، ١١٧٧	قرية نسلي، ١٢٩٠، ١٢٩٦
قرية الملح، ٦٦	قرية النشمة، ٩٥١
قرية الملحاء، ٨٥٧، ٨٦١، ١٢٢٠-١٢٢٤	قرية نشور، ٧٦٧
قرية مناظر، ٢٨٢	قرية النصب، ٢٨٢
قرية المنجارة، ١٢٠٩	قرية النطفاء، ٧١٢، ٧١٩
قرية منجية، ١٢٨١	قرية النظير، ١١٩٩
قرية منزا، ١٢٩٧	قرية نعامة، ٩٤٩
قرية المنزلة، ١١٥٩	قرية نعمان، ٢٥٦
قرية منشية، ١٢٠٥	قرية النغبي، ١٢٤١
قرية المنصورية، ١١٠٨	قرية النغيلة، ٨٥، ٢١٣، ٢٢٦
قرية منصية، ٩٤٠، ٩٥١، ٩٨٠	قرية النقرة، ٥٤-٥٥
قرية منظر، ٩٦٨	قرية النقاء، ٤٧٨، ٦٥٤-٦٥٦، ٦٧١، ٧٣٤، ٧٤٧
قرية منفض (منفض)، ١٠٦٣	قرية النقيع، ٢١٥
قرية منيف، ١٢١-١٢٤، ١٢٦	قرية نمران، ٧٦-٧٧، ٨٧-٨٨، ٩٦، ٢١٣
قرية مهد العمق، ١١٧٧-١١٧٩	قرية نمير، ١١٩٨
القرية المهمة، ٣١٢	قرية نيد الحقو، ٩٤٧
قرية الموسم، ١٠٩٩-١١٠١، ١١٠٤، ١١٠٦، ١١١٠	قرية نيد قحيف، ٩٩٠
قرية الموسم، ١٠٦٥	قرية الهجرة، ١٧٧، ٧١٤، ١٣٠٣
قرية الموقد، ١١٦٢	قرية هجو، ٩٦٦
قرية ميدي، ١١٠١، ١١٠٥-١١٠٦، ١١١١، ١٢٤٣، ١٢٨٦	قرية هدادة، ٥٢٣، ٦٥٦
	قرية هياج، ٧٤٨، ٨٠٢

- قرية هيجة، ٨٦١
 قرية وأعر، ٢٥٥
 قرية الوتد، ١٢٠٥
 قرية وتن، ٦٥٧
 قرية وحيدان، ٧٤٨
 قرية وسط، ٧٠٢
 قرية وسيط، ٢٤٠
 قرية وسيلي، ١٠٨٨
 قرية وعلان، ١١٢٣، ١١٠٥
 قرية الوقبة، ٢٥٦
 قرية وقعه، ٧٤٨
 قرية الولجة، ٣١٨، ٩٧٩-٩٨٠، ٩٩٠
 قرية بباد، ٧٦٥
 قرية يعرى، ٣٣٨
 قرية يوق عبيدة، ٣٣٧
 القسطنطينية، ٢٩٩
 قشبة، ٧٩١
 قشعة، ٩٨١، ٩٨٤، ٩٨٧، ١٠٥٦
 قشعمة، ١٠٦٥
 قصر أبا السعود، ٤٢٥، ٤٢٨، ٤٣٤، ٤٣٦،
 ٤٣٨، ٤٤٠، ٤٦٠، ٤٦٥، ٤٧٧، ٤٨٧، ٤٩٠،
 ٥٢٩، ٥٤١، ٥٤٤-٥٤٦، ٥٥٠، ٥٥٩، ٥٦٨،
 ٥٧٥، ٥٧٧، ٥٨٦-٥٨٧، ٥٨٩، ٥٩٥، ٦٠٢،
 ٦١١
 قصر ابن ثامر، ٤٦١
 قصر ابن صامل، ١٨٧
 قصر ابن غرابان، ٦١٠
 قصر ابن ماحي، ١٢٥
 قصر ابن منيف، ٦١٠
 قصر أبو ملحمة، ٢٥٤، ٢٤٨
- قصر بئر المطر، ٤٨٩
 قصر خالد، ١٨٠
 قصر خرية، ٦١١
 قصر خورقان، ٧٧
 قصر خيبر، ٧٩
 قصر سلوى، ٦١٢
 قصر شدا، ٢٧٠
 قصر الشريف رجاء، ١٢١
 قصر الصفار، ٢٢٦
 قصر عبد الوهاب، ٢٥٣، ٢٦٣، ٢٦٦
 قصر علي، ٦٠٩
 قصر الغريزي، ٥٢٤
 قصور آل منجم، ٤٢٧
 قصور ابن نصيب، ٦١١
 قصور برد، ١٢٢
 قصور بني سلمان، ٤٩٠
 قصور الجمعان، ٣٤٦
 قصور حياة، ١٢٥
 قصور دحضة، ٤٨٩
 قصور شعيب بران، ٦١١
 قصور كونا، ٧٦٥
 قصور الوقواق، ٢٥٦
 القصباء، ٢١٧
 القصيم، ١٢٥٦-١٢٥٧
 القضة، ٢٣٨
 القطف، ٦٠٦
 القعبة، ١٠٣٨، ١٠٤٠-١٠٤٢، ١٠٤٥-١٠٤٦
 قعدي، ١٠٧١
 القعم الأبيض (صخر)، ٦٦٨
 قعم عبيدة، ٦٩٥، ٧١٦

قلعة الحصن، ٥٤٩، ١٠٧٠	قعم مرخ، ٨٠٨
قلعة دوجاني، ١٠٨٢	قعمة أبا الشيخ، ٧٥٩
قلعة الدوسرية، ١٠٨٨	قعمة قراد، ٧٨٧
قلعة رعوم، ٦١١	قعمة الفلح، ٧٢٦
قلعة الرهوة، ٦٦٥	قنرة، ١٠٧١
قلعة السبخة، ٨٧٤، ٨٨٢	قفل بن حيدر، ١٢٠٥
قلعة السرير، ١٠٧٠	قفلة، ٩٧٠، ١٠٥٤، ١٠٥٦
القلعة السعودية، ٨٨١	قفية شجا، ٧٧٢
قلعة السيد، ١١٠٤	القفيدي (مهندس)، ٨٧٩
قلعة شعار، ٣٢٨	قلاط أمذيبور (الذيبور)، ٩٦٩
قلعة العارضة، ١٠٦٩، ١٠٧٤	قلاحة، ٩٤٣
قلعة العان، ٦٥٢	قلعات السيد، ١١١٤
قلعة عان المكارمة، ٤٣٨	قلعة أبها، ٢٨٠، ٢٩٣، ٣٠٢
قلعة العبسية، ٩٢١-٩٢٢	قلعة الأخدود، ٥٢٠-٥٢٢
قلعة العشيمة، ٨٨٢، ١٠٩٥	قلعة الإدريسي، ١١٧٤
قلعة عوافه، ٢٩٣	قلعة الأشراف، ٨٨٩، ٨٩٢
قلعة فثة، ٩٩٩	قلعة أشرف، ٧٠٧
قلعة قشلة السيد، ٨٥٠، ٨٥٥	قلعة أم الجبل، ٦٦٩
قلعة قشيعه، ٦٥٠	قلعة أم عرقين، ٦٦٤
قلعة قصبه الحديد، ٧٧٥	قلعة أم ليلي، ٧٦٥، ٧٧٥
قلعة قصر البينة، ٣٣	قلعة أمعكيدة، ٩٣٦
قلعة قصر شنقل، ١٢١، ١٢٥	قلعة بدر (قشلة، أو ثكنات)، ٦٨٧-٦٨٩،
قلعة القهوة، ٩٤٣-٩٤٤	٦٩٥
قلعة ماغص، ٨٥٥	قلعة برزان، ٣٩
قلعة مداخل، ٩٧١	قلعة بيشة، ٨٥، ٩٢، ٢١٦، ٤٩٧
قلعة المرسى، ١١٠٨	القلعة التركية، ٢٩٢
قلعة المنصورية، ١١٠١، ١١١١	قلعة جزيرة قشيعه، ٦٥٢
قلعة ميدي، ١١٠٨	قلعة الجوبا، ١١٠١، ١١٠٤
قلعة النقل، ٩٢١، ٩٢٥	قلعة جور (قور) أم وطف، ١٠٣٨، ١٠٤١
قلعة، ٥٦٢	قلعة حررض، ١١١٣

- قمة بكرتين، ١٢٨٥
 قمة التسنن، ٩٩٦
 قمة تغذوة، ١٩١
 قمة ثار، ٤٨٠
 قمة ثريان، ١٢٨٥
 قمة ثهران، ٨١٧
 قمة جحفان، ١١٣٤، ١١٩٦
 قمة جمره، ٢٣٦
 قمة حبرا، ١١٩٦
 قمة حبس، ٩٣١
 قمة الحديدية، ٣١٥
 قمة حرم، ١٠٠٢
 قمة حشر، ٨١٧
 قمة حضا، ١٣٠٣
 قمة الحضار، ٧٩٤
 قمة حضن، ١٢٨
 قمة حقو، ٨٥٠
 قمة حمار، ٧٢٠
 قمة خشم مدر، ٧٦٦
 قمة خضعة، ٢٠٧، ٢١٠
 قمة الخل، ١٧٩
 قمة خوير، ٣٢٨
 قمة الداية، ٢٠٤
 قمة الدحو، ١٣٠٢-١٣٠٣
 قمة الدغماء، ٥٥٧
 قمة ذويب الظاهر، ١١٤٩
 قمة رأس السكر، ٧٤٦
 قمة رازح، ١٠٠٢، ١١٧٤
 قمة الربوة، ١٠٤٣
 قمة رزام، ١٣١٩
- قطييل القتيل، ٩٤٧-٩٤٨، ٩٥٣
 عة أمذيور (موقع)، ٩٩٧، ١٠٠٠-١٠٠٢
 قلة أمرقاق، ١٠٠٠-١٠٠١، ١٠٠٣
 قلة أمسحامي، ١٠٠٦-١٠٠٨
 قلة الحصن، ١١٨٦
 قلة الخميس، ١١٧٩
 قلة شيبان، ٩٨٧
 قلة نبشة، ٩٨٨
 قليلا، ٦١٠
 القمبور، ١١١٤
 قمنا تمنية، ٨٢٨
 القمحة، ١٢٥٤-١٢٥٥
 قمع معروب، ٩٦٧، ٩٧٧
 قمعة أمر جريبا، ١١٩٥
 قمعة القلح، ٨٠٩-٨١١
 قمقم، ٧٩٦
 قمة آل سلمى، ٩٣١
 قمة أبا السحبان، ١١٧
 قمة أبرق الرمثة، ٢٠٧
 قمة أبو رعوم، ٥٣٣
 قمة أبو همدان، ٤٢٤، ٥٣٣
 قمة أبي همدان، ٥٤٩
 قمة أثيث، ٧٢٠
 قمة أم خرق، ٦٥٠
 قمة أملحقة، ٩٧٧
 قمة انثاري، ٦٥٦، ٦٧٠
 قمة بحري، ١١٧٠، ١١٧٣-١١٧٤
 قمة بركان القرن، ٢٩٧
 قمة برم (برا)، ٨٥٠
 قمة بقرة، ١٠٥٣-١٠٥٤

قمة العرن، ١٠٢٥، ١٠٤٢	قمة رضى، ٨٥٠
قمة عرير، ٧٦٦، ٧٧٥	قمة مرمم = دثيث حقيقية، ٣٥٣ - ٣٥٦
قمة عريض، ٢٠٧	قمة ريان، ١٧٩
قمة عفرة، ١٠٥٠، ١٠٥٣	قمة رير، ٤٨٦
قمة عكوة، ٩٩٤، ١٢٢٥	قمة الربيع، ١٩٢
قمة العليلي، ٩٣١	قمة زبرة، ٥٥٦، ٥٥٨
قمة عمان الأعلى، ٧٣٧	قمة السراة، ٧١٩، ٧٢٤
قمة عمود شتية، ٢٣٦	قمة سعدي، ٨١٥، ٨١٧، ٨٢٢، ٨٢٥
قمة عياش، ٩٤٧-٩٤٨، ١٠٠٢	قمة السقاء، ٩٤٧-٩٤٨
قمة غمر، ١١٧٣-١١٧٤	قمة السودة، ٢٩٧-٢٩٨، ٣١٠، ٣١٢، ١٣١٩
قمة الغول، ٧٢٠	قمة شتات، ٧٣٩
قمة فاس، ٣١٤ - ٣١٦	قمة شدى، ١١٥١، ١١٨٣
قمة فت، ١١٧٠، ١١٧٣	قمة ششران، ١٧٩
قمة فريض المحدث، ٧٨٥	قمة شضعة، ١٣٠٣
قمة فضة، ١٠٥٠، ١٠٦٩	قمة شهدان، ١٠١٧
قمة فيفاء، ٧٢٠، ٩١١، ٩٢١، ٩٣٦، ٩٤١	قمة الصباغية، ٨٤٧
١٠٦٩، ٩٤٩، ٩٤٦	قمة صمصاف، ١٢٢٥
قمة قرماء، ١٣٠٦	قمة الصماء، ٣٨١
قمة القرن، ٣٣٩، ٤٧٨	قمة ضراوية، ٧٧٨
قمة قرن آل الحارث، ٧٧٥	قمة طلان، ٨١٧، ٩٣٩، ٩٤٦
قمة قرين، ١٢٦٤	قمة طوز سليم، ٣٥٥
قمة قسم، ٧٩٤	قمة طويل العبد، ٢٢٧
قمة قفرة، ١٠٧٥	قمة العاصم (أمعاصم)، ١٠٧١
قمة القلحة، ٩٦٨	قمة العاقر، ١٨٥
قمة قلة الجفرة، ١١٨٦	قمة العبلاء، ٤٨١، ٧٦٦
قمة قمعة، ٢٣٤	قمة عتم موتيه، ٣٥٥
قمة مبارك، ٣٢٨	قمة عدمان، ٢٣٦
قمة مخيط الواقعة، ١٨٥	قمة العر، ١٠٠٢، ١٠١٦
قمة مران، ١١٧٣	قمة عردة، ١١٤
قمة مسقه، ٢٣٦	قمة عرضه، ١١٨

قوتين، ٦٠٧	قمة مسورة، ٧٣٠
قوز المنجارة، ٨٩٣	قمة مصيدة، ١٣٠٦
قوى، ١١٧٥-١١٧٤	قمة معروب، ٩٧٧
القويعية، ١٠٨٦، ٥٥	قمة مفتاح، ١١٤٩
القيروان، ٨٨٢	قمة المر، ٦٧٤
قيفة، ١٠٨٣	قمة ممر قبة = رأس نهوقة، ٥٥٩-٥٥٨
قيمة، ١١٧٤	قمة مياهين، ١١٨
	قمة نجيدة، ١٠٧٥
(ك)	قمة النظير، ١٠٠٢
كتام، ٧٥٣	قمة نهران، ٢٩٦
كتان، ٦٧٠	قمة هرم هجيدة، ٩٣١
كتف المراويد، ١١٢٠	قمة وزيرة، ٧٧٥
كتفة، ٧١٩، ١٠٠٤، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠١٥-	قمة وسيم، ٢٠٧
١٠١٦	قمة وعوع، ٧٧٥
كتة، ٦٤٠	قميرة، ١١٥٢
كحل (صخر)، ٩٠٥	قنا وعل البحر، ٨٨٠
كحيلة، ٦٠٩	قناة جر، ٦٦٣
كدف أم خوية، ١١٢١	قناة السويس، ٨٨٢، ٢٧٤، ١٥٤، ١٥١،
كرب آيل وتريهنم، ٤٩٨	١٠٨٥
كرحبية (كهف)، ٣٧٧	قنث، ٦١١
الكرشاف، ١٣١	القنفذة، ١٢، ٢٨٤، ٦٨٥-٦٨٦، ٨٦٤، ٨٩٦،
كعبة ذو الخلصة، ٤١٦	٩٧٦، ١٠٨٢، ١٢٥٧-١٢٥٨، ١٢٦١،
كعبة صنعاء، ٤١٦،	١٢٦٣، ١٢٦٥، ١٢٧٠، ١٢٧٢، ١٢٨٣،
كعبة نجران، ٤١١، ٤١٦،	١٢٨٧-١٢٩٦، ١٣٠١-١٣٠٢، ١٣٠٦،
الكف، ٦١٢	١٣٠٨-١٣٠٩، ١٣١٥
كفاف، ١٠٧٧	القهبية، ٩٣٣، ٩٤٣-٩٤٤، ٩٤٦، ٩٥١، ١٠٤٩
كفيتة، ٦٠٩	القهرة، ٣٧٨
كسير (رزمة أمكسير)، ١١٨٧-١١٨٨	قهرة العنز، ٧٥٩
كندا، ٩١٧	القو، ٧٣١
الكواكب، ٣٦	القوباء، ١١٢٠، ١١٢٨

مانشستر، ١٢٩٣
 مبنى العاليتين، ٦٦٢
 المتحف البريطاني، ١١٤، ١٦٦-١٦٧، ٢١٥،
 ٢٨٣، ٣٢١، ٥١٩
 متحف نجران، ٥١٨
 متلاع، ١٠٧١
 متلع، ١١٤٤
 مثن، ١١١٥، ١١١٩، ١١٤٤
 مثن سهلا، ١١١٤
 مثن الصييط، ١١٨٤
 المجارزة، ٣٢٥
 مجارف، ١١٧٥
 الجامعة، ١٩٣
 مجبه، ٦٩٩
 المجدار الأسفل، ١٠٠٩
 المجدعة، ١١٦٨
 مجر جلد، ٥٥١
 مجراد، ٣٤٨
 مجروب، ١١٢٥، ١١٢٨-١١٢٩
 مجرى ابن هشبيل، ٣٢٦
 مجرى أبو جريدة، ١١٢٨
 مجرى أبو صول، ١١٢٧
 مجرى أبو النورة، ١١٣٨-١١٣٩
 مجرى اجبة، ١٠٦١
 مجرى ازبيات، ٧٠١-٧٠٢
 مجرى أم الخشب، ٨٥٨
 مجرى أم طرا، ٧٢٦
 مجرى أهرين، ٩٤١-٩٤٢، ٩٤٧
 مجرى باتع، ٩٣٦
 مجرى بشران، ١٠٠٩

كوبر برحة، ٢٠٢
 كود، ٢٤٧
 الكور، ٢٠٤
 كور الجامعة، ١٨٦
 الكويت، ٨٨٠
 كويخ، ٦١٠

(ل)

لج تهامة، ٧١٢
 اللجام، ٤٦٠، ٦١١
 لحج، ٨١٨
 لحج اموعر، ١١٨٣-١١٨٤
 لحسان، ٣٢٥
 اللحقو، ٨٥٢، ٨٥٠، ٨٤٩
 اللدام، ١٩٥
 لطف، ٦٢٨، ٨٥٧
 لعبة الكريكت، ٣٢١
 اللقاء (موقع)، ٩٠٣
 اللقطة، ٦٦٩
 لندن، ٥٦٣، ٦٢٧، ١٠٩٢
 لويات السنين، ٩٤٠
 لييبيا، ١٢٩٤
 ليتان، ٧١٩-٧٢٠
 الليث، ١٢، ١٢١٥، ١٢٩٢، ١٢٩٦، ١٣٠٦،
 ١٣٠٨، ١٣١١، ١٣١٥-١٣١٩، ١٣٢١
 لية، ١١٥٢

(م)

مأرب، ٤٤٠، ٤٩١-٤٩٢، ٤٩٧، ٥٧٨-٥٧٩،
 ٥٨٤، ٦٠٣، ٦٠٨، ٨٦١، ١٠٩٢، ١١٠٣
 ماء ثروة، ١٠٦١

- مجرى حمرة، ٧٣٠، ٨٠٩
 مجرى حمضة، ١٣٢
 مجرى حنبة، ١٠٠٣
 مجرى الحنجور، ٣٣٧
 مجرى الحنكة، ٧٣١، ٧٩١
 مجرى حوسية، ١١٢١، ١١٢٥
 مجرى الخانق، ٦٩٢، ٧٥٣
 مجرى الخرمة، ٩٩٨، ١٠٠٣
 مجرى خريم، ١١١٧
 مجرى الخضرة، ٦٩٢
 مجرى الخلص، ١٠١٦
 مجرى الخليفة، ٣٤٣
 مجرى خمده وخذان، ٢٠٩
 مجرى خنقة، ٧٣٥
 مجرى دحتمي، ١٠٣
 مجرى دحلة الضحل، ١٨١
 مجرى الدغماء، ٥٥٥
 مجرى دفا، ٩٥٢، ٩٥٩، ٩٧٨
 مجرى الدويمة، ١١٠٧
 مجرى ذات العكي، ٨٠٩
 مجرى ذي خشا، ١٠٢
 مجرى ذي كحل، ٧٥٧
 مجرى راحة، ٦٩٦، ٧٠٤، ٧١٦-٧١٧، ٨١٣
 مجرى الراشدة، ٢٠٩
 مجرى رافد الحجر (طيب الاسم)، ٧٥٧
 مجرى رحب، ٧٧٤
 مجرى رزيع، ١٢٠٤
 مجرى رنية، ١٠٥، ١٣٢
 مجرى ريحان، ١٣٠-١٣٢
 مجرى ريمان، ١٣٠
- مجرى بقرة، ١٠٥٤
 مجرى بياض، ٦٩٦
 مجرى بيع، ٨٠٥
 مجرى بيش، ٧٢٠-٧٢١، ٨٥٦
 مجرى بيشة، ٢١٣، ٢٢٨-٢٢٩، ٢٣٢-٢٣٤، ٢٣٦، ٢٣٦
 مجرى تثليث، ٣٦٢، ٣٦٤، ٣٦٨، ٣٧٣
 مجرى ترية، ١٣١
 مجرى تلغ، ٢٣٢
 مجرى تندحة، ٢٤٧
 مجرى تنما، ٦٧٨
 مجرى ثروة، ١٠٥٥، ١٠٦٢
 مجرى الثفن، ٢٣٩
 مجرى الثقو، ٣٦١، ٣٦٧
 مجرى جازان، ١٠٦٣، ١٠٦٩-١٠٧١
 ١٠٧٦-١٠٧٧، ١٠٨٦
 مجرى الجحيرة، ١٠٥٤
 مجرى جعار، ٧٥٤-٧٥٥
 مجرى جلحاء حجام، ١٠٢٣
 مجرى الجو، ٢١٤
 مجرى جوراء، ٩١٠-٩١١، ٩١٧، ٩٣٧
 مجرى الجوفا العميق، ١٧٩
 مجرى الجوة، ٩٣٥-٩٣٦، ٩٥٨
 مجرى جيف، ١٠٤٠
 مجرى حبونا، ٦٧٠
 مجرى الحجفاء، ٧٧٦
 مجرى حجلا، ٢٦٧
 مجرى حبريب، ١٠٢٧-١٠٣٨
 مجرى حشبية، ١١١٠
 مجرى حضه، ٨٠٤

- مجرى طفشة، ٨٥٦
 مجرى الظريفة، ٧٧٦
 مجرى ظهران، ٦٦٩، ٧٢٧، ٧٩٦
 مجرى العرض، ٧٦٣، ٧٦٧
 مجرى العرقة، ٧٥٧
 مجرى عرقين، ٩٤١
 مجرى العرين، ٣٥٨
 مجرى عضد، ٩٠٦
 مجرى العطف، ٨١٨، ٨٢٥
 مجرى العقيد، ٨٥١
 مجرى عكاث، ٨٥١
 مجرى علب، ٧٨٥
 مجرى العوراء، ٨٤٠
 مجرى عيفة، ٧٢١
 مجرى عين جربوع، ٦٩٣
 مجرى غدقة، ١١٦
 مجرى غضيف، ٦٧٨
 مجرى الغول، ٣٤٣
 مجرى فاس، ١٣٠
 مجرى الفرشة، ٨٢٦-٨٢٧
 مجرى الفرع، ٩٣١، ٩٣٦
 مجرى القرارة، ٢٤٧، ٣٣٥
 مجرى قرى، ٨٥٦-٨٥٧
 مجرى قصب، ١١٥١
 مجرى القفلة، ١٠٥٣-١٠٥٤
 مجرى قلحة، ٩٤٢
 مجرى اللجاج، ٩٩٣
 مجرى لحجة، ٩٠٤
 مجرى لحف، ٨٥٧-٨٥٨
 مجرى محد، ١٠٣٥
 مجرى سارة، ٧٩٧-٧٩٨، ٨٠٣
 مجرى السحوبية، ١٢٥
 مجرى سديرة، ١٠٣
 مجرى سدينة، ٨٥١
 مجرى السرب، ٩١٨
 مجرى سلحات، ١٠٥٥
 مجرى سلوان، ١٣١-١٣٢، ١٣٤
 مجرى السليل، ٣٨١
 مجرى السميكة، ٧٠٠
 مجرى سهلوج، ١٤١
 مجرى السيد، ١١٤١
 مجرى السيل، ٢٤٠-٢٤١، ٢٤٦
 مجرى السيل الصغير، ١٤٣
 مجرى شجعا، ٧٦٠، ٧٧٢
 مجرى الشطبية، ٧٥٦
 مجرى شعار، ٣٢٩
 مجرى شعيب حدة، ١٠٣٣
 مجرى شعيب دهنه، ١٠٣٢
 مجرى شعيب الصفراء، ٥٥٥
 مجرى شعيب الفرح، ٧٥٤
 مجرى شعيب قاوية، ٧٣٤
 مجرى شعيب مدر، ٥٥٠
 مجرى شعيب الملحاء، ٨٥٨
 مجرى شوامي، ١٠٥٤، ١٠٥٦
 مجرى صدع المضيق، ٣٥٨
 مجرى صلف بن نجم، ٦٧٥
 مجرى الصلة، ٣٣٦
 مجرى صمعة، ٩٩٨، ١٠٠٣، ١٠٠٩
 مجرى الضبيرة، ٨٥١، ٨٥٨-٨٥٩
 مجرى ضمد، ٨٧٣، ١٠٣٠

- مجرى وادي ميدي، ١١١٣
 مجرى وخذنان، ٢٠٩
 مجريا أم رضة، ١٠٢٧
 مجز، ٧٨١، ٩٧٩، ٩٩٣، ٩٩٧
 مجزق القرص، ٨١٨
 مجزق القرظ، ٧٩١
 المجزعة، ٣٢٤، ٧٥٥، ٧٥٧، ٨٠٣-٨٠٦
 المجمع، ٦٦٩، ٦٧١، ٦٨٠، ٦٨٦، ٦٩٦، ٦٩٩
 المجمع (مزارع)، ٦٥٥
 المجمع (ملتقى مجاري سيل)، ٩٠٣
 المنجب، ١٠٣٣
 منجب أمبحا، ١٠٤٠
 منجة، ٦٣٩، ١٠٥٧
 منجرح، ١١٧٩-١١٨٠
 منجيشة، ١٣١٤
 المحاجي، ١٢٧٤
 محاسل، ٨٥٠
 محايدة (بلدة)، ٦١١
 محاليل = محائل عسير، ٢٩٣، ٣٢٧، ٨٦٤،
 ١٢٦١
 محتاوية، ٦٠٦
 محنة (حوض)، ١٠٧٦
 المحجر، ٧٢٢، ٧٢٦
 محجف، ١١١٩
 محدثة، ١٧٠-١٧١
 محدة، ٦١١
 المحرم (أمحرم) أم صبايا، ١١٤٥
 المحماة، ٩٢٠
 مخابي، ٦١٠
 المخبأة، ٦٠٥، ٦١٠
- مجري محر، ٧٥٤
 مجرى المختلف، ٨٠٨
 مجرى مخوار، ٧٦٠
 مجرى المديرية، ٩٥١، ١٠١٧
 مجرى المزيعة الأعلى، ٧٨٥
 مجرى مسنة، ١٠٢٢
 مجرى المسيرق، ٣٦٧
 مجرى المشرف، ١٠٧٧
 مجرى مضرة، ٧٠٧
 مجرى المضيق، ٦٩٦
 مجرى معبر، ١٠٦٤
 مجرى المغيالة (أمغيالة)، ١١٣٤، ١١٤٥-
 ١١٤٦
 مجرى الموسامه، ٤٨
 مجرى الموسم، ١١١٢
 مجرى الميثة، ٩٣٦
 مجرى نجد سهي، ٣٨٢
 مجرى نخلان، ٨٦٠، ٨٦٢، ٨٦٦
 مجرى نعيمة، ٦٩٣
 مجرى النقعة، ٧٦٩
 مجرى الهجلة، ٨٠٩-٨١٠
 مجرى هضاض، ٧٦٤-٧٦٥
 مجرى وادي بيش، ٨٣٢
 مجرى وادي بيشة، ٢٥٥
 مجرى وادي جازان، ١٠٢٥
 مجرى وادي الحنية، ٩٩٥
 مجرى وادي الخلس، ١٠٣٣
 مجرى وادي طفشة، ٨٥٢-٨٥٣
 مجرى وادي القمح، ١٠٤٤
 مجرى وادي المياه، ٢٠٩

المروة، ٦٥٤، ٩٣٥	مختبية، ٢٣٣
مريسة، ٦١١	مخفض برا العريض، ١١٥٣
المزاحمية، ١٢٦	المخلاف السليماني، ٥٤٥، ٥٦٧، ٦٠٢،
مسابل عليين، ٧٥٩	٦٠٩، ٦٧٠، ٨٥٠، ٨٧٣، ٨٨١-٨٨٣، ٨٩٣،
مسبة، ١٠٧١-١٠٧٢	٨٩٦، ٩٢٦، ١٠٨٣-١٠٨٤، ١٠٩٧،
مسيح الكلية، ١١٢٦	١٢٧٢
مستوطن ترية، ١٧٢	مدبع (غارب مدبع)، ١١٧٥
مستوطنات سبأ، ٨٦١	المدخال، ١٠٦٩، ١٠٧١، ١٠٧٤
مستوطنة آل عبد الله، ٨١٣	مدرا، ٢٢٩، ١٠٧٠
مستوطنة خمين، ٩٠٢	مدركة، ١٦٩
مستوطنة الرقيطاء، ٨٢	مدريد، ٦٧٨
مستوطنة عطف الجيرة، ٨٢	مدورة، ٦١١
مستوطنة القرعة، ١٠٦٥	مدينة الرحمانيين، ٤٩٦، ٤٩٧
مستوطنة القيم، ١١٤٥	مدينة ردمان، ٤٩٧
المسجد الحرام، ٩١، ٩٥، ٢٤١، ٣٩٤	مدينة ريمان، ٤٩٧
مسجد السليمية، ١٨٠	المدينة المنورة، ٩، ١٦٥، ٢٩٩، ٤٩٤، ٤٩٧،
مسجد عبد الله بن عباس، ١٤٧	٤٩٩-٥٠٠، ٥٠٢، ٥٠٩، ٦٥٦
مسجد غمدان، ٤١٦	المنذب (منطقة)، ٥٤٤-٥٤٥
مسجد القلعة، ٩٣	مرآن، ١٣٤
مسطح السبخة، ١٠٩٥	المراطة، ٦١١
مسطح مبرته، ٨٢٠	مرياح الشام، ١١٣٤
مسعود، ١٧٨	مرتكزة، ٧٥٩
مسعودة، ٦٥٤	مرثد إيلان، ٥٠٢
مستقى بريم، ١٧١	مرجح، ١١٦٢
مسلان، ١٠٠٢	مردة، ٩١٨
المسمة (رمال)، ٣٨١	مرسيابه، ٤٩٦، ٤٩٧
مسنة (حوض)، ١٠٢٢	مرع، ٩٥١، ٩٨٦
مسنة، ٩٩٤-٩٩٥، ١٠٢٢	مرعة، ٧٨٧
المسورة، ٦٩٦، ٧٢٢-٧٢٤، ٧٢٦-٧٢٧	مرقة، ٦١١
مسيار، ١١٥٢	مركز عشيرة المهم، ١٢٨

- مسيل بيضان، ٩١٢
 مسيل بيضو، ٨٤٢
 مسيل البطيخ، ٧٨١
 مسيل ثحلة فضة، ١٠٦٣
 مسيل ثلثين، ٨٣٩
 مسيل نهران، ٩٥٢
 مسيل الثويري، ٩٨٧
 مسيل ثيبان، ٧٨٣-٧٨١
 مسيل جبرية، ١٠٣٦
 مسيل الجدلية، ٧٧٢
 مسيل الجدولة، ٨٢٥
 مسيل الجرية، ٩١٩
 مسيل الجرفقة، ٩١٨
 مسيل الجنية، ٩٣١
 مسيل الجوة، ٩٣١، ٩٥٣
 مسيل جيران، ٩١٧
 مسيل جيف، ١٠٤٠
 مسيل حاسي، ١١٨٧
 مسيل الحبرة، ٨٢٧
 مسيل الحرجة (ضيسر)، ٧١٣
 مسيل حرشو، ٨٣٩
 مسيل حرفي، ٨٢٥
 مسيل حرة، ٨٢٠
 مسيل حزميران، ٩٣٦
 مسيل حسارة، ٨٤٣
 مسيل الحسكول، ١١٨٩
 مسيل حسين، ٨٣١
 مسيل حشرة، ١٠٦٥
 مسيل حصر، ١١٩٠
 مسيل حضلو، ٨٤٢
- مسيجيرة، ٢٠٢
 المسيح (علية الصلاة و السلام)، ٩٣٣
 المسيرق، ٢٣٢
 مسيل آل فروان، ٧٣٧
 مسيل أبخ، ٨٣٩
 مسيل أبو جريدة، ١١٣٧
 مسيل اثبة، ٦٩٨
 مسيل أثيرية، ١٤٣
 مسيل الاجوف، ٦٩٩-٦٩٨
 مسيل أحده (حدا)، ٨٢٤
 مسيل أسجعاب الأتاب، ٦٧٤
 مسيل أضملة، ٨٢٦
 مسيل أم باب الصغير، ١١٤٦
 مسيل أمجلة (مردة)، ١١٦١
 مسيل أمحشرة، ٩٩٣-٩٩٤
 مسيل أمحميحيان، ١١٩٠
 مسيل أمشرح، ١٠١٦
 مسيل املحي، ١٠٧٥
 مسيل أوسط، ٨٣٩
 مسيل أوكان، ١٠٦٦
 مسيل باقم، ٧٠٤
 مسيل بتار، ٧٩٤
 مسيل برد، ٨٣٠
 مسيل بروت المتقاطع، ١١٦٧
 مسيل بشران، ١٠٠٥-١٠٠٦
 مسيل بشعة، ٨٢٩
 مسيل بطنة، ١٠٣٥
 مسيل بقرة، ١٠٥٤، ١٠٥٧
 مسيل بياد، ٧٨١
 مسيل بياض، ٧٨٤

مسيل روضة المعاین المزروع، ١١٦١	مسيل حلوة، ٨٤٢
مسيل زهوة، ٨٤٢	مسيل حنبة، ٩٨٥
مسيل سبا، ٣١٨	مسيل الحنكة، ٧٦٨، ٧٦٤، ٧٥٩، ٧٤٧
مسيل سبت، ٧٩٦	مسيل الحوك، ١٠٥٥
مسيل السبجة، ٩١٨	مسيل حيوان، ١١٩٢
مسيل سححة، ٨١٨	مسيل الخانق، ٦٧٨
مسيل السد، ٧٠٨	مسيل خبرة، ٨٤٢
مسيل السر، ٣٢٣	مسيل خبير، ٨٤٢
مسيل السرب، ٩١٧-٩١٨	مسيل خيرة، ٨٢٥
مسيل سرمة، ٩٤٩	مسيل الخيبة، ٩٣١
مسيل سقامة، ٨٢٩	مسيل الخريان، ٧٧٤-٧٧٣
مسيل السلفة، ٧٧١	مسيل الخرش، ١٠٣٩
مسيل سمحة، ٨٢١	مسيل خرمة، ١٠٠٣
مسيل سواد، ٧٠٢، ٩٩٤	مسيل الخضرة، ٦٧٨
مسيل سوس، ٧٠٤	مسيل الخليف، ٦٧٣
مسيل السيالة، ١١٧٣	مسيل الخوايس، ٦٩٨، ٦٩٦
مسيل سيلة معدة، ٧٧٧-٧٧٦	مسيل خيرة، ٦٦٩، ٦٧١، ٦٧٣-٦٧٤
مسيل شدا، ٢٣٨	مسيل ذات ربح، ٧٩٧
مسيل شراقب، ٨١٩	مسيل ذبوب، ٩٣٣
مسيل شرانة، ١١٨٧	مسيل رأس غرية = مسيل رأس عرية، ٥٥٧
مسيل شرح، ٦٧٣	مسيل رجاف، ١٠٧٥
مسيل الشرفاء السهل، ٦٧٥	مسيل رجل، ٨٣٩
مسيل شروة، ٩٩٠-٩٩٢	مسيل رحا، ٨٣١
مسيل شضية، ٨٤٣	مسيل ردوم، ٨٣٩
مسيل شعب آل مسعود، ٧١٧	مسيل رشدة، ٨٣٩
مسيل شعيب ضعن، ٨٢١	مسيل رضا، ١٠١٦، ١٠١٨، ١٠٢٠
مسيل شعيب عرب، ٩٧٧	مسيل الرقية، ٩٥١
مسيل شعيب القات، ٩١٢	مسيل رميح، ٥٨٢
مسيل شعيب القوم، ٧٨٥-٧٨٦	مسيل رنقه، ٨٣٩
مسيل شعيب كضر، ١٠٣٩	مسيل روايح، ٨٣٩

مسيل عطفة، ٧٥٦
 مسيل عطيف، ٧١٥
 مسيل علب، ٧٨٣، ٧٨٥
 مسيل علبة السيد (علبة العين)، ٦٧٣
 مسيل عمقية، ٩٩٥
 مسيل عنت، ٢٣٥
 مسيل العوراء، ٨٢٩
 مسيل عين آل عيس، ٧٩٧
 مسيل غابس، ٩٥٢
 مسيل غاوة، ٣٢٠
 مسيل غاوية الزروع، ١١٦١
 مسيل غرف، ٨٣٩
 مسيل فرد، ٧٦٣
 مسيل الفرع، ٩٣٣
 مسيل فرع الراك (جبل فريض الراك)،
 ٥٥٥
 مسيل فريض الراك، ٧٨٠
 مسيل فريض المحدث، ٧٨٢
 مسيل فضحو، ٨٣١
 مسيل الفلاح، ٧٤٦
 مسيل قرا، ٨٣٩، ١٠٠٦
 مسيل قرى، ٣٦١، ٣٥٨
 مسيل القرعة، ٩٤٧
 مسيل قعصن، ٩١٧
 مسيل القعمة، ٨١١
 مسيل قفل، ٨٤٩
 مسيل قفية شجع، ٧٧١
 مسيل قمقم، ٧٩٦
 مسيل قنا، ٨٤٢
 مسيل قوار، ٨٤٢

مسيل شعيب مجزع القرض، ٨١٧
 مسيل شعيب المزرعة، ٧٨٦
 مسيل شعيب ملصة، ١٠٢٦
 مسيل شعيب منمتين، ١٠٢٦
 مسيل شقرة، ٨٣١، ٩٧٧
 مسيل الشقيقة، ٦٧٤
 مسيل شوحة، ٨٢٧
 مسيل شوقية، ٧٢٦
 مسيل صمعة، ٩٩٦-٩٩٧، ١٠٠٨-١٠٠٩
 مسيل صومال، ٩٨٤
 مسيل ضبعة، ٧٧٢
 مسيل ضراية، ٨٣١
 مسيل ضروة، ٨٣١
 مسيل ضروة السفلى، ٨٣١
 مسيل ضعان، ٨١٨
 مسيل ضل الحص، ٨٣١
 مسيل ضنية، ٨٤٣
 مسيل طليبر (وادي كبير)، ٨٤٢
 مسيل طية، ٩٣٧
 مسيل العار، ٧٦٩
 مسيل عتية، ٨٣٩
 مسيل عثية، ٤٧٩
 مسيل عجمة، ٧٨١
 مسيل عجيرة، ٨٤٣
 مسيل عدة، ٨٤٢
 مسيل عرقين، ٩٣١، ٩٣٧
 مسيل عرم، ٨٢٥
 مسيل العروس، ٧٨٠-٧٨١
 مسيل عرير، ٧٩٧
 مسيل عشوش، ٩٥٢

- مسيل ملتف، ٨٢٩
 مسيل ملحّة، ٨٤٣
 مسيل مليح، ١٠٥٠
 مسيل المناخ، ٨٣١
 مسيل المهدي، ١١٤٩
 مسيل موجي، ٨٤٢
 مسيل موارد، ١٠٥٠
 مسيل نجد حطب، ٧٩٦
 مسيل نشمة، ٩٩٠
 مسيل نفض، ٨٢٥
 مسيل النقعة (حوض)، ٧٦١
 مسيل النقييل، ٨٣٩
 مسيل نهوقة، ٤٣٤
 مسيل وادي هضاض، ٧٦٣
 مسيل وحيلة، ٨٣٩
 مسيل ورثة، ٨٤٢
 مسيل وطنية، ٩٣١
 مسيل الوغرة، ١٠٣٢
 مسيل وقيرة، ٦٩٦
 مسيل يحاضر، ٨٤٢
 مسيل يحرا، ١٠٧٨
 مسيل يخرف، ٨٤٢
 مسيل يدود، ٨٢٢-٨٢١
 مسيلا رفات (زرفات)، ٩٣٦
 مسيلا صلاح، ٨٣٩
 مسيلا غليفة، ٨٤٢
 مسيلا وانسل، ٨٤٣
 مسيلان مليص، ٨٢٥
 مسينة، ٩٩٤
 مشابية، ١١١٣
- مسيل قوارة، ٨٤٢
 مسيل القويد، ٩٩٥
 مسيل قييف (أم صدر)، ٩٧٩
 مسيل كلفة، ٥٨١
 مسيل لجة، ٨٣٩
 مسيل اللحاج، ٩٩٤-٩٩٣، ٩٩١
 مسيل اللحجة، ٨٣١
 مسيل مثامة، ٨٣٩
 مسيل المجنب، ٨٣١
 مسيل محجر، ٧٢٣
 مسيل محذ، ٧٥٢
 مسيل محيريشة، ٧٧١
 مسيل مدع، ١٢٥٠
 مسيل مروة الرافد، ٩١٨
 مسيل مريسيقة، ٩٥٣
 مسيل مسرب، ٩٨٥
 مسيل مسمة، ٨٤٢
 مسيل مسياد، ٧٦٨
 مسيل مشرب العينة، ٨١٨
 مسيل مض، ١١٧٣، ١١٧٠
 مسيل مضو (مللو)، ٨٣١
 مسيل معجلة، ٩٣٦
 مسيل معجمين، ١٠٥٤-١٠٥٣
 مسيل معض، ١٠٦٣
 مسيل معضد، ٥٨٢
 مسيل معلم حسنة، ١٧١
 مسيل المعول، ٧٨٠-٧٨١، ٩٧٩
 مسيل المعيجب، ٧٣٧
 مسيل المفجر نشافة، ١١٤٦
 مسيل المقطر، ٩٣٥-٩٣٦

- المشاعية، ١٩٢
 المشاوية، ٣٤
 مشباح أم رنف، ١١٥٩
 مشباح الخريق، ١١٦٧
 مشبح أمدغوي، ١١٦٥
 مشبح الموقد، ١١٦٦
 المشبة (أمشبة)، ١٠٧١
 مشد، ٦٤٢
 مشرب مجيرمة، ١٣١٩
 مشرب محفور، ١١٢٦
 مشرب المعيان، ١٢٥٢
 المشرب (موقع)، ١٠٢٨
 مشرب الوغرة، ١٠٢٧
 المشرف، ٧٠٧
 مشرفة، ٣٤٩-٣٤٦
 مشوف، ١١٨٨
 مشيع، ٣٠١، ٢٩٤، ٢٨٥
 مصب المغشوش، ١١٠٤
 مصر، ١٥٧، ٤٩٧، ٥٣٠، ٧١٩، ٨٨٢، ٨٨٤
 مصرف البحرة، ١٢٢
 مصرف رمرم، ٣٥٤
 مصرف شريا، ٣٤٧
 مصرف عين جربوع، ٦٩٢
 المصيدة (أمصيدة)، ١٠٧١
 مصيفة، ٦٦٥
 مض، ١١٧٧، ١١٧٥
 مضره، ٨٠٥
 مضل، ١٩٤
 مضمان، ٥٦٤
 المضمر (ضاحية)، ٦٨٨-٦٨٩
 مضية، ١٠٧٨
 مضيق أمحشرة، ٩٩٦-٩٩٥
 مضيق جازان، ١٠٦٧
 مضيق جلد، ٥٥٠-٥٥١، ٥٥٣، ٥٩١
 مضيق جميل، ٧٧٤
 مضيق حضر، ٩٨٨، ٩٨٥
 مضيق الدغماء (فرع الدغماء)، ٥٥٣-٥٥٤
 مضيق ذات انشان، ٧٦٥
 مضيق ريع سحبل، ١٠٧
 مضيق ريع هايف، ٩٨
 مضيق سارة، ٧٩٧
 مضيق سهل، ٦٧٤
 مضيق شروه، ٩٨٩-٩٩٠
 مضيق الشعثاء، ٧٩٠
 مضيق شعيب الغول، ٧٢٤
 مضيق ضلع، ٧٢٠
 المضيق الضيق، ٥٥١، ٥٥٣، ٥٥٥، ٥٥٧
 مضيق الضيقة، ٧٢٦، ٨٠٦
 مضيق العان، ٤١٨-٤١٩
 مضيق عيب (أو الحماطة)، ٧٠٣-٧٠٤
 مضيق العرجاء، ٦٥٤
 مضيق فضة، ١٠٦٩
 مضيق قاب، ٦٧٥-٦٧٦، ٧٢٦
 مضيق القبضة، ٧٤٧
 مضيق مدهش، ٦٦٣
 مضيق المعول، ١٠٧١
 مضيق نجد، ٣٣٨
 مضيق نسرة، ١١٦٢
 مضيق نشمة، ٩٩٣
 مضيق نيد أم أثبة، ٩٥٢

- مقبرة ثعلة، ١٠٣١
مقبرة الحسيني، ٨٧٢
مقبرة حوط، ٨١٣
مقبرة عبد الله بن ثامر، ٤٦١
مقتلة ناصر، ١١٣٥
مقشبة، ٦١١
مقصر، ٧٠٢
مقطع الرديف، ٩٧٢، ١١٠٨
المقطة، ١٦٥
مكقبال، ١١٢٥
المكلا، ١٢٨٦
مكة المكرمة، ١٢، ٢٣، ٢٩-٣٠، ٣٢، ٤٤،
٦٤، ٨٣، ٨٩-٩١، ٩٥-٩٧، ١٠٠، ١٠٩،
١١٢، ١٢٥، ١٢٨-١٢٩، ١٤٢، ١٤٨،
١٥٢، ١٦٣-١٦٤، ١٧٠، ١٧٣، ١٧٦،
١٨٤، ٢٤٦، ٢٧٦، ٢٧٩، ٢٨٣، ٢٨٧،
٢٨٩، ٢٩٥، ٣٠٠، ٣٢١، ٣٢٧، ٣٣٣،
٣٩٤، ٤١٧، ٤٢٢-٤٢٣، ٤٣٠، ٤٣٣،
٤٣٩، ٤٥٩، ٤٩٩، ٥٦٢، ٥٦٤، ٥٧١،
٥٧٣، ٥٧٦، ٥٧٩، ٥٨٨، ٦٠٣، ٦٢١،
٦٢٣، ٦٤٩، ٦٥١، ٦٥٦، ٦٥٨، ٦٧٩،
٦٨١، ٦٨٥، ٧٠١، ٧٣٣، ٧٤٠، ٨٠٢،
٨٥٠، ٨٧٢، ٨٧٨، ٨٨٢، ٨٨٤، ١٠٥١-
١٠٥٢، ١٠٨٧، ١٠٩١، ١٠٩٩، ١١٢٤،
١١٤٩، ١١٦٦-١١٦٧، ١١٨٥، ١١٩٤،
١٢٠١، ١٢٠٨، ١٢١٥، ١٢١٨، ١٢٢٤،
١٢٣٤، ١٢٣٩، ١٢٤٩، ١٢٥٧-١٢٥٨،
١٢٦٣، ١٢٧٤، ١٢٧٧، ١٢٧٩، ١٢٩٤،
١٢٩٧، ١٣٠١، ١٣٠٤، ١٣٠٦، ١٣٠٨،
١٣١١، ١٣١٥-١٣١٦، ١٣١٨-١٣٢١
- مضيق نيد أم ثروة، ١٠٦١
مضيق نيد أم ثوع، ١٠٢٧
مضيق نيد أم رخم، ١٠٠١
مضيق نيد أم رزم، ٩٩٧
مضيق نيد الغرو، ١٠٢٦
مضيق نيد فضة، ١٠٦٣
معبر، ١٠٦٢
معتق (قوهة بركان)، ١٣٠
معدية، ٦٠٩
معركة أدمجدون، ١٢٣
معركة أسكة، ٤٩٦
معركة بين السعوديين والأتراك، ١٣٦
معركة حزم، ١٢٧
معركة فح، ٨٨٤
معشر، ١٩٠
معفجة، ٥٩٢
معقد جلحة، ٩٤٩
المعقر، ٩٨٨، ٩٩٠، ٩٩٤، ١٠١٥
معقر الصيد، ١١٩٢
المعلف، ٧٣٧
معلم جادة الحاج، ١٧٢
المغيالة، ١١٣٩، ١١٤٤، ١١٤٧، ١١٥٣
مفازة المحمل، ٢٩
مفجر سار جفلة، ١١٦٠
مفجر الضمار، ١١٢٠
مفجر المحدث، ١١٤٦
مفجر نشافة، ١١٤٩
مفجر الوحش، ١١٧٧-١١٧٨
مقاشع، ٥٥٤، ٥٥٧
مقبرة آل ثعلة، ٥٥٧

- ملحق، ٦٤٠
 الملحمة السفلى، ١١٧١، ١١٧٤
 الملحمة العليا، ١١٧١، ١١٧٤، ١١٩٢
 الملحة، ٦٤٢، ٧٣٦، ١٠٧٣
 ملصة، ١٠٣٩
 المر، ٦٧٤-٦٧٥، ٧٥٢-٧٥٣، ٧٥٧، ٧٦٨، ٧٨٤
 ممر أبها، ٣١٢
 ممر أم حديدة الرئيس (باب الحديد)، ٧٨٩
 ممر أم الركب، ٣٢٢، ٣٢٥
 ممر باب الحديد (أو أم حديدة)، ٧٧٨
 ممر برق الضيان، ٦٧
 ممر تريمة، ١٠٣
 ممر ثنية، ٥٧٩
 ممر جراد، ٣٤٧
 ممر جلد، ٦٠٦
 ممر الحج، ١٠٢
 ممر الحديدية، ٦٠٦-٦٠٧
 ممر خرمة، ١٠١٨
 ممر الخنق، ١٩٢، ١٩٩
 ممر رجلا، ٥٤٦
 ممر رحارج، ٩٥١
 ممر رهوات المسوان، ٧٩٦
 ممر ربيع ركبة، ١٢٥
 ممر ربيع المنحوت، ١٤٣
 ممر سديرة، ١٠٢
 ممر سلحات، ٧٩٦
 ممر سما، ٣١٥
 ممر سيلة، ٦٢٤
 ممر شراقب، ٧٩٥، ٨٠٩، ٨١٣، ٨١٧، ٨٢٢
 ممر شرية، ٣٤٣
 ممر الشطبية، ٧٨٩
 ممر الشطبية، ٧٥٦
 ممر شعار، ٣٢٦، ١٣٠٢
 ممر العرقة، ٧٥٧
 ممر عقبة شراقب، ٧١٤، ٨١٤
 ممر عقبة وشيقر، ٥٣٤
 ممر علب، ٧٧٦، ٧٨٣، ٧٩١، ٧٩٣، ٨٢٤
 ممر علبين، ٧٤٥، ٧٤٧، ٧٨٩، ٩٣٢
 ممر الغاوية، ١١٣٠
 ممر الفاو، ٤٧
 ممر فتوة، ١٠٧٧-١٠٧٨
 ممر ققع صقبان، ١٠٧٧
 ممر القضة، ١٠٣
 ممر كالبهو، ١٣١١
 ممر المحمل، ٤٧
 ممر مخضار، ١٠٣
 ممر مدر، ٧٩٧
 ممر مسنة، ٩٩٤
 ممر مطروق، ٨٥٧
 ممر المفرش، ٣٣
 ممر موفار، ٩٩٩، ١٠٠٩-١٠١٠
 ممر ميين، ٧٥٧
 ممر نجد، ٥٤٨، ٥٨١
 ممر نقييل الغنم (ممر الغنم)، ١٠٣٢-١٠٣٣
 ممر نهيقه، ٤٧٧، ٥٢٠، ٥٢٥، ٥٤١
 ممر نيد أم خرمة، ١٠١٠-١٠١١
 ممر نيد أم رزم، ٩٩٦
 ممر نيد أمنشمة (النشمة)، ٩٦٨
 ممر نيد جلال، ٩٧٨، ١٠٢٤

موقد أم حيدر، ١٠٦١
 موقرة، ١٠٦٥
 موجية، ١٦٥
 المويه، ١٣٢
 مياه صيبيا، ٨٨٩
 مياه الغيل، ٨٢٤-٨٢٦-٨٢٧، ٨٣٠، ٨٣٢،
 ٩١٠، ٩١٥
 مياه غيل حوراء، ٩١١
 الميثب، ٦٢، ٦٩، ٨٨
 ميحار، ٥٥٦
 ميدان، ٦٠٩
 ميدي، ٨٨٣، ٨٩٥، ٩٧٢، ١٠٩٨، ١١٠٠،
 ١١٠٤، ١١١٤، ١٢١٦، ١٢٣٤
 مير عليا، ١١٤٣
 ميناء جازان، ٨٨٧، ١٠٥٦
 ميناء الحديدية، ١٥٦، ١١٠٣
 ميناء حلي، ٣١٣
 ميناء العقير، ٢٣
 ميناء القنفذة، ٣٢٧
 ميناء كميلة، ١١٠٣
 ميين، ٥٨٤
 ميين (بركتان صخريتان)، ٧٥٢
 (ن)
 ناوان، ١٣٠١
 نايفة، ٤٣، ١٣٥، ٢٠٣
 نبشة، ٩٩٤
 نبع متر، ٩٤٤
 النبعة، ٣٢٥
 نتفه، ٧٠٧

ممر نيد جنازة (موقع)، ٩٨٥
 ممر نيد خرمة، ٩٤٩، ١٠١٥
 ممر نيد الرزمة، ٩٥٢
 ممر نيد الشق (ممر الشق، أو الصدع)،
 ٩٥٣، ٩٤٧
 ممر الوغرة، ١٠٣٠
 مملكة أكسوم، ٤٩٩-٥٠١
 مملكة الحيرة، ٥٠٣
 مملكة سبأ، ٤٩٧
 مملكة قتيان، ٤٩١-٤٩٣، ٤٩٥
 المملكة المعينية، ٤٩٤
 المنابع العليا لحبونا، ٧٢٩
 منابع تثليث، ٧٢٧
 المنارة، ٦٠٢، ٧٦٣
 منبع تارا، ١١٥
 منبع ثيبان، ٧٨١
 منبع المخاوية، ٣١٤
 منبه (محافظة)، ٩٤٨، ١٠١٦
 منجد، ٧٢٥، ٧٨٧
 منجم الذهب، ١٦٩
 مندبة، ٧٨٧
 المندفن، ٥٧٩
 منسه (موقع)، ٦٧٦
 المنصورية، ١١٠٤
 منصية، ٩٥١، ١٠٢٠
 منظر، ٩٧٩
 منفذ وادي خلب، ١٠٧٥
 منى، ١٣٢٢
 المواجد، ٥٨٠
 الموقد، ١١٥٩

١٠٩١، ١٠٩٣، ١١٠٣، ١١٤٩-١١٥٠،	نجد، ٣٠، ٥٥، ٨٦، ١٣٢، ١٧٠، ١٩٦، ٢٢٣،
١١٩٨	٢٣٦، ٢٤٩، ٢٧١، ٥٣١، ٧١١، ٨٠٢، ٨٥٤،
نجيدة، ١٠٧١	٨٥٧، ٨٩٣، ٩٢٢، ٩٧٨، ١١٩٨
نخرة، ١٣٠٣	نجد جلال، ٩٧٩
نصب الشبرام، ٣١٤-٣١٦	نجد سهلي، ٦٣٠
النظير، ١٠٥١، ١٠٦٢، ١٠٦٩، ١١٥١،	نجد صوفع، ٩٩٥-٩٩٦
١١٦٥	نجد فاسح، ١٠٠٦، ١٠٠٨
النعمة، ٦١٠	نجران، ١٢-١٤، ٢١، ٣٣، ٤٩-٥٠، ٥٥، ٨٣،
النعمة، ١٦٥	٩٣، ١٦٦-١٦٧، ١٩٩، ٢٤٤، ٢٥٣، ٢٦٨،
نفوذ حنجران، ٢٠١، ٢٠٤	٢٨٧، ٢٨٠، ٢٨٥، ٣١٠، ٣٣٢-٣٣٣، ٣٣٧،
نفوذ الدحي، ٤٥، ٤٧، ١٩٥	٣٤٠، ٣٦٤، ٣٧٢، ٣٨٣، ٣٩٠،
نفوذ المسمة، ٣٧٨	٣٩٧، ٣٩٩، ٤٠١، ٤٠٤، ٤٠٦-٤٠٨،
النقارة، ١١٤٠	٤١٢-٤١٤، ٤٢٢، ٤٢٤، ٤٢٧، ٤٢٩،
النعمة (منطقة)، ٧٥٨-٧٥٧، ٧٥٩، ٧٦٦-	٤٣٠-٤٤٠، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦٢-٤٦٣،
٧٦٨	٤٦٦-٤٦٧، ٤٦٩-٤٧٠، ٤٧٣، ٤٧٥،
نقنيع، ٨٤	٤٧٨-٤٨٠، ٤٨٧، ٤٩٠، ٤٩٣-٤٩٤،
النماص، ٢١٨، ١٢٦١	٤٩٦-٤٩٧، ٤٩٩، ٥٠٢-٥٠٦، ٥٠٨-٥١٢،
نمران، ٢١٩، ٢٢٣، ٢٢٦	٥١٤، ٥١٧، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢٦-٥٢٧، ٥٢٩،
النمسا، ٦٧٨	٥٣٢-٥٣٨، ٥٤٠-٥٤٤، ٥٤٦-٥٤٩، ٥٥١-
نهر جوراء، ٩١١	٥٥٢، ٥٥٥، ٥٦١، ٥٦٤-٥٦٩، ٥٧١-٥٧٢،
نهر الخريد، ٤٩٣، ٤٩٦	٥٧٥، ٥٧٨، ٥٨٠، ٥٨٢-٥٨٣، ٥٨٦-٥٨٧،
نهر صيحان، ٦٦٢	٥٩٢-٥٩٣، ٥٩٥-٥٩٩، ٦٠١-٦٠٨، ٦١٢،
نهر ضمد، ٩١١	٦٢١، ٦٢٣-٦٢٤، ٦٢٧، ٦٢٩، ٦٣١، ٦٣٥،
نهوقة، ٥٦٩	٦٤٠، ٦٥٠-٦٥١، ٦٥٦، ٦٥٨، ٦٦٧، ٦٧٧،
نواسيله (فوهة بركان)، ١٣٠	٦٧٩-٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٥-٦٨٧، ٦٨٩-٦٩٠،
نودان، ٧١٩	٦٩٣، ٦٩٦، ٧٠٩، ٧٣٥، ٧٤١-٧٤٢، ٧٤٤،
النويصة، ١٨٥	٧٤٦، ٧٥٣، ٧٥٥، ٧٥٧، ٧٥٩، ٧٦٣،
نيد، ٩٥٣، ٩٥٦-٩٥٧	٧٦٥-٧٦٦، ٧٦٩، ٧٧٥، ٧٧٨-٧٧٩، ٧٨٩،
نيد أم أثبة، ١٠٢٩	٧٩٩، ٨١٢، ٨٢١، ٨٩٤، ٩٢٧، ٩٥٠،
نيد أم خرمة، ١٠٢١، ١٠٢٧-	١٠١٥، ١٠١٧، ١٠٣١، ١٠٤٣، ١٠٩٠-

- نيد أم رزم، ١٠٠٠، ١٠٣٦
 نيد أم سرمة، ١٠٢٣
 نيد أمرخم، ١٠٠٣
 نيد أمرفصة (نيد الرفصة)، ٩٨٠-٩٨٢،
 ١٠٢٨، ١٠٣١-١٠٣٣، ١٠٣٩
 نيد أمغيط = ساقية أمغيط، ١٠٠٩
 نيد جلال، ٩٧٩، ١٠٢٧
 نيد جنازة، ٩٧٧-٩٧٩
 نيد الخرمة، ١٠١٧
 نيد السحايا، ٩٧٩
 نيد الشق، ٩٤٦
 نيد صوفع، ٩٩٥
 نيد الضالع، ٩٢٤
 نيد العقبة، ٩٥٣
 نيد فضة، ١١٠٧، ١١٩٥-١١٩٦
 نيد كرب، ٩٨٧
 نيد المخطف، ١٠٠٥
 نيد نشمة، ٩٨٩
 نيد الوقر، ١٠٢٥
 نيد وقع، ٩٥٢
 نيويورك، ٨٦٥
- (هـ)
- هايد بارك (حديقة)، ٥٦٤
 الهجلة، ٨١٠-٨١١
 هداة (موقع)، ٦٧٠، ٧٥٣
 هرش الريع، ١٧٣
 هرم أم القصاص، ٢٣٦
 هرم بريم، ١٨٣
 هرم الريميح، ٧٩٧
- هرم عياش، ١٠٣٣
 هرم هجيدة، ٩٣٢، ٩٥٨
 هرمة (حوض)، ١٠٢٣
 هروب، ١٠٦٠
 هضبات الأنصب، ١٩١
 هضاب الضحى، ٩٩٣
 هضاب الوضيبيين، ١٨٦
 هضاب عن، ١٣٢-١٣٤
 هضاب منطرة، ٨٥١
 هضب المنابه، ٢٢٨
 هضبات أبو شحم، ١٣٧
 هضبات الأنصب، ١٩١
 هضبات يعايم، ١٨٥، ١٨٦
 هضبة أبرق حسن، ٤٠٧
 هضبة أبرقين، ٤١٣
 هضبة الأخضر، ١٣٨
 هضبة الأرانب، ٢٠٣
 هضبة أرفعة، ١٢١
 هضبة الأنصب، ١٩٢
 هضبة بدر، ٦٧١
 هضبة برق الذيعان، ٦٧
 هضبة بريم، ١٨٣
 هضبة بني جري، ٢٩٨
 هضبة بني منبه، ٨٥
 هضبة بني واردة، ١٩٦
 هضبة جبلين، ٣٧٢
 هضبة جعوة بن خضرة، ١١٥٣
 هضبة جفجفان، ٨٠٠
 هضبة جمعور، ٢١٢
 هضبة جيث، ٨٠٠

- هضبة العبيدين، ١٢١
 هضبة العرف، ٢٣٦
 هضبة عسير، ٢٣١
 هضبة علب، ٧٥٩
 هضبة عنبيان، ٤٨٠
 هضبة عنيزان، ١٨٣
 هضبة عنيزة، ١٨٣
 هضبة فريض المحدث، ٧٨٣، ٧٨٤-٧٨٥
 هضبة القاري، ٤١
 هضبة قرا، ٣٩٢
 هضبة قرده، ٨٠٠
 هضبة قره، ٦٧٥
 هضبة لعصيان، ٢٦٩
 هضبة مريكيز، ٤٧
 هضبة مشارق، ٤٠٧
 هضبة الملعب، ١١٠
 هضبة المنارة، ٤٢٣-٤٢٤
 هضبة النقا، ٣٩٩
 هضبة نجد، ٦٩٥
 هضبة نجد بن سالم، ٢٧٢
 هضبة نجران، ٢٣١
 هضبة نعمى، ١٨٥
 هضبة وسيم، ١٨٣
 هضبة الوضيفتين، ١٩٦
 هضبة وعر، ٩٩٣-٩٩٤
 الهفوف، ٣٦، ٤٠، ١٣٤، ١٣٥، ٤٧٩، ٦١٠
 هلابيهو، ١٠٧١
 الهند، ١٦٢، ٦٠٧، ٦٨٢، ٦٨٧، ٦٩٩
 هنغاريا، ٦٧٨
 هيجة، ٧٢٢، ٧٢٤، ١٠١٠
 هضبة الحجر الرملي، ٦٩٦
 هضبة حدة، ١٠٢٣، ١٠٣٦
 هضبة الحصن، ٧٦٠
 هضبة الحمرة، ٨٠٠
 هضبة الحمة، ٨٥
 هضبة حمومة، ٢٥٥
 هضبة حويل، ٤٢
 هضبة حيحان، ٣٧٣
 هضبة الدواسر، ١٩٦
 هضبة الرزيزاء، ١٨٧، ١٩١
 هضبة رعوم، ٥٤٨
 هضبة ركية، ٢٣٦
 هضبة الربيع، ١٩٢
 هضبة السباعين، ١٩٢
 هضبة سريقة، ٢٠١
 هضبة سن، ٣٤٦
 هضبة سوى، ٣٣٦
 هضبة شبه الجزيرة العربية، ٢٩٥
 هضبة الشريف، ١٨٦
 هضبة شمان، ١٣٢
 هضبة شيثير، ١٩٦
 هضبة الصاليت، ٣٣٦
 هضبة صبحطل، ٧٨٢-٧٨٤
 هضبة ضاري ضاحي، ٩٩٤
 هضبة ضبعة، ١٨٣
 هضبة الضعة، ١٠٩
 هضبة الضنط، ١٠٣
 هضبة طحنان، ١١٩٩
 هضبة طويق، ٣٤-٣٦، ٤٧، ١٢٦
 هضبة الظلان، ٣٣٦

٢٩٣-٢٩٤، ٢٩٨، ٣٠٠، ٣٠٢، ٣١٨

وادي أبو السداد، ١٢٤١-١٢٤٢

وادي أبو صول، ١١٢٥-١١٢٦

وادي أبي الحيات، ١١٨

وادي أبي ظبيان، ١٠٢

وادي الأبيض، ٢٥٩

وادي الإثابية، ٤٣٢، ٦٢١-٦٢٢

وادي أحية، ١٠٥٣، ١٠٦٥، ١٠٧٠

وادي الأحسية، ٩٧٦، ١٢٩٣، ١٢٩٧-١٢٩٨

وادي أصنام، ٧٦٥

وادي الأغر، ١٣٠٦

وادي الأفياض، ٧٣٢-٧٣٣، ٨٠٦

وادي اقتان، ١٧٣

وادي أم الخشب، ٨٦٠

وادي أم كحل، ٨٥٨

وادي أمتره (وادي الترة)، ٦٦٨-٦٦٩

وادي أمجرع، ١١٨٣-١١٨٤

وادي أمعاين، ١٠٧٨

وادي أمغياثة، ٩٧٣

وادي أملمح، ٥٨٣، ٥٨٦، ١٠٧٨، ١٠٨٢،

١١٢٦

وادي أملمحي، ١١٢٦

وادي أهرارين، ٩٤٢-٩٤٣، ٩٤٦

وادي إيحطر، ١١٥٣

وادي اية، ١١٦٧

وادي البحيثة، ١٠٨

وادي بدر، ٥٣٢، ٦٦٣، ٦٧٦، ٦٧٨، ٦٨٩

وادي بران، ٥٣٣

وادي البرث، ١٢٧

وادي بركة، ١٢٤٢

هيف الفوية، ٢٣٩

(و)

واحة تربة، ٢٩، ١٢٥

واحة الجنينة، ٢١٠

واحة حبونا، ٤٠٥، ٦٢٣، ٦٤٧، ٦٤٩-٦٥١،

٦٦١، ٦٥٩، ٦٥٥-٦٥٣

واحة الحمضة، ٣٤٩، ٣٤٦

واحة حوقان، ١٧٨

واحة الخضرة، ٦٦٩

واحة خيبر، ٢٣٤، ٢٣٧

واحة رنية، ٢٩، ٨٦، ١٠٧

واحة زور وادعة، ٥٤٨-٥٥٠، ٥٥٦

واحة شط الخضرة، ٦٧٠

واحة الصبيخة، ٣٣٨، ٣٤٢

واحة طريب، ٣٤١-٣٤٤، ٣٤٦، ٣٦٢

واحة العرين، ٣٤٩، ٣٥٦، ٧٤٨

واحة الغريف، ١٢١

واحة الفرع، ٤٧٩، ٤٨٠، ٥٢٠

واحة المجمع، ٦٥٧، ٦٦٠

واحة نجران، ٤١٩، ٤٢٥، ٤٣٥، ٤٦٩، ٤٧٧،

٥٤٢-٥٤٣، ٦٥١

واحة النقعاء، ٥٥٢

وادي أبا الغريان، ٢٠٧

وادي أبخ، ٨٣٥

وادي إبراهيم، ٩١

وادي ابن ثامر، ٤٦٢-٤٦٣

وادي ابن عبدالله، ١١٤٩

وادي ابن هشبل، ٣٢٣

وادي أبها، ٢٦٧، ٢٧١، ٢٨١، ٢٨٦، ٢٩١،

١٢٠٦، ١١٥٠، ١١٤٣، ١١٤١، ١١٣٨	وادي برمّة، ١٢٧٤
وادي تقبيلة، ٧٧٩	وادي بزغ، ١٢٢٠
وادي التلاع، ٣٠٣	وادي بشير، ١٢٥٢-١٢٥٥
وادي تندحة، ٣٣٤	وادي بقرة، ٣٢٧
وادي تيمة، ٦٧٦	وادي بني سنامه، ٥١
وادي تية، ٣٢٧-٣٢٩	وادي بني شعبة، ٧٢٥
وادي ثار، ٦٣١، ٦٣٣-٦٣٧، ٦٤٠-٦٤١	وادي بهيج، ٥٩
٦٤٣، ٦٤٧، ٦٧٠، ٦٩٢، ٦٩٦	وادي البيضاء، ٦٩٦
وادي ثروة، ١٠٣٦، ١٠٥٥-١٠٥٦، ١٠٦١-١٠٦٢	وادي بيش، ١٣، ٧١٩-٧٢٠، ٧٢٥، ٧٩٣
وادي ثريان، ٨٣٧	٨٣٢-٨٣٥، ٨٣٧-٨٤٠، ٨٤٢-٨٤٥، ٨٤٧
وادي ثميرة، ١١٤٣	٨٤٩، ٨٥١، ٨٥٣، ٨٥٦، ٨٦٠-٨٦٢، ٩١٥
وادي ثويلة، ٧٥٦-٧٥٧	٩٣١، ٩٥٣، ١٠٨٣، ١١٣٢، ١٢٢١-١٢٢٤
وادي ثيبان، ٧٨١	١٢٣٠، ١٢٣٣-١٢٣٤، ١٢٨٤
وادي جازان، ٧٢٥، ٩٧١، ١٠٥٠، ١٠٥٣	وادي بيشة، ٧٣، ٧٣، ٩٢، ٩٥، ٩٩، ١٠٧، ١٨٦
١٠٥٦، ١٠٥٨، ١٠٦١-١٠٦٢، ١٠٦٤	١٩٥، ٢٠٧، ٢٠٩-٢١٤، ٢١٦، ٢١٩، ٢٢٩
١٠٦٦، ١٠٧٠-١٠٦٩، ١٠٧٥، ١٠٧٧	٢٣٥، ٢٤٦-٢٤٨، ٢٥٣-٢٥٩، ٢٦٢، ٢٦٥
١٠٨٢-١٠٨٣، ١١٣٢، ١١٦٩-١١٩٥	٢٦٧، ٢٩٤، ٣٠٢، ٣٠٩، ٣١٥، ٣٢٣، ٣٣١
وادي الجدالية، ٧٦٠، ٧٧٥	٣٣٤
وادي جلحاء حجام، ١٠١٦	وادي بيض، ١٢٣٨
وادي جلة حجام، ٩٤٩	وادي تانة، ١٣١٦
وادي جوحان، ٢٧١	وادي تباله = الثبية، ٨١، ٩٨-٩٩، ٢١٢
وادي جوراء، ٩٠٨-٩١٢، ٩١٤-٩١٥، ٩١٧-٩١٨	وادي تثليث، ١٣، ٢٣٦، ٢٣٩، ٣٣١، ٣٤٢
٩٢٠-٩٣٠، ٩٣٣-٩٣٤، ٩٣٦-٩٣٧	٣٤٨-٣٤٩، ٣٦٠-٣٦١، ٣٦٣-٣٧٠، ٣٩٣
٩٤١، ٩٦٥	٦٢٤، ٦٤١، ٦٧٥، ٦٩٥-٦٩٦، ٧٠٣، ٧٢٢
وادي جية، ١٢٧٥	وادي تثيل، ١٣١٦
وادي حبونا، ١٣، ٥٥، ٣٩٠، ٣٩٣، ٤٠٠	وادي تربة، ١١٣، ١١٥-١١٦، ١١٨-١٢٢
٤٠٣-٤٠٤، ٤٠٦-٤٠٧، ٤١١-٤١٢	١٧٩، ٢١٤
٥٣٢، ٥٥٦، ٦٢٤، ٦٣٠-٦٣١، ٦٤٢	وادي تريمة، ٦٤٥-٦٤٦
٦٤٥-٦٤٦، ٦٤٩، ٦٥٣-٦٥٦، ٦٦٠-٦٦٤	وادي تعشر، ١٠٨٣، ١٠٩٧، ١٠٩٩، ١١١٨
	١١٢٩، ١١٣٢، ١١٣٤، ١١٣٦

وادي الحمة، ٨٤، ٨٢٧	٧٢٢، ٦٩٦، ٦٨٠، ٦٧٨-٦٧٧، ٦٧١-٦٧٠
وادي الحمى، ٣٩٣	٧٢٩، ٧٢٦
وادي حنبة، ٩٨٠-٩٨١، ٩٨٨-٩٩٠، ٩٩٥-	وادي حبي، ٥٨
١٠٠٣، ٩٩٦	وادي حبيت، ٨١٣-٨١٥
وادي الحنجور، ٢٤٥	وادي الحبيط، ٧١٤
وادي الحنكة، ٧٩٤	وادي حثاق، ١٨١
وادي حنيفة، ٢١٦، ٨٠٠	وادي حجام، ١٠٢٦
وادي الخانق، ٦٩٢، ٨٠٤	وادي حجالا، ٢٦٧، ٢٩٦
وادي خب، ٦٠٦	وادي حريرب، ٩٦٩-٩٧٠، ١٠٣٧، ١٠٣٩
وادي الخرش، ١٠٦٠	وادي حرض، ١٠٩٩، ١١٠٤-١١٠٥، ١١١٣،
وادي الخرمة، ١٢٠، ١٢١، ١٧٩، ٢١٤	١١١٧، ١١٢١، ١١٢٦، ١١٣٢، ١١٤٩
وادي خرمة (نيد أمخرمة)، ١٠٠٠-١٠٠٢،	وادي حرض المغشوش، ١١١٠
١٠٠٩، ١٠١٥، ١٠١٧	وادي حرمان، ١٢٤١
وادي خريد، ٤٤٠، ٥٦٢	وادي حريص، ٩٥٢
وادي الخضرة، ٦٧٨	وادي الحشافة (أبو السمر)، ١٢٧٢
وادي خلب، ١٠٩٩، ١١٢٥-١١٢٦، ١١٣٥،	وادي حشة، ٢٣٣
١١٦١، ١١٦٩، ١١٧٢-١١٧٥، ١١٨٠،	وادي الحصن، ٦٧١، ٧٥٤، ٧٥٧-٧٦٠،
١١٨٧، ١١٩٩، ١٢٠٤، ١٢٠٦-١٢٠٧،	٧٦٤، ٧٧٠، ٧٧٣، ٧٨١
١٢٠٩	وادي حضر، ٧٩٥
وادي الخلص، ١٠١٥-١٠١٦، ١٠٢٧-	وادي حزموت، ٤٠٩
١٠٢٨، ١٠٣٢-١٠٣٣	وادي حطب، ١٢٤٢
وادي الخليج، ٩٩	وادي الحفيرة، ١١١٦
وادي خمران، ١٢٠٤	وادي الحلفة، ١٢٧٧
وادي الخمس، ١١٢٦	وادي حلقة، ٧٧٠
وادي خيرير، ٢٣٨، ٢٣٩	وادي حلي (وادي البرك)، ٣١٣، ٣١٥، ٣٢٧،
وادي الداره، ٢٧١	٧٢٥، ١٢٤٦، ١٢٦٩-١٢٧٠، ١٢٧٨-
وادي دامس، ٩٠٣	١٢٧٩، ١٢٨١، ١٢٨٥
وادي الداهن، ١٢٦٧-١٢٦٨	وادي الحماد، ٧٦٠
وادي الدبر، ١٢٣٤	وادي الحمرة، ٧٢٢، ٧٢٦
وادي دبسا، ١٢٧٣	وادي حمضة، ١٢٥٣، ١٢٥٥، ١٢٥٩

- وادي الرقبة، ٩٦٧
 وادي رقية، ١٣١٦
 وادي رملان، ١٢٣٤-١٢٣٥، ١٢٤١
 وادي الرمة، ١٣١
 وادي رنقة، ٨٣٦
 وادي رنية، ٩٩، ١٠٢-١٠٤، ١٠٦-١٠٧،
 ١٠٩-١١٠، ١١٣-١١٤، ١١٦، ١٢٢،
 ١٨٢، ١٨٦، ١٩١، ١٩٥، ٢٠٤، ٢١٤
 وادي الرهوة، ٣٧٤
 وادي الريث، ٩٥٩
 وادي ريحة، ٨٦٠
 وادي الريش، ٣٢٧
 وادي ريم، ١٢٤٣-١٢٤٨، ١٢٦٩
 وادي السادة، ١٣١٦
 وادي سافانا، ٨٦٦
 وادي سامطة، ١١٣٥
 وادي سبيع، ١٢١، ١٧٩، ١٨١، ١٨٣
 وادي السحوبية، ١٢٤-١٢٥
 وادي سر، ١٢٣١
 وادي سرجوح، ١٨٥
 وادي سريحوات، ١١٨
 وادي السرين، ٢٣٢-٢٣٣
 وادي السعدية، ١٣١٩-١٣٢٠
 وادي سعيد، ٤٢٨
 وادي سقام، ٤٦٧، ٤٧٥، ٥٢٥
 وادي سقامة، ٨٣٠
 وادي سلبة، ١٣١٦
 وادي سللي، ١٩٥
 وادي سلمان، ١١٩٢
 وادي سلة، ٤١٣
- وادي دج، ١١٢
 وادي دحتمي، ١٠٤-١٠٥، ١١٢
 وادي دحر، ٤٠٩
 وادي الدحن، ١٠٧٥، ١١٢٦، ١١٩٠-١١٩٣،
 ١١٩٧-١١٩٥
 وادي دحيضة، ٤٠٨
 وادي دفا، ٧٩١، ٨٣٢-٨٣٣، ٨٣٦-٨٣٥،
 ٨٤١، ٩٣٢-٩٣١، ٩٥٠-٩٥٣، ٩٥٧-٩٥٨،
 ٩٨٨، ١٠١٥
 وادي دهوان، ١١٨٤، ١١٨٦-١١٩٠، ١١٩٧-
 ١١٩٨
 وادي الدواسر، ١٢، ٢٩، ٣١، ٣٣، ٣٦، ٤٦-
 ٤٧، ٤٩، ٥٢، ٥٨، ٦٨، ٨٦، ١٨٦، ١٩٥،
 ٢٢٣، ٣٣١، ٣٦٤، ٣٦٦-٣٦٧، ٣٩٥، ٤٦٤،
 ٥٠٣، ٧٢٢، ٩٤٥، ١١٤٩
 وادي دوقة، ١٢٩٧، ١٣٠٣-١٣٠٦
 وادي ذرا، ١٣١٦
 وادي الذهب، ١٠٢-١٠٥
 وادي ذهب، ١٣١٦
 وادي ذهبان، ١١٧٤-١١٧٥، ١١٧٩-١١٨١،
 ١١٨٣، ١١٨٧، ١١٩٨-١١٩٩، ١٢٦٤-
 ١٢٦٥
 وادي ذي إكشة، ١٠٢، ١٠٤
 وادي ذي كحل، ٧٥٧
 وادي راحة (راحة سنحان)، ٧٠٦-٧٠٧،
 ٧١٨، ٧٢٢، ٧٩٣، ٨١٠-٨١١
 وادي رحا، ٨١٨، ٨٣١-٨٣٣
 وادي ردوم، ٨٢٨
 وادي الرضة، ١٢٣٢
 وادي رغدان، ١١٠

- وادي سمرة، ١٢٣٣
 وادي سمسري، ١١٤٩-١١٥٠
 وادي سموعة، ٩٦٩
 وادي سميكة، ٧٠٠
 وادي سهي، ٣٨٣، ٣٨٥-٣٨٦، ٣٨٩
 وادي السوادية، ١٣٢٠-١٣٢١
 وادي السود، ١٢٣٢
 وادي السيل، ١٦٣
 وادي السيل الصغير، ١٤٢
 وادي السيل الكبير، ١٤٥
 وادي سيلين، ٢٢٣
 وادي شاع، ٢٤٣
 وادي الشباكة، ١٣١
 وادي شجع، ٧٧١-٧٧٣، ٧٧٥-٧٧٦، ٧٨١، ٧٨٥
 وادي شحمة، ٤٩، ٦٧
 وادي شدا، ٣٣٨، ٣٤٠
 وادي شربين، ١٢٧٤
 وادي الشرح، ١٠٢١-١٠٢٣
 وادي الشرحة، ١٠٦٦، ١٠٧٠
 وادي الشرف، ٣٣٣-٣٣٤
 وادي شري، ٣٢٧
 وادي شصعة، ٣١٥
 وادي شعار، ٣١٥، ٣٢٢
 وادي شعبة، ١١٧٥-١١٧٦
 وادي الشعبين، ٣١٢-٣١٣، ٣١٥، ٣٢٢
 وادي شعيب، ٦٤٢
 وادي شعيب جبجب، ٥١
 وادي شعيب الجفر، ١٣٧
 وادي شعيب سمران، ٢٢٣
 وادي شعيب الشعبة، ٧٧٦
 وادي شغاب، ٥٧
 وادي شنقل، ١٢١
 وادي شهدان، ٨٥٧-٨٥٨، ١٢٢٠-١٢٢٢
 وادي شهمة = الشهمة المرتة، ٤٩، ٥١، ٥٣
 وادي شوامي، ١٠٥٤
 وادي صامطة، ١١٥٣، ١١٦٠-١١٥٩
 وادي صيبا، ٨٦٦-٨٦٨، ٨٧٠، ٩٠٢-٩٠٤، ١٢١٩
 الوادي الصغير، ٧٧٢
 وادي صمعة، ٩٩٩
 وادي ضبب، ١١٤٠
 وادي الضحضاح، ٧٥٣
 وادي ضلع، ٢٩٣، ٢٩٥-٢٩٦، ٣٠٨-٣٠٩
 ٣١٢، ٣١٤-٣١٥، ٧٩٤، ١٢٤٠
 وادي ضمد، ٦٤٠، ٨٧٣، ٩٠٩، ٩٣٠-٩٣٤
 ٩٤٠، ٩٤٦-٩٥٢، ٩٥٦، ٩٧٩-٩٨٠
 ٩٨٤، ٩٨٩-٩٩٠، ٩٩٧، ١٠١١، ١٠١٥-١٠١٥
 ١٠١٧، ١٠٢٠، ١٠٢٣-١٠٢٤، ١٠٢٦-١٠٢٦
 ١٠٢٩، ١٠٣٣-١٠٣٤، ١٠٣٦-١٠٣٨
 ١٠٤١، ١٠٥٣، ١٠٥٦، ١٠٩٨، ١١٣٢
 ١١٩٩، ١٢١٧-١٢١٨
 وادي ضنبة، ١٠٣٦
 وادي ضيدة، ٥٨٢، ٥٨٦
 الوادي الضيق، ٧٧٢
 وادي طبب، ٣٥٨
 وادي طريب، ٣٢٩-٣٤٢، ٣٤٦-٣٥٢، ٣٥٥

- ٣٦٧، ٣٦١، ٣٥٨
 وادي الطلاح، ٨٠٨
 وادي طلح، ٨٠٦
 وادي الطلحة، ٧٣٦، ٧٣٤
 وادي عتود، ٢٥٤، ٢٦٥-٢٦٦، ٢٩٥، ٢٩٧،
 ٣٠٩، ١٢٣٥، ١٢٤٠-١٢٤٢
 وادي العجاجان، ٣٦٨
 وادي عرب، ٩٥٧
 وادي العرض، ٧٥٤، ٧٦٠، ٧٦٣-٧٦٤،
 ٧٦٧، ٧٧٢، ٧٧٦، ٧٨١، ١٠٣١
 وادي عرقية، ١٠١
 وادي عرمرم، ١٢٤٥-١٢٤٦، ١٢٤٨
 وادي العرين، ٣٤٢، ٣٥٧، ٣٦٠-٣٦١، ٣٤٩،
 ٣٥٤-٣٥٥، ٣٦٧، ٧٣٥-٧٣٤، ٧٣٧، ٧٤٠،
 ٧٤٤-٧٤٣، ٧٤٧-٧٥١، ٧٥٣، ٧٩٦-٧٩٨،
 ٨٠٢-٨٠٤
 وادي عشيرة، ١٥٣، ١٥٨، ١٦٥
 وادي عظمان، ١٣١٦
 الوادي العظيم، ٧٢٦
 وادي حفرة، ١٠٣٨، ١٠٤١، ١٠٤٥-١٠٤٦
 وادي العقيق، ١٣٨-١٤٠، ١٦٥
 وادي علب، ٧٨٩
 وادي عمران، ٤٤٠
 وادي عمف، ١٢٧٢
 وادي عمق، ١٢٧٥-١٢٧٦
 وادي عنا، ١٠٥٦
 وادي العوراء، ٨٣٨
 وادي عوقة، ١٣٤
 وادي عيبان، ٩٠٨-٩٠٩
 وادي العين، ١٢٧٣
 وادي غار الشقيحان، ٦٧
 وادي غدقة، ١١٦، ١٢٢
 وادي غضانة، ١١٠
 وادي غضيف، ٦٧٦
 وادي غلا، ١٣١٩
 وادي غمم، ١٢٩٣
 وادي الغميم، ١٢٩٧-١٢٩٨
 وادي غيلة، ٨٥١
 وادي فاطمة، ١٦٣
 وادي فريضان، ١٣١٦
 وادي فرع الجبل، ٦٧١
 وادي فرعة، ٤١٣
 وادي فرماء، ١٣٠٠
 وادي فسوة، ٨٦١
 وادي الفرشة، ٣٣، ٨٢٨
 وادي الفرع، ٤٣٠-٤٣١، ٤٦٢، ٤٧٣، ٤٧٦،
 ٤٧٨-٤٧٩، ٥٢٨، ٥٨٣، ٧٦٦
 وادي فلح، ١٣١٦
 وادي الفيض، ٦٩٦، ٧٠٣، ٧٠٧، ٨٣٧-٨٣٩
 وادي قاب، ٦٦٣، ٦٧٨
 وادي القبضة، ٧٤٩-٧٥٠، ٧٩٦، ٨٠٣
 وادي القحة، ١١٨-١١٩
 وادي قرضة، ٢٩٧
 وادي قرماء، ١٢٩٩، ١٣٠١-١٣٠٢
 وادي قسي، ٩٠٣-٩٠٤، ٩٠٦-٩٠٧، ٩١٤
 وادي القصب، ٦٩٦، ٦٩٨، ٧٠٠، ٧٠٢-
 ٧٠٣
 وادي القضة، ١٠٣-١٠٦
 وادي القفلة، ٤٤٠
 وادي القماري، ١١٤٠

- وادي مخواة، ٧٥٩
 وادي المديغ، ٣٦٩، ٣٧٣
 وادي المديرية، ٩٥١، ٩٧٩
 وادي مربع، ٣٦٨
 وادي مرخة، ٥٦٠
 وادي مرة، ١٢٦٨
 وادي مروان، ٦٠٦، ٧٥٤، ٧٦٢، ٧٦٧،
 ١٠٣١، ١٢٧٨
 وادي مستتقع، ١٣١٦
 وادي مسلة، ١٢١١-١٢١٢
 وادي المسيرق، ٢٣٦-٢٣٩، ٢٤٣، ٣٦١
 وادي المشرف، ١٠٧٧
 وادي مشقة، ٨٤٥-٨٤٧
 وادي المشيرف، ١٧٣
 وادي المضايا، ١٠٩٩
 وادي المطرق، ١٣١٦
 وادي المطلع، ١٢٦٨
 وادي المعين، ١٢١٣
 وادي معبر، ١٠٥٦
 وادي المغشوش، ١١١٧
 وادي المغيالة، ١١٣٧-١١٣٨، ١١٤٠-١١٤٣،
 ١١٥٠
 وادي مقسا، ١٣١٦
 وادي مقيعر، ١١٨
 وادي الملح، ١١٢٦
 وادي الملحاء، ٨٦١
 وادي المنجارة، ١١٣٦
 وادي منيخر، ١٢٦٨
 وادي المهجر، ٦٧٨
 وادي مهد المحمي، ٧٨٤
 وادي القمح، ١٠٤٤-١٠٤٥، ١٠٥٠
 وادي قنا، ٣٢٧
 وادي القنفذة، ١٢٨٢
 وادي قنونة (قنونا)، ١٢٨٢، ١٢٩٠، ١٢٩٣،
 ١٢٩٦-١٢٩٧
 وادي كتام (قتام)، ٧٤٧، ٧٥٠، ٧٩٥-٧٩٦،
 ٨٠٣
 وادي كتته، ٢٣٣
 وادي الكتل، ١١٨
 وادي كراء، ١١٥، ١١٩، ١٢١-١٢٢
 وادي الكرمة، ٩٣٦
 وادي كفاف، ١٠٧٥
 وادي لحي، ١١٦٣
 وادي للحجة، ٨٢٨-٨٣١
 وادي اللخبسية، ١٢١٩
 وادي للصب، ١٢٦٧
 وادي اللهمان، ١٢٧٧
 وادي لومة، ١٢٩٣، ١٢٩٧-١٢٩٨
 وادي الليث، ١٢٩٧، ١٣١٤، ١٣١٧-١٣١٨،
 ١٣٢٠
 وادي الليمون، ٥٧٦
 وادي لية، ١١١٨، ١١٣٥، ١١٥٠-١١٥١،
 ١١٥٣-١١٥٤، ١١٦٥، ١١٧١، ١١٨٥،
 ١٢٠٣، ١٢٠٥-١٢٠٦
 وادي مأرب، ٤٩٤
 وادي مجارف، ١١٧٤، ١١٧٦-١١٧٧
 وادي مجنة، ١٠٤٥-١٠٤٦
 وادي محتة، ١٠٧٥
 وادي محجر، ٦٨٩
 وادي محلة، ٧١٨

وادي يلملم، ١٣١٥، ١٣١٨	وادي مهرة، ٨٢٦
وادي اليمانية، ١٤٨	وادي موضية، ١٢٦٧
وادي يمنا، ١٠٦٢	وادي الموفجة، ٧٦٢
واديا رفضة، ٨٤٣	وادي المياه، ٢٠٧
واسط، ٦٠٩	وادي ميدي، ١١٠٤-١١٠٥، ١١١٢
الواسعي، ٥٤٧	وادي نجران، ٤٠٦، ٤٠٨، ٤١٢-٤١٣، ٤٢٤،
واشنطن، ١٩-٢٠	٤٣٠، ٤٣٢، ٤٣٥، ٤٣٨، ٤٦٧، ٤٧٧، ٤٨٣،
وايلة، ٨٤٩، ١٠٣١	٤٨٧، ٥٢١، ٥٢٨، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٥٢،
الوتر، ٧٨٦	٥٧٦، ٥٨٠، ٥٩٢، ٦٠١، ٦٠٣، ٦٢١، ٦٧١،
وتر مهيب، ٦٩٩	٧٤٧، ٧٥٤-٧٥٥، ٧٨٢، ٧٩٥، ١١٠٣
وتن، ٦٥٨	وادي نجل، ١٢٥٩-١٢٦٠، ١٢٦٤
الوجه، ١٢٧١	وادي نخلان، ٨٦٠، ٨٦٢، ١٢١٩
وحل، ٦٥٧، ٦٥٩	وادي نخوان، ١٢٩٩
ورك منيرة، ١٨٦	وادي نشور، ٧٦٧
ورو آيل، ٤٩٣	وادي نصيري، ١٢٩٩
الوسقة، ١٣١٢	وادي النعام، ٨٢٧
وسم، ١٢٥٢	وادي النقيع، ٧٤، ٨٠-٨١
الوسوم القبلية، ١٠٥	وادي نهب، ١٢٤٩
وسيعان، ٦٠٩	وادي نهر، ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٣٧
وشعة، ٢٢٩-٢٣٠	وادي نهوقة، ٤٢٥، ٤٢٤-٤٣٥، ٤٣٨، ٥٥٤-
وشل (نبع)، ٦٦٧	٥٥٩، ٥٧٩-٥٨٢، ٥٨٨-٥٨٧
وشة، ٦١٢	وادي هارون، ١٢٩١
وعان النعامة، ٦٤٦	وادي الهجلة ٨٠٩-٨١٠
وعتان، ٨٨٠	وادي هرجاب، ٢٢٩، ٢٣٠-٢٣٢، ٢٣٤-
الوعرة، ١٠٧١	٢٣٧، ٢٥٥
وعل، ٧٦٠	وادي الهرير، ٢٥٦
وعوع، ٧٧٥، ٩٨٨	وادي الهيجة، ٣٢٧
الوغرة، ١٠٧٧، ١٠٣٠	وادي وساع، ١٢٢٠، ١٢٢٢
وقح آيل، ٤٩١	وادي بيه، ١٢٨٢، ١٢٨٥، ١٢٨٨-١٢٨٧
وقر بن عيسى، ٣٥٧	وادي يعوض، ٧٠٧، ٧١٨

٨٤٢، ٨٧٨، ٨٨١-٨٨٣، ٨٩٧، ٩٢٨،
 ٩٣٢، ٩٣٤-٩٣٥، ٩٤٧، ٩٤٩، ٩٥٩،
 ٩٧٧، ٩٧٩-٩٨٠، ٩٨٥، ٩٨٩، ٩٩٢،
 ٩٩٧، ٩٩٩، ١٠٠١، ١٠٠٣-١٠٠٥،
 ١٠٠٨-١٠١٠، ١٠١٧، ١٠٢٠، ١٠٢٣،
 ١٠٢٥، ١٠٢٨-١٠٢٩، ١٠٣٣-١٠٣٤،
 ١٠٤٠، ١٠٤٢-١٠٤٤، ١٠٥١، ١٠٥٣-
 ١٠٥٤، ١٠٥٨، ١٠٦٠، ١٠٦٢، ١٠٨٥،
 ١٠٩٢، ١٠٩٩، ١١٠٣، ١١٠٥، ١١٠٧،
 ١١١٧، ١١٢٠، ١١٢٥، ١١٢٩، ١١٣٦،
 ١١٤٠، ١١٤٨، ١١٥١، ١١٥٦-١١٥٧،
 ١١٦١، ١١٦٣، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٧٦-
 ١١٧٧، ١١٨١، ١١٩٧، ١٢٤٤، ١٢٤٦،
 ١٢٤٨، ١٢٥٧، ١٢٦٣، ١٢٧٤، ١٢٨٧،
 ١٣٠٤، ١٣٠٦، ١٣٠٨، ١٣١١، ١٣١٦،
 ١٣٢٠

اليمن الشمالية، ٧٧٠

يمني المجاحف، ١١١٢

ينابيع ضمد، ١٠٧٧

ينابيع المشرف، ١٠٧٧، ١٠٧٩

ينابيع الوغرة، ١٠٢٨-١٠٣١، ١٠٤٦

١١٧٤، ١٢٠٢-١٢٠٣

ينبع، ٤٢٩

وقر فجعة، ٣٥١، ٣٥٣
 وقر مبارك، ٣٥٣
 وقره، ٧٦٢
 وقواق، ٦١٠
 الولايات المتحدة الامريكية، ٩١٧

(ي)

اليابان، ٥٣٠، ٨٨٧، ١١١٩

يام (منطقة)، ٦٧٩-٦٨٠

يتم (مرتفعات منخفضة)، ٦٧١

يتيمة، ٦١١

اليمن، ١٢، ١٣-١٤، ٢٤، ٨٩-٩٠، ٩٥

١٠١، ١٦٢، ١٨٤، ٢٠٠، ٢٢٣، ٢٢٥

٢٣٠-٢٣١، ٢٤٤، ٢٤٦، ٢٥٠، ٢٨٩-٢٩٠

٣١٠، ٣٢٧، ٤٠٩، ٤٣٤، ٤٦٦، ٤٧٦، ٤٨٨

٤٩٠، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠٣، ٥٠٧-٥٠٩، ٥٣٠

٥٣٦، ٥٣٨، ٥٤١، ٥٤٧، ٥٥٢-٥٥٥

٥٥٧-٥٥٨، ٥٦٢، ٥٦٤، ٥٦٩، ٥٧٢، ٥٩٦

٥٩٨، ٦٠٤، ٦٠٧، ٦٥٨-٦٦٠، ٦٧١، ٦٧٩

٦٨٢، ٦٨٥-٦٨٦، ٧٠٤، ٧١١، ٧١٥-٧١٦

٧٣١، ٧٤٢، ٧٤٥-٧٤٧، ٧٥٠-٧٥١، ٧٥٨

٧٦٠، ٧٦٤، ٧٦٦-٧٦٨، ٧٧٣، ٧٧٥، ٧٧٨

٧٨٠، ٧٨٣، ٧٨٧، ٧٨٩، ٧٩٤، ٨٠١-٨٠٢



محتويات الكتاب العامة

محتويات الجزئين

• أولاً: محتويات الجزء الأول

الصفحة	الموضوع	مسلسل
٧	كلمة الناشر	-١
٩	تقديم بقلم. أ. د/ غيثان بن علي بن جريس	-٢
١٧	تصدير	-٣
٢٣	مقدمة	-٤
٢٧	الباب الأول: استهلال	-٥
٢٩	الفصل الأول: ما بعد الربع الخالي	. أ
٧٣	الفصل الثاني: وادي بيشة	. ب
٩٥	الفصل الثالث: درب الفيل	. ج
١٤٩	الباب الثاني: الوادي الثلاثي	-٦
١٥١	الفصل الرابع: الملك في معسكره	. أ
١٦٩	الفصل الخامس: الخرمة	. ب
١٨٥	الفصل السادس: رنية	. ج
٢٠٩	الفصل السابع: بيشة	. د
٢٤٣	الفصل الثامن: خميس مشيط	. هـ
٢٦٥	الفصل التاسع: مرتفعات عسير	. و
٣٣١	الفصل العاشر: وادي تثليث	. ز
٣٩٧	الباب الثالث: بلاد يام	-٧
٣٩٩	الفصل الحادي عشر: عتبة نجران	. أ

تابع محتويات الجزئين

٤١١	الفصل الثاني عشر: كعبة نجران	ب.
٤٢١	الفصل الثالث عشر: أولى الخطى في نجران	ج.
٤٥٩	الفصل الرابع عشر: الأخدود	د.
٥٢٩	الفصل الخامس عشر: الحياة في نجران	هـ.
٥٦٩	الفصل السادس عشر: الزيارة الثانية لنجران	و.

● ثانياً: محتويات الجزء الثاني

الصفحة	الموضوع	مسلسل
٦١٩	الباب الرابع: النجد المرتفع	٨-
٦٢١	الفصل السابع عشر: الطريق إلى حبونا	أ.
٦٤٩	الفصل الثامن عشر: وادي حبونا	ب.
٦٧٣	الفصل التاسع عشر: وطن السفاحين	ت.
٦٩٥	الفصل العشرون: تثليث الأعلي	ج.
٧٢٩	الفصل الحادي والعشرون: المنابع العليا لحبونا	د.
٧٥٥	الفصل الثاني والعشرون: حدود الهضبة	هـ.
٧٩٣	الفصل الثالث والعشرون: عودة إلى شراقب	و.
٨١٧	الباب الخامس: مرتفعات تهامة	٩-
٨١٩	الفصل الرابع والعشرون: وادي بيش	أ.
٨٤٩	الفصل الخامس والعشرون: منطقة صيبا	ب.
٨٧٣	الفصل السادس والعشرون: جازان	ت.
٩٠١	الفصل السابع والعشرون: جبال تهامة	ج.
٩٥٥	الفصل الثامن والعشرون: حدود المرتفعات	د.

تابع محتويات الجزئين

الصفحة	الموضوع	مسلسل
١٠١٣.....	الباب السادس: منخفضات تهامة	-١٠
١٠١٥.....	الفصل التاسع والعشرون: حدود السفوح الجبلية	أ.
١٠٦٩.....	الفصل الثلاثون: سهل تهامة	ب.
١١٠٣.....	الفصل الواحد والثلاثون: حدود السهل	ت.
١٢١٥.....	الفصل الثاني والثلاثون: الطريق الساحلي. محافظة جازان	ج.
١٢٦٣.....	الفصل الثالث والثلاثون: الطريق الساحلي. محافظة القنفذة	د.
١٣٢٣.....	الفهارس	-١١
١٣٢٥.....	فهرس الأعلام	أ.
١٣٤٥.....	فهرس القبائل والعشائر والأفخاذ	ب.
١٣٥٩.....	فهرس الأماكن	ت.
١٤٤٥.....	محتويات الكتاب العامة	ج.



